

تنظيرات ومقارنات حول : فصحى العامية في المغرب والاندلس الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

فقال : (لعل الدخيل كان نادرا في أرض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء) الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات نطقا اهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقربها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصحة ما استعملها المراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم تنظيراتنا على لهجتي المغرب والاندلس لنأخذ من خلال هذه المقارنات كيف ان لهجة المغرب كانت أقرب الى الفصحى منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير أبي بكر محمد بن حسن ابن مدحج الزبيدي (316 هـ - 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) في سلسلة كتب « لحن العامة » بإشراف الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ الآداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي أصله من حمص الشام وهو من تلامذة أبي علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي في كل من « طبقات ابن شنبه » (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بأنه « شيخ اللغة

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » منظرين بين فصحي العاميات في كثير من الاقاليم والاقطار العربية (سوريا - لبنان - مصر - الخليج العربي) وقد ركزنا خاصة على المقارنة بين اللهجة الدارجة في المغرب واللغة الفصحى وضررنا مات الامثلة للدلالة على أصالة عاميتنا وقد عثرنا في كتب اللغة القديمة بعد صدور ذلك البحث على عدد كبير من المفردات التي حرفت العامية تحريفا يسيرا والتي ترجع الى صلب الفصحى وبعضها بآد من أعماق اللسان الجاهلي الذي عدل عن استعماله في العصر الحاضر وزدنا تركيزا لهذه الفكرة بفرب مثل حي باللهجة الدارجة في ناحية زعير الواقعة على ابواب عاصمة الرباط مما يدل على ان الدخيل في العامية المغربية كان قليلا اذا استثنينا مجموعات ضئيلة انتقلت من طريق الفصحى من الفارسية وفي المهود الاخيرة من الاسبانية والفرنسية وقد قمنا بمحاولة جريئة استهدفنا بها استخلاص بعض القواعد التي درجت عليها اللهجة العامية المغربية في جولاتها قياسا على الفصحى وعلى بعض العاميات في البلاد العربية وبالاخص سوريا واذا استعرضنا المفردات الاندلسية التي وصلت اليها معرفة من أصلها العربي وجدناها اقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب فالدخيل فيها قليل وقد تحدث الاستاذ الكبير كرد علي من « عجائب اللهجات » (1)

والعربية بالاندلس « كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « أوحده مصره في علم النحو وحفظ اللغة » وهو أيضا في نظر الثعالبي (4) « أحفظ أهل زمانه للاعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقرئ هذه الانظار كلها بقوله (5) : « هو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق » .

وقد كتب الكثير في اخطاء العوام والخواص ونجزيء الآن بذكر أربعة كتب مخطوطة في دار الكتب المصرية منها :

(1) درة الفواص في اوام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملة لابن منصور الجواليقي (540 هـ) .

(2) رسالة في اغلاط العوام للسيوطي (911 هـ) مرتبة على حروف المعجم .

(3) التنبيه على غلط الجاهل والنبه لابي كمال باشا احمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لغة) .

(4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه في العدد الاخير من مجلة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشراف الجمع العلمي العربي ببغداد كما سبق أن نشرت مجتثا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسة حول العامية في « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية في هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي في كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو المصدر الفني في حق تطور اللغة العربية - ان الكثير من الفاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصح - بنية وشكلا - من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

(1) بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج او المنطقة .. والصواب ايزيم (ص 15) .

(2) مطمح الانفس 53 / 23 .

(3) وفيات الايمان 1 / 514 .

(4) بتيمة الدهر 1 / 409 .

(5) نفع الطب 5 / 24 .

(6) سماه السيوطي في بغية الوعاة ص 82 بلحن العامية .

(2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .
(3) يقولون لواحد الذبان ذبانة .. والصواب ذباب (31) .

(4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .

(5) يقولون لشجر يكون في الجبال عرمار .. والصواب عرعر (ص 48) .

(6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اقرب الى الفصحى من الاندلس .

(7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الثياب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثل المغرب) .

(8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفسل (بالفتح) (ص 64) .

(9) يقولون فلان مذهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .

(10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كلية (ص 67) .

(11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه العطر واصناف الحلبي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .

(12) ويقولون مقذاف السفينة .. والصواب المجذاف (ص 69) .

(13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منه الحبال .. والصواب حلقة (بالتحريك) (ص 70) .

(14) ويقولون للاناء المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .

(15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق موسى ويمودون فيجمعونها امواسا .. والصواب موسى (ص 78) .

30) ويقولون للنبث الذي يشبه الخطمي خبير .. والصواب خباز (ص 115) .

31) ويقولون خلخال بكسر اوله .. والصواب خلخال (بالفتح) (ص 116) (مثل ما في المغرب) .

32) ويقولون قصعة (الكسر) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح (ص 117) (مثل المغرب) .

33) ويقولون نافق التميمي .. والصواب نيفق (125) .

34) ويقولون للشجر الذي يعصر منه الزيت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعولل (ص 132) .

35) ويقولون للظرف الذي يقلى فيه الحبوب وغيره مقله .. والصواب مقلى بلا هاء (كما في المغرب) (ص 140) .

36) ويقولون شورة المروس والبيست .. والصواب شوار (ص 141) (هو المستعمل في المغرب) .

37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبي .. والصواب جص (ص 144) (يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط الجصص) .

38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبر .. والصواب جبار على مثل فعال وهو الصاروج أيضا (ص 145) .

39) ويقولون هند الاستمجال هيا (بالفتح) وربما قالوا آيا .. والصواب هيا بالكسر (ص 148) .

40) ويقولون كاغط بالطاء المعجمة .. والصواب كاغد بالدال غير المعجمة (ص 152) (كاغط بالطاء المثالة بالمغرب) .

41) ويقولون صوف موضح بالفساد .. والصواب موضح بالدال المعجمة (ص 155) (يقال في المغرب ليقة أي صوفة موضة بتسكين الدال) .

42) ويقولون لواحد المصران مصرانة .. والصواب مصير ثم يجمع على مصران (ص 157) .

43) ويقولون سكرانة يبنونها على سكران .. والصواب سكرى (ص 162) .

44) ويقولون للزئبق زواق .. والصواب زاووق (ص 166) (في المغرب زاواق) .

45) ويقولون هو مبطل اليد .. والصواب مبطل إلا أن يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه (ص 169) .

16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان إذا تزوجا أختين .. والصواب سلف (بكسر اللام) (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 81) .

17) ويقولون لم أفعل هذا عاد بمعنى حتى الآن .. والصواب لم أفعل هذا بعد (ص 83) .

18) ويقولون لريحانة طيبة الريح نعنن (بالفتح) .. والصواب نعنن بضم النونين (ص 87) .

19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب الخامل (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 88) .

20) ويقولون سفرجل فيضمون (أي الجيم) .. والصواب سفرجل بالفتح وليس في الكلام الخماسي الصحيح شيء على مثال فعلل (ص 89) (والفتح الفصيح هو لغة المغرب) .

21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس بالضم .. والصواب كدس (بالفتح) (يسكن بالمغرب) (ص 90) .

22) ويقولون لبعض الاصماغ المظوبة لوبان (بفتح اللام) .. والصواب لبان (المستعمل بالمغرب) (ص 93) .

23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب حمص بالتشديد (كما في المغرب) (ص 94) .

24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .. والصواب صاقور (ص 97) .

25) ويقولون لضرب من الشجر دفلة .. والصواب دفل (ص 99) .

26) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما في المغرب) (ص 100) .

27) ويقولون للحية حنش فيسكنون .. والصواب حنش (بالتحريك) (ص 102) (بفتح النون في المغرب) .

28) ويقولون للبستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه أجنة .. والصواب جنة يجمع على جنان وليس الجنان بواحد (ص 111) .

29) ويقولون لمن يقعد من المشي والقيام من حلة أو خلقة مقعد (بالفتح) .. والصواب مقعد بالضم (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 112) .

بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمي في الدوائر
المخزنية .

(58) ويقولون نزل اليوم شتاء كثير يعنون
المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة
كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221) .

(59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال
زنة الشيء الذي يثقل به ويقال دينار ثاقل اذا كان لا
ينقص (ص 221 - 222) .

(60) ويقولون لعود الشراع صار والصارى
الملاح (ص 224) .

(61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد
جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جص أو
جير (ص 224) (ويقولون في المغرب القرمود لنفس
المسمى الاندلسي والقرمود في اللغة ولد الوعل) وقد
أشار الزبيدي إلى ما ذهب إليه يعقوب من أن القرمد
خزف يطبخ وقال أنه ليس بصحيح وهو ما أخذ به
المفاربة في العدوتين .

(62) ويقولون أسطوان البيت الذي يشرع إلى
الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

(63) ويقولون للكمثرى اجاص والاجاص ضرب
من المشمش (وفي النبات لابي حنيفة الدينوري ج 5
ص 41 : والاجاص عند اهل الشام الكمثرى ويسمون
الاجاص المشمش) .

ومعلوم ان كلمة انجاص المستعملة في كل من
الشام والمغرب اصلها اجاص وهي تعني في الحقيقة ما
(وهو البرقوق في مصر prune يسمى بالفرنسية
أو المعروف فلفا بالخوخ في الشام) .

(64) ويقولون سانية للخشب تديره الدابة اذا
سنت والسانية هي الدابة بعينها التي تسنو (ص 231)
(وتطلق السانية في المغرب على الجنة التي تسنا) .

(65) ويقولون للزق الذي ينفخ به الحداد كبير
(ص 227) .

(66) ويقولون « باع » لاوسع الخطا والباع ما
بين طرفي يدي الانسان (ص 238) .
(يلتقي المغرب مع الفصحى في هذا المفهوم) .

(67) ويقولون آرى لمعلف (بكسر الميم) الدابة
والآرى الحبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه

(46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونها على
صمغ .. والصواب صومغة (ص 171) .

(47) ويقولون للمطهرة مبضة .. والصواب
مبضاة بالهمزة (ص 174) .

(48) ويقولون لسام ابرص وزغة فيخففون ..
والصواب وزغة (بالتحريك) (ص 179) .

(49) ويقولون منكب (بالفتح) الانسان وغيره
.. والصواب منكب بالكسر (ص 185) .

(50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قبح
(بكسر القاف) .. والصواب قبح (بفتح فسكون)
(ص 185) .

(51) ويقولون لجمع الحداة احدية .. والصواب
حداة (ص 189) (احدية للمفرد في المغرب كما في الحجار)
حداة (ص 189) (وهي لغة فصيحة) .

(52) ويقولون لجماعة الصاحب صحاب
(بالفتح) .. والصواب صحاب (بالكسر) ولا يكون
فعال جمعا مكسرا الا قولهم شباب لجماعة الشباب
(ص 191) (وفي المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة
في بداية الكلمات غالبا) .

(53) ويقولون امرأة عروسة فيلحقون الهاء ..
والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس
بالمغرب) .

(54) ويقولون مخدة للتي توضع تحت الخد ..
والصواب مخدة بالكسر وهي اعظم من المصدفة
(تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .

(55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصواب
عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا ورجل
عزب (ص 201) .

(56) ويقولون يا غايث المستغيثين .. والصواب
يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث في المغرب بصيغة
المبالغة) .

(57) ويقولون بنية للقطعة من الشقة تخاط
بجانب القميص والبنية لبنة القميص التي فيها
الازرار (ص 213) والواقع ان البنية تطلق كما في
التاج على اللبنة والجربان والدخرض كما تطلق على
زعمة الكرم أو السطر من النخل وهو المجاز الذي أخذ
به المفاربة عندما اطلقوا البنية على قطعة أو غرفة من

- المغرب محرفا الى اروي على الملفف (بالفتح) (اي مكان الملف) .
- 68 قولهم الوادي للنهر خاصة .. والوادي كل بطن مطمئن الارض (ص 240) .
- 69 ويقولون ريحان للاس خاصة دون سائر الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .
- 70 ويقولون لحاف للغطاء الذي يكون على الاسرة خاصة وللحاف ما التحف به من ثوب (ص 242) (ويطلق في المغرب على المنجد من السرر) .
- 71 ويقولون بكوت اليك بمعنى غدوت خاصة .. والبكور التمجيل في جميع اوقات الليل والنهار (ص 245) . والواقع ان العرب استعملت البكور بمعنى الخروج غدوة كما في معاجم اللغة وهو بمعنى التقدم اي وقت من ليل او نهار من اقوال ابن جنس فتكون عامية المغرب والاندرلس بذلك فصيحة .
- 72 ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج (ص 251) .
- 73 يقولون لغرب من المصافير براطيل والبراطيل حجارة مستطيلة واحدها برطيل (ص 262) .
- 74 ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيب ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا كان طيب الريح (ص 263) .
- 75 ويقولون لواحد الحراب حربة يفتحون الرأه .. والصواب حربة بالتخفيف (ص 266) وهو المستعمل بالمغرب) .
- 76 ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب حلبا (ص 267) .
- 77 ويقولون لبعض بسط الصوف حنبل والحنبل الفرو من الشيباني (ص 268) .
- 68 ويقولون خمنت الشيء تخميما اذا قدرته .. والصواب خمنت بالنون من التخمين (ص 271) .
- 79 ويقولون لما وتي به الحائط من حطب او حشيش زرب والزرب حفرة تحفر مثل البيت يبنى حولها (ص 274) .
- 80 ويقولون للطائر زرزل باللام .. والصواب زرزور (ص 274) (كما في المغرب) .
- 81 ويقولون زريعة فيشددون .. والصواب زريعة بالتخفيف (ص 274) .
- 82 ويقولون للذي يعصر من شجر الصنوبر زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر (ص 275) .
- 83 ويقولون سموت في الامر .. والصواب سميت في الامر (ص 276) (كما في المغرب) .
- 84 ويقولون للحبل الذي يربط به الدابة طوال .. والصواب طول (ص 282) .
- 85 ويقولون موش الطائر .. والصواب عش (ص 284) (كما في المغرب) .
- 86 ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال .. والصواب مغربل (ص 284) .
- 87 ويقولون لجمع القط قطاطيس .. والصواب قطط (ص 287) (قطوط بالمغرب) (القطوس هو القط بالبربرية) .
- 88 ويقولون قليح المركب ويجمعونه على قلع .. والصواب قلاع وجمعه قلعوع (ص 287) (كما في المغرب) .
- 89 ويقولون للبيت الذي بجانب البيت المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكون في جوف البيت يتخذ للنساء (ص 288) .
- 90 ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب كروم (ص 289) .
- 91 ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع (ص 290) (كما في المغرب) .
- 92 ويقولون للحجر المطبوخ لاجور .. والصواب آجر وآجور (ص 292) .
- 93 ويقولون لقة المداد فيشددون .. والصواب ليقة (ص 293) (كما في المغرب) .
- 94 ويقولون للذي يصيبه البلاء مجلدام والمجلدام النافذ في الامور الماضي (ص 294) .
- 95 ويقولون مرقعة بالتخفيف .. والصواب مرقعة ومرق للجمع (ص 294) .
- 96 ويقولون المكني بأبي فلان .. والصواب المكني بفتح الميم (ص 297) كما في المغرب (المكني بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها) .

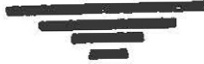
100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد
واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والمضد
(ص 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح أن عامية المغرب
اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس : واحد وثلاثين
فى المائة (حيث أن 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ
فى المغرب بنية عربية فصيحة فى حين أن المائة كلمة
الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى)

97) ويقولون لجمع الماء مياة بالتاء ..
والصواب امواه للجمع الاقل ومياه للكثير (ص 298) .
(مياه فى المغرب) .

98) ويقولون امرأة نفيسة .. والصواب نفساء
(ص 298) .

99) ويقولون لبست الطعام هري (بكسر الراء)
.. والصواب هري (بتسكينها) (ص 299) .



مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ

الدةكورة عالسنة عبد الرحمن ، بنت الشاطىء ، القاهرة

فما أشغل به على المدى الطويل من دراسة البىان القرآنى ، أدركت أننا سنظل محجوبين عن أسرار لغتنا ، اذا لم نعد منجلبها فى القرآن الكريم ، معجزة النبى العربى ، وكتاب العربية الاكبر .

وفكرت أننا مضينا على أن نختار لابنائنا النماذج العليا من دواوين الشعراء ونثر الكتاب . ونمطى دراستهم للعربية وأدبها ، بمعزل عن هذا الكتاب المحكم المبين ، الذى يجلو ذوقها الاصيل المرهف ، فى ذروة نقائه واعجاز بيانه .

واذ أخضع فى مهمى لبىان القرآن ودلالات الفاظه ، للمنهج الدقيق الذى تلقينه من «استاذنا أمين الخولى» فى استقراء الاستعمال القرآنى لكل لفظ أو عبارة ، وتدبر سياقاتها الخاص فى الآية والسورة ، والسياق العام فى الكتاب كله ، بدا لى بعد طول التدبر والتأمل ، أنه حيثما يحشد المسرون عدة الفاظ فى تفسير لفظ قرآنى ، يميننى أن أضع لفظا منها فى موضع اللفظ الذى نزل به الكتاب المحكم ، دون أن يضيع سر الكلمة .

وما من حرف تأولوه زائدا أو قدروه محذوفا ، يمكن أن تقوم العبارة على التاويل بزيادته أو حذفه . ولفتنى هذا الى أسرار للعربية احتجبت منا ، لطول ما اختلطت الدلالة القرآنية بالدلالات المعجمية ، ولطول ما احتكمت قواعد الصنعة الاعرابية والمنطق البلاغى المدرسى ، فى توجيه النص الاعلى الذى ينبغى أن تعرض عليه كل قواعد النحاة واللغويين والبلاغيين .

ولا يتسع المجال المحدود هنا لعرض كل ما اجتليت من هذه الأسرار التى حجبت منا ، وإنما حسبى أن أقدم منها المثل والشاهد ، فى سر البىان فى الحرف لا ينفى منه سواء وفى الكلمة لا يقوم مقامها غيرها من حشد الالفاظ المقول بترادفها ، وفى التعبير يتعدى كل محاولة لتأويله على غير ما جاء به فى البىان المعجز :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدما من خشية الله ، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يفكرون » .

سر الحرف

ما من حرف في القرآن الكريم ،
تأولوه زائدا أو قدروه محذوفا أو
فسروه بحرف آخر ، إلا ويتحدى
بسرّه البياني كل محاولة لتأويله
على غير الوجه الذي جاء به في
البيان المعجز .

*

من سر الحرف ، أدم هنا شواهد من حروف
قرآنية ، مفردة ومركبة ، حاول المفسرون في تأويلها
أن يعدلوا بها على وجه التدبير والتأويل ، عن نظمها
الذي جاءت به في البيان الأعلى ، لكي تلبى مقتضيات
الصنعة الإعرابية أو أحكام الصنعة البلاغية .

وبقيت هذه الحروف ، تتحدى كل محاولة لتفسير
أو تدبير بحذف وزيادة .

ولنأخذ مثلا ، حرف الباء في مثل قوله تعالى :
« وما ربك بغافل عما تعملون »
« لست عليهم بمسيطر »

جرى النحاة والمفسرون على القول بأن هذه
الباء زائدة في خبر « ما » و « ليس » لا يعنون بزيادتها أنها
جاءت عبثا أو لغوا ، وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد .

وقد جاء « ابن هشام » بهذه الباء الزائدة في
الخبر ، مع خمسة مواضع أخرى لزيادة الباء .
وأدجها جميعا تحت حكم عام ، هو معنى التأكيد
المستفاد من الباء الزائدة (1) .

ومع قولهم أن هذه الباء الزائدة في الخبر ،
للتأكيد ، جرت الصنعة الإعرابية على تصرف عملها على
الشكل لا المعنى . فهي تعمل في ظاهر لفظ الخبر
ويبقى الحكم الإعرابي على أصله ، منصوبا بفتحة
مقدرة على آخر الخبر ، منع من ظهورها اشتغال
المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ونردد نحن هذا الحكم التقليدي جيلا بعد جيل .
ويتلقاه الطلاب جميعا تلقينا لا يملكون إلا أن يحفظوه .

دون أن نتردد في قبول القول بزيادة الباء وقد
صار من المقولات البديهية التي نقولها على وجه
الضرورة والالزام .

وباستقراء ما في القرآن من خبر « ما » ، وليس
تلقانا ظاهرة مجيء هذه الباء المقول بزيادتها ، في
خبرها المفرد الصريح غير المؤول .

فخبر ليس ، تلزمه الباء في ثلاث وعشرين آية ،
ولا تتخلف إلا في ثلاث آيات نعرض لها بعد حين .

وخبر « ما » النافية تلزمه الباء أيضا ، لا تتخلف
فيها أذكر إلا في بعض آيات لها سياقتها الخاص نتدبره
بعد حين في موضعه .

وإنما يطرد استغناء الخبر عن الباء ، إذا كانت
« ما » النافية ، متلوة بالفعل كان ، فينصب الخبر به
صريحا مفردا غير مقترن بالباء ، في مثل آيات :
البقرة 16 :

« وما كانوا مهتدين »

ومعها آيتا : الانعام 144 ، يونس 45
آل عمران 67 :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا »
الأعراف 7 :

« فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين »
الأنفال 33

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »
الاسراء 15 :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »
الاسراء 20 :

« وما كان مطاء ربك محظورا »
يوسف 111 :

« ما كان حديثا يفترى »
الكهف 51 :

« وما كنت متخذ المضلين عضدا »
مريم 64 :

« وما كان ربك نسيا »
الشعراء 8 :

« وما كان أكثرهم مؤمنين »

+ 67 ، 103 ، 121 ، 139 ، 158 ، 174 ،
190 .

(1) معنى اللبيب : ج 1 من 91 ط. الجمالية بالقاهرة 1329 .

الشعراء 209 :

« ذكرى وما كنا ظالمين »

النمل 32 :

« ما كنت تاطعة أمرا حتى تشهدون »

القصاص 45 :

« وما كنت ثاويا في أهل مدين »

القصاص 59 :

« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون »

الأحزاب 40 :

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » .

الأنعام 33 :

« الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

والنفي بـ « ما » في مثل هذا الأسلوب ، لا يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على الجملة من (كان) واسمها وخبرها .

※

أما حين يكون الخبر المفرد الصريح لما ، فالباء تلزمه ، لم تخلف الا في آية المجادلة :

« ما هن أمهاتهم » وآية يوسف : « ما هذا بشرا » .

وامام هذه الظاهرة الأسلوبية من غلبة اقتران خبر « ما وليس » بالباء ، لا يهون القول بانها حرف رائد ، اذ ان مقتضى القول بزيادتها ، امكان الاستغناء منها ، وهو ما لا يؤمى اليه البيان الاعلى .

والمسرون مع النحاة في أن هذه الباء زائدة للتأكيد (1) .

وفى منهجنا ، لا تؤخذ الباء في آية من الآيات ، بمعزل من نظائرها في القرآن كله ، وقد نرى ان الباء

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 سورة التلم

كما تحتل تأكيد النفي في بعض الآيات ، تحتل نقض النفي في آيات أخرى .

فانتظر اذن في كل الآيات التي يقتزن خبر (ما وليس) فيها بالباء ، مقارنة بالآيات التي استغنى الخبر عن الباء ، لعل الاستقراء يهديننا الى خطة بيانية من أسرار العربية .

ونبدأ بخبر « ما » غير المتلوة بالفعل كان ، فنراها قد لزمته اطرادا في آيات :

البقرة 8 :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين » .

البقرة 74 :

« وما الله بفافل عما تعملون » — « يعملون » معها آيات : البقرة 85 ، 140 ، 144 ، 149 ، وآل عمران 99 .

الأنعام 132 :

« وما ربك بفافل عما يعملون » — تعملون — معها آيات : هود 123 ، النمل 93 .

الأنعام 107 :

« وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل » معها : الشورى 6 .

البقرة 96 :

« يود أحدهم لو يمرر ألف سنة وما هو بمزحزحه من المذاب ان يمرر »

البقرة 102 :

« وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » . ق 29 :

« ما يبدل القول لدي وما انا بفلام للمبيد » معها : فصلت 46 .

البقرة 167 :

« كذلك يريهم الله أهالهم حسرات عليهم وما هم بضارجين من النار »

القلم 2 :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون »

فهل تكون الباء زائدة مع أطراد مجيئها في هذه الآيات ، لم تتخلف ليما أذكر إلا في آيتي المجادلة : « ما هن أمهاتهم » ويوسف : ما هذا بشرا ؟ أو هل يكفي القول بأن الباء زبدت لمجرد تأكيد النفي ؟

العربية تعرف أساليب عدة للتأكيد اللفظي والمعنوي ، كالتقسيم والتكرار ، وأدوات التأكيد المعروفة

ولابد أن يكون لكل أسلوب منها ملحظ بياني يميزه عن سواه .

وقد نحس في كل الآيات التي اقترن فيها خبر « ما » بالباء ، أن سياقتها لجحد المنفى وانكاره . ولعله قد أغنى عن الباء في آيتي (المجادلة ويوسف) التقرير المستفاد من أسلوب القصر بعدها :

« الذين يظاهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم » « وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم »

*

وننظر في خبر « ليس » فملفتنا البيان القرآني الى خطأ ادراجها جميعا تحت حكم واحد ، يقول بزيادة الباء للتأكيد .

وأول ما يهدي اليه الاستقراء ، هو أن نفرق بين الجمل الخبرية منها ، والجمل الاستفهامية :

فحيث يجهى النفي بـ « ليس » في الجمل الخبرية ، في سياق جحد المنفى وانكاره ، اقتصرن الخبر بالباء : كما في آيات :

البقرة 267 :

« ولستم بأخديه الا ان تفيضوا فيه »

آل عمران 182 :

« ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد » ومعها آيات : الأنفال 51 ، الحج 10 ، فصلت 46

هود 29 :

« وما أنا بطارد الذين آمنوا ، انهم ملائكة ربهم » ، معها : آية الشعراء 114 .

هود 83 :

« وما هي من الظالمين ببعيد »

يوسف 17 :

« وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »

النحل 46 :

« او ياخذهم في تقلبهم لما هم بمعجزين » .

غافر 56 :

« ان في صدورهم الا كبر ما هم بباليغيه » .

ابراهيم 22 :

« ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي » .

يوسف 44 :

« قالوا اضيفات أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » .

الشعراء 138 :

« وما نحن بمعذبين »

النحل 81 :

« وما انت بهاد العمي من ضلالتهم » معها : آية الروم 53 .

ماطر 22 :

« وما انت بمسمع من في القبور »

الصافات 163 :

« ما انتم عليه بفاتنين » .

التكوير 22 ، 24 :

« وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الخيب بضنين »

الطارق 14 :

« انه لقول فصل . وما هو بالهزل » .

الانعام 66 :

« قل لست عليكم بوكيل »

الانعام 89 :

« ان يكثر بها هؤلاء لقد وكلنا بها قوما
ليسوا بها بكافرين »

الانعام 132 :

« كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »

المائدة 116 :

« قال سبحانه ما يكون لي ان اتول ما ليس
لي بحق »

الحجر 20 :

« وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له
برازقين »

الاحقاب 32 :

« ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في
الارض »

المجادلة 10 :

« وليس بضارهم شيئا الا باذن الله »

الفاشية 22 :

« لذكر انما انت مذكر، لست عليهم بمسيطر »

ويستغني البيان القرآني في الجمل الخبرية ،
من هذه الباء في خبر ليس ، حين يكون السياق لغير
جهد النفي وتقرير انكاره . فآية (الرمد) : النفي فيها
من المشركين وما كانوا على يقين مما ينفونه ، وانه
للحق لا ريب فيه :

« ويقول الذين كفروا لست مرسلا ، قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم » 43 وآية (النساء) :
سياقها الامر بوجوب التبين والتأكد ، قبل التمجيل
بالنفي : « يا ايها الذين آمنوا اذا خربتم في سبيل الله
فتبينوا ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمنا
تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ،
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان
بما تعملون خبيرا » 94 .

وآية (هود) تد الفنى من تقرير النفي بالباء ،
التمقيب على الجملة الخبرية بما ينقلها من غيب لم
يقع ، الى ما مضى قد تقرر وكان :

« ولئن اخبرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولوا
ما يحسبه ، الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم
ما كانوا به يستهزئون » 8 .

وهذه الآيات الثلاث محسب هي التي لم يقرن
خبر « ليس » فيها بالباء ، في الكتاب العربي المبين .

وسياقها على ما رأينا ، غير السياق في سائر
الآيات التي اقترن فيها خبر « ليس » بالباء ، فأمادت
من الانكار البات ما لا يدع مجالا لاي شك في نفي الخبر
المقترن بها .

ولا غنى من الباء في مثل هذا السياق ، فالخبر
بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتل الصدق والكذب
والباء هي التي تنقله من أصل وضعه الاول ، الى دلالة
النفي البات والانكار الحاسم .

✱

فماذا من خبر « ليس » في الجمل الاستهلامية ؟
أما هذه فيطرد مجيء الخبر فيها مقترنا بالباء ، ولا
يتخلف في القرآن كله .

وما من آية منها ، يمكن أن تحتل نفيا أو تأكيداً
لنفي ، بل ينتقض النفي بالباء فيها جميعا ويصير الى
اثبات جازم وتقرير ملزم ، بحيث تستغني عن جواب
المستفهم منه ، أو يجاب بلفظ « بلى » المختص بإيجاب
ما يستفهم منه نفيا .

وهذا استقراء لكل ما في القرآن من استفهام من
جمل منفية بـ « ليس » والخبر فيها صريح مفرد .

الانعام 30 :

« ولو ترى اذ ، وقفوا على ربهم ، قال ليس
هذا بالحق قالوا بلى وربنا »

الانعام 53 :

« ليس الله باعلم بالشاكرين »

الاعراف : 172 :

« واشهدهم على انفسهم الست بربكم ، قالوا
بلى شهدنا »

هـود 81 :

« ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب »
العنكبوت 10 :

« اليس الله باعلم بما فى صدور العالمين »

يس 81 :

« اوليس الذي خلق السموات والارض بتادر
على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق المليم »

الزمر 26 :

« اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذي من
دونه ومن يضل الله فما له من هاد » .

الزمر 32 :

« اليس الله بعزيز ذي انتقام »

الاحقاب 34 :

« ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس
هذا بالحق قالوا بلى وربنا »

القيامة 40 :

« اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى »

التين 8 :

« لما يكذبك بعد بالدين ، اليس الله باحكم
الحاكمين » .

النفي فى هذه الايات جميعا قد انتقض وخرج الى
تقرير بات واثبات جازم .

هل جاء معنى التقرير والاثبات فى مثل هذه
الايات من خروج الاستفهام عن معناه الاصلي على ما
ترره علماء البلاغة ، فلا شأن للباء به ؟

معروف ان الاستفهام قد يخرج الى هذا الوجه من
التقرير ، كما قد يخرج الى وجوه اخرى كالاسترحام او
الزجر والوعيد او التوقع والانتظار .

وهذه الايات خاصة بالاستفهام من منفي بليس ،
وقد انتقض النفي فيها جميعا وخرج الى تقرير واثبات ،
لا الى اي وجه آخر من الوجوه التي يعرفها البلاغيون فى
خروج الاستفهام عن اصل معناه .

ومن حيث اطراد اقتران الخبر فيها جميعا بالباء ،
تعين ان يكون لهذه الباء اثرها فى تحديد الدلالة البيانية
وتميينها على الوجه الذي لا يحتمل وجها آخر .

ولو قلنا مثلا :

« الست غافلا عما حولك » او « اليس المصبح
ترييا » .

لا يحتمل الاستفهام ان يكون على معناه الاصلي ،
وان يخرج الى التوبيخ او التنبية او السفرة والتهكم او
التوقع والترقب .

ولا شيء من هذه المعاني والدلالات مما تحتله
آيات الاستفهام من منفي بليس ، وانما هي للتقرير
والحسم والاثبات ، لا لمعنى آخر .

وهذا هو سر الباء التي قالوا انها زائدة للتأكيد ،
ثم جروا على ابطال عملها اصالة فى الخبر ، واعربوه
منصوبا بفتحة مقدرة ، منع ظهورها اشتغال المحل
بحركة حرف الجر الزائد .

كانما هو حرف مقحم يمكن الاستغناء عنه ، لكيلا
يشغل المحل بحركته فيمنع من ظهور الحركة الاصلية

*

وخلاصة ما هدى اليه الاستقراء لاياتها فى البيان
القرآني :

— ان الجمل الخبرية المنفية بما ، اذا تلاها الفعل
« كان » بقي خبره منصوبا غير مقترن بالباء .
ووجه الاستغناء عن الباء ان النفي بحرف « ما »
لا يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على
مضمون الجملة من : كان واسمها وخبرها .

— حيثما جاء الخبر منفي بما او ليس فى الجمل
الخبرية واقرن الخبر بالباء ، افادت الانكار بما
لا يدع مجالا للشك فى نفي الخبر المقترن بها .

وتلزم الباء خبر (ما) و (ليس) فى الجمل
الخبرية بالبيان القرآني فى هذا السياق ، ولا
تتخلف الا حيث يكون المقام مستغنيا عن تقرير
النفي او محتملا لشك فى نفي الخبر .

— فى الجمل الاستفهامية يطرد اقتران خبر ليس
بالباء . وبها ينتقض النفي ويخرج الاستفهام الى
اثبات جازم وتقرير بات ، لا الى اي وجه آخر
من الوجوه التي يعرفها علم البلاغة فى خروج
الاستفهام من معناه الاول فى اصل اللغة .

ولا يمكن الا يكون للباء اثرها فى تحديد هذه
الدلالة البيانية وقد اطراد اقترانها بخبر (ليس) فى
اسلوب الاستفهام بالبيان القرآني .

قيل فيها جميعا بحذف « لا » النافية مقدرة ،
وهي مرادة

وتأويل الحذف فيها يخضع للقاعدة النحوية في
حذف « لا » النافية .

والنحويون يقولون بحذفها اطرادا في جواب
القسم اذا كان المنفى مضارعا ، وقدموا له شواهد
قليلة من الشعر .

اما القرآن الكريم فقدموا منه الآية :

« تالله ثلثا تذكر يوسف »

والذي نلهمه هو انه متى اطراد الحذف
تقولهم (2) فالسياق حتما مستغن عنه ، ولا وجه اذن
لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه .

لان السياق متى اعطى المعنى المراد مستغنيا
عن هذا الحرف أو غيره ، كان ذكره من الفضول أو
الحشو الذي ينأى عنه الكلام البليغ فضلا عن البيان المعجز .

أما ما جوزوا فيه الحذف بغير اطراد ، فذكر
« ابن هشام » في (معنى اللبيب) انه قيل به في آية :

« يبين الله لكم ان تضلوا » .

على تقدير « لئلا تضلوا » ، ثم اضاف :

« وقيل المحذوف مضاف ، أي كراهة ان تضلوا »

والآية من آيات الأحكام في التشريع القرآني
للمواريث ، وسياقها مستغن تماما عن تقدير حرف
محذوف لم يجد النص القرآني حاجة الى ذكره ، اذ لا
يخطر على بال من له أدنى البام بالعربية ، ايهام ان
يكون المعنى : يبين الله لكم لتضلوا !!

وانما يبين الله لنا ما نفتي به الضلال .

ومتى اعطى السياق المعنى المراد مستغنيا
الحرف الذي تدروه محذوفا ، فذكر المحذوف الذي لا
حاجة اليه يثزه عنه البيان العالي ، اذ لو كان الحذف

واذ كشف حرف الباء من سره في البيان الاعلى ،
يبدو القول بزيادته مما يجفوه حيي العربية المرهف ،
ولا يلطف من هذه الجلوة ان لم يعنوا بها الحشـو
والفضول بل ادرجوها تحت الحكم العام لمعنى
التاكيد بالباء الزائدة .

ولا ادري ما اذا كان يجدي ان أقول في هذه الباء
غير ما قررره النحاة ، لتبقى حرما اصليا غير زائد على
اصل معناها في الإصاق (1) .

وتعمل عملها المباشر في الخبر ملصقة به غير
مقول بزيادتها ، ومنهما معا يستفاد خبر المنفى بما
وليس !

غير اني لا اشك في اننا لو عرضنا كل الحروف
المقول بزيادتها على البيان القرآني المعجز لهـدى
الاستقراء والتدبر الى ملاحظة بيانية ذات بال .

وسياتي في القسم الثالث من هذا البحث مثل
آخر من قولهم بزيادة حرف (لا) النافية قبل القسم في
مثل قوله تعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة » ، ولا أقسم بالنفس
اللوامة » .

وننظر في حروف أخرى لم يتأولوها على تقرير
زيادتها بل قدروها محذوفة ، ومضوا في تفسير
الآيات على تقدير الحرف محذوفا وهو مراد .

ولناخذ مثلا ، حذف حرف (لا) مقدرا في آيات :

يوسف 85 :

« قالوا تالله ثلثا تذكر يوسف »

النساء 176 :

« يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء

عليم »

البقرة 184 :

« وعلى الذين يطبقونه عدية طعام مساكين »

(1) اقتصر « سيبويه » في (الكتاب) على الإصاق في معنى حرف الباء . واحصى « ابن هشام » أربعة
عشر معنى لها ، الإصاق أولها . وذكر فيه :

« وقيل هو لا يشاركها »

انظر حرف الباء في الجزء الاول من (معنى اللبيب) .

(2) معنى اللبيب : 2 - 155 ط مصر .

مما يوقع في شبهة ابهام ، لاقتضى المقام في آية
تشريع ، وجوب ذكره دفعا لأي وهم أو لبس .

*

وتبقى آية البقرة في تشريع أحكام الصوم :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن
كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » 184 .

والكلام فيها يطول :

الحذف فيها ليس مما يطرد على تواعد النحاة ،
وانما هو مما يجوز ولا يطرد .

وقد اختلف المفسرون في تاويلها :

— منهم من قال بأن الحكم فيها منسوخ بالآية
بعدها ، والرخصة فيها للمريض والمسافر . وهذا القول
بالنسخ ، هو ما اختاره الامام « الطبري » في تفسيره
ونقله « الزمخشري » في (الكشاف) « وأبو حيان »
في (البحر المحيط) مع التصريح بأن « هذا قول أكثر
المفسرين » (1) .

على أن « الامام الطبري » نقل كذلك قول من
قالوا « لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبت
من لدن نزلت هذه الآية الى قيام الساعة » (2) .

واحترز « ابن كثير » مقال بعد تلخيص اقوال
المفسرين قبله :

« فحاصل الامر أن النسخ ثابت في حقيق
الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه ، وأما الشيخ
الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا
تضاه عليه ، لأنه ليست له حال يصير اليها يتمكن
فيها من القضاء » (3) .

وتردد « الزمخشري » بين القول بالنسخ وبين
أن يكون تاويل الآية على تقدير : وعلى من « يتكلمونه
على جهد منهم وهم ، وهم الشيوخ والمجائز . وحكم

هؤلاء الاطوار والفدية ، وهو على هذا الوجه غير
منسوخ » (4) .

على أن القائلين بعدم النسخ قد ذهبوا في
تاويل الآية مذاهب شتى :

— فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف « لا »
النافية وهي مرادة . ونقلوا عن ابن عباس قوله :
« لا رخصة الا للذي لا يطيق الصوم » .

ومن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد
ولا بشيء من الجهد . وأما من استطاع بجهد فليصمه
ولا عذر له في تركه » .

وقال « أبو حيان » في البحر .

« وجوز بمضمم أن تكون « لا » محذوفة ، فيكون
الفعل منفيا وتقديره : « وعلى الذين لا يطيقونه » حذف
« لا » وهي مرادة » .

ثم عقب :

« وتقدير « لا » خطأ ، لأنه مكان الباس ، الا
تري ان الذي يتبادر اليه الفهم هو أن الفعل مثبت .
— وآخرون من المفسرين لم يصرحوا بتقدير « لا »
محذوفة ، وإن كانوا يؤولون الآية بما يعطل الحكم مع
الاثبات في « يطيقونه » .

أما بتقدير : وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
شبابهم وصحتهم ثم مجزوا عنه بالشيوخ والمرض .
نقله الطبري وأبو حيان . واخذ به البغوي فقال :

« وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب
نمجزوا ، والرخصة ثبتت للذين لا يطيقونه » (5) .

وأما بتاويله على تقدير : من يدركه رمضان وعليه
صوم قضاء من رمضان المتقدم ، فقد كان يطبق في تلك
المدة فتركه ، فعليه الفدية .

ولا أعلم خلافا بين الفقهاء في جواز الفطر والفدية
للشيخ الهرم والمريض لا يرجى برؤه فيقتضى ، لكنهم
اختلفوا في الموضع والحامل قياسا على الشيخ الهرم :

(1) أبو حيان : البحر المحيط ، 36/2

(2) تفسير الطبري : 82/2

(3) تفسير ابن كثير : 405 ط المنار .

(4) الكشاف : ج 1 سورة البقرة

(5) تفسير البغوي على هامش ابن كثير : 404 ط المنار .

والامام الشافعي قال بالفدية تياسا على الشيخ الهرم
واوجب عليهما القضاء مع الفدية .

اما الامام ابو حنيفة فواجب على الحامل والمرضع
اذا خافتا على الولد القضاء لا الفدية . وابطل القياس
على الشيخ الهرم لانه لا يجب عليه القضاء ويجب
عليهما . قال : فلو اوجبنا الفدية مع القضاء ، كان
جمعا بين البديلين وهذا غير جائز .

وآن لنا بعد هذا كله ان نقدير الآية وفرد الى
القرآن ما تنازعوا فيه . القول بنسخ الحكم فيها
بالآية بعدها ، ان لم يوهنه قول من قرروا انه حكم
مثبت من لدن نزلت الآية الى تيام الساعة .

نقد بقي ان الايتين تشرعان لحالتين مختلفتين .
الفدية على من يطيقونه .

والقضاء على من كان مريضا او على سكر . ولا
يكلف بالقضاء الا من اضطر لعذر عارض لمصوم بعد
زوال العذر ، عدة من ايام اخر . وفي مثل هذا لا تقبل
الفدية بدلا من القضاء .

وانما الفدية بنص الآية « على الذين يطيقونه » .
فهل هم الذين لا يطيقونه .

نستبعد ان تكون « لا » محذوفة هنا وهي
مرادة ، فالآية من آيات التشريع والاحكام ، والفعل
فيها مثبت ، وتاويلها على تقدير « لا » محذوفة ينقض
الاثبات بالنفي .

ولو كانت الفدية على من لا يطيقونه ، لآخذ حرف
النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ولم يدع لنا مجالا
لان نحذف على تاويله بين التقيضين من اثبات ونفي .

واذ قال تعالى : « وعلى الذين يطيقونه » فما
ينبغي ان نتاويلها بالنفي فنخرجها الى تقيض حكمها
الصريح المثبت نصا .

واحسب ان الذين تناولوا الآية على تقدير حذف
« لا » صراحة او مالا ، فهموا « يطيقونه » بمعنى
يستطيعونه . وليست الكلمتان سواء .

في لفظ الاستطاعة حس الطوعية والمواتاة
والقدرة .

اما الطاقة فهي في العربية لغة القرآن ، اقصى
الجهد ونهاية الاحتمال .

وحين يقول العربي لصاحبه :

« هل تطيق هذا »

لا يقولها الا وهو يقدر ان هذا مما لا يحتمل ولا
يطاق .

واستعمال القرآن للطاقة اسما وعملا ، يؤذن
بانها مما يستند الجهد وطاقة الاحتمال ، كما تشهد
بذلك آياتها الثلاث وكلها من سورة البقرة .

« قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » 149

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » 286 وبهما
نستأنس في فهم الآية الثالثة :

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين »
فندرك ان الامر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاقة
وخرج الى ما لا يطاق ، سقط التكليف ، لانه لا تكليف
شرعا بما لا يطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفسا الا
وسمها .

فالفدية تيسير على الذين يطيقونه ، بمعنى
يستنفذ الصوم طاقتهم واقصى احتمالهم فليسوا بحيث
يستطيعون القضاء عدة من ايام اخر .

ويصدق الحكم على المريض لا يرجى شفاؤه ،
وعلى من يتكلفونه على جهد منهم ومسر وهم الشيوخ
والمجانز ، وحكم هؤلاء الانطار الفدية . وهو على
هذا الوجه غير منسوخ .

تيسيرا على من لا يستطيعون القضاء عدة من
ايام اخر .

وتبقى الآية على صريح نصها .

« وما الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »

ممن لا يستطيعون القضاء .

دون تاويلها على حذف « لا » الزائدة وهي
مرادة .

وهذا مثل مما قالوا فيه بحذف الحرف . يمكن
ان يصدق على حروف اخر تناولوها على الحذف .
ويقوم النص في البيان القرآني مستغنيا عن تقدير
حرف محذوف ، ولاننا الى سر البيان في الاستغناء عن
كل حرف تدروه محذوف .

*

وننظر في حروف اخرى لم يقولوا فيها بتاويل
على تقدير زيادة او حذف ، وانما اخذوا فيها بمذهب

القرآني ، ومناطق التعبير فيه ، هذا الانغماس والملابسة
الملحوظة في ظرفية « في » .

وحرف « عن » في آية الماعون :

« نويل للمصلين . الذين هم من صلاتهم
ساهون » .

نستبعد قول من تناولوا السهو عن الصلاة في
الآية ، بأنه سهو في الصلاة ، فليس السهو فيها
بخطيئة ولا منكر ينذر معه الساهي بويل . وكل مؤمن
عرضة لأن يسهو في صلاته ، فينجبر هذا السهو فيها
بسجود السهو أو بالسفن والنوافل على ما هو مقرر
في باب الصلاة من أحكام الفقه .

وانما الويل للساهين عن صلاتهم الغافلين عن
كونها قياما بين يدي الخالق ، يكبح غرور الانسان
وينهاه عن الفحشاء والمنكر ، ويرهب ضميره فيبتقي الله
في اليتيم وفي المسكين مؤديا حقها في التواصل
بالرحمة .

وصلاة الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام
المسكين ، لا يمكن أن تصدر من قلب خاشع وضمير
مؤمن . وحين لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ،
فذلك هو السهو عنها ، تعود به طقوسا شكلية
ونفاقا يرائي به الناس .

*

ومن الحروف التي تناولوها في القرآن الكريم
حرف الواو في آية النساء :

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
 ورباع » قالوا ان الواو فيها نائية عن « أو » وقد يكنى
ان أنقل هنا رد « ابن هشام » :

« ولا يعرف ذلك في اللغة وانما يقوله بعض
ضعفاء اللغويين والمفسرين » .

ثم نقل من كلام : أبي طاهر حمزة بن الحسين
الاصمغاني ، في كتابه المسمى « بالرسالة العربية من
شرف الأعراب » :

« القول فيها — أي آية النساء — بأن الواو
بمعنى (أو) ، عجز عن درك الحق . فاعلموا ان

للنحاة يقول ان حروف الجر يمكن ان تتعاقب فيأخذ
احدها مكان الآخر وينوب بعضها عن بعض . وهذا
ما يتداولونه ويستدلون به كما اشار الى ذلك « ابن
هشام » في (المغنى) (1) .

وهو مذهب رفضه من وصفهم « أبو هلال
المسكري » بالمحققين من أهل اللغة ، ونقل عن « ابن
درستويه » قوله :

« في جواز تعاقبها — أي الحرفين — ابطال
حقيقة اللغة ، وانساد الحكمة فيها ، والقول بخلاف
ما يوجب العقل والقياس .

« قال أبو هلال : وذلك ان الحروف اذا تعاقبت
خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر
فاوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد.
فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق
المعاني » (2) .

وقال « ابن هشام » تعقيا على قولهم ان بعض
حروف الجر ينوب عن بعض :

« وتصحيحه بادخال (قد) على قولهم : ينوب
عن بعض ، والا تعذر استدلالهم به ، اذ كل موضع
ادعوا فيه ذلك ، لا نسلم ان هذا مما وقعت فيه
النيابة ، ولو صح قولهم لجاز ان يقال : مررت في زيد
ودخلت من ممر وكتبت الى القلم . على ان البصريين
ومن تبعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة ،
ان الحرف باق على معناه « فان كان تجوز فهو في
الفعل ، لان التجوز في الفعل اسهل منه في الحرف (3)

ونعرض هذا الخلاف على البيان الاعلى فيأبى
ان نتاول حرما فيه بحرف آخر .

من ذلك مثلا :

قوله تعالى : « هم في ريبهم يترددون » التوبة .

قيل ان حرف « في » يمكن ان يتاول بحرف « من »
أو « اللام » على تقدير :

« هم من ريبهم » ، أو ، لريبهم ، يترددون »
ولا يمكن ان يقوم أحد الحرفين مقام الحرف في النص

(1) مغنى اللبيب 163/2 مصر .

(2) أبو هلال المسكري : اللروق اللغوية ، 13 ط الحلبي

(3) ابن هشام : مغنى اللبيب 163/2 .

اتفاقهم جميعا على ان ينكحوا اما مثنى واما ثلاث واما رباع .

واظن ان هذه المثل التي تقدمتها تكفي لاجتلاء سر الحرف لا يقوم مقامه غيره . ويغنى عن مزيد تتبع هنا ، ما قد يتاح لنا من تدبر الحرف في سياقه القرآني عند الحديث عن (الظواهر الاسلوبية وسر التعبير) .

« دلالات الألفاظ وسر الكلمة »

من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم فيها . والبيان القرآني يجب ان يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه ، حين يهدي الى سر الكلمة لا تقصوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقبول بترادفها .

والامر كذلك في ألفاظ القرآن ، ما من لفظ منها يمكن ان يقوم غيره مقامه ، وذلك ما أدركه العرب النحاة الذين نزل عليهم القرآن عصر المبعث وأعيامهم ان يأتوا بسورة من مثله .

وأحتاج هنا الى وقفة قد تطول عند مشكلة الترادف التي طال الجدل فيها والخلاف عليها .

ولا يشغلنا تعدد الألفاظ للمعنى الواحد ، اذا كان عن اختلاف لغات القبائل ، وذلك ما لا خلاف فيه فيما أعلم (2) .

وانما يشغلنا الترادف حين يقال فيه بتمسدد الألفاظ للمعنى الواحد دون ان يرجع الى تمسدد اللغات :

منا من يعد هذا الترادف ظاهرة فقدان الحس اللغوي وعدم قدرته على ضبط الدلالات وتحديد معاني الألفاظ ، أو يراه من الفضول والتزيد الذي لا فائدة فيه (3) .

ومنا من يرى هذا الترادف ظاهرة لغوية واسعة وقدرتها على التصرف . وما أكثر من يباهون بهذا التراث اللغوي ويمدونه ميزة من مزايا العربية الشريفة . وان يكن تقدم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة

الأعداد التي تجمع قسمان : قسم يؤتى به ليضم بعضه الى بعض وهو الأعداد الأصول نحو « ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم » تلك عشرة كاملة » ، « ثلاثين ليلة وأتبعناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » .

« ولم يقولوا ثلاث وخماس ، ويريدون ثمانية ، كما قال تعالى : « ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم » وللجهل بموقع هذه الألفاظ استعملها المتنبى في غير موضع التقسيم فقال :

«أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالنفادي»

ونستأنس في مهم مثنى وثلاث ورباع بآية ناطق:

« الحمد لله ناطر السموات والأرض جامع الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » 34 وآية سبا : « قل انما اعطاكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى » 46 .

فندرك الملحظ البياني للواو في مثل هذا السياق،

بما تفيد من كون الملائكة ليسوا جميعا سواء ، بل منهم اولو جناحين ومنهم اولو ثلاثة واولو أربعة . وفي آية سبا ، تخيير يكون لهم فيه ان يقوموا فرادى وان يقوموا مثنى . ولو قيل « مثنى أو فرادى » للزم ان يقوموا جميعا اما مثنى واما فرادى ، ولم يكن لهم ان يقوموا في بعض الحالات مثنى ، وفي بعض الحالات فرادى .

وبهذا الاستئناس لا نرى السياق يستقيم ، بل لا نراه يصح إطلاقا ، اذا ما وضعت (أو) مكان (الواو) في آية النساء . لأن مقتضى التعبير بحرف (أو) انه لا يسوغ لهم الا ان ينكحوا جميعا مثنى أو ثلاث أو رباع ، بحيث لا يختلف رجل من رجل ، وليس هذا هو الحكم المستفاد من الآية في اباحة تعدد الأزواج ما بين مثنى وثلاث ورباع ثم لا يتجاوز وزنها السى المحظور وراء رباع (1) ويخطئ سر العربية من يفرق بين مثنى وثلاث ورباع ، وبين اثنتين وثلاث وأربع المعادلة لتسع !

كما يخطئه من لا يميز بين « مثنى وثلاث ورباع » وبين : مثنى أو ثلاث أو رباع ، بما تفيد « أو » من

(1) انظر تفسير الطبري والزمخشري : سورة النساء .

(2) السيوطي : الزهر ص 405 ط الحلبي

(3) ابن فارس : الصحابي في لغة 11 .

المفاضلة الساذجة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ووجهنا الى البحث في خصائص العربية منتفعين بما قدمت البحوث العلمية الحديثة في اللغويات والصوتيات ، فلم تعد كثرة الألفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة ، وإنما أصبحت قضية تلتهمس حلا .

وحين ننظر نيبا وصل البنا من كتب اللغة ومماجمها ، نراها تسلك مسلكين مختلفين متباعدين: منها ما يترر وجود الترادف فيخشده للمعنى الواحد الفاظ ذات عدد ، وهذا هو مسلك « أبي مسحل الأعرابي » (في القرن الثاني هـ) في كتابه (النوادر) « وابن السكيت » (ق 3 هـ) في (الألفاظ) . وللفيروزبادي صاحب (القاموس) كتاب في المترادفات اسمه (الروض المسلول فيها له اسمان الى الوف) .

وكتاب آخر في أسماء العسل جمع نيبا ثمانين اسما .

ونقل « ابن فارس » قول من سمع « ابن خالويه » يقول :

« جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين »

كما نقل خبر « الأصمعي » حين سأل « الرشيد » في شعر غريب ففسره ، فقال الرشيد : يا أصمعي ، ان الغريب عندك لغير غريب .

فقال : يا أمير المؤمنين : الا اكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ (1) .

ومن قالوا بالترادف : الفراء ، وتطرب ، والفخر الرازي ، والتاج السبكي . ويوشك ان يكون هذا هو مذهب « جلال الدين السيوطي » .

وانكره علماء آخرون انكارا باتا ، الا ما كان منه في لغات عدة . منهم « أبو علي الفارسي » الذي سمع « ابن خالويه » يقول في مجلس سيف الدولة بطلب : احفظ للسيف خمسين اسما .

فتبسم أبو علي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا هو السيف .

ولما سأل ابن خالويه : ماين المهند ، والصارم ، والتضيب ، والحمام ، و .. و .. ؟

اجاب : هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الاسماء والصفات (2) .

وصنف أبو هلال العسكري « كتابه (الفروق اللغوية) لبيان ان اختلاف الألفاظ في لغة واحدة ، يوجب اختلاف المعاني . لماذا جرى اسبان على معنى من المعاني أو عين من الايمان في لغة واحدة » فان كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، والا لكان الثاني فضلا لا يحتاج اليه .

قال : « والى هذا ذهب المحققون من العلماء ، واليه اشار « المبرد » في تفسير قوله تعالى من آية 48 ، سورة المائدة :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فمطف شرعة على منهاج ، لان الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسمه ... ويمطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد ، اذا كان في أحدهما خلاف للآخر ، فاما اذا اريد بالثاني ما اريد بالاول فهو خطأ .

قال أبو هلال : « والذي قاله « المبرد » هاهنا في المطف ، يدل على ان جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا ... معطوف أحدهما على الآخر ، فانما جاز هذا لنبها لما بينهما من الفرق في المعنى . ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبي عبد الله ، اذا كان هو هو (3) .

والى هذا ذهب « ثعلب » ونقل قول « ابن الأعرابي » : « وكل حرفين أوتعتهما العرب على معنى واحد ، في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فآخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله .

ومصرح « ابن فارس » في كتابه الصحابي : « ومذهبنا ان كل صفة منها — أي الصفات الواقعة على الشيء الواحد — معناها غير معنى الأخرى . وقد خالف قوم في ذلك فزعموا انها وان اختلفت الفاظها فانها ترجع الى معنى واحد »

(1) السيوطي : المزهري في علوم اللغة 405 حلبى بالقاهرة

(2) ابن فارس : الصحابي في لغة اللغة 15 السلفية بالقاهرة

(3) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ص 12

ونبه « الجاحظ » في أكثر من موضع في كتبه ورسائله الى بطلان الترادف ، إلا أن يكون اختلاف لفات (1) .

*

وظلت القضية فيها أعمم معلقة لم يستقر فيها أصحاب العربية على رأي حاسم ، وإن كان مذهب القول بالترادف هو الذي غلب وراج في العصور المتأخرة . ويقول به اليوم عدد من أصحاب التخصص في لغة النحاة وعلم الاجتماع (2) .

والى ما مضى قريب ، كانت قضية الترادف من بين ما شغل به المجمع اللغوي في القاهرة . وقد اقترح أحد السادة المجمعين أن نتخلف من عبء المترادفات فنصنف معجما للفاظ العربية يستبعد ما زاد في المعنى الواحد عن لفظ واحد يختاره المجمعيون من معاجم العربية (3)

*

والقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر ، ومن الحق ألا نأخذ في هذه القضية برأي دون عرضها على الكتاب العربي المبين .

ولقد شهد المتبع الاستقرائي لما درست من الفاظ القرآن الكريم ، أنه ينفي الترادف ، إذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن أن يؤديها لفظ سواء ، في المعنى الذي تقدم له المعاجم وكتب التفسير عددا من الالفاظ قل أو أكثر .

وهذه بعض أمثلة تجلو موقف البيان الأعلى من قضية الترادف التي اختلفوا فيها :

الحلم والرؤيا :

تفسر المعاجم أحد اللفظين بالآخر .

ونستقرىء مواضع ورودهما في القرآن ، ونتدبر سياقاتها فلا يترادفان :

استعمل القرآن الاحلام ثلاث مرات : يعطى سياقاتها جميعا أنها الاضغاث المشوشة والهواجس المختلطة . وثاني في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع ، دلالة على الخلط والتشوش ، لا تتميز فيه .

يقول تعالى على لسان المشركين :

« بل قالوا اضغاث احلام بل افتراء بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » الانبياء : 5 .

وعلى لسان الملا من قوم العزيز :

« قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » يوسف 44 .

أما الرؤيا فجاءت في القرآن سبع مرات ، كلها في الرؤيا الصادقة . وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد ، دلالة على التميز والوضوح ، وجلاء المرئي وصفاء الرؤيا .

ومن بين المرات السبع ، جاءت الرؤيا خمس مرات للأنبياء ، فهي من الالهام القريب من الوحي :

رؤيا ابراهيم عليه السلام في آية الصافات :

« وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين » 109 .

ورؤيا يوسف إذ يقول له أبوه :

« يا بني لا تصعب رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين » 50 .

نتابع سياقاتها في السورة فنراها قد صدقت وتحققت :

« ورفع أبويه على المرعى وخرروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا » 60 .

ورؤيا المصطفى عليه الصلاة والسلام في الاسراء :

« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا منبئة للناس » 60 . ورؤياه في الفتح :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم

(1) انظر مثلا : الحيوان : 56/4 ، 200/7 .

(2) منهم الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه (دلالات الالفاظ) والدكتور علي عبد الواحد في مقال نشره من مزايا لغتنا العربية ومفائلها وشرعها ، سنة 1963 .

(3) المجلد الثامن ، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ومتصرين لا تخافون ، لمعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » 27 .

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا للأنبياء . والمرتان الآخرين في رؤيا العزيز ، وقد صدقت . وفي آيتها عبر عنها القرآن على لسان الملك بالرؤيا لوضوحها في منابه وجلالها وصدق الهامها ، وان بدت للملا من قومه هواجس او هام واضغات احلام .

« وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افئتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا اضغات احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » سورة يوسف 43 - 44 .

وتمضي القصة في سياقتها القرآني ، فاذا هي رؤيا صادقة وليست كما بدت للملا من قوم الملك اضغات احلام .

✱

آنس وأبصر :

في المعاجم : آنس الشيء ابصره ، والصوت سمعه ، واستأنس استأذن .

فهل نقول في « آنس نارا » ابصرها ، او نظرها ، او اشبه ذلك من الالفاظ التي يحتمل ان تتعاقب على هذا المعنى ؟

نستقري استعمال القرآني ليعطينا حسس العربية المرهف لا تقول : آنست في الشيء تبصره او تسبعه دون ان يؤنس .

فاذا قال العربي : آنست ، فقد رأى او سمع ما يؤنسه . والقرآن قد استعمل الفعل «آنس» خمس مرات ، منها أربع في النار التي رآها موسى عليه السلام حين سار بأهله في البرية لمانس اليها . وهذه آياتها :

طسه 10 :

« اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لملي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » .

النمل 7 :

« اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب تبس لعلكم تصطلون » .

القصص 29 :

« فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لملي آتيكم منها بخبر أو جدوة من النار لعلكم تصطلون » .

والبرة الخامسة في آية النساء :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فمان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » .

ليس الايناس هنا مجرد ابصار لظواهر الرشد المادية الحسية ، ولكنه الطمانينة المؤنسة ، بعد الابتلاء والامتحان ، الى أنهم قد رشدوا حقا .

وجامت من المادة في القرآن صيغة الفعل المضارع من الاستئناس في آية النور :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » 27 .

والاستئناس فيها ليس مجرد استئذان ، وانما هو حس الايناس لأهل البيت ممن يدخل عليهم . ولا يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا : استأنس الشرطي . أو جابي الضرائب أو الدائن ، وانما هو الاستئذان ليس فيه حس ايناس .

كما لا يسوغ استعمال « آنس » في رؤية عدو ، أو سماع هزيم رعد أو زئير وحش .

✱

الآنس والانسان (1) :

وحس الآنس نقبض الوحشة ، هو الملحظ العام المشترك في الدلالة لكل صيغ المادة .

ومنها الآنس والانسان :

يلتقيان في الملحظ العام لدلالة مادتهما المشتركة « ان س » على نقبض التوحش .

(1) قدمت الاستقراء الكامل لآياتها في كتابي « مقال في الانسان » « دراسة قرآنية » المعارف 1969 .

لكنهما لا يترادفان ، بل ينفرد لفظ الانسان
بملحظ خاص من الدلالة يميزه عن الآخر .

لفظ الانس يأتي في القرآن دائما مع الجن على
وجه التقابل يطرد ذلك في كل الآيات التي ورد فيها
اللفظ قسيما للجن ، وعددها ثماني عشرة آية .

وملاحظ الانسية فيه ، بما تعنى من تقييد
التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلته بالجن في
دلالتها املا على الخفاء الذي هو من ظواهر
التوحش .

وبهذه الانسية يتميز جنسنا من اجناس اخرى
خفية مجهولة غير مالوفة لنا ، ولا هي تخضع لنواميس
حياتنا .

واما الانسان فليس مناط انسانيته فيها نستتريء
من آيات البيان المعجز ، انه انس محسوب ، وانما
الانسانية فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله لاحتمال
تبعات التكليف وامانة الانسان ، وما يلابس ذلك من
تمرض للابتلاء بالخير والشر (1) .

وقد ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم :
في خمسة وستين موضعا نقدبر سياقاتها جبيما
لنتهدينا الى الدلالة المميزة للانسانية .

هو في جنسه العام انس :

« خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق
الجان من مارج من نار » آية 14 سورة الرحمن .

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ
مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

آية 24 سورة الحجر .

لكنه مع انسيته يختص بالقراءة والملم (الملق)
والبيان (الرحمن) والكسب والتكليف (الانسان ،
النجم 39 ، القيامة 14 ، الاسراء 17) . والجذل
(الكهف 54) .

ويحتمل الوصية (لقمان 14 ، العنكبوت 8) .

وهوم المكابدة واقتحام العقبة (البلد 4) .

ويحمل الامانة التي ائت السموات والارض
والجبال ان يحملنها واشلقن منها (الاحزاب 72) .

وهو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الفواية
الفرقان 29 ، ق 16 ، الحشر 16 ، الانسان 2 ،
4 ، النجر 15) .

ويزدهيه الغرور فيطفي ويستكبر ، ويضله وهم
الاستغناء عن خالقه (الملق 6) وما اكثر ما يذكر
القرآن الانسان بضعفه وهو انه كبحا لجماح غروره
كيلا يتجاوز قدره فيطفي ! وهو مظنة ان يتمادي به
الطفيان والغرور الى حد الكفر بخالقه والوقوف منه
سبحانه موقف خصيم مبين (النحل 4 ، مريم 67 ،
الانطار 6 ، فصلت 49 ، الزخرف 15 ، عبس 17 ،
الماديات 6) .

*

النعمة والنعيم :

وكذلك يلتقي لفظا « النعمة والنعيم » في الدلالة
العامة لمادتهما الواحدة المشتركة ، ثم ينفرد كل منهما
في البيان القرآني بملحظ خاص يميزه عن الآخر فلا
يترادفان .

والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرق بين الصيغتين ،
والمسرون يؤولون النعيم بكل ما تحتله الدلالة
المعجية للمادة .

ونستتريء الصيغتين في القرآن كله ، فنراه
يفرق بينهما تفرقة واضحة :

كل نعمة في القرآن انما هي لنعم الدنيا على
اختلاف انواعها . يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع
استعمالها ، مفردا وجما ، في القرآن وعددها ثلاثة
وخمسون موضعا .

اما صيغة النعيم فتختص بنعيم الآخرة . يطرد
ذلك ايضا ولا يتخلف في مواضع استعمال القرآن لها
وعدها ستة عشر موضعا .

منها خمسة عشر موضعا لا يحتل صريحا
سياقاتها اي تاويل :

التوبة 29 :

« وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

(1) انظر تفصيل ذلك الاستقراء في الجزء الثاني من كتابي (التفسير البياني) .

الطور 17 :

« ان المتقين في جنات ونعيم » .

الواقعة 89 :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان
وجنة نعيم »

المعارج 38 :

« ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم »

المطففون 22 :

« ان الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون.
تعرف في وجوههم نغرة النعيم » .

الانسان 20 :

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »

« واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا »

المائدة 65 :

« ولادخلناهم جنات النعيم »

يونس 9 :

« تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » .

الحج 56 :

« الملك يومئذ لله ، فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم » معها آيتا :
الصافات 43 ، الواقعة 12 .

لقمان 8 :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات النعيم » .

القلم 34 :

« ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

الشعراء 85 :

« واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

وتبقى آية التكاثر :

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم »

ولا نستطيع امام اطراد تخصيص القرآن صيغة
النعيم للنعيم الآخرة ، ان نفسرها بما حشدت كتب
التفسير فيها من نعم الدنيا التي لا تأتي في القرآن الا
بصيغة نعمة او نعماء .

وسر البيان فيها ان الذين الهام التكاثري في
اعراض الدنيا عن التزود لآخراهم سيسألون يوم يرون
الجحيم عين اليقين ، عن النعيم الحق ما هو . ومندئذ
يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي أضاعوه والهوام
عنه التكاليف على نعم الدنيا الفانية وأعراضها الزائلة (1)

النسأى والبعد :

يأتي بهما جمهرة اللغويين والمفسرين ، تأويلا
لأحدهما بالآخر ، دون إشارة الى فرق بينهما .

وفرق بينهما من انكروا الترادف . ونستقرئ
مواضع الاستعمال القرآني للنسأى والبعد فلا يترادفان :

فليس في القرآن ناسأى ، الا بمعنى الأضرار
والصد والإشاحة ، بصريح النص والسياق في آيات .

الاسراء 83 :

« واذا انعمنا على الإنسان امراض وناسأى بجانبه »

الانعام 26 :

« حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان
هذا الا اساطير الاولين ، وهم ينهون عنه ويننأون
عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون »

أما « البعد » فيأتي في القرآن على الحقيقة او
المجاز ، في البعد المكاني او الزماني . المادي منهما
والمعنوي ، كما هو واضح في آيات : .

التوبة 42 :

« لو كان مرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبصرك
ولكن بعدت عليهم الشقة »

سبا 19 :

« فقالوا ربنا بهد بين أسفارنا »

(1) أوضحت ذلك بزيادة تفصيل في تفسير سورة التكاثر بالجزء الأول من (التفسير البياني للقرآن
الكريم) .

الزخرف 28 :

« قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين » .

الانبياء 109 :

« وان ادري الاقرب ام بعيد ما توعدون »

الفرقان 12 :

« ذا رانهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا »

النمل 22 :

« فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين »

سبأ 52 ر 53 :

وانى لهم التناوش من مكان بعيد ، وقد كفروا به من قبل ويقلدون بالغيب من مكان بعيد »

فعالت 44 :

« اولئك ينادون من مكان بعيد »

ق 32 :

« وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد »

آل عمران 30 :

« نود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا »

المعارج 6 :

« انهم يرونه حين ينفذ ونراه قريبا »

الانبياء 101 :

« اولئك منها مبعدون »

هود 83 :

« وما هي من الظالمين ببعيد »

هود 95 :

« الا بمدد لمدن كما بعدت لمدود »

هود 14 :

وقيل بعدد للقوم الظالمين »

معها هود 60 ، 68 المؤمنون 41 ، 44 .

والبعد في المعنويات مثل شقاق بعيد (البقرة 176 ، الحج 53 ، فصلت 52) وضلال بعيد (ابراهيم 3 ، النساء 6 ، 126 ، 136 ، 167 ، الحج 12 ، الشورى 18 ، سبأ 8 ، ق 27 ، الشورى 18) .

ياتي دائما في مقابل القرب .

على حين يخلص النأي للمعنوي المحض ، في الصدد والامراض تقيض الاقبال .

حلف ، والقسام :

يقال بترادفهما كما نص على ذلك صاحب التاموس . وقد تأتي حلف في شواهد من الشعر الجاهلي بمعنى اقسم ، في مثل قول النابغة :

« حلفت فام اترك لنفسك ربة »

والاعشى :

« حلفت له بالراقصات الى منى »

وشاس بن عبده :

« حلفت بما ضم الحجيج الى منى »

لكن التتبع الاستقرائي للمادتين في القرآن الكريم يمنع ترادفهما :

جاءت مادة « حلف » في ثلاثة عشر موضعا ، كلها بغير استثناء في الحث باليمين .

والغالب ان ياتي بالفعل مسندا الى المنافقين كآيات التوبة :

« وسيعلفون بالله لو استظننا لخرجنا معكم ، يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » (42)

« ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم » (56)

« يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين » (62)

« يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم » (74)

« يحلفون لكم لترضوا فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (96)

« وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد بانهم لكاذبون » (107)

ومعها في المنافقين كذلك آيات :

النساء 62 ، المجادلة 14 ، 18 .

وآية القلم :

« وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » البقرة
35 والاعراف 19 .

« فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك »
طه 117 .

على حين يستعمل « امرأة العزيز ، وامرأة نوح ،
وامرأة لوط ، وامرأة فرعون » .

وقد يبدو من اليسير ان يقوم احد اللفظين مقام
الآخر ، فنفسر زوج آدم بامرأة آدم ، وامرأة فرعون
بزوج فرعون .

وذلك ما يباهه البيان المعجز .

وهو الذي يعطينا سر الدلالة فى الزوجية مناط
العلاقة بين آدم وزوجه فى قصة اول زوجين من
البشر . ولم تكن زوج آدم نمطا من النساء او امرأة
من اخريات ، بل كانت وحدها الزوج ، وكانت الزوجة
ولا شئ غيرها ، مناط علاقتها بآدم وسر وجودها .

وليس الامر كذلك فى امرأة العزيز وامرأة نوح
وامرأة لوط وامرأة فرعون ، وسياق الحديث عنهن من
حيث هن أنماط من النساء ، وليس عن العلاقة الزوجية
بينهن وبين أزواجهن . والمبرة فى قصصهن ان كل
واحدة منهن مضرب المثل :

امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ؟
امرأة نبي وتخونه !
امرأة طافية متجبر كافر ، تؤمن بالله .

ونستقرئ استعمال القرآن للفظ زوج وازواج
فنجد هذا الملحظ فى كون العلاقة الزوجية هي التي
يوجه اليها السياق :

آيات (النساء) فى النفس الواحدة خلق منها
زوجها (الاعراف 189 ، الزمر 6 ، الروم 21 ، النحل
72) وفى الزوجين خلقهما الله من نفس واحدة ، او
من ذكر وانثى : (النساء 1 ، الاعراف 188 ، الزمر 6 ،
النحل 72 ، الروم 21 الشورى 11) ومعها : النبا 8 ،
الشعراء 166 ، والداريات 49 ، النجم 45 ، القيامة
19 ، فاطر 11 .

وفى فلك نوح جعل فيها من كل زوجين اثنين :
المؤمنون 27 ، هود 40 .

وفى ما شرع الله من احكام الزوجية ، وما نزل
فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من توجيهات ،

« ولا تطع كل حلاف مهين ، همار مشاء بنميم .
مناع للخير معتد أثيم »

وجاء الفعل مرة واحدة مسندا الى الدين آمنوا ،
فوجبت عليهم كفارة الحنث باليمين :

« ذلك كفارة إيمانكم اذا حلفتم » المائدة 89 .

* × *

اما القسم فيغلب استعماله فى الايمان الصادقة .
وجاء موصوفا بالمعظمة فى آية :

« وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

وجاء الفعل فى الشهادة ومثلها ، حيث لا يحمل
الحنث باليمين . كالشهادة حين الوصية (المائدة
106 ، 107) .

وحين يسند القسم فى القرآن الى المجرمين او
الكفار ، فانهم يقسمون عن اقتناع بصدق ما يقسمون
عليه .

السرور 55 :

« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة »

الانعام 109 :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية
ليؤمنن بها »
ومعها آيات :

الاعراف 49 ، ابراهيم 44 ، المائدة 53 ، النحل
38 ، النور 53 ، فاطر 42 .

وامام هذا البيان القرآني ، لا يهون ابدا ان نفسير
القسم بالحلف ، وصنيع القرآن يلفت الى فرق دقيق
بين هذين اللفظين المقول بترادفهما .

فان لم نقل ان القسم لليمين الصادقة ، والحلف
لليمين الكاذبة ، على اطلاقهما . فلا اقل من ان يكون
بين دالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسم
لمطلق اليمين بعمامة . ويختص الحلف بالحنث فى
اليمين ، على ما اطرده استعماله فى البيان الاعلى .

* × *

زوج ، وامرأة :

وترى البيان القرآني يستعمل لفظ « زوج »
حيثما تحدث عن آدم وزوجه :

مثل آيات البقرة 230 ، 240 ، آل عمران 90 النساء
11 ، 19 الانعام 139 ، الحجر 88 ، النور 6 ، 30 ،
طه 131 ، التحريم 1 : 5 ، المجادلة 1 ، المتحنة 11 ،
الاحزاب 28 ، 37 ، 50 : 59 .

* x *

واكتفى بما قدمت من شواهد وأمثلة تؤيد ما
ذهب اليه المحققون من أهل اللغة في انكار الترادف الا
ان يجيء في لفتين : « فاما ان يجيء في لغة واحدة
فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن غير
المحققين من النحويين واللفويين ، وانما سمعوا العرب
تتكلم بذلك على طبائعا وما في نفوسها من معانيها
المختلفة ، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها ، ولم يعرف
السامعون تلك العلل والفروق فظنوا ما ظنوه من ذلك
وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم » (1)

وقد ينبغي لي ان اعترف هنا بقصوري عن لمسح
سر الدلالة لبعض الفاظ تبدو مترادفة ، فليس لي ان
اقر بالمجاز وانا اتمثل بكلمة ابن الاعرابي :

« كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ،
في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما حرفناه
فاخبرنا به ، وربما فهمض علينا فلم نلزم العرب
جهله » (2) .

الاساليب وسر التعبير

قد تكون حرفنا البلاغة العربية علما وثقلناها
صناعة ومنطقا .

غير أننا ما نزال في أشد الحاجة الى ان نجعلها
ذوقا أصيلا وحسا مرهقا في آيات الفصاحة العليا
والبيان المعجز .

الاستغناء عن الفاعل :

وأحاول فيما بقي من المجال المحدود للبحث ،
ان أقدم بعض ما هدى اليه البيان القرآني في أساليب
غاب عن كثير منا سر التعبير فيها والبيان .

- (1) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية 12 .
- (2) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية 65 .

من الظواهر الاسلوبية اللافتة في البيان المعجز
ظاهرة الاستغناء عن الفاعل التي توزعت في دراستنا
وكتبنا بين ابواب شتى متباعدة ، لا تعطى سر هذا
الاستغناء ، فانت تقرا في الصرف كيفية بناء الفعل
للمجهول وصيغ المطاوعة . وفي النحو احكام نائب
الفاعل . اما لماذا حذف الفاعل فذلك موضوع آخر
ندرسه في علم آخر هو علم المعاني التي انفصلت عن
الاعراب فماد هذا الاعراب صنعة ، وهو في الاصل من
صميم المعنى . كما ندرس في علم البيان اسناد الفعل
الى غير فاعله على سبيل المجاز ، دون ان نحاول جمع
هذا الشتات المنتشر للظاهرة الاسلوبية لاجتلاء سرها
الذي من أجله تستغنى العربية عن الفاعل فتسند الى
غير فاعله : بالبناء للمجهول ، او بالمطاوعة ، او
بالاسناد المجازي .

— ♦ —

وقد لفتني اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في
البيان القرآني في موقف واحد هو موقف القيامة :

اما بالبناء للمجهول في مثل آيات :

« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة »

« وحملت الارض والجبال فهدمتا دكة واحدة »

« اذا رجت الارض رجا . وبست الجبال بسا »

« يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا »

« وفتحت السماء فكانت ابوابا . وسيمرت
الجبال فكانت سرايا »

« فاذا النجوم طمست . واذا السماء فرجت .
واذا الجبال نسفت »

« اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت .
واذا الجبال سيرت . واذا المشار هطلست . واذا
الوحوش هشرت . واذا البحار سجرت . واذا النفوس
ؤوجت . واذا المودة سئلت . باى ذنب قتلت . واذا
الصحف نشرت . واذا السماء كسطت . واذا الجحيم
سعرت . واذا الجنة أولفت . علمت نفس ما احضرت »
« كلا اذا دكت الارض دكا دكا »

« وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يذكر الانسان واني له الذكرى »

« افلا يعلم اذا بعث ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور »

ومعها آيات النفخ فى الصور ، وكلها بلا استثناء مبنية للمجهول .

واما أن يستغنى عن ذكر الفاعل ، باسناد الحدث الى غير فاعله مطاوعة او مجازا كما فى آيات :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »

« اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت »

« اذا السماء انشقت . وادنت لربها وحقت »

« واذا الارض مدت . والقت ما فيها وتخلت »

« يوم تشقق الارض عنهم سراعا »

« يوم تهور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا »

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين »

« فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع

الشمس والقمر »

« واخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان مالمها .

يومئذ تحدث اخبارها »

والبلاغيون يقولون فى حذف الفاعل ، انه يحذف للخوف منه او عليه ، وللعلم او الجهل به .

وقد مضى المفسرون على تقدير فاعل محذوف لاحداث يوم القيامة ، هو الله سبحانه ، او ملك من ملائكته ؛ مع وضوح الممد فى البيان القرآنى الى صرف النظر عن الفاعل والاستغناء عن ذكره . واكثر ما قالوه فى تأويل ذلك ، أن الفاعل محذوف للعلم به . وفى القرآن آيات لا تحصى لم يحذف الفاعل فيها مع يقين العلم به . فما سر ظاهرة الاستغناء عنه فى احداث القيامة ؟

بهدينا تدبر السياق الى :

ان اساليب البناء للمجهول والمطاوعة والاسناد المجازي الى غير الفاعل ، تلتقي جميعا فى الاستغناء عن ذكر الفاعل .

ان اطراد هذه الظاهرة فى موقف البعث والقيامة ، ينسب الى اسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة الامرابية والاحكام البلاغية التي تجمدت فى اجراءات المنطق البلاغى .

بناء الفاعل للمجهول ، فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه .

والمطاوعة ، فيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائيا او على وجه التسخير ، وكأنه ليس فى حاجة الى فاعل .

والاسناد المجازي ، يعطى المسند اليه فاعلية مؤكدة محققة ، تجمله يحل محل الفاعل الاصلي ويفنى عن ذكره .



السجع ورعاية الفواصل :

منذ بدا عصر التأليف فى الدراسات القرآنية والبلاغية ، فرست قضية الفواصل نفسها على الاجيال الاولى من علماء العربية ، وان لم تستقل بمباحث مفردة ، بل جاءت عارضة فى ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة .

فأبو عبيدة من القرن الثانى للهجرة ، يقف فى كتابه (مجاز القرآن) عند الفاصلة بين حين وآخر ، اذا لحظ فيها عدولا عن مالوف الاستعمال اللغوي ، موجها همه الى الاحتجاج لهذا العدول بان « العرب تفعل ذلك فى كلامها » وهي العبارة التي تلقانا كثيرا فى (مجاز القرآن) .

كذلك لم يمرض « الفراء » وهو من لغوي القرن الثانى - ت سنة 207 هـ - لمسألة الفواصل عرضا مباشرا فى كتابه (معاني القرآن) ولكنه حدد رأيه فى موقف القرآن منها تحديدا صريحا فى تفسيره اللغوي لمعاني القرآن ، وترجيحه بين القراءات . وعنده أن القرآن يراعى الفاصلة عمدا ليتحقق بها جمال النظم ؛ فيقدم أو يؤخر ويؤثر لفظا على آخر فى معناه ، أو يعدل من صيغة للكلمة الى صيغة أخرى ، رعاية للفاصلة ، أو رموس الآيات ، كما يسميها ، كالذي تراه مثلا فى توجيهه لفواصل من سور الرحمن ، والفصحى ، والفجر .

وعلى كثرة ما مرض « الفراء » للفواصل وبخاصة فى السور المكية ، لم يذكرها باسم الفواصل وانما هي عنده رموس آيات ، وان ثبت على مذهبه فى أن القرآن يراعى قصدا الى رعاية الجرس الصوتي والمشكلة اللفظية . مع تحاشيه ذكر « السجع » .

وانكر « ابن قتيبة » مذهب « الفراء » فى هذه الرعاية اللفظية للمقاطع ورموس الآيات .

والسجع ميب ، وعلى ذلك بما ذكرناه من أن السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني . وهذا غير صحيح » (3) .

وحرر الموقف فقال ان التكلف كما يعرض في السجع عند تماثل الحروف ، يعرض في الفواصل عند تناسب الحروف ، والتكلف في كليهما مدموم مرفوض . اما ان يأتي التماثل والتقارب طوما سهلا وباعيا للمعاني ، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . ولم يرد في القرآن الا ما هو من هذا الضرب لمثله في الفصاحة .

ثم قال ... « واظن ان الذي دما اصحابنا الى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . وهذا في التسمية قريب ، فاما الحقيقة فما ذكرناه » (4) .

وكذلك لم ير « ابن الاثير » في (المثل السائر) وجها لدم السجع على الإطلاق وفيه من القرآن جملة . فهناك سجع بليغ ، الفاظه حاوة حادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة ، والمعنى فيه تابع للفظ ، وكل فقرة من المجموعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه اختها » (5) .

« وأبو هلال العسكري » في فاتحة (اسرار البلاغة) يرى من السجع ما هو حسن بليغ ، اللفظ فيه استدعاء للمعنى . وهناك ان مثل هذا السجع حلية في الكلام ، ويعجبه منه الرونق اللفظي الذي هو عنده من اسرار الاعجاز (6) .

« وابن حمزة العلوي » في باب التسجيع من (الكتاب المرسوم بالطراز) لم يعرض للخلاف بين الاسجاع والفواصل ، ولا ناقش القائلين بالسجع في القرآن والقائنين بنفيه ، لكنه قرر ان التسجيع « من علوم البلاغة ، كثير التدوار عظيم الاستعمال في السنة

وحتى القرن الثالث الهجري ، كان التحجرج واضحا من القول بالسجع في القرآن . وكانما كان الحسن المولم ينبو بالكلمة ، لكثرة ما اطلقت من قديم على سجع الكهان .

ولكن القضية ما لبثت ان دخلت معتزلة الجدل الكلامي بين الفرق الاسلامية ، فارتبطت بالاعجاز بالنظم ، وبدأت تستقل بمباحث مفردة :

الاشاهرة قررروا نفي السجع عن القرآن ، وآثروا لفظ الفواصل على السجع ، محاولين ان يفرقوا بينهما ، بان الفواصل يتبع اللفظ فيها المعنى فيه اللفظ (1) .

ولا يبدو لنا وجه تمييزهم بين السجع والفواصل القرآنية واضحا ولا قويا ، فيما نقل عنهم « الباقلاني » فهو يقيم الفرق أحيانا على ملاحظ شكلية من تفاوت المقاطع بين الفاصلتين طولاً وقصرًا ، وهذا عنده اخلال بضوابط السجع ومقاييسه .

والمعتزلة نفوا كذلك القول بالسجع في القرآن نفيا باتا ، مقرردين ان الفواصل بلاغة والسجع ميب . وبسط « الرماني » هذا المذهب في رسالته في اعجاز القرآن ، محتجا للفواصل القرآنية بأن العبرة فيها بالمعنى . وان لم يمتنع عنده ان يكون للجرس الصوتي وانتلاف الإيقاع حظه من التقدير (2) .

ولكن من البلاغيين من لم يطمئنوا الى هذه التفرقة بين الفواصل والسجع ، وان أجمعوا على اعجاز البيان القرآني .

منهم « ابن سنان الخفاجي » السدي قال في (سر الفصاحة) :

« واما الفواصل التي في القرآن ، فانهم سموها فواصل ولم يسموها اسجاعا . وفرقوا فقالوا ان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يعمل المعنى عليه . والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في انفسها . وقال الرماني ان الفواصل بلاغة

(1) الباقلاني : اعجاز القرآن ، (في نفي السجع عن القرآن) .

(2) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ص 97 ، ط الدخاير .

(3) الخفاجي : سر الفصاحة : 164 .

(4) الخفاجي : سر الفصاحة : 166 .

(5) ابن الاثير : المثل السائر ، ص 74 ، 97 - ط البهية بالقاهرة سنة 1312 .

(6) اسرار البلاغة : 7 .

البلغاء ، ويقع فى الكلام المنشور ، وهو فى مقابلة التصريح فى الكلام المنظوم الموزون فى الشعر » (1) وواضح من مسئكه فى الاستشهاد لكل نوع من انواع التسجيع بآيات قرآنية ، انه يذهب مع القائلين بوجود السجع فى القرآن .

« وابن ابي الاصبع المصري » (585 : 654 هـ) فى كتابه (بديع القرآن لا يبدو مستقرا على رأي فى الموضوع ، ففي باب (اتلاف الفاصلة) ينفي السجع عن فواصل القرآن ، وفى باب (التسجيع) ياتى بشواهد قرآنية على فنون التسجيع (2) .



وأراني اطلت فى عرض أقوال السلف فى الفواصل القرآنية والسجع ، توطئة لتدبر اسرار التفسير فى هذه الظاهرة الاسلوبية من البيان المعجز .

وقد رأينا كيف تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

ففى البيئة الكلامية ، اختلفت الفروق الاسلامية بين نفي السجع فى القرآن نفيا باتسا على ما نقلنا من كلام الاشاعرة والمعتزلة .

وبين القول بوجوده فى النظم القرآني . قال به من الشيعة « يحيى بن حمزة العلوي » وفى البيئة اللغوية والبلاغية ، تباعد الخلاف بين مذهب « الفراء » فى أن السجع فى القرآن مقصود لذاته ، وأنه ربما عدل من نسق الى آخر وائر لفظا على غيره فى معناه ، قصدا الى المشاكلة واتفاق رؤوس الآيات .

وبين من أنكروا ، كابن سنان الخفاجي وابن الاثير ، أن تكون معاني الفواصل القرآنية تابعة للالفاظ .

ورأينا من الاقدمين من فرقوا بين الفواصل والاسجاع ، اما بملحظ شكلي من توازن المقاطع طولا وقصرا وتمائل او آخرها أو تقاربها ، وهو رأي « القاضي الباقلاني » . واما بملحظ معنوي فى مجيء اللفظ تابعا للمعنى أو العكس كراى « على بن عيسى الرمانى » .

لكن اكثر البلاغيين لم يروا فرقا بين الفواصل

والسجع ، فكلاهما يمرض له الاستكراه والتكلف فيهبطان من مستوى البلاغة ، كما قد ياتى كلاهما طواعية دون قلق أو استكراه بتوجيه المعنى ، فيرقى الاسلوب بلاغيا وتكتمل له قوة المعنى ورونق اللفظ .

وعندهم أن الامر فى التفرقة بين الاسجاع والفواصل ليس الا كراهة القول بالسجع فى القرآن ، بعد أن شاع اطلاقه على سجع الكهان .

وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتدلته الصنعة اللفظية والوخرف البديعى ، فى اساليب المصور المتأخرة ، بعد أن اصطنعه الكهان فى العصر الجاهلي .

ومن ثم نؤثر أن نمضي على تسمية مقاطع الآيات فى النظم القرآني بالفواصل ، وهو ما جرى عليه أكثر المفسرين .

وبعد الذي سقناه من خلاهم فيها بين اللفظ والمعنى نتدبر الفواصل القرآنية فلا نرى البيان القرآني يتعلق فى أي فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرونق اللغوي ، وانما تاتي فواصله جميعا لمقتضيات معنوية يبتغى مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل ، واتلاف الجرس ، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلقاء .

واختار هنا شواهد من الفواصل التي وهم « الفراء » ومن ذهب مذهبه فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآيات بإيثار نسق على آخر أو العدول عن لفظ الى غيره فى معناه .

ونختلف معهم ابتداء فى القول بلفظين لمعنى واحد . وقد سبق بيان ذلك فى الترادف وسر الكلمة .

ثم ننظر فى هذه الفواصل :

« والفصحى والليل اذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى »

قال « الفراء » أن القرآن جرى فيها على طرح الكاف من « قلاك » - ومن : فأوى فهدي ، فأفنى - لمشاكلة رؤوس الآيات .

وعد « الفخر الرازي » من وجوه حذف الكاف ، رعاية الفاصلة (3) .

(1) الطراز : باب التسجيع ، ط المقتطف بالقاهرة 1914 .

(2) بديع القرآن : ص 89 ، 108 ط نهضة مصر بالجيزة 1957 .

(3) الرازي : التفسير الكبير ، سورة الفصحى .

ومثله « النيسابوري » في تفسيره آيات الضحى (1) .

ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الحذف لمجرد النسق اللفظي ، لما عدل من رعاية الفاصلة في الآيات بعدها :

فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر .
وأما بنعمة ربك فحدث .

وليس في السورة كلها ثاء فاصلة .

بل ليس فيها ثاء على الإطلاق .

وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترمى بمثل لفظ « فخير » - وأما بنعمة ربك فخير - لتستقيم الصنعة البلاغية .

ونرى أن حذف الكاف من « وما قلى » مع دلالة السياق عليها ، تقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة واللفظ ، هي تحاشي خطابه تعالى حبيبه المصطفى في موقف الإناس : « وما قلاك » لما في القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض . أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الاحباب ، والفراق فيه على كره ، ومع رجاء العودة .

وحذفت كاف الخطاب في الآيات بعدها ، لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنيا من الكاف ، فذكرها من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان .



وآيات الفجر :

« ... والليل إذا يسر . هل في ذلك قسم لدي حجر . ألم تر كيف فعل ربك بعاد . أرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . ونمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد ... »

قال « الفراء » في (معاني القرآن) أن ياء العلة حذفت من الفعل : يسر (ي) قصد المشاكلة بين رؤوس الآيات . وكذلك ذهب « ابن سنان الخفاجي » إلى أن حذفها وحذف ياء : بالواد (ي) لتماثل الفواصل

على هامش تفسير الطبري . ط مصر .

ويكفي للرد عليهما وعلى كل من ذهب إلى مثل ما ذهب إليه ، أن نذكر أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذف الياء هنا في مقاطع الآيات ، ليقل أنه قصد إلى مجرد رعاية الفواصل وتماثلها .

وإنما حذفت ياء الممثل الآخر المرفوع ، وواوه أيضا ، وياء المنقوص المحلي بال ، في أواسط الجمل وودج الكلام ، كالذي في آيات :

ق 41 :

« واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب »

النازعات 16 :

« إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى »

طه 12 :

« فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة »

النمل 18 :

« حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون »

الروم 53 :

« وما انت بهاد الممى من ضلالتهم »

هود 105 :

« يوم يأت لا تكلم نفس الا بأذنه »

الاسراء 11 :

« ويسدع الانسان بالشر دعاءه بالخير »

البقرة 186 :

« وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي »

القمصر 6 :

« فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر »

القمصر 8 :

« جهنمين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم مصر »

- ولا مجال لقول في هذه الآيات وأماها بحذف ياء المنقوص المعرف بال ، أو آخر المضارع المرفوع الممثل بالواو والياء ، لرعاية الفواصل ومشاركة رؤوس الآيات . وهذا ما فات الذين تعجلوا بمثل هذا

وفي التقديم والتأخير قالوا برعاية الفاصلة في
في مثل آية الليل :

« ان علينا للهدى . وان لنا الآخرة والاولى »
عدل البيان القرآني فيها عما هو مألوف ومتبادر ،
من تقديم الاولى على الآخرة . وليس التعلق برعاية
الفاصلة هو الذي اقتضى وحده تقديم الآخرة هنا على
الاولى . وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشري
والوعيد ، اذ الآخرة خير وأبقى ، وعذابها أكبر وأشد ،
وأخرى وأبقى .

وتلك قدمت الآخرة على الاولى في سياق
البشري للمصطفى بآية الفحى : « والآخرة خير لك
من الاولى » .

كما قدمت الآخرة على الاولى في سياق الوعيد
لفرعون اذ ادبر وتولى « فأخذه الله نكال الآخرة والاولى »

النفس مع القسم :

ومن الظواهر الاسلوبية اللافتة في البيان القرآني
مجيء القسم بعد لا النافية في مثل قوله تعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة »

وقد اختلف اللغويون في تاويل حرف « لا »
وتوجيه القسم بعده . وجاء به « ابن هشام » في
باب : لا ، الزائدة في الكلام لمجرد تقويته وتأكيده .

ولخص مختلف اقوالهم فيها :

— قيل هي نافية . ثم اختلفوا في تاويل المنفى
بها :

منهم من قال انها تنفي شيئاً تقدم في سورة
أخرى . أنكر المشركون البعث فقبل لهم : لا ، ليس
الامر كذلك . ثم استؤنف القسم : أقسم » .

وجه هذا التأويل عندهم ان القرآن كنه كالمسورة
الواحدة . ولهذا يذكر الشيء في سورة ، وجوابه في
سورة أخرى ، ومما ذكره من ذلك ، قوله تعالى :

« وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون »
جوابه في سورة أخرى :

« ما انت بنعمة ربك بمجنون »

ورده أبو حيان بأنه لا يجوز ، لان في ذلك حذف
اسم « لا » وخبرها . وليس جواباً لسأل سال

القول في آتي الفجر ونظائرهما ، محتكبين الى قواعد
اللغويين في احكام الحذف لحرف العلة او الايئات ، في
المضارع المعتل الآخر والاسم المنقوص . حين ينبغي
ان نعرض قواعدهم على ما يهدي اليه الاستقراء لكل
مواضع الحذف والايئات في الكتاب المحكم والبيان
المعجز .

وآيتنا الاعلى :

« سبح اسم ربك الاعلى . الذي خلق فسوى »

والاييل :

« الا ابتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى »

ليست صيغة الاعلى معدولا اليها فيها عن العلي
لمجرد رعاية الفاصلة ، ولا اريد بها المفاضلة بين اعلى
وعال ، على ما وهم بعضهم . وقد اشار « الفخر الرازي »
الى ما تماق به الملاحظة في : ربه الاعلى « من اقتضاء
ان يكون هناك رب آخر » (1) على ما يقضي به منطق
التفضيل وقواعده .

وذلك من عقم الحس فيهم ، يغيب عنه السر
البياني في اطلاق هذه الصيغة دون قصد الى مفاضلة
او ترتيب ، وإنما القصد الى المضي بالملو الى نهايته
القصوى بغير حدود ولا قيود .

وهو نفس الملحظ الدلالي لصيغ : الحسني ،
واليسري ، والاتقى ، والاشقى ، في سورة الليل ،
للدلالة على غاية الحسن والتقوى ، واقصى السوء
والشقاء الذي لا يماثله شقاء .

ومثلها صيغة الاكرم في آية القام :

« اقرا وربك الاكرم . الذي علم بالقلم »

تناولها المفسرون على المفاضلة بين اكرم
وكريم ، وساقوا وجوها لاكرميته تعالى . (2)

والاستقراء القرآني : يشهد بان صفتي الافعل
والفعل ، تفيدان الاطلاق الى أقصى المدى ، بغير قيد
ولا حدود .

وهذه هي دلالة الآية الكبرى في (النازعات
والنجم) وآياتنا الكبرى في (طه) والبطشة الكبرى في
(الدخان) والطامة الكبرى في (النازعات) والناز
الكبرى في (الاعلى) والكلمة السفلى والكلمة العليا في
(التوبة)

— * —

(1 ر 2) الفخر الرازي . التفسير الكبير ، سورة الليل . وسورة القلم .

تهوى اليهم « بياض بعد الهمزة ، تولدت من اشباع كسرتها (2) .

ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الفعل، قدروا دخولها في الآية على جملة من مبتدأ وخبر : فلاننا اقسام . ثم حذف المبتدأ .

ورد « الرمحشري » بأن اللام في هذه القراءة لا تصح ان تكون لام القسم لامرين : احدهما ان حقا ان يقرن بها النون المؤكدة ، والاخلال بها ضعيف قبيح ، والثاني ان سياق الآية يرشد الى ان القسم بمواقع النجوم واقع ، ومقتضى جعلها جوابا لقسم محذوف ان تكون للاستقبال ، وفعل القسم يجب ان يكون للحال (3) .



وبعد هذا كله نرد الى القرآن ما تنازعوا فيه ، فنستبعد باديء ذي بدء ان تكون (لا) في آيات القسم، ردت على كلام سبق في سورة اخرى . وهذا التأويل يبدو غريبا فيما نظروا له من قوله تعالى : « ما انت بنعمة ربك لمجنون » ردا على ما حكى من قولهم « انك لمجنون » ووجه الغرابة فيه ان الرد سابق في النزول على ما حكى القرآن من قولهم : « انك لمجنون »

اذ كيف تكون آية من سورة القلم ، وهي ثاني سورة نزلت من القرآن ، ردا على آية نزلت بعدها في سورة الحجر، وترتيبها في النزول الرابعة والخمسون؟ وتأويل « لا اقسام » بأنها « لا قسم » اشبهت فتحة الالف فيها فتولدت منها الف ، يبدو من شطط التأويل تجاه أطراف مجيء « لا » في كل آيات القسم القرآني حيثما كان الفعل مسببا الى الله تعالى :

الواقعة 75 :

« فلا اقسام بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم »

الحاقة 38 :

« فلا اقسام بما تبصرون . وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم »

فيحتمل ذلك ، نحو قوله : لا ، لمن قال : هل من رجل في الدار (1)

واما انها تنفي الفعل « اقسام » وذلك على ان يكون اخبارا لا انشاء، على تقدير ان المقسم به يستحق اعظاما فوق القسم

وقيل هي زائدة . على خلاف ذلك في فائدتها:

منهم من قال انها زيدت توطئة وتمهيدا للنفي الجواب محذوفا . وتقديره في آية القيامة « لا اقسام بيوم القيامة . ولا اقسام بالنفس اللوامة » لا يتركون سدى .

ورد هذا التأويل بان الجواب مثبت في مثل قوله تعالى :

« لا اقسام بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الانسان في كبد » وقوله تعالى :

« فلا اقسام بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم » .

— وذهب آخرون ممن قالوا بزيادتها الى انها زيدت لمجرد التأكيد وتقوية الكلام ، كما في قوله تعالى :

« ثلثا يمام اهل الكتاب الا يتدرون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

ورد بانها لا تزداد لذلك في صدر الكلام ، بل يجب ان تزداد حشوا . لان زيادة الشيء تفيد اطراحه، وكونه في اول الكلام يفيد الاعتناء به (2)

وقول ثالث : انها ليست نافية ولا زائدة ، وانما هي لام الابتداء كقول الشاعر :

« اهوذ بالله من المقرب »

اشبهت الفتحة فتولدت منها الف ، وانما هي : لا قسم . وهي قراءة الحسن لآية « فلا اقسام برب المشارق » اشبهت فتحة اللام حتى تولدت منها الف ، كقراءة هشام لآية ابراهيم : « فاجعل اثنيذة من الناس

(1) البحر المحيط : 212 / 8 سورة الواقعة .

(2) ابن هشام مغني اللبيب 1 / 184 — وابو حيان في البحر المحيط : ج 8 .

(3) الرمحشري : الكشاف 4 / 61 سورة الواقعة .

المعارج 40 :

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنا لقادرون »

القيامة 1 :

« لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة . أيا حسب الإنسان أن لن نجعل مقامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه »

التكوير 15 :

« فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا سمس والصبح إذا تنفس . أنه لقول رسول كريم »

الانشقاق 61 :

« فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق »

البلد 9 :

« لا أقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الإنسان في كبد »

ولم يأت فعل القسم في القرآن كله ، مسندا إلى الله تعالى بغير « لا » .

كما لم تأت « لا » مع القسم مسندا إلى غيره تعالى .

وهذا الاطراد يبعد احتمال أن تكون « لا » هي لام الابتداء ، اشبهت فتحها فتولدت منها الف .

كما يبعد احتمال أن تكون (لا) زائدة والمعنى : أقسم ، كما اختار أبو حيان . وقد قالوا هم أنفسهم أن زيادة الشيء تفيد اطراحه ، ولا يمكن اطراح « لا » وما من آية أسند فيها فعل القسم إلى الله سبحانه وتعالى ، لم يجيء بعد « لا » .

فهل هي مزيد توطئة للنفي وتأكيد له ؟ قالوا إن ادخال لا النافية على فعل القسم جاء في كلام العرب واشعارهم كقول امرئ القيس :

فلا وإبيك ابنة العامري

لا يدمى القوم أنسى أنسر

وقال غوبة بن سلمى :

الا نادت امامة باحتمال

لحزنني فلا بك ما أبالي

وقال آخر :

« فلا وأبى أمدائها لا أخونها »

وجعلوا منه قوله تعالى :

« ثلثا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

والآية ، كما لاحظ ابن هشام ، في سياق النفي . وكذلك كل الشواهد الشعرية التي ذكروها ، سياقها النفي . وليس الأمر كذلك في آيات « لا أقسم » وكلها في سياق الإثبات والتقرير .

ونفهم أن تأتي « لا » في سياق النفي فتؤكد ، أما أن تأتي لتؤكد الإثبات بالنفي فذلك ما يبدو غريبا حقا !! والقسم هو أقوى أساليب التأكيد ، ولا يمكن تأكيده بنفيه ، لأن النفي نقيض التأكيد ، فإذا نفيت القسم انتقض بنفيك إياه . والجمع بينهما أولى بأن يستقطبا كليهما على القاعدة الأصولية في الدليلين تعارضا فتساقطا .

أفلا يهدينا تدبر سياق آيات « لا أقسم » لله تعالى ، إلى أن « لا » تنفي حاجته تعالى إلى القسم ؟ بلى ، وإنما نحتاج نحن البشر إلى أن نقسم دفعا لمظنة الاتهام وإزاحة للشك . ومن ثم نلمح سر الغريبة إذ تستعمل هذا الأسلوب حيث تنتفي الحاجة إلى القسم ، في مواضع الثقة واليقين .

ومن نفي الحاجة إلى القسم يأتي التأكيد والتقرير ، لأنه يجعل المقسم أو المقسم عليه ، في غنى بالثقة واليقين عن الأقسام . والسر البياني لهذا الأسلوب يعتمد في قوة اللفت على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لأقصى الانتباه . وما نزال في مألوف استعمالنا نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها إلى قسم ، فتقول لمن تثق فيه : لا أقسم أو : من غير يمين . مقرا أنه موضع ثقتك فليست بحاجة إلى أن يقسم لك . كما تقول لصاحبك : لا أوصيك بفلان ، تأكيداً للتوصية بنفي الحاجة إليها .

وإذا اكتفى بهذا القدر مما هدى إليه البيان القرآني من أسرار لفتنا في الحرف لا يفني منه سواء ، وفي الكلمة لا تقوم مقامها أخرى غيرها ، وفي النظم لا تعرف العربية ما يدانيه بلافة وبيانه .

أرجو ألا يظن بي أنني أجحد جهود سلفنا الصالح فيما أصلوا من علوم العربية والإسلام ، فالحق أنسى

وبعد فما أزعج ، وما ينبغي لي ، انني فيما
اجتليت واجتلي من اسرار العربية في البيان القرآني
قد شارفت افقه العالي .

ولكنها محاولة ابتغي بها ثواب المسمى وشرف
الوسيلة والقريب ، بطول المكوف على خدمة القرآن
الكريم ، وجهد التدبر لاسرار بيانه المعجز .

وينفذ القول ولا تنفذ كلمات ربي :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا . »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطي)

استلا الدراسات القرآنية بجامعة القرويين

اشعر بالقصور والخيال تجاه ما تركوا لنا من عطاء
سخي باذل ، كان لنا على مر المصور وتتابع الاجيال
ذخيرة ومددا . وما ارانا تكون خلف صدق لهم اذا لم
نحمل امانة وجودنا ، فنضيف الى تراثهم ما نتركه
للاجيال من بعدنا عطاء وميراثا .

وقد يشق علينا ان نضيف الى ما اصلوه من علوم
العربية والاسلام جديدا ذا بال ، الا ان يفرغ
المتخصصون منا في الدراسات العربية والاسلامية
لتدبر القرآن الكريم نجتلي من اسراره ودلالاته ما
يكون قد غاب عن سلفنا الصالح وهم عاكفون على
تاصيل قواعد علومهم ، بالكتاب الاكبر الذي يظل على
امتداد الزمان والمكان سر وجودنا وذخر حياتنا .



(تصويبات)

- ولفت اخطاء مطبعية في هذا البحث نستذكرها فيما يلي : (1) يتحدى (بدل ويتحدى) : ص 12 سطر 4 - فليج 1 -
(2) في مثل آية (بدل في آية) : ص 13 - ص 20 - ص 1 - ص 3) يؤنس (بدل يؤمنه) : نفس الصفحة - ص 26 - ص 4) يحسه
(بدل يحسبه) : ص 15 - ص 5 - ص 2 - ص 5) لا احتمل (بدل لا يحتمل) : ص 16 - ص 4 - ص 2 - ص 6) وحسر (بدل وحس) :
ص 18 - ص 30 - ص 1 - ص 7) وطى (بدل وما) : ص 19 - ص 25 - ص 2 - ص 8) ثلاث او رباع (بعد ما بعدها وهو : بحيث لا
يختلف رجل من رجل ..) : ص 21 - ص 28 - ص 1 - ص 9) لا يتجاوزون (بدل لا يتجاوز) : ص 21 - ص 30 - ص 1
(10) من لا يفرل (بدل من يفرل) : ص 21 - ص 31 - ص 1 - ص 11) التفسير بين (بدل انما لهم جميعا على) : ص 21 - ص 1 - ص 2
(12) الواحد السلا (بدل الواحد السلا) : ص 22 - ص 10 - ص 1 - ص 13) 105 (بدل 109) : ص 19 - ص 2 - ص 5 (بدل 50) :
ص 22 - ص 2 و 100 (بدل 60) : ص 26 - ص 2 (ص 23 - ص 14) حس (بدل وحس) : ص 24 - ص 28 - ص 2 - ص 15) وهواله
(بدل وهو انه) : ص 25 - ص 6 - ص 2 - ص 16) صيغة (بدل صيغة) : ص 25 - ص 26 - ص 2 - ص 17) وان كان كتبها في
الواقع حدثت بعد « عليه » : ص 28 - ص 14 - ص 1 - ص 18) الزوجية (بدل الزوجية) : ص 28 - ص 14 - ص 2 - ص 19) الا ان
(بدل ان) : ص 29 - ص 15 - ص 1 - ص 20) مرهنا (بدل مرهنا) : ص 29 - ص 25 - ص 1 - ص 21) الا جاء (بدل لم يجيء) :
ص 36 - ص 27 - ص 1 - ص 22) مزينة (بدل مزيد) : ص 36 - ص 28 - ص 1 - ص 23) فوبة (بدل فوبة) : نفس الصفحة - ص 33
- ص 1 .

من خصائص أصل اللغة العربية

الأستاذ أحمد عبد الرصيم الساجي - جامع الأزهر

اللغة العربية خصائص ومميزات يفتخر بها غيرها لا تدانيها فيها لغة من اللغات فانت تستطيع ان تصنع من مفرداتها المائتة قطعاً ، ما تسحر به الابواب وتأخذ بالافهام وتتألق بالمقول في عالم السمو والسحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لذات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذي يهيء له الحالة النفسية التي تحفز به الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود في ثوب مغوف ووسام لامع جذاب اخاذ ساحر .

1 (الدلالة المعنوية

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات ان اللغة العربية من اكثر اللغات دلالة معنوية بل ان الكثير من الفاظ العربية قد فقد الدلالة الحسية .

قال جورج زيدان : فالفعل « قضى » معناه « حكم » والاصل فيه القطع الحسي والفعل « عقل » معناه « فهم » وهو مأخوذ من عقل الناقة اي ربطها والفعل ادرك ، الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان ادرك القطار اي لحقه ؛ والفعل « بنغ » وضع اصلا للدلالة على الوصول الحسي في المكان والزمان ، بل ان الاصل في معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهب رغوته ، ثم قيل : فصيح بمعنى وضع و « الراي » اصله من « رأى » اي شهد بعينه

وفي العربية ابنية وصيغ وقوالب دالة على معان وصفات واحوال . فما كان على « فعلا » (بالتجريك) دل على الحركة والاضطراب كالنزوان ، والفليان والضربان والهيجان . وما كان على « فعلا » (بسكون

العين) دل على صفات تقع من احوال كالمعشجان والفرثان والشبعان والريان والفضبان ، وما كان على « افعل » دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر ، وكذلك العيوب تكون على افعل نحو ازرق واحول وامور واقرع واقطع واهرج واخيف وتكون الادواء على « فاعل » كالصداع والزكام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالتصراخ والنباح والضباح والرغاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على « فاعل » كالضجيج والهدير والهدير والصهيل والنهيق والزئير والغييب والنميق والنميب والخيرير والصرير . وحكاية الاصوات على « فاعلة » كالصريرة والقرقرة والفرقرة والقمقمة والخشخشة واطمية العرب على « فاعلة » كالسحينة والغنية والمريرة والنقيصة والعقيقة ، واكثر الادوية على « فعول » كاللوق والسوط والوجود والبدود والدرور والنطول ، واكثر العادات في الاستكثار على « مفعال » نحو مطمان ومطعم ومضرب ومضياف ومكثار ومهدار وامرأة معطار ومذكار ومثثام ومثثام ،

وصيغ الأفعال وأوزانها في اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف إلى المعنى الأصلي ، دون زيادة في اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة قال الثعالبي في الأكثر الأغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الأبواب » وقوله ، يذبحون أبناءكم » و (فعل) يكون بمعنى (أفعل) نحو خبر وأخبر وكرم وكرم ونزل وأنزل ويكون مضافاً له نحو أفرط إذا جاوز الحد وفرط إذا قصر قال الشاعر :

لا خير في الإفراط والتفريط

كلاهما عندي من التخليط

وقلت في كتاب المبهج : أياك والإفراط الممل ، والتفريط المخل .

و (أفعل) يكون بمعنى فعل نحو استقى وسقى وأمضه الود ومحضه ، وقد يتضادان نحو نشط العقدة إذا شدّها وأنشطها إذا حلّها .

(وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وخاربه وقاتله ويكون بمعنى فعل كقوله عز وجل ، قاتلهم الله أي قتلهم .

(وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى به ويكون بمعنى أظهر نحو : تفاعل وتجاهل وتماضى وتساكر إذا أظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا وليس بفاعل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفعّل) يكون بمعنى فعل نحو تخلّصه إذا خلّصه كما قال الشاعر :

تخلصني من ففلة الفي منمما

وكنّت زمانا في ضمان أساره

وكما قال عمرو بن كلثوم :

تهددننا وأعدننا رويدا

متى كنا لأمك مقتوبنا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ويكون لأخذ الشيء نحو : تأدب وتفقه وتعلم ويكون تفعّل بمعنى : فعل نحو تعلم بمعنى أحلم كما قال القطامي :

تعلّم أن يفض الشر خير

وإن لهذه القمم انقشاما

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعظم أي تعظم واستكبر أي تكبر ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استنظم واستسقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر أي قر ويكون بمعنى صار ، نحو استنوق الجمل واستنسر البغاث .

(وافتمل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى أي شوى وأفتنى أي قنى أي كسب ، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر وأفتتن وأما افتمل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرتة فانكسر وجبرته فانجبر وقلبتة فانقلب قال ابن جني : « فإذا رأيت العرب أصلحوا الفاظها - العربية - وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوها غروبها وأرهفوها فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحسينه وتركيبه وتقديسه وإنما المبني بذلك منه الاحتياط لنموه عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يعر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويفض منه كدرة لفظه وسوء المباشرة عنه .

وذاك أن العرب كما تعني بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى وبالإسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها . فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأهم قدرها في نفوسها فأول ذلك منابتها بالفاظها فإنها لما كانت عنوان معانيها وطريقا إلى اظهار أغراضها وبراميسها أصلحوها ورتبوها وبالفوا في تعبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد .

فكان العرب إنما تحلي الفاظها وتبجحها وتشبيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراها وتوصلا بها إلى أدراك مطالبها وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحرا فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد وأشراكا للقلوب وسببا وسلما إلى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك أن الالفاظ خدم للمعاني والمخدوم لا شك أشرف من الخادم والأخبار في التلطف بفدوية الالفاظ إلى قضاء الحوائج أكثر من أن يؤتى عليها أو يجشم للحال تعب بها .

وأعلم أنه لما كانت الالفاظ للمعاني أزمه وعليها أدلة واليها موصلة ، وعلى المراد منها مخرصة عنيت

عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة وهي الحروف أو الاصوات الثلاثة . وثبات قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرة أو مختفيا مستترا . خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وان طريقتها حيوية توليدية وليست آلية جامدة .

قال الدكتور عثمان امين : واذا اردنا مثلا على ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف فلننظر الى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية . فهو يرى في كلمة مثل « صهر » اي اذاب الجسم بالنار انه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور ، وفي العربية منهجا آخر مخالفا للغات الاخرى فان العربية تسهل بالحركات على المعاني المختلفة . من غير ان تكون تلك الحركات اثرا لمقطع او بقية من اداة فيكون ذلك في وسط الكلمة واولها وآخرها فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول نحو : كتب وكتب وبين الفعل والمصدر في مثل علم وعلم وبين الوصف والمصدر في مثل فرح وفرح وبين المفرد والجمع في مثل اسد واسد وبين الفعل والفعل في مثل قدم وقدم وبين الاسم والاسم في مثل : سحور وسحور .

2 - العربية وفلسفة الاعراب

اللغة العربية : من اللغات العربية المنبت الواسعة الافق اتسعت فاحاطت بأبعد انطلاقات الفكر وارتفعت حتى صعدت ارقى اختلاجات النفس .

ولقد زادت مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الذي تعيشه الانسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الاصلالة الجاهدة المولدة المعطاة . والميزات المعطاة المتطورة .

العرب بها فاولتها صالحا من تثقيفها واصلاحها (1) . وشيء آخر يجعل اللغة العربية اكثر مرونة في الواقع من غيرها . وهو انها اكثر اللغات قبولا للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة ان تؤدي معاني الحضارة والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الاصلي وتلويحه اذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلا الا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة ، وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس وما هو حركة في الجوارح . العربية تفرق مثلا بين الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسي كرادوفو الى هذه الظاهرة فلم يسعه الا ان ينوه بها في كتابه عن الغزالي فقال « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي والكبر الخارجي . الداخلي هو اعتماد في النفس والخارجي ناتج من افعال الجوارح واللفظ الفرنسي الذي يدل على معنى الكبر هو Orgueil اما التكبر فاولى ان يكون مرادفه الفرنسي Superbe .

ولاحظ كارا دوفو ايضا ان هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية ليس من اليسور نقلها في لفظ واحد الى اللغات الاخرى . وخلص من هذه الملاحظة الى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق ما دام ان احداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بان تميز بين الحالة النسبية وبين العادة البدنية التي تطابقها . ولا نزاع في ان منهج اللغة العربية الفريدة في الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل ادائها في اللغات الاخرى في نطاق التركيز الجواني الذي هو شيمة الاسلوب العربي الاصيل وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بانه « اخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الاصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلافا حروفا او هيئة .

وجلي : ان هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد اجزائه ويتصل بعضها ببعض باوصار قوية واضحة ، وتغني

وانك لتحس هذا في كلماتها التي تمثل
خطرات النفوس ونبضات القلوب وكل كلمة لها في
الجملة مكان يحس بها المتكلم أو تحس بها الكلمة
نفسها .

ولهذا صارت - بفعل عوامل مختلفة - لغة
حية بأوزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها متانة وأبانة
والصاحا من المعاني : الأعراب .

والعربية لغة تنوع في الإيضاح والإصالة والأعراب
أحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غاية الإيضاح
والانصاح من صلات الكلمات العربية بعضها ببعض
ومن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الأعراب يعتمد أهل
اللغة على القرائن وعلى إضافة كلمات إلى الجملة لفهم
المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما
لا يطرد - كما يقول صاحب الطراز - فأوجبت
العربية التفريق بين الفاعل والمفعول والا وقع اللبس
والإبهام .

والأعراب : مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت
عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه أي مبين له
وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا إذا برفته .
وذلك بأن تنسف أسفل حافره .

ومعناه : أنه قد بان بذلك ما كان خفيا من أمره
لظهوره إلى مرءاة العين بعد ما كان مستورا وبذلك
تعرف حاله أصلب هو أم رخو وأصبح هو أم
سقيم وغير ذلك .

وأصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لما
يمزى إليه من الفصاحة والأعراب والبيان ومنه
قولهم في الحديث « الشيب تعرب عن نفسها »

والعرب صاحب الخيل العرب والعرب عليه قول
الشاعر :

ويصهل في مثل جوف الطوى

صهيلا تبين للمعرب

أي إذا سمع صاحب الخيل العرب صوته علم
أنه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجمعة وذلك
أن يوم الجمعة أظهر أمرا من بقية الأسبوع لما فيه من
التأهب لها والتوجه إليها وقوة الأشعار بها قال
الشاعر العربي القديم :

يوالم رهطاً للعروبة صيما

ولما كانت معاني السمين مختلفة كان الأعراب
الدال عليها مختلفا أيضا . وكأنه من قولهم : « عربت
معدته » أي فسدت . كأنها استحالت من حال إلى
حال ، كاستحالة الأعراب من صورة إلى صورة .

الأعراب إذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى
بعض الباحثين والدراسين من علماء مقارنة اللغات
أن الأعراب أرقى ما وصلت إليه اللغات في الوضوح
والإبانة وهذه المرتبة قد بلغت العربية الفصحى ،
ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية
واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة إلا
الألمانية .

أما اللغات الآرية الحديثة - وتشمل معظم لغات
أوروبا الحديثة - فقد خلت من حالات الأعراب ولا مميز
فيها بين الرفع والنصب والجعر ، وإنما يقوم مقامها
الحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر
أو بتقديم الألفاظ وتأخيرها مما لا يخرج من الوضع
الخارجي في المكان ، هذا في حين أن اللغة العربية
قد استلزمت من أول الأمر - ما دام الأعراب مرعيا -
وأن يكون الفكر الواهي محددا للوضع الخارجي وأن
يكون النظر إلى المعنى هو المبرر للتقديم والتأخير
وتأكيد الاستناد ، وغير ذلك ألا ترى أنك إذا
سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيد أبوه ، علمت
يرفع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من المفعول ولو
كان الكلام نوما واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فبالأعراب يعرف الخبر من الإنشاء والمفعول
من الفاعل وبه يتميز المضاف من الممنوع والمتعجب من
الاستفهام والنعت من الحال إلى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز أغراض المتكلم عند السماع
يكفي فيه الأعراب فالأعراب في مثل (ما أحسن زيد)
بفتح نون أحسن وضم دال زيد كانت « ما » نافية
وإنت تريد أن زيدا لم يحصل منه أحسان .

وإذا قلت (ما أحسن زيدا) بفتح النون والدال
كانت « ما » تعجبية وإنت تريد أن شيئا عجيبا جعل
زيدا حسنا .

وإذا قلت (ما أحسن زيد) بضم النون وكسر
الدال ، كانت « ما » استفهامية وإنت تريد معرفة
أي شيء حسن لي زيد علمه أم أدبه أم أخلاقه ..
الخ ..

وقد يفرقون بين المعاني بالحركات وغيرها
فبالحركة يقولون : « مفتاح » للالة بكسر الميم وفتح التاء
و« مفتاح » بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز
بناء التانيث وعدمها فيقولون امرأة طاهر بدون
التاء اذا ارادوا طاهرة من الحيض لان الرجل لا
يشاركها فيه واذا ارادوا طاهرتها من العيوب الخلقية
قالوا امرأة طاهرة لان الرجل يشاركها فيها فيحتاجون
الى التمييز بينهما ومثله امرأة قاعد اذا اثقلها الحمل
وقاعدة من القعود اي جالسة لان الرجل يشاركها فيه
فيقال : رجل قاعد . ويروى ان رجلا دخل على امير
المؤمنين علي - كرم الله وجهه - فقال له من فير
اعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له امير المؤمنين
« بين الفاعل من المفعول رضى الله فاك » .

وبنت ابي الاسود الدؤلي وفقت مرة تشاهد
السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لايها « ما احسن
السماء » فقال ابوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا
اسأل وانما انا اتعجب » فقال لها اذن قولي « ما احسن
السماء » وافتحي فاك . وسمع ابو الاسود قارئا
يقرأ قوله تعالى « ان الله بريء من المشركين ورسوله »
بكسر اللام في رسوله فأكبر ابو الاسود ذلك وقال :
عز وجه الله ان يبرا من رسوله .

وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب
للمصحف بأمر زياد .

ويروى ابن قتيبة ان رجلا من الخوارج مدح
رئيسهم شيبا بن يزيد الخارجي بقصيدة في بيت
منها :

ومنا سويد والبطين وقعناب

ومنا امير المؤمنين شبيب

فاخذه عبد الملك بن مروان وساله وهو يحاكمه
عن هذا البيت فقال لم اقل هذا بل قلت : ومنا امير
المؤمنين شبيب بفتح الراء في امير اي يا امير
المؤمنين فأمر بتخلية سبيله .

وقد أشار ابن خلدون في مقدمته الى الاعراب
عند العرب فقال : ان كلامهم أي العرب - واسع ولكل
مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة
الا ترى ان قولهم : زيد جادني مغاير لقولهم : جادني
زيد . من قبل ان المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم .

فمن قال : زيد جادني أفاد ان اهتمامه
بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التعبير من
اجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او مبهم
او معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد
قائم وان زيدا قائم وان زيدا قائم متغايرة كلها في
الدلة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول
العاري عن التأكيد انما يفيد الخالي الدهن والثاني
المؤكد يفيد التردد والثالث يفيد المنكر .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات،
نوهوا بخصوصية الاعراب في العربية قال العلامة
« بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بثروة عظيمة
من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبير عن
علامات الاعراب والنحو ذروة التطور في اللغات
السامية .

وقال البحانة : « لوي مسينيون » في حين
ان اللغة السريانية قد نقلت أجروميتها عن اللغة
اليونانية نقلا صرفا ، استطاعت لغة الفداد ان تشيد
بناء ضخما من الاعراب يضع امام الابصار مشهدا
فلسفيا ذا روعة واصالة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لافهام المعاني
الدقيقة والمعاني الثانوية التي تصل الى نهاية الابداع
وكمال الصنع ، ما يملك على السامع مشاعره
ويستخدم حواسه ويدفعه حيث يشاء .

والاعراب في ذاته فلسفة لغوية تضع كل شيء
في مكانه الملائم له وتمطي كل ذي حق حقه .

فلا ابهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بل
وضوح وابانة وهدى وانصاح .

(3) العربية والحركة

اللغة العربية من ارق اللغات منبتا واكثرها
رسوخا واقواما جلادة واشدها پنيانا وفي ظل
الحضارة الاسلامية صارت ابعاد اللغات مدى واوسعها
افقا واقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر
التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطاعت العربية في رحاب عالمية الاسلام ان
تتسع لتحيط بأبعاد انطلاقات الفكر وترتفع حتى تعد
ارقى اختلاجات النفس .

ونبع : خرج من العين ، ونبع :
خرج وظهر

الى اخر ما هنالك من الكلمات التى تتشابه فى
الاصل والعربية فى مبريتها لم تكتف بهذا المنطق
الذى هو فى حد ذاته قاعدة بل عمدت الى اكثر من
ذلك وما هي ظاهرة من ظواهر حياتها حتى فى
الكلمات فهي تتساهل اشمل ما يكون التساهل حيال
من يتكلمها كما يفعل الرجل الشهم اراء صاحبه
تماما ، خذ مثلا كلمة « فضرور » ان اجتماع الفين
والضاد يثقل احيانا على اللفظ وتناسق الحروف فى
الكلمة يجعلها سرية الانفصال من اخواتها فى
العبارة وفى السرعة ، فماذا تفعل العربية لتتلافى
هذا الامر انها تتساهل معك وتقول لك اذا لم تستطع
ان تلفظ كلمة « فضرور » فالفظ « فضرور » فانها
هي نفسها ، فهي لا تنعت الى الدرجة التى تشمر
بالبخس لها ، بل هي تأخذك بالحسن .

وكان اللغة العربية بهذه الحركية والحياة تريد
ان تدفع بآبناء الاسلام الى المجد دفعا وتصل بهم فى
ظل القردان الكريم الى ذروة ما قدر لهم من نجاح وعز
وسؤدد ، وتفسر فيهم حب العمل والحركة
والاعتماد على ان لا امل لهم الا فى انفسهم وتبعث
فى قلوبهم النشاط وتفتح السكون والاستكانة فلا
ينبغي ان تكون لغة القردان متحركة حية واهلها
جامدون ساكنون .

ولقد احرب عن الحياة فى اللغة العربية العالم
النحوي ابو الفتح عثمان بن جنى فوضح القول من
الكلام والقول وانهما يدلان على الحركة والسرعة
والقوة .

وذكر ان معنى « ق و ل » ابن وجدت وكيف
وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره منه
انما هو للخوف والحركة وجهات تراكيبها الست
مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهي :

ق و ل ، ق ل و ، و ق ل ، و ل ق ،
ل ق و ، ل و ق .

الاصل الاول : « ق و ل » وهو القول وذلك
ان الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمدلان به وهو
بضد السكوت الذى هو داعية الى السكون الا ترى
ان الابتداء لما كان ماخذا فى القول لم يكن الحرف
المبدوء به الا متحركا ولما كان الانتهاء ماخذا فى
السكوت لم يكن الحرف الوقوف عليه الا ساكنا .

ولقد زادت مروتها وقهرتها على التفوق ببلورا
وتفاعلا ونماء واعطتها طاقة خلقة وحياة مدهشة .

وكان لحركتها التى امتازت بها : الاصالة
الجاهدة المولدة المطاوعة والميزات المطوعة المتطورة ولم
تعد حروفا وقوالب فارغة يملأها الفكر فتحملة ،
بل انها بعض الانسان المسلم بعض كينونته ، هو
ينوعها وهي مجراء وقلنا انها بعض الانسان المسلم
لأنها لغة القردان الكريم وانك لتجد الاحساس العميق
متمتلا فى مفرداتها ويتجلى هذا فى التركيب ، لكل
كلمة لها فى الجملة مكان يحس بها التكلم وان شئت
عبارة اخرى نقل : تحس بها الكلمة نفسها .

وتكاد تمثل كلماتها خطرات النفوس وتصور
الفاظها مشاهد الطبيعة تكاد تتجلى معانيها فى اجراس
الانفاظ وتتمثل فى نبرات الحروف كأنما كلماتها
نبضات القلوب ورحيق الحياة ومشاغل القوة .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من
الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات
تمجز اللغة العربية ، عن تصويرها بالاحرف والكلمات
تصويرا صحيحا هي المقاطع يارز القسمات .

والحياة فى العربية حياة خلقة مبدعة ذات
مبرية خاصة وكلماتها تنعم بهذه الحياة فى الحين
الذى نجد الكلمات فى سائر اللغات أدوات جامدة
لا يعرف فيها معنى الحياة الا بعد ان تجتمع منها الى
بعضها وتؤلف عبارة .

واذا كانت بقية اللغات أدوات للتعبير متى
بلغتها فقد بلغت الغاية القصوى وانتهت مهمتها فان
اللغة العربية لا تكتفى بهذه الغاية بل هي تريد ان
يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد هدفها الى اكثر
من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال واللون
والذكاء فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتوالد من نفسها
لأنها فى تفاعلها وتطورها كأنها كائن حي يذهب ويحيى
وتنمو فيه العواطف والاحاسيس ، وكلماتها الحية
ذات الاصول الثابتة تتفرع منها المعاني المتقاربة لمثلا:
النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجدر فى مختلف
معاني البروز انظر الى فروع هذا الجدر فتجد ان
معنى :

نبت : برز من الارض ، ونبت : اخرج
ماء البشر

الاصل الثاني : « ق ل و » منه القلو حمار الوحش وذلك لخفته واسرعه قال العجاج :

تواضح التقريب قلو مغلجا

ومنه قولهم : قلو البسر والسويق فهما مقلوان وذلك ان الشيء اذا قلى جف وخف وكان اسرع الى الحركة والطف قال :

قد عجبت مني ومن بعليبا

لما راتني خلقتا مقلوليا

اي خفيفا للكبر طائشا

قال :

وسرب كمين الرمل عوج الى الصبا

بواصف بالحدادي حور المدامع

سمن فناء بعد ما نمن نومة

من الليل فاقولين فوق المضاجع

اي خففن لذكره فزال عنهن نومهن واستلقاوهن

على الارض .

الاصل الثالث : « و ق ل » منه الوقل للوعل ،

وذلك لحركته وقالوا : توقل في الجبل اذا صعد فيه وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعتمال .

قال ابن مقبل :

عودا احم القرا ازمولة وقلا

ياني تراث ابيه يتبع القدنا

الرابع : « و ل ق » قالوا ولق يلق اذا اسرع

قال :

جاءت به عنس من الشام تلق

اي تخف وتسرع وقريء « اذ تلقونه بالسنتكم »

اي تخفون وتسرمون .

الخامس : « ل و ق » جاء في الحديث لا اكل

من الطعام الا مالوق لي .

اي ما خدم واعملت اليد في تحريكه وتلييقه

حتى يطمئن ونضام جهاته ومنه اللوقة للريدة وذلك لخفتها واسراع حركتها .

(2) حتنى : اي مستوية

السادس : « ل ق و » منه اللقوة للمقاب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها قال :

كاني بفتخاء الجناحين لقوة

دخوف من العقبان طاطات شمالا

ومنه اللقوة في الوجه والتقاؤهما : ان الوجه اضطرب شكله فكانه خفة فيه وطيش منه وليس له مسكة الصميم ووفور المستقيم ومنه قوله :

وكانت لقوة لاقت قبيسا

واللقوة الناقة السريعة اللقاح وذلك انها اسرعت الى ماء الفحل فقبلته ولم تنسب عنه نبو العاقر .

واما « ك ل م » فهذه ايضا حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها اصول خمسة وهي : ك ل م ، ك م ل ، ل ك م ، م ك ل ، م ل ك واهملت منه ل م ك فلم تات في ثبت .

فمن ذلك الاصل الاول « ك ل م » منه الكلم للجرح وذلك للشدة التي فيه وقالوا في قوله تعالى : « دابة من الارض تكلمهم » قولين احدهما من الكلام والآخر من الكلام (بضم الكاف) اي تجرحهم وتاكلهم وقالوا : الكلام (بضم الكاف) ما فلفظ من الارض وذلك لشدة وقوته ، وقالوا رجل كليم اي مجروح وجريم قال :

عليها الشيخ كالاسد الكلم

الثاني : « ك م ل » من ذلك كمل الشيء وكمل فهو كامل وكميل وعليه بقية التصرف والتقاؤهما : ان الشيء اذا تم وكمل كان حيثل اقوى واشد منه اذا كان ناقصا غير كامل .

الثالث : « ل ك م » : منه اللكم اذا وجات الرجل ونحوه ولا شك في شدة ما هذه سبيله انشد الاصمعي :

كان صوت جرمها تساجل

هاتيك هانا حتنى (2) تكابل

لدم العبي تلكمها الجنادل

الحكمة : كلمة ثقافية جلية وهي كلمة عصامية نشأت وارتفعت من اصل متواضع اصلها من اربطة الدواب ، ان الحكمة جاءت من « الحكمة - وزان السمكة - وهي جزء من لجام الفرس : الجزء المحيط بالحنك من اللجام قالوا - العرب الاقدمون « حكمت الفرس واحكمته » - من باب ضربته وادبته بمعنى وضعت الحكمة في فمه ، ووضعك الحكمة في فم الفرس يعني سيطرتك عليه ، ومن هنا صار « الاحكام » وزان الاحسان يعني التوثيق والالتقان ، وصار « الحكم » وزان اللطف يعني السيطرة ، و«الحاكم» يعني المسيطر والامر والسلطان ، ثم اشتق من هذه المادة «التحكم» وهو تكلف الحكم او التصف فيه وبعد ان ثبت هذا المعنى للحاكم اشتقوا منه « المحاكمة » فقالوا : «حاكمت الرجل» بمعنى خاصمته الى الحاكم ، و«تحاكم الرجلان» اليه بمعنى تخاضعا اليه « فحكم بينهما » أي اصدر حكمه فيهما ، ومن هنا صار «الحكم» يعني القضاء أي الفصل بين «المتحاكمين» أيضا ومن هنا اشتقت «الحكمة» وهي دار «الحكم» او دار «المحاكمة» او دار «التحاكم او الاحتكام» ، وصار الحاكم يعني القاضي وهكذا أصبح للحاكم معنيان : أحدهما : الامر المسيطر ، والثاني القاضي والقاضي غير القاضي الشرعي ، يسمى في العراق «الحاكم» والجمع «الحكام» وبعد ان اخذت الكلمة معنى القضاء أصبح من السهل اشتقاق «الحكم» - وزان القلم والتحكيم منها ، كذلك أصبح للتحكيم نفس المعنيين أي التسليط وطلب الراي فقالوا مثلا : حكم الرجل عاطفته او عقله في المسألة بمعنى سلب عاطفته عليها او عرضها على عقله للوصول الى رأي فيها ، وقالوا : حكمناه في الخلاف بمعنى طلبنا حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة) بمعنى طلبنا حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة) بمعنى : « حكم الحكم » فقال شاعرهم :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

ولكننا لا نستعمل «الحكومة» الآن الا بمعناها السياسي المعروف .

ولما كان الناس انما «يحتكمون» الى ذي عقل وفطنة فقد اصطبغ «الحكم» وزان الشكر - بهاتين الغصلتين ، أي العقل والفطنة بالإضافة الى معنييه

السابقين الامرة والقضاء وقد جاء في القرون : « وادبناه الحكم صبيا » أي وادبناه الحكمة

ومن الحكم بمعنى الحكمة اشتقوا « الحكيم » مثل اشتقاق الطبيب من الطب واللطيف من اللطف ، والنبل من النبل وبسبب ازدحام المعاني على كلمة «الحكم» اختصت لفظة الحكيم بمعنى الحكمة وقيت « الحاكم » تعني الامر او القاضي ولا تعني الحكيم خلافا للامر والامير والفاضل والفضيل والجاهل والجهول التي تشترك كل واحدة منها في معنى صنوها .

وقد كثر استعمال صيغة « الحكمة » لمعنى الحصافة والفطنة لانها أبين من الفرض من لفظة « الحكم » المزدوجة المعنى ، التي كانت ما تزال تستعمل في كلا المعنيين عند ظهور الاسلام وهكذا زال معنى الحصافة من الحكم والحصيف من الحاكم بدافع من الرغبة في اجتناب اللبس فتخصص معناها في التسلط والقضاء كما زال معنى الامرة من «الحكمة» و«الحكيم» فاخص معناها بالحصافة ولما كانت المحاكمة تتطلب مناقشة القضايا وتمحيصها ، فقد صارت هذه الكلمة تعني بالإضافة الى ما تقدم نفاذ الفكر وسداد المنطق فقالوا : « فلان قوي المحاكمة » أي ناقب البصيرة في تمحيص المسائل العقلية دون ان يكون للامر علاقة بالقضاء بين المتحاكمين من الناس .

وفي العهد الاسلامي اطلقت « الحكمة » على الفلسفة وما هو بسبيلها من العقلانيات ثم اطلقت « الحكمة » على الطب وسمي الطبيب حكيما وظاهر ان سبب ذلك هو ان الكثيرين من « الحكماء » - أي الفلاسفة زاولوا الطب على ذلك العهد مثل الكندي والخيام وغيرهما .

ولا بأس ان نورد هنا مثلا كان شائعا في العراق . يوم كان الطبيب يسمى حكيما هو قولهم : « لا سلط الله عليك حاكما ولا حكيما » ولا زال يستعمل في صعيد مصر .

وهكذا تعددت مناحي تطور هذه الكلمة فنصار لها نشاطها الخلاق في ميادين السياسة والادارة والقضاء والفلسفة والطب بالإضافة الى معناها الثقافي العام .

هذه هي الحياة في اللغة العربية حياة جعلتها أكثر مرونة من غيرها من اللغات فانت ترى انها أكثر

فالعربية بحيويتها المدهشة لم تمجز ولم تضق
بكل ما أدركه الإنسان من علم وثقفة من صناعة ،
والعربية لغة القروان الكريم ، القروان الذى حفظها
رغم ما مر بها من عصور الركود والجمود وما نشأت
فى ظل القروان تفيض بالقوة والانطلاق .

(للحديث بقية)

اللفات قبولاً للاشتقاق ، وجلبى ان طريقة العربية
فى توليد الالفاظ بعضها من بعض جعلت من اللغة
جسماً حياً تتوالد اجزائه ، ويتصل بعضها ببعض
بأواصر قوية واضحة وهذا الارتباط بين الفاظ
العربية الذى يقوم على ثبات عناصر أصيلة خصبة
عظيمة تسمح لنا بالقول بان ارتباطها حيوي وان
طريقتها توليدية .

المراجع

- (1) الخصائص لابن جنى طبعة الفجالة بمصر سنة 1913 م .
- (2) الكامل للمبرد . القاهرة سنة 1956 .
- (3) الطراز لليمنى الجزء الاول .
- (4) عيون الاخبار لابن قتيبة - القاهرة .
- (5) ادبيات اللغة العربية طبعة 1909 .
- (6) الفلسفة اللغوية . جورجى زيدان .
- (7) مقدمة ابن خلدون طبع كتاب التحرير سنة 1966 القاهرة .
- (8) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين .
- (9) تاريخ آداب اللغة العربية جورجى زيدان الجزء الاول .
- (10) أحياء النحو ابراهيم مصطفى 1926 م القاهرة .
- (11) الزهر للسيوطي طبعة دار احياء الكتب العربية
- (12) فقه اللغة للثعالبي المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .
- (13) فقه اللغة لمحمد المبارك . دمشق 1960 م
- (14) مجلة الاقلام المجلد الاول . العراق .
- (15) مجلة اللسان العربي . الرباط المغرب . « جميع الاعداد الاربعة الاولى » .

هَلْ كَانَتْ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةً خَلِيلِ الرَّحْمَنِ؟

الأستاذ علي الخطيب ، مجمع بحوث الإسلام ، القاهرة

صفحات عدة من هذا السفر العظيم (1)، نوجز تلخيصه وتحديد موضوعاته فيما يأتي :

1 - تحدث عن الشخصيات الطاهرة التي نزلت مكة وقت كان ليس بها أحد ولا ماء ، وهم : الخليل إبراهيم ، وهاجر وابنهما الرضيع اسماعيل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

2 - نبع زمزم لهاجر وولدها .

3 - قدوم بطن عربي جرهمي واستئذانه هاجر في السماح له بالإقامة في مكة راضين بشرطها « الا حق لهم في الماء » ، واستقدموا أهلا لهم ، وقد شب اسماعيل عليه السلام بينهم ، وتزوج منهم مرتين .

4 - زيارات ثلاث لل خليل الى مكة لوديعته - هذا الاولى التي قدم فيها بأهله اليها ، وكان آخرها تلك الزورة التي بنى فيها البيت مع ولده - عليهما الصلاة والسلام - وأمر فلان في الناس بالحج .

وهذا الحديث الشريف يعطي حقائق موضوعية هامة توضح بعض ما غاب عن التاريخ في منهجه الحديث :

اولها : بيانه الواضح من مبدأ تاريخ العمران في مكة ، والذين يمتنون بتسجيل العصر التاريخي للامم القديمة ليس امامهم وثيقة ادق من هذا الحديث لبيان بدء العمران بمكة وارتباع الناس فيها وسكنها بها ، فاذا كان الخليل - صلوات الله عليه - قد عاش

لغة خليل الرحمن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - شغلت الباحثين من علماء الاديان في العصر الحديث ، وبخاصة بعض الدين يهتمهم أن ينحرفوا ببحوثهم في اتجاه معين مسبوق بتخطيط ينسلك بسببه العرب من صلتهم بال خليل ، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام .

واذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - قد وضع كتابه : « ابو الانبياء : الخليل إبراهيم » و « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » وتصدى فيها لهذه القضية واستطاع أن يرد الى نحر المنحرفين سهامهم . وتبع - رحمة الله عليه - منهج « تقصي الحقائق » في بحثه الذي اشتمل عدة مناهج ثلاث نتاجها في النهاية عند حقائق مثيرة تثبت صلة إبراهيم الخليل الوثيقة بالعروبة في وقت مبكر يقع بين القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد .

ونحن نقصر هنا - مستعينين بالله - على منهج « الحديث النبوي الصحيح » في الكشف عن لغة خليل الرحمن ، فان السنة المطهرة قد استقام بها كثير من حقائق التاريخ والكون حين تعرض لها رسولنا الكريم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد ساق الامام البخاري رضي الله عنه في صحيحه حديثا ، رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، إبان من أمر الخليل بمكة وأفاض فيه حتى ليكاد يكون الحديث الوحيد الذي استوعب

(1) صحيح البخاري 172/4 مطابع الشعب بالقاهرة 1378 هـ

بين القرنين السالفين من قبل الميلاد ، كان ذلك يعني ان هذه الفترة مبدا دخول مكة عصرها التاريخي .

ثانيها : يوضح هذا الحديث الشريف فى جلاء نادر « حلقة مفقودة » لدى المؤرخين الذين توصلوا الى ممالك الاسماعيليين فى شمال الجزيرة مثل : تيماء ، ودومة الجندل وغيرها ، دون ان يصلوا - عن طريق منهجهم - الى «مهاد» هذه الرؤوس الشريفة من ابناء اسماعيل ، اعني الصدر الاول من ابناءه لا احفاده ومن بعدهم ، فقد ظلت هذه المهاد حلقة مفقودة الا فى هذا الحديث ، فهو وحده الذى يقدمها عبر ضوء شديد ينير من حولها كل السبل ويقطع بان الاسماعيليين صعدوا من الجنوب (مكة) فامتلكوا فى الشمال (اعالي الجزيرة) وليس العكس.

ثالثها : لغة خليل الرحمن - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، وهنا يعني ان نتحدث عنها وحدها دون ان نتعرض للغة اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وذلك الامر واحد ، هو ان اسماعيل نشأ رضيعا فى قبيلة جرهم وتلقى العربية منهم ، وفى هذا الحديث الشريف جاء عنه .. « وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم » لذلك نريد ان نتحدث عن لغة خليل الرحمن وحده ، وهو الذى لم يقطن مكة ولم يجاور جرهم الاسويحات فى الزيارة الثانية والثالثة ، ومدة بناء البيت فى الرابعة . اما الاولى فلم يكن بمكة يومئذ احد وربما لم يمكث فيها ساعة من نهار ، وها هو الجزء من الحديث الخاص بها ، قال ابن عباس رضى الله عنهما عن «هاجر» - عليها السلام : ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى اهل السجد ، وليس بمكة يومئذ احد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم ! اين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذى ليس فيه انس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : الله الذى امرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت . »

ولا يمكن ان يقال : ان ابراهيم مكث شيئا ذا بال بمكة ، انه ما ان وضعهما حتى انطلق راجعا ، وبالتالي ما كان فيها من احد غير اهله .

ولما كانت الزيارتان الثانية والثالثة كلاهما ذا اهمية فى الموضوع نسوقهما لتعرف منهما : ما لغة

خليل الرحمن عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ؟ وكلتاها كانتا بعد زواج اسماعيل صلى الله عليه وسلم . واسماعيل تزوج مرتين من قبيلة جرهم العربية ، قال :

« فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد اسماعيل ، فسأل امراته عنه ، فقالت : خرج يتغى لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيتهم فقالت : نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت اليه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئني عليه السلام ، وقولي له : بغير عتبه بابيه ، فلما جاء اسماعيل كانه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك ، فاخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فاخبرته : انا فى جهد وشدة ، قال : فهل اوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، امرني ان اقرا عليك السلام ، ويقول : غير عتبه بابك ، قال : ذلك ابي ، وقد امرني ان افارقك .. الحقى باهلك ، فطلقها »

هذه كانت الزيارة الثانية ، ويمكن ان يضع لها القاريء تقدير الوقت الذى استغرقته ، وهذه هي الثالثة .. قال :

وتزوج منهم (يعنى من جرهم التى تزوج منها اولا) اخرى ، فلبث منهم ابراهيم ما شاء الله ، ثم اتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امراته فسألها عنه ، فقالت : خرج يتغى لنا ، قال : كيف اتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، واثنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت الماء ، قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دها لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئني عليه السلام ومريه يشب عتبه بابيه . فلما جاء اسماعيل قال : هل اناكم من احد ؟ قالت : نعم ، انا شيخ حسن الهيئة ، واثنت عليه ، فسألني عنك فاخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فاخبرته انا بخير ، قال : فاوصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك ان تثب عتبه بابك ، قال : ذلك ابي واثنت العتبه ، امرني ان امسك . »

ونعيد لفت نظر القاريء الى النظر فى قدر هذه الزيارة الزمنى . ثم نلاحظ ان الخليل فى كلتي

الزيارين اعقبهما بالرحيل فلم يمكث بمكة مقدار شهر او اكثر حتى نقول : انه اخذ اللسان العربي ابان اقامته .

واذا كان من الحقائق الهامة التى يقدمها هذا الحديث الشريف ان زوجتى اسماعيل : الاولى والثانية من جرحم - اذ نص على ذلك حيث يقول عن الاولى : « فلما ادرك زوجوه امرأة منهم » ومن الثانية « وتزوج منهم اخرى » . - فهذا يعنى ان كلا الكتنتين مريبتان خالصتان ، ومن العسف ان يدعى مدع انهما تعلمتا لغة اخرى غير العربية .

كذلك ثبت لنا ان خليل الرحمن - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - لم يمكث بمكة قدرا يعلمه العربية ، وكان يخاطب كنتيه ، وقد انفرد بكل منهما - دون ثالث يمكن ادعاء انه ترجم بين لسانيهما .

وهذا امر يعنى - دون تردد - ان الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - كان ذا لسان عربي مبين فما كانت «المخاطبة» بينهما - فى كل مرة - كلمة عابرة تؤديها اشارة ، ولكنها حوار دار بين اخذ ورد انتهى بحكمه على كل منهما ، فواحدة كانت شؤم بيت زوجها والاخرى كانت حسنه وخيره

واذا كان الخليل - عليه السلام - ذا لسان عربي ولم يكن من اهل مكة ، ولا كان من اهل الجنوب (اليمن وما حولها) وكان من الشمال ، فهذا يعنى ان العربية كانت مهيمنة - كلفة حياة ومعاش - فى هذا الشمال الذى كان فيه الخليل وهنا نلتقى بالاستاذ العقاد - رحمة الله عليه - الذى يعطى بحثه نفوذ العربية القديمة فى شمال الجزيرة حتى تخطت العراق وما كان الى غربه وشماله .

وحتى يتم لقاء «علمي» بين الحديث الشريف و « التاريخ » فى منهجه الحديث ينبغي النظر فى الهجرات العديدة التى تمت فى العصر التاريخي لجنوب الجزيرة ، اعني منذ اربعة آلاف سنة من قبل الميلاد ، فقد توالى هجرات منه الى الشمال فى خطين . وامتلك بعض هذه القبائل الشمال ودان لها ، وفى منتصف هذه الالف الاربعة ظهر الخليل عليه السلام كعربي اصيل ، لانه منها ، ولانه يستحيل ايضا ان يدعو الى دين الله فى قلب الجزيرة : ويؤذن للناس بالحج - وفى مقدمتهم جرحم القاطنة حول البيت - بلسان غير عربي ، قال تعالى : «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (ابراهيم 4) والحج شريعة الخليل عليه السلام .

ولسنا نقول : انه عليه السلام تحدث بالعربية التى هي مريبتنا - اعني لغة القرءان الكريم التى بها انزل - لكنها عربية زمانه بفصاحتها ، وما من شك انها كانت وثيقة الصلة : اصولا وفروعا بعربية القرءان الكريم .

ولقد اوحى الى رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ببعض دعائه فى تعويذة كان يصود بها ولديه : اسماعيل واسحاق عليهما الصلاة والسلام ، فعوذ بها المصطفى - صلى الله عليه وسلم ولديه : الحسن والحسين ، فقال : اميذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة «

قد لا تكون من الالفاظ ، لكنها العربية ، وليس الفرق بينهما الا ان الاولى عربية الخليل عليه الصلاة والسلام ، والاخيرة عربية المصطفى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الحياة في اللغة العربية

الأستاذ إلياس قنصل، المرحوم

- 1 -

شكيلة خلاصتها اضافة زوائد على الكلمة او تفجير آخرها .

وهذا التحوير يكبر الكلمة في « المين » مقط .
وما هكذا اللغة العربية .

ان اللغة العربية حين تود ان تضع الكلمة في قالب المبالغة تعتمد الى « الحياة البشرية » منتبس منها ما يثبت في الكلمة روح هذه الحياة .

واترك الموضوع قليلا على ان امود اليه بعد سطور .

ان الرجل الذي ينعم بميزات الرجل لا يستطيع ان ينال من تحديقك اليه ما ينال الرجل الذي شامت الطبيعة ان تضع فيه بعض ميزات المرأة .

انك تمر بالرجل « العادي » فلا تحفل به .

ولكنك اذا مررت برجل قد برز نهاده — مثلا — فلا يسمعك الا التفكير به قليلا او كثيرا لان بروز النهدين من خصائص المرأة لا من خصائص الرجل .

وما نقوله عن الرجل نقوله عن المرأة .

ولا نعبأ بشمورك ازاء هذا التجاوز او ذاك على الحدود المرسومة لاحد الجنسين : ما نشير اليه هو ان هذا التجاوز يلفت نظرك .

وقد ادركت اللغة العربية هذه الظاهرة فطبقتها على صيغة المبالغة .

تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات بأن « الحياة » التي فيها حياة خلقة مبدعة ذات عبقرية خاصة . وفي الوقت الذي نجد بقية اللغات أدوات للتعبير متى بلغت مقد بلغت غايتها القصوى وانتهت مهمتها نجد ان الضاد لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريد ان يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد هدفها الى اكثر من ذلك فيتحول الى فكرة مستمرة للجمال والذوق والذكاء : فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية سواء بسواء .

ولو احببنا ان نضع الامر مثلا بسيطا يقربه الى الازمان لاستطعنا القول ان بقية اللغات كالساعات العادية تضبط لك الوقت اترب ما يكون الى الدقة ، اما اللغة العربية فكالساعة الذهبية التي لا يمكن الا ان تكون مثال الدقة في ضبط الوقت لان معدنها يحمل صانعها على مراعاة قيمتها وتوفير الانسجام بين آلتها الداخلية وغلافها الشمين — دفعة واحدة — آلة لمعرفة الوقت بالدقة المتناهية واداة للزينة تلفت الانظار ورصيد مادي يحتفظ بقيمته الابرائية .

ويأتيك البرهان في صيغة من صيغها العديدة :

« المبالغة » في ايسر صورها هي تضخيم الشيء بحيث يتوجه اليه الانتباه وقد حلت اللغات الاخرى هذه المشكلة — اذا جاز لنا ان نسميها مشكلة — بطريقة

وليعذرنا الجنسان — اللطيف والخشن — لما
أردنا الا تقريب القضية الى الاذهان .

ان لغتنا تمتاز كما اشرنا بهذه النفحة من الحياة
التي تطل من تراكيبيها وصيفها ومشتقاتها ومن كلماتها
ايضا . وهذا سر من اسرار عظمتها وهجروتها .

لقد حاربها الطغاة في مختلف عهودهم وحاولوا
ان يقتضوا عليها .

ثم .. ذهب الطغاة وظلت لغة المضاد —زود
القومية العربية بالقوة والجمال والخلود .

— 2 —

الحياة في اللغة العربية حياة خلاقة مبدعة ذات
عبقرية خاصة — كما اشرنا سابقا — وهي لا تكتسب
بمسيرة التطورات المستحدثة — كما تفعل بقية اللغات
— بل يجد الباحث فيها « حركة بشرية » في تعاملها .
فكانها كائن حي يذهب ويحيى وتلوح فيه المواقف
والاهاسيس .

ومن أبرز الميزات في اللغة العربية ان كلماتها تنعم
بهذه الحياة وبهذه الحركة التي نصف في الوقت الذي
نجد الكلمات في سائر اللغات أدوات جامدة لا ينب
فيها شيء من الحياة الا بعد ان تجتمع طائفة منها الى
بعضها وتؤلف عبارة .

كتبت فئة من المتبحرين في علم اللغة ان الكلمات
العربية ذات اصول ثابتة تنفرع منها المعاني المتعارفة
— مثلا النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف
معاني البروز والنبو — فانظر الى مروع هذا الجذر :

نبت = برز من الارض .

نبط = أخرج ماء البئر

نبح = خرج من المين

نبغ = خرج وظهر

نبق = خرج وظهر

نبك = ارتنع

الى آخر ما هنالك من الكلمات التي تتشابه في
الاصل .

هذا ما كتبه فريق من العلماء وقد اتخذوا كثيرا
من الاصول ادلة واضحة صريحة .

فاذا شامت ان تصف رجلا كثير الرحلات قالت
منه انه « رحالة » .

انها تقدمه لك وقد لحقت به التاء التي كان من
حقها ان تلحق بالكلمة المؤنثة . لمعلت ذلك لتلت نظرك
الى صفة المبالغة فيه .

واذا وصلت لك رجلا واسع العلم قالت عنه انه
علامة .

وعكسا .

ان اللغة العربية في عبقرتها لا تكتفي بالطريقة
الشكلية باضافة التاء الى الكلمة بل تعتمد كذلك الى
المعنى فتغير صفته وتلا « عينيك وخاطرك » في نفس
الوقت .

ان خصائص التانيث في الكلمة هي الوجه الآخر
الذي يضع امام « الفكر » صورة صادقة من المبالغة في
حين ان اضافة الحرف — التاء — وتثديد عين الكلمة
هي الوجه الاول الذي يضع امام « العين » الصورة
المطلوبة .

وانت تنتقل بالمبالغة من « المين » الى « الفكر »
ليتم المقصود من التحوير لتستطيع ان تلم اوسع الامام
بالمبالغة المتوخاة من التفسير .

وما ينطبق على الكلمات المذكورة ينطبق على
الكلمات المؤنثة ولكن بوسيلة مكسبة .

ان صيغة المبالغة في الاولى هي الحاق علامة
التانيث بها .

ومن الطبيعي والمنطقي ان تكون المبالغة في
الكلمات المؤنثة حذف علامات التانيث منها .

واذا بالمرأة التي تصون نفسها امرأة « مصون »
— لا امرأة مصونة — . واذا الحرب التي لا تبقى ولا
تذر الحرب الضروس — لا الحرب الضروسة — .

ان هذا التفسير او هذا القلب يجعل عينيك
تلتفت الى ما اريد من المبالغة ، ويجعل عقلك يمتليء
بالصورة التي وضعت لها .

ان تاء علامة ورهالة وما اليهما هي بروز النهدين
في الرجل .

وان حذف تاء التانيث من مصونة وضروسة وما
اليهما هي اللحية في ذن المرأة .

واجتهادنا الوضيع في هذا الصدد ان اللغة العربية في معبريتها لم تكتف بهذا « المنطق » الذي هو في حد ذاته قاعدة بل مبدت الى ابعد من ذلك . وما هي ظاهرة جديدة من ظواهر حياتها وحركتها حتى في الكلمات :

ان اللغة العربية « تتساهل » اسمى ما يكون التساهل حيال من يتكلمها كما يفعل الرجل الكريم الشهم ازاء صاحبه تهايا .

خذ مثلا كلمة غسروف :

ان اجتماع الفين والصاد يقتل احيانا على اللفظ وتناسق الحركات في الكلمة يجعلها سريعة الانفصال عن اخواتها في العبارة — وفي السرعة الزلل .

لهذا تفعل اللغة العربية لتتلافى هذا الامر ؟

انها تتساهل معك وتقول :

اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة « غسروف » فاللفظ كلمة « غرسوف » فانها هي نفسها .

وهكذا تترك لك اللغة المجال واسعا حتى اذا استثقلت اجتماع الفين والصاد وضعت بينهما الراء او اذا انسابت الكلمة من فمك سريعة الانفصال عن مكانها في العبارة امثت الزلل الذي يمكن ان تقع فيه من تناسق الحركات في الكلمة .

ان اللغة العربية لا تمنعت الى الدرجة التي تشمر بالبغض لها ، بل هي تاخذك بالحسنى فاذا انت من « نبالة عواطفها » ومن « شهامة اخلاقها » اسير لا تكاد تملك من امرك شيئا .

وهاك مثلا ثانيا :

« القاف » حرف حلقى يصعب لفظه على البعض ولا بد من لفظه على من يتكلم الضاد . ولكن اللغسة العربية لا تنزمت بل تتساهل كماداتها وتقدم لك برهانا جديدا على « طيب عنصرها » .

اذا لم يكن من الهين عليك ان تقول :

دق : ومعناها كسر .

فلا بأس قل :

دك : ومعناها هدم .

ان اللفظتين تتقاربان في الاداء بحيث يمكنك ان تنيب الثانية مناب الاولى — هذا اذا كنت كما اشرنا ترى من الصعب التلفظ بالقاف .

وهذا التساهل من طبع اللغة العربية ولا يسري على كلمة مفردة بل على كلمات كثيرة .

وليس من عمل الصدف ان تكون لفظة « ريك » تربية جدا من لفظة « رقيق » .

وليس من عمل الصدف ان تكون كلمة « قط » مرادفة لكلمة « قد » و « تت » .

وليس من عمل الصدف ان تكون « لفلض » و « لفلظ » بمعنى واحد تربيا .

واذا لم تشأ ان تقنع بهذا التساهل الفريد بين جميع لغات العالم احضناك الى الدليل الذي ما بعده دليل على ان التساهل هو من طبع هذه اللغة .

لقد نوعت اللغة الحركات على كثير من الكلمات حتى اذا لفظتها — على غير يقين من شكلها — لم تكن فيها على خطأ .

البصل البري اسمه المنصل (بضم الصاد) والمنصل (بفتح الصاد) والمنصلا (بضم الصاد) والمنصلا (بفتح الصاد) .

والارباء الفظها كما يمن على بالك بضم الباء او فتحها او كسرهما .

وهذا التنويع والتشكيل في المصدر :

فاس فوصا وقياسا وقياسة ومفاسا

اتريد ارحب من هذا الميدان ؟

اتريد اكرم من هذا الكرم ؟

لا . لا .

اننا نحن الذين لم نعرف قيمة هذه اللغة الفريدة من نوعها .

اننا نحن الذين لم نجعل حتى الآن الا القليل القليل من اسرارها .

اننا نحن الذين لم ندرك ما في كلماتها وحروفها من حياة وما في تراكيبيها من منطق وشعور .

دخيل أم أثيل؟

الأستاذ عبدالحق فايز

- 2 -

الأسون :

ينطق بضم التاء مشددة أو مخففة ، وهو موقد نار الحمام ، يقال انها من الارمية (اتونو (atouno) التي جذرها (تن tan) دخن . وإذا كان هذا الائل ينقصه الحرف الاول في الارمية فاننا نجده كاملا في العربية بحروله الثلاثة في صيغة (عثن) . فان عثنت النار : دخنت ، والعثن - زنة الولن - هو الدخان . ونذكر بالمناسبة ان الاله الشمس كان من اسمائه باللغة الفرعونية (آتون Aton) يقابله بالشومرية (اوتو Utu) فالظاهر ان التسمية اقدم من تاريخ ظهور الاربيين في المنطقة ، اي قبل تاريخ نزوحهم من المعربة وانسلاخهم من بني جلدتهم واستقلال لفتحهم .

اسا الجرح :

داواه . ار (1) : (اسي aci) : شفي .
اصل معنى الكلمة في العربية من قولهم آسيته بنفسي مؤاساة اي ساويته ، وقولهم آساه في ماله : قاسمه فيه . وتوسع معنى المؤاساة فصار يشمل اعانة النكوب وتعزيته ثم عيادة المريض ، ثم مداواة الجرح ، واخيرا ظهر في الارمية بمعنى الشفاء .

في العدد الماضي من « اللسان العربي » تناولنا عددا من الالفاظ التي نعدّها عربية اثيلة ولو ان اللغويين يعدونها دخيلة في العربية من اثل ارمسي . وقد اخترنا تلك الالفاظ لوضوح هرويتها ، ولطرافة الحديث منها وردها الى اثلها العربي .
وسنمضي الآن في تناول الالفاظ التي نظن انها اثيلة في العربية ، بايجاز ، حسب تسلسلها في كتاب « غرائب اللغة العربية » للاب رفائيل نخلة اليسوعي ، على اختلاف اهميتها ، معترفين بأنه لفقدان المراجع الضرورية لدينا عمل يفلب عليه طابع الاستمجال ، او الارتجال . وسنغفل طبعاً الالفاظ التي عالجنها في المقال السابق .

الاب :

هو الاقنوم الاول في الثالوث المسيحي ، ومعناه (الاب) . لكن هذه الصيغة خاصة بـ ذات الله ولا تستعمل للبشر . ولا يستبعد ان تكون هذه الصيغة منحذرة من الارمية (آبو Abo) لكن اثلها العربي هو (الاب) ورسها قول الطفل (بابابا) ، قلبت فصارت (اب) كما قلبت (ماما) فصارت (ام) . ولو قلت بسرعة (اب اب اب ...) مراراً لشمزت بزوال الهمزة بالتدريج ووجدت نفسك تقول (بابابا ...) .

(1) سنقول « ار » بدلا من القول ان الكلمة في الارمية كذا ..

وفعل (واسى مواساة) أثله (ساوى مساواة)، وكنا قد رسنا من محاكاة صوت انكسار فحسن دون انفصال طرفيه احدهما عن الآخر ، هكذا : طو - طوى - زوى - وزى ، وازى - واسى - آسى - آسا .

الاطلس :

نسيج من حرير رفيع . وقد وردت فى الاربمية بنفس اللفظ .

والكلمة تطلق فى العراق على نسيج اسود لامع . ويخيل لنا ان التسمية جاءت من لونه ، فالدلب الاطلس : هو الاغبر الى سواد ، والاطلس ، زنة الدرس : الطيلسان الاسود . واثل الكلمة دلس ، ومن معناها تدلس الرجل : تكتم واختفى ، واندلس الشيء : اختفى ، والدلس (زنة البلد) والدلسة (زنة الشرفة) : الظنمة . ومن اخواتها ادليج : سار الليل كله ، والدليج (زنة البلد ايضا) : الساعة من آخر الليل . والظاهر ان دلس من دمس الغلام او الليل : اشتد سواده ، وهذه من طمس النجم او البصر : ذهب ضوءه ، وطمس الشيء : اندرس وانمحي ، وكذلك طلس البصر : ذهب ضوءه ، وطمس الكتاب : انمحي . ومن نفس الاسرة اللغوية درس واندلس .

وقد كان الاطلس يطلق فى العربية اول الامر على النسيج الاسود ، من الحرير او غيره فيما يظهر ، ثم تخصص بالحرير . وربما سمي جبل الاطلس بهذا الاسم لغبرته وسواده ، او ربما اطلق اولا على جزء منه او على ارض ما ، ثم انتقل الاسم الى الجبل بل الجبال المسماة بهذا الاسم ، وهو معروف لدى الاغريق ، وتقول اسطورة لهم ان اطلس كان ملكا جبارا يحمل السماء على عاتقه فلما قتله هرقل هوى على الارض فصار جسده جبل اطلس (Atlas) ومن هنا جاءت تسمية المحيط الاطلسي . وهذا الاسم قديم جدا كان قدامى المصريين يظنون انه حسب رواية افلاطون على قارة اطلنطا - او اطلنطيد - المفقودة : الفاتنة فى البحر .

الاكليل :

هو التاج . ار : (كليلو killo) . اما فى العربية فمعناه بالاضافة الى التاج :

شبه عصاة تزين بالجواهر ، وما احاط بالظفر من اللحم . وفعل كلل السحاب السماء : احاط بها من كل جانب ، وتكلل بالشيء : احاط به ، والكلة - زنة العلة : الفشاء الرقيق كالخيمة على السرير للوقاية من البموض ، والصوفة الحمراء فى راس الهودج . فواضح ان مادة الكلمة تعني الاحاطة بالشيء او الارتفاع عليه ، وهذا ما يعنيه الاكليل يعلو الراس ويحيط به . ووژه الافعل ليس بدما فى العربية فهو من باب الاضريح (الثوب الاصفر) والاحليل (مجرى اللبن من الثدي) . وعلى هذا ليس مستبعدا ان يكون الاكليل عربيا أثله وصيفته . واذا افترضنا ان الصيغة بهذا المعنى ارمية فتكون مصوغة من مادة (كلل) العربية التي نظن ان لها ظلل ومنها جلل .

آمن :

يقول الاب نخلة فى شرح معنى هذا الفعل « صدق حقيقة اوحاه الله تعالى » ، وانها من الاربمية (هيمن hayman) .

لكن الايمان لا يقتصر فى العربية على معناه الديني بل ان (آمن به) تعني صدقه ووثق به ، و (آمن له) : خضع وانقاد ، و (آمنه) : آمنه - بتشديد الميم - اي اعطاه الامان . واما (هيمن) - بالهاء - فقد وردت فى العربية ايضا بمعنى الايمان .

واثل (وامن) هو (امن) اي اطمأن . والامن جاء من (اليمن) - يضم الباء - لان العرب كانوا يتفادون باليمن ويتشاءمون بالشمال ، ومن هنا اشتق قدامى الحجازيين (الشؤم) من اسم بلاد (الشام) التي تقع على شمالهم و (اليمن) من اسم بلاد (اليمن) التي تقع على يمينهم . ومن معنى اليمن والامن نشأ معنى الايمان اي الوثوق وعدم الخوف ، الذي تطور الى معنى التصديق . ان مشتقات الكلمة فى العربية بصيغتها (آمن) و (هيمن) اكثر منها فى الاربمية ، كما اننا نعرف ترميسها فى العربية ، وقد تطرقنا اليها فى تأثيل التيمن (انظر المدد السابق من « اللسان العربي ») .

امهات :

جمع ام . ار : (امهوتو emhouto) .

بالدارجة المراقية يجمعون الاب ايضا على (ابهات) ، وهي موجودة في دارجات عربية اخرى، ونعتقد انها صيغة عربية مريقة منقرضة في الفصحى، ولا بد ان المعجميين العرب قد وجدوها في الدارجات وربما في لغات بعض القبائل ايضا فاهملوها . يدلنا على هذا ان المغاربة يسمون الاب (ابا) او (ابيه) - بتشديد الباء في كليهما . فاذا وجد جمع الام في الارمية بصيغة (امهوتو) فليس ذلك بكاف لاقتناعنا بان العربية قد اقتبست منها صيغة الامهات، وانما الأرجح حسب القرائن انها عربية وان شبه الارمية بها منشؤه ان اللغة العربية هي اثل الارمية.

الانبوب :

ما بين عقدتين من القصب وما اشبهه من كل اجوف مستدير . ار : (ابوبو aboubo) قصبه او انبوب اجوف يسيل فيه الماء او غيره .

الذي يبدو لنا ان الانبوب المشتق من فعل (نب نيبا) اصل معناه الماء وما يتصل به من الاشياء بدليل قولهم (تنب الماء) بمعنى تسيل - بالتشديد . واثل فعل نب هو (اب) - بالتشديد ايضا - واصل معناه الماء ايضا فان (الاباب) يعني الماء والسراب . ويؤيد ذلك ان الصيغة الارمية بلا نون اي (ابوبو) . ولعل العرب ايضا نطقوا الانبوب بدون نون اول الامر اي (الابواب) بتخفيف الباء الاولى ثم بتشديدها ثم فكوا الادغام بادخا نون . وما دما لا نستطيع ان نجرم كيف تكونت صيغة الانبوب فاننا لا نستطيع كذلك الجرم بنسبتها الا الى اية من اللغتين . لكن المادة عربية على كل حال .

الانبوشة :

يقول انها الشجرة المقلومة باصلها وانها من الارمية (نبش nbach) : حفر .

ان النبش يعني الحفر في العربية ايضا ، بل انواعا من الحفر : من نبش المستور ونبش الكنز ونبش القبر .

والنبش للعيال : التكسب . والنش - زنة الفكر - نوع من الشجر . والانبوشة : كل ما ينش . فالكلمة تعني في العربية الحفر عموما كما تعني اشياء اخرى خاصة ، وليس هناك ما يدل على اقتباس الانبوشة من (نبش) الارمية .

وفعل نبش من الاسرة العربية الشهيرة : نب ، بيا ، نبت ، نبث ، نبج ، نبص ، نبض نبج . . الى آخر السلسلة ، وهي اسرة مرفها اللغويون العرب قديما واتخذوها مثالا لتعاقب المعاني مع تصائب الالفاظ وقد اكثر المحدثون ايضا من ترديدها والاستشهاد بها .

ايلول :

الشهر التاسع بالتقويم الميلادي . ار : (ايلول ayloul)

الكلمة بابلية ، ولعلها مشتقة من الايلولة اي الرجوع . ويجوز ان تكون الارمية قد توسطت في نقلها الى العربية .

الايسل (زنة السيد)

حيوان من نوع الفلباء . ار : (ايلو aylo)

لعل سبب التسمية من الايلولة ايضا ، اي من فعل (آل يؤول) ، فان صح ذلك يكون عربيا لان ائله يكون عندئذ آب يؤوب ، وقد رسنا الكلمة من محاكاة صوت الهواء (في كتابنا «مغامرات لغوية») . ولعلها كانت في لغة الارميين منذ مبارحتهم العربية .

البابوس

الطفل . الصبي الصغير . ار : (بوبوسو bobouço) .

نظن ان لها البؤبؤ : انسان العين ، ورسه هو : بابا ، التي سبق ذكرها ، اطلقت اولا على انسان العين ، ولصغره اطلق بعد ذلك على الطفل . وفي الموصل ينطقونها بببي ، بمعنى انسان العين بلغة الكبار ، والطفل الرضيع بلغة الاطفال . ومنها في اللاتينية pupulus يتيم ، وتصغيرها pupus صبي . وهي بالانكليزية pupil بمعنى التلميذ

وانسان العين .. اما بمعنى الرضيع فهي بالانجليزية baby وبالفرنسية bébé . لهذا لا نرى ما يمنع ان تكون كلمة عربية ولها في العربية هذه الوشائج .

يسارله الله :

سبحه . ار : (barekh) .

الذي نلظنه باختصار أن البركة أصل معناها من بروك الأبل ، أي الأبل القادمة بما تحمل من احباب وضيوف او ساع وخيرات . وقد تعددت استعمالات البركة في العربية على الحقيقة والمجاز . ونطقها الارميون بالخاء بدل الكاف ، ولا يستبعد أن يكون معنى تسبيح الله خاصة من استعمال الارميين اقتبسه العرب فاضافوه الى استعمالات الكلمة الاخرى عندهم .

الباكورة :

اول الثمر . ار : (bakourto) .

والمقصود اول ما ينضج من الثمر في بكور موسمه ، كما ان الكلمة تعني اول كل شيء . ومادة الكلمة عربية . ولعل أصل المعنى من بكرة البشر وتسابق المستقين عليها من بكور الصباح لذلك صار قولك « بكرت الى الشيء » يعني مجلت اليه ، والبكرة - زنة العقدة - يعني الغدوة أي الذهاب صباحا . ومن معنى العجلة والاسراع في صبح البكر والتبكير والابكار اطلقت الباكورة على الفاكهة التي تسرع بالنضج في اول موسمها . والظاهر انهم اعتبروا هذه الصيغة ارمية لانها من الشؤون الزراعية التي ظنوا الارميين اسبق اليها من جميع العرب . اما نحن فنكتفي بالقول انها من الصيغ المشتركة التي ان لم تكن صيغتها عربية فان مادتها الاثلية عربية .

البالوعة :

يقول انها من (bolou'to) . وهي في العربية بالوعة ، وبلاعة ، زنة سيارة ، وبلوعة زنة زنوبة . وبذلك سميت لانها تبلع الماء المنساق اليها من صحن الدار . والبلع كلمة عربية ولها مشتقات ، ونحسب ان لها : لعب الصبي : سال لعابه من فمه . ولما كان المرء يبلع لعابه فقد انتقل

المعنى بعد قلب الكلمة من اللعاب واللعب الى (البلع) . ومنها في الفرنسية avaler البلع . اما صيغة البالوعة فمشاركة ليس لدينا ما يقطع بانتسابها الى احدي اللغتين ، لكن وجود صفتين اخريين لها (البلاعة والبلوعة) في العربية قد يرجح ان لها العربي .

البرخ :

زيادة نماء ، نماء . ار : (bourkhto) . الكلمة من البركة ايضا ، كالذي قلناه آنفا .

البرانسي :

الخارجي . ار : (baroyo) وهذه من (baronoylt) في خارج كذا .

ان الكلمة في نظرنا عربية . وقديما قال العرب (برا وجوا) بمعنى داخلا وخارجا . وما زالت كلمة (برا) وقد تنطق (بره) تعني خارجا في معظم الدارجات العربية ان لم تقل كلها . وقد جاء في الحديث « من اصلح جوانيه اصلح الله برانيه » . والبراني بالمغربية : الغريب عن البلد ، الاجنبي .

واثل الكلمة (برا) بمعنى خلق ، ومن ذلك البريئة ثم البرية : الخليفة . ثم صارت تطلق على البر المشب المزدهر باعتباره خليفة ، وفي الموصل يطلقون (البرية) على البر خارج المدينة في ابان ازدهاره حين يذهبون اليه للنزهة . ومن ذلك اشتقت صيغ البراري : الخالقي ، والبريء ، والبراءة .. فاللادة مشتركة والائل عربي ولا نجد ما يبرر القول بأن صيغة (البراني) مقتبسة من الارمية .

البرية :

تشديد الراء والياء : الصحراء . يقول انها من (baro) الارمية . ان البر ضد البحر نشأ من صيغة البرية التي تحدثنا عنها توا في (البراني) .

البريمة :

المثقب . ار : (bouromo) .

قد تكون الصيغة ارمية بهذا المعنى لكن مادة

بالجبل . فعلى افتراض ان البشنقة صيغة ارمية فهي مشتقة من المادة العربية . لكن ابدال النون ميما في الارمية يرجح ان صيغته البشنقة العربية اثل .

البط :

الطائر المائي المعروف . ار : (بطو bato) .
كنا في بحث سابق قد قلنا ان فعل (بط) نشأ من محاكاة صوت انبعاث ضفدع يطؤه الانسان . والاعلم ان اسم (البط) اطلق اولا على الضفدع ثم انتقل الى هذا الطائر المائي لانه يعوم في الماء كالضفدع . لهذا نرى ان العربية هي الاثل .

البحر :

نجو ذوات الخف والظلف . ار :
(بمورو : b'ouro) : نجو ذوات الاربع .
ان ترسيب الكلمة في العربية يطول حديثه لكننا نكتفي بالقول اننا نرى ان اثل البحر هو الريح - زنة الطبع - وهو الدار ، او ما حولها ، او المحلة والمنزلة ، أي الموضع يرتبمون فيه ، ثم انتقل المعنى الى الجماعة من الناس . وقد قلبوا الكلمة فصارت البحر . وكانوا اذا راوا بحرا في البادية يقولون انه الربع او البحر بمعنى ان الموضع كان ربعا يحل فيه ناس ، ثم تخصصت صيغة البحر بالرجع الذي تخلفه ماشيتهم فان صح تأييلنا للكلمة فهي عربية اقتبستها الارمية .

البيسر :

الجمل البازل اي الذي طلع نابه . ار : (بعير)
(b'iro) دابة تحمل احمالا او تجر مركبة .
نعتقد ان اسم البعير مشتق من بعره .

البيسب :

مجري الماء الى الحوض . ار : (ببو bibo) قناة .
ويبدو لنا ان اثل الكلمة هو الانبوب الذي تقدم تأييله من فعل نب نبيا . ومجري الماء الى الحوض

الكلمة عربية من (برم الجبل) لان هذا النوع من الثقب يشبه الجبل البروم شكلا ويشتب به ببرمه .

البزور :

يقول انه من ار : (بزور) : البازر ، اي نائر البزور .

ويخيل لنا ان اثل الكلمة عربي وهو (بزرا) لان البزور يبرز من النبات عند نضجه ولاسيما بعد جفافه ، ثم قلبت الكلمة فصارت بزور ثم بذر . وكون الكلمة زراعية لا يبرر نسبتها الى الارمية ولاسيما ان في العربية الفاظا زراعية كثيرة خالصة النسبة لم تقتبس من الارمية او غيرها مما يدل على انها ليست عالة في الشؤون الزراعية على اللغات الاخرى

بسيط :

غير مركب . سهل . ار : (فشيطو fchito) .
والمقصود ان هذه الصيغة فقط مقتبسة من الارمية ، اما صيغها الاخرى : بسط ، بساطة ، مبسوط ، منبسط .. فلا يقولون عنها شيئا . لكن صيغة الفعل كثيرة الاستعمال في العربية فليس مستبعدا ان يصوغ العرب البسيط من فعل (بسط) كما صاغوا الفسيح من فسح والاريفض من ارض والبعيد من بعد .. الخ ، وليس ثمة ما يدمو الى اقتباسها من (فشيطو) . ولعل البسيط اطلق اولا على الارض المنبسطة السهلة ثم استعمل مجازا في معنى السهل غير المعقد او المويص . اما بالمعنى الفلسفي أي ضد المركب فلا يبعد انه استعمل في الارمية اولا لانها سبقت العربية في الترجمة عن الاغريقية ، لكن صيغة البسيط نفسها بمعناها اللغوي العام قديمة اثيلة في العربية .

البشنقة :

خرقة تشد المرأة طرفيها تحت ذقنها لوقاية الخمار من الاوساخ . ار : (فشموكو fchmogo) .
والذي نراه ان اثل الكلمة هو (البخنق) - زنة القنفذ - بنفس المعنى ، والله فيما نظن (المخنق) - زنة الملعب - من معنى الخنق لان البخنق يشد طرفاه تحت الدفن كما في حالة الخنق

تمسوز :

الشهر السابع بالتقويم الميلادي . ار : (تموز)
(tamouz) .

والاسم بابلي أيضا ، لكنه يرجع الى اثل سومري (دموزي dumuzi) وهو اسم الاله الخضرة الذي يختفي في العالم الاسفل في نهاية الصيف مدة ستة اشهر ، ثم يظهر ستة اشهر من اول الربيع أي من اول السنة الرافدانية القديمة . ويبدو ان اثل الكلمة (دموس) - زنة هروس - والفعل دمس يدمس دمس ودموسا . ودمس الليل : اشتد سواده ، ودمست الشي : غطيته ودفنته واخفيته ؛ فلعلهم سموا هذا الاله الذي يختفي في العالم الاسفل نصف السنة (دموسا) من هذا المعنى . اما صيغة (تموز) فبابلية محرفة من (دموزي) ، ويقال في انتقالها الى العربية ما قلنا في اسماء الاشهر البابلية الاخرى .

التنور :

ار : (تنورو tanouro) من (بيت نورو)
(beyt nouro) مكان النار .

هذا التخريج لا يبدو لنا حاسما ، فيمكن مقابله القول ايضا بان الكلمة من العربية (بيت النار) . ان بعض المعاجم العربية تدرج التنور في مادة (نثر) لكننا نعتقد انها من مادة (النور) اي النار . وقد وردت في العربية صيغ افعال اثار ، وتنور ، وانتور . والظاهر ان التنور قد صيغ من احداها .

تب (بكسر الاول) :

اجلس ، اي فعل الامر من جلس . ار :
(تب) . (qei)

ان (تب) في العربية فعل امر من وثب . وكانت تعني عند اهل اليمن اجلس . وربما كانت يقال اول الامر للراقد لينهض فيجلس ثم صارت يقال للواقف ليجلس . وقد جاء في اخبارهم ان ملك اليمن قال (تب) لحجازي كان وفد عليه في قصره المشرف على الوادي ، يقصد : اجلس ، فظن الحجازي انه يأمره بان يشب في هوة الوادي فامتنع ، فكرر عليه الملك : تب ، فالتقى نفسه من شفقة القصر فمات ، فتعجب الملك ثم اخبروه بمعنى الكلمة عند

ولاسيما اذا كان مغطى واضح الشبه بالانبوب . ومما قد يؤيد كون البيب اثل الانبوب هو ان الانبوب في الإنجليزية والفرنسية : pipe . وعلى هذا يكون استعمال (البيبة) بالدارجة المصرية بمعنى (الفليون) له اثل من العربية . ويخيل لنا ان البيب هذا هو اثل الباب في العربية لانه يفتح ويسد ويفضي الى داخل الدار كما يفتح البيب - مجرى الماء - ويسد ويؤدي الى داخل الحوض . ومما يؤيد ذلك ان بعض اللهجات اللبنانية ما زالت تنطق الباب (بيب) وتجمعه على ييبان .

مما تقدم يبدو ان كلمة (البيب) هربية . ولا يقال ان الارميين سبقتوا الى الحضارة فان الكلمة تعني عندهم القناة بوجه عام ، اما عند العرب فتعني مجرى الماء الى الحوض ، وكل الاعراب يعرفون الاحواض التي يجمعون فيها الماء لسقي ابلهم .

تبر الشيء :

كسره . ار : (تبر tabar)

نظن اثلها بتر بترا ، ومن اخواتها في العربية بتك وبتل ، واثلا بت ، وكلها تعني القطع . ومن فعل التبر نجد في الفارسية (تبر tabar) بمعنى الفاس وعريبتها الطبر .

التبر (زنة الفكر) :

زجاج مكسر . ار : (تبرو tebro)
كسرة .

ان القول فيها كالقول في الكلمة السالفة ، اي من معنى الكسر الذي تطور من معنى القطع .

تشرين :

تشرين الاول والثاني هما الشهران العاشر والحادي عشر بالتقويم الميلادي . ار : (تشرين)
(techrin) .

اثل الكلمة بابلي (تشري) . ولا نعرف المادة اللغوية التي صيغت منها والمعنى الاصلى المراد بها . وشأنها شأن بقية اسماء الاشهر العربية المنحدرة من البابلية ، يجوز ان تكون الارمية واسطة انتقالها الى العربية .

(لعالمة) التى توجد صيغة مشابهة لها فى
الارمية .

الثالثون :

ار : (تليتيويوتو tilitoyoto) .
الصيغة دينية نصرانية لهذا يصح القول دون
تردد انها مقتبسة من الارمية . لكن مادة الكلمة هي
(الثلاثة) العربية

الثنيان (زنة البنيان) :

من كان دون السيد فى المربية . ار : (تنيونو
tenyono) . الثاني .

لا نرى ما يرجح كونها ارمية لا هربية سوى
حجة الحضارة التى كنا رددنا عليها . ولعل بعض
الاصتقاع العربية كاليمين اقدم حضارة من الارميين .
يضاف الى ذلك ان للكلمة مرادفا فى العربية هو
(الثني) - زنة الفكر - وكلتاها من مادة (ثنى ثنيا)
العربية .

(الجبر) :

الجبار : المتسلط ، المتكبر ، العالى . ار :
(كبرو gabro) قدير

الجبر : الرجل ار : (كبرو gabro)

الجبروت : القدرة العظيمة . ار : (كبروتو
gabrouito)

الجبروت : (بتشديد الباء) : الكبرياء . من
اثل الجبروت .

تجبر : تكبر . ار : (اكبر etgabar) .

هذه خمسة الفاظ محسوبة على العربية من
الدخيل وهي كلمة واحدة من مادة جبر . وفى العربية
اشتقاقا اخرى للكلمة لم يعدوها من الدخيل لانهم
لم يجدوا لها مقابلا فى الارمية . نكان وجود مقابل
للصيغة العربية فى الارمية يكفى لامتبارها دخيلة فى
العربية ايلة فى الارمية .

ان مادة (جبر) اثلها (جب) اي قطع ، وقد
نشأت منها الفاظ : جبا ، جيت ، جبذ ، جبز ، جيس

الحجازيين . فالكلمة مشتركة اذن بين الارمية وبعض
قبائل العرب . وهذا يذكرنا بان بعض العرب البائدة
الذين تبعثروا على اثر انكسار سد مأرب قد هاجروا
الى ديار الشام واقاموا فيها واندثروا اي اندمجوا
بأهلها ، ولعلمهم الذين نقلوا هذه الصيغة الى الارمية .

ثسب :

فعل ماض من وزن ثسب : جلس متمكنا . ار :
(يتسب yiteb)

يلوح انها نفس الكلمة السابقة ظهرت لها فى
الارمية صيغتان متقاربتان بمعنيين متقاربين .

الشبور :

الهلاك . ار : (تبورو tboro) خراب ،
من (تبر tbar) كسر .

الشبور نؤثلها فى العربية ايضا من (تبر) التى
قلنا آتفا ان اثلها بتبر ، فهي مشتركة بين العربية
والارمية ، والمادة هربية .

الشريا :

مجموعة من النجوم . ار : (تورايا touraya) .

ان اسم الثور قد تشعبت منه اسماء كثيرة فى
التاريخ القديم ، وكان مقدسا عند بعض الشعوب
على صور مختلفة . ونحسب ان اثل اسم الشريا هو
(الثويرة) تصغير الثورة اي البقرة . وعلى هذا يبدو
ان الارمية هي التى اقتبست منها اسم (تورايا) .
اما الحديث عن اشتقاق اسم الثور فى اللغات
السامية وغير السامية فطويل وله مقام آخر .

لعالمة :

انثى الثعلب . ار : (تملتو t'alto) .

ان تحويل الاسماء فى العربية كثير ، واسماء
الحيوانات التى تعدد صيغها غير نادرة . وقد قال
العرب (مثلة) للارض التى تكثر فيها الثعالب كمثل
قولهم مأسدة ومدابة . وجمع الثعلب ثعال مثل
ثعالب . فاسقاط الباء من الثعلب لا يقتصر على

اجتبى :

اختار . ار : (كبو gbo) .

اي ان اللفظة الارمية هي نفسها التي تعني (الجاية) ، وحكم هذه حكم تلك . وقول العرب : « اجتبى الشيء » كقولهم « اجتب الشيء لنفسه » اي اقتطعه واستأثر به .

جاذف السفينة :

دافعها بالمجادف . ار : (كدوفو gadofu) .

ان فعل جذف الله (جد) اي قطع ايضا . ومن نظائره : جذب ، جدث ، جدر ، جدع ، جدل ، جدم ، جدا (جدو) .. وكلها كانت تعني القطع اول الامر ثم تطورت معانيها مع الزمن ، وما زال الجدم يعني القطع ، والجدوى تعني العطية اي الهبة المقتطعة من مال المعطي . واصل معاني الجذف هو القطع ايضا .

والرجل المجدوف اليد : المقطوعها ، ومجازا القصيرها .

وجذف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين ، تشبيها بالرجل المجدوف اليدين .. ومجازا : جذف الظبي : قصر خطوه ، تشبيها بالطائر الجاذف . ويبدو انهم انما قالوا جذف (بتشديد الدال) بمعنى ساق الزورق بالمجادفين تشبيها لهما بالجناحين المقصوصين . صفوة القول ان مادة الكلمة تحمل من المعاني ما يكفي لاستنباط التجديف والمجادف منها . ولا يقال ان الارميين اسبق من العرب الى الملاحة فان العرب كانوا ملاحين منذ كانوا ، لاحاطة البحر بجزيرتهم . وبالرغم من كل ما اصاب الحضارة العربية من تخلف في العصور الاخيرة ظلت ملاحظتهم مزدهرة في الخليج العربي والساحل الجنوبي الى الهند شرقا واfrica غربا .

جسدف :

الفعل الماضي من التجديف . ار : (كداف gdaf) .

تحدثنا عنها في (جادف السفينة) .

جبل ، جبن ، جبه ، جبا (جبو) ، جبى . وقد تغيرت معانيها ، لكن معنى القطع لا يزال صريحا في بعضها مثل جبهه : قطعه ، وجبهه (بتشديد الباء) : قطعة قطعا شتى . ويظهر انهم اطلقوا الجبر على كسر المعظم اولا ثم صار يعني اصلاح الكسر من باب التضاد . ثم قالوا جبره على الامر واجبره بمعنى الزمه به واكرهه عليه . ثم صار الجبار يعني العالي من معنى اجباره الآخرين على طاعته ، ثم صار يعني المتكبر ايضا . ومن معنى الكبرياء والعنوشات الصيغ الاخرى .

الجبن :

طعام . ار : (كبنو goubno) .

نعتقد ان الجبن ايضا من القطع بمعنييه : الطعام والتهيب .

وما زالوا في العراق مثلا يقولون ان الحليب او اللبن قطع بمعنى انفرز ماؤه منه . وهكذا يتكون الجبن اي بانفصال مصل الحليب وتجمد مادته . وبلاحظ ان جمد وتجمد من اثل جد اي من معنى القطع ايضا مثلما كان جبن وجبن من اثل جب . واما معنى الخوف فكثيرا ما قال العرب ان الرجل جوبه بكذا فانقطع ، اي لم يعد يقوى على المقاومة قولا او فعلا . فحين قالوا جبن فلان قصدوا انه انقطع اول الامر ثم صار المعنى يدل على الخوف .

فالذي يبدو ان الارمية هي المتبسة لكلمة الجبن ، ولعل الاصح ان الكلمة ائيلة في الارمية المنسلخة من العربية .

جبا الخراج :

جمعه . ار : (كبو gbo) .

يخيل لنا ان اصل معنى قولهم جبا الخراج هو اقتطعه ، مثلما يقال « جبر له من ماله جبزة » بمعنى قطع له قطعة . وقد تطور معنى القطع لصار قولهم « جبا الماء في الحوض » يعني جمعه . والظاهر ان المقصود من القول ان الكلمة ارمية هو استعمالها لجمع الخراج خاصة ، وليس ذلك بمستبعد . وعلى هذا تكون المادة عربية والاستعمال ارميا .

جلاف السفينة :

يقول انها من (جادف) . وقد ابدينا فيها واينا .

الجاروشة :

« رحي اليد التي يجرش بها اي يطحن بدون تنعيم » . ار : (كوروشو gorouchto) .

اثل جرش هو (جش) بنفس المعنى اي الطحن دون تنعيم . ومن اخوات جش نذكر : جت ، جث ، جد ، جر ...

وتظهر جرش في الانجليزية بنفس اللفظ (crush) ونفس المعنى . ومن اخوات جرش في العربية جرن الحب : طحنه . وتظهر هذه لى الفرنسية بصيغة granuler . ومن فعل جرش صاغ العرب اسم الجاروشة لالة الجرش ويقال لها الجاروش ايضا على غرار صياغتهم اسم الطاحونة والطاحون لالة الطحن .

الجرام (زنة الغراب) :

النواة ، التمر اليابس . ار : (كرمو garmo) .

ولا ندري لماذا يقال انها من الارمية . قال العرب جرم بمعنى قطع ، ثم قالوا « جرم الناقة » بمعنى جز وبرها . وتدرجت الكلمة في تطور المعنى مرحلة اخرى فقالوا « جرم النخل » بمعنى قطعت تمره . ومن هنا ظهرت صيغة الجرامنة - زنة القلامة - فقالوا « جرام النخل » اي ما سقط من تمره عندما يجرمونه . ولما كان التمر اليابس والحشف اكثر ما يسقط من التمر حتى من تلقاء ذاته دون ان يجرمه جادم او تمزه ربح ، فلا جرم ان انتقل المعنى الى التمر اليابس فسموه الجرام بضم الجيم ، والجرام بفتحه ، والجريم زنة الكريم . ثم انتقل المعنى الى النواة .

الجرن (زنة السكر) :

حجر منقور للماء او غيره . ار : (كورنو gournou) غرفة حمام كلها من حجارة .

قلنا ان فعل جرن الحب يعني طحنه ، وائل

الجرن هو الجرش الذي اصل معناه القطع . ولعلهم من معنى القطع صافوا اسم الجرن وهو الحجر الذي يقطع على شكل وعاء للماء او غيره كما تقدم . اما في الارمية فقد تطور المعنى فصار يعني غرفة حمام كلها من حجارة .

الجاسوس :

ار : (كوشوشو gochoucho) .

ان مادة جس خرجت منها في العربية صيغ كثيرة . وذكر صيغة الجاسوس فقط مع الدخيل يعني انها عندهم وحدها المقتبسة من الارمية . وبدون توسع في دراسة مادة الجس نكتفي بالقول ان الجاسوس له في العربية صيغتان اخريان هما الجيسس والجساس ، ولم يقولوا انهما ايضا من الارمية لانهما لا وجود لهما فيها . ولو كانا موجودين فيها لقبل انهما كذلك دخيلان في العربية . وصيغة الفاو على كل حال ليست نادرة في العربية لئنها الطاحون والناعور والماعون والناقوس والناقور .

الجبسر :

المبر على نهر او نحوه . ار : (كشيرو guechro) .

يخيل لنا ان اثل الجسر هو السرج ، لان قنطرة الجسر المنصوبة على مجرى الماء تشبه السرج شكلا .

الجيل (زنة الخف) :

هو من الدابة كالثوب من الانسان . ار :

(كلو galo) .

نظن ان جلال اثلها كلل ، وقد تحدثنا عنها عند الكلام على الاكليل . والصيغة الارمية لا توحي بانها الاثل . فان كانت كذلك فهي مصوغة من المادة العربية .

الجليد :

الماء الجامد . ار : (كليدو glido) .

الجمد والجلد اثلها جد ، وكلاهما اطلقا على انجماد الماء . والكلمة في اللاتينية محركة الاول كما

من غير ريب ، فأثلهما (الجرم) أي الجسم ، ومن ذلك جرم الانسان والاجرام الفلكية والحجارة ، ومنه نشأ (الرجم) أي القذف بالجمار اي الحجارة . وسمي المرض المذكور جمرة لشبهه بما يصيب الجسم اذا احرقته جمرة النار ، فان لم تكن الجمرة موجودة في الارمية بمعنى النار فلا يمكن استعمالها فيها بمعنى هذا المرض الا مقتبسة .

الجنسة :

ار : (كنتو ganto) .

اطلقها العرب على الحديقة ذات الشجر من نخيل واعناب وغير ذلك . وهي من فعل (جن) أي ستر ، لان الجنة تستر من يدخلها ، وذلك شبهه باطلاقهم اسم الغابة على اجمة القصب لانها تغييب من يدخلها . وصاروا في العهد الاسلامي يستعملون بمعنى الجنة كلمة البستان ربما للتفريق بينها وبين جنة السماء .

المجنن (بتشديد النون) :

الترس . ار : (مكينو mgueno) .

الصيغة عربية ، فهي صيغة اسم الآلة من فعل (جن) أي ستر كالذي قلنا توا ، على فرار صياغة المقص من قص والمسن من سن . ولا نرى وجهها لاعتبارها دخيلة .

جنس الشيء :

اخفاء . ار : (كنز gnaz) .

فعل (كن يكن) - بالتشديد - يعني ستر مثل (جن) ومن كن نشأ فعل كنز ، ومنه ايضا نشأ فعل جن ومن هذا الاخير نشأ فعل جنز ، وكلها تعني اخفاء الشيء وستره . فالكلمة مشتركة بين اللغتين والاثل عربي .

جنس الميت (بتشديد النون) :

وضعه على سرير ، صلى الكاهن عليه ، وهي في الارمية من اصل جنز .

يقول القاموس المحيط ان التجنيز في قول حسن البصري : وضع الميت على السرير . وهو فيما

في العربية (gelidus) متجمد من البرد ، ثلجي . و gelida بارد كالثلج . وقد تسربت الى بعض اللغات الحديثة منها glace ثلج بالفرنسية ، و glass زجاج بالانكليزية .

الجلام (زنة الجبار) :

جزاز الصوف . ار : (كولومو goloumo) .

انها من جلم : ولها في العربية اخوات : جلع ، جلخ ، جلف ، جلّه ، جلا . . وهذه كلها تبدأ بنفس الحرف أي الجيم . ولها اخوات اخريات تبدأ بالقاف : قام ، قلح ، قلخ ، قلف . . الخ . وجلم تعني قطع . وجلم الصوف : جزه . والجلم والجلمان بصيغة التثنية : مقص الصوف . فاشتقاق صيغة الحرفة وهي صيغة المبالغة من اسم الفاعل (الجلام) من كل هذا لا يتطلب استمالة بلغة اخرى ، بل ان اي اعرابي خليف بأن يسمي الشخص الذي يحترف جلم صوف الماشية جلاما .

جسم المكيال :

ملأه الى راسه . ار : (كمم gamem) .

لعل اثل الجم هو الجب - بضم الجيم - أي البئر العميقة ، ومنها نشأت (الجمّة) - بفتح الجيم : البئر الكثيرة الماء ، ثم صارت تعني مجتمع مائها . وجمت البئر : تجمع ماؤها ، وجم الماء : تركه يجتمع . ومن ثم صار فعل الجم يعني الجمع والتجمع والامتلاء ، ومنه نشأت صيغة (جمع) نفسها . ومن قولهم جم المكيال أي ملأه الى راسه ، نشأت صيغة طم الاناء : ملأه وقالوا ججم المكيال مثل جمه . والجمام والججم : ما علا راس المكيال فوق طفافه . فان كان الارميون هم الذين بدؤوا استعمارة معنى الجم لعل المكيال خاصة فمادة الكلمة عربية على كل حال .

الجمصرة :

بشرة عريضة في اللحم مع التهاب شديد . ار : (كمورتو gmourto) .

المقصود ان الكلمة بهذا المعنى من الارمية ، واما (جمر) الحجر او النار فلا . ان مادة الكلمة عربية

الحرب :

أر: (حربو harbo) سيف ، تدمير ، حرب .
من (حرب harb) : حرب ، حارب ، قتل .

من فعل نقت الدجاجة نقيقا نشات المعال :
نقر ونقد ونقب ... ومن نقب نشأ نخب ، ومن هذا
نشأ نخرب ، ثم خرب ، ومن هذا نشأ حرب . وأما
معنى السيف في الأرمية فله في العربية صيغة
خاصة قريبة من معناه وهي الحربة . وفي اللاتينية
harpe تعني السيف المنحني . والظاهر أن
الكلمة قديمة ومشتركة بين اللغتين كانت فيهما قبل
انفصالهما .

✱ ✱ ✱

تكتفي بهذا الآن ، ونعقب عليه بملاحظة نعيد
فيها خلاصة رأينا في الكلمات المشتركة بين اللغتين،
فهي أما (1) أن تكون الأرمية قد صاغتها لمعنى
مخصوص من المادة العربية المشتركة ، وأما (2) أن
العربية هي التي صاغتها فاقتبستها منها الأرمية
فظنها النفويون دخيلة في العربية لمجرد وجودها في
الأرمية بحجة كونها حضارية أو زراعية أو بدون حجة
أحيانا ، وأما (3) أنها قديمة كانت في لغة الأرميين
قبل انسلاخهم من القبيل العربي الذي يمتون إليه .

نظن تطوير للمعنى الأصلي الذي كان يقصد به دفن
الميت ، لأن مادة كن وجن وكنز وجنز تعني كلها
الستر والاختفاء كما قلنا . أما صلاة الكاهن على
الميت فتطوير آخر نصراني للمعنى .

الخاتمة (رنة السلافة) :

ما بقي على المائدة من الطعام : أر : (حوتومو
houtomo) . خاتمة ، نهاية .

أصل ختم هو حث الشيء : حكه وإزاله . ومنها
نحت . فأصل معنى الختم هو الحث والأصل الأقدم
هو القطع . ومن الختم نشأ الحطم بدليل قولهم
« تختم الزجاج بمضه على بمض » : تكسر ، أي
تحطم . وقد سميت فضلات الطعام على المائدة ختامة
لأنها أفلاذ وكسر ، ولذلك سموها الفئات أيضا . أما
(حوتومو) الأرمية التي تعني الخاتمة والنهاية فأصلها
العربي ختم ، وهذه من خت . وأصل معنى ختم هو
كسر الطين الذي تسد به الجرة ، ثم انتقل المعنى
إلى الطين الذي تختم به الرسالة الذي صار السراة
يخلطونه بالمسك فقبل « مسك الختام » ، ولما كان
ختم الرسالة يأتي بعد الانتهاء من كتابتها صار الختام
يعني النهاية وصار الخاتم والختم آلة طبع الاسم أو
السمة على مادة الختم طينا أو شمعا أو غيرهما . أي
أن الختم كان أولا يعني كسر الطين ثم صار يعني
أبواب الطين وطبعه ..

حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التأخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا
بمنوان :

« اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا » ، والمقال يتضمن مجموعة من
الآراء في الموضوع لعدد من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكتور
السادة : عبد اللطيف البديري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن
فهمي جمعة ، والاساتذة السادة : كوركيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ،
وجرجيس فتح الله مدير تحرير التأخي .

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

إذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن
الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية
فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي اذ
ان اكثر الاختصاصات كالطب والهندسة والتكنولوجيا
تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأى
ما أو فكرة كتابة وفي اللغة العربية يعوزه الكثير من
المصطلحات وهو ما لا يتوفر في معاجمتنا العلمية
الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهناك تباين
شاسع أو واسع بين ما يقر في بلد عربي من بلد آخر .
وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع
الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة
أو المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع
على مصطلحات موحدة تنشر بين المتخصصين في
العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع
مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين .

ومن جهة أخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي
الاختصاص في العلوم ، كالطب والهندسة والفيزياء

والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون
الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاضى
عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة واذا كتبوا كانت
لغتهم مختلفة لا تفهمها يرومون التعبير عنه . فما
مرد ذلك ؟

لعل للغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب
افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في
وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل
هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون
غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية
والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات
التي تحتضن ضروب التأليف في مختلف العلوم . كيف
حلت تلك المشكلة ؟

انها لجأت - في ما لجأت اليه - الى « استعارة »
كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات أخرى لا سيما
من اليونانية واللاتينية وادخلتها في صلب المصطلحات

التي تعد اليوم انكليزية بحتة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستعارة خيرا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستعارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احرانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل لنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التمريب » هو المباد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب المود اليه ، ونفرض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . انا نشر في كتب التراث القديم ، على الالفاظ اصطلاحية هاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا فكيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالغرابي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوارزمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نعم كيف تسنى لهم ان يضعوا تلك التصانيف النفيسة في بابها ويعبروا فيها عن الحقائق العلمية بمبارة سليمة قوية ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمنا بفارق الزمن وبواقع الحال التي تنجلي اليوم في اتساع العلوم المصرية وترامي اطرافها . فنقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجاري الا بالجهد المتصل والدأب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » فبينما نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الثمار .

وبعد هذا التحليل القيم من دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر فرض نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب مروف والاساذ احمد زكي ان ينشروا عدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترضيها قواعد اللغة .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية : ان الطبيب والمهندس والعالم المختص بأحد العلوم المصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لتدع دراسته العالية وتقتصر على المراحل المذكورة فلم يدرس في سنن هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوا وانشاء؟ فاین ذهبت تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، ففي ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب بأسلوب يعتوره ضعف ؟ ولماذا يخطئ في قواعد الصرف والنحو ، وهي امور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بعد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستثمار على العناية بلغته فتركها وشأنها انصرفا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما ان نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي ان ذوي التخصص هم مادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعلهم من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه ان يكون موافقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم الشخص بالتقنية العلمية نفسها . وبما كان هذا بعض السبب في ان الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم ان ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يبقى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية - القوة اللفظية والاسلوبية - التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستساغة . والذي اُعرفه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير - مما يجعلنا نتقول ان من كان ضليل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير وبما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية - ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التأليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين (او اكثر) : ا : أولا ، محنة المؤلف النادر الذي يمشق ما يكتب او يترجم فيه بحيث يكون مستعدا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارئ العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

لا يستطيع التعبير عن افكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

واول هذه الاسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قوامد اللغة واسسها وحسب علمي ان وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد كوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو ان تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الاغاب يكون بلغة اجنبية في العراق اذ لا زلنا نعتد على المراجع العلمية الاجنبية ولعدم توفر هذه باللغة العربية اخذنا بطريقة التدريس بلغة اجنبية .

والسبب الثالث هو ان لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى ولوجرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الاذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سنجد ان اللغة العامية تتقرب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التأليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب ان يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من اعضاء الهيئة التدريسية .

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي . كيف نعالج هاتين المحنتين ؟ لا بد من العودة بذلك الى الجامعة وما تيسره من فرص للتأليف وما تخلقه من حب حقيقي للعلم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . ونحتاج الى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها اشارة ضريمة . في عجالة كهذه .

ولا ننكر ان الصعوبة التي يحسها المختصون في العلوم هي صعوبة حقيقية لا ينبغي مطلقا محاولة التقليل من شأنها . وقد انضحت لي انا شخصا - يقول الاستاذ جرجيس فتح الله - هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب - تراث الاسلام - المعروف الى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبعدها اخذت اكتب وترجم الى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وتراثها . فقد ادركت من الوهلة الاولى سبب وقوف - لجنة النشر للجامعيين - المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الاول الى العربية فاختفت في منتصف الطريق ، اي عندما اصطدمت بابواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتعريف الخ ...

وزيادة في الايضاح يجدر بنا ان نشير الى ان هناك اسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في العلوم كالاطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى ان البعض منهم

العوامل الطارئة على اللفظ دراسة لقضايا اللفظ وتصحيحاته وتوليد لغته... في ضوء علم اللفظ الحديث الدكتور محمد عيسى : كلية دارالعلوم جامعة القاهرة

فقال : اوليس بظريف ابن اخي يتكلم بالفارسية ،
فطن معاوية أن الكلام بالفارسية لحن « ومن ذلك
البيت المشهور للفرازي

منطق صائب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا

ومن معانيها ايضا « التورية » باستخدام معنى
قريب وارادة معنى بعيد ، وعلى ذلك الف ابن دريد
كتابه « الملاحن » قاصدا به استخدام الكلمات وارادة
معان اخرى لا تخطر لأول وهلة على الدهن عند سماع
الكلمة ، وفي مجال المعنى ايضا اطلقت على الخطأ في
المعاني ، وذلك باستعمال الكلمة أو التركيب كله على
غير وجهه الذي قرره له العلماء ، وقد ألف المنفل
ابن سلمه كتابه « الفاخر فيما تلحن فيه العامة » من
هذا النوع من الخطأ في المعاني ، وجاء في مقدمته
قوله : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة
في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون

لكتابة هذا البحث حول معنى اللحن في الكلام
العربي وتطور استعماله ومقاومته بنفسي - كما هو
واضح في عنوانها - تناول الامور الآتية :

1 - معرفة المقصود باللحن وبيان مظاهره مع
تقديم نماذج لها .

2 - بيان تطور استعماله في الكلام العربي
باختصار .

3 - حركة المقاومة العلمية التي تمثلت في
جهود العلماء لتنقية اللحن .

لقد بحث كثير من الدارسين في كلمة « اللحن »
وتعدد معانيها ، وتطور هذه المعاني ، ويذكر في هذا
الصدد ان من معانيها « الفطنة والذكاء » استنادا الى
قول الرسول (لعل احذركم أن يكون الحن بحجته من
بعض) أو التطرف في الحديث بخلطه بالكلام الاجنبي
أو الكلام المتعمد فيه الخطأ كما روى ابن دريد أنه
« قيل لمعاوية : ان عبد الله بن زياد يلحن في كلامه ،

معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فبيناه من وجوه على اختلاف العلماء فى تفسيره .

فهذه المعاني وغيرها تدرج تحت كلمة « لحن » وربما استعملت فى تصور متفاوتة خاضعة فى ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات فى كل اللغات او استعملت بمعان متعددة فى عصر واحد بعد ان تجمعت حول الكلمة ، والذي يمين احد هذه المعاني ظروف الدلالة للنص الذى وردت فيه .

ولا علينا من ذلك كله ، فان اللحن الذى تقصده هنا هو « خروج الكلام الفصيح من مجرى الصحة فى بنية الكلام او تركيبه او اعرابه بفعل الاستعمال الذى يشيع اولا بين العامة من الناس ، ويتسرب بعد ذلك الى لغة الخاصة » واللحن بهذه الصفات امر طاريء على اللغة الفصحى ، اذ ان المفترض فى نطق العرب لها اولا هو الصحة والسلامة اعتمادا على الفطرة والسليقة ، فهذا هو الاصل ، فما حاد عن هذا الاصل الفطري المتوارث فهو خطأ ، ويوصف نقطته حينئذ بأنه « لحن » وغالبا ما يضاف « اللحن » الى « العوام » او « العامة » تنبيها على الاصل الذى جاء منه الخطأ فى الاستعمال .

— قال ابن دريد : فاما اللحن فى العربية ، لانك اذا قات (ضرب عبد الله زيد) لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب ، فكأنك قد عدلته من وجهه ، فاذا امرت من معنك فهم (1) منك .

— سمع ابو عمرو بن العلاء ان ابا حنيفة يبطل القود الا ما كان قتلا بحديد ، فقال له ابو عمرو : ارايت ان ضربه بكذا ، ارايت ان ضربه بكذا ، قال لو ضربه بأبو قبيس لم يكن عليه قود ، فقال ابو عمرو : هذا كلام شنع ، قال : وما الشنع ؟ قال : ولا تعرف الشنع ايضا !! (2)

— روى الزجاجي : كان سيبويه مستمليا لحماذ بن سلمة — وكان حماذ فصيحاً — فاستملاه يوما قول رسول الله (ص) : ليس من اصحابي احد الا ولو شئت اخذت عليه ليس ابا الدرداء ، فقال سيبويه (ليس ابو الدرداء) فصاح به حماذ : لحن

يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت وانما هو استثناء ، فقال سيبويه : لا جرم والله لاطلبن لما لا تنحنى معه ، فمضى ، ولزم مجلس الاخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين (3) .

— قال ابن الجوزي : واعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمنون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون المدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون فى الكلمة ، وتارة ينقصون منها ، وتارة يضعونها فى غير موضعها ، الى غير ذلك من الاقسام (4) .

ويستنبط من النماذج السابقة الدلالة على السمات التى يوصف الكلام من اجلها « باللحن والخطأ » فابن دريد يرى الاخلال بالاعراب فى مثل (ضرب عبد الله زيد) لحناً فى العربية ، وهذا حق ويفسره المدول عن الوجه فيه من نصب (زيد) فى المبراة السابقة ، وهذا حق ايضا لكنه يتوسع فى فهم المدول عن الوجه فى الكلام بما يشمل الدلالة ايضا « لم يدر ايهما الضارب ولا المضروب فاذا امرته فهم منك » وهذه وجهة لفهم اللحن فى المعنى ، ويصادفها المرء كثيرا فى الكتب التى تناولته بالدراسة ، وان لم تصل الى الفهم الشائع عنه من الخطأ فى الاعراب .

وابو عمرو بن العلاء يصف نطق ابي حنيفة (ضربه بأبو قبيس) بأنه « كلام شنع » مستخدما صيغة المبالغة فى وصف الخطأ الاعرابي فى الكلام الذى هو « اللحن » وهو ما ذكره صراحة حماذ ابن سلمة لسبويه حين اخطأ فى مثل ما اخطأ فيه ابو حنيفة من قوله (ليس ابو الدرداء) ، اذ صاح به حماذ (لحن يا سيبويه) فمن ذلك يتضح ان اللحن يطلق على الخطأ فى الاعراب اذا حدث فى اللغة الفصحى ، فاستعمل فيها تأثرا بما شاع بين العوام وفى الكلام الدارج ، كما انه يشمل ايضا ما عدده ابن الجوزي من ضم المكسور وكسر المضموم الخ... وهذا فى معظمه يتعلق ببنية الكلمات ، وقد سماه « غلط العامة » ايضا .

- (1) الملاحن ص 6 .
- (2) مجالس العلماء ص 110 .
- (3) السابق ص 154 .
- (4) تقويم اللسان ورقة 2/ .

ومما ذكره ابن الجوزي قوله « وتارة يضمون الكلمات في غير مواضعها » وأفهم من ذلك ما يشمل تأليف الكلام العربي ووصف الكلمات في التراكيب اللغوية ، وما يشمل معاني الكلمات في استخدامهما على غير ما قرره لها علماء اللغة ، وهذا الأخير جانب أطلق العلماء عليه أيضا أنه « لحن وخطأ » وإن لم يكن من الكثرة والشهرة ما للاخلال بالأعراب أو بنية الكلمات .

فقد أدرج تحت ما أطلق عليه « اللحن » أمور ثلاث ، أقلها شهرة واحتماما الخطأ في المعنى باستعمال اللفظ أو التركيب في غير ما هو له من المعنى ، وأعظمها شهرة وكثرة واحتماما من علمائنا الخطأ في بنية الإلفاظ أو الأعراب ، وسأقدم هنا أمثلة قليلة لهذه المظاهر الثلاثة ، الهدف منها تقديم النماذج لا الاستقصاء ، فإن مؤلفات اللحن وحدها - فيما استقرته - بلغت أكثر من أربعين مؤلفا ، تحوي مادة لغوية ضخمة لهذه المظاهر الثلاثة ، وسيأتي عرض ذلك فيما بعد .

أولا : من نماذج الخطأ في المعاني :

1 - مما تضمنه العامة في غير موضعه قولهم (خرجنا نتنزّه) إذا خرجوا إلى البساتين وإنما (التنزه) التباعد عن المياه والأرياف ، ومنه قيل : فلان يتنزّه من الأقدار ، أي يتباعد منها ومنه قول الهذلي :

أقب طريد بنزه الفلاة لا يرد الماء إلا اثنيابا (1)

2 - ومن ذلك (الطرب) يذهب الناس إلى أنه في الفرح دون الجرع ، وليس كذلك إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجرع ، قال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

وإداني طربا فسي الرهم

طرب الواله أو كالمخبيل (2)

3 - ومن ذلك (الحشمة) يضمها الناس موضع الاستحياء ، قال الأصمعي ، وليس كذلك إنما هي بمعنى الغضب ، وحكى من بعض فصحاء العرب أنه قال : إن ذلك لما يحشم بني فلان ، أي يغضبهم (3) .

4 - ويقولون (بكرت إليك) بمعنى هدوت خاصة ، وقال أبو بكر (ابن دريد) البكور التمجّل في جميع أوقات الليل والنهار ، يقال : أنا أبكر إليك العشية ، وأنشد أبو زيد لضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وحن في الندي

بسل عليك ملامتي وعقابي

يقال : بعد وحن ، يعني حينا من الليل (4)

5 - قولهم للثوب (وشاح) قال محمد (الزبيدي) والوشاح نظمان من لؤلؤ يخالف بينهما ، ويعطف أحدهما على الآخر ، وتتشبه به المرأة على كشحها (5) .

6 - ويقولون (ذو نفع وضر) فيضمون ، قال محمد (الزبيدي) والصواب (ضر) بالفتح ، وأما (للضر) فهو السقم ، قال الله عز وجل : « وإن يسلك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » (6) .

7 - ومن ذلك (الاستحمام) يكون عندهم بالماء الحار والبارد ، وليس كذلك ، إنما الاستحمام بالماء الحار خاصة (7) .

8 - قول المتكلمين (هذه المحسوسات) خطأ ، والصواب (المحسات) لأنه يقال : أحسست الشيء بمعنى أدركته ، فأما المحسوس فهو المقتول ، ممن حسه إذا قتله (8) .

9 - وتقول (استخفيت من فلان) والعامة تقول (اختفيت منه) وإنما الاختفاء الاستخراجه ومنه قيل للنباش (مخفف) (9) .

10 - وتقول (أصبح القوم) إذا صاحوا وجلبوا ، والعامة تقول (ضجوا) وإنما يقال (ضججوا) إذا جزموا (10) .

(1) إصلاح المنطق ص 287 .

(2-3) أدب الكاتب ص 18 - 19 .

(4-5-6) انظر لحن العوام ص 137 - 206 - 244 .

(7) لحن العوام ص 256 .

(8) ذيل الفصيح ص 102 .

(9-10) رسالة في غلط العوام ورقة 101 .

ويكفي هذه الامثلة العشرة لهذا النوع من الخطأ فى المعنى ، او ما وصف بأنه « لحن العوام » والملاحظ على هذه الامثلة - وشبهها كثير - ان الحكم عليها باللحن كان من زاوية الاستعمال فى فترة خاصة ، فالتزم هذا الاستعمال وتوقف ، ولم يؤخذ فى الاعتبار بالنسبة لها تطور الدلالة التى قد تتغير من جيل لجيل ، فالكلمات ليست احجارا جامدة ، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرا عليها التفسير فى معانيها ، والتطور فى دلالاتها بحسب العرف اللغوي الذى يستخدمها ، ومن المفيد ان نلاحظ ايضا ان معاني هذه الكلمات العشر التى حكم عليها بالخطا ظلت منذ القديم سائدة حتى الوقت الحاضر - وانه لا يخطر ببال احد استعمالها بالعرف الذى رأى العلماء انه هو العرف الصحيح ، فمن ذا الذى يفهم من (خرجنا ننتزه) التبعاد عن المياه والارياض ، ومن (الطرب) الحزن والسرور معا ، ومن (الحشمة) معنى الغضب لا الاستحياء ، ومن (البكور) التعجل عامة ، ومن (الوشاح) نظمان من أولسؤ لا الشوب ؟ ومن الذى يستخدم (الضر) بالفتح فى مقابل النفع ، ويترك (الضر) بالضم ويفهم من (الاستحمام) انه للماء الحار خاصة ، ومن (لاختفاء) الاستخراج لا التوارى عن العيون !! فمن الواضح ان تفكير علماء اللغة على هذا النحو تفكير التزم التقعيد والتحديد ولم يأخذ فى اعتباره المرونة والتطور ، فبقيت دراستهم فى واد والاستعمال فى واد آخر ، ولست مغاليا ان قلت : ان هذه الجهود كلها افادت من حيث الدراسة فى ذاتها ، لكنها لم تتفق مع طبيعة اللغة ، ولذلك لم تفد كثيرا فى تعديل ما اطلق عليه (اللحن) فى عصرهم او بعد عصرهم .

ثانيا : من نماذج الخطأ فى بنية الكلمات :

1 - قولهم (دخل فى غمار الناس) هذا مما

يخلط فيه العامة ، والعرب تقول (دخل فى خمار الناس) اي فيما يواريه ويستتره منهم حتى لا يبين (1)

2 - ويقولون (مقداى السفينة) قال محمد (الزبيدي) والصواب (المجداف) ومنه جذف الطائر بجناحيه يجذف جدوفا ، اذا كان مقصوفا ، فرايته كانه يرد جناحيه الى خلفه ويدارك الضرب (2) .

وواضح ان الخطأ فى هذين المثالين سببه التطور الصوتي ، لقرب المخرج بين كل من الخاء والفين فى (خمار وغمار) وكذلك بين كل من الجيم والقاف فى (مجداف ومقداف) وربما نطقت الجيم اولا (ج) ثم تطورت الى القاف .

3 - قال الجاحظ : كان منذ عمر بن عبد العزيز رجلا ، فجعل يلحنان ، فقال الحاجب (قوما فقد اوديتما امير المؤمنين) قال عمر : انت آذى لي منهما (3) .

4 - قال ابو عمرو : يقال : ازلت له زلة ولا يقال (زلت) وقد اغلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال (مغلوق) وقد اقلته فهو مقفل ولا يقال (مققول) (4) .

5 - ويقولون (هبت الارياح) مقابلة على قولهم (رياح) وهو خطأ بين ، والصواب ان يقال (هبت الارواح) كما قال ذو الرمة :

اذا هبت الارواح من نحو جانب
به اهل مي حاج قلبي هبوبها

والعلة فى ذلك ان اصل (ربح) (روح) لاشتقاقها من (الروح) وانما ابدلت الواو ياء فى (ربح ورياح) للكسرة التى قبلها ، فاذا جمعت على (ارواح) فقد سكن ما قبل الواو ، وزالت العنة (5) .

6 - ويقولون للمطهرة (ميضة) وبمضهم يقول (ميضاء) والصواب (ميضاء) بالهمزة ، والجمع (مواضيء) (6) .

(1) الفاخر فيما تلحن فيه العامة ص 246 .

(2) لحن العوام ص 69 .

(3) البيان والتبيين ج 3 ص 24 .

(4) اصلاح المنطق ص 227 .

(5-6) لحن العوام ص 169 - 174 .

7 - ويقولون (يوم مهول) ، والصواب (يوم هائل) و (امر هائل) يقال : هالني الشيء يهولني هولا ، فهو هائل (1) .

8 - يقولون (استهتر الرجل فهو مستهتر) (بالكسر) والصواب (استهتر فهو مستهتر) (بالفتح) وهو الذي يخلط في أقواله وأفعاله ، حتى كأنه بلا عقل (2) .

9 - وتقول : هذه مروحة ومخدة ومقنعة ومنحفة وملة ومذبة ومغرفة ومقطرة ومطرقة ومدقة ومقرعة ومنطقة ومبررد ومطررد ومبضع ومنديل والمساح - موضع بطريق مكة - والمرنج - النجم - كله بكسر الميم والعامة تفتحها (3) .

10 - ويقولون في جمع بيضاء وصفراء وسوداء ، ييضاوات وصفراوات وسوداوات ، وهو لحن فاحش ، لأن العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث أفعل بالالف والتاء ، بل جمعتها على (فعل) نحو بيض وصفر وسود ، كما جاء في القرآن (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) وفي قول امرئ القيس :

وتحسب سامي لا تزال ترى طيلا

من الوحش أو بيضا بيمشاه محلال (4)

فالنماذج العشر السابقة - ومنها كثير - تتعلق ببنية الكلمة العربية ، وتدخل تحت مباحث علم الصرف ، وترتب على ذلك أن الحكم عليها « باللحن والخطأ » جاء في ضوء القواعد الصرفية لبعضها يتعلق باختلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مكان آخر في (غمار وخمار) و (مقداف ومجداف) أو بإجراء الإعلال وتركه على غير مقتضى قوانين الإعلال والإبدال كما في (أزلت وزلت) أو صياغة المشتقات على غير الطريقة المحددة لها في شكل الحروف وكميتها مثل (مغلق ومغلق - مقفل ومقفول مهول وهائل - مروحة ومروحة .. الخ) . أو في الهمز والتسهيل كما في (ميضاء وميضأة) أو بناء الفعل للمعلوم والمجهول حسبما ورد من العرب وقرره كتب الصرف كما في (استهتر واستهتر واستضحك

واستضحك) أو في صيغة الجمع للمفرد كما في (ييضاوات وييض) . فكل هذه المباحث قرر لها علماء النحو والتصريف مبادئ محددة ، وفي ضوء هذه المبادئ غالبا نظروا إلى طريقة استعمال اللغة على مدى المصور ، فكل ما وجدوه مخالفا لها ، حكموا عليه « باللحن » ونسبوه إلى العوام .

ومن المفيد أن يعرف أن هذا النوع من الخطأ قد حظي بعناية العلماء عناية فائقة في « كتب لحن العامة » مما لم ينل مثله المظهران الآخران من مظاهر اللحن اللذان يتعلقان بالمعاني أو التراكييب والاعراب ، ولعل ذلك يرجع إلى الاعتقاد بأن هذا المظهر من اللحن أشد خطورة على اللغة من المظهرين الآخرين لما يترتب عليه من « تشويه اللغة » وطمس المعاني واضطرابها ، بالإضافة إلى ما اطمأنوا إليه من ضخامة الجهود النحوية التي تقي من « اللحن » في الأعراب بالنسبة للجهود في بنية الكلمات ووضع القوانين لها .

ثالثا : من نماذج الخطأ في التركيب والاعراب :

1 - تقول (شكرت لك ونصحت لك) ولا يقال (شكرتك ونصحتك) وقد نصح لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب ، قال الله تعالى (واشكروا لي ولا تكفرون) (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) (5) .

2 - قال الاخفش : أخبرني المبرد قال : أنشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي مشرونان ثنتان

فقلت له : أيها الأمير ، هذا لحن ، لأن أعرابا لا يدخل على أعراب (6) .

3 - من اللحن قولهم (العوام) فيه تبارك وتعالى (هذه صفة ذاته ، وهو مبين بالذات) قال محمد (الزبيدي) ولا يجوز أن يلحق الألف واللام (ذو ولا ذات) في حال أفراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات ، وإنما تقع أبدا مضافة إلى

(1) 253 - 255 .

(3) تقويم اللسان ورقة 25 .

(4) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقة - 104 .

(5) ما تلحن فيه العوام ص 25 .

(6) الوحش ص 357 .

الظاهر ، - الا ترى انك لا تقول (الدو ولا الذوان ولا
الدون ولا الذات ولا الذوات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما
ولا ذوهن ولا ذواتها ، ولا تقول : مررت بذاته ولا
بذاتك) وقد غلط في ذلك اهل الكلام واكثر المحققين
من الشعراء والكتاب والفقهاء (1) .

4 - قال أبو زيد الانصاري : لقيت ابا حنيفة ،
فحدثني بحديث فيه (يدخل الجنة قوم حفاة عراة
منتنين قد أحسنتهم النار) فقلت له : انما هو
(منتنون قد محسنتهم النار) فقال : ممن انت؟؟ فقلت:
من اهل البصرة ، فقال : اكل اصحابك مثلك؟؟ قلت:
بل انا اخسهم حظا في العلم ، فقال : طوبى لقوم
يكون مثلك اخسهم حظا (2) .

5 - ويقولون (ادخل باللس السجن) والصواب
ان يقولوا (ادخل اللس السجن) لان الفعل تارة
يعدى بهمزة النقل كقولك (خرج وأخرجته) وتارة
بالباء ، كقولك (خرج وخرجت به) فاما الجمع بينهما
فممتنع (3) .

6 - العامة تقول (فعل الغير ذاك) فيدخلون
على (غير) اداة التعريف ، والمحققون من النحويين
يمنعون من ادخال الالف واللام عليه ، لان المقصود
بدخول آلة التعريف على النكرة ان تخصصه لعينه ،
فاذا قيل (الغير) اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى
كثرة (4) .

7 - والعامة تقول (لا افعل هذا قط) في
المستقبل (ولا افعله ابدا) وهو غلط ، والصواب ان
تقوله في الماضي (ما فعلت هذا قط) اي فيما انقطع
من عمري (5) .

8 - (غير) اسم ملازم للاضافة في المعنى ،
ويجوز ان يقطع عنها لفظا ، ان فهم المعنى وتقدمت
عليها كلمة (ليس) ، وقولهم (لا غير) لحن ، ويقال
(قبضت مشرة ليس غيرها) (6) .

9 - (عند) لا تقع الا ظرفا او مجرورة بمن ،
وقول العامة (ذهب الى عنده) لحن (7) .

10 - وتقول (ما رأيته من امس ومن ايام) وهو
غلط ، لان (من) تخص المكان ومذ ومنذ يختصان
الزمان (8) .

وبلاحظ على الامثلة العشرة السابقة ان الكثير
منها يتعلق بتأليف التركيب العربي ، والامر الذي
استقر عليه هذا التأليف بين النحاة ، وما جاء مخالفا
للطرائق المنظمة لذلك ، ينبغي ان يدخل دائرة «اللحن
والخطا» كما هو واضح تماما في (ادخل باللس
السجن) و (شكرت لك ونصحت لك) و (لا افعل
هذا قط) والصحيح فيه (ما فعلت هذا قط) وكذلك
(لا غير) والقواعد تقضي بان التعبير الصحيح هو
(ليس غير) - كما ان بعض الاخطاء تعود - في نظر
النحاة - الى استخدام الادوات بطريقة غير ما استقر
عليه الامر - وبخاصة حروف الجر - كما في (ذهب
الى عنده) وصحتها (جئت عنده) و (جئت من عنده)
وكذلك (ما رأيته من امس) وتقضي القواعد استخدام
(منذ) في هذا الموضع - كما يعود اللحن هنا كذلك
الى الشكل الامرابي ، وخروج الكلام عن مقتضاه ،
كما في (عشرون) اذ قال المبرد منبها على الخطا
فيها « ايها الامير ، هذا لحن ، لان اعرابا لا يدخل على
اعراب » وكذلك قول ابي حنيفة (يدخل الجنة قوم
حفاة عراة منتنين) حيث صححها له ابو زيد الانصاري
بقوله (منتنون) تنبيها على الخطا الاعرابي في
الصفة .

وطريقة تأليف الكلام واستخدام الادوات
النحوية والاعراب كلها من المباحث التي يتناولها النحو
مع غيرها من المباحث التي تتعلق بالتركيب اللغوي
واسراره .

والذي افهمه ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية
في دراسة « لحن العامة » هو ايراد لما حدث في
« النفاة الفصحى » وفي الاستعمال الخاص لهذه اللغة

(1) لحن العوام ص 12 .

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 38 .

(3- 4) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقة 59 - 240 .

(5) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقة 254 .

(6) المغنى ج 1 ص 157 .

(7) المغنى ج 1 ص 651 .

(8) رسالة في افلاط العوام ورقة 122 .

اللحن على أن النحاة انفسهم قد خطاوا فيما بقى قول
الناطقة الديباني :

نبت كآني ساورنسي ضئيلة
من الرقش في انيابها السم ناعم

وقالوا : كان حقه ان يقول (ناعما) لا (ناعم)
فان النكرة لا تصف المعرفة .

وعلى كل حال فان كلمة «اللحن» قد تردت بين
العرب مع ظهور الاسلام فيما نقل عن هذه المبكر ، اذ
نقل ان الرسول (ص) قال : انا من قريش ، ونشأت
في بني سعد فاني لي اللحن ، ونقل عن الصديق (ص)
قوله : لان اقرا فاسقط احب الي من ان اقرا فاللحن .
وكان قصة الكتاب المشهور الذي بعث به من العراق
ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب وجاء فيه
« من ابو موسى الاشعري » وما رد عليه عمر من قوله:
اضرب كاتبك سوطا واحدا واجز عطاه سنة (2) .

فان هذه الروايات المتناثرة - ان مسحت - تدل
على معرفة اللحن في ذلك العصر وفيما قبل ذلك
العصر الاسلامي المبكر ، اذ ان استخدام اللفظة في
ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها حينئذ قد
سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهم ، وفي
ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث ذلك في الجاهلية
وان لم ينقل ذلك وتتناقل مظاهره .

وحين تأخر الزمن قليلا - في عهد الامويين في
القرن الاول الهجري - اصبح اللحن قضية ذات
خطر في استعمال اللغة ، وهذا طبيعي اذ اتسعت
الدولة الاسلامية ، وكثرت دواهي الاختلاط بالاجانب
من الحرب والجوار والخدمة والمعايشة ، وجاءت من
ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللحن بين
الخاصة وفي حضرة الخلفاء ، وهي لهذا السبب
نفسه استحققت الرواية والتناقل ، ولنا ان نتخيل
الايخطاء الكثيرة مما لم ينقله احد او يعني به ، لانه كان
يحدث بين الناس العاديين من جمة العرب
والمسلمين ، واكثر الدلالة على ضخامة ذلك وكثرته انه
كان سببا في بداية النحو العربي حول النصف الاول
من القرن الاول الهجري على اختلاف الرواة فيمن
نسب اليه تلك النشأة .

في مجالات المواقف الجادة من القول بين العلماء
والخاصة ، ويصح بناء على ذلك قبول ما رآه بعض
الدارسين من ان « المصوام » الذين اضيف اليهم
« اللحن » في كتب « لحن المصوام » هم مصوام
العلماء والخاصة ، فهو رأي يقبل من هذه الاخطاء
القليلة التي تتعلق بالتركيب والاصراب اما فيسر
ذلك من مظاهر اللحن المتعلقة بالمعاني او بنية الكلمات،
وكذلك في هذا المظهر في اضافته الى العامة من
الناس العاديين ، فالغلب ظني ان كل ذلك كان شائعا
الى حد الكثرة ، وانه لم يكد القرن الثاني ينقضي
حتى تنوعت الماميات وكثرت الاخطاء بين الناس
العاديين والمتخصصين على سواء .

لكن : متى بدا اللحن في الكلام العربي وكيف
تطور ؟

لا يستطيع الوصول الى حقيقة حاسمة من هذه
الظاهرة في العصر الجاهلي - شأنها في ذلك شأن
كثير من ظواهر اللغة والادب من هذا العصر - فان
كثيرا من شؤون الجاهلية تكاد تكون مطبوسة
تماما ، او على الاقل غير مؤكدة ، اذ تعتمد على الظن
الغالب لا الادلة المقتنعة ، والغالب ان اللغة العربية في
العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، تختلف
فيما بينها باختلاف القبائل وعرف كل قبيلة في
لهجتها ، وان اللغة العامة التي كانت وسيلة التفاهم
بين الجميع حدث فيها احيانا اللحن والخطا ، ولو صح
ان الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمن الى
العصر الجاهلي ، لجاءتنا كتب في «لحن العامة» من
هذا العصر كما حدث في القرن الثاني الهجري وما
تلاه حين نضجت الدراسة وتنوعت ، وكان اللحن احد
المظاهر التي اهتمت بها . وقد روى ان طرفة بن العبد
قال وهو صغير :

يا لك من قبرة بمصر
خلا لك الجو فيبيضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقري
قد رفع الفخ فماذا تحذري

لا بد يوما ان تصادي فاصبري (1)
فما هو الوصف الذي كان من المتوقع ان يطلقه
النحاة على عبارة (ماذا تحذري) غير الضرورة او

(1) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج 3 ص 110 .

(2) انظر : مراتب النحويين ص 5 - 6 .

* كان لخالد بن يزيد بن معاوية اخ ، فجاه يوما فقال : ان الوليد بن عبد الملك يبعث بي ويحتقرني ، فدخل خالد على عبد الملك - والوليد عنده - فقال : يا امير المؤمنين ، ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصفره - وعبد الملك مطرق - فرفع رأسه وقال : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها - الآية) فقال خالد (واذا اردنا ان نهلك قرية - الآية) فقال عبد الملك : افي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما اقام لسانه لحنا !! فقال خالد : افعلى الوليد تعمل !! فقال عبد الملك : ان كان الوليد يلحن ، فان اخاه سليمان ، فقال خالد : وان كان عبد الله يلحن ، فان اخاه خالد - في كلام كثير طويل (1) .

* تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة ، فلحنت وهي عند الحجاج ، فقال لها : اتلحنين واني شريفة في بيت قيس !! فقالت : اما سمعت قول اخي مالك لامراته الانصارية ؟ قال : ما هو ؟ قالت : منطلق صائب وتلحن احيانا

وغير الحديث ما كان لحنا فقال لها الحجاج : انما منى اخوك اللحن في القول - اذا كنى الحديث مما يريد - ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي لسائك (2) .

* وروي عن الاصمعي قوله : اربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل ، الشمبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج افسحهم (3) .

والواضح من هذه الروايات الثلاث انها جاءت من شخصيات لها تميزها في العصر الاموي سواء من حدثت منه او من حدثت في حضرته او من قبلت منه ، ويمود هذا التميز الى انهم من اصحاب الحكم او من اهل العلم في العصر الاموي ، فكيف كان الامر بين العوام من الناس ؟ ومع ذلك فانها تدل على العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من « يلحن » في حديثه ، كما هو واضح في تلك الملاحاة العادة بين خالد بن يزيد وعبد الملك من عبد الله بن يزيد والوليد ابن عبد الملك كما ان فيها دلالة على التشدد

والعنف مع من يلحن في كلامه كما هو واضح في ذلك الانكار والردع من الحجاج لعند بنت أسماء - كما تدل في الجانب المقابل على ان «الخلو من اللحن» يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه الفخر والثناء ، كما هو واضح من اسلوب الامجاب الذي يقرر به الاصمعي هذه الحقيقة عن الشمبي وعبد الملك والحجاج وابن القرية .

فما روي من « مواقف اللحن » في القرن الاول الهجري قد لابسه العار والاحتقار او الانكار والردع ، او استحقاق من يعري عنه الفخر وحسن الذكر مما يفهم منه ان اللحن كان يمثل في ذلك الوقت امرا جديدا خطيرا ، او بمباراة ادق : ان شيوعه بين الناس كان ظاهرة جديدة خطيرة يستحق من يبرا منها الثناء والشكران ، كما يستحق مرتكبها الزجر والنكران .

فاذا ما تاخر الزمن الى القرن الثاني الهجري - وبخاصة النصف الثاني منه وما تلاه - اصبح ما كان احساسا بالخطر خطرا حقيقيا ملموسا ، وما كان مواقف متناثرة تذكر فتنكر امرا شائعا بين الناس من غير تكيز ، وترتب على ذلك نشاط علمي متنوع ، ففي رواية اللفه رحل العلماء للبادية ، وانصرفوا عن الحضر بعد ان شاع فيه اللحن ، فلم تعد اللفه - في نظرهم - اهلا للنقل والاحتجاج ، وفي الدراسة اللغوية نشطت حركة التنقية التي بدأت في هذه الفترة بكتاب الكسائي الذي لا يزال موجودا بين ايدينا لان من « ما تلحن فيه العامة »

* قال الرشيد يوما لبنيه : ما ضر احدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، ايسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده او امته (4) !! .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى ؟ فقال : يا امير المؤمنين : ان طباع اهل البدو الامراب ، وطباع اهل الحضر اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم اللحن ، واذا رجعت الى الطبع لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه (5) .

(1) صبح الاعشى ج 1 ص 168 .

(2) امالي المرتضى - القسم الاول ص 15 .

(3) امالي الزجاجي ص 20 .

(4) صبح الاعشى ج 1 ص 168 .

(5) صبح الاعشى ج 1 ص 173 .

على طرق السابلة ، وتقرب مجامع الاسواق (2) .
 وإذا كان اللحن قد امتد الى هؤلاء الامراب والعلماء
 المتقمرين في نطق اللغة ، فلنا ان نتصور ما كان بين
 عامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع او بالصنعة .
 اما في القرن الرابع الهجري - الذي انتهى في
 آخره الاستشهاد - فقد وصل الامر الى مده ، وطفى
 اللحن على الخاصة والعامة وعلى اصحاب الطبع في
 البادية واصحاب الصنعة في الحضر .

✽ يقول الاسدي : والمتأخرون لا يكادون
 يسلمون من اللحن ، وهذا في اشعارهم كثير جدا (3) .
 ✽ ويقول ابو جعفر النحاس : وقد صار اكثر
 الناس يظن على متعلمي العربية جهلا وتمديا حتى
 انهم يحتجون بما يزعمون ان القاسم بن مخيمرة قال :
 النحو اوله شغل ، وآخره بني (4) .

والاسدي وابو جعفر النحاس من علماء القرن
 الرابع الهجري الذين عاصروا فترة نهاية الاستشهاد
 باللغة الذي كان من اهم عوامله شيوع اللحن بين
 الناس حتى الشعراء انفسهم ، واصبح اللحن لا
 يكاد احد من المتأخرين يسلم منه - كما يقول الاسدي
 من معاصريه - وصار اكثر الناس يظن على متعلمي
 العربية جهلا وتمديا - كما يقول النحاس - ومن قبل
 كان تعلم العربية من الامور التي يتواصى بها الناس ،
 وبعض عليها الخلفاء والحكام ، وهكذا انقلب الامر ،
 فاصبح تعلم العربية من طريق الصناعة النحوية موضع
 سخرية الناس « والنحو اوله شغل وآخره بني » -
 تماما كما كنا نعيش اليوم في عصرنا الحاضر .

وليس من المفيد كثيرا ان نتابع تطور « قضية
 اللحن » بعد عصر الاستشهاد ، فقد اصبح « اللحن »
 هو القائمة بين الناس في حياتهم العامة ، وتسرب
 الى التأليف العلمي نفسه ، كما هو واضح في بعض
 موسوعات التاريخ في القرن السادس وما بعده -
 وستأتي نماذج من ذلك - حتى قال احد المتأخرين
 « ان اللحن قد فشا في الناس واللسنة قد تغيرت ،
 حتى صار التكلم بالامراب عيبا ، والنطق بالكلام
 الفصيح عيبا (5) » .

فماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

✽ وكان الرشيد مما يعجبه فناء الملاحين في
 الزلازل اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ،
 فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء
 شعرا يفتنون فيه ، فوجه الى ابي المتأهية - وهو
 سجين - فصنع لهم « زهديته » التي ابكت الرشيد
 حين سمعها منهم ، وفيها :

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح

لتموتن وان عمرت ما عمر نوح (1)

وقد اخترت هذه النماذج الثلاثة قصدا عن
 « عهد الرشيد » الذي عاصر الفترة الاخيرة من
 القرن الثاني ، وهي تدل على الامور الآتية :
 ان اجادة الفصحى أصبحت صناعة يبحث
 الرشيد ابناءه على الاخذ منها بما يصلح لسان كيلا
 يكونوا كمن يخالطونهم من العبيد والاماء في اللحن
 والخطا .

وان العلماء انفسهم كانوا يلحنون في حياتهم
 العادية ، ولم يروا ذلك عيبا يفض من شأنهم ، وقد
 اعترف بذلك الفراء قائلا « اذا حفظت او كتبت لم
 الحن ، واذا رجعت الى الطبع ، لحت » ونال هذا
 الاعتراف استحسان الرشيد ، لانه الحقيقة .

وان العامة كانوا اشد من ذلك لحنًا ، ويمثلهم
 هؤلاء الملاحون في الزلازل الذين يفتنون على مقتضى
 طبيعتهم ، فيعجب فناءهم الرشيد لكنه يتأذى بفساد
 كلامهم ولحنهم ، فمنع عن نفسه التأذي بتقديم الكلام
 الفصيح لهم لكن من السدى يمنع ذلك منهم او من
 غيرهم حين يفتنون او يتكلمون في غياب الرشيد !!

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعة ،
 واطرد نموها بتأخر الزمن ، فالقرن الثالث اقل حظا
 في الفصاحة من القرن الثاني ، وفي الجانب المقابل
 عظم اللحن اكثر من ذي قبل .

وقد روى الجاحظ نوادر كثيرة من « اللحن في
 القرن الثالث » في كتابه البيان والتبيين مما سمعه
 ووصفه ، وعابه على من يتكلفون الفصاحة من علماء
 اللغة والامراب ، فقال : « ان اقبح اللحن لحن اصحاب
 التعمير والتعميب والتشديق والتعطيط والجهورية
 والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاماريب النازلين

(1) انظر : الالهاني ج 3 ص 171 .

(2) البيان والتبيين ج 1 ص 146

(3) الموازنة ج 1 ص 416 .

(4) صبح الامشى ج 1 ص 171 .

(5) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

لقد نظر علماء اللغة اليه من زاوية « الخطأ »
فقاوموه بمنف ، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم
معه ، بل ان العكس هو الصحيح ، اذ انتصر اللحن
بنفلة الاستعمال وقهر المجتمع اللغوي المتطور
باستمرار .

وقد بدأت هذه المقاومة منذ القرن الثاني
الهجري ، واستمرت فيما تلا ذلك من عصور
والجدول الآتي « لكتب لحن العوام » ومؤلفيها - مما
عرفته على قدر جهدي - يوضح ذلك :

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ وفاته	الإشارة الى ما هو موجود
1 - ما يلحن فيه العوام	عني بن حمزة الكسائي (172)	مطبوع
2 - ما يلحن فيه العامة	يحيى بن زياد الفراء (207)	
3 - ما يلحن فيه العامة	لابي عبيدة معمر بن المثنى (210)	
4 - ما يلحن فيه العامة	لابن نصر احمد بن حاتم الباهلي (231)	
5 - اصلاح المنطق	لابي السكيت يعقوب بن اسحاق (244)	مطبوع
6 - ما يلحن فيه العامة	لابي عثمان المازني (248)	
7 - ما يلحن فيه العامة	لابي حاتم السجستاني (250)	
8 - تقويم اللسان (ادب الكاتب)	لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276)	مطبوع
9 - لحن العامة	لابي حنيفة احمد الدينوري (290)	
10 - ما يلحن فيه العامة	لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب (291)	
11 - ما يلحن فيه العامة	لابي الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي (300)	
12 - اللحن الخفي	هاشم بن احمد الحلبي (377)	
13 - لحن العوام	لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (380)	مطبوع
14 - لحن الخاصة	لابي هلال المسكري (395)	
15 - تثقيف اللسان	عمر بن مكي الصقلي (501)	مطبوع
16 - درة الفواص	لابي محمد القاسم بن علي الحريري (516)	مطبوع
17 - تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة	لابي منصور الجواليقي (539)	مطبوع
18 - تقويم اللسان	لابي الفرج عبد الرحمن الجوزي (597)	مصور
19 - لحن العامة	ابن هشام محمد بن احمد اللخمي (600)	مصور
20 - ناظر انسان عين المائي	محمد بن احمد بن جامع (727)	مصور
21 - لحن العامة	لابن هاني محمد بن علي السبتي (733)	
22 - غلطات العوام	جلال الدين السيوطي (911)	مخطوط
23 - التنبيه على غلط الجاهل والنبيه	لابن كمال احمد بن سليمان (940)	مطبوع
24 - بحر العوام فيما اصاب فيه العوام	رضي الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي (971)	مطبوع
25 - غلطات العوام	مصطفى بن محمد خسرو زاده (1000)	مصور
26 - لف القمط لتصحيح ما استعملته العامة	محمد صديق بن حسن البخاري (1307)	مطبوع
27 - اغلاط العوام والخواص	(مجهول)	مصور
28 - سقطات العوام	(مجهول)	مصور
29 - اصول الكلمات العامة	حسن توفيق العدل (1322)	مطبوع
30 - تهذيب العامي والمحرف	حسن علي البدرائي ()	مطبوع

ملاحظات على مقاومة العلماء اللحن :

1 - بنظرة واحدة الى الجدول السابق الذى امكنني معرفة مافيه من كتب لحن العوام - الموجود منها والمفقود - يتضح ان مقاومة العامية كان شديدا في القرن الثاني والثالث والرابع ثم بدا يقل تدريجيا بعد ذلك ، ولهذا دلالة ، حيث قاوم العلماء بقوة مظاهر اللحن في الفترة التى كانت اللغة موردا للدراسة ، والصلة قريبة بين المادة التى امتقدوا نقاوتها حين ترد من البادية ، وبين تنقية الفصحى المستخدمة فى الحضرة قياسا عليها .

2 - كان من المفترض ان تعتمد التنقية على استقراء لاستعمال اللغة التى يماصرها المؤلف والتي تستعمل بين الناس فى عصره ، ولكن الذى حدث - فيما اطلعت عليه منها - لم يكن كذلك ، بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، فكانوا ينقلون غالبا ما اوردته من سبقوهم فى كتبهم وعلى سبيل المثال اعتمد ابن قتيبة فى « تقويم اللسان » على ابن السكيت فى « اصلاح المنطق » واعتمد الزبيدي فى « لحن العوام » على من سبقه من العلماء ، فكان يذكر اسماءهم دون كتبهم - واعتمد ابن الجوزي فى « تقويم اللسان » على كتب من سبقوه ، وذكر فى مقدمة الكتاب انه جمع فيه ما رآه مبددا فى كتب من سبقوه ، وانتخب من ذلك ما نعم به البلوى دون ما يشد استعماله ويندر ، ونقل السيوطي كتاب ابن الجوزي برمته ، ونسبه لنفسه تحت عنوان « غلطات الصوام » .

3 - يلاحظ انه يقصد بالعوام والعامية فيما اطلعت عليه من تلك الكتب الناس العاديون بدليل النص احيانا على الخواص والخاصة ، ولكن الذى قصدوه بالتنقية هو اللغة الفصحى بعد ان أصبحت تستعمل فى مستوى خاص ، وتسرب اليها « لحن العوام » فبقيت النسبة الى العوام ، وان كان المقصود بذلك ما حدث فى اللغة الفصحى التى يستعملها الخاصة ، وبذلك نفهم قول الزبيدي (فى مقدمة كتابه « لحن العوام » ص 8) « فهذا مما افسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنت»

الشعراء الشعراء ، واستعمله جلة الكتاب ونية الخدمة فى رسائلهم ، وتلاقوا به فى محافلهم ، فرأيت ان ائبه عليه ، وابين وجه الصواب فيه » .

وعلى ذلك فانه لا معنى للتكلف بتوجيه معنى (العامية) الى «عامية العلماء» كما حاول ذلك بمض الدارسين فى العصر الحديث .

4 - تمنيت ان اجد فى احد هذه الكتب حديثا من « اللحن » فكرة وموضوعا ، لكن لم تتحقق لي تلك الامنية فى احدها ، اذ يتجه الحديث فيها مباشرة - بعد مقدمة قصيرة - الى ايراد الكلمات وبيان خطئها او صحتها اعتمادا على النقل فى غالب الاحيان كما سبق ذلك .

5 - ومع نظرة الى هذه الجهود الطيبة المخلصة فى لجدول السابق - والى غيرها مما لم اهره - يتساءل المرء : هل نجحت كل هذه الجهود فى حل قضية اللحن ، وايقاف تياره المتدفق ؟

تساؤل يتضح المقصود منه فى الفقرة التالية ان شاء الله .

نظرة النحاة الى اللحن بين القواعد والاستعمال :

ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير لا عسر فيه ، فقد نظروا اليه من زاوية « الخطأ » واعتبروه انحرافا عن الطريقة الصحيحة التى ينبغى ان ياتي عليها النطق العربى السليم ، ولم يؤخذ فى الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره ، وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فان اللغة - شأنها شأن الظواهر الاجتماعية كلها - تتطور باستمرار فى معانيها وبنيتها وتركيبها ولا تخضع طويلا للقواعد المنسقة والنظام الجميل ، لان اللغة نظامها الذى يفرضه استعمالها بين المتكلمين بها ، ومثل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادره ، وملاحظته لا تجميده ، فان المصادرة والتجميد لا يمكن تحقيقهما بالنسبة للغة نفسها ، وان امكن ذلك بالنسبة لدراستها ومن يدرسونها .

ونظرة النحاة لما اسموه «اللحن» من زاوية «الخطأ» كان سندها « القواعد العادة » التى وضعوها والزموا انفسهم بها ، وان لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار .

ويمكن توضيح ذلك وتأيدته بالأمور الثلاثة الآتية :

- 1 - جهود النحاة فى مقاومة اللحن ودورانها حول القواعد .
- 2 - خضوع النحاة انفسهم لسطوة اللحن مع انهم حراس القواعد .
- 3 - التصاعد الذى قام - واستمر قائما - بين القواعد المصنوعة وواقع الاستعمال .

لقد اربطت بداية النحو بحدوث اللحن ، والروايات التى رويت عن ذلك كلها تقر هذه الفكرة صراحة او تمثيلا بوصف صورة النطق الملهون فيه والذي كان الدافع المباشر لوضع القواعد، ويبدو ان هذه الصلة بين القواعد واللحن فى فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تقدم الزمن ونفج الدراسة ، وهى صلة قوامها التنافر بين القواعد وما خرج من هذه القواعد من مظاهر اللحن ، على ان تكون القواعد - من وجهة نظر النحاة - هي الحكم فى هذه المظاهر ، او بمباراة اخرى ان القواعد هي « الصواب » وان ما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو « الخطأ » .

* قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراً الناس يلحنون ، ووجوه الناس ، فوضع ابو الاسود باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر ، والرفع والنصب والجزم (1) .

* وروى القفطى عن ابي الاسود قال : دخلت على امير المؤمنين على - عليه السلام - فاخرج لي رقعة فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) قال : فقلت : ما دعائك الى هذا ؟ قال : رايت لسانا فى كلام بعض اهلى ، فاحببت ان ارسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ ، فاخذ ابو الاسود النحو من على - عليه السلام - ولم يظهره لاحد (2) ، ثم اظهره فيما بعد .

وينبغي التوقف فى فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند هبارتين فيهما هما (غلبت السليقة ولم تكن نحوية) و (رايت فسادا فى كلام بعض اهلى فاحببت ان ارسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ) فان هاتين الروايتين تؤيدان ما نزعناه من طبيعة الصلة بين القواعد والسليقة غير النحوية التى يطلق عليها « اللحن » منذ البداية ، واتخاذ القواعد - منذ البداية ايضا - سلطة للتمييز بين « الصواب والخطأ » كما قال - عليه السلام - ان صحت نسبة الرواية الثانية .

وقد بقي هذا الفهم نفسه قائماً على مدى الزمن ، اذ طبقة الدارسون ، وخضع له الناطقون بل ازداد مع تقدم الزمن قوة وثباتا ، وفى الوقت نفسه اطراد نمو طرفي القضية من « القواعد » و « السليقة غير النحوية » فزادت مؤلفات النحو تضخماً ، وفى الجانب المقابل كان اللحن يزداد انتشاراً ، وحين الف سيبويه « كتابه » كان اللحن فى الحضر خطراً صرف العلماء عن لغته الى البادية .

كما انه بالاطلاع على الكتب التى ألفت نصاً فى مقاومة اللحن - مر جدول عرضها فى الفقرة السابقة - يتضح فيها هذا الفهم نفسه الذى يجعل القواعد مقياساً للصواب فيما رسم باللحن والخطأ من معاني الكلمات وينيتها وتراكيبها ، ويتبين ذلك فى طريقة العرض او فى ذكر القواعد احياناً لتصحيح الخطأ .

* قال الكسائي : وتقول : شكرت لك ونصحت لك ، ولا يقال : شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب (3) .

* وقال ابن السكيت : باب ما جاء على (فعلت) بالفتح مما تكسره العامة او تضمه يقال (ما عسيت ان اصنع) قال الله جل ذكره (فهل عسيتم ان توليتم) ولا ينطق منها باستقبال (4) .

* وقال الحريري : يقولون : (انضاف الشيء اليه وانفسد الامر عليه) وكلا اللفظين ليستا من كلام

- (1) طبقات فحول الشعراء ص 12 .
- (2) انباء السرواه ج 1 ص 5 .
- (3) ما تلحن فيه العامة ص 25 .
- (4) اصلاح المنطق ص 188 .

العرب ، وإنما يقال (اضيف الشيء اليه وفسد الامر عليه) فلا يأتي منهما ذلك (1) .

فهذه نماذج يتبين منها كيفية الطريقة التي سلكها العلماء في جهودهم لمقاومة اللحن ، وإذا كان الكسائي يصحح الخطأ قائلا (هذا كلام العرب) فابن السكيت والحريري يذكران « القواعد » مقاييس التصويب للاستعمال الموسوم بالخطا واللحن ، فقامدة ابن السكيت في المثال السابق هي « ما جاء على فعلت بالفتح مما تكسره العامة او تفسمه » وقامدة الحريري « المطاوعة تأتي من الثلاثي المتعدي ، اما الثلاثي اللازم فلا يأتي منه ذلك .

هذا هو طابع الجهد الذي بذل في مقاومة اللحن ، يلخصه انه « التمسك بالقواعد اساسا لتصويب ، وايراد ما لا يوافق من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة »

اما الامر الثاني الذي يدل على سطوة القواعد على اذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على السنة المتكلمين فيمثل تلك المفارقة الطريفة من افراد من علماء النحاة نسب الى بعضهم انه كان يتقعر ويغرب في حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب الى البعض الآخر انه كان يلحن في كلامه ، وربما اترف احيانا بوقوع ذلك منه ، ولم يعتبره شيئا يفضى من شأنه .

وعلى الرغم من ان هذين المظهرين يمثلان طرفين متباعدين في الكلام فان النظرة المدققة تكشف انهما يصدران من ظرف لغوي واحد هو « سطوة الاستعمال » الذي وصفه ابن سلام بقوله « غلبت السليقة ، ولم تكن نحوية » فقد دفع ذلك بعض النحاة التي التظاهر احيانا من التمكن من تلك السليقة النحوية : فاهربوا في حديثهم ولفخموه ، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوي الشائع ، فغضموه له معترفين بانه الواقع وان خالف قوانين النحو وقواعد الاعراب .

ومن النحاة الاول الذين روي عنهم التقعر والاهراب عيسى بن عمر الثقفي (ت 149) الذي روي عنه ذلك في كتب الطبقات التي ترجمت له ، ومن ذلك هذا الموقف الطريف الذي كان يضرب فيه بالسياط لوديمة اضعافها وهو يصيح قائلا : « والله

ما كان الا ايبا في اسفاط قبضها عشاروله (2) » وروي ذلك ايضا من ابي علقمة النحوي الذي ساق السيوطي منه المشهد الطريف التالي :

* مر ابو علقمة يوما على عبد حبشي وصقلي ، فاذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الارض فادخل ركبتيه في بطنه ، واصابعه في مينيته ، وهض اذنيه ، وضربه بمصا فشجه ، واسال دمه ، فقال الصقلي لابي علقمة : اشهد لي ، فمضوا الى الامير : فقال له الامير : بم تشهد ؟ فقال : اصلح الله الامير ، بينا انا اسير على كودني ، اذ مرت بهذين العبدان ، فرايت الاسحم قد مال على هذا الابقع ، فخطاه على فدفد ، ثم ضغطه برضفتيه في احشائه ، حتى ظننت انه تدفع جوفه ، وجعل يلج بشناتره في جحمتيه يكاد يفتقهما ، وقبض على صناريه ببيرمه ، وكاد يحدهما ، ثم علاه بمناسة كانت معه ، فمجفه بها ، وهذا اثر الجريان عليه بينا .

فقال الامير : والله ما فهمت مما قلت شيئا .

فقال ابو علقمة : قد فهمناك ان فهمت ، واعلمناك ان علمت ، واديت اليك ما علمت وما اقدر ان انكلم الفارسية .

فجهد الامير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ، ثم كشف الامير راسه ، وقال للصقلي : شجني خمسا ، واعفني من شهادة هذا (3) .

وقد يشير هذا المشهد ابتسامة الشفقة على ابي منقمة الذي يحمل نفسه هذا الجهد الثقيل من التقعر والاهراب ، امام الامير الذي يماصره ولكنه لا يستطيع فهم كلامه ، لانه يمثل الاستعمال العادي للكلام ، ومع ذلك فان لابي علقمة من ظروفه الخاصة ومن ظروف مصره ما يقدم له المذر في طريقته الغريبة ، فهو نحوي قام في نفسه ان الكلام العادي داخله الفساد ، ومن حقه ان يستعمل طريقة توافق لغة النحو التي يستنبط منها قواعده .

اما نحن علماء النحو في حياتهم المادية واعترافهم بذلك ، فهو مظهر مهم ، اذ ان في هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى

(1) درة الفواص ص 22 .

(2) معجم الادباء ج 16 ص 149 .

(3) بغية الوعاة ج 2 ص 139

اتساع الهوة دائما بين طرفي القضية ، فعانى النحاة من ذلك قديما ، وما زالت هذه المعاناة قائمة حتى اليوم .

اخيرا :

يتضح من عرض الامور الثلاثة السابقة لمؤلف النحاة مما اطلق عليه « اللحن » تأييد ما افتتحت به هذه الفقرة من رؤياهم له من زاوية « الخطا » وان الذي وجه هذه الرؤية هو مقياس (القواعد لا الاستعمال) وضح ذلك في جهودهم اللغوية ، وبمض مواضع حياتهم الشخصية ، وفي هذا الفراق والخصومة القائمة بين كلا الامرين القواعد والاستعمال .

تلك وجهة نظرهم ، اما مدى توفيقهم فيها ، فله حديث آخر في القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .

— * —

« التصحيف والتحريف »

معنى التصحيف والتحريف وعلاقتها باختلاف المعنى والبنية والاعراب :

« التصحيف والتحريف » لفظتان بينهما صلة حميمة ، وقد جمعهما العلماء احيانا عنوانا لمؤلف واحد ، كما فعل ابو احمد العسكري في مؤلفه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » وكما فعل من بعده الصفدي في كتابه الموسوعي « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » وقد شرح « التهانوي » في « كنز اصطلاحات الفنون » المقصود منهما في مكان واحد .

وتعود الصلة بين اللفظتين - مع تجاوز معنايهما من جناس لفظي - الى ان مجال البحث فيهما - كما فهمه المتقدمون من العلماء - واحد ، وهو البحث عن الخطا الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطا الإملائي في قراءة الحروف المكتوبة ، سواء اكان الخطا في نقط الحروف او شكلها او تبادلهما الامكنة .

فالتصحيف والتحريف مظهران للخطا في قراءة الخط المكتوب ، ويترتب على ذلك نطق بكلمة جديدة

على النحاة الذين يناصرون القواعد ، ويفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوي .

* اورد الاصفهاني ان مروان بن ابي حفصه وجه كلامه لحماة الرواية في حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا في مجلس امير المؤمنين وهو لحانة !! فتهافت الشيخ ، ثم قال : يا ابن اخي ، انا رجل اكلم العامة ، واتكلم بكلامها (1) .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد : فتكلم بكلم لحن فيه : فقال له جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن : فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى !! فقال : يا امير المؤمنين ، ان طباع اهل البدو الاعراب وطباع اهل الحضرة اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم اللحن ، واذا رجعت الى الطبع لحن ، فاستحسن الرشيد كلامه (2) .

* وقال ابو الطيب اللغوي : كان على المديني لا يغير الحديث وان كان لحنا ، الا ان يكون من لفظ النبي (ص) فكانه يجوز اللحن على من سواه (3) .

فهذه المواقف المتناثرة - على قلتها - قد اترف فيها بعض النحاة على انفسهم باللحن وانهم يخضعون له جريا على استعمال بقية الناس ، لكنهم في مجال الدراسة ، لم يأخذوا ذلك في الاعتبار ، بل حكموا القواعد في ذلك ، وحكموا على مظاهر اللحن بالخطا

اما الامر الثالث والاخير - فيما نحن بصدد - فهو التصدع بين القواعد المصنوعة واستعمال اللغة ، وهذا امر حدث مبكرا ، ونقلنا اليها بعض نماذج في المشاحنات التي كانت تحدث بين العلماء والشعراء ، ومن ذلك ما حدث بين ابي اسحاق والفردق وبين الاخفش وبشار وبين ابن خالويه والمتنبي - ونماذج اشهر من ان تذكر - وفي هذه المواقف - على قلتها - يتمثل ايضا الصراع بين القواعد في يد النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يخضع لتلك القواعد .

واذا كانت تلك المواقف القليلة تمثل هذه الظاهرة فقط ، فان واقع الامر اخطر من ذلك واكثر ، اذ ان مظهر الصراع بين القواعد التي استمسك بها النحاة والاستعمال اللغوي الذي لا يتوافق مع تلك القواعد - على الاقل منذ القرن الثاني الهجري - ترتب عليه

(1) الاغانى ج 14 ص 110 .

(2) صبح الامنى ج 1 ص 173 .

(3) مراتب النحويين ص 6 .

قد تكون صحيحة لغة ومعنى ، لكنها غير الكلمة التي قصدتها صاحبها حين نطق بكلامه ، أو نطق كلمة ذات بنية محرفة في صيغتها ، ويرجع إحرفها إلى التغيير في حروفها أو الشكل الداخلي لها ، بل إن مؤلفات « التصحيف والتحريف » قد ورد فيها أحياناً أمثلة - وإن كانت قليلة - لأخطاء إملائية تعود أيضاً إلى الخطأ في الكتابة أو التوسع في فهم ما يطلق عليه « التحريف » بما يشمل ما يطلق عليه اسم « اللحن » ويتضح هذا المظهر الأخير في كتاب الصفدي (ت 764) « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » إذ أورد كثيراً من أمثلة « اللحن » في كتابه ، ويؤيد هذا نصاً ما أوردته في بداية كتابه من أنه نقله من السابقين عليه ، وقال « لم يكن لي في هذا غير التهذيب وحسن الرصف في التوبيخ إلا ما يتخلل أثناء ذلك من تفسير وتقييد وتقرير وتمهيد » وقد عدد ما اعتمد عليه من كتب السابقين ، وكان منها ما هو نص في « لحن العوام » مثل « ما تلحن فيه العامة » للزبيدي ، و « تثقيف اللسان » لابن مكى و « درة القوام » للخريزي ، و « تقويم اللسان » لابن الجوزي الخ . فبا صنعه الصفدي يحتمل امرين ، الرغبة في تضخيم كتابه فأورد فيه ما يتعلق « باللحن » أيضاً وإن لم يكن من « التصحيف والتحريف » أو التوسع في فهم المقصود « بالتحريف » بما يشمل اللحن أيضاً ، وسواء أكان هذا أو ذاك ، فإن ما يهم في هذا الموضع أن الصفدي قد أورد في كتابه كثيراً من أمثلة « اللحن » وإن غيره من سابقيه قد ورد ذلك منهم على قلته .

لكن « ليس معنى ما تقدم إن كل واحدة من ألفظتين « التصحيف والتحريف » لم تكن تستخدم إلا ومعها الأخرى ملازمة لها ، فإن لفظة « التصحيف » استخدمت وحدها كثيراً في مواقف الخطأ في القراءة

التي رويت أمثلتها من علماء القرن الثاني الهجري مما نقلته إلينا كتب الأدب العامة أو الكتب المؤلفة نصاً في موضوع « التصحيف والتحريف » فيما بعد ، وقد جاءت عناوين تلك المؤلفات - مقتصرمة على تلك اللفظة وحدها وأقدمها - فيما أعلم - ما صحف فيه الكوفيون لنصولي (ت 335) و « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزة بن الحسن الإصبهاني (ت 360) ويبدو أن كلمة « التصحيف » استخدمت وحدها أولاً في وصف خطأ القراءة لما هو مكتوب ، ثم انضمت إليها فيما بعد كلمة « التحريف » مع تداخل المقصود منهما أو تخصيص كل واحدة منهما بنوع من خطأ القراءة كما سيثبتين بتفصيل فيما بعد .

هذه مقدمة عامة عن لفظتي « التصحيف والتحريف » من حيث الصلة بين معنييهما واستخدام العلماء لهما ، لندرج من ذلك إلى بيان الأمور الآتية عن هذين المظهرين من مظاهر الخطأ في اللغة من وجهة نظر علمائنا الإقدمين :

- 1 - التحديد النظري لمعنى « التصحيف والتحريف » .
- 2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .
- 3 - علاقة مظاهر الخطأ التي تربت على ذلك في المعنى والبنية والأعراب والبحث في اللغة مع أنها تعود أصلاً إلى رسم الكتابة .

قبل سوق ما ذكره العلماء عن معنى « التصحيف والتحريف » ينبغي أولاً معرفة أنواع التغيير التي يمكن أن تحدث في قراءة الكتابة العربية ، ويترتب عليها رواية خاطئة ، وهي أربعة يوضحها للجدول الآتي :

تغيير في الحروف		تغيير في الحركات		تغيير في النطق	
الكلمة	تغييرها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	مقابلها
المياض	المياض	جمهور	جمهور	النوم	الثوم
بفنان	بفنان	دمشق	دمشق	الفسل	المسل
رجل	رجل	عفريت	عفريت	رجل	رحل
من الله	من الله	رصاص	رصاص	غم	مم
وعجل	وعجل	قنديل	قنديل	القاضية	القاصية
سراينة	سراينة				

وهذه النماذج السابقة قد ورد لها مواقف ونصوص تؤيدها ليس هنا مجال ذكرها ، فان القصد من ذكرها هنا ابضاح انواع التغير تمهيدا لاسراء آراء العلماء من التصحيف والتحريف .

✽ قال حمزة الاصفهاني : اجاب اهل المعاني في معاني التصحيف فقالوا : ان يقرأ الشيء بخلاف ما اراده كاتبه ، وعلى غير ما اطلق عليه في تسميته ، واما لفظ (التصحيف) فان اصله ، - فيما زعموا - ان قوما كانوا اخذوا العلم عن الصحف من غير ان يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغير ، فيقال عندها : قد صحفوا فيه ، اي : روه من الصحف ، ومصدره (التصحيف) مفعوله (مصحف) فاما (المصحف) فماخوذ من (اصحف اصحافا) واصله ان الصحف جمعت فيه ، فقليل : قد اصحف - ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز (1) .

✽ قال ابو احمد العسكري : فاما معنى قولهم (الصحفي والتصحيف) فقد قال الخليل : ان الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف بأشياء الحروف . (2)

✽ قال المراكشي : المخالفة في الحديث ان كانت بتغيير حرف او حروف مع بقاء صور الخط ، فان كان ذلك بالنسبة للنقط فالمصحف ، وان كان بالنسبة للشكل فالمحرف .. واما اللحن فما يرجع للاعراب (3)

✽ قال التهانوي : قالوا : مخالفة الراوي للثقات ان كانت بتغيير الحروف او الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق ، فان كل ذلك بالنسبة الى النقطة يسمى ذلك الحديث (مصحفا) وان كان بالنسبة الى الشكل والاعراب سمي (محرفا) - وابن الصلاح وغيره سمي القسمين (محرفا) . (4)

ومن هذه الروايات الاربعة لا يخرج المرء بتحديد حاسم موحد للمقصود بكل من التصحيف والتحريف ،

ولا يخرج كذلك بتحديد حاسم لما يشمله التصحيف والتحريف من انواع التغير السابقة اذ ان الذي يفهم من حديث الاصفهاني والعسكري عن (التصحيف) انه كما قال اولهما نصا « ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز » فهو اذا مطلق تغيير او تبديل في قراءة الشيء على غير ما اراده كاتبه - كما عرفه الاصفهاني - او رواية الخطأ على قراءة الصحف بأشياء الحروف - كما عرفه العسكري رواية عن الخليل - سواء اكان ذلك في النقطة او الشكل او الحروف .

لكن المراكشي يفرق فيما تناوله من التغير الذي يحدث للحديث بين التصحيف والتحريف ، بان اولهما يكون في تغيير النقطة فقط ، واما ثانيهما فيكون في الشكل ، ويتوقف عند هذا الحد ويزيد عليه التهانوي ان التحريف يكون في الشكل والاعراب ايضا ، وان بعض العلماء يسمي كل ما يحدث له تغيير « محرفا » .

والحقيقة ان المطلع على نماذج التصحيف والتحريف في مصادرها يلاحظ ان الامثلة التي ترد من ذلك يتنوع التغير فيها دون ان ينص على ان هذا تصحيف وذلك تحريف وان منها ما يتعلق بتغيير النقطة او الشكل او الحروف وأحيانا الاعراب .

ومن كل ذلك نستخلص الامور التالية دون تحديد حاسم :

اولا : ان كلا من التصحيف والتحريف يطلقان على رواية الخطأ الناتج من قراءة الرسم العربي وبدلان على مطلق التغير والتبديل فيما يتعلق بذلك .

ثانيا : يكاد يكون من المتفق عليه ان التغير الذي يحدث في النقطة والشكل والحروف املايا يندرج تحت « التصحيف والتحريف » اما التغير في الشكل الاعرابي فالظاهر انه خارج عن هذا الموضوع ، فنماذجه قليلة في كتب المتقدمين الخاصة بالتصحيف والتحريف وان اكثر الصفدي - وهو متأخر - من

- (1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 36
- (2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 13
- (3) منح المفيث في جواز اللحن في الحديث ص 5
- (4) كشف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 836 .

للحروف العربية - يعود اليها المسؤولية الاولى من ظاهرة « التصحيف والتحرير » .

ومع ذلك فقد حاول على اشاعة هذه الظاهرة وخطرها « النساخ » الذين يسمون « بالوراثين » اولئك الذين تنحصر جهودهم في احتراف الوراقنة لنسخ الكتب العلمية وبمعها للناس ، ولم يكن النساخ والوراقون غالبا على علم باللغة ، حتى يتمكنوا من التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة او حركة او تغيير أحد الحروف ، وحينئذ يحدث الخلط بين ذلك في الكتابة ، وهذا نفسه معنى التصحيف والتحرير .

ويشارك في هذه المسؤولية ايضا - على قلة - علماء اللغة انفسهم ، فان احدهم قد يفهم الكلمة فهما خاما يسوغه السياق له ، او يسوغه هو لنفسه ، ثم يقرؤها ويرونها كما فهم وان لم يتفق ذلك الفهم مع اصلها وما قصده منها صاحبها ، ويترتب على ذلك ايضا حدوث التصحيف ، وما يؤيد ذلك حناية مؤلفات « التصحيف والتحرير » بإيراد تصحيقات العلماء في قسم خاص بهم ، بل ان بعض هذه المؤلفات يفرق بين البصريين والكوفيين في ذلك ، فيذكر أشهر العلماء من الفريقين مع ذكر نماذج من تصحيقات كل واحد منهم ، واول اثر في هذا الموضوع - فيما أعلم - هو كتاب الصولي ، وعنوانه « ما صحف فيه الكوفيون » وقد أورد حمزة الاصفهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » قسما خاصا للعلماء سماه « تصحيقات العلماء في شعر القدماء من 68 وما بعدها » وعدد من علماء المصريين خمسة وعشرين عالما ، فأورد نماذج من تصحيقاتهم ، وفعل مثل ذلك ابو احمد العسكري ، فجعل قسما خاصا لـ (ما وهم فيه علماء البصريين) وقسما آخر من « ما وهم فيه علماء الكوفيين » .

فهذه الامور الثلاثة السابقة - الرسم العربي والنساخ ووهم العلماء - يعود اليها مجتمعة مسؤولية « التصحيف والتحرير » وان كان الرسم الكتابي اعظمها مسؤولية في ذلك .

قال حمزة الاصفهاني : الذي ابدع صور حروف كتابة العرب لم يضعها على حكمة ، ولا احتياط لمن يجيء بعده وذلك انه وضع لخمسة احرف صورة واحدة ، وهي (الباء والتاء والثاء والياء والنون) وكان

هذه النماذج في كتابه « تحرير التحريف » لانه اعتمد فيه على كتب لحن العوام ، ونقل منها ما ضخم به كتابه .

ثالثا : ان كلمة « التصحيف » في هذا النوع من الخطا ذات شهرة تفوق في ذلك كلمة « التحريف » وربما كان ذلك لقرب دلالتها على هذا النوع وارتباطها بسببه الذي هو القراءة من الصحف .

رابعا : الفرق بين « التصحيف والتحرير » و « اللحن » ان النوع الاول يتعلق بالخطا المترتب على قراءة الخط ، اما الثاني فمتشوه خطا النطق لعدم اجادة اللغة .

لكن ما هو السبب او الاسباب التي جعلت هذه الظاهرة تحدث في رواية اللغة ؟ !

والاجابة على ذلك بصارة مختصرة هي « يرجع السبب الاساسي في ذلك الى الخط العربي وقابليته للتصحيف » ذلك ان حروفه متشابهة يميز بينها النقط التي توضع فوقها او تحتها كما ان التمييز بين صيغ الكلمات يعتمد على الحركات التي اعتبرت تابعة للحروف ، ولم تعتبر في الرسم العربي حروفا مستقلة ، بل رسمت اولا تقطا فوق الحروف وتحتها وبين يديها ولما حدث الإعجام - وهو نقط كذلك - ومع تقدم الزمن ، أحدث الخليل بن احمد رسمها اباعاضا للحروف ، كما هي الصورة المستعملة حتى اليوم .

فالخط العربي في البداية لم يكن منقوطا ولا مشكولا ، كما حدث ذلك في المصاحف الخمسة التي كتبها عثمان لامصار ، واستمر الناس يقرؤون فيها - على هذه الصفة - ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، وفي عهد عبد الملك بن مروان - حين كثر الخطا والتغيير - وضع نصر بن عاصم - فيما يقال - النقط على الحروف للدلالة على ما سمي فيما بعد « بالشكل » ثم كان الإعجام الذي يميز بين الحروف المتشابهة كالجيم والحاء مثلا ، وكانت نقط الشكل تباين في شكل المداد نقط الإعجام ، واستمر الامر كذلك على ما فيه من مشقة - الى ان أحدث الخليل - فيما يقال - الشكل الذي يرسم على هيئة اباعاض الحروف فأراح الناس بذلك من مشقة الكتابة بنوعين من النقط .

فطريقة الرسم العربي في تشابه حروفه وتمييزها بالنقط وضبط نطقها بحركات - لم يكن لها رسم خاص بها مطلقا ، ثم رسمت منفصلة وتابعة

وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مبالغة
للاخرى حتى يؤمن عليه التبديل. (1) .

* وقال الجاحظ عن تحريف النساخ : لربما
اراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحا أو كلمة ساقطة
فيكون انشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف
المعاني أسرع عليه من اتمام ذلك ذلك النقص ، حتى
يرده الى موضعه من اتصال الكلام ثم يصير هذا
الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر فيفسر فيه الوراق
الثاني سيرة الوراق الاول ، ولا يزال الكتاب تتناوله
الأيدي الجانية والامراض المفسدة حتى يصير غاطا
صرفا وكذبا مصمتا (2) .

* وقال ابو احمد العسكري : فلاحتراس من
التصحيف لا يدرك الا بعام غزير ورواية كثيرة وفهم
كبير وبمعرفة مقدمات الكلام وما يصلح أن يأتي بعدها
مما يشاكلها ، وما يستحيل مضامته لها ومقارنته بها ،
ويمتنع من وقوعه بعدها ، وتميز هذا مستعصب
عسير (3) .

فهذه النصوص الثلاثة متجمعة تحتوي على
العوامل التي يحدث بها التصحيف والخطأ في رواية
اللغة بناء على ذلك ، وأخطرها ما ذكره الاصبهاني من
« اتخاذ الصورة الواحدة في الكتابة للدلالة على
الحروف المتعددة » وهذا - في فهمي - نموذج للتشابه
بين الحروف في الصورة .

ترتب عليه التغير والتبديل الذي هو معنى
التصحيف والتحريف بصورة عامة تشمل هذا النموذج
وغيره من مظاهر التغير في الكتابة .

والجاحظ يصور بمرارة واسف ما يحدث
لنصوص والمؤلفات من جناية وفساد بسبب تداولها
بين النساخ - ومن ذلك التحريف طبعا - وما يعانيه
المؤلف - ومثله المحقق - من مشقة اذا اراد اصلاح
ما فسد أو اكمال ما نقص .

و ضمانات الاحتراس من التصحيف تلخص
- من النص الاخير - في كثرة الرواية وسعة الفهم
واليقظة لسباق الكلام اوله وآخره ، وكل ذلك - كما

قال العسكري - مستعصب عسر حتى على العلماء ،
ولا غرابة إذن في حدوث التصحيف منهم .

اما الفكرة الثالثة والاخيرة في هذه الفقرة فهي
بيان الصلة بين خطأ التصحيف والتحريف - الذي
يرجع في نشأته اساسا الى الرسم الكتابي - والبحث
في اللغة .

ان الذي يرد على الدهن لاول وهلة ان هذا النوع
من الخطأ يتعلق بالرسم الاملائي وقصور الكتابة
العربية ، ويشفي بحثه في هذا النطاق ، ولا شأن لذلك
بدراسة اللغة التي تنحصر اصلا الى النطق لا الكتابة ،
ويتفرع على ذلك ان الخطأ الذي يوجه باحث اللغة اليه
اهتمامه هو خطأ اللغة حين تنطق ، اما الخطأ الذي
يعود للكتابة ، فيتكفل به ما سماه ابن قتيبة في كتابه
« ادب الكاتب » تقويم اليد .

ذلك اعتراض وارد ، وفيه كثير من الحق ، فان
قضية التصحيف والتحريف تعود الى الرسم العربي
قبل أي شيء آخر ، ولو كان الامر مقتصر على ذلك
ما كان لها مكان في البحث عن الصواب والخطأ في
اللغة ، لكن خطأ الكتابة لم يقتصر عليها ، بل تعدى
ذلك الى اللغة المنطوقة ، وبدا ذلك في مظهرين :

الاول : ان رواية اللغة مشافهة كان لها صلة
قوية بالكتابة .

الثاني : ان قراءة الكتابة - وهي نطق - حملت
اخطاء التصحيف والتحريف في معاني الكلمات وبنياتها ،
بل ومخالفة قواعد النحو أحيانا .

ان رواية اللغة بطريقة علمية منظمة بدأت نشاطها
في القرن الثاني الهجري ، وأول الرواة العلماء - فيما
هو مشهور - أبو عمرو بن العلاء (ت 154) وحسان
الرواية (ت 155) ، وقد عاصرهم وجاء بعدهم رواة
اللغة الذين يعود الفضل الى جهودهم الرائعة في جمع
التراث اللغوي القديم كله ، ومن المعروف ان هؤلاء
العلماء الرواة لم يقتصروا في رواية اللغة على ما
عاصرهم فقط ، بل رووا الكثير من العصور التي
سبقتهم في الجاهلية والاسلام مما لم يعاصروه ، ولم
يسموا قائله ، وقد وصلهم ذلك من طرق متنوعة كان

- (1) التشبيه على حدوث التصحيف من 36 .
- (2) انظر : الحيوان ج 1 ص 79 .
- (3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف من 2 .

اهمها - كما قرر ذلك الباحثون في العصر الحديث (1) - ما كان مدونا بالرسم الكتابي وما دامت الكتابة لنصوص اللغة كانت مصدرا للرواية الشفهية التي تظاهر بها العلماء ، فقد انعكس خطأ التصحيف والتحريف بداهة على تلك الرواية الشفهية نطقا وقد اورد حمزة ابن الحسن الاصبغاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » عبارة منطقية من ارسطو تقول « كل كتابة تشابه صور حروفها ، فهي على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها ، لان ما في الخط دليل على ما في القول ، وما في القول دليل على ما في الفكر وما في الفكر دليل على ما في ذوات الاشياء » (2) ويصح لهم معنى هذه العبارة بطريقة اخرى بان تقول : ان ما في ذوات الاشياء ينعكس على الفكر ، وما في الفكر يعبر عنه القول والخط يثبت التعبير بالقول ويحافظ عليه ، ويمكن الرجوع اليه حين ارادة النطق به مرة ثانية ، فاذا احتمل الخط الغلط والخطا والوهم ، ظهر ذلك في النطق .

ويؤيد هذا الفهم النظري السابق ما حدث فعلا في كتب التصحيف والتحريف ، اذ ان وصفها لتحريف العلماء وتصحيفاتهم فيما اوردته من مواقف وامثلة جاء صريح الدلالة على ان ذلك قد حدث نطقا لا كتابة ، وسماها لا رسما .

ومما ساقه حمزة الاصبغاني من العلماء المصحفين نصا قوله :

✽ ابو حبيدة : روى بيت امرئ القيس :

تجاوزت احراسا واهوالا معشر
على حراس لو يسرون مقتلى

أي : اظهروا ، والصواب في رواية الاصمعي (لو يسرون مقتلى) ومعناها : يظهرون .

✽ ابو زيد : حكى ابن دريد عن ابي حاتم قال :

انشدت الاصمعي :

(جابا ترى بلبله مسججا)

فقال : صحفت ، وانما هو (ترى قليلة مسججا) ثم قال : من انشدك ؟ قلت : اعلم الناس فتفاضل عني - وانما عني ابو حاتم ابا زيد .

✽ اللحياني : املى اللحياني (منقل استمان بدقته) فقام اليه ابن السكيت - وهو حدث - فقال يا ابا الحسن ، انما تقول العرب (منقل استمان بدقته) لان البعير اذا رام النهوض استمان بجنبه ، فقطع الاملاء . (3) .

فالرواية والانشاد والاملاء كلها من صفات المشافهة لا من صفات الكتابة ، مما يدل على ما نحن بصدده من ان التصحيف والتحريف وان كان منشؤها الرسم والكتابة ، فقد حمل خطأها نطق اللغة وروايتها

ولقد سبق ان مظاهر التصحيف والتحريف تكون في تبادل الحروف المتميزة بالنقط ، او الشكل الذي يحدد نطق هذه الحروف ، ويفرق بين الصيغ ، او وضع حرف مكان آخر واحلاله محله مما يغير نطق الكلمة ، وينتج من ذلك احيانا مخالفة بعض الظواهر النحوية وان كان ذلك قليلا .

والذي يترتب على تبادل الحروف المتميزة بالنقط في التصحيف حدوث كلمات جديدة ذات معنى مخالف لما اراده منتج النص اصلا ، وقد تكون الكلمات المجددة من التصحيف لا معنى لها على الاطلاق ، وانما هي هراء لغوي لا يفيد شيئا .

اما تغيير شكل الحروف فيترتب عليه في النطق امثلة جديدة تندرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه قبلا ، وقد تخرج عن صيغ الصرف ومقتضيات اللغة اصلا ، فيحكم عليها بالخطا ، والاول من هذين النوعين انحراف في المعنى ، والثاني انحراف لغوي في بنية الكلمات .

وتغيير الحروف غير المميزة بالنقط يترتب عليه ايضا كلمات جديدة ذات معنى مغاير لما قصده منها صاحبها الاصلي ، او كلمات مجرفة البنية يحكم عليها ايضا بالخطا .

(1) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، فقد تكفل البحث كله بالثبات طرق نقل اللغة الى العلماء ومنها الكتابة . وساق لذلك ادلة مقنعة .

(2) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 .

(3) انظر : السابق ص 69 و 77 و 93 على التوالي .

ففي النموذج الاول ترتب على تغيير تقطع الحروف وجود كلمتين هما (تمتر) و (تمنز) تنازع حولهما الشيباني والاصمعي ، وكلاهما صحيح لغة ومعنى .

اما النموذج الثاني فان تغيير تقطع حروف الكلمات فيه اُنتج كلمات لا معنى لها حتى ظنها الجاحظ كلاما « بالبرانية » وقدم للمعلم بسببها النصح الساخر قائلا « ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد .

ثانيا : التفسير في شكل الحروف :

* قال خلف الاحمر : انشد المفضل للمخبل :

واذا لم خيالها طرقت
ميني ، فماء شئونها سجم

فقلت : انما هو (طرفت) فلج ساعة ، ثم رجع منه (3) .

* قال ابو احمد العسكري : ومما يقع فيه التصحيف حتى شك في ذلك بعض العلماء ، فجعل له تفسيراً آخر - روى ان النبي (ص) اتاه الملكان ، فشقا بطنه ، ثم قال احدهما (ايتني بالسكينة) فرواه بعضهم (ايتني بالسكينة) بكسر السين على انها مؤنث (سكين) وانما هي (السكينة) بفتح السين والكفاف غير المشددة .

قال : وقد فسره ابن الانباري على انه لغة في (السكين) واكثر اهل اللغة لا يعرفون ادخال الهاء فيها، وهذا ذهاب عن الصواب (4) .

ففي النموذج الاول غيرت (طرفت) الى (طرقت) فوجدت كلمة جديدة ، وكل منهما تختلف عن الاولى في الصيغة الصرفية ، علاوة على ما غير من النقط فيهما ، وكل منهما صحيحة من حيث الصيغة والمعنى .

اما الثاني فان التصحيف بتغيير الحركات اُنتج كلمة ليست من اللغة ، وحكم عليها العسكري بانها « ذهاب عن الصواب » .

واما ما يترتب على التصحيف والتحريف من خطأ النحو ، فيبدو اذا حدث التغيير في شكل آخر الكلمة او استخدام اداة في تركيب لغوي لا يتطلبها المعنى النحوي له ، وهذا الصنف وان كان قليلا الا انه يمثل جانباً يستحق الدراسة والاهتمام .

واليك نماذج قليلة تمثل الاصناف السابقة واحتمالاتها :

اولا : التفسير في الحروف المميزة بالنقط :

* عن ابي عمرو الشيباني قال : كنا بالرقعة فانشد الاصمعي :

عنتا باطلا وظلما كما تمنز من حجرة الربيض الظباء
فقلت له : انما هي (تمتر) من المتيرة . والمنز : الدبع ، فقال الاصمعي (تمنز) اي : تطمن بالمشرة ، وهي الحربة ، وجعل يصيح ويشغب ، فقلت : تكلم كلام النمل واصب ، والله لو نفخت في شبور يهودي، وصحت الى التناد ، ما نفعك شيء ، ولا كانت الا (تمتر) (1) .

* ومن الجاحظ قال : مررت بمعلم وهو يلحن صبياً :

يا ابا الفياش جسي
اخرج الفتيان غشا

لبس في الارض ايباس
شربوا املج مشا

فقلت : بالبرانية هذا ؟ قال : لا ، هو بالعربية ، فلما تأملته اذا هو مكتوب :

يا ابا العباس جسي
اخرج الفتيان عشا

ليس في الارض اناس
شربوا املج مشا

فقلت : ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد ، قال : نعم ، قدور ومرازيق (2) .

- (1) المزهج ج 2 ص 359 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 93 مع اختلاف يسير .
- (2) محاضرات الادباء ج 1 ص 63 .
- (3) التنبيه على حدوث التصحيف ص 78 .
- (4) تصحيف المحدثين ص 126 .

ثالثا : التغيير في الحروف غير المنقوطة :

* روى الاصمعي بيت « أوس بن حجر »

اجون تدارك ناقتي بقراها
واكبر ظني ان جونا سيفعل

قال ابن الاثير : صحف الدعى ، انما هو
(تدارك ناقتي بقراها) اي : ما دمت اطمع فيها (1).

* ورد في كتاب « دليل لغة العرب » الكلمات
الآتية والتعليق عليها .

الماس - الماظ تحريف

بيضان - بشغلان تحريف (2)

وفي النموذج الاول واضح الفرق بين (قرى لها)
و (قراها) بسبب تغيير الباء باللام، واما الامثلة الاخيرة
فالصورة العادية بالتحريف صورة خاطئة لغويا ،
فالكلمتان حرفتا نتيجة تغيير السين ظاء في الاولى ،
وتغيير الباء هينا في الثانية .

رابعا : ظواهر النحو في التصحيف :

* من ابى عمرو قال : انشدت الفرزدق ويده
في يدي لابن احمر :

فاما زال سرح من ممد
واجدر بالحوادث ان تكونا
فلا تصلى بمطروق اذا ما
سرى بالقوم اصبح مستكينا

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 74 .

(2) دليل لغة العرب ص 32 .

(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 77 .

فقال لي : ارشدك ام ادحك ؟ قلت : ترشدني ،
قال : اذا كان ممن يسرى بالحق ، فليس بمطروق
وانما هو (اذا سرى في الحق) فعلمت اني اخطأت ذلك ،
ونا الامر كما قال .

وهذا من التحريف لا من التصحيف (3) .

فمن الواضح ان الخطا في الجملة جاء من
استخدام حرف الجر (الباء) في الموضع الذي
يقتضي فيه المقام حرف الجر (في) وهو خطأ يعود
الى المعاني التي ترد في النحو لاستخدام حروف
الجر في مواطنها المناسبة ، وقد طلق العسكري على
ذلك بانه من التحريف لا من التصحيف ، ويبدو ان
هذا الفهم لما يشمله التحريف من بعض ظواهر النحو
قد اتسع مداه فيما بعد حتى سوغ ذلك للصفا في
القرن الثامن الهجري ان يورد في كتابه « تصحيح
التصحيف وتحريف التحريف » ما يشمل مظاهر اللحن
في النطق ، ولا يقتصر في ذلك على النطق المترتب
على الخطا في الكتابة .

واخيرا :

فان الذي سوغ لنا في البحث من الصواب
والخطا في اللغة ان نعرض لقضية « التصحيف
والتحريف » - مع انهما يرجعان اصلا لرسم الكلمات
وكتابتها - ما تبين مما سبق عرضه من الصلة بين
الكتابة والرواية الشفهية من ناحية ، وما ترتب على
الامر من الخطا اللغوي المنطوق في معاني
الكلمات وبنيتها الصرفية ، وبعض الظواهر النحوية .

تقليق نقد

عبد الفاسي

الأستاذ بجامعة القرويين وجامعة محمد الخامس

إن هذا البحث طريف وقيم تناول فيه الدكتور محمد عبد قضايا اللحن ، والتصحيح والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث .

تحدث أولا عن معنى « اللحن » في الكلام العربي والتطور الذي حدث في استعماله وفي وسائل مقاومته ، فقد عرف اللحن أولا بمعنى الفطنة والدكاء وبالتظرف في الحديث ، حينما يخلط بالكلام الاجنبي او الكلام الذي يعتمد فيه الخطأ .

ثم اطلق اللحن على التورية وهو الذي عمل له ابن دريد كتابه الملاحن .

ثم استعمل اللحن في الخطأ في المعاني . وفيه لف الفاضل بن سلمه كتابه الفاخر « فيما تلحن فيه العامة » .

كل هذه الاطلاقات استعملت في معنى اللحن ، فصلها المؤلف واستدل لها ولكنه لم يذكر تاريخ التطور الذي تحدث منه بالمعنى الدقيق للتاريخ . وعلى كل حال فالبحث يتناول بالذات اللحن بمعنى خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة في بنية لكلام او تركيبه او اعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولا بين العامة ويتسرب بعد الى الخاصة .

ولا شك ان هذا اللحن امر طاري على اللغة اذا افترض في كلام العرب هو الصحة وما حاد عنه يعتبر خطأ .

ثم يتحدث المؤلف عن السمات التي يوصف من اجلها الكلام باللحن . ومنها الخطأ في الاضراب كنصب الفاعل ورفع المفعول . وكذلك وضع الكلمات في غير موضعها وخطأ المعاني كقولهم خرجنا ننتزه اذا خرجوا الى البساتين مع ان التنزه هو التباهد من المياه والارياق ، ومنها استعمال الطرب في الفرح فقط والحشمة في الاستحياء .

وقد اوضح المؤلف سر اعتبار هذا لحننا ، وزعم انهم لم يراعوا تطور الدلالة في الكلمة ، مع ان الكلمات ليست احجارا جامدة .

ثم حاول تفسير الخطأ في احوال بعض الحروف محل بعضها كقولهم دخل في غمار الناس ، مع ان العرب يقول دخل في غمار الناس - بالخاء لا بالعين - بالتطور الصوتي . وبعد ان حدد عشرة امثلة تتعلق ببنية الكلمة قال : ان الحكم عليها بالخطأ جاء في ضوء القواعد الصرفية ، ثم اشار الى نهاية العلماء بهذا النوع من الخطأ .

ثم ذكر امثلة مشيرة ، لنماذج الخطأ في التركيب ، لأعراب كقولهم شكرت لك ونصحت لك ، والصواب شكرتك ونصحتك ، وبين ان الكثير منها يتعلق بتأليف التركيب العربي والامر الذي استقر عليه ، وهو من مباحث علم النحو . وقد أكد ان إيراد مثل هذه الأخطاء النحوية في دراسة (لحن العامة) إيراد لما حدث في اللغة الفصحى ، ويكون مقصورا على أوساط العلماء وان أطلقوا عليهم العامة ، بخلاف النماذج الأخرى فانها تمت مختلف الطبقات .

وقد أوضح صعوبة الوصول الى معرفة تاريخ بدء اللحن وتطوره في العصر الجاهلي ، وإن انتقد النحاة بعض المبررات الجاهلية لمغايرتها للقواعد النحوية والصرفية الموضوعتين من بعد .

ولكن اللحن تردد عند العرب مع ظهور الاسلام على أنه كان معروفا . وفي عهد الأمويين أصبح اللحن ظاهرة خطيرة في استعمال اللغة ، وترتب عنها نشاط علمي متنوع . جاء بامثلة منه كالرحلة للبائية وتأليف الكسائي كتابه الذي لا يزال موجودا بين يدينا (مألحن فيه العامة) . واستمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، فالقرن الثالث اقل فصاحة من القرن الثاني وأكثر لحنا . وفي القرن الرابع وصل اللحن الى مداه .

فماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

نظر العلماء الى هذه الظاهرة من جهة الخطأ ، فقاوموه بعنف ، وبدأت مقاومتهم منذ القرن الثاني ، وهنا جاء بقائمة لاسماء العلماء الذين كتبوا في تقويم اللحن ، تصل حد الثلاثين كتابا .

ثم لاحظ ان هذه المقاومة كانت في القرون الثلاثة الاولى قوية ثم ضعفت بعد .

وقد اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، دون ان يحاولوا استشهادات جديدة وسماحات من العرب غالباً .

وقصدوا غالباً بالعامة الناس العاديين بدليل قولهم الخواص او الخاصة . وجهودهم كلها تنصرف الى تنقية اللغة الفصحى .

لا وجود في هذه الكتب لحديث من اللحن فكرة وموضوعها .

ثم يتساءل هل نجحت هذه الجهود التي قام بها أولئك العلماء ؟

وفي فصل خاص يحلل هذا الموضوع ارادة الجواب عن السؤال ، ويقول ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير ، لانهم نظروا اليه من زاوية الخطأ واعتبروه انحرافاً ولم يأخذوا في الاعتبار قوة الاستعمال وقهره والتطور الذي يمكن تربيته على ذلك . مع ان لحن النحويين انفسهم في الاستعمال دلالة على خطورة الاستعمال . والخلاصة انه يؤكد في النهاية ان ما أطلق عليه النحاة منظور اليه من زاوية الخطأ ، وقبل ان يبين مدى نجاحهم فيما قصدوا اليه ، جاء بفصل في :

معنى التصحيف والتحريف وعلاقتهما باختلاف المعنى والبنية والأعراب ، وانتهى الى القول بان مجال البحث في الكلمتين واحد ، وهو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الإملائي .

ولم تستعمل الكلمتان دائماً في مكان واحد ، بل في معان لها صلة بالخطأ ، من جهة :

1 - من جهة التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحريف .

2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .

3 - علاقة مظاهر الخطأ التي ترتبت على ذلك .

وقد فصل هذه الجهات الثلاث وأرجع السبب في ذلك الى الخط العربي الذي لم يكن منقوفاً ولا مشكولاً . ثم ميزت حروفه بنقط وحركات منفصلة وتابعة للحروف العربية ، ويسال كذلك من هذه

المسألة علماء اللغة الذين يعطون لانفسهم حرية رواية الكلمة كما فهموها من السياق .

فالمسؤول اذن الرسم العربي ، والنسخ ووهم العلماء .

وبعد ان اتى بنماذج تمثل الاسباب السابقة ، فقد فصلا لمقاومة التصحيف والتحريف بأسلوب الرواية وتنقية الاخطاء فلذكر تطور ذلك على ما يأتي :

1 - ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .

2 - ضرورة المشافهة في رواية اللغة .

3 - تنقية الاخطاء بجميعها في مؤلفات .

وقد جاء بانتقادات للعلماء على هذه الاساليب الثلاثة وعدم كفايتها لوقاية اللغة من التصحيف والتحريف .

ولاحظ ان هذا الجانب الذي هو تنقية اللغة بجمع ما صحف وحرف في مؤلفات جانب دراسي بدأ في القرن الرابع الهجري . كتب فيه المؤلفون الذين لم يكتفوا بنماذج التصحيف بل اضافوا الى ذلك تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها .

ثم تساءل : اكان هذا الجهد حلا للقضية ؟

وقبل الجواب من ذلك فقد فصلا :

لمعنى التوليد في الالفاظ ومصادره اللغوية .

1 - ثم جاء بعرض تاريخي للمولد من حيث استعمال النطق ودراسة العلماء لمظاهره .

2 - وبالتحديد النظري لمعنى التوليد كما رواه الاقدمون .

3 - وتحدث من مصادر التوليد في الالفاظ ودراسة العلماء لنماذجه .

وبعد ان فصل هذه الموضوعات تساءل ايضا من :

مدى توفيق العلماء في مباحث التوليد ؟

وقبل الجواب عنه ايضا انتقل الى بحث عن :

حركة التعريب وتطورها استعمالا ودراسة .

وطبعا فانه يعني بالتعريب معناه الاصيل الذي هو ادخال كلمة اعجمية في الكلام العربي وتبنيها ، لا بالمعنى الحديث الذي نستعمله حينما نطالب بتعريب التعليم والادارة مثلا .

وقد بين في هذه الفقرة :

1 - الصورة العلمية لحركة التعريب في الكلام العربي في عصر الاستشهاد

2 - الصورة العلمية لدراسة العرب في الكلام العربي بعد عصر الاستشهاد .

وقد اجاد في بحث الموضوعين وما تفرع عنهما كوجود الدخيل في القرآن ، وجاء بقائمة المؤلفات المهمة في موضوع التعريب .

ولاحظ ان التأليف في هذه الظاهرة تأخر نسبيا .

وضمنت فكرة التمهيد لذكر الكلمات العربية بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة .

3 - كلمة الدخيل جملة عنوانا لبعض الكتب في موضوع التعريب .

4 - من المؤلفات كتب فى التعريب وضعت اخيرا الامر الذى يدل على انه لا يريد تناول التعريب فى القديم فقط .

- اما الجانب اللغوي فقد عرض فيه نظرا لاقدمين للمعرب وجهودهم فى اخضاعه لمسلك الصيغ العربية .

وقد فصل القول فى هذا الجانب واتى بتدقيقات مهمة .

ثم تساءل ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين ازاء النقل من اللغات الاجنبية ؟
يتلخص ذلك فى امرين :

1 - قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا فى فترة زمنية خاصة .

2 - فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة .

ولتقييم ذلك احوال المؤلف على القسم الاخير الذى يجب فيه عن الاسئلة المتقدمة .
وفى هذا القسم تناول راي علم اللغة الحديث من :

1 - اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال

2 - التصحيف والتحريف من مظاهر الرسم العربي .

3 - الالفاظ المولدة فى ضوء تطور اللغة .

4 - التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال .

وقد فصل آراء العلماء اللغويين المعاصرين فى هذه النقاط وبين ميزة التسامح التى ظهروا بها ازاء المسألة الاولى ، وادلى بآراء اللسنيين عرب واهاجم ودعا الى :

1 - تنحية الفكرة القديمة عن المجموعة المدونة فيما تلحن فيه العوام واعتبارها تطورا يهدينا الى دراستها فى مراحل استعمالها

2 - النظر فى هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة فى عصرها ليعلم مدى انتشارها فى الاستعمال فيقبل منها ما تحقق له ذلك . وتناول بعد ذلك امر التصحيف والتحريف وابدى امجابه بجهود العلماء فيها وقال : ان العلماء بعد ان مرفوا الضعف الموجود فى الرسم العربي لم يحاولوا تغييره ، وقال ان الرسم العربي شأن غيره فى اللغات الاخرى قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضا عنها ارتكابا لآخف الضررين ، واستدل على ذلك بنص للعالم اللسني فندريس .

اما من المولد فقد اعتبر ان الالفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

وان موقف النحاة من هذه الالفاظ قد تحكمت فيه اعتبارات اعترفوا بها ثم استسلموا لها ، وينتقد عليهم خروجهم من واجب الاستقرار الى الحكم بالاباحة او المنع على الالفاظ واعتبر ان الحق المعطى لبعض الناس فى ظروف معينة ينبغي ان يعمم على كل جماعة وكل عصر فيقبل ما ولدوه من كلمات دعت اليها حاجة اللغة وهدت اليها سليقتها .

ثم انتهى باستخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة .

1 - اعتبار التطور فى اللغة من اسس النظرية الحديثة للمستوى اللغوي ، وتفسير هذا التطور حسب راي - فيرس - التغير المستمر بين عناصر اللغة .

2 - لا تتطابق الكتابة لاية لغة مع نطق هذه اللغة فنحن ، كما يقول فندريس ، لا نكتب كما نتكلم بل نكتب كما يكتب غيرنا .

3 - أن تغير الظروف الاجتماعية ينمكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدوث الاضر واستعماله .

4 - نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية بخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، وهذا امر عادي لا خطر فيه .

اعتبر ان هذا الكتاب يكون بحثا قيما خاضعا للمناهج البحث اللغوي الحديثة متسلسلا فى افكاره وموضوعاته وفى الاستنتاجات المترتبة عليها ، وانه استقرأ باختصار مباحث الاقدمين عن العوامل الطارئة على اللغة بكيفية لم يسبق جمعها فى كتاب حديث ، ثم أعاد تقييمها على ضوء آراء علماء اللسانيات ، ومباحث العرب التى شغلت اوقات الجامع العربية ازيد من نصف قرن ، ولم يتقدم المؤلف باقتراحات تلقائية فى تجديد اللغة خارجة عما ورد على السنة الباحثين المجمعين فى الشرق العربي . ويظهر ان المؤلف لم يطلع على بعض البحوث التى قام بها المفاربة المختصون لاسيما فى اصلاح الرسم العربي الذى وضعه الاستاذ الاخضر والذى يسعدني ان اقول مرة اخرى انه يصلح من هيوب الرسم العربي الشيء الكثير ، كما انه فيما يظهر لم يطلع على جهود مكتب التعريب المغربي ومحاولته لاحصاء كلمات الحضارة واستقرائها والاكتفاء بما هو موجود منها فى كتب اللغة او فى المجتمعات العربية من اتخاذ الدخيل الذى ينزع اليه عند عدم وجود الاصيل .

والكتاب بهذه الصفة جيد وجدير لقبوله من اللجنة المحترمة واجازته ، وبالمقارنة مع المباحث الاخرى وآراء المقررين فيها يقع التفاضل ويتسم الترجيح ، وان كنت اوصي بكل اخلاص بمجازاة هذا المؤلف على جهده المشرف وطبع رسالته .



الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

ونحن ننشر في هذا العدد من مجلتنا القسم الأول من البحث «حول الاختلاف في مفهوم الأضداد» مرجئين إلى العدد المقبل بحول الله القسم الثاني حول «جمع الأضداد وتدوينها» :

هذه الالفاظ جميعا تتحدث من الإبل وما تعلق بها ، فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات . أو يكون ذلك الطابع من المصدر الذى وردت فيه ولغت الانظار ، كان تكون فى القراءان أو الحديث ، فتعطينا رسائل غريب القراءان ، وغريب الحديث . أو يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كان تكون هذه الالفاظ مهمولة ..

ومن الضرب الأخير « الفاظ الأضداد » . فقد كان الذى لفت الانظار اليها ما تتحلى به من ميزة خاصة ، اذ ترد بصورة واحدة ، ولكنها تدل على معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما ..

ولم يكن تدوين الأضداد فيما نعرف من الرسائل اللغوية الاولى ، ولكنه تأخر عنها قليلا . وفى القرن الثانى تنبه اللغويون اليها ، فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون اليها ، ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطيبة اول تدوين للأضداد فى اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الاولى باكورة عدة ثمار : جمعت الأضداد أو درستها . وحول هذا الشمار ندور فى الصفحات الآتية : متاملين ، ومتذوقين ، ومقدرين ..

ودعائي الى الله ان يمنحني القصد فلا أجور ، والقدرة فلا أعجز ..

لا يماري انسان الصل بالمرب أو ادبهم أو ثقافتهم ادنى اتصال انهم يرتبطون بلفتهم ارتباطا قل ان نرى مثيلا له فى الامم الاخرى ، وان هذا الارتباط جعلهم يلتزمون بها ، ويشعرون بكل تغيير - مهما كانت تفاهته - يجرى عليها ، ويحاولون المحافظة عليها ما وسعتهم المحاولة ..

وكانت الثمرة على النحو واللغة . فقد اخذ العرب يتحدثون فى شيء من مسائلهما منذ وقت مبكر ، لسنا على يقين منه ، بل ربما رجع الى ما قبل الاسلام ، كما تنبىء بعض اخبارهم . ولست اريد ان اضرب فى وادي الاوهام ، أو اركن الى الفنون . فما اتحدث عنه فى هذا الكتاب فنى من ذلك ..

فلا جدال ان علماء بالعربية اخذوا يظهرون فى المجتمع ، ويحملون هذه الصفة ، فى القرن الثانى ، بل ربما لا اقل اذا قلت أواخر القرن الاول . ولم يزد جهد الاولين من هؤلاء « العلماء بالعربية » على مدارس تلاميذهم ، ومناقشتهم . ثم جاء خلف لم يرضوا بهذا الجهد وحده ، وطمحوا الى « التدوين » : تدوين ما قال شيوخهم ، وما وصل اليه جهدهم الخاص ..

وكانت الثمرة - فى المجال اللغوي الخاص - رسائل تحاول ان تجمع الفاظا لغوية ذات طابع خاص . ولا يهم ان يكون ذلك الطابع من معناها ، كان تكون

تعريف الاضداد

الاضداد ، ولم يزد عليه غير شيء من البسط والشرح والتمثيل والتفريع . قال ابو علي قطرب : « الكلام فى الفاظه بلفة العرب على ثلاثة اوجه :

1 - فوجه منها - وهو الاعم الاكثر - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك للحاجة منهم الى ذلك . وذلك قولك : الرجل ، والمرأة ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وجاء ، وذهب . اختلف اللفظان لاختلاف المعنيين . وهذا لا سبيل الى جمعه وحصره ، لان اكثر الكلام عليه . وقد نشعر من هذه العبارة الاخيرة ان قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن احمد الفراهيدي جمع اللغة فى كتاب العين ، والحق ان القدماء يقولون ان كتاب العين لم يرد الى البصرة من خراسان الا فى زمن متأخر من وفاة قطرب ..

2 - والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد . وذلك مثل مير وحمار ، وذئب وسيد ، وسمسم وتعلب ، واى وجاء ، وجلس وقعد . اللفظان مختلفان والمعنى واحد .. وكأنهم انما ارادوا باختلاف اللفظين ، وان كان واحد مجزئا ، ان يوسعوا فى كلامهم والفاظهم ، كما زاحفوا فى اشعارهم ليتوسموا فى ابنتها ، ولا يلزموا امسرا واحدا ..

3 - والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا . وذلك مثل الامة يريد الدين ، وقول الله : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله » منه .. والامة : القامة ، قامة الرجل . والامة من الامم .

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشيء وضده . وعلى هذه الصورة وصل قطرب الى فرضه ، اذ ابان ان هذا المشترك من الكلمات - الذى ذكره سيبويه - نستطيع ان نجد تحته فئتين من الكلمات : فئة تختلف معانيها مثل الامة ، واخرى يرداد التخالف الى ان تتضاد ، وهي « الاضداد » التى اف من اجلها الكتاب ..

ان من اقدم الامور التى تطلع اليها علماء اللغة العربية الاولون المتفرقة بين الانواع التى يمكن ان تنقسم اليها الكلمة . فالقدماء يكادون يجمعون ان غنى بن ابي ظالب اول من تحدث فى قضايا نحوية ، ويذهب بعضهم انه اكتشف ان «الكلام كله اسم وفعل وحرف ...» (1) .

ولست فى صدد دعم هذا الكلام او دحضه ، انما يعني ان القدماء كان فى خلدكم ان تقسيم الكلام العربى كان اول قضية نحوية . واذن فغير غريب ان يكون من اقدم القضايا اللغوية تقسيمات اخرى لكلمة ..

واقدم ما يعني من هذه التقسيمات ما أورده سيبويه فى صدر كتابه ، دون ان يبين انقله عن أحد شيوخه أم كان من ابتكاره . والتقسيم الذى أورده ثلاثا رئيسا يمكن ان أضفه على النحو التالي .

انواع من كلامهم :

1 - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ...
نحو جلس وذهب .

2 - اختلاف اللفظين والمعنى واحد ...
نحو شعب وانطلق .

3 - اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...
نحو وجد : وجدت عليه : من الموجدة ،
وجدات : اذا اردت وجدان الضالة ..

وبالنوع الثانى ما سماه اللغويون «الاضداد» والنوع الثالث ما سموه «المشترك» ..

وما دونه سيبويه « كتاب » النحاة فى « كتاب » رجموا اليه واغادوا منه : وكان « كتاب » طبعيا ان نجد هذا التقسيم « كتاب » . وكان طبعيا بل اوغل فى « كتاب » هذا القول - ان نجد هذا التقسيم « فى صدر كتابه الذى الفه فى

ازهه الالباء 2 .

الاحمد بن فارس 96 ، 201 ، والمزهر للسيوطي 1 : 388 - 9 .

التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين .

الاختلاف في وجود الاضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث مما يندرج تحتها من الفاظ ، وعلمها أحيانا . وكانت هذه الجماعة اسبق في الظهور من معارضتها ، اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء والخليل ابن احمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم . واستمر المنتسبون اليها في البقاء الى يومنا هذا . اما الجماعة الاخرى فاعترضت على الاضداد ، وانكرتها . ولا نعرف من انتمى اليها من القدماء غير ميد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (7) . وكثر اتباعها في العصر الحديث . فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة « ضدان » في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اضداد) وكان منهم اغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الاضداد ..

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الاضداد الى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون . ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد بن فارس ، وابن سيده ، ومحمد ابن القاسم الانباري . اما الاولان فقد وجدت بينهما الدفاع . واقامه ابن سيده على الجدل العقلي ، فقال لشيوخ منكر للاضداد (8) : « هل يجوز منك ان تجيء لفظتان في

وانتقل هذا التقسيم من كتاب قطرب الى كتاب اخر في الاضداد ، هو الذي الفه ابو بكر بن الانباري (4) . فقد اورده هذا برمته في مقدمته ، و اضاف اليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى ان ابن الاعرابي اعترض على المترادفات ، وانكرها ، واعلم ان كل كلمة منها لها معنى ليس في اختها ، أحيانا نعرفه وأحيانا لا نعرفه . وارتضى ابن الانباري رأي ابن الاعرابي ودعمه بالحجج التي تؤيده . وصرح ابن الانباري ان الوجهين الاولين من الكلام ، اكثر كلامهم » ، اما الاضداد فانفق هو وقطرب على قلتها ..

واذا نظرنا الى حديث قطرب السابق من الاضداد وجدناه موجزا ومبهما ، لا يعطينا تفريفا شاملا دقيقا لها . وقد حافظت الكتب بعد قطرب على هذا الابهام . فاكثفى ابو حاتم السجستاني بان قال في مقدمة كتابه : « ضد الشيء : خلافه وغيره » . وقال ان الانباري في وصف كتابه (5) : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقمها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤيدا من معينين مختلفين » .

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذي ازال كل ابهام عن اللفظ ، حين عرفه في صدر كتابه فقال (6) : « الاضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نأفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل .. وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليسوا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف اهم من

(4) 6 - 8 .

(5) 1 .

(6) 1 .

(7) ذكر الجوابي في شرح ادب الكاتب ان ثعلبا انكر الاضداد ، وقال : « ليس في كلام العرب ضد .. لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب - وان اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع الى اصل واحد » (ادب الكاتب 177) والغريب ان تلميذه ابن الانباري لم يذكر ذلك ، بل اكثر من الرواية في كتابه منه الى درجة تجعل المرء يوقن ان ثعلبا من القائلين بالاضداد . وروى عنه ما يدل على ان ثعلبا اعلن ان اللفظ قد يفيد مقابل معناه ، لعله من اللال . قال : « قال ابو العباس (ثعلب) : انما جاز ان يقع الظن على الشك واليقين ، لانه قول بالقلب . فاذا صحت دلائل الحق ، وقامت اماراته كان يقينا . واذا قامت دلائل الشك ، وبطلت دلائل اليقين ، كان كذبا . واذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شك ، لا يقينا ولا كذبا » (الاضداد 16) .

(8) المخصص 13 : 259 .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من اهم
آراء المنكرين للاضداد ورد عليه . بل لعله اهم رأي
لهم ، اذ صدر عن راسم ابن درستويه ، واستفلكه
جماعات متنوعة .

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل الينا،
كنا مضطرين الى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم ،
وما تساقط الينا من اقوالهم ، في تصور آرائهم .
وتؤكد لنا هذه الحكايات ان المعارضين رفضوا
الاضداد جملة ، وانكروا وجودها في اللغة . قال
احمد ابن فارس (12) : « وانكر ناس هذا المذهب وان
العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده » . وقال
السيوطي مصورا لموقف ابن درستويه ، الذي يمد
راس المعارضين القدماء (13) : « قال ابن درستويه
في شرح الفصيح : النوء : الارتفاع بمشقة وتقل ،
ومنه قيل للتكوكب : قد ناء : اذا طلع . وزعم قوم من
اللغويين ان النوء السقوط ايضا ، وانه من الاضداد .
وقد اوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في ابطال
الاضداد ؟ فاستفدنا من هذا ان ابن درستويه ممن
ذهب الى انكار الاضداد ، وان له في ذلك تأليفا » .

وعندما نتتبع الاقوال التي اتى بها المنكرون
لعدم رايهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير
اقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية .
واهمها الرأي الذي رد عليه ابن الانباري ، وجاء ابن
درستويه في شرح الفصيح حين قال (14) : « انما
اللغة موضوعة للابانة عن المعاني . فلو جاز وضع
لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، او احدهما
ضد للآخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية .. » .

وتتقف هذا القول من ابن درستويه فستان من
الناس . ابدا بالفئة المتأخرة في الوجود ، اذ هاشت
بيننا في العصر الحديث ، وتقبلت القول في نيسة
حسنة ، ودافعت عنه في مواجهة بعض ما وجه اليه

اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟ (يشير الى
المشترك) فلا يخلو في ذلك ان يجوره او يمنعه .
فان منعه ورده ، صار الى رد ما يعلم وجوده وقبول
العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه ، وشبهت عليه
الالفاظ ، فانها اكثر من تحصي وتحصر ، نحو
« وجدت » الذي يراد به العلم ، والوجدان ،
والغضب ، و « جلست » الذي هو خلاف قمت ،
و « جلست » الذي هو بمعنى اتيت نجدا (وتسمى
جلس) . فاذا لم يكن سبيل الى المنع من هذا ، ثبت
جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه . واذا جاز
وقوع اللفظة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء
وضده ، اذا لحد ضرب من الخلاف ، وان لم يكن
كل خلاف ضدا ..

ولم يلجأ ابن فارس الى المنطق، والجدل العقلي،
في دفاعه عن الاضداد . وانما اعتمد في احد راييه
على طبيعة اللغة العربية . فقال (9) : « ومن سنن
العرب في الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد،
نحو الجون للاسود ، والجون للابيض » . فالاضداد
عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف .
واعتمد في رايه الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا
الاضداد وموقفنا منهم . فقال يصف رأي
المعارضين (10) : هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين
رووا ان العرب تسمى السيف « مهندا » والفرس
« طرفا » هم الذين رووا ان العرب تسمى المتضادين
باسم واحد » فابن فارس يوجب ان نؤكد موقفنا
من هؤلاء الرواة . فان شككنا فيما رووا من الاضداد
وجب علينا ان نشك في بقية رواياتهم اللغوية ، وذلك
امر مستحيل . فان وثقنا بما رووا من غير الاضداد،
كان واجبا ان نثق بما اوردوه منها . والحق ان ابن
فارس كان اكثر توفيقا في دفاعه عن الاضداد ، واقرب
الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج . ويؤسفنا الا
نعثر على كتابه الذي الفه في الدفاع عن الاضداد ،
ووصف موقفه من مذهب المعارضين ، في قوله (11) :
« وقد جردنا في هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به،
وذكرنا رد ذلك ونقضه » .

(9) الصاحبى 97 .

(10) الصاحبى 98 .

(11) الصاحبى 98 .

(12) الصاحبى 98 . الزهر 1 : 387 .

(13) الزهر 1 : 396 .

(14) الزهر 1 : 385 . اصداد ابن الدهان 5 .

من نقد على المصور . قال عبد الفتاح بدوي (15) :
« ينبغي ألا يعزب عنا أن التضاد منافع لطبيعة اللغة ،
وأنه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب أن
تقبل أن المعاني الأولية المتضادة يتفاهم الناس عنها
بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد أكبر
جدا من التي تنشأ من الاشتراك . وإذا قيل : أن
القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة
التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ليس
من طبيعة اللغات في سداستها . وإنما هو طور آخر
فوق ذلك » ..

أما الفئة الأولى في الوجود فكانت مربية . ولم
تقبل القول إلا لتستند إليه في الطمن على العرب ،
أذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الأضداد في
أمر واحد ، وأقامت عليهما من الأحكام ما ينسق مع
مآربها الحاكمة . قال ابن الأنباري (16) : « ويظن أهل
البدع والزيف والأزراء بالعرب أن ذلك كان منهم
لنقصان حكمتهم ، وقلة بلافتهم ، وكثرة الالتباس في
محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسألون عن
ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبه من المعنى الذي
تحتنه ودال عليه ، وموضع تأويله . فإذا امتور اللفظة
الواحدة معنيين مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد
المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على
المسمى »

وكان رد ابن الأنباري على هذه الفئة الشعبية
بقوله (17) : « أحدهم أن كلام العرب يصحح بعضه
بعضا ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب
منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز
وتوق اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها
ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون
الأخر ولا يراد بها في حال التكلم والأخبار إلا معنى
واحد .. ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف
التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادة ،
فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف
ويتأخر بعده مما يوضح تأويله . »

وتساقط البنا من أقوال منكري الأضداد ما
يكشف عن أدلة أخرى لهم . ولكن هذه الأقوال لا

تحاول أن تهدف القاعدة التي قامت عليها الأضداد
كما استهدف قول ابن درستويه السالف ، بل تسير
في اتجاه مخالف بعض المخالفة ، يجعلنا نستطيع أن
نعتمد عليها ونستفيد منها في موضع آخر . ولذلك
نرجي عرضها والحديث عنها إلى ذلك الموضع ،
ونقفز إلى الحديث من الشرقيين والمستشرقين .

فيبرز أمامنا عبد الفتاح بدوي أكثر الرافضين
للأضداد تطرفا وتوسعا في رأيه ، إذ أنكرها إنكارا
باتا ، وأعلن : « وأنا لننحدي الذين يرمون أن في
اللغة أضدادا ونباهلهم ، بجميع كلمات اللغة العربية ،
أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد .
فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد » .
وقد اتخذ عبد الفتاح بدوي من قول ابن درستويه
أساسا ثم أقام عليه علتة في هذا النفي المطلق
للأضداد . قال : « ينبغي ألا يعزب عنا أن التضاد
منافع لطبيعة اللغة ، وأنه لا يسهل التفاهم بين
الناس . فمن الصعب أن تقبل أن المعاني الأولية
المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة
التي تنشأ من التضاد أكبر جدا من التي تنشأ من
الاشتراك » . ورد على ابن الأنباري قائلا : « وإذا
قيل : أن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما
حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على
القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداستها ، وإنما
هو طور آخر فوق » . ثم قسم عبد الفتاح بدوي
الأضداد إلى طوائف ، وأبج كل واحدة بما ييظهرها في
نظره . وأعلن أن أمثالها موجود في اللغات المختلفة ،
وأنى بشواهد من اللغة الفرنسية .

وقد أجملت دائرة المعارف الإسلامية والدكتور
منصور فهمي الأدلة التي اعتمد عليها المستشرقون في
إنكار الأضداد ، فكانت كما يلي :

1 - كانت معظم الكلمات التي أوردها مؤلفو
الأضداد معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط .

أما المعنى الآخر المضاد له فلم يرد إلا في
روايات نادرة ، بل روايات جديرة بالشك .
ولا ريب أن بعض الألفاظ التي أوردها
كتب الأضداد من هذا القبيل ، مثل ذلك ما

(15) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أضداد .

(16) الأضداد 1 .

(17) الأضداد 3 .

قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب :
العقل ضد الحق ، والايمان ضد الكفر . والذي
ادمى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح
به حجته .

ولكن الحق ان القدماء اوردوا كثيرا من هذه
الالفاظ ، او كثيرا من المعاني المتضادة ، مهمة . فلم
يوردوا لها شواهد البتة ، او اوردوا منها ما يشهد
للمعنى المعروف وتركوا المعنى غير الشائع بدون
شواهد . مثال ذلك دهور ، وزجور ، ونهوز ، وبحتر ،
في اضداد قطرب (24) ، وعنه رومة بقية كتب
الاضداد دون ان تكثرث لاضافة الشواهد (25) .
والامر نفسه نجده في اضداد الاصمعي (26) ، وابي
حاتم (27) ، وابن السكيت (28) ، وغيرهم . ولكننا
يجب ان نحترس هنا ايضا ، فان القدماء لم يكونوا
يشعرون بوجوب ايراد الشواهد على كل ما يسمعون
ويروون ، وخاصة اذا كان اللفظ قد سمعوه في غير
شعر . بل انهم تخففوا في بعض الاحيان من بعض
الشواهد التي كانت بين ايديهم ، كما فعل ابو
حاتم عندما حذف بعض شواهد الاصمعي من امثال
شواهده ومعبده ومغلب .

3 - لا يجوز الاعتماد في اثبات التضاد على
موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الاصل اللغوي
لهذا اللفظ . والمراد بهذا النظر الى معنى اللفظ في
حال افرادة عندما يركب في جملة ، لان السياق قد
يكسبه معنى جديدا ، هو الذي يخرج به الى التضاد
مثال ذلك قول ابن الانباري (29) : « ومن الاضداد
ايضا قول العرب للرجل : « ماظلمتك وانت تنصفني »
يحتمل معنيين متضادين : احدهما ما ظلمتك وانت

ما رواه ابو زيد (18) : « تصدق الرجل : اذا اعطى
صدقته . وبعض العرب يقول : تصدق : سال ، والجيد :
تصدق : اعطى » . ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان
القدماء انفسهم - وجامعي الاضداد - هم الذين
نقدوا مثل هذا اللفظ ، وابانوا الرديء والجيد منه ،
كما نرى في النص السابق ، ومقابله عند ابن
الانباري (19) : « يقال : قد تصدق الرجل : اذا
اعطى ، وهو المعروف المشهور عند اكثر العرب ، وقد
تصدق : اذا سال وهو القليل في كلامهم » وعند ابي
الطيب (20) : « قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب
تصدق : اذا اعطى الصدقة » . وامثال هذا النقد
كثيرة عند ابي حاتم وابن الانباري وابي الطيب
خاصة ..

2 - يميز اكثر ما ذكروا من الاضداد الشواهد
الموثوق بها ، حتى قال جيز Glase انه لم يعثر
في الشعر القديم الا على 22 لفظا من الاضداد . وذهب
هرشفالد الى ابعد من ذلك . فمقب على قول جيز
معنا (21) ان هذا العدد يمكن ان تقل منه لو اردادت
معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ . وكان ابن
الانباري هو الذي لفت المستشرقين الى الشك في
الاضداد التي لا يوجد شواهد عليها ، اذ فعل ذلك
في الحميم قال (22) : « قال بعض الناس : الحميم
من الاضداد ، يقال الحميم للحر ، والحميم للبارد .
ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم
الحر .. » . واعلم ان الشاهد هو الدليل على صحة
التضاد حين قال (23) : « قال بعض اهل اللغة :
الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجره مجرى
الند . يقال فلان ضدي : اي خلافي ، وهو ضدي :
اي مثالي . قال ابو بكر (ابن الانباري) : وهذا عندي

(18) ابو حاتم 116 . ابن الدهان 14 .

(19) 110

(20) 437

(21) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة 1895 ، ص 223 .

(22) 82 . وانظر اضداد ابي الطيب 208 .

(23) 7 .

(24) 11 ، 15 ، 18 ، 49 .

(25) ابن الانباري 255 ، 242 ، 244 ، 257 . ابو الطيب 273 ، 332 ، 650 ، 85 .

(26) 17 ، 30 - 32 .

(27) انظر رادم ، افلت ، مؤدي ، اسد ، اضب ، اضمن ، وغيرها .

(28) 196 ، 199 .

(29) 160 .

وكيف وجدت في اللغة . واشترك في هذه المحاولة من افقت داراؤهم ، ومن اختلفت ، ومن اترفوا بها ومن رفضوها ، والقضاء والمحدثون ، والمرب والمستعمرون . وان كثيرا من الآراء التي اتى بها منكرو الاضداد هي في الحقيقة محاولة لتعليل وجودها ، ولذلك ادخرتها لاوردها هنا .

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، في كثير من الاحيان. فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى المصور القديمة، عندما كان العقل البشري في سداخته، فلم يكن يظن لما يعتريه من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو ابل Abel اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للاول من تناقض منطقي في التفكير . ولكن هذا القول لم يلق رواجاً حتى في اوساط المستشرقين ، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو وراي لجست Leguest الذي ارجع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها ..

وتوسط بعضهم في الايفال ، فلم يرجع الى التاريخ البشري ، واقتصر على التاريخ العربي القديم . فاعلم جيز ان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ابحاءاً ، فقد ادى ذلك الى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل). اعلن ان العربية اخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . واذا كان الشيء المدحرج ثقبلا احيانا ، وخفيها احيانا ، فقد اعتمدت العربية على هذين الابهامين المتضادين للكلمة الواحدة واعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقيق .

واقصد بعضهم الآخر ، ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج . وضرب جيز مثالا لذلك بالفعلين باع وشري . فقد كان المعنى الاصيل لهما بادل، حين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع . فلما عرفت النقود ، اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل . ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى المثال السابق مثالا من حيائنا الحاضرة ، يلتبس فيه معنى الفعل لحدائة عهد الناس بالحديث الذي يدل عليه . فلما

ايضا لم تظلمني ، بل مذهبك انصافي ، واستعمال ما استعمله من تركه الظلم لك والجنت عليك والمعنى الآخر : ما ظلمتك لو انصفتني ، فلما اذ لم تنصفني فاني اكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يفسر تفسيرين متضادين : احدهما : وما كان الله معذبهم واولادهم يستغفرون، اي قد وقع له في عنقه جل وهز انه يكون لهم ذرية تعبدوه وتستغفروا لهم . فلم يكن ليوقع بهم عذابا يجتث اصلهم ، اذ علم ما علم من صلاح اولادهم وعبادتهم له جل وعلا . والتفسير الآخر : وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون ، فاما اذ كانوا لا يستغفرون فانهم مستحقون لضروب العذاب التي لا يقع معها البوار والاصطلام ، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجذب في السنين التي لحقتهم فاكلوا فيها الجيف والعليز ، وكعذاب السيف والاسر الذي لحقتهم يوم بدر وغيره . والله اعلم بحقيقة ذلك كله واحكم .

ولم يلتفت المؤلفون الاولون في الاضداد لهذا النوع ولم يشيروا اليه في كتبهم . وانما ظهر في القرن الرابع عندما شاعت بين الكتاب الرغبة في الاحاطة والانساع والاثيان بما لم يات به السابقون. فتجلى عند ابن الانباري، ومن اخذ منه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصفاني .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى الاسباب السابقة سببا آخر ، يمكن ان نسميه - اذا احسنا الظن - تساهل اللغويين ، واذا اساناه سميناه حب التكثر والتزيد والتباهي بما اورده كل منهم من الاضداد . فقد دفعهم ذلك الى ايراد كثير من الالفاظ لا صلة لها بالاضداد ، وانما هي من المشترك ، مثل المعصر والحزور والروح والقلب والهاد وزنا ونسل.. الخ .

وتوجد الى جانب ما ذكرت عدة اسباب اخرى اوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمي ، ولكن تنقصها صفة العموم التي تتحلى بها الاسباب التي ذكرتها . فهي لا تتحدث الا عن نوع واحد من الاضداد، ولذلك ابقينا الى حين معالجة انواع الاضداد ..

اصل الاضداد

منذ تنبه اللغويون الى الاضداد، واختلفوا فيها، وهم في محاولة دالة لتعليلها والكشف عن نشأتها ،

عليها حتى يؤدي بها ذلك الى التضاد . مثال ذلك الدفر ، التي تطلق على الرائحة الطيبة والكريمة . وسبب ذلك اختلاف شعور الانسان بها ، اذ يحبها شخص ويرتاح اليها ، ويتناف منها آخر وينفر لشدتها ..

اما اللغويون العرب فقصروا جهودهم على الاضداد العربية ، ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا ، وحاولوا أن يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها . واكثر الآراء التي رايتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الاضداد من آثار اللهجات الكثيرة التي ضمتها العربية الفصحى . قال ابن الانباري (30) : « قال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بمض فآخذ هؤلاء عن هؤلاء هؤلاء من هؤلاء .. فالجون الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي آخر . ثم آخذ أحد الفريقين من الآخر .. » وترددت اصداء هذا القول عند أبي علي الفارسي (31) ، وابن الدهان (32) ثم الكتاب المحدثين . وكان أحد الدعائم التي استند اليها ابن درستويه (33) في انكار الاضداد ..

وأورد ابن الانباري رأيا آخر لم ينسبه الى أحد ، وكان له صداه ، ايضا في الدراسات اللاحقة . قال (34) : وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصريم ، يقال الليل صريم . وللهنا صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع . وكذلك الصارخ المستغيث ، سميا بذلك لان المغيث يصرخ بالاستغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فاصلهما من باب واحد .. »

وقد جعل الشيخ محمد الخضري هذا القول واحدا من رأيين له في تعليل نشأة الاضداد قال (35) :

كنا حديثي عهد بالقناطر (الكباري) التي تفتح وتغلق ، لم نستطع ان نستقر بمد على اعطاء لفظ واحد لكل من عملها . فنحن نقول : فتحت القنطرة اذا اهلقت في وجه المارة وفتحت للمراكب ، واذا فتحت امام المارة واهلقت طريق المراكب ايضا . وربما اجتمع الى حدائة العهد اختلاف النظرة .. فاصحاب المراكب يقولون منها : فتحت ، اذا فتحت لهم واهلقت في وجه المارة ، وهؤلاء يقولون : فتحت ، ان حدث العكس . ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين ، ومن هنا صار للكلمة معنيها المتضادان والشائعان معا ..

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد ، وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير في اللغة . فذهب الى ان بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتداوى في الذهن ، فتؤدي الى الاضداد . مثال ذلك كلمة « البين » التي تطلق على الفراق والاجتماع ، والسبب في ذلك ان الانسان قد يفترق وحده عن جماعته ، وقد يفترق فيلحق بجماعة اخرى . ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الآخر الذي اوردته دائرة المعارف الاسلامية ايضا منسوباً الى جيز ، ويرى ان الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب ان احدهما نتيجة للآخر . مثل خفي البرق بمعنى ظهر واستتر . فان البرق لا يكاد يظهر حتى يخفي ، فالظهور والاختفاء متلاحقان ، وتأتيهما نتيجة لاولهما . ومثل « ناء » بمعنى نهض بالحمل في مشقة ، وحمل الحمل . ومثلها ما سماه تداخل الاحداث ، فما كان آخر الامر قد يكون اولاً لغيره ، وما يكون اولاً لآخر قد يكون آخراً لغيره مثل « السدفة » فهي الوقت الذي بين النور والظلمة ، يمكن ان يختلف فيها القبائل أو الافراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا ان المراد بها النور وحده أو الظلام وحده .

وآخر ما جمعه جيز من أسباب التضاد فموض الانفعالات والمشاعر وانبهاهما واختلافها من شخص الى آخر ، وتسرب هذا الفموض الى الالفاظ التي تدل

(30) 11 .

(31) المخصص 13 : 59 .

(32) 5 .

(33) الزهر 1 : 385 .

(34) 8 .

(35) الاصول 174 .

التخالف عنده تداخل اللغات ، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال ، وتشبيه الفعل بمرادفه في المعنى أو ما نعرفه اليوم باسم التضمنين . ويجدر بنا - قبل أن نترك ابن درستويه - أن نلاحظ أنه اضطر إلى الاعتراف بأنه « قد يجيء الشيء النادر من هذا » في اللغة ، فهو لم يستطع أن ينكر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الالفاظ في اللغة ، ويعلن خلوها التام منه ، وإنما أعلن أنه « نادر » وله حله ..

واسم أبو علي الفارسي في التعليل أيضا ، فاضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه (37) : « اما .. اتفاق اللغتين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا . ولكنه من لغات تداخلت ، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتقلب فتصير بمنزلة الأصل » . وقد كان لهذا الرأي الأخير صداه الواسع في تقسيم الأضداد بعد ذلك .

هذه هي الآراء التي جاء بها القدماء في معرض تعليل الأضداد حيناً ، ومعرض إنكاره حيناً آخر . وتلقفها عنهم المحدثون فأذاوها بينهم مقتصرين عليها تارة ، ومتسمين فيها أخرى ، ومتشعبين بها في أحوال كثيرة حتى خلصوا إلى آراء ما كانت تدور في خلد القدماء ..

وبقي أمامي المذهب الثاني الذي جمعه الشيخ محمد الخفري (38) علة لنشأة الأضداد وهو أن يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره أحيانا ، فلا يفتن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد .. مثال ذلك عنده الجون ، فالأصل فيها أن تطلق على السحاب . ولما كان من السحاب الأبيض ومنه الأسود فقد ظن اللغويون أن هذه الصفة مراعاة في اللفظ ، وأنه يطلق على الأبيض من السحاب تارة ، وعلى الأسود أخرى ، فهو إذن من الأضداد . وليس الأمر كما ظنوا ، فلا تضاد في اللفظ لأنه لا يدل إلا على السحاب مجردا من كل صفة ..

وآخر العلل التي عثرت عليها ما أخافه الدكتور منصور فهمي مستقيا إياه من أقوال القدماء عن

أولهما أن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصالح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يغفل الناس من هذه الفكرة المشتركة يظنون أن اللفظ من الأضداد . مثال ذلك الصريم ، هو الليل أو النهار . وأصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لأنه ينسلخ من النهار ، والنهار صريم لأنه ينسلخ من الليل ، وهما متداخلان . ومصادق ذلك الآية الكريمة : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

ونستطيع أن نضع تحت هذا القول ما حل به عبد الفتاح بدوي المتضاد في الفعل باع . فقد رأى أن المعنى الأصلي له مد باعه ، سواء للأخذ أو العطاء ، ومن هنا أطلق على الشاري والبائع لأن كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلمتين أخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات . قال السيوطي (36) حاكيا قوله : « : فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك أبانة بل عمية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلة ، كما يجيء فعل وأفعل . فيتوهم من لا يعرف العلة أنهما لمعنيين مختلفين ، وأن اتفاق اللفظان . والسماع في ذلك صحيح من العرب ، فالتأويل عليهم خطأ . وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ . وذلك أن الفعل الذي لا يتمدى فاعله ، إذا احتيج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر ، بأن يراد في أوله الهمزة ، أو يوصل به حرف جر بعد ثامه ، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . إلا أنه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب في كلام العرب ، حتى يحاولوا تخفيفه ، فيحذفوا حرف الجر منه ، فيعرف بطول العادة ، وكثرة الاستعمال ، وثبوت المفعول وأمرابه فيه خاليا من الجار المحدوف . أو يشبه الفعل بفعل آخر متعد على غير لفظه ، فيجري مجراه لاتفاقهما في المعنى ، كقولهم : حبست ، الدابة ، وحبست ما لا على المساكين » . فأسباب

(36) الزهر 1 : 385 .

(37) المخصص 13 : 59 .

(38) الأصول 174 .

التفاؤل والتطير والتهكم ، إذ ان العرب اعتادوا ان يعدلوا عما يكرهون من الفاظ الى ما يحبون ، فسماوا الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز ، والاعمى : البصير ، والملدوغ : السليم : ونادوا الجاهل بقولهم : « يا عاقل » . ولا زلنا نحن نسمع فى المقاهى عبارة : « خذ المليون » يريدون بها الاكواب الفارغة .

ويؤدي بنا التأمل الدقيق فى العلل التى أوردتها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة او للمشور على نظرية عامة او الابداع فى مجاهرل التفكير البشري ، يؤدي بنا هذا النوع من التأمل الى ان اهم ما قالوا من علل وأخطره هو « المعنى الاصلي للالفاظ » . فنحن فى حاجة الى اعادة النظر فى هذه الالفاظ ، وفيما ذكره لها اللغويون من معان ، وفى حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذى لا يأبه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يرتبط بها من ظواهر ، ولا بما يؤدي اليه من نتائج ، ولا بما قطعه اللفظ من اشواط سائرا فى طريق معتدلة انا وموجة داوئة . فان وصلنا الى ذلك المعنى ، فمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما أحبط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض أحيانا ، ومعرضة للخطأ أحيانا اخرى .

واما بقية العلل فهي ارباد لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد مثل اللغات ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما اليها من امور . كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق فى الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة . اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فمن رفضوا الاضداد رفضوا اصلاتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضعت اصلا للمعنيين المتضادين . ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين فى كل شيء ، بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظين متمايزين ، غير ان معنييهما متضادان . كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيسار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة . فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع

(39) 6 .

(40) ابو الطيب 688 .

من الالفاظ (الذى نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد ، والطرق التى سلكتها حتى وصلت الى التيار الحالي . .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هي قلة الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فابن درستويه من المعارضين يصفها « بالشيء النادر » ، وابن الانباري من المؤيدين يقول (39) : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب » .

شروط الاضداد

اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا عنه ، عندما استقصى النظر فى اللغة ، او احتوى قوله على ما يوميء الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بمضهم .

فقد كان فى وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل فى اللغة . فحاولوا جمعها وابرازها . وتحت اثر من هذا الاحساس ، ومن هذه الغاية ، جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا ، وهي واهنة الصلة بها . وكان اكثر المؤلفين وقوما تحت هذا الاثر قطرب : اول من كتب عن الاضداد .

فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله فى كتابه كيلا يتهم بأنه فاته من الاضداد شيء (40) . ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا امامهم من كتب فى الاضداد . فخذوا يمدون النظر فيها ، وفى اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا . وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر فى اللفظ حتى يدخلوه فى الاضداد . ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التى دونوها فى كتبهم . وبالرغم من ذلك اتبع هذه الشروط لاهميتها فى توضيح «صورة الاضداد» فى اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق فى كتبهم .

واهم مؤلفا يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد بن القاسم الانباري . ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية فى اللفظ ليمده من الاضداد :

الطاحي عندي من الاضداد ، لانه لا يقال طاح للمنخفض ، انما يقال للمنخفض مطحو ومطحي .

واخرج ما كان فعلا واسما ، قال (45) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد جمرت المرأة : اذا جمعت لها كالنرمتين من حلق ونشف - والنزعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذي يعضد ثابت في الجبين - قال : ويقال للدوابة جمار . ويقال : للمرأة جماران ، اي ذوابتان صفرتا مقبنتين على وجهها .. فقول قطرب : جمرت المرأة ولها جماران من الاضداد ، ليس بصحيح ، لان جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر ، ولا يقال : جمار لما يفسد الدوابة ، فلا وجه لادخاله في حروف الاضداد » .

فابن الانباري يشترط ان يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شد من ذلك .

كذلك اشترط ان يكون للصفة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد ، قال (46) : « قال بعض الناس : طرب : طرب : حرف من الاضداد . يقال : طرب اذا فرح ، وطرب اذا حزن .. ولم يصب هذا القائل عندي ، لان الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان في وقت فرحه وحزنه » .

واتفق ابو الطيب اللغوي معه في هذا الرأي ، قال (47) : « ابو حاتم وقطرب قالا : ومن الاضداد الماتم . فالماتم النساء المجتمعات في فرح وسرور ، والاتم النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة ... وقال غيرهما : الماتم جماعة النساء ، لا واحد لها من لفظها ، وسواء كن في وليمة او مناحة او في غيرهما بعد ان يكن مجتمعات . فعلى هذا ليس الماتم عنده من الاضداد » .

1 - ان تكون صيغة اللفظ ذي المعنيين المتضادين واحدة . فأخرج من الاضداد ما كان احد المعنيين لافعل والاخر لفعل . قال (41) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد خدمت النمل : اذا انقطعت مروتها وشسمها ، وخدمتها : اذا اصلحت مروتها وشسمها . وهذا ليس عندي من الاضداد ، لان (خدمت) لا يقع الا على معنى واحد ، وكذلك (اخدمت) . ولفظ اخدمت يخالف لفظ خدمت . وما لم يبرر الا من معنى واحد بلفظه لا يكون من الاضداد » . واتفق ابو الطيب اللغوي مع ابن الانباري في هذا الرأي ، بل في كلامه الذي اذكره بعد ما يدل على اتفاقه معه في حديثه عن كل الصيغ التالية .

واخرج ابو بكر منها ما جاء على فعل المجرد وفعل المضاعف . قال (42) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : بدن الرجل : اذا حمل اللحم والشحم ، وبدن تبدينا : اذا اسن وكبر وضعف . قال ابو بكر : وليس الامر عندي على ما ذكر قطرب ، لان (بدن) لفظه يخالف لفظ (بدن) . وما لا يقع الا على معنى واحد لا يدخل في حروف الاضداد » .

واخرج منها على ما كان على فعل وفعل وفعل من الصفات . قال (43) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : رجل نجد : اذا كان سريع الإجابة الى الداعي اذا دعاه .. ويقال : رجل نجد : اذا كان مغرما من أي وجه .. وقال غير قطرب : يقال للمفرغ : منجود ونجيد .. قال ابو بكر : وليس النجد عندي من الاضداد ، لان العرب لا توقعه الا على معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل في الاضداد » .

واخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال (44) : « ومن حروف الاضداد : الطاحي : المنفجع . والطاحي : المرتفع ... هذا قول قطرب . وليس

(41) 276 . وانظر 583 ، 291 ، 298 ، 304 .

(42) 310 .

(43) 320 .

(44) 302 .

(45) 279 .

(46) 57 . وانظر 58 ، 92 .

(47) 21 . وانظر 37 ، 57 .

ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها ، إذ تختلف العلل ، الصرفية التي وصلت بها الى صورتها . مثال ذلك قوله (53) : « ومن الاضداد - زعم التوزي - قولهم : رجل مود اي هالك ، ورجل مود اذا كان ذا سلاح قويا . قال ابو الطيب : وليس كذلك ، لان المودي الهادي غير مهموز ، وفاء الفعل منه واو ، يقال : اودى الرجل يودي ايداء اي هلك . . والمؤدي من السلاح مهموز ، وفاء الفعل منه همزة ، وانما معناه ذو اداة الحرب . يقال : قد ادى يؤدي : اذا تمت ادائه للحرب وسلاحه . . فهذا غير الاول » . وقد ادى به هذا التصور للاضداد الى ان يخرج منها ما جاء على مفتعل ومفتعل مما عينه منقلبة من ياء او واو ، اذ لا يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الالف ، مثل المبتاع والمجتاب والمجتاح ، ومن المدغم العين في اللام ، مثل المنز والمحتز والمختص . ووضعه في آخر الكتاب (54) .

واخرج مجموعة تماثلها لاختلاف حرف العلة الاصلي فيها ، قال (56) : « قال ابو حاتم : ومن الاضداد قولهم : ضاع فلان ، من الضياع ، وضاع الشيء اذا ظهر وبدا . . قال اللغوي ، واما انا فلا ارى هذا من الاضداد ، لان شرط الاضداد ان تكون الكلمة اנוاحدة بعينها تستعمل في معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها . وقولهم : ضاع بضيع من الضياع انما الالف فيه منقلبة من ياء . . وقولهم ضاع اذا ظهر الالف فيه منقلبة من واو »

بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرى والمصدر منه من الافعال ، وعد ذلك اختلافا بينهما . قال (57) : « ومن الاضداد القانع ، زعموا . قالوا : فالقانع الراضي ، والقانع السائل الطالب . . قال عبد الواحد : ليس هذا عندي من الاضداد ، لان شرط الاضداد ، على ما اصلنا

واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة ، قال (48) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد احرف الرجل احرافا اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب انما تقولها العامة » .

واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعمالهما العرب في حوارهم . قال (49) : « قال قطرب : من الاضداد : الهجر ، يقال : هجرت الرجل : اذا اعرضت عنه ، وهجرت الناقة : اذا شددت في انفها الهجار - وهو جبل - لتعطفها على ولد غيرها . . وهذا القول عندي بعيد ، لان المعنى الثاني لم يستعمل في الناس » .

ويبدو ان ابا الطيب اللغوي يتفق مع ابن الانباري في هذا الرأي ايضا ، وان لم يملن ذلك صراحة « قال مثلا (50) : « قال قطرب ، ومن الاضداد التفل . فالتفل المتنن ، والتفل المتطيب . قال ابو الطيب : المعروف من التفل المتنن » .

واشترط ابو الطيب الا يكون المعنى الثاني مجازيا . فأخرج من الاضداد (51) : « ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه » مثل العشاء الذي يطلق على الناقة التي بلغت عشرة اشهر في حملها ، والناقة التي نتجت حديثا ، والارة الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى النار نفسها .

واشترط في المعنى الا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته ، مثل قولهم ناه بي الحمل ، ويا خيل الله اركبي . ولم يعد ذلك من الاضداد (52) .

وانفرد ابو الطيب اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تنضاد في معانيها وتتماثل في صورتها ،

(48) 267 .

(49) 213 . وانظر 288 ، 289 ، 300 ، 346 .

(50) 113 . وانظر 163 .

(51) 711 .

(52) 720 .

(53) 671 .

(54) 691 .

(56) 452 .

(57) 577 .

وكان التقسيم الثاني واسعا ، ينظر الى عدة اسس بحيث تغيب عن النظر الذي يريد ان يصل اليها . فالاضداد في هذا التقسيم تقع في مشرطوائف ، هي :

1 - الاضداد التي تحقق المعنى في كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل اطلاق الصارخ على كل من المفيث والمستفيث .

2 - الاضداد التي يكون احد معنييها حقيقيا والاخر مجازيا ، مثل اطلاق الكأس على الاناء والشراب الذي فيه .

3 - الاضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد .

4 - الاضداد التي يصح ان ينسب مصدرها الى أي من الطرفين ، مثل اطلاق المولى على السيد والخادم .

5 - الاضداد التي تتوافق منطقيا وتختلف تصريفا ، مثل اطلاق المختار على الشخص الذي اختار ، والشئ الذي اختير .

6 - الاضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورغب عنه .

7 - الاضداد الناتجة عن السياق ، مثل : « نسوا الله فنسيهم » .

8 - الادوات والحروف ، مثل ان واذا .

9 - الاضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة درهه ، ومائم ..

10 - الاضداد الناتجة من تصف اللغويين ، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء ، فاني لن انسي كثيرا بالتقسيمات النظرية ، وان كنت لن اهتمها كل الاهتمام . واجعل همي كله في تتبع الانواع المختلفة التي ادخلها مؤلفو الاضداد فعلا . في كتبهم ، اذا اختلف النظر والتطبيق عندهم . واندا باول مؤلف : قطرب ، اذ توسع في تصور الاضداد اكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده الى نقده . ورفض كثيرا منها . ولن اقف عند التقسيم ، بل اتبع كل صنف بما وجه اليه من نقد . وهالك ما وجدته من اصناف عند قطرب :

اولا ، ان تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها . والقانع بمعنى الراضي يقال منه قنع يقنع ، مثل شرب يشرب ، والمصدر قناعة وقنعا وقناعا وقنمانا - اي رضي - فهو قانع وقنع . والقانع - بمعنى السائل - يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع ، والمصدر قنوعا لا غيره ... واذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الاضداد .

ونستخلص من هذا غموض صورة الاضداد في ذهن قطرب او عدم وجود حدود لها ، واخذها في الوضوح والجلالة والتعدد على مر الزمن . فكانت اللغات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني . ثم كان كمال البروز والتعدد عند ابن الانباري وابي الطيب .

انواع الاضداد

نستشرف من الحديث السابق عن اسباب الاضداد ، والاختلاف فيها ، وتغير صورها عند اللغويين ، نستشرف منه ان الاضداد لم تضم فئة واحدة من الالفاظ كان من المحتمل ان يتفق عليها العلماء او على كثير من الظواهر المتصلة بها .

وبالرغم من احساس العلماء المبكر بان الاضداد ثبات مدة ، لم اجد بين القدماء من حاول ان يصنفها ، تصنيفا قاصرا او شاملا . وبالرغم من ان المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ، ليسهل عليهم رفضها او تعليلها ، فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي . ويبدو انه اراد ان يموض ما فات اللغويين ، فامطنا تقسيمين لا واحدا . اما التقسيم الاول لفصير ومحكم ، ويقوم على اساس نحوي . فقد جمل الاضداد اربعة انواع :

1 - اضداد في اللفظ المفرد ، كالقرء للحيض والطمهر .

2 - اضداد في الفعل ، كظن للشك واليقين .

3 - اضداد في التراكيب ، كعبارة « تهببت الطريق وهببني الطريق » .

4 - اضداد في المتعلقات ، كرفب عنه ورغب فيه .

1 - الاضداد الحقيقية ، اضني الالفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده . قال (58) : « العقوق للحامل والعقوق للحائل ايضا » . وقال (59) : وقالوا في الاضداد : النحاحة : السخاء ، والنحاحة : البخل . ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من الفاظ .

قال ابو الطيب (60) : وحكى : يقال : بردت الماء ، من البرد ، أي جعلته باردا . وبردته : سخنته . قال : وانشدنا بعضهم :

شكت البرد في المياه ، فقلنا
برديه توافقيه سخينا

قال قطرب: معنى برديه في هذا البيت سخنيه . وقال ابو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو برديه (يريد : بل رديه) من الورود ، ولكنه ادغم اللام في الرواء ، كما يقرأ (كلا ، بل ران على قلوبهم) قال ابو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت . وقال ابن الانباري عن لفظ «آخر (61)» : « ومن حروف الاضداد البحتر : يقال رجل بحتر ، اذا كان قصيرا - او بهترا بالهاء ايضا - ويقال : رجل بحتر اذا كان عظيما . ذكر هذا قطرب ، وما علمنا احدا وافقه على أن البحتر يقال للمظيم » .

2 - الالفاظ المتضادة المعاني من اختلاف الصيغ ، مثل فعل وافعل ، وفعل وفعل من الافعال ، وفعل وفعل وفعل من الصفات . وقد اوردت «انفا» امثلتها ، وما وجهه اليها ابن الانباري وابو الطيب من نقد ، واخراجهما اليها من الاضداد . والحق معهما ، ولذلك لم يوافق قطربا من أتى بعده من مؤلفي الاضداد . فاستبعده

اكثرهم من كتبه . وربما كان واجبا ان نستثنى ابا عبيدة والتوزي من هذا الحكم ، اذ يبدو انهما اورداه في كتابيهما . قال ابو الطيب (62) : « قال ابو عبيدة : ترب الرجل يترب تربا : اذا لصق بالتراب من الفقر .. واترب الرجل يترب اترابا : اذا كثر ماله كثرة التراب . فالترب المحتاج ، والترب الفني » وقال ابو الطيب ايضا (63) : « قال التوزي : ومن الاضداد ثبت الرجل اذا اعطيته من الثواب ، واثبت اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » .

اما الاصمعي فوجدت عنده مثالا لو صح وضعه مع ابي عبيدة والتوزي . قال (64) : « قسط : جار . واقسط بالالف : عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه : (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) أي العادلين . وقال في الجائرين : (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .. » . ويخيل لي ان في العبارة سقطا ، وتتمتها : « قسط : جار ، وقسط : عدل . واقسط بالالف: عدل لا غير » بدليل عبارة (لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذي يروي كثيرا من الاضداد عن الاصمعي ، وورودها كذلك عند غيره .

3 - الالفاظ التي تتفق في الصيغة والحدث ، وتختلف في نسبه الى من قام به او من وقع عليه . ومثالها فعمل التي تدل على الفاعل والمفعول . قال (65) : « الريبة : التي تربب . والريبة : التي تربت . قال الله عز وجل في الريبة : « وربائبكم اللاتي في حجوركم » .

(58) 69 . واورده ابو حاتم 224 ، وابن الانباري 114 ، وابو الطيب 495 ، وابن الدهان 15 والصغاني 588 .

(59) 133 . واورده ابو حاتم ، 253 ، وابن الانباري 301 وابو الطيب 650 وابن الدهان 20 ، والصغاني 670 .

(60) 86 . واورده ابن الانباري 31 ، وابن الدهان 7 .

(61) 257 . واورده قطرب 49 ، وابو الطيب 85 ، وابن الدهان 7 ، والصغاني 389 .

(62) 115 . واورده ابن الانباري 291 .

(63) 124 .

(64) 21 . واورده قطرب 98 ، وابن السكيت 293 وابن الانباري 26 وابو الطيب 594 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 625 .

(65) 84 . واورده الاصمعي 80 ، وابو حاتم 174 ، وابن السكيت 353 ، وابن الانباري 85 وابو الطيب 310 ، وابن الدهان 11 ، والصغاني 472 .

الفاعل . والتواب : الله تعالى . قال : (وان الله تواب حكيم) . وقال الله تعالى : (ان الله يحب التوابين) .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاحداث التي تدل عليها هذه الالفاظ او اغلبها تحتاج الى الاشتراك ولا يمكن ان تقع لفرد واحد . فالتربية مثلا تحتاج الى من يقوم بها والى من تقع عليه ، والركوب يحتاج الى راكب ومركوب .. الخ .

4 - الالفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب (69) : « اهتف الرجل اهتافا - بالنون والتاء : ضحك ضحكا رويدا . واهتف ايضا : بكى . ويقال : تهافت الرجل تهافتا : اذا ضحك ضحك تعجب » . وقال ابن الانباري : « تهافت معناه قال : ايها ايها في البكاء » . والواضح ان الاهتاف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكسي والضاحك ، فالعنى واحد ، غير ان مظاهر مختلفة تنصل به . ومثله الماتم كما رأينا .

ولم يتفرد قطرب بهذا النوع ، بل وجد عند غيره من اصحاب الاضداد . فقد اورد الاصمعي في كتابه الطرب ، التي مر بنا نقد ابن الانباري لها . ولم اجد عند ابي حاتم من هذا النوع الا ما نقله من قطرب وأبي زيد . مثال ذلك قوله (70) :

« قال ابو زيد : طبخته : اذا شويته ، وكذلك اذا طبخته في القدر . قال : ويقال ، طبخته الشمس اي احرقته ، وطبخته في التنور : اي شويته .. » فالمراد بالطبخ الانضاج ، سواء اكان بالشئ ام بالغلي في القدر ..

والغريب ان ابن الانباري الذي نقد كثيرا مما ذكره غيره ، وقع هو نفسه فيه ، ورضي من كثير منه . ومن اغرب ذلك قوله (71) : « الصلاة من الاضداد . يقال للمصلي من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل :

وصيغة فعول ، قال (66) : « ومنها قول الله عز وجل : (فممنها ركوبهم) لما يركب . وركوب للفاعل ايضا مثل ضروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : اي مركوب . وقال الآخر : « يدمن صوان الحمص ركوبا » اي مركوبا . طريق ركوب ، وطرق ركب . وقال اوس :

تضمنها وهم ركوب كانوا
اذا ضم جنبه المخارم رزق

وهو الصف من الناس اذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رزده .

وصيغة فاعل ايضا ، قال (67) : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا ، قالوا : سر كاتم ، اي مكتوم ، وامر عارف ، وما انت بحازم عقل : اي محزوم عقل ، وهذه تطلقة بائية : اي مبانة فيها . اخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : (لا حاصم اليوم من امر الله) كانه يريد لا معصوم ، و (هو في عيشة راضية) من ذلك اي مرضية ، وقد يجوز ان يكون المعنى في راضية لاهلها ... » . ويروى بعض النحويين ان العبارات تحتوي على فاعل مقدر بعد الصفات ، فالتقدير عنده سر كاتم صاحب او سامعه وامر عارفه الناس ... الخ .

ووافق اللغويون قطربا في مد هذا النوع من الاضداد ، وادخلوه في كتبهم . وتنبه بعضهم الى جمع الالفاظ المختلفة تحت صيغتي فعول وفعليل ، وفرقتها بعضهم الآخر . فجمع قطرب معظم صيغ فعول وعقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعليل . واتبعه في الامر ابن ابي حاتم ، حتى اشتركا في كثير من الالفاظ التي اوردها (154 - 163) . وجمع الاصمعي بعض صيغ فعول دون عنوان (87 - 91) واهمل صيغ فعليل . فاتبعه ابن السكيت .

واضاف ابو حاتم صيغة فعال ، التي تطلق على الفاعل والمفعول اليه . قال (68) : « التواب : التائب

(66) 13 . واورده الاصمعي 90 ، وابو حاتم 154 ، وابن السكيت 362 ، وابن الانباري 239 وابو الطيب 306 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 481 .

(67) 33 - 44

(68) 196 . واورده ابن الانباري 338 ، وابو الطيب 111 ، وابن الدهان 8 ، والصفاني 411 .

(69) 52 . واورده ابن الانباري 258 ، وابو الطيب 683 ، وابن الدهان 21 .

(70) 211 . واورده ابو الطيب 462 ، والصفاني 554 ، ووضعه ابن الانباري في اشباه الاضداد 185 .

(71) 225 . وانظر 227 .

(يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى)
 اراد لا تقربوا المصلى ، هذا تفسير ابي عبيدة وغيره .
 وقال عز ذكره : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات
 ومساجد) والصلوات عني بها كنائس اليهود ،
 واحداثها صلاة ... » فالصلاة موضع صلاة الانسان ،
 مسلما كان او مسيحيا او يهوديا او غيرهم .

وبتمثل بهذا النوع ايضا في اضداد ابي الطيب ،
 وابن الدهان ، والصفاني ، بسبب كونها تستهدف
 الجمع ، فهي تورد ما اورده الكتب السابقة عليها .
 بل اضاف بعضها الفاظا جديدة لم ارها فيما بين
 يدي من كتب . ومثالها ما اورده الصفاني في
 قوله (72) : العجباء : التي يتعجب من حسنها ،
 والتي يتعجب من قبحها . واللفظ غني عن التعليل ،
 فالواجب ان يفسر بانه التي يتعجب منها ، سواء كان
 ذلك التعجب للحسن او القبح او غيرهما .

5 - المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعاً
 لاختلاف المتعلقات ، مثل قول قطرب (73) : «ومنه
 ايضا راغ عليهم : اناهم . وراغ عنهم : ذهب عنهم
 وتنحى . وقال الله جل ثناؤه (فراغ عليهم ضرباً
 باليمين) اي اقبل عليهم ضرباً بالالفة .. » وقد نقد
 بمفهوم قطرباً على هذا اللفظ ، قال ابن الانباري :
 « قال الفراء : لا يقال لمن رجع : راغ ، الا ان يكون
 مخفياً رجوعه .. وقال غير الفراء : لا يكون راغ ابداً
 الا بمعنى رجع على السبيل الذي ذكر الفراء ، وليس
 بحرف من الاضداد على ما ادعى قطرب » . وواضح
 ان معنى راغ واحد ، وهو الحركة الخفية ، ثم يحدد
 الحرف الذي يوضع بعد الفعل اتجاهاً هذه الحركة .
 فاذا كان الى او على ، كانت الحركة اقبالاً ومجيئاً .
 واذا كان من ، كانت الحركة اذباراً وابتنعاداً .

ولكن قطرباً لم يتفرد بهذا النوع من الاضداد ،
 بل وجد عند غيره من المؤلفين في الاضداد . ومثاله
 عند الاصمعي ما جاء في قوله (74) : « وحكي ان
 الاقهام الجوع ، وانشد : - وهو الى الزاد شديد
 الاقهام - يقال : اقهم من الطعام واقهسى : اذا لم

يشتهه . واورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الانباري
 وابن الدهان والصفاني ما ذكره سابقوهم من هذا
 النوع ، دون تعليق او نقد . واحسن من نقد هذا
 النوع هو عبد الفتاح بدوري في قوله : « جلي الا تفاد
 في شيء من الرغبة او السروغ او الانصراف (في
 قولنا رغبت فيه ومنه ورغبت عليه ومنه وانصرفت
 اليه ومنه) انما الضدية بين معنى في ومن ، وعلى
 ومن ، والى ومن . وهذه الحروف الفاظ مختلفة ،
 ليست من الضدية التي نبحث عنها في شيء ، فابن
 اللفظ الذي له معنيان متقابلان ؟ » .

6 - الالفاظ التي اختلفت في العدد الذي تدل
 عليه قال قطرب (75) : « وقالوا ايضا : الزوج ،
 الفرد ، يقال : عندي زوجان من خفاف اي خفان .
 والزوج : الزوج ايضا » . وعلق ابن الانباري (240)
 على ذلك بقوله : « وهذا عندي خطأ ، لا يعرف
 الزوج في كلام العرب لاثنيين ، انما يقال للاثنيين
 زوجان . بهذا نزل كتاب الله ، وعليه اشعار العرب .
 قال الله عز وجل (وانه خلق الزوجين الذكر
 والانثى) اراد بالزوجين الفردين ، اذ ترجم عنهما
 بذكر وانثى . وقال عز ذكره : (ثمانية ازواج من
 الضأن اثنيين ، ومن الممر اثنيين) وكذلك ما بعدهما ،
 فالازواج معناهما الافراد لا غير . والعرب تفرد الزوج
 في باب الحيوان ، فيقولون : الرجل زوج المرأة ،
 والمرأة زوج الرجل ... فمن ادعى ان الزوج يقع على
 الاثنيين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام
 العرب ، اذ لم يوجد فيما شاهد له ، ولا دليل على
 صحة تأوله » . واطن ان سبب هذا الخلط ، ان
 اللفظ لا يطلق على كل فرد وانما الفرد الذي لا بد من
 اقترانه بآخر . وعلى اي حال فاللفظ لا يحتوي على
 معنيين متضادين ، وانما اختلف الناس في العدد
 الدال عليه فحسب : واحد او اثنين ، وليس هذا
 بتضاد .

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين ابيو
 عبيدة ، قال ابن الانباري (76) : « ضحف حرف من
 الاضداد عند بعض اهل اللغة ، يكون ضحف الشيء

(72) 574 .

(73) 209 . واورده ابو الطيب 328 ، وابن الدهان 11 ، ونقده ابن الانباري 92 .

(74) 13 . ورواه قطرب 104 ، وابن السكيت 288 ، وابن الانباري 144 ، وابو الطيب 596 وابن الدهان 18 ، والصفاني 636 .

(75) 112 . واورده ابو الطيب 338 والصفاني 492 ونقده ابن الانباري 281

(76) 78 . واورده ابن الدهان 14 ، والصفاني 551 .

ومثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال أبو العباس ، من الأثرم ، عن أبي حنيفة معناه يجعل العذاب ثلاثة أضعاف ، قال : وضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه . وقال أبو عبد الله هشام بن معاوية : إذا قال الرجل : إن أعطيتني درهما فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب لا تفرد واحدهما ، إنما تتكلم بهما بالتثنية . وقال غير هشام وأبي حنيفة : يقع الضعف على المثليين . قال أبو بكر : وفي كلام الفراء دلالة على هذا . وفي هذا القول مغالطة ، لأن ضعف الشيء أما أن يراد الشيء معه فيصير الجميع مثلي الأول ، وأما أن يراد وحده فيكون مثله فحسب .

وكذلك سار في طريقتهم ابن الأنباري ، إذ ارتضى قول الفراء (77) : « مثل حرف من الأضداد ، يقال : مثل ، للمثبه للشيء والمعادل له ، ويقال : مثل ، للضعف فيكون واقعا على المثليين . زعم الفراء : أنه يقال رأيتمكم مثلكم . يراد به رأيتمكم ضعفكم ، ورأيتمكم مثليكم يراد به رأيتمكم ضعفكم . من هذا قول الله عز وجل : (يرونها مثليهم رأي العين) معناه يرى المسلمون أي ثلاثة أمثالهم ، لأن المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة وأربعة عشر رجلا ، وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا . فكان المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة أمثالهم » وفي هذا القول ما في اللفظ السابق من خطأ فسي الشرح .

ويقرب من هذا الضمير (نحن) ، الذي أدخله ابن الأنباري في أشباه الأضداد قال (78) : « ومما يشبه حروف الأضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنتين والجمع والمؤنث فيقول الواحد : نحن فعلنا . وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث . والأصل في هذا أن يقول الرئيس الذي له اتباع يفضيئون بفضبه ، ويرضون برضاه ، ويقتدون بأفعاله : أمرنا ونهينا ،

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الأضداد ، وأسوتنا في ذلك من أمثلة من اللغويين أمثال الأصمعي وأبي حاتم وابن السكيت وأبي الطيب . .

7 - الأضداد من اللغات . قال قطرب (79) : « المصمر - في لغة قيس واسد - التي قد دنت من الحيف . وأمصرت المرأة أمصارا . وقد دنا أمصارها . وبلغت الأزد : التي قد ولدت أو تمصنت » . وسار على هذا المسلك جميع المؤلفين في الأضداد ، وأن عارضهم بعض أصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال هذا النوع عند الأصمعي قوله (80) : في المادة الأولى من كتابه : « القراء عند أهل الحجاز الطهر ، وعند أهل العراق الحيفي . . » . وفي أضداده أيضا (81) : « قال أبو زيد : السدفة في لغة تميم الظلمة ، وفي لغة قيس الضوء . قال ابن مقبل :

وليلة قد جعلت الصبح موعدها
بهدرة المنى حتى تعرف السدفا

أي أسير حتى الصبح فتري ضوء الصبح . وقال المعاجم : « - واقطع الليل إذا ما أسدفا - أي أظلم » . وقال أبو حاتم (82) : « المنوة : القهر . وأهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : أخذه منوة أي قهرا ، وقال أهل الحجاز طاعة ، وأنشدوا :

هل أنت مطيعي أيها القلب منوة
ولم تلح نفس لم تلم في احتيالها

وقال كثير :

(77) 79 . وأورده ابن الدهان 19 ، والصفاني 657 .

(78) 113 . وأورده ابن الدهان 20 .

(79) 101 . وأورده ابن الأنباري 136 وأبو الطيب 509 وابن الدهان 15 والصفاني 584 .

(80) وأورده قطرب 99 ، وأبو حاتم 134 ، وابن السكيت 276 ، وابن الأنباري 8 ، وأبو الطيب 571 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 620 .

(81) 43 . وأورده قطرب 5 ، وأبو حاتم 114 ، وابن السكيت 316 ، وابن الأنباري 564 ، وأبو الطيب 346 ، وابن الدهان 12 ، والصفاني 500 .

(82) 185 . وأورده قطرب 173 ، وابن الأنباري 42 ، وأبو الطيب 491 وابن الدهان 15 .

تجنبنا ليلي عنوة ان تزورها
وانت امرؤ في اهل ودك تارك

الى كتب الاضداد . ولذلك لم يوردهما احد ممن جاء
بعده .

وورد في اضداد الاصمعي تفسير عارض للفظ
الانقياس ، اذ قيل في مادة (قلص) (86) : « ويقال
قد قلص الظل : اذا قصر ... وقلص ماء البئر : اذا
جم وكثر . قال الراجز :

يا ربهما من بارد قلاص
قد جم حتى هم بالانقياس

والانقياس : ان تنشق الركبة طولا او السن ، قال
ابو ذؤيب الهذلي :

فراق كقيص السن فالصبر انه
لكل انك عشرة وجبور «

وسها ابن السكيت في فمرة تتبعه لالفاظ الاصمعي ،
فالتقط اللفظ ، وخصص له مكانا بين اضداده ، بعد
مادة قلص . ولكن احدا غيره لم يقع في هذا
السور ..

10 - الالفاظ المختلف في تفسيرها . قال ابن
الانباري (87) : « فوق حرف من الاضداد ، يكون
بمعنى اعظم كقولك : هذا فوق فلان في العلم
والشجاعة ، اذا كان الذي فيه منهما يريد على ما في
الاخر ، ويكون فوق بمعنى دون قولك : ان فلانا
لقصير وفوق القصير ، وانه لقليل وفوق القليل ،
وانه لاحمق وفوق الاحمق ، اي هو دون المذموم
باستحقاقه الزيادة من الدم . ومن هذا المعنى قول
الله عز وجل (ان الله لا يستحيي ان يفرط مثلا ما
بموضة فما فوقها) يقال : معنى قوله : « فما
فوقها » : فما دونها .

ويقال : معناه فما هو اعظم منها . وقال الفراء :
الاختيار ان تكون فوق في هذه الآية بمعنى اعظم ،
لان البموضة نهاية في الصغر ، ولم يدفع المعنى الاخر
ولا رماه خطأ وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع

اي طائعا . وكل ما ذكره السالفون من
اضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهم مثل ابن
السكيت وابن الانباري وابو الطيب وابن الدهان
والصفاني .

8 - الفاظ التثنية التي لا تفرد . قال قطرب
(83) : « الصرعان : ناحيتا النهار ، اي اوله وداخره .
ومنه مصراما الباب يلما ايضا . ضدان . ذلك لاول
النهار وداخره » . وتابعه في هذا ابن الدهان وحده .
واعترض عليه ابن الانباري قائلا : « وقال غيره :
الصرعان الغداة والعشي جميعا ، ولا يقع على واحد
منهما دون صاحبه . وكذلك القرنان والبردان كما
يقال لليل والنهار : اللوان ، والفتيان ، والردفان ،
والعصران ، والجديدان ، والاجدان ، وابناسبات » .
واغفله غيرهما ، مما يدل على ان القدماء انفسهم لم
يرضوا عن هذا النوع .

9 - المشترك من الالفاظ دون ان يتضاد .
ومثاله ما اورده مانغا من جمعت الشمر ، وللمرأة
جماران . ونقد ابن الانباري له . ويرغم ذلك لم يبرأ
بعض اللغويين من الخلط بين الالفاظ ذات المعاني
المتضادة والالفاظ ذات المعاني المختلفة فقط ، كما فعل
قطرب فهذا هو الاموي يقول (84) : « نار غاضية :
اي عظيمة . وليلة غاضية : شديدة الظلمة » .
والتضاد غير واضح فيه ، الا اذا فهمنا ان الغاضية
هي النار الشديدة الاضاءة .

ووردت في اضداد الاصمعي كلمتان لا تمتان
الى الاضداد ، هما ضنين وظنين ، قيل (85) : « واما
قوله : « وما هو على الغيب بضنين » و « بظنين »
فهما وجهان معروفان . فالضنين البخيل ، يقال :
ضننت اذن ضنا . والظنين المتهم ، وهو من الظنة
اي التهمة .. » فهما اقرب الى كتب الإبدال منهما

(83) 106 ، وابن الدهان 14 ، وابن الانباري 127 .

(84) الاصمعي 62 ، وابن السكيت 336 ، وابن الانباري 209 ، وابن الدهان 16 ، والصفاني 559 ،
وابو الطيب 524 .

(85) 109 .

(86) 11 ، وابن السكيت 286 .

(87) 153 . واورده ابو حاتم 178 ، وابو الطيب 536 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 616 ، وانظر
قطربا 163 .

لما لم يقع . وفى التفسير (منع منا الكيل) . اي
بمنع منا . و (نادى اصحاب النار) اي ينادون .
وقال الحطيثة :

شهد الحطيثة حين يلقى ربه
ان الوليد احق بالمدح

يريد : يشهد ، لانه قال : حين يلقى ربه ، ولم
يلقه بمدح .

« ويكون ايضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ،
مثل قوله :

ولقد امر على اللثيم يسبني
فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

كانه قال : ولقد مررت ، لانه قال : فمضيت
عنه . وقال الآخر :

واني لا بكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما كان في غد

اي ما يكون فى غد .. » .

وقال ايضا (90) : « ومن الاضداد - وهي آخره
(يريد آخر الكتاب) - : اذ فى القرآن لما مضى فى
معنى اذا ، واذا لما يستقبل ويجهى ايضا فى معناها .
وقال الله عز وجل (ولو ترى اذ فرغوا فلا فوت) و
(لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) المعنى
يفرغون اذا ، ويوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال ايضا :
(واذا قال الله يا هيسى ابن مريم) وكان القول يكون
فى القيامة . لهذا لما لم يقع . وقال ابو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جرى
جنت عدن فى العلالى العلى

كانه قال : اذ يجزي ، لان هذا لم يقع بعد ...
وقال اوس :

والحافظ الناس فى الزمان اذا
لم يرسلوا تحت عائد ربما

وهبت الشمال البليل واذا
بات كميع الفتاة ملتفما

الوصف كقول العرب : انه لقليل وفوق القليل ، ولا
تكون بمعنى دون مع الاسماء كقول العرب : هذه
نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق الحمار قال :
لا يجوز أن تكون فوق فى هاتين المسألتين بمعنى دون
لانه لم يتقدمه وصف ، وانما تقدمته النملة والحمار
وهما اسمان ... » .

وهذا التعليل لجعل « فوق » من الاضداد خاطيء ،
فهذا اللفظ لا يكون بمعنى « دون » ابدا . ومباراة انه
لاحق وفوق الاحق ، اي يزيد عنه حمقا ، لا دونه
حمقا . فالتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة فى
وصفه بالحق لا التقليل وكذا حال « فوق » مع جميع
الصفات . اما مع الاسماء فاختلف فيها ، ولكننا نقول
ايضا انها بمعنى « اعظم » لا غير . فمعنى الآية « ان
الله عز وجل لا يستحيى ان يضرب الامثال بالبعوضة ،
وما هو اكبر منها حجما من الحشرات والحيوان ،
مثل الدباب والطير والكلب والحمار ، التي استمد منها
الامثلة فى الايات المختلفة . فاذا كان يقصد من البعوضة
الضالة والصغر ، فالمعنى انه سبحانه وتعالى لا
يستحيى ان يضرب الامثال بالبعوضة وما هو اعظم منها
صفرا وضالة شان . فالتفسيران يبينان ان « فوق »
لم تخرج من معناها الاصلي ، وهو « اعظم » .

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذى يثير منا
ابتسامة (88) : قالوا : ليال درع : سود الصدور
وبيض الامجاز ، وليال درع : بيض الصدور وسود
الامجاز ، وشاة درعاه يا هذا : يبيض المؤخر سوداء
المقدم ، وشاة درعاه - سوداء المؤخر يبيض المقدم »
وقال ابن الانباري معلقا « وتابع قطربا على هذا جماعة
من البصريين » .

فماذا كان يضيره لو فسر الليلة الدرعاه
والشاة الدرعاه كما فعل عبد الفتاح بدوي بما اختلط
بياضها وسوادها كأنها تلبس درعا ، دون اشارة الى
المقدمة والمؤخرة فاستراح من عدها فى الاضداد .
وما اكثر الاضداد التي من هذا النوع .

11 - الافعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ،
قال قطرب (89) : « وقالوا فعل : لما وقع ، وفعل :

(88) 142 . وأورده أبو حاتم 132 ، وابن الأنباري 165 ، وأبو الطيب 271 . وابن الدهان 10 ،
والصفاني 465 .

(89) 121 .

(90) 218 .

فقال : اذ واذا فى معنى واحد ... » .

واردضى ابو مبيدة هذا النوع من الازداد ،
وادخله فى كتابه . قال ابن الانباري (91) : « قال
ابو مبيدة : كان من الازداد ، يقال : كان للماضي ،
وكان للمستقبل . فاما كونها للماضي فلا يحتاج لها
الى شاهد ، واما كونها للمستقبل فتقول الشاعر :

فأدرت من قد كان قبلي ولم ادع
لمن كان بعدي فى القصائد مصنعا

اراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة ،
كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيمًا) معناه والله
غفور رحيم .

« قال ابو مبيدة : ويكون من الازداد ايضا ،
يقال : يكون للمستقبل ، يقال : يكون للماضي . فكونه
للمستقبل لا يحتاج الى شاهد ، وكونه للماضي قول
الصنعتان يرثي الفيرة بن المهلب :

قل للقوافل والفراة اذا غزوا
والباكرين وللمجد الرائج

ان الساحة والشجاعة ضننا
قبرا بمرز على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به
كوم الجلال وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها
فلقد يكون اخادم وذبالج

اراد : فلقد كان .

« قال ابو بكر : والذي نذهب اليه ان « كان
ويكون » لا يجوز ان يكونا على خلاف ظاهرهما ، الا
اذا وضع المعنى . فلا يجوز لقائل ان يقول : كان عبد
الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله . وكذلك محال ان
يقول : يكون عبد الله قائما ، بمعنى كان عبد الله .
لان هذا ما لا يفهم ، ولا يقوم عليه دليل . فاذا انكشف
المعنى حمل احد الفعلين على الآخر ، كقوله جل
اسمه (كيف تكلم من كان فى المهد صبيا) معناه : من
يكون فى المهد فكيف تكلمه ، فصلح الماضي فى موضع
المستقبل لبيان معناه . وانشد الفراء :

فمن كان لا ياتيك الا لحاجة

يروح لها حتى تقضى ويفتدي

فاني لا بكم تشكر ما مضى

من الامر واستيجاب ما كان فى غد

اراد ما يكون فى غد . وقال الله عز ذكره
(ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) فمعناه :
وينادى ، لان المعنى مفهوم . وقال جل وعز : (يا ايها
منع منا الكيل) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا .
وقال الحطية :

شهد الحطية يوم يلقى ربه

ان الوليد احق بالمدد

معناه : يشهد الحطية . وقول ابي مبيدة : كان
زائدة فى قوله تبارك وتعالى : (وكان الله غفورا
رحيما) ليس بصحيح ، لانها لا تلغى مبتدأة ناصبة
للخير ، وانما التأويل المبتدأ عند الفراء ، « وكائن الله
غفورا رحيمًا » فصلح الماضي فى موضع الدائم ،
لان افعال الله جل وعز تخالف افعال العباد ، فافعال
العباد تنقطع ، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع وكذلك
مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كان القوم
شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلمًا وحكمة ، فقال الله
جل وعز : (وكان الله غفورا رحيمًا) اي لم يزل الله
عز وجل على ما شاهدتم » (92) .

ويرى الباحثون البلاغيون ان هذه الافعال لم
تخرج من زمنها ، سواء ادلت على الماضي ام على
المضارع ، فهي مختلفة بمعناها الاصيل . وانما
استعمال المضارع فى الماضي التفات ذهني ، كي يبرز
القاتل الصور والاحداث الماضية ، ويجلبها تحت
سمع السامع والقارىء وبصرهما ، وكأنها تحدث فى
الحاضر ، لتكون اشد تأثيرا فيه ، وانطباعا فى
ذهنه . واستعمال الماضي فى الزمن الحاضر التفات
ذهني ، كي يبرز القائل تأكده من حدوث هذه الافعال
فى المستقبل ، وتيقنه من ذلك ، وكأنما قد وقعت
حقا وانتهى الامر . اما استعمال الافعال الماضية
والمضارعة فى غير زمنها فى بعض الشعر لغير فرض
بلاغي ، فانما هو امر فرسته - فى غالب الظن -
الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوي ولا الازداد .

(91) 28 - 69 .

(92) أورده أبو حاتم 198 ، وابن الدهان 18 ، والصغاني 646 .

ارى ثم وجها شوه الله خلقه
فقيح من وجه وقبح حامله

وقال ابو دواد يذكر فرسا :

فهي شوهاء كالخوالق فوهاء
مستجاف يضل فيه الشكيم «

واورد ابو حاتم وغيره هذا اللفظ ايضا ، ونسره
الاول تفسيراً واضحاً ، اذ قال : « قال ابو عبيدة :
مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة . قال ابو حاتم : لا
اظنهم قالوا للجميلة : شوهاء الا مخافة ان تعيبها
عين ، كما قالوا للفراب : اهور لحدة بصره » .

وهذا النوع من التمييز ليس من الاضداد
ايضا ، لان قائله يريد ان يوهم السامع بحقيقة اللفظ
لا ضده ، او يوهم نفسه ايضا ، فهو حين يصف
الملدوغ بالسليم يريد ان يوهم نفسه وسامعيه بانه
سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد باي حال من
الاحوال ان يتصوره ملدوغاً متألماً . وكذا الحال في
بقية الالفاظ . وقد نقد عبد الفتاح بدوي هذا النوع
فقال عنه : « اذا طبقنا بسائط علوم اللغة على امثلة
هذه الطائفة وجدنا المعنى الثاني مجازياً للكلمة ،
والاول هو المعنى الحقيقي ليس غير ، ومعنى الضدية
لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لانهما لا يتساويان في
فهمهما من الكلمة ، وانما الذي يفهم هو المعنى
الحقيقي فقط ، ولا يفهم المعنى الثاني الا بقرينته ،
وبالانتقال من المعنى الاول جتماً ، فيفوت معنى
الضدية » .

13 - صيغة افعل قال قطرب (98) : « ومنه
ايضا شكاني فلان فاشكيتته : اذا شكاك فامتنته ، وقد
يقولون ايضا : فاشكيتته ، اي زدته شكوى . ويقال :
شكا الي ما لقي فما اشكيتته اشكاء ، وقال الراجل :

12 - مبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب
(93) : ومنه ايضا : رجل اهور : للذهاب العين ،
ورجل اهور : للحديد البصر . ويقال غراب اهور ،
لحدة بصره ، وقال الشاعر : - في الدار تحجال
الغراب الاهور « وقال (94) : « وقالوا : البصير :
الصحيح البصر ، والبصير : الامبى . والادم :
الابيض ، والظبية الادماء : البيضاء . وادم : اسود .
وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين » .

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الاضداد جميعاً ،
وعند غيرهم . قيل في اضداد الاصمعي (95) : « قال
ابو زيد : الناهل في كلام العرب : العطشان ،
والناهل : الذي قد شرب حتى روي ، قال النابغة :

الطامن الطنمة يوم الوفى
ينهل منها الاسل الناهل

اي يروي منها العطشان . وقال الاصمعي : الانثى
ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : اي معطش ،
وابل نهال : اي عطاش ، يتطيرون بها من العطش
فيقولون : هذه ابل ناهلة .. » .

وقال الاصمعي (96) : « سموا المغازة مفعلة من
فاز يفوز : اذا نجا ، وهي مهلكة ، قال الله جل
تلاؤه : (فلا تحسبنهم بمغازة من العذاب) اي منجاة .
واصل المغازة مهلكة ، فتفاءلوا بالسلامة والفوز ،
كتولهم للملدوغ سليم ، والسليم : المعافى » .

واضاف ابا عبيدة مبارات التطير ، اذ قيل
في اضداد الاصمعي (97) : « قال ابو عبيدة يقال :
فرسي شوهاء . اي حسنة ، ولا يقال للذكر هذا
شيء . ويقال : لا تشوه علي ، اي لا تقل : ما افسحك ،
فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها الا في هذين
الحرلين ، واما القبح فيقال : قد شوه الله خلقه ،
ورجل اشوه ، وامرأة شوهاء ، قال الحطيئة :

(93) 75 . وانظر ابن الانباري 269 ، وابا الطيب 508 ، وابن الدهان 16 .

(94) 76 ، 17 . وانظر ابا الطيب 63 ، 12 ، وابن الدهان 7 .

(95) 45 . واورده قطرب 55 ، وابو حاتم 135 ، وابن السكيت 318 ، وابن الانباري 65 ، وابو الطيب
637 ، وابن الدهان 20 ، والصغاني 680 .

(96) 38 . واورده ابن السكيت 319 ، وابن الانباري 59 ، وابو الطيب 560 والصغاني 615 .

(97) واورده ابو حاتم 220 ، وابن الانباري 181 ، وابو الطيب 408 ، وابن الدهان 13 .

(98) 201 . واورده ابو حاتم 147 ، وابن السكيت 365 ، وابن الانباري 140 ، وابو الطيب 390 ،
وابن الدهان 13 ، والصغاني 526 .

وتائم : اذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحوب الرجل ، اذا تجنب الحوب ، ولا يستعمل الحوب في المعنى الآخر . . . وقال ايضا تحت حرف من الاضداد : يقال : تحت الرجل : اذا اتى الحنث ، وقد تحت اذا تجنب الحنث . . . »

وقال الرضى 103 : « والاغلب في تفعل معنى صيرورة الشيء ذا صفة ، كناهل وتالم . . اي صار ذا اهل ، والم . . . فيكون مطاوع فعل الذي هو لجعل الشيء ذا صفة اما حقيقة كما في البته فتالب واصلته وتاصل ، واما تقديرها كما في تاهل ، اذ لم يستعمل اهل بمعنى جعل ذا اهل » . ومن الطبيعي ان هذه الصيغة تأتي من الافعال التي تصلح فيها المطاوعة . .

وقال الرضى ايضا (104) ان تفعل تأتي للتكلف نحو تشجع وتحلم ، وما هو بشجاع ولا حليم . . اي الصفة منتفية عنه مسلوقة منه ، وللاتخاذ ، ويشترط ان يكون اصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تردى وتوسد من الرداء والوسادة . فهذا المعنى يأتي من الاشياء المادية لا المجردة . وتأتي ايضا للعمل المتكرر في مهلة نحو تجرع وتفهم . وكذلك بمعنى استعمل في الطلب ، والاعتقاد في الشيء انه على صفة اصله ، نحو تنجزه واستمظمته ، ومن الواضح ان الفعل فيهما متعد لا لازم ، واخيرا تأتي للتجنب .

ولو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة «تفعل» بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفرق الجلي . فالصيغة فيها جيما - ماعدا التكلف - متصدية لا لازمة ، بخلاف الحال في معنى التجنب . فالاختلاط والتشابه اذن بين التكلف والتجنب . والاثنان يفيدان السلب كما رأينا ، لان متكلف الشيء يشعر بعدم وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه . ولكن هناك امرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما : ذلك هو الاصل المشتقة منه الصيغة . فاذا كان الاصل مكروها فالصيغة لا تتجنب ، مثل تائم وتحوب . واذا كان الاصل محبوبا فالصيغة

تميد بالاعناق او تلويها
وتشتكي لو اننا نشكيها
وارضى الاصمعي هذا النوع ، وادخله في الاضداد ، قال (99) : « اطلبت الرجل : اعطيته ما طلب ، واطلبته : اجأته الى ان يطلب ، ومنه قول ذي الرمة :

اضله راعيا كلبية صدرا
عن مطلب وطلّى للاعناق تضطرب
يقول : بعد الماء منهم حتى الجأهم الى طلبه ، ويروى : - عن مطلب قارب وراده عصب - .
« ويقال : اشكيت الرجل : اذا اتيت اليه ما يشكو منه ، واشكيتته : نزعته شكايته .

قال الراجز :

تمد بالاعناق او تلويها
وتشتكي لو اننا نشكيها

والامر في هذا النوع يسير ايضا ، فالمعنى الاصلي فيها التعدية ، قال الرضى (100) : « المعنى الغالب في افعال تعدية ما كان ثلاثيا » ، فالمعنى الاصيل لاطلب واشكى جماعه يطلب ويشكو . ولكن هذا الطلب ، وهذه الشكوى ، كانا سببا في الاستجابة ، اي ازالة اسباب الطلب والشكوى . فارتبط السبب (الشكوى) والسبب (ازالته) في ذهن العربي ، فربط بينهما في لفته ، واطلق عليهما لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حين اطلقه على السبب ، وكان مجازيا حين اطلقه على السبب . .

14 - صيغة تفعل ، قال قطرب (101) : « ويقال : تائم فلان : كره الاثم ، وهو من لفظ الاثم ، وخرج ايضا بخرج : اثم » .

وقال ابن الانباري (102) : « وتائم حرف من الاضداد ، يقال قد تائم الرجل اذا اتى ما فيه المائم ،

(99) 92 . واورده ابو حاتم 179 ، وابن السكيت 364 ، وابن الانباري 48 ، وابو الطيب 457 ، والصفاني 561 .

(100) شرح الشافية 1 - 86 .

(101) 90 .

(102) 105 . وانظر ابا الطيب 17 ، وابن الدهان 6 ، واما حاتم 231 .

(103) 111 . واورده ابن السكيت 445 ، وابن الدهان 9 .

(104) شرح الشافية 1 : 104 - 107 .

والاصل : انا منقود لك ، وانت منقود لك . قال ابو حاتم : « والاصل في المختار اذا كان فاعلا : مختير ، فكهروا حركة الياء فاسكنوها ، ثم قلبوها الفا للفتحة قبلها . واما مختار مفتعل ، فالاصل : مختير ، الياء مفتوحة فكهروا حركتها فاسكنوها ثم قلبوها الفا . وكذلك مكثال ، لانه من بنات الياء ، من كال يكيل ، فكهروا حركة الياء فاسكنوها ، ثم قلبوها الفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، اصلها معتدد ، بالكسر للفاعل . ومعتدد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت الدالان : فاسكنوا الاولى ثم ادغموها في الثانية فاستوت اللفظتان » .

ورضي التوزي وابن الدهان من هذا النوع فادخلاه في اضدادهما ، ولكنه لم يحفظ بمثل هذا القول عند غيرهما ، فنقده ابو الطيب - كما رأينا - نقداً مرا ، ونفاه من الاضداد واكتفى بغيره باهماله . وكشف عبد الفتاح بدوي عن رايه في هذا النوع في قوله : « ولا جرم ان دعوى التضاد في هذه الطائفة انما هو اعتبار للنخبة الصوتية فقط ، مع تناسي حقيقة الكلمة ومقاييسها فمختار الذي اصله مختير بكسر الياء لا يمكن ان يقال انه مختار الذي اصله مختير بفتحها . ومن ثم تكمن دعوى التضاد في هذه الطائفة اشبه بالهدر منها بالحقائق العلمية ، لان التضاد انما يتصل بالمعاني لا بالانغام » .

ونسي هذا الكاتب ان التضاد يقوم على الانغام (اصوات الكلمات) ومعانيها في نفس الوقت ، وانه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الاضداد ، وما وجد بحث فيها . ونسي ان الصرفيين عندما يقولون ان مختار اصلها مختير بكسر الياء اذا كانت اسم فاعل ، او يفتحها اذا كانت اسم مفعول ، فكهرت حركة الياء فحذفت ، وقلب الياء الفا ، لا يريدون بذلك ان العرب نطقوا بها - اول ما نطقوا - بالياء المحركة ، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم في الاطوار الاخيرة بالالف . فحسم اللغوي ، وذوقهم اصوات الالفاظ ، جملاهم يستعملون اللفظ بالالف منذ الوهلة الاولى ، لانهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . اما الصرفيون فيفترضون انه لو كانت اللفظة في اصلها على هذا البناء ، لاستمر بها

للتكلف والشظاير مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك ان الالفاظ الستة التي قيل انها تاتي للتجنب مأخوذة من امور مستكرهة ، وهي : تحنت ، تأثم ، تخرج ، تحوب ، تنجس ، تهجد ، والهجوم مستكره للاتقياء الذين يجعل بهم ان يقضوا الليل في العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكسراه (105) ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة في احد المعاني كانوا يحرمون استعمالها في غيره الا اذا كان لا يلتبس به ، ولذلك قال الرضي (106) : « ليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك ان تقول في ظرف : اظرف ، وفي نصر : انصر ... وكذا لا تقول : نصر ولا دخل . وكذا في غير ذلك من الابواب ، بل يحتاج في كل باب الى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعين ، فكما ان لفظ اذهب وادخل يحتاج فيه الى السماع فكذا معناه الذي هو النقل مثلا ، فليس لك ان تستعمل اذهب بمعنى ازال الدهاب ، او مرضى للدهاب ، او نحو ذلك » . وبدلنا عن ذلك انهم لم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الالفاظ في غير التجنب . وصرح ابن الانباري بان تحوب للتجنب وحده .

15 - الصيغ المتشابهة في ظاهرها المتضادة المعاني وفقا لاختلاف تصريفها واصلها . قال قطرب (107) : « ومنه ايضا اردات الرجل : اعنته وارديته ، وقول الله جل ثناؤه (ردوا يصدقني) وقالوا ايضا : ارديته : اعنته ، وارديته : اهلكته » وظهر امثلة من هذا النوع صيغة اسمي الفاعل من « افعل » و « انفع » من الاجوف والمضاعف . وقد زاد هذه الفئة ابو حاتم في اضداده ، قال (108) : « ما كان من المعتل من بنات الياء والواو التي في موضع الغين ، او من المضاعف على مفتعل ومفتعل ، لفظهما فيه سواء ، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اجترت عبد الله من الرجال فانا مختاره وهو مختار ، وكذلك المزدان من الزين ، والمعتاض ، والمقتال والمعتد ، الفاعل والمفعول به ، يقال : اعتد فلان شيئا ، فالرجل معتد ، والشيء معتد . وكذلك المنقاد ، نقول : اتقدت لك ، فانا منقاد (لك) ، وانت منقاد لك » .

(105) انظر تاج العروس : حنت .

(106) شرح الشافية 1 - 84 .

(107) 185 .

(108) 175 .

« ويقال ناقة نني : اذا ولدت بطنين ، وثنيها : ما في بطنها .. »

وسار المتأخرون على هذا النهج ، الذي اختطه الرميل الاول من اللغويين ، فاورد ابن السكيت واو حاتم وابن الدهان والصفاني ما اورده السابقون عليهم من امثلة هذا الصنف من الاضداد . واورد ابو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال (113) « الجمر : العود الذي يدخن به . والمجر ايضا : الذي يوضع فيه الدخنة ، ومنه قول ابن احمر :

لم يعد ان فتق الشجاع لهاته
وافتر قارحه كلر الجمر

اراد انه اول ما بزل ، فقارحه مثل الحديد التي يلزها الجمر مثل الشميرة او اصفر .

ونستطيع ان نضع في هذا الصنف امثال ما جاء في اضداد الاصمعي (114) : « الراوية : البعير الذي يستقى عليه الماء ، يقال : رويت عليه اروي رية : اذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التي عليه ، وانما هي المرادة ، قال ابو النجم :

تمشي من الردة مشي الحفل
مشي الروايا بالمراد الانقل

يقال : اردت الناقة ، وذلك اذا كانت مطشى ثم رويت فمطنت ، فينتج ضررها حتى تحسب انها حامل . »

وجعل عبد الفتاح بدوي هذا النوع والفاظ التفاؤل والتطير طائفة واحدة ، ووجه اليها النقد الذي ذكرته انفا . والحق ان المعنى لم يتغير ولم يتضاد في أي لفظ منها . وانما كان من سنن العرب اطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلزمه ، لاتجاه الدهن الى الاثنين معا كلما ذكر احدهما . فكان اللفظ في اصالته يدل على احد المعنيين ثم انتقل مجازا

التغيير الى ما صارت عليه . فكانما اقام الكاتب رده على افتراضات . واعتبرها حقائق علمية ، فانهار نقده ، ولم يستطع الوقوف على قدميه . فالصفتان في الحقيقة والواقع لا فرق بينهما ، ولم يكن يوجد فرق صوتي بينهما فقط ..

ولكننا - برغم انهيار نقده - لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الالفاظ معنيين متضادين وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه الى الفاعل ، واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فلاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذي وقع عليه الحدث . تلك هي الانواع التي اطلق عليها قطرب لفظ الاضداد ، وادخلها في كتابه . وقد ارتضاها اكثر المؤلفين كما رأينا - وزادوا عليها انواعا اخرى ، فتنبهما في كلامنا التالي ..

16 - الاضداد المجازية ، اي التي احد معنيها حقيقي ، والاخر مجازي . ويتمثل هذا النوع في صنفين من المجاز :

1) فالصنف الاول : الالفاظ التي تطلق على الاناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند ابي عمرو بن العلاء . قيل في اضداد الاصمعي (109) : « قال ابو عمرو : الارة : النار ، والارة : الحفرة التي فيها النار » . ووجد عند ابي زيد ، قيل في اضداد الاصمعي (110) « الظمينة : المرأة على البعير ، ويجوز ان تكون في بيتها . قال ابو زيد : الظمائن : الهودج ، وانما سميت النساء ظمائن لانهن يكن فيها » . وارتضى ابو عبيدة هذا الصنف ، قيل في اضداد الاصمعي (111) : « قال ابو عبيدة : الكاس : الاناء الذي يشرب فيه ، والكاس : ما فيه من الشراب » وسار على ذلك الاصمعي ، وروى في اضداده (112) :

(109) 64 . واورده ابن السكيت 338 وابن الانباري 208 والصفاني 373 .

(110) 68 . واورده ابن السكيت 342 وابن الانباري 100 وابن الدهان 15 والصفاني 566 .

(111) 67 . واورده ابن السكيت 341 وابن الدهان 18 والصفاني 639 وجمله ابن الانباري من اشباه الاضداد .

(112) 65 . واورده ابن السكيت 339 وابن الانباري 211 وابو الطيب 119 وابن الدهان 8 والصفاني 416 .

(113) 273 . واورده ابن الدهان 8 .

(114) 69 . واورده ابن السكيت 343 وابن الانباري 101 وابن الدهان 11 .

الى المعنى الثاني لما بينهما من تلازم فى الواقع والدهر .

(ب) لفظ امة ، الذى زاده ابن الانباري ، اذ قال (115) : « امة حرف من الاضداد يقال : امة للواحد الصالح الذى يؤتم به ، ويكون علما فى الخير ، كقوله عز وجل : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) . ويقال : امة لتجماعة ، كقوله عز وجل : (وجد عليه امة من الناس يستقون) . ويقال : امة ايضا للواحد المنفرد بالدين .. » .

وواضح ان هذا اللفظ من الاضداد فيه تصف . فالمعنى لم يتضاد فى اطلاق اللفظ على المفرد او الجماعة . بل اني اعتقد انه - حين يطلق على الفرد - يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف ابراهيم عليه السلام بأنه كان يعادل فى دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، او انه جمع ايمان الامة وورعها وتقواها فى شخصه ، او انه كان كل المؤمنين فى وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

واضاف ابن الانباري الى ما سبق انواعا اخرى ، لست على يقين اكملها من عنده ام ينقلها عن غيره ، اذ لا دليل يميل بالمرء الى احد هذين الرايين الا فيما أسنده الى غيره . وهالك هذه الانواع :

17 - الافعال المتعدية واللازمة بمعنى واحد . قال (116) : « زال حرف من الاضداد . يقال : قد زال المكروه من فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى ازال ... » . وخان حرف من الاضداد . يقال : خان النعيم فلانا ، وخان الدهر النعيم فلانا . فيكون النعيم فاعلا فى حال ، ومفعولا فى حال ، وخان غير متغير اللفظ .. وظل حرف من الاضداد . يقال : ظل فلان دم فلان اذا ابطله ، وظل دم فلان : اذا بطل ، والاختيار ظل دمه ... » . ولا شك ان ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع ، حين ذكر ان العرب تحذف احيانا حرف الجر للتخفيف عند كثرة الاستعمال . فالاستعمال الاصيل للفعل كان بالزوم ثم حذفت منه اداة التعدية للخفة ..

18 - الحروف والادوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله (117) : « قال بعض اهل العلم : ان حرف من الاضداد اعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون ، يقال : ان قام عبد الله ، يراد به : ما قام عبد الله . حكى الكسائي عن العرب : ان احد خيرا من احد الا بالعافية . فمعناه : ما احد . وحكى الكسائي ايضا عن العرب : ان قائما ، على معنى ان انا قائما ، فترك الهمز من انا ، وادغمت نون ان فى نون انا : فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترمينني بالطرف اي انت مذنب
وتقلبنني لكن اباك لا اقلبي

اراد : لكن انا اباك ، فترك الهمز وادغم . يقال ان قام عبد الله ، بمعنى : قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء فى تفسير قوله جل وعز (فذكر ان نفعت الذكرى) معناه : فذكر قد نفعت الذكرى .. ومن هذا الصنف ايضا علاجه لهل ، وما ، واو ، وقلده فيها الصغاني وابن الدهان ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الاضداد من ابتكاره انما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة « قال بعض اهل العلم » . ويبدو انه يريد بذلك الكسائي فى هذه المسألة . وحقيقة الامر فى هذه الحروف والادوات انها بقايا الفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الاطوار الاولى من اللغة ، وان معظمها يتألف من عناصر اشارية مثل النون . فهذه المعاني المنسوبة اليها ، وصلت اليها من مراحل مختلفة من التطور اللغوي ، ولا يستطيع الحكم بان هذه الانواع من الالفاظ من الاضداد (118) .

وقد مقب عبد الفتاح بذوي على هذا النوع بقوله : « ودعوى التضاد فى هذه الطائفة تهافت لان معنى اللفظ لا تضاد فيه لان الاوضاع مختلفة فما النافية ليست ما الموصولة حتى نعقد تضادا او غير تضاد بين المعنيين » .

19 - التصغير ، اضافته ابن الانباري فى قوله (119) : « من الاضداد ايضا التصغير ، يدخل معنى التحقير ، ومعنى التعظيم . فمن التعظيم قول

(115) 169 واورده ابن الدهان 6 ، والصغاني 381 .

(116) 175 - 177 . واوردها ابن الدهان 12 ، 10 .

(117) 116 .

(118) انظر كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر .

(119) 191 .

محالة بتغيير معناه بعض الشيء عند التأليف : ضيقا
واتساعا ، ليألف مع جيرانه ويتجه معها في اتجاه
واحد . ويجب أن تقوم دراسة الاضداد على الالفاظ
المفردة ، لا المؤلف في عبارات .

20 - ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات .
واعتقد ان الذي دفع ابن الانباري الى الخوض فيه
اتصاله بالقرءان . ونستطيع أن نصنفه الى ثلاث
فئات ، هي :

أ - الآيات القرآنية ، وهي اكثر الفئات ورودا
في الكتاب ، واكبرها حظا من تناول المؤلف ، الذي
يطيل في بعضها ، ويورد اقوال المفسرين المختلفة .
ومن اقصر الامثلة على ذلك قوله (121) : « ومما
يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين
قوله جل اسمه : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتنم ايمانه) فيقول بعض المفسرين : الرجل المؤمن
هو من آل فرعون ، أي من امته وحيه ومن يدانيه في
النسب .. ويقول آخرون : الرجل المؤمن ليس من
آل فرعون ، إنما يكتنم ايمانه من آل فرعون . وتقدير
الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكتنم ايمانه من آل
فرعون » .

ب - الشعر ، وهو ان كان اقل من الآيات عددا
الا ان حظه من التناول لا يقل عن حظ الآيات طولا .
ومثاله قوله (122) : « ومما يفسر من الشعر
تفسيرين متضادين قول قيس ابن الخطيم :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب
لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى
تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : اراد بقوله : غير موقف راكب ،
الا ان راكبا وقف ، يعني نفسه . وقال فيره : لم يرد
الشاعر هذا ، ولكنه ذهب الى ان «غيرا» نعت
للرسم ، تأويله : اتعرف رسما غير موقف راكب ،
أي ليس بموقف للراكب لاندراس الآثار منه وامحاء
معالنه فتمت بصربه الراكب من بعد ذكر منه ، فلم
يقف به .. » .

العرب : انا سر يسير هذا الامر ، أي انا اعلم الناس
به . ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة : انا جديلهما
المحكك وعديقهما المرجب ، أي انا اعلم الناس بها .
فالمراد من هذا التفسير التعميم لا التحقير .
والجذيل : تصغير الجدل ، وهو الجذع ، واصل
الشجرة . والمحكك : الذي يحكك به ، اراد انا
يشتقى برأيي كما تشتقي الابل اولات الجرب
باحتكائها بالجدع . والعديق : تصغير العلق ، وهو
الكباسة ، والشمرخ = العظيم . والمرجب : الذي
يعمد لعظمه . وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهة تصفر منها الانامل

نصفر الداهية معظمها لها لا محقرا لشانها .. » .

واختلف العلماء في التصغير ، قال الرضی
(120) : « قيل : يجيء التصغير للتعظيم ، فيكون
من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ انفاية في
العظم ، لان الشيء اذا جاوز حده جانس ضده ...
واستدل لجيء التصغير للاشارة الى معنى التعظيم
بقوله :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهة تصفر منها الانامل

ورد بان تصغيرها على حسب احتقار الناس
لها وتهاونهم بها ، اذ المراد بها الموت : أي بجيشهم ما
يحتقرونه مع انه عظيم في نفسه تصغر منه الانامل .
واستدل أيضا بقوله :

فويق جبل شاهق الراس لم تكن
تلبثه حتى تكل وتمعل

ورد بتجاوز كون المراد دقة الجبل وان كان
طويلا ، واذا كان كذا فهو اشد لصموده » .

نضيف الى ذلك ان تصغير اللفظ المفرد لا يفيد
الا الصغر وما احاط به من ظلال وايحاءات كالرحمة
والاشفاق والعطف والتدليل وما اليها . اما المعاني
الاخرى التي تسبغ على الالفاظ المصفرة فتأتيها من
تأليفها مع الفاظ أخرى في سياق واحد واللفظ لا

(120) شرح الشافية 1 : 191 .

(121) 292 . وانظر 167 - 8 ، 196 ، 223 ، 234 ، 237 ، 265 ، 270 ، 272 - 3 ، 297 ،

299 ، 333 ، 341 ، 353 - 57 .

(122) 183 . وانظر 197 ، 219 ، 238 .

ج - الاقوال . وهي تعادل الشعر كثرة ، ويتفاوت حفظها من طول تناول . واقصر امثلتها قوله (123) : « ومن الاضداد ايضاً : قولهم : اقسمت ان تذهب معنا ، يحتمل معنيين : احدهما اقسمت الا تذهب معنا ، والاخر ان تذهب معنا . وكذلك نشدتك انه ان تذهب معنا ، يحتمل المعنيين جميعاً ... » .

ووضع هذه العبارات في الاضداد غريب ، انكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوي . فلا يوجد لفظ معين يمكن ان ينطبق به معنيان متضادان . وانما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

21 - المقلوب من العبارات ، بان ينسب الحدث الى غير فاعله . وامثله نادرة عنده كقوله (124) : « ويقال تهيبت الطريق وتهيبني الطريق بمعنى ، وهذا من الاضداد .. قال ابو بكر : وهذا عندي مما يقلب لان اللبس يؤمن في مثله ، فيقال : تهيبني الطريق ، لانه معلوم ان الطريق لا تهيب احداً .. » .

وجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب الاضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المماثلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها احياناً « اشباه الاضداد » وحياناً « ما يجري مجرى الاضداد » ونجد تحت الاسم الاول الاصناف التالية :

1 - الالفاظ ذات المعاني الحقيقية والمجازية قال (125) : « سمع حرف من الحروف التي تشبه الاضداد يكون بمعنى وقع الكلام في اذنه او قلبه ، ويكون سمع بمعنى اجاب . من ذلك قولهم : سمع الله لمن حمده ، معناه اجاب الله من حمده . ومن هذا قوله عز وجل : (اجيب دعوة الداعي اذا دعان) قال بعض اهل العلم : معناه اسمع دعاء الداعي اذا دعان . وقالوا : يكون سمع بمعنى اجاب ، واجاب بمعنى سمع ، كقولك للرجل : دعوت من لا يجيب ، اي دعوت من لا يسمع ، وانشدنا ابو العباس :

دعوت الله حتى خفت ان لا

يكون الله يسمع ما اقول

اراد يجيب ما اقول . وقال جماعة من المفسرين :

معنى الآية اجيب دعوة الداع اذا دعان فيما الخيرة

للداعي فيه ، لانه يقصد بالدعاء قصد صلاح شأنه ، فاذا سئل ما لا صلاح له فيه فان صرفه عنه اجابة له في الحقيقة . . والحق ان الاجابة معنى مجازي لسمع ، لان السمع اول مرحلة من مراحل اجابة الطلب او الدعاء ، او هي نتيجة السمع عند الرضى . فلا اجابة بدون سماع . ولما كان الامر بهذا الارتباط صح توسيع معنى السمع والاجابة بحيث تشمل المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجاوز لا تضاد . ولا شبهة . ويبدو من عبارة ابن الانباري انه ينقل كلام بعض الناس قبله . ونفع في هذا التنصت لثغلي كس وطبخ الذي سبق الكلام عليهما . واعتبرهما ابن الانباري من اشباه الاضداد .

2 - الالوان . قال (126) : « ومما يتببه حروف الاضداد الاحمر ، يقال : احمر للاحمر . ويقال رجل احمر اذا كان ابيض . قال ابو عمرو بن العلاء : اكثر ما تقول العرب في الناس اسود واحمر .

قال : وهو اكثر من قولهم اسود وابيض ، وانشد ابن السكيت لاوز بن حجر :

واحمر جمدا عليه النور

وفى ضبنة ثعلب منكسر

وفى صدره مثل جيب الفنا

ة تشفق حيناً وحيناً تهر

قوله : في ضبنة : معناه وفي ابطه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . وقوله : تشفق حيناً : شقيق العظيمة ان تدخل الريح فيها فتصوت . وهر : معناه تقبب . . وكذا قال عن الاصفر والاخضر والاسود . ولكن هذه الالفاظ جميعاً لا تضاد ولا شبهة فيها ، وانما الالوان نفسها لا تكون خالصة ، فبعضها اصفر مائل الى السواد ، وبعضها ابيض يشوبه شيء من حمرة ، وبعضها اخضر يقلب عليه السواد ... وهكذا . ولم تضع العرب الالفاظ خاصة لجميع هذه الالوان الفرعية ، اكتفاء بالرئيسية منها ، فاصبح اللفظ الواحد يطلق على الدرجات المختلفة من اللون ، فظن انه من الاضداد . وادخل الصفاي وابن الدهان هذه الالوان كلها في اضدادها ، كما ادخل قطرب فيها الاصفر .

(123) 200 - 202 . وانظر 159 ، 160 ، 206 .

(124) 56 .

(125) 80 . واورده ابن الدهان 12 ، وعقب عليه بان فيه نظراً .

(126) 231 .

3 - عبارات الاستهزاء . قال (127) : « ومما يشبه الاضداد قولهم فى الاستهزاء : مرحبا بفلان ، اذا احبوا قربه ، ومرحبا به اذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل : لا مرحبا به . فالمعنى الاول اشهر واعرف من أن يحتاج فيه الى شاهد . والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذي اذا جاء الـ

خير أو غاب فغاب عن كل خير

هذا هجاء وذم ، معناه مرحبا بالذي اذا جاء غاب عن كل خير ، جاء الخير أو غاب . وتأويل مرحبا : لا مرحبا به

« ومما يشبه الاضداد ايضا قولهم للماقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ، ذق انك انت العزيز الكريم) معناه عند نفسك ، فاما عندنا فلست عزيزا ولا كريما . وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شبيب شعيب يقولهم : « انك لانت الحليم الرشيد » (ارادوا انت الحليم الرشيد عند نفسك) قال الشاعر :

فقلت لسيدنا يا حليم

انك لم تأس اسوا رفيقا

اراد يا حليم عند نفسك فانما عندي فانت سفيه » .

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . وامننى بذلك انه لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . وامننى بذلك انه لم يرد ان تصور انسانا جاهلا بقوله « يا عاقل » ، بل ارادنا ان تصور انسانا عاقلا ، ونستحضر هذه الصورة امامنا حتى نمثلها احساسا بها ، ثم ننظر الى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق

الصورة عليه . ومن المفارقة فى الصوريين ياتى الاستهزاء والضحك . ولو كان يريد منا ان نتصور انسانا جاهلا بقوله هذا ، ما جعلنا نضحك ، لان الصوريين ستنطبقان : ولا تبرز المفارقة بينهما ..

اما الصنف الثاني ، او ما يجري مجرى الاضداد عنده ، فهو الاعلام التى يختلف فى هروبتها او اعمجيتها . قال (128) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله عز وجل : « طه » . قال بعض المفسرين : معناه ، يا رجل ، بالسريانية . وقال غيره : معناه : يا رجل ، بلغة عك ، وزعم ان عكا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وانشد :

ان السفاه كطه من خليقتكم

لا قدس الله اخلاق الملايين

وقال الاخفش : طه علامة لانقطاع السورة من السورة التى قبلها . وقال الفراء : طه بمنزلة السم ، ابتدا الله جل وعز بها مكتفيا بها من جميع حروف المعجم ، ليدل العرب على انه انزل القرآن على نبيه باللغة التى يعلمونها والالفاظ التى يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة . »

وقال (129) : « ومنها ايضا يعقوب يكون عربيا لان العرب تسمى ذكر الحجل يعقوبا ويجمعونه يعاقيب ، قال سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التماجيب

اودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه

لو كان يدركه ركض اليماقيب

واجرى نفس القول على اسحاق ، وعلى لفظ من غير الاعلام ، هو مشكاة ، التى قيل انها حشية ، وقيل عربية . ولا شك ان الاساس الذى اقام عليه ابن الانباري القول بتضاد هذه الاعلام او جريانها مجرى الاضداد منهار لا قائمة له ، ولا يحتاج الى تفنيد ..

(127) 156 ، 157 . واوردهما ابن الدهان 11 ، 16 .

(128) 314 .

(129) 337 .

تحليل ونقد

الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني
أرباط

وكان أبو الطيب اللغوي هو الذي أزال كل إبهام عن اللفظ فقال : وضد الشيء ما نأفاه ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له .

وذكر في الفصل الثاني أن موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الألفاظ اختلف ، فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، وعللها أحيانا ، وكانت هذه الجماعة أسبق في الظهور من معارضتها إذ كان منها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وتلاميذهم ، واستمر المنتسبون إليها في البقاء إلى يومنا هذا .

أما الجماعة الأخرى فاعتزفت على الأضداد وانكرتها ، ونعرف من انتمى إليها من القدماء غير ابن درستويه ولا تصح نسبة ذلك لشعوب ، وكثير الباعها في العصر الحديث ، فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة (ضدان) في دائرة المعارف الإسلامية (مادة أضداد) وكان منهم أغلب المستشرقين الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الأضداد .

وقد دافع القائلون بها عن وجودها وردوا على ما قاله المعارضون ولعل أهم من قام بهذا العمل أحمد ابن فارس ، وابن سيده ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، فأقام ابن سيده دفاعه على الجدل العقلي ، واعتمد ابن فارس في أحد رأيه على طبيعة اللفظة

كتاب (الأضداد في اللغة) تأليف حسين محمد ، من الجمهورية العربية المتحدة تناول فيه بالدرس العميق الهادي الرزين المستوعب ظاهرة الأضداد في اللغة العربية من جوانبها المختلفة ، وأولى هناية خاصة لدراسة مواقف المؤلفين من الأضداد قديما وحديثا خصوصا المشتبين والنافين لها . ويقع في 129 ص ، وقد جمعه في مقدمة وباين وخاتمة ، فاستعرض في المقدمة نشأة الدراسات اللغوية في اللغة العربية ، مؤكدا أن اللغويين تنبهوا للأضداد في القرن الثاني فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون إليها ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطبيعية أول تدوين للأضداد في اللغة العربية ، وكانت هذه الثمرة الأولى باكورة عدة ثمار جمعت الأضداد ودرستها ، وحول هذا الثمار تدور الصفحات الآتية : متاملين ، متدقيقين ، ومقدرين .

وتناول الباب الأول الاختلاف في مفهوم الأضداد وفيه خمسة فصول : تعريف الأضداد ، والاختلاف في وجود الأضداد ، وأصل الأضداد ، وشروط الأضداد ، وأنواع الأضداد .

فذكر في فصل تعريف الأضداد أن قطريا ذكر أن من اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا في شيء وضده ، وتابعه ابن الأنباري ، وأبو حاتم السجستاني .

العربية . وفي الرأي الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد ، وكان ابن فارس اكثر توفيقا في دفاعه عن الاضداد واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذي الفه في الدفاع عن الاضداد .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من آراء المنكرين ورد عليه بل لعله اهم رأي لهم .

ولما كانت كتب المعارضين من القدماء، لم تصل اليها كنا مضطرين للاعتماد على حكايات غيرهم عنهم .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التي اعتمد عليها المستشرقون في انكار الاضداد ...

وفي اصل الاضداد ، ذكر ان اللغويين منذ تنبهوا الى الاضداد واختلفوا فيها وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها وكيف وجدت في اللغة ، واشترك في هذه المحاولة من انفتحت اراؤهم ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها والقدماء والمحدثون والعرب والمستشرقون.

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية في كثير من الاحيان ، فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة عندما كان العقل البشري في سذاجته فلم يكن يفتن لما يحتويه من تناقض ، وتوسط بعضهم في الايفال فام يرجع الى التاريخ البشري واقتصر على التاريخ العربي القديم . وان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ابعاءاته فقد ادى ذلك الى التضاد في اللغة .

واقصده بعضهم الآخر ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج .

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير في اللغة فذهب الى ان بعض الممانسي المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتدامى في الدهن فتؤدي الى التضاد .

اما اللغويون العرب فقصروا جهدهم على الالفاظ العربية ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها ، ويؤدي بنا التأمل الدقيق في العمل التي اوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون حاجة الى الفلسفة او للمشور على نظرية عامة او الابداع في مجاهر التفكير البشري الى ان اهم ما قالوه من علل واخطره هو المعنى الاصلي للالفاظ فنحن في حاجة الى اعادة النظر في هذه الالفاظ وفيما ذكره لها اللغويون من معان ونسب حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذي لا يابه بما حولها من ملايسات ، ولا بما يرتبط من اشواط، سائر في طرق معتدلة آثا ومعوكة آونة ، فان وصلنا الى ذلك المعنى فمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطأ احيانا اخرى.

واما بقية العمل فهي ارباد لبعض الطرق التي سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد ، مثل اللغات، والمجاز والحذف للتخفيف وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق في الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة ، اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات ينكر وجود الاضداد في اللغة العربية الفصحى ، فمن رفضوا اصدادا ورفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضمت اصلا للمعنيين المتضادين ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او الجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين في كل شيء بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدها لفظين متمايزين غير ان معنييهما متضادان ، كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها في تيار العربية الفصحى الى ما اشته الظاهرة السابقة فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ (الذي نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد والطرق التي سلكتها الى التيار الحالي .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون هي قلة الاضداد في اللغة العربية الفصحى ...

وفى شروط الاضداد ذكر انه اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا عنه عندما استقصى النظر فى اللغة ، او احتوى قوله على ما يومية الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضه .

لقد كان فى وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ تلالل فى اللغة فحاولوا جمعها وابرازها وتحت اثر من هذا الاحساس ومن هذه الغاية جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة مدوها اضدادا وهي واحدة الصلة بها وكان اكثر المؤلفين وقوما تحت هذا الاثر قطرب اول من كتب عن الاضداد ، فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله فى كتابه ، كيلا يتهم بأنه فاته من الاضداد شيء .

ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخلوا بتخصيص من هذا الاثر ، بعد ان راوا ما راوا امامهم من قبل كتب الاضداد ، فاخلوا بميدون النظر فيها ، وفى اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا .

وعند تتبع هذا النقد استخلص المؤلف كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر فى اللفظ حتى يدخلوه فى الاضداد ، ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اعمالها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها فى كتبهم .

وبالرغم من ذلك تتبع المؤلف هذه الشروط لاهميتها فى توضيح صورة الاضداد فى اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق فى كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد ابن القاسم الانباري ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية فى اللفظ ليمده من الاضداد :

1 - ان تكون صيغة اللفظ فى المعنيين المتضادين واحدة ، اى ان يكون المعنيان المتضادان لفعليين او اسميين او صفتين ، وكل منهما على صيغة واحدة ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ من ذلك .

2 - كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد .

3 - واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون المعنيان نصيحين لا من ابتكار العامة .

4 - واشترط ان يكون المعنيان معرولين استعمالهما العرب فى حوارهم .. ويبدو ان ابا الطيب يتفق مع ابن الانباري فى هذا الراي ايضا ، وان لم يمان ذلك صراحة .

5 - واشترط ابو الطيب ان لا يكون المعنى الثانى مجازيا .

6 - واشترط فى المعنى ان لا يكون مقلوبا او مرالا من جهته .

7 - وانفرد ابو الطيب- اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد فى معانيها ، وتتماثل فى صورتها ولكن هذه الصورة المتماثلة فى ظاهرها مختلفة فى حقيقتها اذ تختلف العلل الصرفية التى وصلت بها الى صورتها .

8 - بل ذهب الى ابعاد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرد والمصدر منه من الافعال . ثم استخلص من هذا غموض صورة الاضداد فى ذهن قطرب ، او عدم وجود حدود لها ، واخذها فى الموضوع والجلاء ، والتحدد على مر الزمان فكانت اللمحطات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني ، ثم كان كمال التحدد والبروز عند ابن الانباري وابى الطيب .

ويعتبر الفصل الخامس فى (انواع الاضداد) اطول فصول الباب الاول ، اذ يستغرق احدى وثلاثين صفحة . وبالرغم من احساس العلماء بان الاضداد فئات عدة ، فان المؤلف لم يجد بين القدماء من حاول ان يصنفها قاصرا او شاملا ، وبالرغم من ان المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ليسهل عليهم رفضها او تعليلها فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذى حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي ، ويبدو انه اراد ان يعرض ما فات اللغويين فاعطانا تقسيمين ، اما الاول لفصير ومحكم ، ويقوم على اساس نحوي ، فقد جعل الاضداد اربعة انواع .

وكان التقسيم الثانى واسما ينظر الى هذه اسس بحيث تفيىب من النظر الذى يريد ان يصل اليها فلاضداد فى هذا التقسيم تقع فى عشر طوائف .

وبعد ان ذكرها المؤلف ذكر انه يعنى كثيرا بالتقسيمات النظرية وان كان لن يهملها كل الاهمال

وأنه سيجمل همه كله في تتبع الأنواع المختلفة التي أدخلها مؤلفو الأضداد فعلا في كتبهم إذ اختلف النظر والتطبيق عندهم ، وأنه سيبدأ بأول مؤلف : قطرب إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده إلى تقضيه ورفض كثير منها ، وأنه سيتبع كل صنف منها بما وجه إليه من نقد .

قد وصلت الأصناف عنده إلى ستة عشر صنفاً وضاف ابن الأنباري إليها خمسة أنواع أخرى فصارت واحداً وعشرين نوعاً ، قبل مؤلفنا منها نوعاً واحداً هو ما سماه بالأضداد الحقيقية وبين في العشرين الباقية كلها أنها ليست من الأضداد في شيء .

ووجد ابن الأنباري مجموعة من الألفاظ تقارب الأضداد ولكنها لا تماثلها كل المائلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها أحياناً (أشباه الأضداد) .

وتناول الباب الثاني جمع الأضداد وتدوينها وفيه أربعة فصول : أسباب هذا الجمع وأهدافه . وبواكير جمع الأضداد ، وكتب في الأضداد وفصول في الأضداد .

وقد لخص الفصل الأول في آخره فذكر أن الدافع الذي حمل اللغويين على تدوين الأضداد تغير من جيل إلى آخر ، فقد بدأ هواية في القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على إزالة ما قد يعتري بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ، ثم تحول إلى رغبة في الدفاع عن العرب وفتحهم أمام الدماوي الشعبية في أوائل القرن الرابع وحب المعرفة المجردة في ذلك القرن أيضاً ، وانتهى إلى الرغبة في منح الباحثين من المهنات اللغوية ذخيرة لغوية جديدة في العصور المتأخرة .

وتغير الهدف الذي سعى إليه كل من هؤلاء المؤلفين : فبينما كان أولهم قطرب يسعى إلى استقصاء الأضداد من نهر اللغة مباشرة ، استكثر هذا أبو حاتم ووجد ألا سبيل إليه واقتصر على التطلع إلى جمع ما أمكن ، ثم سعى ابن الأنباري إلى الجميع ولكن من الكتب المؤلفة قبله ، وأضاف بعض الشواهد لعمل ، وسعى أبو الطيب إلى ذلك مع التمهيد . وقد ، ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا .

وبواكير جمع الأضداد ، ذكر أن الخليل كان بعد الأضداد من عجائب الكلام ووسع العربية

قد أشار إلى قدر منها في (المعين) وروى واحد من الأضداد عن يوسف بن حبيب ، ورويت ثلاثة عن الكسائي وما نسب إلى الفراء لا يتمدى الضد أو الاثنين .

وتكثر الأضداد بعض الشيء عند أبي عمرو الشيباني ثم تكثر وتنوع عند أبي زيد الأنصاري ، وبقي بعض الناس يوردون أضداداً بعد عهد التأليف فيها ، دون أن يشاركوا هم في تدوينها في كتب خاصة ، مثل ابن الأعرابي .

ويعتبر الفصل الثالث من الباب الثاني الخاص بكتب الأضداد أطول فصول الكتاب إذ أنه يقع في 52 صفحة .

فقد عثر في أثناء بحثه عن الأضداد على أسماء ثلاثة وعشرين كتاباً فيها ، ثم أورد أسماءها مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها ، مع بيان المفقود والوجود منها والمخطوط والطبوع .

ثم تصدى للكلام على كل واحد منها بخصوصه ، واصفاً دارساً مقارناً ناقداً . في أثناء وثبت وانصاف .

وفي الفصل الرابع والآخر عن فصول في الأضداد ، درس ما ورد في الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والمخصص لابن سيده ، والمزهر للسيوطي .

ولخص في (الخاتمة) النتائج التي توصل إليها في الكتاب .

الأضداد ظاهرة غريبة :

فالذهن ينكرها للوهلة الأولى ، ويأبى أن يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده ، وعلى هذا الأساس انكرها من أنكرها ، ولكن هذا الأساس لم يمنع أن يؤمن بها جماعات من القدماء وقلة من الحديثين ، وكانت الفئة الأخيرة أو أفراد منها هي التي حاولت أن تملل هذه الظاهرة الغريبة ولعل ظاهرة لغوية أخرى لم تحط بمثل سوء التفاهم الذي أحيطت به ظاهرة الأضداد ، فمنذ عهد ميكر اختلف اللغويون فيها ، وما زالوا مختلفين ، فإذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاطميين وعبادتهم تتناثر وتتصادم ، والمؤدى الأخير لما يقولون واحداً ، فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد . وفي

مجالين لا مجال واحد ولو تحدثوا عن تصور واحد ، وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة وبطل كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للأضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز أية لهجة قبلية على حدتها ، ولما لم يمتزوا على الأضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الأضداد برمتها وأبوا أن يسموا بالأضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ في وضعها الأول وأعلنوا أنهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه إلا على معنيين متضادين ، أما إذا كان الاستعمال أو التبدلات اللغوية أو التغيرات العرفية قد أدت بعد ذلك إلى أن تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة فتبدو الآن في صورة واحدة ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الأضداد عندهم .. وتستطيع أن تقول : أن كل لفظ توفر له سبب ما فادى به إلى الدلالة على معنيين متضادين يأبى المنكرون أن يسموه ضدا ، مهما كان السبب : لهجات قبلية أو حذفا ، أو تخفيفا ، أو إبدالا ، أو أملا ، أو مجازا ، أو تفاؤلا وتطييرا ، أو ما شاكل ذلك من أمور ، وإنما الضد عندهم يجب ألا يكون هناك سبب في دلالة هذه ، بل وضع أصلا لها .

أما المؤيدون للأضداد فوسموا نظريتهم ومجالهم : نظروا إلى اللغة العربية في شمولها وعمومها فنفت نظرهم وجود هذه الفئة من الأضداد ، ثم لم يعنوا بالبحث عن أسبابها ، أو - أن شئنا الدقة - لم تهتمهم الأسباب فقد عرفوا أسبابا للظاهرة ، وأعلن أكثرهم أن كثيرا من الأضداد دالية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ ، ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير أنهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالأضداد ، ولم يرتضها الآخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الأول ، بل أهملوا هذا الوضع حامدين ألا أهمية له عندهم . وامتنعوا النظر في الالفاظ العربية التي يسمونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون ، فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ التي تقطعها ومنحوها اسم الأضداد ، دون أن يأبهوا للأسباب التي أدت إلى ذلك ودون أن ينكروا هذه الأسباب ، بل لقد شارك

بعضهم قطرب في الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله لأن وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الإجابة عن الأسئلة التالية تزيل كل لبس أمام المتنازعين :

1 - هل توجد في العربية الفصحى التي نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ومعنيين متضادين ؟ اعتقد أن أحدا لا يستطيع أن ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد أن أحدا لا ينكر هذا أيضا ، وأضيف إلى ذلك أن هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد في بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفي بعض اللغات الأوروبية كما كشف الأستاذ عبد الفتاح بدوي ، وأذن فوجود الأضداد ليس منقصة للغة العربية كما ظن الشمويون قديما ، وكما يفهم من أقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع - في اعتقادي - التي حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة في رفض الأضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد أن كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها أن يكون لها اسم خاص ، أما المؤيدون فقد سموها (الأضداد) فإذا كان المنكرون يجدون لها تسمية أكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 - هل الأضداد بالشيوخ الذي صورته القدماء واضح من الدراسة الماضية أن تصور الأضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل إلى رجل ، فذاك حينما واتسع آخر ، فكان تصور الأضداد ضيق المجال في بادئ الأمر منذ المتحدثين فيها دون أن يحاولوا لها جمعا أو تدوينا ، ولكن هذا التصور اتسع اتساعا فريبا عند أول مؤلف في الأضداد ، قطرب ، فشمّل شتاتا فريبا من الالفاظ ، مما يدل على أن قطرب لم يكن يحسن تصور الأضداد ، ولا أحسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها ، واضطر أكثر من جاء بعد قطرب إلى تضيق المجال الذي وسعه ونفي كثير من الفئات والالفاظ التي أدخلها في كتابه ، فأخذ تصور الأضداد في الوضوح وحدودها في البروز ، ثم اتسع المجال مرة أخرى عند ابن الأنباري خاصة لما أدخل من أنواع جديدة من الأضداد ، وأذن فالمجال

كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند
المحدثين وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 - هل تعد كل الانواع التى اتفق عليها
القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل ،
وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق
هذه التسمية ، وضرب لذلك امثلة :

ا - ما اختلف فى تفسيره من الايات والاشعار
والاقوال .

ب - الفاظ وعبارات التفاضل والتطير
والاستهزاء

ج - ما وضع فى الالفاظ تمسفا او تذكرا ،
مثل الالفاظ التى تختلف معانيها دون ان تتضاد ،
والالفاظ التى تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من
ادوات كرفب عن والى

6 - ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم
الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى
الذى يدل عليه اللفظ ، وهنا احتريز فاقول المعنى
الذى يدل عليه اللفظ ، واعني بهذا الاحتراز امثال

هذه الالفاظ التى لم يحسن بعض اللغويين التنبيه الى
معناها الحق ونسبوا اليها معاني بدت متفشاة ،
فالصريم الوقت المنقطع اعني الوقت المنقطع من وقت
آخر ، كالليل يقطع من النهار والنهار يقطع من الليل،
وليس الصريم الليل خاصة ولا النهار خاصة

وامثال ذلك كثيرة ، تفتن اليها بعض القدماء
انفسهم ...

واذن فما وجدنا من الالفاظ معانيه تؤول الى
معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد،
وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى
خارجيا او ذهنيا يجب ان نخرجه من الاضداد ، وما
دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى
خارجيا او ذهنيا يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا
صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يكن
الجمع بينهما ، تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد،
وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

ويتجلى من هذا العرض القيمة العلمية لهذا
الكتاب وما يدل فيه مؤلفه من الوقت والجهد وما
تحلى به من الصبر والثبوت والثبات ، وما تحراه من
دقة التعبير والتجرد .

النظرة اللغوية ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين
بيروت

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر ... وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبامكاننا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية او بالحرى الى اللغة العربية القديمة . ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح ، لا ضد غزوات اللغات الغريبة المسلحة بقدرة علمية ، على الاتصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامة » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزور الفرق والتجزئة (المستشرق جاك بيرك) . - والتطور اللغوي ونشوء العربية مغامرتان في قلب الزمان ، وشوق الإنسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع مالد الى شواطئ الحاضر ، محمل بلاليه الاماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اماليه ... ثم اكتشاف غني سعيد يعود بالبشري المقامر . من هنالك كانت نشأة اللغة العربية ، وبهذا السبيل النشوي تسير فلا تتوقف بعد اليوم . فاللغة بالاصل وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين في ايهما نظرت تطالعك البهجة . فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج انساننا العربي في اعتم المقلقات واطرها ، ان في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

ومندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا . وقد عاش هذا القلق المصري ، مغامر ، بخطى ، فكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضاءات معاصرة ، تتأثر في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صموبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جمة . وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين ، في ايهما نظرت تطالعك البهجة .

من هنا كانت نشأة العربية ، وبمجرها تسير ، فلا تتوقف بعد اليوم .

العربية واللغات الاخرى :

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل وانقرض فناها ، لهم روحها التي بها تحيا ، واذا قبحت العيون وشاحت الوجوه حالت الرايا وتمكر صفاؤها وانسد استمدادها ، فالمرور المطبوعة عليها وجهها الذي تبدو .

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته . لكن المنازل تفنى بسكانها ، والمرايا تصفون وتجمل بالعيون الناضرة اليها والوجوه المصورة عليها .

أدوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال أقرب الى الغموض منها الى التبيان . ومحاولة الكشف عليها تبسط رأيا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات اهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ أم وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية في هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت في ادوار ثلاثة ، مرتقية منها ام غير مرتقية .

1 - دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحدا غير مركب مثل (ba) وفي هذا الدور ولد الجدول الهجائي (ا ، ب ، ت ، ث ، ...) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة بعينها ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الرثيرية و (وا) يدل على الصوت المخاف والمتكرر بحركة الفكين .

2 - دور المقطعين : اي دور الجمع بين مقطعين واحدتين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة في مختلف اصواتها ، وفي آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (هوا) بمعنى حيوان يصوت او يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلات في العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدتين فقط .

وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (هوى) بمعنى صوت الحيوان .

3 - دور المقاطع : اي دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور بقصد الانسان تلبية لحاجته الماسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت في الثلاثي .

اللغات موطن الشعوب ومرايا اشواقهم .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملابساتها في حياة العربي ، وعلى تحديداتها وادراكها يتوقف تصحيح الاسابغ التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تأثيرا شديدا وطبعها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التأثير وهذا الطابع .

1 - طفيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة في كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالفربة في محيطه العربي وبين ذوي قرباه .

2 - الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تتحقق للعربي ، ما لم يلم الاما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

وانما في حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا اعدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ، فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الفيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة في العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم باكثر من لغة ليتسنى له ان يسير في تيسار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 - الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة في الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والعقلي من كل الوجوه .

وليس في جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب مرضية ، غير موضوعية ، خامرت اجيالنا ، فلم تلم بلفتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها الا ان في نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان في قانون نحوها ، وصرفها ، او املاءاتها او اشتقاقها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الفوضى .

وإذا كان الإنسان الفطري لم يتوصل الى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فانما توصل اليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

وإذا كان الجدول لا يضمن الدراسات نكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فانه يمكننا الاطمئنان الى انفصال اللغة عنه ثنائية ثنائية .

كما يمكن الاسترواح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفا .



ان الانسان القديم جمع بين مقطعين واحديين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الانسان يسمى وراء مقاصده في هذا الدور ، واخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي اكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الانسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاشتقاق .

واننا نورد هنا مقالين يوضحان ان الثاني من وضع هذا الدور ، هما عبي ، والمعلات .

المثال الاول : عبي ، تحلل الى حروفها ع : وتدل على الحيوان الزليري ، ب وتدل على البيت .

ا - ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليلة من باحثي الاشتقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع ان لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلا : اخي اصلها وخي :

ب - الحذف والتضعيف : وهذه ايضا ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمة الاهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الانسان حاكي الطبيعة بمختلف اصواتها ، وتصد في آخرها الى التاليف من منطقته بالمعنى الذي اوضحناه ، للتاليف والجمع بين مقطعين احاديين وتركه ثروة هي اكثر المقاطع الثنائية .

وختام تمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بادوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وانها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حبيت لغات واميت لغات ، وهناك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الاخيرة وحدها الفت العهد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق الى متصرفة وغير متصرفة .

دور المقطع البسيط :

ا - الانسان الفطري : ان لبحث الانسان الفطري ، علما قائما بذاته هو علم الانسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الانسان الفطري في موضوعي هو البحث عن اصواته السليقية ، التي استقرت في هابتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الاصوات لهجة ما لم تستقر .

اما اذا اخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها فرض التطور ، واليك بعض الامثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل ، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحلل الى حروفها ، ش : معناه سن وهو ينظر الى مطلق النبات ، ج ومعناه جبل ، وهو ينظر الى مطلق الارتفاع ، ر : ومعناه رأس .

اما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له رأس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر الى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحلل الى حروفها ، ج : ومعناه ينظر الى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكأنه للسحاب او للارض وهو تصور صحيح عن الجبل .

ومن هنا لا نطمئن الى القول ، بان لغات العالم تفرمت من مصدر واحد ، وانما هي وليدة اسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطباع والظروف .

ورأينا كذلك حالة لا بد منها فى نشوء اللغات ،
واليه يرجع الثنائى بما فى ذلك المملات ، رأسا على
وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .



لقد كان يقصد الانسان تلبية لحاجته ، اذ كان
يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع
الثنائية لتأليف دلالات مركبة . ان-العربية اتخذت
وحدها فى هذا الدور واستقرت فى الثلاثى .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهدب الذى تم
فيه للانسان كثير من الرقى ، واننا نستعرض ادوار
النشوء فى بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير
أخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجآت
المحضنة .

ولقد كان الانسان بحاجة فى هذا الدور الى
الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقى والحضارة
والتطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح المنطق .

ولقد قسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على
اعتبار الثلاثى ، ولم تتغير فى اساسها ، وانما اختلفت
فى نسب جملت بينها تفاوتا ارتقائيا فقط ...

— وفى بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر فى
التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية
يحتاج الى مجهود اكبر ، وعرض اوسع .

1 — يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته .

ب — تكثير اللغة وخوض الزيادة ...

ج — النضج اللغوي عند العرب كما يظهر فى
قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتاجها .

د — المعاني التركيبية ، وطريقة الغربى فى
وضع الرباعي من الثلاثى ...

هـ — المنطق اللغوي ... والتعبير عن الحاجة .

لقد بدل الانسان ما فى اسمه فى سبيل ان
يخضع ما حوله من أجل معاشه ، وأعمل الحيلة لتكوين
منطقه بين مطالب الميش الجديدة فصارت له لغة على
مقياس من تفكيره وحوائجه ...

ومن المعقول بأن المنطق اللغوي قد امتد الى
آخر العصر البرونزي الذى تم فيه للانسان وضع
الحجر الاساسى فى بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان فى المنطق اللغوي على
غير تناسب ولا نظام ، اجتهد فى اصطناع كلماتها لابرار
ما فى نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة
ويجاور المسكن .

وتتألف من :

1 — المفردات ذات المقطع الواحد .. أصبحت
فيما بعد الجدول الهجائي .

ب — المفردات ذات المقطعين ، وهي المملات
فى دور النضج اللغوي .

ج — وأخيرا ذات المقاطع ... وهي فى النهاية
ذات وحدة فى العربية منها تصدر كلمات العربية واليها
تنسب .



ولقد اخترعت الكتابة فى هذا العهد ، ما يثبت
لنا التقدم الاجتماعى ، وعلى العقيلة اللغوية الراقية ،
ويشير الى سمو هذا القسم من الوجهة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية ابدا بمعنى ان الانسان
لم يعد يتكلم فى تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على
المصادفات الطبيعية والملابس الظرفية بل أصبح
يلجأ الى التأليف والتركيب عند الحاجة وحسب
المقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 — لم يهتد اللغويون الى ترتيب جدول الهجاء
على وجهه .

2 — وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة
ومكانها ، فكان يزيد على الثنائى هكذا من غير تقرير
لموضع الزيادة .

وهناك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكتثار من
اللغة ويرجع هذا الى فرقتين أساسيتين هما: التركيب
والقصص .

1 — فالثلاثى فى المنطق اللغوي كان مبادرة من
تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا فى
مفهومه وان تعين بحكم دلالاته وموضوعه والثلاثى فى

الاكثار اللغوي كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الالية . :

2 - ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .



بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بأنه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه أولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا اصول في الوضع ، اعتبرها اللغويون (الفيلولوجيون) اسما وارفع ما عرفت امة من الامم ، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لعرب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا ان نتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فرومها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضلة ، والاهام العربية التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي عن معقوله اللغوي الراقي بقاعدة على مواد اللغة .

1 - تصحيح المعاجم

ب - الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج - ان نأخذ الوضع الجديد على مقتضاة لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، ولر العربي لفته كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه العمومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحيوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغة .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها الى المد غير المنجز .

ولو بقي العربي في جزيرته العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهار والتطور وتنظيم تلك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بداهي الخروج من جزيرته ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لفته المعاني التركيبية ما لم تؤديه له في النضج اللغوي ، ولقد لاحظ ان معاني هذه اللغة لا تبنى سوى على الثلاثي ، كما لاحظ ايضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا انبثقت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في اول الثلاثي ولم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنهدت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 - زيادة البناء : وتتكون هذه الزيادة من الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 - زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الاخر .

3 - زيادة التصريف : من قبل كنفعل واستفعل ، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 - اما زيادة الاسناد : كضربت ليست من اقسام الزيادة على معنى التأليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة او ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تضاعف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة . لاستحصال الرباعي والخماسي .

التطور في اللهجة

لهجة منزلة كبرى وذات أهمية من اللغة ، ولا تقل شأنًا من الألفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا أن نقول أن تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الأجناس ويتكلمها خلق كثير فعلى أذن أن نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة أو لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

1 - التطور الصوتي :

أن الباحثين والمدققين من اللهجات أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لأنه لا يصح من كل وجوهه ، وبالتالي لأن ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل أنها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الأمثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي :

يعقيد : وهو العسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلعة مرة لها لبن لزج .

النفويون لا يترددون فيما ذهب إليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية ، مع اعتبار أن الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسمه .

ولكن القول بأن العربي مر بهذه الكلمات في عهد من المهود اللغوية السابقة كإعمال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا مجيبة أن يكون العربي قد وصف بهذه الأفعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة على مسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الأثير الذي ينظر إلى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص في :

1 - بقاء اللهجة المتدرة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد في الجاهلية على لسان الشاعر الأسود منترة كلمة ينباع في قوله :

ينباع من ذفرى غضوب جصرة
زيافة مثل الفنيق المكدم

وأن هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء أن يشك بها ومستوجبا الأخذ بها ، ولا بأس من إيراد أمثلة تؤكدتها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الإسلامية معتمدة تحقيقات : أن القرطاس هو ورق البردي وانتهى إلى أنها دخيلة .

ولو عدنا إلى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بأن القرطاس يرجع إلى قرط ، والقرط هو ورق الكراث ، ولما كان الورق من البردي على نسق ، أبسط ، أضافوا إليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على أهم مميزات الورق النباتي المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجعوما إلى السين يدل على السمة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

- وعنقاش : ومعناه المتجول في القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع إلى الثلاثي .

عنق : ومعناه شدة السير ، والشين يدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير على غير نظام ، وهو المقصود من التجول في القرى .

- وختلم : ويرجع إلى ختل في الأصل وهي موضوعة لأخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فأخذ العربي من الأولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه فوائد أهمها :

1 - وضع حد للتمريب .

2 - وضع قاعدة صحيحة لأبحاث اللغة .

3 - إفادة غير محدودة في الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 - تصحيح المعاجم من الإقديمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما إليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث - أثير - ومثل شعثب من شق - حطب -

وقد يظن بأن هذا الأخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من إقرار الموازين بدلالات قارة ، وإقرار الإقفال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية إلى المستوى الذي كانت ستصل إليه لو بقيت في محيطها بدون براح .

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة أو الواو ،
ويدعو اليه احتفاظ عمرو بالواو في املايته. ومن
بديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جدا وان
كان طورها بطيئا ، وهكذا نرى بان عمرو ، كلمة زيدت
عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بانها
للتفريق بين عمرو وعمر فأمر هو اقرب الى التخریف
منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

ا - النصوص الحميرية : مثل أخت امهو اى
أخت امه .

ب - ما فى لسان بعض القبائل من تحريك
ضمائر الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف
فى الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج - احتفظت العربية بالوقف بالروم فى بعض
المواقف ، والروم مختلطة تميل الى الضم .

د - لقد زادت العرب النون فى فصل فعلو
وأصبحت فعلون ، لتمكين المنطق والتخلص من
الصوتية .

هـ - بناء فعلين ، يرجع بأمره الى بناء فعل
فعلون فهذا من أفعال الإبداع وهو قانون شائع فى اللغة

الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن فى هذا القسم هو انه من المؤكد انها
محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقاء الساكنين
ومعنى هذا ان اسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل
اللغة تنهيا للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل ، وعليه
فقد بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع
الكلمة اى لم تعد تنطق كذلك بأطراد ، ومن ثم كان
وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد
بقيت الحركة تنطق حرفا فى كثير من مواضع الكلمة لم
تعد تنطق كذلك بأطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

وفى امتدادنا وبحسنا ان اللغة دارت دورتها وكانت
طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلصت فيه من حركة الاخر ،
ولكنها تخبطت فى تجارب كثيرة حتى خرجت العربية
نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

- ولقد حاول الأستاذ ابراهيم مصطفى صاحب
كتاب (احياء النحو) دوس هذه الظاهرة على وجه
تعليلى نشوئى ولو دوس العربية للنهج التطوري الذي
ناخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية وغير رايه فى
اشياء كثيرة .

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين فى
اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون فى المعاجم القديمة الى
بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 - ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري
وابن منظور فى لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم ،
كلمة نعم بانها نصت ينعم كما كذلك وردت فى نعام .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال
مضارعة الثرية بقيت فى اللغة على سبيل التحفة الثرية .

ورى بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي
وتاج العروس بان العربية مرت بمهدين :

ا - العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية
على الحروف ، ومحافظة على اسلوب القرآن الكريم
بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المعنوي
- مثل شيمال وشمال - .

ب - العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام
العربية على الحركات وبثحررها ، ولكن تحررا موضعيا
من الصوتية وبتركها قوانين تعد اللغة للتحرر على
الاطلاق .

وتقدر ان نقول بان فى هذا العهد بلغت اللغة
الشوط النهائي من ترقى اللهجة .

ب - صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصل الثانى
تطور اللغة العربية بأمر هامة جدا وهي :

- على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا
مما يدلنا انه كان هنالك كلمات فى اللغات العربية
ولدت بمهود صوتية كما فى المثل المتقدم سابقا ،
شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بانها وردت كذلك
بمهود كانت أكثر صوتية ، حيث كانت مركبة من حروف
ذات اصول للقلولات بيمينها .

- يفرض على المتكلم ان يبدأ كلامه بحركة ساكنة ،
وان ينهى حديثه بمتحرك ، نظنه الواو كما فى الاشورية
والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنا على ان
اللغة مرت فى عهد أكثر سكون ونطقت فيه ساكنة
الاول مثل : أجفيل ، وأخريط ، أمشوشب ، وقد
أضيفت الهمزة للتوصل الى النطق الساكن من مثل :
أمرأ امرأة ابن الخ ...

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يثبت التطور الصوتي ولا يقصد الى التكثير والترايد، ولكن وجدت هناك اسباب عملت على حفظ تلك الاثرية في اللغة، مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقراد العربية في الوجهة التي قصد اليها العربي ، والتي تستطيع بها وحدها ان تكون لغة للمستقبل بين اشيائه الباقية .

الاسباب التي حفظت الاثرية

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاثرية في اللغة العربية هي :

- 1 - التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .
- 2 - القصد الكنائي : ومن ذلك باجوج وماجوج .

- 3 - حذائة الارتقاء : ومن ذلك انظور وطومار
- 4 - الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلاً .

1 - التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وان يحتفظ بمبدول معين ، فمن المعقول جدا الا يتأثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاثرية في هذا القسم من حفظ الاثرية من الافعال المضارعة .

- 1 - يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .
- 2 - يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .
- 3 - يصوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .
- 4 - يقطين : نبات معروف .

ب - القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمة او التركيب ليس الا المعنى المثلى فقط ومن الاثرية المحفوظة في القصد الكنائي يا جوج وما جوج .

اما القصد بكلمة يا جوج ما يلزم من معناها الكنائي من التأجيح المتدافع ، والتأجيح في كل شيء . اما لغويا فيا جوج فعل مضارع من ثلاثي أجيح .

اما ما جوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التأجيح للمتدافع واظن انه كله يستعمل لمهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية ، فبقي لها امكنة واسعة رحبة .

وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورث يرث .

- الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاثرية في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولا الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفرغ اللغوي وضبط عين الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث اهميته الكبرى وهو تاريخ التفرغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المبدى .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بان اللغة العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في اكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في المميزات المبينة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابس اللفظ للمعنى ملاسة حقيقية .

ومن ذلك ان المثني شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كئارا يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمقدار التسامي اللغوي في طبيعة الفرد العربي .

التطور في اللغة

كان بإمكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة ترمضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد ترمضنا لضربين أساسيين من

ولهذا الامتناع عن الريادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، واخضعها لقانون بياني ثابت وامات ما هو متراوح الفوص فيها، وانعشها بحيوية اخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجرار وقد صرحت به غير مرة من المقدمة . وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قريش في افصاح محتوياته ، والذي امات منها القسم الفوضوي وقد رجع بعض اللغويين الى اعتماد تجديد هذه الفوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

— من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

أ — ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الفم اقدم من تمام تحليل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب — كان لابديل حرف اللين الهمة تخلصا من الصوتية ، وليد ضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال .

ج — ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها، وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فممن من نطقت ب نئدلان، وكذلك اخرى تقول زئبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطأ ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها الى محيطات متطورة ومتحضرة وليس الى محيط خاص بجماعة معينة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات اخرى من جهات اخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

ج — تطور الافعال :

لقد سبق لنا ان بينا قاعدة الافعال في الانثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافضان بسندان الاهمية التي اترضتنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عنينا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

أ — نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعروض في القدم .

ومنها صارت الى الثاني والثلاثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في طورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مفادرة العربي لجزيروته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثرية القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

ب — اللغويون الاولون :

لسمو التطور من قبل اللغويين الاولين صفة ذات اهمية ، ولرايهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبذون اراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن نبذتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبذون رايهم وفي هذه الازاء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الريادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بمت الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الريادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .

هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد عبارة الفيومي في كتابه المصباح ، وتصدق كل ما رأيناه وجئنا به .

وخلاصة القول في هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

- ان الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور أميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر في انه يتبع المضارع .

- ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية .

- ان توحيد ابواب الافعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

- الاعلال متأخر في الطبع العربي .

تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم في بحثنا عن تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فاعيل ، فعل ، تنسوي كلها في أصل الدلالة ، وانها ارتقاءات من فاعيل المات قصد ببعضها التنوع وبالبعض الآخر الامانة .

ونرى بان الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل في كل ثلاثي مجرد بدون نظر الى الاسباب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين في ابحاثهم حول صيغة (ايها القياسي) وحول ابحاثهم في اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيح اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي ان يعرض بها على كل المواد اللغوية ، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مفادرة الجزيرة ، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكتمى بما وصل اليه وأمر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا في المصدر من الفعل ان العرب استغنوا في بضمه باسماء وقمت موقع المصادر كما في وصاة مكان توصية وزكاة فاضاف تزكية وصلاة مكان تصلية .

تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقة وسامية ، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما في طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي ، واما التصحيح مع موجب الاعلال فيفيد المعنى بتكلف او باضطراب ، كما في طول فانه يفيد التكلف في الطول . الارتقاء في تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

تسوية الاختلاف بين ابواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل اوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 - دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل أمر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى اعجب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامر قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل الينا .

2 - براع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال في العهد الصوتي .

- براع : فعل ماضي متخلف ...

- ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم في طبع العرب الاقدمين ، لان شكلية الحروف كان لها تأثير في تمام له مفهوم في طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تأثير في المعنى واتمامه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، وحاولت التخلص من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى في الوضع الاخير .

3 - وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطا والضعف والخوف .

- واول وهلة : اول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل واهتبارها اصلية فيه ، وعلى قلة وشادة في باب فعل يفعل ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

1 - التصحيح مع موجب الاعلال .

ب - الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا تقدم المثال الاخير والارقي

4 - وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي

1 - هوية وتعني صوت الدُّب ، وتعتبر أقدم الامثلة .

2 - الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتاب الابضاح ، ويظهر أن الاتمام اعلال بين ايدي التطور ، فمثلا نطقت أول مرة شوق .

- ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقليل : شيق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الباء مع خفة المتكلم .

- وخلاصة قولنا في تطور الاعلال هو : ان المل كان على التصحيح اقدم جهود اللغة .

- ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .

- ان الاتمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

- ان الاتباع يعمل في الاعلال على التناسب ولو لادنى ملابسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 - اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 - اثر التطور في الشعر .

1 - فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان - فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادنا الى :

1 - كان الجدول الهجائي بحركاته لغة للانسان القديم .

ب - نشأت العربية نشوا تطوريا من الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج - تطورت العربية اللفظية من اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظرية : فأبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الانماء سواء في الاشتقاق ، والاهراب والموارين والاعلال والالامال والمصادر وتعلمنا على تلك المسافات التي بقيت

واضحة في منطق القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيان فهم يبتدعون لها وجوها من التحليل ، كاختلاف القبيلة ، تداخل اللغات ، والضرائر والشذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

ان التطور الذي قلنا عنه في المفردات يصدق عمله في الاسلوب والبيان على شتى اوضاعهما ، فكتاب (المجاز) لمعمر بن المثنى المعروف بابي عبدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اي اساليب ، والحق انها ابعد ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

2 - اثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانتقال والتشذيب ، ولكي يتسنى للباحث ان يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهناك ابحر اميتت ، ان الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي ان البيان العربي ابتداء نظميا وتطور كذلك اخذ نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع وبذل على التحام الترميع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تأخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم القصائد .

اثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتى التطورات النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بأن القرآن يجمع بين مختلف السور البيانية ويأتي بها على نحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتى من الاساليب في القرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني ، فقولنا في ذلك ان روح البيان فيه مختلفة واجدر بنا ان ندرس

أمر اللغة العربية ، وهذا الأمر المتناقض ، وتهجمهم على اللغة العربية تهجماً يجيزه هذا الدرع الذي يأخذون الناس به ، وأعني به جمع لفات الجزيرة ، وبكلمة أدق تعبيراً لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة في حين أنهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج بابه المحدثون .

— ولا تكون على مقربة إذا قلنا بأن موقف اللغويين المتفاوت بأسباب أهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صبغة تعصبية صرفاً .

فلقد تشددوا بمنطق الاستماع وعدم الحفظ أخذاً على مذاهب الخصوم ، أن هذا الإغراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا ماخذ شعروا به ، ولكنهم دعوه تنقيحاً .

وينتظم التنقيح للغة العربية بأربعة أوار :

- 1 — كان بما قدمته قبيلة يمر بن قطحان .
 - 2 — كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرهم .
 - 3 — بمعونة قريش بالتدريج انتخاباً من لفات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام .
 - 4 — كان بعمل علماء المصريين ، الكوفة، البصرة، إذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحك بغيرها ...
- التنقيح الجديد :

ان الظروف التي رافقت العربي بعد هجرته من جزيرته ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا مما كان يقصد من لغته، في هذين السببين يكمن مرضى العربية الذي قصر بها مطالب المصر ، ناهيك عن مطالب المستقل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحاً جديداً لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها من مطالب المصر ، وتطور المستقبل . ولا بأس بتسمية ما نعاله تنقيحاً كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة أصبح ضرورياً أن نقول ما هي الاهداف الاساسية التي تلخص التنقيح الجديد .

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية في البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فاشد الكتاب طرفا عنه أشدهم تعقلاً به على الحقيقة ، لان البيان غلدي القرآن والغاية، ان القرآن امات الفوضى في اللغة وأجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما أوضحنا في الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور في اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازين ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لغته ، ولن تطمئن بين أشياء المستقبل الباقية .

الا بإزالة ما بقي متشبهاً بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومفادته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشدهم في السماع وفي ما يكتنم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية المصرية والمستقبلية .

التنقيح في اللغة العربية

في الفصول السابقة التي أوضحنا فيها تطور اللغات ونشوء العربية في المقدمة ، رأينا عمل التطور في العربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حداً بعيداً دون أن تنتهي ، ولكنها مع ذلك أخذت بالاستقرار شيئاً فشيئاً واستمدت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الإخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة، وقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت في محيطها بدون براح .

ولكن الأمر الذي يضع اللغة في مواضع قلق وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

1 — لغة القرآن الكريم :

ب — اللغة التي تبدأ بالقرن العشرين .

وقد تفاوتت كلتا اللغتين تفاوتاً يكون لا أقل في أساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم في

اهداف التنقيح الجديد :

ان من اهداف التنقيح الجديد ان :

1 - نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يميننا ان نخلص العربية من هوائى الفوضى فى افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب : وفاقا لما اوضحناه فيما قبل .

كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار بان التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي فى لفته ، ان فى قواعد الاعلال او فى كل ما يتفرع من بحث الاعمال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 - يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان ، وكذلك الرباعي وموازينه ، لان التزايد المستمر فى اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق اى الموازين او قل التحرك من الداخل ، لان العربية غنية فى موازينها التي تبلغ الثلاثمائة لثلاثي الواحد ، كما امطانا اياها سيبويه فى كتابه النحو الضخم .

3 - تخصيص هذه الموازين مفردة او مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد ، ففعال يخص بما يدر ، على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي فى الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما رأينا فى وجوه التخلف .

4 - توحيد المعاني فى المادة الواحدة ... ونعني بذلك جعل كل معاني المشتقات من مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة ام مزيدة ، مما يصح معه اشتقاق المجرد من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 - الاستفادة من قاعدة الدوائر او القامعة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها او وضعوها واميتت ...

6 - الاستفادة من سنة الرباعي وما اليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 - المعاقبة او الابدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هي ذات أهمية خطيرة فى نتائجها .

ومن مجموع هذه الاهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقة

تلبى متطلبات وحاجات العصر وتمد المستقبل بما يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف ، ونحو وسجع وغير ذلك من التابعيات ، كالايجاز والتضمن ، والفك ، فى حمل الادغام للدلالة والتصحيح فى موجه الاملال لغرض ما .

مستقبل اللغة العربية

1 - داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفقدون البيان عنه باى الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا فى متحف يكتفى الناس منها بالنظر اليها . واننى غير مطمئن الى ان الجماعة تقرر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعنى معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكهننا وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنها المعاجم بالنقل من لسان العرب قبل ان عراه ما عراه ، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن اهمها :

1 - قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر ، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح فى اللغة العربية (المادة والجهة والموجهة) وقد ذكر فى تعريفها ان كيفية النسبة فى القضايا (مادة) واللفظ الدال عليها (جهة) والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) .

2 - جمود اللفظ فى معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبساطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بانه ينكمش فى طبيعته حتى يعود اشبه شئ بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كما هي حصاة غير متحولة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا اتهم بعض مستشرقى الافرنج ، اللفظ العربي بانه (كليشة) لا اكثر وسمى العربية (لغة الاكليشات) .

- نشوء العامية : وقد يرى عجيبا ان يمد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، او كان الاثر الفعالي اليها ، ولكننى على ما يرى من عجيب اؤكد بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المتزمتة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يعبر عن أغراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يتأني لهم أن يتفصلوا بأى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا هذه اللغة التي للخاصة رغم أنها لغة التشريع والابتهالات ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة إلا لأسباب ماسة لها حدثها ولها منتهىها .

فالانصراف الذي نلمسه فى العامية قد كان اذن لأسباب لا يحقر أبدا شأنها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد أوخذ بأن هذه النتائج التي لربها اذا سلم بأن العامية نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لأسباب أكثر وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

إلا ان الأعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح ، والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة الخطباء .

— ان الفوارق فى اللغة قد حملت الواضع على اختصاصها الا اذ ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة نراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والمواقف من كل الجهات ، على منحنى موزون خذ مثلا ، (فمفعيل) الذي يظهر أن أصله (فيعل) (وفعليت) الذي يرجع الى (فعل) و (فعلين) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة التشاكلية ، وان كنت اقطع بأنى مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكنى أطمئن اليها على أي الاحوال .

إلا أن الملاحظة التي لازمتنا فى دراسة الموازين، ان العربية كانت تصدر عن لواحق ترواد على الوزن اذا كان المراد الافادة من معنى اللاحقة زيادة على معناه ، بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر فى العربية كسابقة (است) فى استفعل التي تفيد الطلب او الصيرورة او المد . واظن بأن هذا يقطع حرق النزاع كما يقولون من انه كان فى العربية سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد أن نفوس فى اشياء نحن بغنى عنها لأسباب وجاهية .

1 — انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا تخلو من البعثرة والفوضى ، وليس ذلك من عدم صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ، ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 — حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة ، ان ينضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير فى الموازين الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية العريقة ، وان كانت ظواهر الدرس تقتضي بأن العربي كان يعتمد لواحق بمعناها دلالات بمعناها ، ومن يشك فى هذا اذا تناولنا بعيدين عن تشبيه الدهشة من استنفار هابت مثل فعلوت ، وفعللوت ، وفعللوت ، وفعللوت ، ففعل ، ففعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه يظهر فيها صورة قاطعة للتعدد فى أن العربية كانت خاضعة لما يدعونه باللواحق فى مذهب زيادتها ، ولكن تشدبت هذه اللواحق حتى هادت وهي جزء من الوزن لا تنفصل منه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

ان هذه الموازين هي اصطناع للعربية بخلاف ما اذا كان التفرع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط فانه يكون فى غايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرك فرقا واضحا بينهما وان كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذى اخذت بأسبابه على الموازين يعطي هذا وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق (وت) لم تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رأيت فى مفعلوت ، وتفعلوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشروط من أهمها :

1 — ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على أكثر العدد الذي تكون منه كلمة فى العربية . ان لاجتمع فيها لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجيء منه (فعلايين) (وكففعيل) لا يجيء منه ففعلين (وهكذا من مثل هذه الأنماط .

من الظاهر بأن اللاحقة تعتبر فى أكثر من حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا أصليا يمكن أن تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن رغم أنا نظن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة فالأخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية من احياء اللواحق
والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تأملنا في لائحة الافعال فنرى .

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة
المادة تقول (ربح) للشيء فيه الفلق .

فعل : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه
الوحدات من الوصف تقول (زبد) للمتعدد الزبد .

فعلاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي
يوجد فيه الشيء وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشيء
في غير انفصال ، تقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة
وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف
في الشيء تكاملا من كل الجهات تقول (رومان) أي
صوت متكامل وآلة ذات روناق .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التأثير أو
الانفعال وعلى سرعة الاحتراق تقول (عصبت) لتأثر
الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية
الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، تقول
(نفس) للرجل المختص بالأعمال النفسية كالمنوم
المغناطيسي .

وهناك ضروب شتى من أنواع الفعل يتميز
علينا ان نورد هنا .

وهناك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل
تمثال أي صورة شاخصة تقول (تظلال) للظل يتجسم
ليصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المنفعل من الوصف بأسباب
مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تنور) للحشرة
التي تضيء في الليل .

— وكذلك الزيادة بالميم :

مفاعل : وتدل على المتصف بالمفاعلة بين
منفصلين تقول (مداور) للذي يدبر شيئا آخر في حركة
دورانه كما في الدوايب المتعاشقة .

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان
ويتميز منه حين تقول (مفعاء) للذي يوجد في مكان
المعن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح أن يسمى به
مكروب المغونة .

مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال
وفعلية .

مفعلان : وهو يدل على أسباب الوصف فنقول
للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر
مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل أيضا
على مضاعفة خصوصية (مفعل) فنقول (منظران)
للمجهر المضاعف ...

وهناك زيادة أخرى ألا وهي زيادة النون .

فنهال : فنهال : فعلى ، فعلاء ، فعنلال ،
فنعنلوه ، فنعمل ، فعنلة ، فنعمل .

الزيادة بالواو .

هفعولة : وتدل على اشاعة الوصف بحيث ينتسب
الى كل جزء على انفراد اذ تقول (هرمول) للأرض التي
تشيع الرمال ، في كل مكان من انحاءها ، ونقول كذلك
هركولة ، ولقد أتى في هذا المعنى عند الشاعر الجاهلي
الاعشى ، بقوله :

هركولة فنق درم مرافقهـ

تمشي الهويـنا كما يمشي الوجي الوجـل

وهذا في وصف امرأة في أحد أبياته الشهيرة في
وصف النساء ، فهناك كلمة هر كولة في المعنى
المناسب .

فهركولة أذن هي المرأة السمينة ذات الإرداف

— وهناك الزيادة لبعض الأفعال من مثل :

فموال ، فموال ، فومل ، فوملاء ، فمول ،
فومل .

الأوزان الكيميائية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسجين ،
الذي يعرف في اللغة الفريية بكلمة اكسيد . قبل

الاسم المتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التسماء المتحركة ويصير الوزن فعيلة .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجين وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقي ويميز باسم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة اسيد ، على الاسم المتحد مثل (اسيد كلوريدريك)

الاوزان العدديّة :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الاحادي نقول عقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المئوي نقول (عقدان) لما فيه المائة الى الالف مقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الربع نقول (مشهر) أي ربع شهر يقال (مجلة مشهريّة) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا نكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعال والاوزان ، التي كانت داء في العربية وهرضنا كذلك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقت اللغة العربية طوال عهدها .

اللفة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القسم من الفصل الخامس هو ان اللفة العربية الفاظ يعبر بها كل قوم عن افراضهم ، وما يحتاجون اليه ، فاذا هي غاية كي يجعلها دون الفرض تتناوله للكشف عنه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللفة في دورها النشوي ، واما هي بعده فمجموعة من الافكار ، والتقاليد ، والعواطف ، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن أصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا تزال دونه في الاعتبار كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتاني لنا ان نصفها بالطفيلية لا يسهل تمثيلها اذا كانت اللفة وسيلة ، فقط تكييفها المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفاظ وجودها أشخاص أو الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة أخرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به

الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهذا رأى لا نفرد به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتاني لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في أسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فاذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحفظة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان للالفاظ اللفة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد أحيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها في خيال الاديب او العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتاثر كل من يتذوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونقة الالفاظ ورصاعة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي مومما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، ان ينطوي على حفيظة مغرصة من هذا النوع واسمها ، مغرصة لاني ابتغيتها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح بأية مناقشة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللفة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من انواع الرياضيات والعلوم ، وقرر مالم يكن في معرفة الكثيرين الذين يفرعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن هبت .

وان دلالة مفردات اللفة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنة ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوادة متعددة بتعدد الاشخاص اللافين .

لنقول شيئا من بيان أبيات الشعر لنذل فيها على ما يجدر بالناقد البصير ان يميزه ، أهني به تحقيق الفرق بين اشواق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال قيس بن الملوخ في ليلي :

بعيشك هل ضمنت اليك ليلي
قبيل الصبح او قبلت فاهها

وهل رقت عليك نروع ليلى
رفيف الاقحوانة فى مداها
ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء
العرب جميعا .

وهو لا يزيد فى اعتبارهم على (بريك) أو لمرك
وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على أن قياس كان يقول هذه
المبارات ليس أكثر من الحنف والتأكيد . وهذا ما
يسمى مزاحمة تعبيراً فى محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بأن
المجنون يرى الحب فى ظل التي يهوى ويحب سمادة
دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي يبكها
ابدا فى انشودة الحزن المرة . بهذا النظر الطالع
للقسم حين يستفهمه من شكل من الاشكال تلك السعادة
ولون نرى من ألوانها مرسوما بضمة السحر وقبلة فى
مين الصباح .

ومهما يكن من امر فان غاية كل لغوي خدمة
العربية واغناؤها والخروج بها من قوقعتها الضيقة
فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة
فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض
انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجدد القول بأن اللغة العربية هي
لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ،
وان الفكر العربي مظلوم بعبوديات كثيرة أهمها عبودية
العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر فى الجانب اللغوي
منها .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومرآة فكره ، بل قد
تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للأبداع والخلق ومرادف
الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية
لا وسيلة ، منذ كان الانسان غاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانسان
العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن
اسهلها وامرئها والينها ، هي اصلح من اترابها من
اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك اثبت الفوضى فى تاريخنا واستجداء
بداية العربية ثم مسابرتها فى ادوار رقيها وحلقات
تطورها حتى خروج اصحابها من جزيرتهم وتوقفها
المفاجيء قبل اتمام دورتها التطورية ، مما حملها
بعض الفلاّئق المتخلفة فى الافعال والمصادر والجموع،
والاوزان ومما زاد فى عمر هذه المتخلفات ترمست
اللغويين القدامى، ومتابعة المحدثين لهم .

هذا داء العربية تنفثه جهات خارجية من
طبيعتها .

اما دواؤها فتخليصا من التزوير عليها ، الا زورا
عما تريد هي وعما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد انصحننا منه وهو حذف
السماع من اللغة وتحكيم القياس فمضى العربية انما
يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من اي شيء آخر
وفى تحديد معاني الموازين وصوغها من اى ثلاثي كان
وكذلك موازين الرباعي وفى توحيد معاني المشتقات
جميعا للمادة ومن التنسيق لشكائياتها المختلفة ،
الخارجية كالخط والاملأ ، والداخلية كالبيان والمعاني
والمروغى والصرف والنحو .

فى الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطور فى
اللهجة واللغة . وادراك المعقول العربي من خلال
ادوارها النشوية ويرجع هذا التأخير فى اللغة
لسببين :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسماع ،
ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصر
الجديدة ...

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه
فى احدى الفصول بالسير بالعربية بمد توقفها ،
ولدفننا نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالدة بين
اشيائه الباقية .

وفى سبيل ذلك المستقبل المنشود للفتنا الميزة
وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا فى المغرب الى اخراج
مثل هذه الدراسات والابحاث .

وفى هذا السبيل افتنم الفرصة لابداء بعض
الملاحظات .

1 - ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها
الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا
اللغوية .

2 - الانطلاق بثورة صحيحة فى اللغة العربية
وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيد
من طاقاتها اللغوية .

3 - نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ،
فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية ان
تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم
بذلك .

تعريب العلم

بترجمة الإنتاج الفكري والتقني الإنساني

أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة أكدت فيها ان مجلس الجامعة قد اتخذ في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (مارس 1970) بشأن تعريب العلم في الدول العربية القرار التالي :

3 - ان تعمل الادارة الثقافية وبالاتفاق مع الدول الاعضاء على تكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما أمكن) بعلماء متخصصين ممتازين ، تكون مهمتها :

1 (الاشراف على وضع خطة للترجمة واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية .

ب (المساعدة (1) في اصدار المعجم العلمي العربي الموحد الذي باشرت العمل فيه وزارة البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة .

ج (وضع الميزانية المناسبة للاتفاق على هذا المشروع الضخم لشراء الكتب والمراجع والدوريات في اللغات المختلفة من البلاد المختلفة ، مع توصية الامانة العامة بأن تدرج بمشروع ميزانيتها للسنة القادمة 70 - 1971 اعتمادا قدره خمسة آلاف جنيه حتى يمكن تنفيذ المشروع على أساس سليم .

ايانا من اللجنة بقيمة الترجمة العلمية باعتبارها حجر الاساس في النهضة العلمية العربية الشاملة .

وتقديرا منها لضرورة التنسيق بين الدول الاعضاء في هذا المجال الخطير في حياة امتنا ومنما للازدواج أو التكرار ، وحتى تكون الترجمة على هدى من المعرفة والتجربة والخبرة بموضوع الترجمة

فانها توصي بما يلي :

1 - ان تواصل الادارة الثقافية اتصالاتها مع الدول الاعضاء من اجل استكشاف حال الترجمة العلمية في الوطن العربي .

2 - وبعد ذلك تدعو الادارة الثقافية المكتب الدائم للجنة للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية في البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصي بترجمتها .

1 (من المعلوم ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي يعمل الآن ضمن اختصاصاته وفي نطاق جامعة الدول العربية على اعداد معجم علمي وتقني عام موحد بمدة لفات .

أساسية لا غنى عنها للباحث أو طالب العلم المتخصص إلى اللغة العربية .

وفى ضوء اجابات الجهات المختصة في الدول الاعضاء يمكن الوقوف على حال الترجمة العلمية في البلاد العربية ثم دعوة المكتب الدائم للجنة الثقافية « للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية في البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصي بترجمتها » .

2 - أما فيما يختص بتكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما أمكن) وهي المشار اليها في البند (2) من قرار المجلس المشار اليه فان الامانة العامة ترى ان يتم ذلك عند انعقاد المكتب الدائم وبعد ان تكون الدول الاعضاء قد امدت الادارة الثقافية بالامانة العامة بالصورة الحقيقية لحال الترجمة في البلاد العربية .

3 - وعلى ذلك ، وحتى تكون نقطة البداية في هذا العمل القومي العلمي الجليل قائمة على أساس سليم ، فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ، تكرر رجاءها الدول الاعضاء ان ترودها بما سبق لها طلبه منها في هذا الخصوص من أجل ان تستفيد من الفترة (ج) من البند (3) من قرار مجلس الجامعة المشار اليه والخاص باعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه في ميزانية 70 - 1971 ، فتبادر الى تكوين اللجنة المشار اليها لاختيار عدد من المصادر الهامة في مختلف فروع العلم الأساسية والتطبيقية لنقلها الى العربية

هذا والامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة الدول العربية تأمل في ان تلقى في وقت قريب مناسب البيانات المطلوبة لتتمكن من تنفيذ قرار مجلس الجامعة ترجو التفصيل بأن ترامي جهات الاختصاص الجديدة 70 - 1971 للامانة العامة تبدأ أول يوليو (تموز) 1970 .

وتنتظر الامانة العامة هذه الفرصة لتتصرف من فائق تقديرها واحترامها . . .

4 - تعمل على ترجمة عدد من الكتب كل عام توزع على فروع العلوم الأساسية والتطبيقية المختلفة من كيمياء وطبعية ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفلك وارصاد واحصاء بالإضافة إلى العلوم الطبية والفسيولوجية والهندسية والزراعية والصيدلية والبيطرية . . الخ .

5 - متابعة كل ما ينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات في اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية والمانية وروسية واختيار ما ترى نقله إلى العربية . ولما كان هذا القرار يشتمل على عدة نقاط هامة فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة تشرف بذكر ما يلي :

1 ان الادارة الثقافية بالامانة العامة للجامعة سبق لها ان كتبت إلى الدول الاعضاء الموقرة من أجل :

1 (ترويد الادارة الثقافية بالامانة العامة للجامعة الدول العربية ببيان عما تم تعريبه حتى الآن من الكتب العلمية التي تعد مراجع أساسية ومصادر لا غنى عنها للباحث في ميدان تخصصه .

ب) ان تفضل الجهات المختصة في حكومتكم الموقرة بترويد الادارة الثقافية أيضا باقتراح ما تروئى تعريبه من امهات كتب العلوم العالمية (بكافة الفروع) التي لم تعرب حتى الآن ، وإذا كانت هناك بعض الدوريات التي ترتفع في مستواها وبما تعالج من موضوعات وأبحاث إلى مستوى المصادر الأساسية وتروى تعريبها فلا بأس من ذكرها أيضا ، بين ما يجب تعريبه .

ج) ان تفضل الوزارة الموقرة أيضا بالإيعاز إلى جهات الاختصاص في حكومتها الجلية من أجل ترويد الادارة الثقافية ، كل ستة شهور أو كلما دعت الحاجة إلى ذلك ببيان بما يتم تعريبه مفصلا من الكتب العلمية

لذلك فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ترجو التفضل بأن ترامي جهات الاختصاص في الحكومات العربية الجلية ان الترجمة العلمية مقصود بها نقل امهات الكتب العلمية (في العلوم الأساسية - البحتة - او التطبيقية) التي تعد مصادر

تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله

الأستاذ عبد الحميد المهيري - الجزائر

ألقى الأستاذ عبد الحميد المهيري رئيس اللجنة المصغرة للتعريب في الجزائر محاضرة قيمة في مقر الجامعة الجزائرية حول تعريب التعليم ، تعطي صورة عما يتخبط فيه تعريب التعليم في المغرب العربي من مشاكل ، ونحن نلخصها فيما يلي :

ولن نستطيع أن نوحي جميع جوانب المشكل حقها من الدرس في محاضرة واحدة . ولكن نكتفي بإثارة القضايا التي يتكون من مجموعها ما نسبه قفبة « تعريب التعليم » .

وأول الاعتبارات التي ينبغي إثارتها قضية اللغة العربية نفسها . فهي ليست اللغة الأم لجميع الجزائريين ولكنها اللغة الوطنية لجميع الجزائريين .

واختيار هذه اللغة لم يأت ارتجالاً ولا بصفة اصطلاحية ولكنه تم عبر القرون والتجربة التاريخية الطويلة . وكانت لغة التعليم في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي هي اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة . وهذه حقيقة تجعلنا نقرر أولاً بأن هذه المشكلة تهم سائر الجزائريين وبأن حلها ينبغي أن يشارك فيه جميع الجزائريين بدون استثناء .

الحقيقة الثانية أن العربية كلفة ظهرت فجأة على المسرح العالمي وهي مكتملة من جميع النواحي . ولم يستطع اللغويون على ما أمرف إيجاد تحليل كاف لهذه الظاهرة .

ذكر المحاضر بتاريخ اللغة العربية الطويل وتطورها واضطلاعها إبان العصر العباسي بدور ضخم

ذكر المحاضر في البداية أنه لا يريد القاء محاضرة بالمعنى المتعارف وإنما إثارة المناقشة حول الموضوع . ثم قال أن ما سيمرضه من أفكار ليست أفكاره ، وإنما آراء نصجت مع الزمن عند المهتمين بالتربية في الجزائر .

وقال أن تعريف المشكل يصعبنا في نهاية التحليل وجهاً لوجه ، أما ضرورة تحديد اختيار لغة أو لغات التعليم ، وهو اختيار لم تقم به بعد ، ذلك لأن على الجزائر أن تضع سياسة بعيدة المدى للتعليم ، وهنا يلقي السؤال : هل يحسن بنا أن نتخذ لغة واحدة للتعليم ؟ ، وأن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما يتبادر إلى الذهن ، فهذه القضايا تثير مجموعة من المشاكل منها ما له صبغة لغوية بحت ، ومنها ما له اتصال بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية في نفس الوقت .

ولهذا فإن معالجة المشكل لا يمكن أن تتم إلا من طريق الدراسة الكاملة لكل هذه الجوانب ، والاقتصار على جانب واحد يؤدي بنا إلى حلول ناقصة .

وقال أن هذا التعميد الناجم من طبيعة القضية قد يتخذ ذريعة لإبقائها دائماً تحت الدرس والمناقشة .

هو تمثل مختلف ألوان الحضارات ونقل هذا التراث الى الاجيال اللاحقة .

ثم اصاب العربية انتكاس نتيجة تخلف المجتمع العربي نفسه . وفي الوقت الحاضر تعرف هذه اللغة نهضة جديدة .

واشار المحاضر الى ظهور لهجات التخاطب في البلدان العربية ، مبينا ان هذه اللهجات على اختلافها تكون وحدة تمكن المتكلمين بها من التفاهم بجهد بسيط

وخلص المحاضر من ذلك الى القول :

باننا امام لغة قديمة قامت بدور اساسي وامام لغة خطاب مختلفة احتفظت بوحدةها . ثم امام ظاهرة ثالثة وهي ظهور ما يسمى باللغة المشتركة أو العربية المعربة التي تجمع الامالة ونوعا من التبسيط في متنها وتركيبها يجعلها قادرة ومتفتحة على التيارات اللغوية المتصلة بها بشتى طرق الاتصال .

ثم اشار الى ان الاستعمار جعل ظل اللغة العربية يتقلص تدريجيا في المدرسة الجزائرية الى ان تفردت بها اللغة الفرنسية ، وهذا جعل المدرسة اداة لمسح الشعب الجزائري وفروسته .

ومند الاستقلال ، كان لا بد من تغيير هذه الوضعية ، وادخل في البداية وكخطوة أولى قدر ادنى من اللغة العربية كمادة درس اساسية في كل فصل .

وهنا وضعت مشكلة الاختيار اينصب على لغة واحدة للتعليم أم ينبغي الاحتفاظ بالازدواجية ؟ .

وقد رأينا كيف ان هذا السؤال صعب الجواب نظرا لتشعب الموضوع ، وكيف ان طبيعة الشعب هذه تتخذ ذريعة لبقاء المشكل دائما تحت الدرس والمناقشة .

وقبل ان تتخذ الجزائر حلا جذريا ، حاولت الا يكون مجهودها المدرسي استمرارا لنشر الفرنسية في المدارس . فعربت مواد التاريخ والتربية الدينية والفلكية والمدنية والجغرافية مع كثير من التحفظ وعربت الستتان الاولى والثانية من التعليم الابتدائي واحدلت بعض الثانويات المعربة في اوائل الاستقلال . وكان هذا ما يمكن ان نسميه بالتجربة الجزائرية في حقن التعريب .

هل تكفي هذه الاجراءات لاجراج المدرسة الجزائرية من طبيعتها الموروثة وجعلها تعمل وفق الاختيارات الاساسية للجزائر ؟

اعتقادي الخاص وكثير من الاخوان في لجنة اصلاح التعليم ان ذلك لا يكفي وانما ان كانت خفت من هذه الطبيعة الموروثة ، فان المدرسة الجزائرية ما زالت وسيلة لنشر نوع من الفرنسية غير منظور . وهي لهذا السبب اخطر من المدرسة الفرنسية التي كانت تعابه الجزائريين بما يكرهون كاشفة القناع عن وجهها .

والسبب الرئيسي لهذه الوضعية هو ان المدرسة الجزائرية لا من اختيار بل لتوقفها على اختيار طريقة ناجعة للتعريب ، انتهت الى الازدواجية : العربية في الدراسات الادبية (النظريات) والفرنسية في العلوم

هذا الوضع يقدم للطفل الجزائري صورتين ، صورة الماضي متمثلا في اللغة العربية ، وصورة المستقبل وبالتالي للفعالية متمثلا في اللغة الفرنسية.

واذا استمر الوضع على هذه الحال فانه يوشك ان يحدث اختلال في شخصية المواطن الذي تكونه وان امتنا لا تريد ان تزيل ماضيها من الازهان بعيدا عن الفعالية وقد يرتبط هذا الماضي عندها باللغة العربية .

وبعد ما اشار المحاضر الى الحجج التي يقدمها البعض من قصد حسن بنية اصلاح جهاز التعليم وجعله ملائما لتوفير المدد الكافي من الاطارات لمقاومة التخلف ، وقولهم ان المهم ان يكون في البلاد مثل هذه الاطارات وان اللغة شيء ثانوي . هذا التيار في نظر المحاضر يعتمد على نظرة ليس فيها عمق ، لان التعريب لا يمكن ان يكون منافيا لهدف التنمية .

مقدرة اللغة العربية :

ويبدو من الوضع الحالي للتعليم بالجزائر ان هناك تعارضا ظاهريا بين تعريب التعليم وتقنيته . قد ينبج منه الشك في مقدرة اللغة العربية كما قد يكون نتيجة نظرة سطحية الى واقع العالم العربي .

فمن حيث الشك في مقدرة اللغة العربية ، يمكن ان يرجع الى ان هناك دولة عربية تستعمل اللغة العربية كأداة لتعليم جميع الموادر ، هي سوريا .

والمختصون بالدراسات اللغوية يؤكدون بأن اللغة العربية قطعت شوطا بعيدا في تطوير نفسها ، واصبحت مرشحة لان تكون لغة عالمية .

نعم هناك مشكل المصطلحات ما زال قائما لكون المجهودات الفردية بشأنه مبعثرة غير منسقة . ولكن المشكل حاصل في مستوى معين . هو غير حاصل في مستوى التعليم الابتدائي ولا الثانوي ولا حتى بعض الدراسات الجامعية . وانما يوجد في مستوى الاختصاص الفنيق - والبحث العلمي ، والتبادل مع الفير .

لما يقال من عجز اللغة العربية انما يقال بدون تمحيص . فهي صالحة كل الصلاحية بدون ادنى عائق في مستوى الثانوي على الاقل .

على ان هناك الادعاء القائل بأن اللغة العربية صالحة كاداة في تلقين الدراسات الادبية والانسانية ، وغير صالحة لتلقين التقنيات .

اولا : مصطلحات العلوم الصحيحة قليلة ومحدودة .

ثانيا : الصفة التي تمتاز بها المصطلحات هي الدقة والوحدة .

وهذه مطالب غير مبرر تحقيقها على جهود العاملين في هذا المجال .

على ان هناك حقيقة يجهلها الكثير ، وهي ان مشكلة المصطلحات في الدراسات الادبية والانسانية ، اكبر منها بكثير في العلوم الصحيحة . وذلك لتشعب تلك الدراسات وصعوبة وضع المصطلح الدقيق بشأنها واعتقادنا ان هذا الامر المعكوس للفاية . وان القصد من ذلك تبرير الوضع القائم واكثر منه تعبير عن حقائق علمية .

الجانب الثاني : النظرة السطحية الى واقع العالم العربي .

تجارب العالم العربي في ميدان التعريب :

اعتبر المحاضر ثلاث تجارب اساسية

1) تجربة سماها شاملة ، هي تجربة سوريا .

ليست جديدة ، ابتدأت أثناء الحرب العالمية الاولى تمت بتشجيع الخبراء الفرنسيين الذين كانوا يسمون

التقارير تلو التقارير يؤكدون ان العربية صالحة في جميع مراحل التعليم . وكان حافزهم الى الرغبة في وقف انتشار اللغة الانجليزية في المشرق العربي .

امطت هذه التجربة نتائج يمكن ان تعتبر حجة كافية على صلاحية اللغة العربية . لكنها تصطبغ بنقص عاب السوريون أنفسهم هو عدم اهتمامها بتدريس اللغات الاخرى .

هذا جعل المتخرجين ، وخاصة المختصين والمشاركين في البحث العلمي يجدون بعض الصعوبة في ميادين الاختصاص نظرا لضعفهم في اللغات الاجنبية .

لكن هذا يمثل مرحلة هي الآن في طريق الزوال .

2) تجربة وقفت في نصف الطريق ، تمثلها ، مصر والعراق

وقفت عند الابتدائي والثانوي والدراسات الادبية والانسانية في التعليم الجامعي ، وبقيت المواد العلمية باللغة الاجنبية .

وكان من نتائج هذه السياسة تناقض واضح يتمثل في انشاء المجامع العلمية اللغوية من جهة ، ورفض استعمال العربية في العلوم من جهة اخرى .

لوقوف التعليم في الجامعة بالعربية لدى العلوم ليس منطقيا ، ولكنه مرتبط بأوضاع .

هنا استعرض المحاضر الكفاح الذي خاضه الشعب المصري تحت الاحتلال الانجليزي لفرض اللغة العربية في الابتدائي والثانوي ، واضطرار الحكومة للاستجابة واصرارها على عدم تميمه على الجامعة .

وكيف ان الجامعات المصرية قامت بمجهودات الشعب الاهلية ولم تساهم فيها الحكومة .

وكيف ان القائمين عليها اقتصرؤا على تعريب النظريات لانها كانت في متناول مجهوداتهم المتواضعة ولا تكلف كثيرا .

وكيف ان تجربة العراق تشابه كثيرا تجربة مصر ، ثم قال :

ان الاتجاه الذي في سوريا ومصر والعراق هو التفكير الجدي في اكمال الحلقة .

(3) الطار المغرب العربي :

تتميز تجربة الطار المغرب العربي بالتوفيق من البت في اختيار لغة واحدة للتعليم ، وتخصيص اللغة الفرنسية لتلقين العلوم والتقنيات .

وهذه تجربة قد تؤدي الى مخاطر ، لانها مبنية على احكام سابقة غير مخصصة .

ثم لخص المحاضر الوضع في العالم العربي ككل ، فقال ان التجربة ككل تعتبر عامل اللغة ، وتناسى اشياء اساسية ، وهي ان حركة التعريب بدأت في وضع سياسي كان العالم العربي فيه خاضعا لنظم استعمارية ، وان المجتمعات العربية في ذلك الحين كانت مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية .

ولهذا فان تجربة التعريب كانت منعزلة تعتمد تطوير اللغة بمفردها ، دون البحث في الاسباب المؤدية الى تطوير المجتمع ككل . اذ مدى تطوير اللغة مرتبط بتطور المجتمع . وقد كانت تجربة تستهدف احداث ثورة في اللغة ، في نفس الوقت الذي تريد تلاني احداث ثورة في المجتمع .

وهذا من شأنه ان يؤدي الى الاخفاق .

اذ كيف يمكن ان تتطور اللغة العربية في مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية لا وجود فيها لاساس مادي للعلوم والتكنولوجيا .

التعريب يبدأ الآن

وعلى هذا ، فان التجربة الحقيقية للتعريب تبدأ الآن بعد ان اصبح واضحا ان هذا لا يمكن ان يتم الا في نطاق ثورة شاملة . في اطار هذه الثورة يمكن ان تستكمل التجربة جميع اسباب النجاح .

النتيجة

انه اذا كان التعريب لم يؤد في نظر الاجانب الى نتائج ايجابية ، فالمسؤول عن ذلك ليس اللغة العربية . ولكن فساد النظم التي كانت سائدة ، تمكس صورة للمجتمع ، ولما على طبقة محظوظة ، محشوة بالنظريات ، بعيدة عن مجالات التطبيق يتميز بقلبة التكوين العام او الثقافة العامة على حساب العلوم الصحيحة والتقنية .

هذا الوضع لم يتغير جذريا . وهو قسمة مشتركة بين سائر اقطار العالم العربي ، ولا تشذ الجزائر عن ذلك .

ان الجزائر تحاول الآن ان تقوم بثورة شاملة في جميع المجالات وسلوك سبيل اصلاحات الجدرية بغية تطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا . واننا متجهون الآن الى اصلاح نظم التعليم بما يوافق اختياراتنا الاساسية . وهذا عنصر مساعد جدا .

سياسة رجعية ؟

على اننا نرى بعض المتحمسين للثورة ينكرون امكانية ان تكون العربية في الجزائر اداة للتربية . ويذهبون الى ابعد من ذلك اذ يتصورون ان العربية التي مضى عليها ربح من الزمن انكمشت فيه واصبحت لغة التعليم الديني فحسب ، وانقطعت عن تيار الحضارات والانكار الحديثة والعلوم التقنية ، لا يمكن ان تكون الا اداة لسياسة رجعية .

ومع ملاحظتنا على هؤلاء انه سواء بسواء يمكن ان تنفذ سياسة رجعية من طريق الفرنسية ، فاننا اذا سلمنا ان العربية بما اصابها من تأخر بفعل تأخر المجتمع ، نرى ان احسن وسيلة لاجبار العربية على القيام بدور سلبي ، هو ابقاؤها بعيدة عن ميدان العلوم الصحيحة . لا غرو اذا اننا اردنا ان تلعب العربية دورا ايجابيا في تطوير البلاد وتحقيق الثورة ، يجب ان نتخذها اداة للعلوم . هذه الاختيارات النظرية . -

اضيف الى ذلك شيئا اساسيا هو الدعوة الى الازدواجية . وبهذا الصدد تعدد مرايا الازدواجية في التعليم وفي الحياة .

امتقد ان الازدواجية ليست ذات معنى واحد . فهذا اللفظ يمكن ان يطلق على اشياء كثيرة تختلف من حيث الدرجة كما تختلف من حيث الطبيعة .

ونحن نرفض الازدواجية مبدليا لاسباب بديهية هي :

(1) ان الازدواجية بين العربية والفرنسية ليس لها سند سكاني .

كان الامر يختلف لو ان الاقلية الاوربية قررت البقاء في الجزائر اذن لكان المشكل قالما .

(2) نحن نفرض الازدواجية ، اذا كانت تعني اعتماد الفرنسية كوسيلة وحيدة للتفتح على الحضارة المصرية ، لاننا لا نسلم بعجز اللغة العربية عن تادية هذا الدور .

يبقى هنالك نوع من الازدواجية نسميه بالازدواجية التربوية . ويدعو اليه الكثيرون من المربين في العصر الحديث . معناها تعلم اللغات الاجنبية .

والازدواجية بهذا المعنى يمكن اعتبارها اذا كانت لغة التعليم موحدة والعربية لغة تدريس لجميع المواد في جميع المراحل ، يمكن اذ ذلك ان نفكر في تعليم اللغات الاخرى من اجل التفتح والاتصال .

والازدواجية بهذا المعنى بدا تطبيقها في بعض البلدان على سبيل التجربة وهي ما زالت في طور التجربة .

ونحن نستطيع ان نسلم جدلا بان الجزائر في استطاعتها ان تتبنى هذه التجربة في النطاق الوطني العام . وهذا يمكن ان يناقش ويستفاد منه .

التعريب من الناحية العلمية

الجميع يقر بان العملية لا يمكن ان تتم دفعة واحدة . والتدرج نفسه اذا لم يطبق بدقة قد يكون سببا في الفشل وذريعة تتخذ لفرض مبدأ التعريب نفسه .

والتدرج يصطدم بصعوبات اهمها :

صعوبة توفير الوسائل البشرية والمادية والتربوية لتعريب صف كامل (التدرج العمودي من الاسفل الى الاعلى) . وهذا التدرج العمودي منطقي ، ولكن صعب تخطيطه . فهو يضع المسؤولين امام آجال لا تقبل التأخير . وفيه ايضا اجبار التلاميذ على تغيير اداة التعليم فجأة (ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية الآن) : هنالك التدرج الافقي = ان تعرب كل سنة مجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية تعريبا شاملا وفق سلم التعليم .

مثلا = مائة مدرسة ابتدائية

وفي نفس الوقت 10 اعداديات

وبعد سنة 5 ثانويات

وقد يمكن التوسع اكثر اذا سمحت الامكانيات . هذه الطريقة تضمن للتلاميذ ترقيا في السلك يوصلهم الى الباكلوريا بدون هائق .

ويمكن ادخال اللغة الاجنبية ابتداء من السنة الرابعة أو الخامسة ليتمكنوا من مواجهة تعليم الجامعة بالفرنسية ، اذا لم تكن قد تمكنا من تعريب الجامعة اذ ذلك .

خضم لوحدة التعليم :

هنالك من يرى في هذا التدرج خصما لنظام وحدة التعليم الواقع ان الامر لا يخلو من ذلك . وقد نعيش لفترة طويلة على نظامين تعليميين يختلفان قليلا . ومع ذلك فان الفرق بين النظامين يكون في العلوم الصحيحة فقط . ومن السهل ان نتصور التلاميذ الذين يتابعون النظام الانتقالي الحاضر بما يحصل لهم من ملكة في اللغة العربية ، يصبحون قادرين على مواصلة تعليمهم العالي باللغة العربية .

هذا التدرج يمكن من التغلب على كثير من المشاكل ، الا انه لا يفيينا ايضا من الاحتياجات البشرية والتربوية والمادية ، ومن الاجال الواضحة .

واخيرا فان تعريب التعليم لا يمكن ان يتم بواسطة الجهاز التقليدي لوزارة التربية ولا بد من انشاء مؤسسات تسهر على حركة التعريب ، وهي في نظري :

(1) مركز وطني لتيسير اللغة العربية ونشرها . لا كجمع ، اذ لا فائدة من ذلك بل مركز يجمع بين البحوث الاساسية في العربية ومحاولة إيجاد الحلول لمشاكل العربية ، وليست العربية بدما بين اللغات في ذلك . وقد تكون المشاكل في العربية تختلف من حيث الدرجة ولكنها لا تختلف من حيث الطبيعة بالنسبة للغات اخرى .

اتصور المركز ملتقى الباحثين من رجال التربية واللغة والتعليم ، لايجاد احسن الحلول لتعليم اللغة العربية لا في المدرسة وحدها ، ولكن ياساليب معربة ووظيفية للعديد من الجزائريين المنعطين للتزود بهذه الاداة التي تمكن من الاسهام الحقيقي في تعميق جذور الثورة وجعل معركة التعريب معركة الشعب .

مدرسة الترجمة

من هذه النواة يمكن الانطلاق لامطاء مفهوم جديد للترجمة يجعل منها لا عملا هامشيا ، ولكن أساسا لتطوير المجتمع وتنظيم العلاقة بينه وبين الشعوب .

ينبغي اذن تكليف المدرسة برسالة اخرى . لا ينبغي ان تقتنع بتكوين الترجمة للاعمال اليومية ، بل ان ننزع الى تخصيص علماء في مختلف المواد والعلوم لتكريس جهودهم لعمل الترجمة الذي هو على ما اعتقد عمل اساسي في بناء النهضة العلمية .

المؤسسة الثالثة

تنظيم واسع شعبي اعتقد من السابق لاوانه تعود جميع عناصره . ولكن انصوره على شكل مؤسسة تجمع بين مسؤولين معينين يحتلون مراكز حساسة بالنسبة للعمل الاداري والجماعي ، يسهرون على تطبيق المخطط العام للتمريب وربط تعريب التعليم بتمريب بقية الميادين .



تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك النجاي "سنغال"

«... ما ترددنا من فتح مدرسة عربية في كل من
جنه وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم
الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه
... والفكرة الدائمة لانشاء المدارس العربية الفرنسية
هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقليتين القرآنية
وروح العصر . » (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتئذ
عقلية قرآنية تستحق ان تتكيف السياسة لاجاراتها
والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية
قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة
يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه
واخذ التدابير الحكيمة للانتصار عليه .

ورغم اغراءات الحكومة وضغطها على الناس
لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان
تحمل الناس على الامراض من الكتابيب ، ويشهد
التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط
هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على
دروسهم القرآنية في الكتابيب ، دروس المدارس
الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في
كتابيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور
1385 كتبا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية
الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك
في مناطق المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون
المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة
والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية
لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ،
واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم
في الاعلانات والمناشير التي تم الخاص والعام من
الاهالي . وكان الملوك والشانخ يرسلون السلطات
الفرنسية بالعربية . وفي كتاب « دراسات اسلامية
عن سنغال » يقول الافريقاني الفرنسي « بول مارتى »
ان جميع الشانخ كانوا يرسلون السلطات الادارية
بالعربية ما عدا الشيخ « بوكنت » زعيم الفرقة القادرية
الكنينية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع
الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى
للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار
المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان
لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية
لاغراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال
الافريقاني الفرنسي « روبير ارنو » Robert Arnaud
في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في
غرب افريقيا) :

(1)

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الآتية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن أهم الدوافع للتعريب في هذا القرن والقرن السابقة من غير شك الطرق الصوفية وأهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريديّة أو القادرية المريديّة بتعبير أدق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجالين هامين هما مجال أصلام الإنسان والأماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريديّة في جربل

أما المجال الأول فإن تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سمد أبيه والحاج مالك والشيخ الخديم أحمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب إليهم بتسمية الأبناء بأسمائهم وأسماء من تفرع منهم . ولكون هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الإسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فإنهم لا يترددون في إطلاق أسماء هؤلاء على أبنائهم وعلى أبناء من يغيرهم أسماء لوالديهم من المريدين وعلى من اهتموا إلى الإسلام بواسطتهم بدلا من أسمائهم العائلية ، فمن هنا تنسخ الأبوة الروحية محل الأبوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولي المتهدي إلى الإسلام باسم « جبل » أن يتسمى باسم « محمد الأمين » والسرايري المتهدي باسم « لشر » أن يحمل اسم « إبراهيم » والفلاقي المتهدي باسم « جول » أن يحمل اسم « علي » وهكذا . ولو أراد الإنسان أن يكتب عناوين الدين سموا الحاج مالك والخليفة أبا بكره والحاج منصوره من الطائفة التجانية التواونية أو عناوين الدين سموا أحمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريديّة للزّمة للقيام بهذا

العمل اضبارة من الأوراق . هذا ولم يمس على ميلاد أكبر هؤلاء سنا إلا 115 سنة . فإذا عرفنا أن هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . أدركنا أي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في أعلام الأشخاص ويتقدم نحو الشمول .

لا يسمننا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية عموما في تعريب أعلام الأشخاص إلا أن نتكلم من دور المريديّة والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الأول من التعريب يوت فيها خبرها من ضراتها . لقد فاقّت المريديّة في تعريب أسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب أسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدعها مجارة للمريديّة في دساكرها الفلاحية .

ففي إقليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريديّة في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من أعلام قراها ودساكرها . فنشروا على أرضها هذه الأسماء اللطيفة في السمع مثل : طوبى - دار السلام - دار المصطفى - دار الفصور - دار المنن - دار المنان - دار النسيم - دار المليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشمام - مدينة - طائف - عالية - طوبى فال - طوبى كن ، وسموا سوق طوبى مهد المريديّة هناك .

ونشاط المريديّة في تعريب أعلام الأمكنة يضاهيه نشاط التجانية في تعريب أعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب أسمائها فأطلقت على أول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تابعت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المتهدين - دائرة المنّة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والآنصار - دائرة المقتدين - دائرة المحسنين - دائرة الأبرار - دائرة الخليفة الأكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المؤمنين . إلى غير ذلك من الأسماء الرنانة التي أطلقت على مئات الجماعات .

المذكور مكملته بعشرين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي اكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسماء الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسماء هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاتية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يرسلون ويدونون بها خواطرهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الانعزال الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم علامة المضارع على اصل الفعل والتلفظ بعلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الولف والتكفور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون اللف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها «المصدر» يتألف البيت منها من صدر ولقي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولقي . ومنها المحشو يحشي القسم الولفي بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولفيين .

طبق المستعربون الفلاتيون والولفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات اغراض مختلفة كالقصة والوعظ والمدح والهجاء والثناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسماء التي يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة فعرب الكثيرون منهم اسماء القرى التي اسسوها وبتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها اسماء مثل : فاس - نساط - طوبى - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الامضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او اسماء الجنود في احدى الثكنات العسكرية او اسماء التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسماء القرى والساكن والاشخاص العربية .

قمت انا شخصيا باختبار سرعة التعريب في اسماء الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 % و 48 % في اواخر القرن الماضي واولال هذا اتقن اعتمادا على القائمين المؤيدين المعدين من قوائم اسماء كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878 م و 1879 م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 % و 77 % في عام 1966 م

اما الطريقة التي سلكتها في هذا التحقيق فهي اننا اعدنا ست عشرة قائمة تألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . وثبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار ماثان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم اسماء النواب المرشحين للانتخاب لنحزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة اسماء النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج مما يسود هذا المجال من اللغو المنافي للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الالفية والعربية ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الالفية من حيث الحفظ وإبقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تأثيرها فيها بالندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من المفردات الالفية المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين - بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء واللفويين الالف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على افراد بالكلمة الالفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث واللفظة مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه اثناء تطور لغة الحديث بقيت اللغة الشبيهة بالكتابة متحجرة يتناقلها المستعربون كابرا من كابر وحفظت الكثير من المفردات المندثرة من الدواكر . وفي العصر الحاضر لا يمكن لاحد تأليف معجم ولفي كامل قسوي دونما استمداد واستعانة هؤلاء المعممين المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكمات الالفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستثبات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الالفية غير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المعممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الالفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الالفية

نتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الالفية خلال الاحتكاك الطويل بين الالفيتين . والكلمات التي انتحمت على الالفية عربيا ما اتيح لها ذلك النصر الا بالعصر على الجروح الفائرة التي اصابتها اثناء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي واصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تفزغ غيرها وتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادق » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الالفية .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الالفية الى ذكر ما يتعرض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في اللغة الالفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية يتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالالفية ، اصلا، تتعرض لتحريف لا محيد منه، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ح ذ ز س ض ط ظ ع غ هـ . اما اشهر دواهي التحريف المبني فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به الالف في اظهار التحنن على المعبر عنه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف من الصور الالفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زنب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رنية	رق
نفية	نف	»	عبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يقلبون التاء ، والذال والزي والشين
والصاد والظاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم :
زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 - ويقلبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم
اللغة » ص 231 ط : 4 : « والمفردات التي تقتبسها
لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد
اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانتاجها
أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات
العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولفية
خصوصاً من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » أصبح شبه مجهول
الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وبديل الرأي
في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء
ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره
عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود
(محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد
(آدم) آدا ..

3 - تقلب العين والهاء والحاء همزة في اول
الكلمة وتحذف غالباً في وسط الكلمة : حبيب (ابيب)
حليمة (المة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) مائشة
(ابسة) هرون (آرون) محمد (معد) معاذ (ماس)
مهدي (مدي) .

الكلمات العربية المولفة :

الزواية (مكان تجمع الصوفية للذكر)	حساء	انتهمجي	اجل (نعم)
الزيارة	الخاتم	التوبة	آدم
الزكاة	الخبر	التوفيق	ابيس
الزامة	الخطبة	التييم	الانين
السبب	الخليفة	الثلاثاء	الاحد
السبب	الخميس	الجائحة	الاخرة
سبوح	الدائرة	الجامع	الاربعماء
الشر	الدابة	الجان؟ (الحية)	اسرافيل
السجادة	الدار	الجاهل	الاول (الكأس الاولى من الشاي خاصة)
السجود	الدبران	جيريل	البيت (الجزء من القصيدة)
السر	دجنبر	الجلباب	البدمة
السطر	الدراة	الجمعة	البرادة
السطل	الدرجة	الجن	البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل
السكر	الدرهم	الجنة	البعث)
السلام	الدنيا	الجنابة	البركة
السلام منكم	الدواة	الجهاد	البطاقة
السماء	الديبة	جهنم	البلاء
السنة	الدين	الجو	البهمة
السورة	الذكر	الجيب	التخمة
الشرح	ذو الوجهين	الحاج	التربية (بالمعنى الصوفي)
الشرط	الراية	الحاجة	الترجمان
الشريف	الربا	الحج	التبيح
الشفل	الركمة	الحديث	التفسير
الشیطان	الركوع	الحرام	التهمة
الصابون	الروح	الحرف	
الصبح	الروضة	الحرمة	
الصدقة		الحق	

الصراف	القلم	ما رضى عليه	الناقصة
الغمر	القفطان	مارس	النصراني
الضعيف	القول	المحارب	النفوس
المطالب	القياس	المدارة	الهدية
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقصة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مردائيل	الكائور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصاحبة	الورد
الميب	الكمال	المصيبة	الوفاة
الغوث	الكرامة	المعنى	الولي
الفتنة	كش !	المقامة	يرحمك الله
الفجر	الكفر	المكان	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملحفة	يوم القيامة
القبر	الكوب	الملاك	الزمن
القبة	لا بد	المهدي	المرش
قدوس	الله	المنبر	اليهود
القصبدة	اللوح	البراث	القصة
القطب	الماموم	ميكانيل	الشر
القرنفل	المثال	المنافق	الفوقية
		لنافلة	الآية

لم انهمت بمد شيب مبرة وبمه
اراقها كلمتا سمدى بمه وبمه ؟
اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
هزل ومزح بدا لي انها بنمه
وان حبل وصال صار منصرما
او واهنا خلقا تجديده تنمه
سالي اراني ان لامست هانية
عصر الشباب تقبل او تقل ييمه
واليوم ان لامست خودا يدي لمبا
تألفت ثم نادى : « يا ابي سرمه ! »
وكل ناهدة الثديين تلحظني
بعين سخط فتعلي صوتها فومه
وان لهوت تلمت او دنوت نأت
وان اسل فجواب عندها خممه
كل كامب واعدتني زورة مشقا
زمان شرخي ولما جئتها نغمه

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
بهيم ليل سوادا نادة منمه
لكن للشيب في فودي وجمجمتي
وخطا وخطا لعدراء النسا بنمه

— * —

الا ارموا لمن ولت شيبته
واذنت بمشيب معلم هرمه
بل كل ضيف كريم القوم حوله
قرى عليه وهذا شيبه كنمه
فاقره - ان ترى ما عشت شادي من
هو الشفيح وكل قائل تلجه
من ذاته كل ذات لازمت مرضا
في عشر شعرها لو تفتدى سقمه
من كل جرم له قدر يعمره
عند الفراغ فداء والفداد يمه
من دونه كل منطوق بحرف هجا
في الاسم الا الها غير سكمه
من نعته كل موجود له جهة
من أي ست وربى أننى نرمة
محمد سيد السادات لا احد
منهم مدائيه او قائل كنمه
صلى عليه اله المرش ما رجيت
شفاعة منه او قول له ولمه
يا من شفاعة يرجو ويأملها
اهل الكبار أمثالي فدا تنمه
فان جاهك عند الله منجمل
هو العظيم ففي الاهوال لتلكمه
اهوال دنياي او اهوال آخرتي
او برزخ ثم من ذكرالك ديلتمه
لا زلت ائنيك واسمع ما اردده
يا خير من يرتجيه مريج وبمه
وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاضي
مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بيب :

أبدى الكجوري فنا في البديع « كمن
ندف « بديما كما أبدى وما بديما

ان الحقيقة بحر غاص فيه « تفر
درمو « عند التقاط الفائص الودعا

اجاد مدح النبي الهاشمي « توح
سخلا ميتم « واجاد المدح والقدعا

فالايث ليث عريض الساعدين « كجس
جغم « تيقن ان قد طال ما صرعا

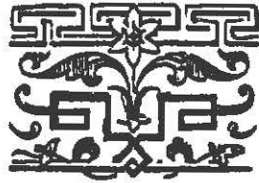
نفي وحوش الفلا عن أرضه « بجبدو
جسنى ج سو فم س « لاسيدا ولا ضيما

— * —

لكن هنالك شبل رابض « بجكى
ج خمن « ان سيجيد العيد والنعما

لولا حياء وتقوى ربه « اكتم
د دول يم « شب بيرا عالما ورعا

وحرمة الشيخ « اكتم مولك مك ث بدون
ك ملن من « رد ماء حيثما نبعا



نظرة في الصلوات العربية الفارسية حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

يلانم نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحدود في الشكل ، ولازم في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما ببدال حرف مكان آخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان العربي اخذ اسماء ولم يأخذ افعالا او حروفا ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (الجام) قال : ألجمت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان) : دون الحساب . ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او آلات او مأكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعهدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يحملها الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تآثر العرب بأساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة افوتهم جدتها وجذبهم لمآنها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواضع حكماتهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ردحا من الزمان ، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد .

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والابنية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية - وليس ذلك بمسير - وجدنا عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اصبجية او معربة او ان اصلها فارسي . كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا اكثر من ثلث الفاظهم - ولم اغال في ذلك - عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جاراته ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل

فى رجل من بني كليب ، يقال له (مجبب) ، انهم
بقرفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا عنه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه

طبرزين قين مقضبا للمفاصل

تداركه عضو المهاجر بعدما

دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء
احيانا ، واحيانا اخرى فاء ، لان نقطه واقع بين الباء
والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ
(برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره .
وكذلك قالوا لـ (بنكان) فنجان . ومثلها : الاصفهانى
والاصبهاني وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين
سينا . فقالوا للمصحراء (دست) وفارسيتها (دشت)
قال الامشى :

قد علمت فارسى وحمير وال

اصراب بالديست ايكىم نزلوا

وحولوا كلمتي (بنفشه و لشكر) الى بنفشج
وعسكر . اما حرف (الكاف الفارسي) فقد اكثر
من تبديله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت
كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق)
فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا
حصل ابدالان ، فالكاف مكان الكاف والزاي مكان
الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما فى غربال
التي اصلها (كربال) . اما تحول الكاف العربية والكاف
الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال :
لكام - لحام . كربه - قربيق ، ويعربها بعضهم
(كربج وكربق) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ،
لأننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما
او قافا اذا كانت فى آخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت
فانهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى
(فالودج) ، وهي حلوى من الطحين والنشاء
والشراب ، والعوام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا
تركيا . و(برده) عربوها الى (برديج) وهي السبي من
الجواري او الغلمان . قال المعجاج :

كما رايت فى الملاء البرديجا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد
تحولت فى العامية الى (كشك) . وقد يبدلون قافا
كما فى (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق) .

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلون قافا بالدال
فالجيم مثل : ساده ونموده ، قالوا : ساذج ونمودج .
وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها
حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقليد)
او (اقليد) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلقا باقليد

ونلاحظ انه لم يجتمع فى كلمة عربية الجيم
والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس فى
ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس .
ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا
نصارت هندسة . كما انه ليس فى العربية كلمة مبنية
من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمة ربامية او
خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف
الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والنون
واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ،
فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو
فلذات اللحم التي تقطع للطبخ .

كما كان يتم التأثير عن طريق الجواري او
الاميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي
فكان لابد لهن من ان تؤثر لفتتهن وعاداتهن فى
ازواجهن واولادهن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء
الجواري وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن
يزيد ابن ميادة الشاعر جارية طبرستانية رائعة
الجمال ، كان نقصها الوحيد فى نظره انها لا تحسن
العربية ، فقال فيها :

باهلى ما الدك عند نفسى

لو انك بالكلام تعريينا !

ويتبدى هذا التأثير بواسطة الاسر الفارسية
التي هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل
لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ،
فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابا
صفرة . والعرب اذا كانوا ياخذون اللفظة للحاجة ،
فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدي :

يقولون لي شنبد ، ولست مشنبدا

طوال الليالى او يزول تبير

ولا قائلا زودا ليمجل صاحبي

وبستان فى صدري علي كبير

وشنب : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزودا من زود معناها مجل . ويستان : خد . أو يأخذونها للتفاح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الامثال الكثيرة على ذلك في كتابي : يتيمة الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا بالألم المجاورة ، على أن تأثرهم بالفرس أكثر وأوسع نطاقا . وقد جرت هذه الالفاظ الى العربية في أزمان متفاوتة . فلم ترحمهم كثرتها ولم يعقهم نطقها . ومن الحق أن نقول أن للفارسية فصح وفصل وأب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وتابعة ودينا ولغة قبل الاسلام ، فإننا اثرنا باستقلالهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم بعد الاسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الاسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت اديانهم وذابوا في الديانة الاسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية وعاداتها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق أن الاثر العربي الاول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل .

على اننا لا نلبث نراهم يقتبسون الالفاظ الدينية لتتبعها الالفاظ العلمية ثم الالفاظ الادبية . ورغم أن اللغة العربية هيمنت على الارض الفارسية ، ورغم أن القرون الثلاثة الاولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فإن العربية لم تستطع أن تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل ، وبين الشعراء لحاجتهم الى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الالفاظ الفارسية في القافية دائما لان الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أن ثمانية بالمائة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع ، فقد لاحظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويتمدون الاقلال من ذكر الالفاظ

العربية . وقام ادياء يحضون على الكتابة الفارسية - غير أن هاتين الطبقتين لم تستطعا الحد من التأثر اللغوي للحاجة الماسة الى كل ما دخل من الفاظ ، حتى أنهم انفسهم استخدموا الالفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

وكما دخلت القراءان الكريم الفاظ فارسية فقد دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والتشريف مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال . فاضطروا أن يقتبسوا من الاسم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية اقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

- فمن أسماء الازهار الفارسية : النرجس . البنفسج . النسرین . الخیری . السوسن . الجلتار . الارجوان .

- ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

- ومن الاطعمة : السميد . الكمك . السكبا . الدجاج . الكبة . الخربز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالودج (وهربت الى البالوظة) . الجوزينج . اللوزينج . الزردة . الجلاب .

- ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية (وهي الاكلة المروفة في دمشق خاصة) .

- ومن المفردات الحضارية : مهندس . روزنامه . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (هربت الى قصعة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فنجان . نيزك . زنديق . بازار .

- ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

- ومن الاسلحة والحرب : سبهيد وهو كالامير والقائد عند العرب . دولشي (علم) . طبرزين . جند . مسكر . لجام . صولجان .

- ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر (كاوئر) . ذئب .

ولقد عمد العربي الى ما خف على اللسان ، واستعملت الاذن جرسه ، وان كان عنده اسم لها ، لاستعمار : مسك . ثوت . رصاص . ميزاب .

مكان : مشوم . فرصاد . صرفان . مشب .

— كما اخدوا بعض التراكيب منها :

— جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء) .
سرداب (الماء البارد) سراب (رأس الماء) . زركشة
(التطريز بالذهب) .

— كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من
الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل
بعضها لان اللغة الرسمية في بلاد استانبول كانت
اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير .
يشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج .
بوقالة . تهنأ . بقلاوة . ارمغان . برشت . كشتبان .
بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادباء العرب الكلمات الفارسية
في تراكيبهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء :
« ويسكروا الدرياجة على صفار السمك » .
والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية .
وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة
هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث
مجاهد : يغدو الشيطان بغيروانه الى السوق .
وقبروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في
لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخدوا :

— مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم .
مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث .
قردان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبة .
محراب . منارة . ابليس — زقوم . سلسيل .
حلال . حرام . بركة .

— ومفردات في الادارة والسياسة : خليفة .
ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطأ .
مارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

— ومفردات الدواوين : كتاب . حبر . قلم .
مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى
المشرة .

— ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف .
مخدة . طراز . رداء .

— ومن اسماء الاطيار : فاخنة . قمري .
بلبل . لقلق . هراب .

— ومن اسماء ادوات الرينة : حناء . غالية .
بخور .

— ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء .
طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق .
مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

— ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . قصاب .
بيطار . بقال . صراف . دلال .

— واسماء خاصة بالاطعمة واللهم : قمار .
سفرة . قنينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء .
هريسة . قطائف . قلية . نقل .

— واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم .
طبل . عرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل .
دبوس . حربة . حلقة . قفل .

— واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف .
عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

— كما اخدوا تراكيب وانصلا ، واعتبروها
بشكل مفرد :

سرحدات : رأس الحدود . فهميدم : فهمت
(من الفهم) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع :
ارض لا يمكن زرعها . بالإضافة الى عشرات
المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ،
وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شمرا
فارسيا وجدنا ان النسبة المئوية للمفردات العربية
تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سعى الاديبي ان يقل
من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن
20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان اغلب الالفاظ العربية
التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها
الذي اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة
الفارسية التي دخلت العربية فانها صهرت بالعربية
واشتقوا منها حتى ضاع اصلها على المطالع . وربما
قيض الله يوما لائمة اللغة من الامتين تجمهم حبة العلم
وفريضة الادب ليتعلقوا حول الدواوين والمعجمات
سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر
يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من
تشابهات وصدف . وهل اخدت اللفظة من العربية ام
من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

أخذت من البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جذيرة بالانتباه تدل على مدى التبادل اللغوي بين الالامتين . ذلك أن العرب استخدموا أسماء فارسية لمسميات ، في حين أن الفرس استخدموا أسماءها العربية . وقد حصل هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم) والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش) والفرس يستخدمون (برق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس يستخدمون (قانون)

ونحن نقول أركيلة - ناركيلة ومعناها (جوز الهند) والفرس يستخدمون (خليان)

ونحن نقول كنار ومعناها (طرف) والفرس يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي) والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (غطاء الليل) والفرس يستخدمون (ملافة أي ملحفة)

ونحن نقول خرشة ومعناها (القراضة والاشياء الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيش ومعناها (الانعام) والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب أسماء فارسية وسموا بها مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن (دخت نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود مدن عربية اسمائها فارسية مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم أو الله المعطى . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى منبر . القبروان ومعناها القافلة . ونجد مددا من القرى

والنواحي حول دمشق اسمائها فارسية مثل : مزنة ، كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد تكون هذه التسميات اطلقتها النازحون من بلاد فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل : شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهنار . سوزان . كيتي . مهيار . فرهود . جهان . نوزان . وقد تكون هذه الاسماء أسماء غلمان وجوار وقد تكون استخدمناها تحببا لبرقتها .

واذا دخلت الاعلام الفارسية ، فان اغلب أسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية . فقد تأثرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم . خدا كرم . وقد يستخدمون أسماء الانبياء واسماء آل البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد النبي . وقد يتغير اسم محمد الى مدد ، واسم محمد علي الى مدد لي . ويسمون كلشوم فيقولون لها كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر . صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . تقي . وقد يحرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل أو زينل لابدين . وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة (عبد) : عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين . غلامعلي . كما ادخلوا عليها أسماء الاشهر الهجرية فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تأثروا بأعيادهم التقليدية القديمة ، وأهمها النوروز والمهرجان . وبالرغم من أن الامويين لم يعتمدوا التأثير بالأعياد الفارسية . فانها أخذت تنسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى إذا كان العصر العباسي نقلوا اليها الكثير من عاداتهم ، والتي كان لها النفع الكبير لمحبى الله والطرب ، والأثر في الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد أي عيد رأس السنة ، ويأتي في 21 آذار من كل عام ، ويعتبر أول الربيع ، وهو أعظم أعيادهم . أما المهرجان ولفظه الفارسي مهرگان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في أول الخريف ، وأوله 23 ايلول . وأهم أمر في هذين

المعدين اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم
الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم سيدنا علي كرم الله
وجهم طعام فارسي ، فاحبه وسال : ما هذا ؟ قالوا :
هو النوروز . فقال : نورزونا كل يوم . كما يحكى ان
الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان في
الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت في
العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على
حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من
الشائع ان نسمع عن النوروز في الشعر ، كما في
قول البحري وهو يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يخال ضاحكا

من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النوروز في غسق الدجى

اوائل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المتنبي ابن العميد وهو يهنئه بعيد
النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده

وورت بالذي اراد زناده

عظمت ممالك الفرس حتى

كل ايام عامه حساده

ووصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا
عبد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا

اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته

كيف شادت مخيرات الاماني

اما الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام
بين الامتين : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل
ظهورهما في الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ وصور.
واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز
ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع
قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب
وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني
الادب الذي يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان ترمع ونشأ
في حقل الادب العربي ، وبعد ان غلته اللغة العربية
والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها
واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا كتبهم الادبية وجدناها زاخرة
بالاقاصيص العربية والحكايات الشهيرة كحكايات
حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم
هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير .
قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القروان
والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمتنبي
والعري ، وكذلك تأثروا بالمقامات . والفوا على منوالها
في القرن السادس الهجري . على انهم اذا بدأوا
مقلدين للمذاهب واغراض الادب والشعر فانهم ما
لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة
انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما الادب العربي فقد تأثر بدوره بالادب
الفارسي وثقافته ، ذلك ان كثيرا ممن دخلوا في
الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية ، وسرمان
ما ظهر منهم ومن نسلهم كتاب وشعراء بالعربية
في حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما
- في بادئ الامر - ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ،
اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى .
موسى شهورات . فهؤلاء وغيرهم نشأوا نشأة فارسية،
وتأدبوا بالادب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بال قالب
العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم
عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ،
والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية في
شعرهم العربي الذي يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على
العرب ، كان يستوحى من تراث اجداده ما يقدر
ويتخيل ما كانوا ليعرضه بشكل تفاخر ، كقول
اسماعيل :

رب خال متوج لي ومهم

ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفر

س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركي الفخر يا امام علينا

واتركي الجور وانظقي بالصواب

وانسالي - ان جهلت - عنا وعنكم

كيف كنا في سالف الاحقاب

اذ نربي بناتنا وتدسو

ن سفاهنا بناتكم في التراب

وكان الشعب في السامعين ، فقال له : صدقت
والله ، اراد العرب بناتهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ . قال اشعب : دفن العرب بناتهم خوفا من العار ، وريتموهن لتكحوهن ، (ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم وخجل اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب قداماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار: وفي كتب المعجم كذا ، وقرأت كتاب ابرويز الى ابنه شيرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء عن اخلاق ملوك الفرس وادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهلها ، ويرون مدنيته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم وفي شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم انراجيز وجريز والفردق العراق ، وابو تمام والمنتبي فارس . وقد كان الفرس شديدي الامجباب بالشعر العربي فكانوا يتوخون محاكاته في كل اشكاله واغراضه .

فالموضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع لموضوعات العرب كالمديح والفخر والهجاء والغزل والرثاء والوصف والحكمة ، وتفوتوا في موضوعات الحماسة والقصاص ووصف الطبيعة . وقد قلدوا العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر متوجهمي في القرن الخامس الهجري وهو اول من قلد الاطلال . كما قلدهم في بكاء الديار والاناير كما فعل خاقاني في وصف ايوان كسرى الذي سبقه البحتري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين البلخي مدينة بلخ عندما خربها الفز سنة 548 هـ . كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخذوها من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرعوا في الشعر القصصي ، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي للشاهنامة التي يزيد عدد ابياتها على خمس وخمسين الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلي والجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تأثر العرب بها واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي فقد نشأ العروض الفارسي في احضان العروض العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه . الا ان الفرس تأثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر طواعية لفتحهم واقرب الى انطباعهم ، واصلوا ثلاثة ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المتنوي أي الشعر

مزدوج القافية بين الشطريين . كما اخترعوا الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب . وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تأثروا بالصور الفارسية : الكميث . المتابي . الفردق . البحتري ابو تمام . المنتبي . المعري . وتورد بعض الكتب الادبية قطعاً وابياتاً تشير الى انها مقتبسة عن الشعر الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، وبتيمة الدهر لابن قتيبة ودمية القصر للباخري . على ان المجال الضيق لا يسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك . ونذكر ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن البلاغة ، فقد كانت قواعد الاسلوب الادبي الفارسي مطابقة تماماً لقواعد الاسلوب العربي من حيث الابعاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ، لانهم نظموا باللغتين فسما (ذوي اللسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل المكشوف قبل ان اختتم الموضوعات الشعرية . فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجروا بها ، وشربوها ، وحرمها القردان ، ووصفها الشعراء . وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع والجرأة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا من الشعراء الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي لم يبدأ قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان الاخطل وشارا وابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه العرب عند تماسهم بالفرس قسح الطريق لمثل هذا اللهو اكثر .

والغزل المكشوف كان معروفا كذلك عند امريء القيس والنايفة والامشى منذ الجاهلية ، وعند الاخطل وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي . ويزداد الغزل المكشوف حرية حتى يبلغ العصر العباسي عند بشار وابي نواس واسماعيل بن يسار وغيرهم . ولم يتأثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي للسبب الذي ذكرناه في الخمرة ، ولكنهم تأثروا بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجرأة في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الفلمن والسقاة . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بال مؤنث وضمير خاص بالذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الإشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل النادى مذكر ام مؤنث ، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الغزل الفلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الفلمن والترف هي التي سادت الشام والحياء الى هذا اللون من الغزل . وجددير بالملحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الغزل المكشوف والغزل الفلامي .

وما يقال من كل ما مضى من تبادل في التأثير والتأثير نقوله من القصص والحكايات ، فقد تأثرنا بأساطيرهم وحكاياتهم وأثروا بهم في حكاياتنا وقصص قراءتنا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثيرا في الامم وفي ادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمأنوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وأبي تمام . ولا أدل على تأثرهم بالادبان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على ادبان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها من الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله قباز وعين مكانه الحارث ابن عمرو امير كندة بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بمقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تأثرت المعتزلة بمسألة الجبر والاختيار . ومن الجددير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورثوه من اجدادهم ، ولم تمنح من مخيلتهم علائم دينهم القديم فأضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس طلماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم واداءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسألة) الرد على المأنوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم فرقا ، وشنتهم مزا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسألة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج عن ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التأليف الواسعة ، والاطلاع على الفاسفة . ومهما فشلت هذه الحركة من مزاعم يشوبها الخطأ ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الادبين العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناوأة شديدة في العصر الاموي، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخنفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وعلما وغمصت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديمه يقول :

انا ابن المكادم من نسل جم
وحائز ارث ملوك المعجم

ومحيي الذي باد من هزمهم
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فعودا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الغنم

وقد امتدت حركة الشعوبية الى ارض الاندلس
بلون دأخر ، فقد ألف ابن غرسية رسالة في التهجم
على العرب ، فرد عليه عدد من الأدباء منهم : يحيى
ابن مسعدة وابو جعفر احمد البلسني .

كما ان الموالي ناهضوا افكارهم بتلفيق احاديث
مكدوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) .
من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم
منه عاجلا او آجلا . كذلك اخترع العرب احاديث
ترفع من قيمة العرب وتحط بالمعجم ، من ذلك :
" من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تنله
مودتي " . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل
الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضررتها . كما ان
انتصار الموالي للرواية الفرس كآبي عبيدة ، وانتصار
العرب للرواية العرب كالاصمعي لم يأت بالنفع بل
اى بالضرر . ومن اجمل الردود على مزاعمهم
الشعوبية قول المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها مجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا هود لهم ولا ذمم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يفتخر
عنيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى
الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفرس
اثر كبير في الاخلاق السامية والاداب من ناحية
حكمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة
مؤثرات :

1 - بالتعاليم الدينية التي وردت في القران
والانجيل ، ومن الانجيل والتوراة .

2 - بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصر
العباسي .

3 - وثالثاً بحكم وافاسيمس الفرس او ما نقل
بواسطتهم من الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء
ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب
الادب بها ، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثال هذه
الحكم ، هيون الاخبار ، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ
وابي حيان . المقدم الفريد .

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب
واستخدموها :

- اذا جاء البعير حام حول البير .

فاني سألوه سرير الملوك

بعد الحسام وحرف القلم

ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ،
هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم
بالغزل وبكاء الاطلال ، ودهوته الملحة الى بدء القصائد
بالخمريات . ولا يمكننا - كمرب - ان نعتبره تجديد
في الادب لان ابا نواس احاط برغبته هذه بالسخرية
والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان
يستطيع ان يجدد بغير تنذر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها

وعجبت اسأل من خمارة البلد

دع ذا ، هدمتك ، واشربها معتقة

صفراء تمتق بين الماء والزبد

كم بين من يشتري خمرا يلد بها

وبين بالك على نؤى ومنتفد

اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي ،
حينما عجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحوا
مدائحهم بالغزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم

اكل فصيح قال شعرا مثير ؟

لحب ابن عبد الله اولى فانه

به يبدأ الذكر الجليل ويختتم

على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر
بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار .
فمن الكتب التي الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي :

- فضل المعجم على العرب وانتصار المعجم من
العرب . تأليف : سعيد بن حميد البختكان .

- ادمياء العرب . لصوص العرب . فضائل
الفرس . تأليف : ابي عبيدة معمر ابن المثنى .

- المثالب . تأليف : علان الفارسي . المثالب
الكبير والمثالب الصغير . تأليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقدت ،
ولم يبق بين ايدينا الا الاسم ، والا النور القليل
منتشرة في كتب الادب وهيون اخبارها . ومن اهم
الكتب التي ردت على مزاعمهم :

- العرب - لابن قتيبة . البيان والتبيين
للجاحظ .

- سألوا الشعب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .

- احذروا صولة الكرم اذا جاع ، واللثيم اذا شبع .

- اذا اردت ان يقبل قولك فصصح رأيك ولا تشوبه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله منك العدو ، والهوى يردده عنك الولد والصديق .

- اذا كلمك الوالي فاصغ الى كلامه ، ولا تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسي .

- استح الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل ، مصرحا او معرضا . الى غير ذلك مما تزر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القروان والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمنتبسي والمصري وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامور التي ادخلت العربية في الفارسية ، والفارسية في العربية التصرف ، والجواري خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخل نظام التسري الى الاسر العربية عادات وتقاليد والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنونا وموسيقا ما كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجواري من بلادهم .

ولقد كان العربي يشتري القينة لفن تجيده ، والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن وهرفوا منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهار ورقة الفناء والوان الطعام . كان كل ذلك يتابع للشعراء على تلاوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن

عربية . واذا استهجن الامويون ابناء الاماء فان اغلب امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات وغير فارسيات .

وختاما لحديثي ، انه لمن الخطا والفلو - كما يقول احمد امين - ان نعتبر ان العرب كانوا بمعزل مما حولهم من الثقافات والاديان ، وان آراءهم وآدابهم وعلومهم نبئت وحدها من عقول عربية ، من غير ان تفدى بغيرها .

فقد راينا انهم - حتى في جاهليتهم - لم يكونوا بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافي اية امة ، فالعلم ملك شائع ومرفق مباح يفترق منه الناس جميعا ، وليس له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسات ، وانما الذى يقدح فى الامة حقا ان تفضى عيونها ، وتسده اذانها مما حولها من نظريات وافكار ، او ان يدنمها التعصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم تبتدع . كما على الامة ان تبحث عن تراثها ، ولا تتهاون فيه ، وتحافظ عليه ، فهو اللخيرة الدسمة والمجد الاثيل الذى عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيق بين الادب العربي والادب الفارسي الاسلامي فى العصر العباسي قدما لزاما على دارسي الادب العربي من الفرس دراسة الخطوط العربية على الاقل للادب العربي ، واصبح من الضروري لفهم الادب العباسي العربي تفهم الثقافة العربية التى كانت مفرعة من ارض الجزيرة العربية شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة تطور الادب الفارسي لمعرفة الجديد فى ادبنا والجديد فى ادبهم .

لغة البادية

الأستاذ عبد الله بن خميس
«الرياض»

هذه الصفات دلت بالامراء ، والرؤساء والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يبعثوا بابنائهم الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطى الشاب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضيًا متينًا ، وتكوينًا متكاملًا فارها .. تعطيه قوة الشخصية ، واستحصاء الرأي ، ونفاذ الإرادة ، ومصادر الشجاعة والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة المعارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، مينا وشجت مروقه ، وعلينا تدلت فصوصه ، فنحن نجني منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما امولوح وخبث ..

وقال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتع ، ولا ارفع ، ولا اثنى ، في الاسماع ، ولا اقود للطباع ، ولا اتمق للسان ، ولا أجود تقويمًا للبيان .. من كلام الاعراب الفصحاء المعلاء .

ووصلهم العارث بن كدة امام كسرى فقال : لهم انفس سخية ، وتلوب جرية ، وعقول صحيحة ، وانساب صريحة يبرق الكلام من أفواههم — مروق السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارقي من الهواء يطعمون الطعام ، ويغربون الهام ، وعزم لا يرام ، وجارهم لا يضام .. ووصف اهدم امرأة فقال : كاد الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

واوجز اهدم تصيدة كاملة في جبلة مقتنبة فقال : سبقنا الحي ، وفيهم ادوية السقام ، فقران بالحق السلام ، وغرست اللسن من الكلام ..

البادية خلاف الحاضرة ، وجميعها بسوادي ، وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بدائي ، بالفتح والكسر ، وبدوي ايضًا .

وهي من بدا اذا نشأ ، أو اذا ظهر وبرز . وهو الأرجح ، لبروز البادية في الفياحي والقفار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يقتبسون مساقط الغيث ، ويطلبون الكلا والمرعى لماشيئهم ، ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصل الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من المياه . والبادية هي اصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ، وسفر لغتهم المعتمد ، منها تكونت الحواضر ، واليها ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تفرعت الشعوب والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل ، وفي الاسلام — كما قال عمر — اصل العرب ومادة الاسلام . صريح اللغة ومصيحها مصدره البادية ، ومادات العرب الكريمة ، وتقاليدهم الاصيلة ، ومميزاتهم الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المقاويل ، والخطباء المصالح ، والمتكلمون اللسن .. اعلامهم ، ومبرزوهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سحنهم ، ولم تثن السننهم ولم تغفل لهم صعدة ، ولم تقل لهم حد .. يتكلمون بالسليقة والفطرة ، منتثر شفاهم من قول نعل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر من طبع أبي ، وخاطر ذكي ، ولسان ذرب طلق ..

في هذه البيئة المتأبئة ، واللغة الصريحة .. تربي
سيد العرب عليه السلام ، وتربي اعلام الخلافة ،
وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن
الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقته البادية ،
واصلحت لسانه ، فكان لحنه ، وظل لحنه وصبة عار
في تاريخه . قال ابوه : اضر بالوليد حبنا له حيث لم
نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد مقرأ في خطبته : يا ليتنا
كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز :
عليك واراحنا الله منك .

وعن البادية اخذ علماء اللغة فصيحهم ،
ومتوحيهم ، وتعلموا في اختيار الانصح ، والا بعد عن
الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فمعنوا عناية فائقة بما
دونوه ، فاخلصوا لغة العرب في صميمها الذين لم
ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخدشها شذوذ . ولم
يدخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ،
واسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاعة ،
وغسان ، واياذ .. لجاورتهم اهل الشام . وكذلك
تحاشوا لغة تغلب ، وبين الجزيرة ، وبكر ، وعبد
القيس ، وازد عمان ، واهل اليمن ، وبني حنيفة ،
وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولمجاورة الآخرين
للإحباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، ونقل ، واختلاط
بمشبوهي اللغة ..

فاخلصوها من تلتة بهراء ، ومن ططمانيية
حبير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ،
ومغلفة هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، وعجمجة
قضاة ، وشنشنة اليمن ووتها ، وعجرفة ضبة ..

ومن اخذ عن البادية ، ولقيهم في مراتبهم
ومراتبهم ، وسمع منهم : يونس بن حبيب الضبي ،
وخلف الأحمر ، والخليل بن أحمد ، وأبو
زيد الانصاري ، والاصمعي ، وأبو مبيدة ، والكسائي ..
وهؤلاء هم من اول من رحل الى البادية واخذ عنها ،
وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء في القرن الاول يعتمدون الفطرة ،
ويرجعون الى السليقة ، ويستأنسون بمن يلقونه من
الاعراب ، ولما أوغل العلماء في التحقيق ، وتأنسوا في
الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية
من البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر
ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الاعراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا في سلامة لغته ،
امتنعوه ، وربما وضعوا له تياسا غير صحيح ، او
جمعا غير وارد ، او لفظا غير فصيح ، فان نطق به ،
أو أقره ، طرحوا لغته ، وان بُيت سليقته ذلك أخذوا
عنه ..

قال الاصمعي : سمعت أبا عمرو يقول : ارتبت
بمصاحبة اعرابي ، فأردت امتحانه ، فقلت بيتا .
والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسحب
صار لحسم النصور والمقبشان

فانكرني ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى
قالها مرات : فعلمت ان مصاحته باقية ..

وقال ابن جني : سألت مرة الشجري - وهو
اعرابي من عقيل ، كانوا يرجعون اليه في اللغة -
ومعه ابن عم له ، كان دونه في النصح ، وكان
اسمه غصنا - فقلت لهما : كيف تحتران حبراء ؟
فقالا : حميراء ، وواليت من ذلك احرفا وهما يجنيان
بالصواب ، ثم دسست في ذلك طباء ، فقال غصن :
عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء : تراجع
كالمذمور ، ثم قال : آه عليي ..

وقال في موضع آخر : سألته يوما - يعني
الشجري - : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت :
فسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان ؟ قال :
عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثمانين ؟ قال : أيش
عثامت ؟ أرايت انسانا يتكلم بما ليس من لغته .

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من
البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على
غير مهيج صرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ،
والقول الفصل .. في كل ما تكلمت به أمة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام .
برميل ممتاز من الشعراء المقاول ، وبصفوة من
الخطباء المصانيع ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما
تفيض به ترائع القوم ، وما تدفق به خواطرهم ..
كانت تلك اللحظة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ،
وترشيعا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة ..
فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غايية في
الابداع ، ونموذجا حيا في تاريخ اللسان العربي .. والا
لها وقعت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المقاول ،
موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكايتهم الفطري واستعدادهم الذهني .. قوم استماع ولهم لحسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا في تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لفته ..

سأل عمر بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لفظة التخوف : التقتص . قال عمر : هل تجد له شاهدا من لغة قومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرجل منها تامكا تردا

كما تخوف عود النبعة السفن

وكان ابن عباس - وهو حبر الامة ، وترجمان القرآن - يقول : الشعر ديوان العرب : ماذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتبسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثم يكتنفه الناس ، يسألونه عن التفسير ، وثبته من كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما سألته عنه نافع بن الأزرق .

وثابى سليقة الاعراب ان تقبل ما خرج من مقاييسها الفطرية ، او تفهم ما جاني لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل امرابي على الوليد بن عبد الملك - وقد اسلفنا انه لحيان - وكان عنده عمر بن عبد العزيز ، فقال الوليد للامرابي : من انت بوصل الهمزة ؟ فظن الامرابي انه يقول : مننت فقال : المنة لله ولا مبر المؤمنين . فقال عمر بن عبد العزيز : ان امير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شأنك وفتح النون ؟ قال جدري في وجهي ، وفتح بساتي . فقال عمر بن عبد العزيز : ويحك ان امير المؤمنين يقول : ما شأنك وضم النون ؟ قال ظلمني ختني . قال الوليد : ومن ختنتك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا امير المؤمنين حجام منذنا بالبادية قال عمر : ان امير المؤمنين يقول لك : من ختنتك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا ندرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعدنها الاصيل ، وهي المرجع فيما اختلف فيه ، حتى في الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لفتها من انكاسات ، وعلق بها من اوضاع ، وداخلها من حجة.. مما جعل الممول في حفظها ، وبقائها .. على القرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تمتاز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبياناتها الجميل .. فلي هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. تبادل ثابت لفتها على الواكز واللاكز ، وانفت من اللغسة الحضرية اللينة الملحونة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة، ولا تواكب لغة امرئ القيس، والناطقة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل في الحسبان اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء نهم قبيلة لهجة اخرى في بعض الاستعمالات والمسميات. ومعلوم ان لغة القرآن حصرت في لسان قريش .. كما نجعل في الحسبان ايضا ما هنالك من تسهيل في الهمز، وتسكين لواخر الحروف ، وادغام لبعضها في بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يتفق فيه اطلاق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون.. ظنهم يرتفعون عجة موغلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتفهم حقيقة النطق .. تكشفت له حقائق ما كان يظنها باقية في قومه .. وبرز ما يكون هذا في بلاد عسير ، وسراة تحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجد ..

في احدي زياراتي لتلك المناطق ، كنت يوما جالسا في دكان أحد الاخوة في مدينة ابها ، فدخل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الغامق، ويلك اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا من جنبه ، برداء سهك اغبث ، يشد وسطه على خنجر مفرطة الطول ، بحزام من الادم - هذا الرجل قصير اسمر ، نحيف ، حاري الاشاجع ، تتوقد عيناه ، وتريغان نظرها هنا وهناك ، مكشوف الرأس ، من لمة منسدلة على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا في جوانبها طاقات من اقصان البعشران والشيخ .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فهمه صاحب الدكان وأنا لم افهمه .. ولما قضى حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، ومطررة، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فآخذ يسأله عن قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيتة ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة.. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة،

ويسمون المنجل : مخلصا
ويسمون البندنية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الاخرى ، عن اختها .. غير انها تلتقي في صميم اللغة ونصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتلقى أهلها على نقد ما تأباه اللغة وتكرهه .. ادخل احد الحضريين انفه في حديث في الابل ، بحفرة رجل كبير في بلادنا ، فجاء هذا الواغل بملرد للابل ، فقال : ما راينا ولا (بلة) واحدة ، فكانت مثار سخرية ، وهمز وغمز ، واستهجان وممـرروف ان الابل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : ابل واحده للمجموعة الواحدة من الابل ، وفي المجموعتين من الابل يقال : فلان يملك ابلين . ويقولون اذا تجاوزت الابلين : فلان يملك ثلاث رعايا ، او ثلاث مصي ، فيكنى بالمصا من الابل . وهكذا .

واسماء اعضاء الناقة ، واجزاء جسمها ، تختلف عن اسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرها ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. لماذا أعطى حضري ، او مستعرب ، اسما او صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني ، فقد استهدف للنقد ، وتعرض للسخرية والهزاء ..

ونجد ان من يعيش في احضان البادية من الحاضرة ، او يكثر الاحتكاك بالاهراب ، او يعيش في قرى او مواضع تربها البادية .. نجد لفته تتسم بالفعولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ اقدم العصور ، تغنى به وفخر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب ، وولج شتى الابواب .. ولم يزل كذلك لما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعتزف لهم بسلامة اللغة واصالة المنطق ؟

رغم ان شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعبيا ، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر غارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على الف سنة ، ولكنه ينزع الى اصله ، ويمت اليه .. تقرأه على انه شعر شعبي ، ويقرأه الكل كذلك ، ولكن اذا وقفت عنده وقفة السدارس ، وارتدت ان تواشج بينه وبين الفصح ، وجدته يعود اليه ، ويعمل في أوزانه ، ورويه وقوائمه ، عليه ، ويلتقي معه في أغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجبال ، ودفقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتعجب ..

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وترك الهمز في بعضها ، لم يفتني من عربيته الاصلية شيء ..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة . ومعلوم انها ربيعة اليمن لا ربيعة اخت مضر .

اما بادية نجد ، فهم صميم القبائل التحطانية ، والمدنانية . تحطان ، والدواسر ، وسبيع والمجان ، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهمول ، وعتيبة ، ومطير ، وشمر ، وحرب ، وعنزة ، والقرينية .. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من السير على العارف ان يلتقي فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من ايسة القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك انه من القبيلة الفلانية ..

مثلا قبيلة شمر ، تشير الى شيء من لهجتها : هي تقلب الهمزة (شيء) الى نون ، فتقول : ما رايت شيئا ، وما وجد شيئا ، وما حظيت بشيئا .

وهي ايضا تستعمل لفظ (دهج) بمعنى مر ، او الم ، تقول : دهجت المنهل الفلاني : يعني مررت به ، او المت به .

وتستعمل (نهج) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب او سافر ، او راح .. كما ان لهجتهم على مذهب القائل :

ايها السائل عنهم ومنسي
لست من قيس ولا قيس مني

فهم يحذفون نون الوقاية ، من (من) و (من) الشاذ حذفها فبها لغة ، اذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون فقط . وهل سأل عني بكسر النون فقط وهكذا ..

وهم ايضا يقلبون الهمزة من (ماء) نونا فيقولون : مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير يضمونها ، فيقولون : ما به مان : أي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريرا ، وهذه موافقة للغة القرآن .

ويسمون السنبيل : سبلا

ولسه ايضا :

علي من قديم العمر نفس عزيزة
امض على مصيبتها بالنواجذ
منذ نعومة اظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ،
ولا ترغى بالهون ، واذا راودتني مصيبتها ، ومضت
على مصيبتها نواجذي ، فهي عزيزة ابدا ..
وتولسه :

مقام الفتى في منصب المز ساعة
ولا لك عام يصحب الذل صاحبه
فلا بالتمني تبلغ النفس حظها
ولا بالتاني فاز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن الا ساعة
واحدة ولو هاش الف عام ، وهو في ذل ، فليست
حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورغى
التنني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات ..
فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتمس من غرط في
الفرص واضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

تأبى من الطمع الزهيد نفوسنا
ومروجنا تأبى عن الفحشاء

نفوسنا ابية لا تتودها المطامح الى ذلّة ،
ومروجنا علة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصلوات
صلاتهم .

وقال بركات الشريف :

فلا تعد تعدلاني لاني من وقوفي بريمها
فمن قبلكم خالفت بالنصح عذالي

اروم الامور العاليات بهمة
ويمعني خذلان تومي واقلالي

وجزت لجاج الارض شرقا ومغربا
على كل عيص تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بمد اجتهداه
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع ..
يجده ذلك الشعر الفصيح بعمقه ، بل يمتاز عليه شعر
البادية اليوم ، او الشعر الشعبي ، بانطلاقه من
بيئة عربي اليوم ، ومجتمعه ، وحمله طبع العربي ،
وصفته كما خلقه الله ، من غير تعجل ، ولا تعجل ،
حيث ينطلق من الخباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة ،
والقرية ، والمسكر . الخ .. اما شعرنا الفصيح اليوم ،
فهو ابن المدرسة ، او المدينة المترفة ، او المجتمع
المتحضر ..

تعالوا نستقريء طاقة من شعر البادية ، ونطمس
خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ما جد القباني :

لما الناس الا من تراب معادن
وما طاب من تلك المعادن طابا

بيت من تصيدة شعبية طويلة ، قالها امرابي في شملته
انطلق ليها من سجيته ، وقرأها كما يقرأها غير من
رواة الشعر الشعبي ، ومريديه ، بلغة عامية دارجة ..
ولكن حينما تعود بهذا البيت الى اصله ، بصفتك دارسا
للشعر الفصيح ، ومتذوقا له ، الست تجده بيتا موزونا
متقنا ، سليم اللغة بكر السبل يرمز الى حكمة نبوية
كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ.

ثم اقرأ للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شقا لو ندييه
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دابا لو دابناه على
ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على
لغة من لا يهمز ، وقلب الهمزة ياء ، كما هو شأن
الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله فوفها
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما تويت فهناك يد اقوى منها ، هي يد
الله ، وكل غالب قاهر ، فله اقوى منه ، وقادر على
قهره وحمره .

الى ان قال مادحنا :

فتى لا يرى الاموال الا ودائعا
لديه سوى سيف ورمح وسربال

وعدة بولاد ولدن ممن القنا
وصنرا ملنداة من الخيل مصال

الستم معي في ان هذا الشعر الى جانب كونه
محبيا فمصبيا ، فهو يحمل صورا حية من الجمال ،
ولفات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانه
بهذا يمثل الشعر العربي الفصيح ، رغم انه قيل
بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟ !

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نشرها وشمرها ،
تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الابرار ، وتشف من
طباعهم الكريمة ، وأخلائهم المثلى ، وتنبيء عن الامرة
التي تربطها بالفصحى ..

لنا اذا لغة في بطون الاسفار ، نجترها ، ونرجع
اليها ، ونصدر عنها .. تلقتي أخرى توارثتها السنة
الأجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها
السليقة ، ومنطقها الطبع ، وحارسها الفيرة ..

وعلى الغياري من علماء هذه الامة وأدائها في
هذا الجيل مسؤولية حملها اياهم اسلامهم البسرة
الاوفياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبة
وربية ، ولم يزالوا توأمين عليها ، فبرا على حماها..
يلقون ما يخدم لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلون ما
يأنفونه بالرد الموجه ، ويلاحقون الواغل الدخيل ،
كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت اليها ..

نما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، في عصر
العلوم ، والفنون ، والمخترعات . وعصر تواصل
الامم ، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة —
تقليد الاضعف للاتوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه
التيارات ، وتنقصها من اطرافها ، وتنازعها البقاء ..
تريد منا غيرة ولا كفيرتنا على التراب ، والكيان ،
والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية — وقد علمنا مكانتها من
لغتنا وقومنا — ان نتخذ الوسائل الكفيلة برعايتها ،
وحمايتها وجعلها منطلقا لحياء لغة الضاد ، سليقة
وطبعا ، في السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو
ما كان اسلامنا يعملون ، في الاستفادة من لغة البادية،
وطبعمها ، وخشونتها ، ورجولتها ...

واننا ان شاء الله لفاعلون .



الصِّراع بين الفصحى والعامية

أو أثر الازدواج اللغوي في أسلوب يوسف السباعي

الدكتور زكي عبد الملك

أستاذ الأدب العربي والعلوم اللغوية
جامعة يوتا (الولايات المتحدة)

واللغة الفصحى مشتركة بين العرب أينما وجدوا فالمغربي يقرأ ما يكتب في مصر فيفهمه ، والمصري يقرأ ما يكتب في المغرب فيفهمه . أما اللهجات العامية فتختلف باختلاف المناطق ، واستخدامها في كتابة الأدب يحول بين الأدباء في كل منطقة وبين القراء في المناطق الأخرى .

بقيت حجة أرب منها الدكتور محمد مندور حين زعم أن العامية الدارجة تطبيق مادة بالتعبير عن أعمق المشاعر وأدق المعاني « بحكم أنها لا تزال مقصورة على حياة الأميين الذين لا يستعملونها إلا في التعبير عن حاجات حياتهم الضيقة في تنوع المشاعر ودقة التمييز بينها ، فضلا عن عمق الخاطر أو أصالته » (3) .

ولما ظهرت القصة الحديثة في الأدب العربي ونشأ فن المسرح العربي الحديث ، أخذ بعض الأدباء يتبرمون باضطرابهم إلى انطاق الشخصيات القصصية والمسرحية باللغة الفصحى . وتساءل أولئك الأدباء : ألا ليس عجيبا أن يجري الحوار بلغة فصيحة متينة السبك بين أشخاص لم يصيبوا من الثقافة كثيرا ولا قليلا ؟ اليس ذلك مما يفسد القصة والمسرحية ويثاقل

في العالم العربي ازدواج لغوي قوامه اللغة الفصحى واللهجات العامية الدارجة . فإما اللغة الفصحى فتستخدم في أكثر الأغراض الكتابية كما تستخدم في أكثر الأحاديث التي يقلب عليها الطابع الرسمي . وأما اللهجات العامية فيستخدمها الناس في غير تكلف لقضاء حاجاتهم العادية . والأغلبية الساحقة من المثقفين في البلاد العربية يرون أن اللهجات العامية لا تصلح للتعبير الأدبي ، ولهم في ذلك حجج يجدر بنا أن نعرض لها في أيجاز :

وأهم تلك الحجج أن اللغة الفصحى لغة القردان وعلى معرفتها يتوقف فهم القردان . لذلك تحمل علماء اللغة فيما مضى الوانا من المشقة وضروبا من العناء في شرح قوامها (1) ، ولذلك يابى العرب اليوم أن يستبدلوا بها اللهجات العامية في كتابة الأدب فيقصوها من حياتهم أقصاء لا تدري تعود بعده أم لا تعود .

ثم أن اللغة الفصحى تعتبر منذ العرب أولى من اللهجات العامية وأدلب ، واتقانها دليل عندهم على الثقافة العالية والذوق الرفيع . ليس غريبا إذن أن يرد طه حسين جهل فريق من الشمره بالفصحى إلى الكسل والتقصير والقصور (2) .

- (1) « المقدمة » للعلامة ابن خلدون (القاهرة : مطبعة التقدم) ، الجزء الأول ، ص 455 .
- (2) « حديث الأرباء » لطف حسين (القاهرة : دار المعارف ، 1957) ، الجزء الثالث ، ص 200 - 201 .
- (3) « المسرح النثري » للدكتور محمد مندور (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، 1959) ، ص 81 .

بهما عن الواقع الذي تجتهدان في تصويره ؟ ومع ذلك ظل أكثر الأدباء والنقاد يرون **اللفة الفصحى** غير أداة للتعبير في **المسرحية والقصة** ، ويقاومون استبدال العامية بها ؛ فالدكتور محمد مندور مثلا لا يتردد في رفض الدعوة الى استخدام العامية في المسرحية ، وهو يعمل رفضه على النحو التالي :

« كل مسرحية إنما هي حكاية حال ... ولا يمكن أن تكون حكاية لسان ، فالمؤلف لا ينطق لسان مقال شخصياته الروائية بل ينطق لسان حالهم ، والواقعية ليست في اللفة وإنما في التصوير النفسي للشخصيات ومدى مطابقة هذا التصوير لواقع الحياة الظاهر منها والخفي ، والذي تستطيع الشخصيات التعبير عنه أو لا تستطيع . والذي يحدث فعلا هو أن المؤلف يعبر بلفته هو ولسانه ، وكل ما يطلب منه هو أن يأتي تعبيره صادق التصوير لواقع شخصياته . وسبب في ذلك - من الناحية الفنية - أن يستخدم لغة عربية فصيحة أو عامية أو أية لغة أخرى » (4) .

والأديب المصري يوسف السباعي ممن يرون أن للعامية في القصة والمسرحية دورا يجب أن تؤديه . وقد عرضه ذلك لنقد عنيف رد عليه أكثر من مرة ثم تظاهر بالاعراض عنه ، ولكنه تأثر به ما في ذلك شك ، فقد مر أسلوبه القصصي بمراحل ثلاث : كان في المرحلة الأولى أسلوبا جزلا فصيحاً يكثر فيه الاستشهاد بالشعر ويوشك أن يبرا من العامية . ومن خير الأمثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب « أطباء » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1947) ، فانت تقرا فيه الصفحة تلو الصفحة فلا تجد من العامية (5) إلا ألفاظا قلائل متفرقة ، يدل عليها المؤلف ويميزها من بقية الألفاظ كأنه يعتذر منها الى القارئ : (6)

اني لم أرك منذ كنت تصطاد السمك على شاطئ الترمه « بالبنطلون القصير »

ما زالت ذاكرتك قوية « يا هم محمد »

سأجهز لك « سنارة » لصيد السمك .

وقد تجد بين صفحات الكتاب أحيانا ما يبعث في نفسك شعورا قويا بأن المؤلف يشق على نفسه في الكتابة ، ويتكلف من العناية شيئا غير قليل في اختيار الألفاظ حتى تستقيم له العبارة ويبرا أسلوبه من العامية : (7) .

— قم يا ابن اللبنة . ماذا تفعل ههنا ؟ ناله لئن رأيتك خطوت الى هنا مرة ثانية لأدقن عنقك .

— لتقر عيناك يا أبا لهب ، ولتهدا بالآ . لتتخذن لك من داري مأوى ومخبا .

وفي المرحلة الثانية تنقسم القصة من حيث الأسلوب الى قسمين : القسم الأول هو ما يقدمه السباعي نفسه بين يدي القارئ من تحليل ووصف للزمان والمكان والأحداث والشخصيات . واسلوب هذا القسم فصيح رغم أن الألفاظ العامية تتسرب اليه بين الجين والحين . والقسم الثاني هو الحوار ، وأسلوبه عامي ليس فيه من آثار الفصحى إلا الهجاء . ومن خير الأمثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب « السقامات » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1952) الذي شرح السباعي في مقدمته موقفه من العامية :

« التقيت ذات يوم بالاستاذ أحمد بك عباسي كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، فأنباني أن الوزارة كانت توشك أن تقرر بعض كتيبي لمدارسها لولا أن اللجنة المختصة رأت أن الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية

» وعلى هذا فلم أكد أبدا هذه القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبها التي تنفر من اللفة العامية، وعزمت أن أقيم سراجا منيعا يحول دون تسرب الألفاظ العامية التي تأبى إلا أن تفرض نفسها فرضا في سياق الحديث . وأخذت في الكتابة محاولا إجراء الحوار بين أبطال القصة باللفة الفصحى ، ولكني لم أكد أكتب بضع صفحات ، ولم أكد « أجسي » في الكتابة ، حتى وجدت أبطال القصة ينطلقون على الرغم مني في الحديث بالعامية

(4) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

(5) اللهجة العامية التي يستخدمها يوسف السباعي في قصصه هي اللهجة القاهرية .

(6) ص 82 .

(7) المثال الأول مقتبس من صفحة 25 والثاني مقتبس من صفحة 28 .

« ولست أشك أننا في فترة صراع بين العامية والفصحى »

« وهذه قصة يبدو فيها هذا الصراع بين الفصحى والعامية . ولا جدال هناك في أن الغلبة - في الحوار - للعامية ، لأنه من المستثقل المجوج أن نحاول انطاق اشخاص القصة باللغة الفصيحة وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها » . (8)

واستشار العامية بالحوار جاني في العبارات التالية التي نقتبسها من الكتاب : (9) .

— ما فيش لزوم يا شحاتة أفندي . أنا رايح القهوة بتاعتنا عشان عندي شوية شغل عايز أقضيم .

— وماله . تقضي شغلك وبعدين نروح سوا .

بقي أسلوب المرحلة الثالثة ، وهو يفوق الأسلوبين السابقين في الأهمية لسببين :

أما السبب الأول فهو أن السباعي يلتزم ذلك الأسلوب في أكثر ما كتب من قصص ، ولعنه قد استقر واتخذ مذهباً دائماً . وأذن فقد يكون ذلك الأسلوب النتيجة التي انتهى إليها الصراع بين العامية والفصحى عند السباعي . وما دامت خصائص الازدواج اللغوي واحدة في كل مكان (10) فقد يكون في أسلوب هذه المرحلة من الخصائص ما هو شائع في الأساليب القصصية أينما يوجد الازدواج اللغوي .

وأما السبب الثاني فهو أن السباعي من أكثر العرب انتاجاً ، فقد نشر بين عامي 1947 و 1968 خمسة وأربعين كتاباً ، منها خمس مطبوعات مسرفة في الطول هي : « رد قلبي » و « ناديا » و « جفت الدموع » و « ليل له آخر » و « نحن لا نزرع الشوك » . وأكثر قراء السباعي من الشبان الذين تبدأ حياتهم الأدبية عادة بتقليد ما يطالعون . وقد ظفر السباعي من ثناء النقاد (11) بما يفرى القراء بتقليده أن كانوا في حاجة إلى الإغراء ومنهم من يعجبون به إعجاباً يخرجهم من

طورهم أحياناً ، (12) لن يدهشنا إذن أن يكتب عدد كبير من قصص المستقبل بأسلوب المرحلة الثالثة .

لهذين السببين يجدر بنا أن نحلل أسلوب المرحلة الثالثة في شيء من الأناة والتفصيل . وأول ما نلاحظه أن السباعي في تحليله ووصفه يصطنع أسلوباً فصيحاً تعثر فيه أحياناً الفاظ عامية أو أجنبية كاللغات التالية :

برنيطة ، ممبز ، بنج بونج ، دكة ، شلة ، شورت ، بوز ، تنس ، مد موازيل .

لكن الجديد حقاً في أسلوب هذه المرحلة هو ما تجده في الحوار . ذلك أن لغة الحوار ليست فصيحة صرفاً ولا عامية صرفاً ، وإنما هي بين بين ، تأخذ من هذه بمقدار ومن تلك بمقدار . ومن خير أمثلة على هذا الأسلوب كتاب « نادية » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1960) . نقرأ ذلك الكتاب فيخيل اليك أن الأشخاص يتخاطبون على فطرتهم بالعامية ، ولكنك تتأمل ما يقولون فإذا أنت مضطر إلى الاعتراف بأن للفصحى أثراً ظاهراً لا سبيل إلى إنكاره . على هذا النحو يجتهد السباعي في التوفيق بين العامية والفصحى وهو يتوسل إلى هذا التوفيق بأربع وسائل هي : اقتباس ، واصطناع كلمات « الطبقة الدنيا » ، وترجمة التعبيرات العامية إلى الفصحى ، وتجريد الكلمات من علامات الإعراب . ولنفصل :

الاقتباس

يقتبس السباعي من الإنجليزية والفرنسية عدداً غير قليل من المفردات ولكنه ، كما يتضح من الأمثلة التالية ، قل أن يقتبس العبارات :

هالو

ول

تيم

جمنزيم

بونجور

(8) ص 6 - 8 .

(9) ص 261 .

(10) Charles Ferguson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), pp. 325-340.

(11) من هذاثناء ما كتبه توفيق الحكيم في « يا أمة ضحكت » ليوسف السباعي (القاهرة : مطبعة

روز اليوسف 1955) ، ص 5 - 8 .

(12) سجل يوسف السباعي شيئاً من هذا الإيجاب في كتابه « اني راحلة » (القاهرة : مؤسسة

الخانجي 1950 ، ص 10 - 15 .

غير أن ما يقتبسه السباعي من اللغات الأجنبية قليل إذا قيس بما يقتبسه من العامية . ذلك أن السباعي لا يقنع في اقتباسه من العامية بالمفردات بل يتمدها ، كما ترى في الأمثلة التالية ، إلى التعابير ولا سيما التعابير المجازية والأمثال السائرة :

ماما	فسحة	مبيطة
بابا	جائكة	يزغد
شعامة	فائلة	طس
زور	فتلة	

أمال سي (سي عمر)

الله ! يا ريت

اما (اما مفاجأة !) وماله

على سن ورمح - هيون فارغة - يفتح الله

لا هنا ولا هناك (أنا لا هنا ولا هناك)

جه نقبها على شونة

اكف الجرة على نمها تطلع البنت لامها

الله يخرب بيته - الله يعمر بيته - لا مؤاخلة

واح الله لا يرجعه - أشيل مين فيهم - راجل اليط

انت بنت مايعة - مياعة بنات - مش بطل - برك

على انفاسي - حاضر يا فندم .

وثمة نوع آخر من الاقتباس يتميز به الحوار في

المرحلة الثالثة هو اقتباس التراكيب من العامية . ومن أمثلة ذلك :

(1) العطف بدون حرف عطف :

قومي البسي

(2) تكرار اللفظة للدلالة على الاستهتار :

شيوعيون شيوعيون

(3) مخالفة البديل للمبدل منه في التعريف

والتنكير :

هند دادة فاطمة

(4) استعمال الواو للدلالة على الاستمرار :

ثلاث ساعات وأنا واقف على قدمي

(5) مخالفة بعض الصفات للموصوف في

التذكير والتأنيث ، أو في الأفراد والتثنية والجمع :

فستان بمبة - زهور بمبة - ناس بلدي

ولنلاحظ أن السباعي في اقتباسه من العامية متأثر بالفصحى من حيث لا يدري . فما ينطق في بعض الكلمات العامية همزة يكتبه السباعي قافا ، وما ينطق في البعض الآخر دالا يكتبه ذالا :

نقبا - خذ بالك

اصطناع كلمات « الطبقة الدنيا »

الكلمات المشتركة بين اللغة الفصحى والنهجة العامية القاهرية ثلاثة أنواع :

(1) كلمات لا تختلف صيغها العامية عن صيغها الفصيحة ، ومن هذه الكلمات « كتب » و « درس » و « بلد » و « من » وهلم جرا .

(2) كلمات لكل منها صيغة فصيحة وأخرى عامية : والصفيتان تختلفان اختلافا يقرره قانون لغوي عام . فالصيغ الفصيحة « نائم » و « صائم » و « عائم » و « دائم » و « فؤاد » تختلفان عن نظائرها في اللهجة القاهرية (« نايم » و « صايم » و « عايم » و « دايم » و « فوايد »)

اختلافا يقرره القانون اللغوي القائل أن المشتقات من مجرد الثلاثي الأجوف تكون عيناها في العامية القاهرية باء إذا كانت في الفصحى همزة .

(3) كلمات لكل منها صيغة فصيحة وأخرى عامية : والصفيتان تشابهان إلى حد وتختلفان إلى حد ، ولكن ما بينهما من فرق لا يقرره قانون عام . فالفرق التي تميز الصيغ الفصيحة « رجل » و « امرأة » و « عربية » من نظائرها في اللهجة القاهرية (« راجل » و « مره » و « عربيه ») لا تقررهما قوانين عامة .

ومن الكلمات المشتركة ما له مترادفات تنفرد بها الفصحى من دون العامية ، ومنها ما ليس له مثل هذه المترادفات : فالفعل « دوخ » مشترك بين العامية والفصحى ، وله مرادف فصيحة لا تشترك فيه العامية هو « أرهق » . واسم الفاعل « صائم » مشترك بين العامية والفصحى كذلك ، إلا أننا لا نجد له مرادفا تنفرد به الفصحى من دون العامية .

مطبوعة راقدة
يرهقونه بدوخونه

ترجمة التمايز العامية الى الفصحى

نصح الدكتور محمد مندور للقصاصين بترجمة اقوال العامة كلما دعت الى ذلك مشاكلة الواقع (13). وقد وفق السباعي الى نوع من الترجمة لا نؤم انه يرضي الدكتور محمد مندور ، ولكنه ابرز ما يتميز به الحوار في المرحلة الثالثة .

يعمد السباعي الى العبارة العامية فيبقى فيها على النوع الاول من الكلمات المشتركة ، اما بقية الكلمات المشتركة فانه يستبدل صيغها العامية بالصيغة الفصحى ، واما الكلمات التي تنفرد بها العامية من دون الفصحى فانه يستبدلها بنظائرها الفصحى . وفيما يلي بعض المبارات العامية ، والترجمة التي يستعملها السباعي ، والمبارات التي يؤثرها انصار الفصحى :

يمكننا اذن ان نقسم الكلمات الفصحى الى ثلاث طبقات : طبقة عليا تألف من كلمات تنفرد بها الفصحى من دون العامية (مثل « حذاء ») ، وطبقة وسطى تألف من كلمات مشتركة فصيحة الصيغة ليس لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « صائم ») ، وطبقة دنيا تألف من كلمات مشتركة فصيحة الصيغة لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « دوخ ») .

وكلمات الطبقة الدنيا تتسم بطابع عامي مصدره وجود مترادفات لها في الطبقة العليا . لذلك يزور انصار الفصحى من كلمات الطبقة الدنيا ؛ اما يوسف السباعي فيتعمد اختيار تلك الكلمات ليلج ما يريد من التوفيق بين العامية والفصحى . وفيما يلي بعض ما يستعمله السباعي من كلمات الطبقة الدنيا ، وما يؤثره انصار الفصحى من كلمات .

كلمات الطبقة الدنيا	كلمات الطبقة العليا
قومي	انهضي

العبارة العامية	الترجمة	العبارة الفصحى
سليم اربعة وعشرين قيراط	سليم اربعة وعشرين قيراطا	معافى تماما
سليم ميه فى الميه	سليم مائة فى المائة	معافى تماما
زي الجن الازرق	كالجن الازرق	معافى تماما
فاتك نص ممرك	فاتك نصف ممرك	ضاع عليك الكثير
وراني نجوم الفهر	اراني نجوم الظهر	ارهنني من امري عسرا
تشتغل عليه	تشتغل عليه	تنصب له اشراكها
ادهاني وانا واقف	امطاهالي وانا واقف	امطاني اياها فى الحال
ميهنيش رمضان	لا يهمني رمضان	رمضان لا يعنيني فى شيء
راجل امير	رجل امير	رجل طيب القلب
تعملي العملة	تعملين العملة	تاتين ما يشين
لمي جسمك	لمي جسمك	احتشمي
لازم الفستان ما جاش عند	لا بد ان الثوب لم يات من عند	لا بد ان الثوب لا زال عند
المكوجي	المكوجي	الكواء

(13) « فى الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) ، ص 55 .

ونحن نصر على أن نقطة الانطلاق ليست العبارات
الفصيحة ، أي أن السبامي لا يعمد إلى العبارات
الفصيحة فيختار منها أقربها إلى العامية . ولو كان
ذلك مذهبه لما عثرنا في كتبه على تعابير مثل « رجل
أمير » و « تشتغل عليه » لأنها لا تؤدي في اللغة الفصحى
ما يقصد إليه من معنى .

تجريد بعض الكلمات من علامات الأعراب

أكثر الكلمات التي يجردها السبامي من علامات
الأعراب هي أسماء العلم ، وهو يجردها عادة من علامة
النسب ومن التنوين . غير أن السبامي أحيانا يجرد
من علامات الأعراب ومن التنوين كلمات غير أسماء
العامية . وستجد في الجمل التالية أمثلة على ما نقول:
العلم ، ولا سيما إذا كانت تلك الكلمات مقتبسة من

سأعود إلى البيت لارى فاضل

لا بد أن أذهب لارى مصام

أنا أحب مصام

أريد غيار لنادية

وضع الدكتور لها مرهم

أنظنين الرئيس جمال عبد الناصر فاضي ؟

يرى تشارلز فرغيسون أن « التخصص من أهم
مميزات الازدواج اللغوي » . (14) وهو يقصد بذلك
أن العامية قل أن تؤدي من وظائف الفصحى شيئا ،
وأن الفصحى قل أن تؤدي من وظائف العامية شيئا .
ذلك حق ، ولكننا نرى مما سبق أن العامية والفصحى
تتنازعا في بداية الأمر ، وأن ما يكون بينهما من تنازع
على وظيفة معينة لا يتمخض عن نصر حاسم إلا بعد
مرور زمن قد يطول . فظهور وظيفة جديدة في الأدب
العربي ، هي القصة الحديثة ، قد أثار بين العامية
والفصحى خصومة شديدة وصراعا عنيفا . وليس
أسلوب المرحلة الثالثة عند السبامي إلا اثرا من آثار
هذه الخصومة وصدى من أصدا ذلك الصراع .

Charles Fergusson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), p. 328. (14)



أساليب مناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي

للكنوز باناهج (بباكو) الاتحاد السوفياتي
ترجمة الأستاذ فؤاد صودة "الرباط"

وثمة خطر آخر يواجه اللغة العربية يتمثل في نقل المصطلحات الفنية انطلاقاً من اللغات الأوروبية وترجمتها إلى العربية . وليس بخاف أن معظم الكلمات المركبة والأوروبية الأصل قد استعارتها بحالتها الانشائية الثابتة أي أخذت الكلمة بصورتها الأوروبية وكتبت بأحرف عربية . بالرغم من أنه كثيراً ما نجد أن الكلمة الأوروبية تلك إنما يتكون هيكلها من مزيج مركبين أو أكثر الأمر الذي ينتج عنه في بعض الحالات أن العديد من تلك الألفاظ لا يتواءم مقتضيات مفهوم الكلمات ومعناها . لا سيما وأن منها ما هو متعدد المعنى ، أي يمكن استعماله للدلالة على أكثر من معنى واحد فهي - والحال هذه - ليست محكمة الضبط للتعبير عن معنى بعينه ، مما قد يؤدي في النهاية - حال استعمالها بشتمام شكليتها الأوروبية معربة - إلى عدم تحديد مؤداها وما تستهدفه على وجه التدقيق - من معنى أو صفات وسمات مميزة تلك هي النتيجة المبشورة التي يؤدي إليها استعمال تلك الكلمات والتي مردها عدم أحكامها وتوثيقها والاقتصار على مجرد تغيير ملامحها باستبدال الحروف العربية بالأحرف الأوروبية . ولهذا فإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أي تركيب لغوي - يراد تحويله إلى كلمة مركبة أو تغيير لفظي أو مصطلح علمي - يجب التيقن بآديء ذي بدء أنه يتوفر على صيغة متماسكة معينة كما يحتوي على مضامين مدققة فكما أن من شأن ذلك تلخيص هذا التركيب من خاصية تعدد المعنى وتكريسه للدلالة على مفهوم محقق ومضبوط ، فإنه من شأنه أيضاً أن يؤدي إلى

لم نزل صياغة الكلمات التي تعالج شتى مناحي الحياة الاجتماعية تشكل القضية العلمية التي تواجه المصطلح اللغوي أو الفني الحديث في اللغة العربية ، والتي لما يتوصل بعد إلى حلها .

أن مراجعة معاجم اللغة واستقراء المواد والنشرات العلمية لتعطي للقارئ فرصة الوقوف - بين الحين والآخر - على بعض المصطلحات الأوروبية الدخيلة .

وفي العصر الحاضر وخلافاً لما كان سائداً في المصور الوسطى فإن عدداً وافراً من تلك المصطلحات الأوروبية الغربية ، تحيد عن قواعد اللغة العربية من حيث الصرف والأعراب وفن تركيب الكلمات وضبط التهجئة بل وفي قواعد علم الأصوات والسمعيات اللغوية ويتمثل ذلك في علوم الفسيولوجيا . والمتروولوجيا . والجيولوجيا . . . الخ .

ولا مناص من القول بأن اتحام مثل هذه الكلمات في اللغة العربية من شأنه أن يتهدد مستقبل تلك اللغة وموامل تطورها ، فضلاً عما يؤدي إليه من بلبلة واضطراب في ضبط التهجئة وأحكام الإملاء وصحة اللفظ وصياغة الكلمات وأخيراً في قواعد الأعراب .

فاذا وقرت في الأذهان تلك الحقيقة العلمية فإنه يجب أن يكون التدرج في الأخذ بتلك الكلمات الأوروبية وفسح مجال لها في معاجم اللغة العربية ومراجعتها بكيفية محدودة للغاية .

تفهم صياغة الكلمات المتزاوجة وليدة هذا التركيب .
وهذا التركيب في اللغة العربية يطابق ما يسمى
بالمركب المزجي الذي يساير كل القواعد اللغوية .
وكما ان اساليب متنوعة قد استخدمت في انشاء
التركيب المزجي هذا فان طبيعة المادة التي هي
موضوع التركيب تسهم في الدور الذي يؤديه التركيب
المزجي في تشكيل علم الاصطلاح اللغوي لوضع الاسماء
العلمية ومصطلحات الفنون .

وتسود علم اللغات العربية آراء متضاربة فيما
يتعلق بكيفية تأليف تلك المصطلحات الفنية في نطاق
المركب المزجي .

وعلى ضوء ما هو ملموس لدينا يمكن القول بان
استيعاب المؤلفين لاسلوب صياغة المصطلح من خلال
المركب المزجي لا يركز على قواعد التحول او التطور
الدائي للغة العربية .

كما يبدو لنا انه في مدد صياغة المصطلح الحديث
- نجد لزما علينا استخدام نماذج واساليب من تلك
التي كانت سائدة في العصور الوسطى والاستمالة بها .
ومن ثم ، فان النماذج يجب ان تكون - دون غيرها -
الانماط التي تمثلها اللغة العربية وتهتدي بهديها .
كما ينبغي ان تكون الكلمات المركبة الوليدة متوائمة
وقوام اللغة العربية .

ويختلف تركيب هذه العناصر اختلافا جذريا
من تركيبها في اللغات التركية والهند و - اوروبية

ولما كانت الكلمات المركبة يجب ان تتساوى مع
نماذج ثابتة محددة المعالم في بنية اللغة العربية فان
عملية المركب المزجي قد تتم بالاحتفاظ بحرف ساكن
او حرفين من كل مركب وطرح ما تبقى من احرف ، اما
الاحاد المعجمية واللغوية فتتركب من عناصر مختلفة
بواسطة الإبقاء على ثلاثة او اربعة حروف او خمسة
- في حالات نادرة - تتشكل طبقا لقواعد قارة .

والتركيب المزجي الذي كان بمثابة حقل تزدهر
فيه صياغة الكلمات المركبة في العصور الوسطى قد
لا يكون هذا شأنه اليوم . وقد يكون العكس صحيحا .
اذ بمقارنة النماذج التي تؤلف فيما بينها المصطلحات
الحديثة في اللغة العربية المعاصرة مع تلك كانت سارية
في اللغة التقليدية - نلاحظ ان هناك توافقا فيما بينها
وقصورا في الصلة بين اللغتين في هذا المجال :

ففي العصور الوسطى كانت الكلمات المؤلفة في
سياق المركب المزجي تنشأ من ادغام اداة النفي (لا)
في الاسم او اسم الفعل على الشكل التالي :

(لا + بد) = لا بد ، (لا + شيء) = لاشيء ،
(لا + ابالي + يه) = لا اباليه ، (لا + مبالاة) =
اللامبالاة .

ويتبع هذا المنهج من مناهج المركب المزجي في
معاجم اللغة العربية نلمس انه لم يكن له نصيب وافر
في صياغة الكلمات المركبة ، بينما نجد في الطور
المعاصر من اطوار اللغة العربية ان مثل هذه الصياغة
للمصطلحات الحديثة معتادة مألوفة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة اقر المجمع العلمي
العربي بدمشق صلاحية العديد من الكلمات المركبة
طبقا للقاعدة المذكورة واجاز استعمالها في مجالات
الفلسفة والاحياء والطب والصيدلة الخ مثل :

الاداريه ، الادبئية ، اللاسياسية ، لا تعري ،
لا توبجي ، اللاتزاوجي اللاتزامل ، اللادماغية ، اللامقلة
اللامعكوسية ، اللاجفن ، لاسلكي ... الخ .

وهناك أيضا عدد من الكلمات المركبة نشأ من دمج
الاداة (ما) فيما يتلوها من كلام مثل :

(ما + هي + ية) ماهية ، (ما + جرى) =
مجرريات اوماجريات ، (قل + ما) = قلما ، (حيث + ما)
حيثما ، (لا + سي + ما) = لا سيما .

وهكذا نجد في اللغة العربية المعاصرة بعضا من
تلك المصطلحات الفنية في ميادين الفلسفة والصيدلية
وسائر فروع العلوم صيغت جريا على قاعدة دمج
حرف (ما) فيما يلحقه من كلمات مثال ذلك :

(ال + ما + لا + حرف) = المالايمحرف .
(ال + ما + كشف) = المايكشف ، (ما + فوق) =
بنفسجي) = مافوسجي) .

وعلى أي حال فان استعمال تلك المصطلحات
الحديثة على النمط المشار اليه - ما زال يحده عامل
الندر في الوقت الحاضر .

هذا وان استحالة التركيب اللفظي المستقل الى
مزيج لغوي قد لوحظت فقط بالنسبة للغة العربية
المصرية نتيجة لترجمة بعض المصطلحات الحديثة من
اللغات الاوروبية مثل :

وبانعام النظر في التركيب الأخير (كباحد) يتضح أن اشتقاقه تأتي من وصل الحرفين الأولين في كل من المركبات الثلاثة بعضها ببعض .

وتحتوي اللغة العربية القديمة على عدد من النماذج لم تمهدا في العصر الحديث مثال ذلك ما تضمنه من كلمات مركبة تصاغ بإضافة الحرف الأول الصامت من المركب الثاني إلى المركب الأول مثل :

(عين + دم) - دمع حيث أخذت ع من عين واضيفت إلى دم فصار دمع (خرم + شرم) - خرمش ، اضيف الحرف ش أخذاً من شرم إلى خرم فصار خرمش .

ويمكن متابعة نفس القاعدة في الكلمات المركبة التي يرجع أصلها إلى اللغة الفارسية والتي صار استعمالها من قبل اللغة العربية مثل :

(لك مأخوذة من كاه ، P = ق A + خورن = خورن .) الخورنق A = خورنكاه . P وليس ثمة جدال أن اللغة العربية كانت تشمل على الكثير من الانماط في كيفية صياغة الكلمات وإن بحثنا خاصة في تاريخ جذور اللغة العربية وصلتها بالانفاس الأخرى التي كانت متأخية معها لبدو ضروريا للتعرف على ماهية هذه الانماط وتبيان معالمها .

ولقد استطاع اللغويون في العصور الوسطى أن يتعرفوا على العناصر أو المركبات التي صيغت منها الكلمات التالية :

(برق + نقش - برقش ، (برق + رقع) = برقع الخ .

بيد أنه من الصعوبة بمكان تحديد الأحرف المأخوذة من كل مركب في المثال السابق ، فبالنسبة للمصطلح الأول نجد أنه يشتمل على الأحرف ب ، ر ، ق من الكلمة الأولى ، كما يشتمل على الحرفين ق ، ش من الكلمة الثانية . وإيضاً بصدد المصطلح الثاني نجد أنه يشتمل على الحرف « ب » من (برق) والحرف « ع » من الكلمة الثانية . إلا أنه يعوزنا الأساس أو الدليل حتى يتأتى لنا الجزم بأن الحرفين (ر ، ق) إنما ينتسبان إلى واحدة من الكلمتين دون الأخرى لأن كلا الكلمتين تشتملان على ذات الحرفين فليس من وسيلة إلى أرجاع كلا الحرفين إلى الكلمة الأولى دون الثانية أو العكس . وما يقال عن المصطلح الأول في هذه الحثية ينصب على المصطلح الثاني .

حيوائسي = حي بالهواء - airobic ،
الحلماة - التحليل بالماء = hydration يحلماء =
يحلل بالماء hydrolyse (to)

ويتبين من استقراء تلك الأمثلة أن النهج الذي أشيع في صياغة تلك الكلمات المركبة كان بإضافة الحرفين الأولى من المركب الأول إلى المركب الثاني ، وتلك القاعدة كانت متبعة من زمن بعيد في اللغة العربية تشهد بذلك الأمثلة الآتية :

(مش « من مشمس » + لوز) - شلوز ،
(شق « من شق » + حطب) - شقحطب ، (حب « من حب » أو عب « من عب » - حبقر .

ونجد اليوم أن تلك الصياغة أضحت نسبياً شائعة وأن المصطلحات الحديثة التي صار تشكيلها على هذا النمط قد حظيت بموافقة المجمع العلمي العربي مثال ذلك ما تم إقراره منها مثل :

(حرارة + ماء) الحرماي ، (بر + ماء) = البرمائية ، (تحت + تربة) التحترية (شبه + بلور) = شباور ، (ماء + غول) - ماغول ، (شبه + غرام) شيفغرام .

(لبنان + أرز - لبارز ، (حيزر + زمن) = حيزمن ... الخ .

فإذا ما كان الحرف الأول أو الثاني في التركيب همزة ساكنة فإنها تحذف عند صياغة المركب المرجح :
مثل : (رأس + مال) - رسمال .

وقد كان العديد من الأفعال والصفات الموصولة تتم صياغته منذ زمن بعيد يترد إلى العصور الوسطى بوصل الحرفين الأولين من كل مركب على وزن تفعلال ، فعلى وقد كانت صياغة التركيب على هذا النحو أجدي في ابتكار العديد من التركيبات بالقياس إلى غيره مثل :

(جعلت فداك) - جعفد ، (عبد شمس) = تعبشم ، (عبد القيس) = تعبقس ، (عبد الدار) - عبادري ، (أمري القيس) - مرقسى .

ويظهر الكثير من تلك المصطلحات الحديثة في الأدب العربي المعاصر مصوغاً على نهج الأمثلة السابق تبيانها وقد حظيت هي أيضاً بموافقة المجمع العلمي العربي عليها ومثال ذلك :

(أنف + فم) - أنفمى ، (بروم + حديد) = برحد ، (كبريت + أكسوجين + حديد) = كباحد .

هذا وان استعمال التراكيب المقنضة طبقا لهذه الحالة في الخطابة ولغة الصحافة قد حظى بقبول المجمع العلمي العربي في سنوات 1946 - 1947 الامر الذي ثارت بسببه الجادلات والمساجلات بل واحيانا مشادة بين العلماء .

وختاما لهذا البحث لم يبق الا ان نقرر ان نشأة المصطلحات الحديثة في ظل المركب المزجي وانتشارها انما يركز على الاصول الآتية :

اولا : من المسلم به ان الكلمات المركبة قد شاع استعمالها في اللغات الاوروبية وهكذا نرى الكثير من المصطلحات الحديثة التي ذاعت في الوقت الحاضر في شتى مجالات العلوم ، قد قامت صروحها على هذا التركيب . كما ان تلك المصطلحات الحديثة قد وجدت طريقها الى اللغات الاخرى ومنها اللغة العربية ومن ثم كان ظهور الكلمات المركبة وفقا لاسلوب التركيب المزجي فيها .

ثانيا : ان المصطلحات المركبة هذه ليست بالشيء الجديد او الغريب على اللغة العربية التي عهدت انماطها وطرق صياغتها ومناهجها منذ زمن بعيد وهذا ما يفسر تقبل اللغة العربية المعاصرة لهذه المصطلحات وتبنيها .

1 - التعابير التي تتكون من تزاوج كلمتين مثال :
(عرض + حال) - عرض حال ، (قائم + مقام) = قائم مقام ، (قبل + فكى) - قبل فكى ، (يا + نصيب) = يا نصيب .

فاذا ما كانت الهزمة هي حرف استهلال المركب الثاني في مثل هذه الكلمات فانه ، قاعدة عامة ، تسقط من الحساب عند الصياغة كما تبين من الامثلة التالية :
(حمض + امين) حمضمين ، (قول + اثير) - قولشير .

واحيانا ما تجوز الصياغة بتألف الكلمتين بتمامهما معا مثل :
البادزهر ، يوسف افندي .

2 - الكلمات المركبة من حرفي التصدير من المركب الاول والعرفين الاخيرين من المركب الثاني على وزن فعل مثل :

(قل « من قلم » + بر « من حبر ») - قلمبر .

وانه من المتعذر تحديد النمط او النهج الذي استعمل في صياغة مثل هذين المصطلحين الاخيرين او التعرف على الاسلوب المتبع في تدبيرها . كما انه يتمذر ايضا مقارنتهما او القياس عليهما بالنسبة للمصطلحات اللغوية الحديثة التي تشكلت في اللغة العربية المعاصرة .

هذا ولا غرابة في ان وصل الحرف الاخير من الكلمة الاولى بالحرف الاول من الكلمة الثانية من شأنه ان يسر عملية الاشتقاق وتوليد المصطلح المقصود بمعنى ان نهج هذا الاسلوب من خاصيته توفير الجهد وتخفيف المشقة في صياغة الكلمات المركبة . مثل :

حيز + من او حيز + زمن او (حيز + زمن) - حيزمزن .

وهناك عدد من التغيرات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة تختلف عن المصطلحات المشار اليها في طريقة صياغتها وعن الانماط التي يمكن اتباعها من اجل توليدها ، ويمكن تحديدها في النقاط التالية :
والتي صيغت من امتزاج المركبين (orthos + pteron) يتضح لنا ان الاختزال قد تناول المركبين معا وليس احدهما فحسب كما بالنسبة لصورة الكلمة بالعربية السالف شرحها .

الكلمات المركبة التي تشير الى ظرفين الزمان والمكان والمترجمة حرفيا عن الاصل الاوروبي والتي صيغت من وصل المقطع الهجائي الاول من المركب الاول بالمركب الثاني مثل :

قبل التاريخ - قبلتاريخ واصلها
الفرنسي ... Préhistoire

ثم الصفات المركبة التي تكونت من تواكب اسمين جغرافيين متساويين . ومما يميز هذه الحالة من الصياغة ان المركب الثاني من تلك الصفة المركبة لا يفقد قوامه الذي كان عليه قبل التركيب بحيث يبدو دائما وكأنه كلمة مستقلة تؤدي ذات المعنى الذي كان متعلقا بها قبل الصياغة والكلمات التي من هذا القبيل قد صيغت في العربية مرتكرة على حرف الوصل « ي » الذي استبدل بحرف O في اللغات الاوروبية مثل :

انجلو امريكي Ingilu : amriki

افرو آسيوي Ifru : asilavi

آسيوي افريقي asilu : afriki

والكلمات المركبة وفقا لهذا الاسلوب دخلت اللغة العربية من طريق استعارتها من اللغات الاوروبية بعد ترجمتها الى العربية وتشكيلها وفقا لما يتلاءم وقواعدها مما ادى الى تباين في كيفية صياغة الكلمة في اللغتين - (لغة الاصل واللغة الناقلة) - ففي كلمة مسجناحيات التي تاشت من امتزاج المركبين (مستقيم + جناح) يلاحظ انه عند الصياغة قد جرى الاختزال بالنسبة للمركب الاول وحده في الوقت الذي ظل بمنأى عن المركب الثاني أي ظل هذا بكامل هيئته . بينما لو انعمنا النظر في اصل كلمة مسجناحيات هذه في اللغة الفرنسية : orthoptères (1)

ثالثا : ان استعمال المصطلحات الحديثة يجب ان يكون بكيفية واضحة لا يكتنفها غموض .

رابعا : ان استعارة تلك الكلمات المركبة من اللغات الاخرى ونقلها الى اللغة العربية حرفيا دون تعديلها بما يتواءم وقواعد تلك اللغة قد يفسدها بل قد ينتهي الامر لتدريجها الى اسادها .

3 - الكلمات المصوغة من المقطع الهجائي المكون من حرفين من المركب الاول والحرف الاخير من المركب الثاني فتأتي الكلمة المشتقة على وزن فعليل مثل :

(كهرباء + مفطيس) - كهربيس .

4 - الكلمات المولدة من ربط المركب الاول بالحرفين الاخيرين من المركب الثاني وبذا تكون الكلمة الناتجة على وزن فعليل مثل :

(حمض + اسيل) - حمضيل .

5 - الكلمات المركبة من اضافة الحرفين الاولين من المركب الاول الى المركب الثاني - أي الحالة العكسية للكلمات المشتقة وفقا للاسلوب المتبع في البند السابق - ومثل هذه المصطلحات تستعمل في حالات المجمع مثل :

(جوف + معى) - الجومميات ، (مستقيم + جناح) = مسجناحيات ، (شمال + غرب) - الشمفريات .

(1) يبدو ان هناك نقصا في الاصل .



« الشعر العربي » اللفظ عنصر من عناصر الحياة

يجب أن يتجدد باستمرار
الأستاذ إلياس قنصل ، بوينوس آيريس

ترجمة الأستاذ محمد محمد الخطابي

تلقينا هذا البحث القيم من الأستاذ إلياس قنصل وهو عبارة عن محاضرة ألقاها حضرة الأستاذ باللفة الإسبانية من الإذاعة الأرجنتينية تحت رعاية المعهد الثقافي الأرجنتيني - العربي بعنوان : « تمهيد لمعرفة الثقافة العربية » وقد نشرنا الأصل في مكان آخر من هذا العدد

سنجد في الشعر العربي الجاهلي تعبير الروح النقية الصافية لمشاكل الحياة المعاصرة ، هذه الروح التي هي شبيهة « برادار » كفيل بالتقاط أقل ذبذبات القلق الانساني .

لقد كانت « الكعبة » التي تقع في مدينة « مكة » بمثابة المكان المقدس لدى القبائل العربية ، وفي مطلع كل عام ، كان يهرع نحو هذه المنطقة ، ذوو الوقار والمهابة من مختلف الميول والاتجاهات ، لأقامة تجمعات كبيرة ، كانت ذات موضوع مميز ألا وهو الادب ، حيث كانوا ينشدون القصائد التي تخضع لنقد بناء ، ويحاولون فيها تلك التي تتواءم وأهواء العامة ، وأجود هذه القصائد - أي التي كانت تحظى برضى الحكام الثقات - كانت تكتسب على رفوف فاخرة ثم تعلق على « الكعبة » . في هذا المكان الذي كان ينال احترام الجميع من شيخ القبيلة العظيم الى الرجل العادي المجهول ، كان في إمكان الجميع قراءة هذه القصائد ، وبهذه الوسيلة يصبح للفن والبلاغة شعائر وطقوس . ولما جاء الاسلام الفى هذه العادة التي كانت تتضمن بعضا من الوثنية البدائية . وفي تلك الحقبة نفسها كانت تقام دعائم المبالويات الادبية التي ما زالت لها ردود فعل مديدة في الوقت الحاضر . لقد كان « سوق عكاظ » ضربا من « الاولمبياد » الفني ، كان يضم

ليس هنالك شئ من بين الشعوب القديمة فاق الجنس العربي في تقديره للشعر ، ونستعمل كلمة « تقدير » ونحن على علم أنها لن تستطيع ان تعطينا التعريف القاطع لاحترام الذي كان يولييه العرب لفن الشعر .

البديهييات على ذلك كثيرة ، فحتى تاريخ العرب في الجاهلية انما هو تاريخ الشعر .

وكل ما نعرفه من اخبار الحقبة التي سبقت الاسلام جاءت مروية ضمن « القصائد » التي وصلتنا منذ ذلك العهد ، والتي ما زالت حتى ايامنا هذه موضع بحوث ودراسات مختلفة .

تلك القطع الشعرية الموضوعة على نسق واحد - التي جادت بها القرائح في عزلة الصحراء وفي لحظات الضيق الروحي - رغم القرون البعيدة - ما زالت تحتفظ حتى الآن بالنكهة التي تصور لنا حينها موسيقيا نحو الاوطان .

واذا استثنينا من هذه القطع الشعرية الكلمات التي فقدت مدلولها بمرور الزمن - ونحن نعتبر اللفة عنصرا مجهزا من عناصر الحياة ينبغي له أن يتجدد بصفة مستمرة - أي اذا استثنينا الكلمات التي لم تمد تكتسب صبغة الحاضر - والتي هي قليلة جدا - فاننا

انهم ألوان مختلفة ذات قفزة بلاغية ، دعالمها الخيال الخصب ، والملاحظة الحازمة والحجة القاطعة . ان دواوين الشعراء الثلاثة ما زالت تدرس - حتى ايامنا هذه - في المدارس ، وسوف تظل دائما موضوعات بحث وتحليل .

« المتنبى » الشاعر الذي اودع الخيال العربي في القصائد ، وهو الذي عين في امثال سيرة طريقة التفكير عند العرب وسيلة تصويرهم للحياة وكل ما هو موجود فيها من سمو وقوة .

ككل مبكري كان « المتنبى » يعد من المفتونين الاكابر الذين ينشرون - في كل مكان - اشعارهم وامثالهم بين الامعاء المتطرفين الذين كانوا ينتقدون على المتنبى كبريائه وفروقه للذين جاوزوا كل حد .

لقد كان المتنبى ، في نظره الرجولية يمي جيدا طموح الماضي العربي ، كان نذيرا متحمسا لوحدة العرب ، وواحدا من المبشرين بالقومية النقية من كل تعصب .

الشاعر الثاني هو « المعري » الذي كان شريرا منذ طفولته البعيدة ، الرجل الواسع المتبحر العارف باحاسيس البشرية ، لقد كان فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة ، وكانت فلسفته متنوعة بحيث شملت كل انواع الاضطرابات وجميع مستويات العقل ، سواء كان يتخللها حزن متعاقب او يعلوها حدث سعيد . انه ساخر رقيق تكاد تكون سخريته غير مرئية ، ولقد كان يضمن سخريته هذه افكاره التي كانت تتعارض ووجهات نظر الحكام .

وحسب البحوث الاخيرة الخالية من كل تعصب ، فقد تائر « دانتى » في كتابته لمعلمه الخالد « الجحيم » او (الكوميديا الالهية) - تائر « برسالة الغفران » للمعري التي كانت مترجمة في ذلك العهد الى لغات مختلفة .

الشاعر الثالث هو « ابن الرومي » وهو الذي يكمل الثلاث الحاكم في الشعر العربي ، هذا الشاعر الذي اثرى الشعر العربي بغنائياته التي هي جديرة بكل اعجاب ، هذا الماشق الواله للجمال في جميع اشكاله ، لقد استطاع هذا الشاعر ان يسبر ابعاد افوار التفكير ، نطبع كل ذلك في قصائد حافلة بالحركة والحياة . لقد كانت ميناء المتلهفتان ابدا الى التقاط كل مظاهر الحياة ، بمثابة عدستين فوتوغرافيتين غاية

احسن الشعراء ينشدون امام الجميع آلافا من اجود القصائد المنتقاة . ودالما كان هناك مراقبون من « حكام الكلمة » المتسمين بالنزاهة والانصاف ، يدلون بانكارهم القيمة ، والذين كانوا صريحين في آرائهم وموجهين في احكامهم ، وكانت القصائد المختارة بمثابة البرهان الكبير على عظمة القبيلة التي ينتمي اليها الشاعر الفائز .

ان الاسلام لم يضع حجر المثرة في طريق الشعر المزدهر - كما يزعم ذلك بعض المستشرقين ذوي النظرة السطحية المجلى - وانما جعل الاسلام حدا لعبادة الوثنية وحولها الى اهتماماته المادية ؛ ويحسن القول انه احل محلها معرفة فنية خالصة .

« حسان ابن ثابت » الشاعر العظيم الذي كان صديقا حميما للرسول « محمد » رافقه في عديد من غزواته ، وتفننى بانتصاراته ، كان النبي يوليه اهمية خاصة واضعا بذلك الشعر في مكانه المناسب من الاعتبار دون ان يسمو به الى قمة الالوهية او يهوى به الى سفح الانحطاط .

وحيثما بسط العرب نفوذهم حول العالم طفر الشعر العربي طفرات جديدة ، تحول الى وسيلة لنشر الافكار ، وتعفيد قوى الفتح الجديد ، وتسخير الاتجاهات السياسية ، رافلا في ثوب جديد من اواب البيان ؛ تحول الى قاعدة للنشر والديوع ، وقام بالدور الذي تقوم به الان الجريدة والمدياع والتلفاز .

كانت الامور غريبة ، بحيث يحدث ان نجد اثنين من الشعراء المرموقين ذوي نزعات متباينة وهما يجاهدان تحت سياسة واحدة ، ذات مصلحة عليا تم العالم العربي واماراته التي كانت تمتد من الشرق الى الغرب .

وكانت للمعركة ايدولوجيات مختلفة ، فاحيانا تكون مدمقة ذات سلاح متنوع قاطع ، تكون الكلمة البليغة احده واخره ، واحيانا اخرى تكون سخرية حرة من خلال تطاحن الكلمات ، الشيء الذي يوضح لنا بجلاء التمكن التام من اللغة ، ويبرز لنا - في ذات الوقت - الذكاء الخارق للمادة المسخر لخدمة المثل العليا .

سيطول بنا الحديث اذا حددنا الامثال ، وترجمنا القصائد ، او اذا شرحنا المواقف ، غير انه لا بد لنا ان نورد ثلاثة من الشعراء الذين يشكلون في رأينا - صروح القمة في الشعر العربي القديم .

كل - القوالب المقدمة للحياة المصرية ، ولا نجزم بأن الشعر العربي الحديث يسير في طريق محكم سهل توضحه بل انه قد تعرض لجميع المشاكل المتنوعة في حياتنا الراهنة .

ان المؤرخ النزيه الذي يؤرخ لتطور الشعر العربي المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن ذكر - ظاهرة من ظواهر هذا الشعر - التي تكاد تنفرد بنفسها بين توارىخ الادب عامة . فاذا كان حقا ان الشعر العربي قد بلغ أوج عزه في موطنه الاصلية ، فانه لحق كذلك ان هذا الشعر قد اكتسب لمعانا واشراقا ملحوظين في بلاد امريكا .

ان مئات من الآلاف المهاجرين وعلى الخصوص في الارجننتين والبرازيل - كان من بينهم شعراء كبار ، ساهموا مساهمة محمودة في الادب العربي .

ان سماء هاتين الجمهوريتين ، وجمهوريات أخرى قد جمعت تحتها كثيرا من الشعراء العرب الذين رفعوا عاليًا أمجاد أوطانهم النائية معبرين بذلك عن الحب الذي يكنونه لبلادهم الام الكائنة وراء البحار ، ومشيدين - في نفس الوقت - بعظمة ال اثر المكتوب

ان هؤلاء الشعراء البعيدين عن مساقط رؤوسهم والذين كانوا ملجمين من طرف قوات اجنبية ، قد وجدوا فرصة نشر قصائدهم الحماسية بعد ان تهيأ لهم جو من الحرية ، كانوا يتوقون اليه من قبل .

لقد وجد هؤلاء الشعراء في المواطن الارجننتين الاخ الذي فتح لهم ذراعيه بحرارة وصدق - ونحن نقول هذا عن تجربة - ووجدوا في الارجننتين نفسها الركن الذي رحب بهم اشد الترحيب ، وهو بالنسبة لهم ينبوع الهام لتفكيرهم وتاملاتهم .

بهذه الكلمات الختامية ، نقدم شكرنا عن هذا الكرم النبيل ، ونستأذن لنحمل لهذا الوطن الجديد تحية شعرية من اوطاننا الاصلية .. مرات تفوق الآلاف .

في الحساسية تلتقطان ادق دقائق الامور ، باعثتين الحياة في كل الاشياء ، ان اوصافه لما كان يراه او يحس به او يجري وراءه - انما هي استمرار متوال من الصور التي تفوق كل شيء حيوية ونقاوة ولعمانا .

لم تتوان المرأة العربية في مشاركتها المحمودة في الشعر العربي ، لقد مررت الكثيرات ممن قرضن الشعر ، ولكي تتفح لنا مشاركة المرأة في عالم الفن نورد الحكاية التالية :

سال خليفة أحد رعاياه المشهورين مرة فقال له :
— بلغني أنك تستطيع ان تنشء الف قصيدة فهل هذا صحيح ؟ .

فاجاب الاعرابي :

— اجل يا صاحب المهابة ، ولكن هل تريدون ان اسمعكم الالف قصيدة من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ (1)

ان الشعر العربي المعاصر قد تأقلم مع طبيعة الحياة المصرية ، مدفوعا بتجدد العقل العربي بعد ان عاش أحداث أربعمئة سنة من الضيق الخارجي محتفظا - في جوهره بكآبة خفية - عن اجياله الماضية .

ان الشاعر العربي المعاصر يقف حاملا بين اطراف قلبه حيرة يصعب تحديدها ، هذه الحيرة التي كانت تستولى على روح الاعرابي الذي كان عليه ان يقطع كل يوم صحاري لا نهاية لها ، محدقا في الافاق التي تنتهي عند خط مستقيم دون حافز للتساؤل .

ولا ندمي القول بان الشعر العربي المعاصر قد احتفظ بمأخذه المشرق ، ذلك لان « فن القول » في العالم قد تقهقر ازاء الاكتشافات العلمية الحديثة ، ولم تكن الثقافة تكتسب قيمتها من الخيال الفسيح ولا من الكلمة المؤثرة الجميلة ، ولكن رغم كل ذلك ما زال الشعر العربي يحتفظ - بأصالته وقدرته الهائلتين - في عقل هذا الجنس ، وهذا عامل من الاهمية في شيء بالنسبة للنهوض العربي الفائق .

لا نقول ان الشعر العربي المعاصر يتميز بطابع معين يحدد هذا الشعر ، ذلك انه عائق كل - او تقريبا

(1) وفي رواية أخرى أن شاعرا زار شاعرا آخر ، فلما طرق باب بيته خرج خادمه ، فقال له : ان سيدي لا يستقبل الا من كان يحفظ - على الاقل - الف قصيدة ! . فاجابه الشاعر الزائر : اذهب وقل لسيدك هل يعني الف قصيدة من شعر الرجال ام من شعر النساء ! (المترجم)

الألقاب عند العرب والمسلمين

الشيخ طه الوبي «بيروت»

في لفهم الرجل الذي يفرق بين الحق والباطل . وكان عثمان بن عفان يعرف (بذي النورين) لزوجته من اثنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أطلق على علي الخليفة الرابع بعد وفاته لقب « ابي تراب » هذا اللقب الذي قال قوم بأنه من صنع خصومه الامويين لنبره وتحقير شأنه بنسبته الى التراب كما قال قوم آخرون بأنه من صنع شيعته الذين ارادوا به التعبير عن تواضعه وكثرة التصاق جبهته بالتراب للالزمت الصلاة اثناء الليل واطراف النهار . ولما كنا نستطيع ان نعتبر كلمة « صحابي » من الكلمات التي اصبحت لقبا على كل رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع اليه وآمن به كما نستطيع ان نعتبر كذلك كلمة « تابعي » من الكلمات التي اصبحت لقبا على كل رجل أدرك ، وهو مسلم ، واحدا أو أكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع اليه .

ولكي لا نقف طويلا عند عصر الرسالة النبوية والسنوات القليلة الاولى التي تلتها فاننا نأتي الى العصر الاموي الذي اختلف المؤرخون فيما نسب الى اركانه من الألقاب . فذهب قوم الى ان الخلائف من بني امية اتخذوا لانفسهم القابا . بينما ذهب قوم آخرون الى ان هؤلاء الخلفاء عرفوا باسمائهم من غير القاب اضيفت اليها أو حلت محلها . وفي هذا يقول المسعودي في كتابه « الاشراف والتنبية » :

إذا أردنا أن نتحدث من الألقاب عند العرب والمسلمين ، فليس لنا بد من طي السنين بله القرون والعودة بأذهاننا الى صدر الاسلام اذ نجد بين المؤرخين من يقول بأن الألقاب عرفت سبيلها الى العرب منذ هاتيك الايام . وبالفعل فاننا نعرف ان اول لقب اطلق بين يدي الاسلام كان ذلك الذي اطلقته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل بعثته وهو « الامين » فلما كانت البعثة اصبحت لقبه عليه السلام : « رسول الله » وبهذا اللقب كان يخاطب الناس ويكتب رؤساء القبائل العربية وملوك الدول الاجنبية . وكانت كلمة « رسول الله » منقوشة على خاتمة الشريف الذي استعمله هو بنفسه كما استعمله من بعده ثلاثة من خلفائه الراشدين وهم ابو بكر وعمر وعثمان ، وفي عهد هذا الاخير سقط هذا الخاتم في بئر اريس وفقد منذ ذلك الحين كما هو معروف في التاريخ .

ثم ان كبار الصحابة رضي الله عنهم عرفوا كذلك القابا رافقت اسماءهم بل هي حلت محل هذه الاسماء في بعض الاحيان حتى ان بعض هؤلاء الصحابة عرفوا بالقابهم دون اسمائهم لدى المؤرخين فيما بعد ، وكان عبد الله بن ابي قحافة ابو بكر الخليفة الاول يعرف باسم « الصديق » الذي لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب الذي تولى الامر من بعده يعرف «بالفاروق» الذي قيل ان قوما من السريان اطلقوه عليه لان معناه

« وقد رأينا بعض المتأخرين من ينحرف عن الهاشميين ، الطالبين منهم والعباسيين ، ويتحيز الى الامويين ويقول بامامتهم ، يذكر انه كانت لمن ملك من بني أمية القاب كلقاب خلفاء العباسيين وذكر في ذلك روايتين :

احدهما : قال ، روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشي ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ابيه عن جده ، قال ، حدثني سابق موسى عبد الملك بن مروان قال : « سمعت امير المؤمنين عبد الملك يقول : « تلقب امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ، « بالناصر لحق الله » ويزيد بن ابي سفيان « بالمستنصر على الربيع » ومعاوية بن يزيد « بالراجع الى الله » ومروان بالمؤمن بالله » .

وبالثانية قال حدثنا ابو مطرف عن ابيه عن جده قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لامر الله » والوليد بن عبد الملك « بالمنتقم لله » وسليمان بن عبد الملك « بالمهدي » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، ومعه الى عمر بن عبد العزيز وتلقب هو « بالدامي بصنع الله » وسمي هشام بن عبد الملك « بالنصور » فلم يزل على ذلك حتى عهد ابيه يزيد فلقب بالمتخير من آل الله . وتلقب الوليد بن يزيد « بالمكتفي بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لانعم الله » وابراهيم بن الوليد « بالتمتعز بالله » ومروان بن محمد بالقائم بحق الله . وكان عبد العزيز بن مروان ، وكان ولي العهد ، يدعى على المنابر « بالمعظم لحرمان الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينة على خليج القسطنطينية سماها « مدينة القهر » وتسمى هو « بالقاهر بمون الله » .

على ان المسعودي لم يكن مقتنعا بما نقل عن تلقب ملوك بني أمية فاردف قائلا على ما تقدم : ... ان الكافة على خلافه . فلو كان الامر على ما ذكر ، لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المنقولة القاطمة والاعمال الموروثة . فلما لم يذكره الجمهور من حملة ونقل السير والاثار ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير . من ذكر اخبارهم ووصف ايامهم من تولاهم او انحرف عنهم ، علم ان ذلك لا اصل له .. »

على انه ما ان ادبرت ايام الامويين واقبلت ايام العباسيين حتى اصبح لكل من هؤلاء الاخيرين لقب يرافق اسمه الى جانب « امير المؤمنين » واوّل من

تلقب منهم كان اول خلافتهم : ابو العباس المعروف « بالسفاح » واختلف الناس في تفسير هذا اللقب ، فقالت طائفة بان الرجل تتقرب بالسفاح لكثرة ما سفح من الاموال في التمهيد لوثوبه بالدولة الاموية واحتلال مكانها في السلطان والحكم . كما قالت طائفة ثانية ان هذا اللقب التصق باسم اول خليفة عباسي بعد ان اكثر هذا من وضع السيف في ايمان بني أمية سانحا دماءهم في سبيل تأثيل ملك قومه بعد اجتثاث كل اثر لاي اموي تنوهم قدرته على الثورة او التفكير في العودة الى دست الولاية .

وبقي بنو العباس على ما ابتدأوا به من اعتماد الانقلاب للخلفاء الى جانب اسمائهم الاصلية الى آخر عهدهم بالخلافة حين انتقل السلطان سليم العثماني بالمتوكل على الله اواخر الخلفاء العباسيين ، من مصر الى اسطنبول واضعاً بذلك حدا للعباسيين وانصارهم من سلاطين الممالك في مصر والشام والعراق وباقي الجزيرة العربية . وهكذا كان اول القاب العباسيين : السفاح ، واورها : المتوكل على الله .

ففي اليوم الثامن من شهر محرم الحرام 923 هجرية (1517 م) دخل الاتراك العثمانيون مدينة القاهرة واصبح سلطان اسطنبول سيد الشرق العربي بلا منازع وافلت دولة المماليك بغير رجعة . وفي ذلك يقول محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : « وما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى ان اواخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر اجداده لمصر بعد سقوط بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاء خان التتري سنة 656 هـ (1091 م) وكانت له الخلافة بمصر اسما ، تنازل من حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني « اميرا للمؤمنين » و « خليفة لرسول رب العالمين » اسما وفعلًا . ا. هـ .

غير اننا نجد في كلام محمد فريد من انتقال لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » الى السلطان سليم العثماني وزواله عن المتوكل على الله العباسي ، مجرد استنتاج لا تدعمه الوثائق التاريخية لاسيما تلك التي كتبت من قبل المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة ودونوا وقائعها وتفصيلها ، دون ان يدعوا من هذه الوقائع والتفاصيل لا شاردة

ولا واردة امثال ابن اياس الذي قال في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» وهو من ادق ما كتب في هذا الموضوع . قال هذا المؤرخ وهو شاهد عيان :

« .. وفي يوم الجمعة سلخ سنة اثنين وعشرين وتسعمائة .. خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : « .. وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ، مالك البرين والبحرين ، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه . اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والاخرة يا رب العالمين » .

وفي حوادث سنة 923 هجرية قال ابن اياس : « .. وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا للسفر الى اسطنبول ، وخرج صحبته اولاد ابن عمه خليل وهما ابو بكر واحمد ، وخرج صحبته الناصري محمد بن الملاي علي بن خاص بك صهر الخليفة .. وءآخرون من الاميان ، فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك في المراكب ليتوجهوا الى ثغر رشيد . فحصل للناس على فقد امير المؤمنين من مصر غاية الاسف وقالوا : لقد انقطعت الخلافة من مصر وصارت في اسطنبول ، وهذه من الحوادث المبهولة .. الخ » .

يتبين من هذا النص ان السلطان العثماني لم يجرد المتوكل على الله من لقب الخلافة وينتعله لنفسه وان الناس لم يقولوا يومئذ بان الخلافة انتقلت من بني العباس الى بني عثمان ، بل كل ما حصل هو ان السلطان التركي المنتصر اراد ان يفرض الإقامة الجبرية على الخليفة العباسي في اسطنبول كيلا يشكل بقاءه في القاهرة سببا لاثارة الناس الى خلق المتاعب في وجه العهد الجديد ، وربما لتصبح اسطنبول مقرا رسميا للخلافة .

غير انه مما لا شك فيه ، ان المتوكل على الله كان آخر من حمل لقب « الخليفة وامير المؤمنين » من العباسيين وان هذين اللقبين بقيا شافريين لم يحملهما احد من ملوك بني عثمان الا ابتداء من السلطان محمود الثاني ، فان هذا السلطان وجد ملكه يضطرب تحت وطأة ثورات داخلية اضرم نيرانها بعض حكام العرب المسلمين تحت شعارات اسلامية فما كان منه الا ان واجه هذه الشعارات بالاتجاه الى

لقب الخلافة العظمى كي يفسد على الثائرين به خطتهم الدينية ويتقوى عليهم باللقب الذي كان اباؤه واجداده بغير حاجة اليه لتمكنهم من اسباب الغلبة والقوة العسكرية بحيث لم يكن لقب الخلافة عنصرا مؤثرا في هذه الاسباب من قريب او بعيد .

اما عندما كانت السلطة العثمانية في اوج مجدها فان لقب ، او بالاصح ، القاب ملوكها كانت كما نقلها فيما يلي من مقدمة الرسالة الجوابية التي ارسلها السلطان سليمان القانوني الى فرانسوا الاول ملك فرنسا الذي استنجد به على حماية مملكته من عدوه شارلكان ملك اسبانيا وذلك في سنة 922 هجرية (1526 م) :

« الله العلي ، المغني ، المعطي ، الممين :

بمنية حضرة عزت الله جلت قدرته وعلت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقُدوة فرقة الاصفياء محمد صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله ،

انا ، سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوج الملوك ، ظل الله في الارض ، سلطان البحر الابيض والبحر والاسود ، والاناضول ، والروملي ، وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكردستان واذريجان والمجم والشام ، وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ، وممالك كثيرة فتحها ايضا اباائي الكرام واجدادني العظام ، بقوتهم القاهرة اثار الله براهينهم ، وبلادا اخرى كثيرة افتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ، انا السلطان سليمان خان ، ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، ... الى فرنسيس ملك « ولاية » فرنسا ... وصل الى اعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي ارسلتموه مع تابكم فرائقباي النشيط .. الخ ... »

اما بعد ان هرمت الدولة العثمانية وتقطعت منها الاوصال بانفصال ما كان تابعا لها من الولايات الاوروبية واحتلال الاجانب لكثير من ولاياتها العربية في اسيا وافريقيا . بعد ان مال امر هذه الامبراطورية الى هذه النهاية المحزنة فقد اصبح لقب السلطان العثماني في أيام المغفور له ساكن الجنان عبد الحميد الثاني ، « السلطان العظيم والخالفان العظيم ، امير

المؤمنين وخليفة المسلمين ومولانا السلطان ابن السلطان
الغازي عبد الحميد خان .»

حتى اذا استمر دولاب عز العثمانيين في
تقهقره الى الوراء اخذت المدارس الحكومية في عهد
السلطان محمد رشاد الملقب بالخامس تعلم طلابها
لقب العاهل التركي كما يلي :

« جناب رب ، منان ، بادشاه ، خاقان البرين
والبحرين وخادم الحرمين الشريفين ، ولي نعمت
بي منت ، امير المؤمنين ، محمد رشاد افنديمير ،
حظرتري .. »

وبآخر من حمل لقب « امير المؤمنين الخليفة
الاعظم » من ملوك بني عثمان ، كان السلطان محمد
وحيد الدين الملقب بمحمد السادس الذي اقاله معطى
كمال باشا من السلطنة ثم من الخلافة سنة 1923
ميلادية وبانتهاء السلطنة والخلافة من بني عثمان
اصبح لقب « امير المؤمنين والخليفة الاعظم » .. في
ذمة التاريخ على الرغم من المحاولة التي قام بها
الشريف حسين بن علي ملك الحجاز في بلدة
الشوك الاردنية حينما استدمى اليه بعض اعيان
البلاد لمبايعته « خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين » .
وهي محاولة لم يخالدها احد في ذلك الحين على
محمل الجد وسرعان ما تجاهلها المسلمون حينما
تناقلت اسلاك البرق الانذار الذي وجهته الحكومة
الانجليزية سنة 1922 الى حليفها بالامس القريب
الذي طمع في التحول محل سلاطين بني عثمان في
حمل لقب « امارة المؤمنين وخلافة رسول رب
العالمين » .. وهي البرقية التي تقول للحسين بن علي
شريف مكة وسليل اشرافها :

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح على وجوب
مفادرتكم العقبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر
من ثلاثة اسابيع »

ومن العقبة الى قبرس ، ففي هذه الجزيرة
كان واخر المطاف باللاهث وراء لقب « امير المؤمنين
وخليفة رسول رب العالمين » وكان ذلك في سنة
1924 ميلادية .

ومنذ ذلك الحين .. لم يعد احد يحمل اعظم
الالقب الاسلامية : امير المؤمنين وخليفة رسول رب
العالمين ، بوصفه اعلى مرجع اسلامي في العالم .
وان كان ما يزال في بعض الاقطار العربية من يدعي

الى الآن بلقب امير المؤمنين . كما هي الحال في
بلاد المملكة المغربية حيث لقب الملك فيها : امير
المؤمنين . وكما هو الحال في المملكة المتوكلية
اليمنية حيث يلقب امامها بامير المؤمنين . وكما هو
الحال كذلك في بعض الجماعات الدينية المنتشرة في
جنوب الجزيرة العربية حيث توجد بقايا الخوارج من
الطائفة الاباضية ببلاد عمان التي ما تزال تدعو امامها
بلقب امير المؤمنين .

وليس من شك في ان هذه البلدان وما فيها
من فرق وطوائف ، حيث تلقب عاهلها او رئيسها
بامير المؤمنين فانما تعني في الواقع انه « امير
المؤمنين الخاضعين بالفعل لسلطته السياسية في
حدود بلاده الجغرافية » . ومن الطبيعي انه لا يخطر
ببال احد ان هذا اللقب ينسحب في ايماننا على المعنى
الذي كان يحمله صاحب الخلافة العظمى الذي كان ،
ولو شككنا ، المرجع الاعلى لجميع المسلمين في العالم
على اختلاف بلدانهم وطوائفهم .

وها نحن الآن ، ننتقل من لقب رئيس الدولة
في الاسلام الى بيان لقب الشخص الذي كان يليه في
حمل تبعات الادارة والاضطلاع بمسؤولية الحكم ،
وهو الشخص الذي تواضع الناس من اهل زماننا على
تسميته برئيس الحكومة او رئيس الوزارة .

قال القلقشندي : « كانوا في اوائل امر الخلافة
يمبرون منه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما اشار
اليه التضاضي في « عيون الاخبار » فلما جاءت الدولة
المباسية ولقب ابو العباس اول خلفائهم كاتبه ابا
سلمة الخلال « بالوزير » استقر لقب الوزارة من
حينئذ ورفض التلقب بالكاتب » .

ولقد استعملت كلمة « الوزير » مستقلة ،
للدلالة على الرجل الذي يختاره الخليفة لمعاونته في
تحريك اطارات الدولة وضبط اجهزة الحكم
وعناصره . على ان كلمة « الوزير » لم تسبق منفردة
لوحدها مدة طويلة ، اذ ان الشعراء ، ما لبثوا ان
اضافوا اليها لقباً يتقدمها ، زيادة في تعظيم حاملها ،
واشعارا للناس من خاصة او عامة ، بمسؤولية المهمة
التي يمارسها . فقد نقل الراهب الاصفهاني في
محاضراته ان الشاعر جعظلة البرمكي توجه الى
الوزير الذي كان في ايامه بقوله :

قل للوزير ادام الله « دولته »
اذكر مناديتي والخبر خشكار

اذ ليس في الباب بواب «لدولتكم»
ولا حمار ولا في الشط طيار

فانصاف الشاعر لقب «الدولة» الى لقب «الوزير» فاصبح كلا اللقبين متلازمين لا يكاد يفرق احدهما عن الآخر منذ ذلك الحين الى ايامنا هذه ، رغم جميع القرارات « الثورية » التي صدرت في المهود الاخيرة ، بالغاء الالقاب وعدم استعمالها ، لاسيما في المكاتبات الرسمية .

ثم ما لبث لقب الوزير ان اضيف اليه فيما بعد لقب «آخر» ، فكان ابو سلمة الخلال وزير السباح يعرف بلقب « وزير «ال محمد» » ولما ولي المهدي ابن ابي جعفر المنصور مدة الخلافة ، لقب وزيره بمقوب بن داوود بن طهماز «الغ في الله» ، والمامون بن هرون الرشيد لقب وزيره الفضل بن سهل حين استوزره « بذي الكفائيين » كما لقب اخوه الامين وزيره الحسن بن سهل « بذي الرياستين » .

وان ارباب السيوف من امراء الدولة العباسية وكبار عمالها ، اصابهم ما اصاب غيرهم من المدنيين في الادارة . فكان لقب ابي مسلم الخرساني « امير «ال محمد» » وقيل «سيف «ال محمد» » ولقب ابو الطيب طاهر بن محمد « ذا اليمينين » ولقب الخليفة المعتمد قائد مسكره جندر بن طاووس «بالافشين» من حيث انه اشروسني والافشين لقب على ملك اشروسنة..»

والى جانب لقب دولة الوزير الذي كان يقال لمساعد الخليفة في نفس عاصمة ملكه فلقد عرف العهد العباسي لقباً آخر استحدث فيما بعد لاطلاقه على ممثل الخليفة ، نفسه في البلدان التي كانت خاضعة لسلطانه . ذلكم هو لقب « الاستاذ » واستاذ ، كلمة فارسية الارومة ، وكانت تكتب « اوستاد » ومعناها بلغة الفرس «معلم او سيد» وعن الفرس اخذها العرب بعد ان كثر بين الامتين التداخل والاختلاط بعد الاسلام .

واول ما استعمل لقب « استاذ » كان في العهد العباسي وذلك حين اطلق على نائب الخليفة في الديار المصرية والبلاد الشامية ابي المسك كافور بن عبد الله الاخشيدي ، الذي عرف باسم الاستاذ كافور الاخشيدي . وهو الخصي الاسود الذي اشتراه سيده ابو بكر محمد الاخشيدي بثمانية عشر دينارا ورباه واعتقه قبل ان يصبح الحاكم المطلق باسم

الخليفة على مصر والشام وما اليهما من ثغور وبلاد . والاستاذ كافور هذا هو الذي بالغ في مدحه المنهني عندما كان طامعا في بره وصلته ثم عاد فسلقه باهاجيه المقدمة عندما وجد ان طمعه فيه كان في غير محله .

وقد استعملت كلمة «استاذ» في اوساط النخاسين الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فكانت تتداولها الالسنه في هذه الاوساط للإشارة الى مالك رقة الملوك فكانوا يقولون: فلان استاذ العلولة الفلاني اي صاحبه ومالك رقبته بالرق ، ثم ما لبثت كلمة استاذ ان تطورت في العهد العثماني لاسيما في الهزيع الاخير من ايامه ، كما تطورت طريقة التلفظ بها . فلقد تحولت كلمة استاذ الى كلمة «اوسطا» او «الاسطه» وبهذا الشكل الاخير ما زالت تلفظ في ايامنا . وقد اصبح لقب استاذ يطلق على ارباب الصنائع واصحاب الحرف اليدوية منهم على الاغلب . والمعاصرون من اهل مصر كثيرا ما يستعملون كلمة « اوسطا » بقصد المنادة على الشخص الذي يجهلون اسمه ، وتقابلها في بلاد الشام سورية وفلسطين ولبنان ، كلمة « معلم » والفرض والمعنى، هنا وهناك واحد كما هو معروف .

على انه لا بد من القول ، بان كلمة استاذ قد تشعبت فيها اساليب الاستعمال في ايامنا حتى انها كثيرا ما غدت تطلق على الشخص العادي من الناس ، ولو كان من سوقة القوم وصمايكم او حتى ارذلهم ، كما انها تطلق كذلك على واحد من اثنين من ارباب السن الفكرية . المحامي الذي يتوكل للترافع عن اصحاب القضايا المدنية ومعلم المدرسة مهما كانت درجته من الثقافة او رتبته من الوظيفة .

وعلى الجملة فان كلمة «استاذ» هي اليوم «عمومية» الاستعمال بدون ضابط ولا ميزان ، من اي انسان لاي انسان .

ونعود الى القاب حكم الولايات والاطراف في الدولة العباسية ، فنقول : انه عندما تراخت قبضة السلطة المركزية التي كانت تمارسها بغداد في مملكتها مع عمالها في الولايات والاطراف اتبعت لها ، واستشرى نفوذ هؤلاء العمال واصبحوا يتسامون الى الانفراد بالسلطة في مناطقهم ، عندما اصبح الامر كذلك نزع منهم الى مشاركة الخليفة بمظاهر الملك من مراسيم والقاب حتى اصبح الخليفة يجد نفسه

وقد أصبح شبه مجرد من كل حول ومن كل طول ، ان ينزل عند رغبات هؤلاء الموظفين الكبار في دولته ، وان يلبي رغباتهم ويحقق مطالبهم وان يمنحهم من الالقاب السلطانية ما يتطلعون اليه رغبة ام كرها على حد سواء .

ويصف لنا ابن مسكويه في كتابه « تجارب الامم » حالة الخلافة في تلك الايام حين لم يبق للخليفة من آثار السلطان الا نقش اسمه على السكة والدعاء له فوق امواد المنابر ، لا اكثر ولا اقل ، فيروي لنا هذا المؤرخ من المطيع لله العباسي (سنة 361 هـ) انه لما سأل بختيار تزويده بالمال لاجل الغزو والجهاد ، اجابه الخليفة على طلبه بقوله :

« ان الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والى تدبير الاموال والرجال ، واما الآن ، وليس لي منها الا القوت القاصر من كفاي ، وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ، مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم ، تسكتون به وعيائكم ، فان احببتم ان امتزل ، امتزلت من هذا المقدار ايضا ، ومرتكم والامر كله ! ... »

وهكذا ، لما أصبح لقب الخلافة في مثل هذا التهافت والوهن ، وعدم النفوذ وقلة الجدوى ، اذا بالقب الحکم والسلطان تأخذ سبيلها الى اولئك العمال الذين هم من حيث المبدأ والوضع القانوني مجرد موظفين لدى الخليفة خاضعين لولايته في التمييز والعزل والسلطة والصلاحيات .

ويقال ان اول من اتخذ الالقاب لنفسه من هؤلاء الموظفين هو الحسين بن قاسم بن عبد الله الذي لقبه الخليفة المكتفي « بولي الدولة » فكان هذا الامير اول من لقب بالاصالة الى الدولة في الاسلام

ثم وافت الدلالة لآل بويه الديلم ، فسمى الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي « بركن الدولة » وهو الذي كان صاحب اصهبان والري وهمذان ، وجميع عراق العجم ، واستمر في الملك اربعا واربعين سنة وشهرا وتسعة ايام ، ونعا نحوه في اتخاذ الالقاب ابناؤه الذين قسم عليهم الممالك التي كانت تحت يده اثناء حياته فنقلب بفقر الدولة ، حتى ان اولهم فنا خسرو اضاف الى لقبه عصف الدولة لقباً ثانيا طلبه من الخليفة الطائع لله ، وهو « تاج الملة » ثم انه لم يكتف بهذين اللقبين الساميين ،

وتطلع الى لقب ثالث ، يجمله فوق جميع اصحاب الالقاب من امثاله المعاصرين له ، فنقلب بشاهنشاه (اي ملك الملوك) وامر خطباء المساجد ان يشركوه بالدعاء الى جانب الخليفة نفسه بهذا اللقب الاخير وهذا اللقب الذي كان الفقهاء يمانعون في اطلاقه على اي انسان ، مهما سما مركزه وقويت شوكته ، لما فيه من المعاني التي لا يجوز ان تقال الا لله عز وجل الذي هو جلت قدرته ، ملك الملوك وحده دون سائر خلقه من بني الانسان .

ولقد كان اطلاق اللقب على احد الحكام من قبل الخليفة ، يتم وسط مراسم حكومية تجري في هاية الابهة والفخامة ، فلقد حكى صاحب تاريخ الاسلام في اثناء الكلام من تلقب عضد الدولة الذي اشرنا اليه من قبل ، بتاج الملة :

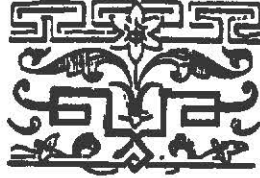
ان الخليفة ، الطائع لله ، جلس في هذه المناسبة على السرير ، وحوله مائة بالسيوف والزيئة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة ويده القضيب ، وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعشها عضد الدولة ، وساله ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين احد من الجند قبله . ودخل الاتراك والديلم وليس مع احد منهم حديد . ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين ، ثم اذن لعضد الدولة ثم رفعت الستارة . فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاح زياد القائد لذلك وقال ، بالفارسية : « ما هذا ايها الملك ، اهذا هو الله عز وجل ؟ » فالتفت اليه عبد العزيز ابن يوسف وقال له : « فهمه » فقال له : « هذا خليفة الله في الارض » ثم استمر (اي عضد الدولة) يقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص الخادم ، فقال : استندنه فصمد عضد الدولة ، فقبل الارض دفعتين ، فقال له ادن الي ، الى ان دنا وقبل رجله ، وثنى الطائع بيمينه عليه ، وامره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له ، اقم لتجلس ، فقال : عندي معلوم ، فقال ، نيتك موثوق بها ، وعقيدتك مسكون اليها ، فاوما براسه . ثم قال له الطائع : قد رايت ان افوض اليك ما وكل الله الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي . فتول ذلك مستخيرا بالله ، قال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته ، واريد وجوه القواد ان يسمموا لفظ امير المؤمنين ، فقال

الله ، وانهاك هما نهاك عنه ، وابراء الى الله مما سوى ذلك، انهض على اسم الله . »

ثم اخذ الطائع سيفاً كان بين المخدمين فقلده به مضاعاً الى السيف الذي قلده مع الخلعة ، وخرج من باب الخاصة ، وسار الى البلد . . . »

والجدير بالذكر ، ان حكام الديلم من بني بويه المذكورين ، كانوا قدوة في هذا الباب ، لمن جاء بعدهم من ارباب الحكم في ولايات الامبراطورية الاسلامية العباسية ، خارج بغداد ، فكثرت الاسماء التي التصقت بها الالقاب من مثل مصمص الدولة ، وغصنفر الدولة ، وشرف الدولة وما شابه ذلك .

الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ، ومحمد بن عمر وابن معروف ، وابن أم شيبان ، والزنبلي ، فقدموا . فاعاد الطائع لله القول بالتفويض ثم التفت الى طريف الخادم ، فقال ، يا طريف ، تفاض عليه الخلع ويتوج فنهض الى الرواق ، والبس الخلع - وخرج فاعاد ما قبل الارض ، فلم يطق لكثرة ما عليه ، فقال له الطائع : حسبك ، حسبك ، وامره بالجلوس ، ثم استدعى الطائع تقديم الويته ، فقدم لواوين واستخار الله ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه فقريء فقال له الطائع : « خار الله لك ولنا وللمسلمين ، آمرك بما امرك



تطور الفكر العلمي وكيفية التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى الأستاذ: عبد العزيز بن عبد الله الرباط

النكد المولى وابن سينا والرازي وآخرين ونظمت صناعة الطب منذ عام 295 هـ (2) بقرار الخليفة المقتدر نظام الامتحانات لمخرج في عام 319 هـ وحدها ببغداد 860 طبيباً واجري أول امتحان للصيادلة أيام المعتصم عام 221 هـ وأول مارستان بنى في الإسلام كان بالشام في عهد الوليد الأموي عام 86 هـ (3) ثم في مصر في عهد أحمد بن طولون وكان في المارستان العسدي أربعة وعشرون طبيباً فيهم الكحالون والطبائميون والجراحون .

ومن أطباء الأندلس وصيادلته في هذا العصر ابن جلجل (وهو أعظم طبيب طبائمي) والوليد المدحجي الذي دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وهو طبيبه الخاص، وعبد المالك بن حبيب السلمي المرداسي القرطبي المتوفى عام 238 هـ ، وأول من أدخل الطب إلى المغرب هو اسحاق بن عمران وابن الجزار صاحب « زاد المسافر وتوت الحاضر » وهو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المتوفى عام 395 هـ (4) ومحمد بن عبدون الذي أشرف على مارستان القاهرة ورجع إلى

لقد استعرضنا مختلف العوامل التي كان لها اثر قوي أو ضئيل في تطور الفكر واللغة بالمغرب ومن تلك المؤثرات العناصر الحضارية الأموية والبيروانية والاندلسية ثم الثقافية من قرآن ولغة ودين وأدب وتصوف غير أن نظرنا إلى هذا التطور لن تتم ما لم نستشف من خلال البحوث والدراسات ذات الطابع العلمي ما أمكن للكيمائيين والرياضيين والطبائميين والأطباء والصيادلة والفلكيين والفلاسفة أن يسهموا به من آراء ونظريات ومصطلحات لبلورة اللغة العربية واستكمال تطورها في المغرب ، وبما أن المغرب الاتصى لم يكن يعيش في تفص مثل بالنسبة للشرق العربي وأنه دشن منذ القرن الثالث الهجري مع الأندلس عهد تبادل مكثري أوثق من الضروري استكناه محتويات هذه الاواني المستطرقة (1) جميعها للتعرف على الهيكل العلمي ومقوماته ، فلي خصوص الطب والصيدلة والكيمياء المستجدة في المغرب الاتصى نلاحظ بأن الأندلس ، وبالتالي المغرب ، كانتا حالة على الشرق حيث ظهر أمثال جابر بن حيان والحسن بن

(1) وهو مبدأ غاليلي Galilée المعروف بـ Vases Communicants .

(2) (الطبي ص 130) .

(3) القرطبي في الخطط والآثار ج 2 ص 405 طبعة بولاق .

(4) صبح الأمش ج 3 ص 337 .

الاندلس عام 360 هـ (5) وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (6) .

ويظهر أن هذه العلوم بدأت تزدهر في المغرب الأندلس منذ هذا العصر حيث كانت جامعة القرويين وملحقها جامع الأندلس بفاس تدرسان الطب ضمن الكتب المقررة وقد أشار لوكير إلى هذا الازدهار (7) ولاحظ (8) أن المغرب أشد أقطار الإسلام عمقا من الناحية العلمية وهو يقصد المغرب الثلاثة وخاصة إفريقية ، وقد لاحظ القفطي (9) أن المعز الفاطمي نقل معه إلى مصر كثيرا من الأطباء المغاربة واشتهر تسطنطين التونسي آنذاك كطبيب ماهر وأسست بفاس مدرسة طبية منذ القرن الرابع (10) وكان القرنان الخامس والسادس الهجريان أبرز العصور العلمية في الأندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تمخض من تدخل المرابطين ثم الموحيدين وذلك بفضل العناية التي أولاها هؤلاء الخلفاء للعلم والعلماء، اذ يمكن القول - والدكتور لوكير يؤكد هذا (ج 2 ص 72) - بأن الفكر لم يسبق له أن تحرر كما وقع في هذا العصر

وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد (الذي هو أعظم فيلسوف أنجبته الأندلس) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو أبو مروان عبد الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية ، بفاس إلى هؤلاء الفاطمي (11) وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الداني اللذان الفسا في تاريخ الطب الطبيعي وابن العوام (12) مؤلف « كتاب الفلاحة » الذي لا يوجد له نظير في الأدب العربي لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق تديبية ثينة (13) بل هو أعظم ما أنتجه ، لا العرب وحدهم، بل حتى العصور القديمة (ص 110) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال القرن المقبل أمثال ابن البيطار (14) المالقي وأستاذه ابن العباس النبطي وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الأثناء من أعظم العلماء سوى فخر الدين الرازي فاستطاع الأندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الإسلامي (15) .

- 5) يوجد الجزء الأول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط وكذلك مختصر كتاب « الامتصاد » في الأدوية المردة لابن الجزار ومختصر الطب لابن حبيب المرادسي .
- 6) (النسخ ج 1 ص 444) والزهراوي هو صاحب (التعريف لمن عجز عن التأليف) وهم أعظم جراح عربي (لوكير - الطب العربي ج 1 ص 334) امتدده مؤلفو الجراحة في العصور الوسطى وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في الجراحة ويوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط جزء من هذا الكتاب ((عدد 1427 د) الذي طبع بالهند وقد مات بعد الأربعمائة كما عند حاجي خليفة والحسن الوزان الذي أرخ وفاته بـ 404 هـ (موافق 1013 م) ووهو كازيري Casiri الذي أكد في المجلد الأول من فهرسته (ص 137) أنه عام 500 هـ (لوكير ج 1 ص 437) .
- 7) نفس المصدر (ج 1 ص 334) .
- 8) (ج 1 ص 407) .
- 9) في (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ص 75 .
- 10) (شهيرات المغرب) للكائوني وهو مخطوط نقل من كتاب حول (الإسبان بالمغرب الأقصى) لعالم فرنسي لم أثبت اسمه بوضوح في المخطوط المذكور .
- 11) هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الفاطمي صاحب « المرشد » في طب العيون ويوجد « كتاب الأمشاب » للفاطمي في دار الآثار العربية وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات وعقائير وحيوانات متقنة الرسم .
- 12) هو أبو زكرياء يحيى بن محمد الذي لا نعرفه إلا من خلال مصنفاة ويزعم كازيري أنه عاش في القرن السادس الهجري .
- 13) (لوكير ج 2 ص 11) .
- 14) ابن البيطار توفي عام 646 أكل عتارا قاتلا لمبات من سماته (نفع الطبيب ج 2 ص 874) .
- 15) (لوكير ج 2 ص 72) .

والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في العلاج وتدريس الطب - فنادى المغرب كثيرا من نكبة الاندلس .

ويظهر ان علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقتا في عهد المنصور عندما حارب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد الى التخلي عن الخوض في ذلك ، والمنصور هذا وان كان لم يقصد اضطهاد رجال الطب حيث اناط بابن زهر نفسه مأمورية تمتع الفلاسفة ثقة به الا انه عمد الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها من اجل الناس اليها انجذابا للمادة فقل المعتنون بالحكمة والطب ، على ان امتثال المنصور لابن رشد وابى جعفر الذهبي زاد الناس رغبة في مصير الفلاسفة والاطباء ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فاعاد الحظوة الى الرجلين وكلف ابا جعفر بالسهر على مصالح الاطباء وطلبة الطب ، وتلك من المنصور محاولة لا بأس بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو Reinaud أن المغرب لم يتم على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبقية العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في أسبانيا المجاورة ، ولكن منذ أواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلاديين - وهما أبرز عصور اسبانيا المسلمة - امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين « فكيف يمكن إذن أن تفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين أنجبتهم الاندلس أو الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية أو قرطبة الى ماس أو مراکش أو الممات ، فلهزمغرب الحق إذن أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد « الخ (18) وكانت الحكمة تشمل آنذاك جميع

وبفضل الانبعاث العربي في الاندلس (16) صارت أوروبا تنفض عنها اودية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند Raimonde اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ، ثم ورد جيرار دوكريسون على طليطلة حيث استقر نحو من نصف قرن نقل خلاله من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او افريقيا مغربا .

وقد بدأت حركة الترجمة في افريقيا منذ القرن الرابع لهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس مدرسة سالرنو وهي أول مدرسة من نوعها في أوروبا وكانت مبعث أنوار الطب الحديث في العالم الغربي ، ولد حوالي عام 400 بتونس وحمل مخطوطات طبية الى سالرنو Salerno بقيت غذاء أوروبا عدة قرون وترجم الى اللاتينية أهم كتب الطب العربي منها « زاد المسافر » لابن الجزار وكتب للرازي واسحق ابن سليمان الاسرائيلي والف نحو من 24 كتابا في الطب منها قانون الطب في 12 مجلدا و « نياتيكوم » في الطب العام في سبعة أجزاء ومات عام 475 .

وكان القرن السابع في الشرق مصر ازدهار ثم انهيار نسبي للعلوم كما كان قبله القرن السادس في الاندلس ولكن لم يكد يمضي العقد الاول من القرن السابع (17) حتى بدا صرح العلم ينهار وطبست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تألق نجمه منذ عهد الناصر الاموي طوال ثلاثة قرون .

نعم في العهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراکش تكونت - كما يقول لوكليز (ج 2 ص 340) جماعة من الاطباء التفت حول ملوك المرابطين

16) وقد نبغ في القرن السابع أمثال السويدي صاحب التذكرة المتوفى عام 691 هـ (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط مختصر للتذكرة لعبد الوهاب الشعرائي المتوفى عام 973 هـ في 141 ورقة) وابن أبي أصيبعة وجمال الدين القنطري (على بن يوسف المصري الوزير الملقب بالقاضي الاكرم المتوفى في عام 646) وعبد اللطيف البغدادي (المتوفى عام 629 هـ والذي امتاز في وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصري المتوفى عام 687 هـ والذي كان أعظم أطباء عصره وهو صاحب « كتاب الشامل » الذي لم يكمل المؤلف منه سوى 80 مجلدا من بين 300 (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط موجز قانون ابن النفيس لملي بن أبي الحزم القرشي المتوفى عام 687 في 38 ورقة) .

17) أي بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام 609 « وكانت السبب في هلاك الاندلس » كما يقول ابن عذاري في « البيان المغرب » (ج 4 ص 240) .

18) الطب القديم بالمغرب - رينو Reinaud نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72 ابن القاضي (درة الحجال ص 117) .

شعب الفلسفة والعلوم وأن كان مفهومها سيقتلص في القرون الأخيرة عندها يضعف الفكر العلمي بالمغرب ليقصر على جزء من الطب هو الكعالة أو مرض العيون.

ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس وقد كان طبيباً خاصاً ليوسف بن تاشفين بعد أن كان طبيباً المعتمد بن عباد بأشبيلية (19) ووالد أبي العلاء هو أبو مروان عبد الملك ابن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الذي تولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالتيروان (20) وكانت له آراء شاذة في الطب منها منعه من الحمام اعتقاداً منه بأنه يعفن الأجسام ويسد تركيب الأمزجة (21) وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب من تاليفه لكتاب «التذكرة» (الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالأدواء الغالبة في مراكش والأدوية المناسبة.

وبعدما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى كان أبو العلاء سجلها في أوراق وهي «المجربات» (22) وولده هو أبو مروان عبد الملك بن زهر خدام المرابطين مثل أبيه والف كتاب

الاقتصاد (23) وهو أعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازي في الشرق.

وقد قرأ عليه أبو الحكم ابن غلندو الأشبيلي الشاعر عام 535 كتاب «الاقتصاد» في سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين. وكان ابن رشد يفضل ابن زهر على غيره من أهل عصره (24). وقد نهج ابن زهر في كتاب «التيسير» أسلوباً جديداً في الحكمة القياسية مستخدماً التحريض العقلي للوصول إلى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتحريض العلمي وليس من صناعات اليد كما يقول في «التيسير» ولذلك توصل بفضل قياساته الطبيعية وتجربته الشخصية إلى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالأمراض الرئوية وأجرى عملية القصبة المؤدية إلى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة في مرض الذبحة لمعولج المريض وقد اقتص في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوبية مجوفة من التصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحتن المخذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صواباً كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة — إذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر

(19) ذكر المراكشي في «المعجب» أن المعتمد استدعى أبا العلاء لمعالجة «الربمكية» عندما كان أسيراً بأفمات.

(20) (النسخ ج 1 ص 445).

(21) الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج 2 ص 64 — 66

(22) جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (844) وقد ترجم جان دوكابو التذكرة من العبرية إلى اللاتينية (نسخة من مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالى التراجم عام 1280 والمطبوعات (عشر مرات بين 1490 و 1554).

وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها إلى 1531 وهي تحتوي أيضاً على كليات ابن رشد.

وهناك رسالة في أمراض الكلى كتبها أبو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة بباريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات، ولابن العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندي حول تركيب الأدوية.

وتوجد نسخة من (جامع أسرار الطب) لابن العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة.

(23) لأبراهيم بن يوسف أخي علي (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة في الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وخرق من الكتابة عام 515 هـ.

(24) ابن عبد الملك في «الذيل والتكملة».

شأن الجهاز البشري — تكني وحدها في الغالب لعلاج
الادواء (25) .

والحنيد أبو بكر بن مروان كان طبيباً شاعراً متين
الدين خدم الدولتين اللبتونية والموحدية (عبد المؤمن
ويوسف ويعقوب والناصر) توفى عام 596 هـ بمراكش
الف « الترياق الخمسيني » ليعقوب المنصور ودرس إليه
ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت
هي وأبها عالمتين بالطب لاسيما في أمراض النساء
وتدخلان إلى نساء المنصور (26) وكان أبو بكر يحفظ
صحاح البخاري (27) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة
وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو نكث لغة العرب (28)

أما أبو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف
بابن باجة (29) فهو شيخ ابن رشد ، وقد استوزره
أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك
الاطباء في صناعتهم لمحسوده وقتلوه مسموما عام
533 هـ (30) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية
المنسوبة لابن باجة ولا يعرف إلا من طريق ابن البيطار

الذي يقتبس منها في « جامع المفردات » . ومن تلامذة
ابن باجة سفيان الاندلسي المتوفى عام 537 الذي كان
أحد اطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة
في تأليف كتاب التجريبتين (31) .

ومن الاطباء الذين نبغوا في هذا العصر : أبو
جعفر بن هارون القرطبي طبيب يوسف وهو تلميذ
المعافري في الحديث وشيخ ابن رشد في التعاليم والطب
وكان عالماً بصناعة الكحل (طب العيون) (32) .

أما الوليد ابن رشد فاهم مصنفاته كتاب الكليات
الذي طلب من ابن زهر اعداد ملحق له (33) في
الجزئيات لتكون جلة كتابيهما كتاباً كاملاً في الطب، وقد
نظم عليه المنصور وأجبره على القيام باليسانة الأهلية
باليهود قرب ترطبة وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن
سينا ما يصنفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء في
الامراض الرئوية ، أشار إلى جزيرة العرب وبلاد النوبة
كمراكز شتوية (34) .

(25) (حضارة العرب) جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية . وقد وهم كودار فزهم في كتابه
حول تاريخ المغرب (ص 452) أن أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن ابن زهر استعاض بالمنهج
التجريبي والطريقة العقلية من التقليد في ممارسة من الطب وكانت له عبقرية لمدة تطورت بفضلها شعب
ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

(26) (ابن أبي أصيبعة ص 67) .

(27) (الانيس المطرب) (ج 2 ص 180)

(28) (المطرب لابن دحية) .

(29) المتوفى بفاس (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 63)

(30) وقد زعم مارك أن ابن رشد لم يتلمذ لابن باجة الذي مات عام 1138 (525 هـ) أي عندما كان لابن
رشد 12 سنة وابن أبي أصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة .
(مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420) .

ويذكرون أن وفاته كانت سنة 533 هـ بفاس فيكون قد اتبع بذلك لابن رشد أن يتلمذ له .
كما خطأ عمر فروخ في كتابه « ابن طفيل وقصة حي بن يقظان » ص 31 « المراكشي » حينما زعم أن ابن
طفيل قرأ على ابن باجة » .

واضطرب الفتح بن خاتان في ابن باجة حيث نسب في القلائد للتمطيل وانحلال العقيدة وحلاه في
« مطمح الانس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة (والسوة ج 3 ص 262) .

(31) (لوكلير تاريخ الطب العربي) (ج 2 ص 79)

(32) ابن أبي أصيبعة (ج 2 ص 75) وذكر ابن عذارى في « البيان المغرب » (ج 4 ص 49) أن الخليفة
أبا يعقوب اعتل عام 573 فموتت عليه الاطباء في الاندلس للمعالجة إلى أن وجد الراحة » .

(33) وذكر أيضا أن أبا يعقوب لما خرج في الفزوة التي مات اثرها بالاندلس كان الاطباء الحاضرون لديه
هم ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم (ج 4 ص 70) .

(34) (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية) .

بوقة مع مصطلحات الشرق العربي عدا غروقي ترجع الى اللون المحلي كالنباتات والازهار والاعشاب العقاقيرية التي تحمل أسماء خاصة متأثرة بالعقاقير الجهورية ونضرب مثالا لذلك بالجوزة الصحراوية التي عرفت في المغرب بهذا الاسم بينما عرفت في كل من الشرق والجزائر بجوزة الشراك (41) وقد استعمل الطبيب هرون بن اسحاق ابن هررون في أرجوزته التي استدرك فيها على الحميات الواردة في أرجوزة ابن سينا (وهو من رجال القرن الرابع ماض في عهد عبد الرحمان الثالث) نحو ثلاثين كلمة مغربية أندلسية بدل مقابلها الصحيح منها :

تبين مكة (اخر)
والحلحال (= اسطوخودوس)
والمقربان (= اسقولوفندريون Scolofendre)
والناسوخ (= أشق)
(Gomme Ammoniaque
(Absinthe = اسنتين
والمجينة (= اكليل الملك Melilot)
وحبة حلاوة (= أنيسون Anis)
والرجلة (= بقلة حمقاء Pourpier)
ويربوز (= بقلة يمانية) Blotte)
وحبق الاترج (= ترنجان Basilic citronnelle)
والمصناب (= خلاف Saule ou Peuplier)
والجزر البري (= دوتو Carotte sauvage)
والنانع (= بزر الرازيانج Graine de fenouil)
والبرستم الكور (زراوند مدرج)
(Aristolochie ronde

والهندبا (= سريس Chicorée)
والمحودة (= ستمونيا Scammonée)

وابن رشد هو أول (35) من اشار الى الدورة الدموية وعللها في كتابه « الكليات » الذي استمد منه ويليام هارفي William Harvey معظم نظرياته . وهناك اطباء آخرون ينفذ عدد البارزين منهم على العشرين ، ازدهر بأبحاثهم القطاع العلمي في عهد المرابطين والموحدين (36) نخص بالذكر منهم عالمين اثنين من سبقة هما علي بن يقطان الطبيب الشافعي الذي زار مصر عام 544 هـ ثم اليمن والعراق ، وابن سمعون أبو الحجاج يوسف بن يحيى (37) الذي كان طبيبا لميمون أمير حلب ولملك مصر الظاهر ، وذلك علاوة على ابن الرومية النبطي الاشبيلي أحمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن المشاب الذي رحل الى الشرق عام 614 (38) بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وعليه الواسع ، وكان لرحلة ابن البيطار الى المغرب اثر قوي في نقل المصطلحات البربرية الى معجمه العربي الجديد الذي أصبح المرجع الاساسي في الشرق وخاصة بمصر حيث مين ابن البيطار رئيس المشابين (39) .

ومن أبرز من ظهر في هذا العصر أيضا الشريف الادريسي الذي صنف كتابه «النزهة» في الجغرافية عام 548 هـ (1154 م) ووضع كرة مضية للعالم جعلت منه استاذ أوروبا كما شحن كتابه في الادوية بنتائج تجاربه الشخصية الثنية ، هدت الطبائفي الشرقي الكبير ابن البيطار الى الاقتباس منه في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (40) والاعتماد عليه وحده في ثلاثين موضعا مع الاشارة الى اسمائها بالبربرية . ويتجلى من هذا العرض ان العلوم ازدهرت في المغرب الأقصى الى القرن السابع وانصهرت معطياتها ومفرداتها في

(35) ابن النفيس المصري ، اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 - بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33) وقد اشار ابن النفيس الى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد اهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .

(36) تحدثنا عن جميعهم في كتابنا « الطب والاطباء بالمغرب » المطبعة الاقتصادية 1960 بالرباط .

(37) القفطي ج 2 ص 160 و 193 و 256 .

(38) توفي عام 637 هـ وصنف كتابا في الحشائش رتبته على حروف المعجم وفاق أهل زمانه في معرفة النبات (نفع الطيب ج 1 ص 635) وتلميذه ابن البيطار هو أعظم نباتي العرب الذي قارنه لوكلير (ج 2 ص 225) بالفانقي والشريف الادريسي ورشيد الدين الصوري والنبطي .

(39) نفع الطيب ج 2 ص 683 .

(40) لوكلير Leciort (ج 2 ص 680)

(41) ابن البيطار في « جامع المفردات » وعبد الرزاق الجزائري في « كشف الرموز في بيان الاعشاب » (طبعة الجزائر 1903 و 1917) .

— الجن — الحاجب — الحبو — والحدة — حك
الورك (أي حك وهو مغرز رأس المفخذ) حلقوم —
حجرة — خرطوم — أما في عموم الحيوان فنذكر من
المفردات :

الحيوان — البفل — الجبع (خلية النحل)
والجمل والحمار والبرغوث والبق والنحل — والبموض
والتمساح والتميس — والثعبان — والحية — والحش
والانمى — والجحش والجراد والجرثومة والجرو
والجماد والحجل — والحداة ، والحرجة (جماعة الفم
والابل) والحظيرة والحلس والحوار (ولد الناقة)
والحوت والحولي — والحيتان (الدراج) (الحيتون
في زعير) وختل الصيد — والخروف والدلن —
ودوارة البطن (أمعاؤه) والدك — والدباب — والدب
— والخيل — والخيال — والخطاف — والخفاش —
والخنفساء الخ .

أما في عصر المرينيين فإن الملكة العلمية تضاعفت
وصار حفظ النصوص هو الغالب لا في علوم الآلة
كالنحو أو علوم الشريعة بل حتى في المنطق والحساب
والطب وسائر العلوم العقلية (42) ويظهر أن هذه الأمة
الفكرية قد أصابت بشلل جزئي تطاعات علمية في
الشرق حيث بدأ عصر الانحطاط العلمي في القرن
الثامن وبداية القاسع على أثر السيول الجارفة التي
حطمت في طريقها معالم الدنيا تحت أمرة جنكيز خان
وتيمورلنك ، وإذا كان ابن بطوطة قد تحدث لنا عن
المدرسة النظامية التي كانت ما زالت قائمة البنيان فإن
أساندها وطلبتها اندرسوا وقد لاحظ لوكير أنه أمكن
في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعمائة عالما نصلهم من
الاندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لقلة الطرافة
والاكتفاء بالجمع والتأليف (43) .

ويرى بعض المستشرقين أن جامعة فاس التي
ظلت تدرس الطب بكتب أبقراط وجالينوس وديوهينوس
المعربة لم تكن لتحتض جامعات العواصم العربية
الأخرى (44) . والواقع أن الفكر العلمي بدأ يتحجر
ليجهد على النصوص الظاهرة بالرغم مما يقال من

والحبق القرنفل (= شامشيرم Petit basilic)
ومشيشترو أو (= نمناع Menthe فوننج)
وحب الملوك (= تراسيا Cerise)
والكروية البرية (= ترديمان Carvi sauvage)
وقصة الحية (= تنطوريون Centaurée)
والشمع الأبيض (= Cire blanche = موم)
وغير ذلك .

وكان النباتيون يسمون الشجارين والحشائشيين
بالشرق بينما يعرفون بالعشابين في المغرب ومنهم ابن
العشاب المعروف بابن الرومية .

ولعل العامية المغربية من أغنى اللهجات العربية
الدارجة في مصطلحات العلوم بالرغم من وجود مرادفات
بربرية ولنضرب لذلك أمثلة مقتبسة من معجمنا في
« الأصول العربية للعامية المغربية » .

ففي خصوص الأعشاب والأزهار : بابونج
(بابنوج) — بسباس (المعجم الوسيط) مقدونس
(معدنوس ترماس) — الترنج (الكباد بالشام) —
ترياق (دواء للسموم) الجلبان — حب الرشاد —
الحرف — الججلان — جلنجن — الجوز — الباذنجان
— البهيرة (البستان) — برتوق — أجاص — البصل
— العنصل — الفول — البطيخ — البرسيم — التبن —
الثوم — الحب — الحرمل — الحشيش —
الحلبة — حلفاء — حمض — حمص — حناء — حنظل
— خبزة — خزامى — خس — خشفاش — خشاش
— خوخ — خيار — ذرة .

وفي العلوم : التوتيا — الجلود (الصخر) —
الجدول — الجفري — الجذام — الجذر — الجليد —
الحادور (المكان المنحدر) — الحارة (اللضاء) —
حامض الرئة أي مر النفس — الحبل (حمل المرأة)
والحرقة والحصاحص (الأرض الحجرية) — الحكة
والحراج — والخنان والدمل الخ .

ومن أعضاء الجسم : بمصوص (عظم — بين
الابيتين) (المعجم الوسيط) جمجمة — اقنف الانف

(42) « نشر الثاني » ج 2 ص 97 « وسلوة الانناس » ج 1 ص 74 نقلا عن كتاب لعلي بن ميمون
الطبي .

(43) كتاب الطب العربي لوكير (ج 2 ص 258) .

(44) ليفي بروفونصال Lévy-Provençal (هسبريس Hesperis عام 1952 ص 3) ولوكير « الطب
العربي » (ج 1 ص 575) وقد وصف كل من الرحالة باديا ليليش المعروف بطي المباسي والدكتور
رينو Renaud (الطب القديم بالمغرب ص 77) مدينة فاس بأنها أئنة إفريقية أي شبيهة بعاصمة
الفكر اليوناني بأوربا .

وجود مدرسة للطب في سلا (45) ومن ظهور دراسات مغربية حول علل وطرق علاج «الطامون الاسود» (46) الذي ظهر في منتصف المائة الثامنة .

وأبرز من ظهر من الأطباء انما عاشوا في أوائل عهد المرينيين أمثال أبي العباس الشريشي السلوي الذي قرا الطب في الشرق على ابن بنان (47) ومحمد ابن خليل السكوني الذي صنف في الخواص الطبية والكليات في الاغذية والبيطرة ومن ركوب الخيل وتدبير الحروب (48) .

أما في القرن الثامن فان العلماء أصبحت لهم مشاركة محدودة مثل احمد ابن علي الملياني الراكشي الذي جمع بين الشعر والكتابة والطب (49) بينما كانت لهذه المشاركة سمة الضلعة والعمق عند النبطي مثلا الى أوائل القرن السابع حيث كان الى جانب اختصاصه في علم النبات اماما في الحديث حافظا ناقدًا .. « لوجود القدر المشترك بين صناعتي الحديث والنبات اذ موادها - كما يقول ابن الخطيب في الاحاطة - الرحلة والتقييد وتصحيح الاصول » ، وقد شملت المشاركة جوانب شتى عديدة من العلوم والتقنيات أهمها الرياضيات والهندسة والهيئة . وكان العرب اساتذة النهضة الاوربية في الحساب (50) وقد نجد سيدنيو Sedillot (51) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرًا الى ما أبدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة للدائرة Tangentes في الحسابات ، والاستعاضة عن الاساليب المعقدة بحلول مبسطة أصبحت أساسا في حساب المثلثات الحديث Trigonométrie

وقد لاحظ العالم شال Charles انه كان للعرب فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة ،

وتأكد ذلك بعد أن نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen

ومن بينها بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطرق هندسية، ويقال بأن الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Equation de 2° Degré وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر ابن ابراهيم (52) ولعل لفظي الخوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمي الذي يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش في عصر المأمون العباسي. ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية ، وقد أبدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي أي المغرب الكبير والاندلس في بلورة هذا الانتعاش العلمي العربي فظهر ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوغريتم ، واشتهر في الاندلس أبو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى ابن يحيى المعروف بابن السبينة وأبو القاسم اصبيغ بن السمح (له تاليف منها المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس) ، وكتاب كبير في الهندسة (وأبو القاسم ابن الصفار وأبو الحسن الزهراوي (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وأبو الحكم عمر الكرماني (من الراسخين في العدد والهندسة) وأبو مسلم بن خلدون (كان متمرسا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برغوث (اختصاصي في العلوم الرياضية) وتلميذه أبو الحسن مختار الرميثي (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن أحمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع في العدد والهندسة) وأبو حي القرطبي

(45) ورد في الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وقبائله » المتعلق بالرباط وناحيته (ص 32 و 225) ان « المدرسة البوعنانية » المنسوبة الى أبي عنان المريني بسلا كانت « مدرسة للطب » ونسب ذلك الى « الاستقصا » الذي لم يشر اليه عند تعرضه للمدرسة (ج 2 ص 151) .

(46) الطب القديم بالمغرب - رينو - ص 47 .

(47) توفى باليوم عام 641 هـ (الاعلام للراكشي ج 1 ص 351) .

(48) توفى عام 646 (الاعلام ج 3 ص 145) .

(49) جذوة الاقتباس ص 73 .

(50) كوتبي Gautier في كتابه « عادات المسلمين وأمرائهم » ص 238 .

(51) تاريخ الطب العربي - لوكير ج 1 ص 320 .

(52) « حاضر العالم الاسلامي » (ج 1 ص 151)

وأبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة من أهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع « البيلة » و « الخسة » بصحن القرويين عام 599 هـ (58) .

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ، ففي عام 674 هـ خرج يعقوب المريني إلى خلة وادي فاس « ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء » فوقف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) وشرع في حفر أساسها (59) .

ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن البناء في الحساب (60) .

ويوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة بفاس أخذ عنه ابن البناء الحساب والتعالم (61) .

ومحمد بن علي المعروف بالشريف أستاذ ابن البناء المراكشي الذي كان يذكره مسائل من كتاب الأركان لاتلديس (62) .

(بصير بالهندسة ، رحل إلى مصر عام 442 هـ) وأبو الوثي الطيلي (الهندسة) (النفع ج 2 ص 874) ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات بالمغرب الاتمى في مختلف العصور : أبو بكر بن الصايغ المعروف بابن باجة Avempace له تعليقات في الهندسة (53) .

والحاج يعيش الذي صنع لعبد المؤمن ابن علي مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وقد وضعت على حركات هندسية ترتفع بها لخروجه وتخفض لدخوله (54) .

والهندس عبيد الله بن يونس الاندلسي الذي استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة هندسية (55) .

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان القفامي الذي كان عالما بالهندسة وسائر التعالم (56)

وعبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي وهو بربري توفي بمراكش عام 600 أو أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر والمقابلة بخزان باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة (57) .

53 توفي بفاس (« هيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن أبي أصيبعة ص 63) وكانت ولاته عام 533 هـ (الاعلام للعباس بن ابراهيم المراكشي ج 8 ص 6) .

54 فإذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط من موضع المقصورة فتطلع الأضلاع في زمان واحد ولا يفتت بعضها بعضا بدقيقة ، وكان باب المنبر مسدودا فإذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى ، وذكر المقرئ في النفع أن آثار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ .

55 (نزهة المشتاق للادريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول أفريقيا والاندلس) .

56 انتقل إلى فاس حيث توفي في حدود ست مائة (الجذوة لابن القاضي ص 72) .

57 ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المصدري المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » (مخطوط بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسمى « اللمة الماردينية في شرح الياسمينية » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطنبول) وله أرجوزة في أعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب 1942 السنة الأولى - عدد 1) ومن شرح الأرجوزة سعيد المقتباني التلمساني الملقب برئيس القلاء (نيل الإبتهاج ص 106) .

58 (الجذوة بين 37 و 57) .

59 (السلو ج 3 ص 145) .

60 (الجذوة ص 76) .

61 (الجذوة ص 346) .

62 توفي عام 682 هـ (الاعلام ج 3 ص 192) .

في الحساب عارف بالمنطق والهندسة (من أهل القرن الثامن) (69) .

ومحمد الشريف التلمساني من علماء الحساب والهندسة والهيئة ، كان لسان الدين ابن الخطيب إذا ألف تأليفا يبعثه اليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه (70)

وجمال الدين المارديني خليل بن يوسف المهندس المتوفى عام 872 هـ (71) .

ومحمد التوري حافظ فاس الحيسوبي الطبيب المتوفى عام 872 هـ (72) .

وامير المؤمنين في الفرائض والحساب ابراهيم المصودي ، توفى بفاس عام 912 أو 913 هـ (73) .

واحمد الغزالي الفاسي كان استاذاً فريضاً حيسوبياً له معرفة بالفلك توفي عام 920 هـ (74) .

ومحمد بن قاسم بن توزت التلمساني « استخدم مقله في حل مشاكل الهندسة » وهو من مواليد نهاية القرن التاسع الهجري (75) .

وابو العباس بن البنا العددي المراكشي له « التلخيص » في الحساب ومقدمة في اقليدس واختصار في الفلاحة (63) .

وابو جعفر بن صفوان الامام في الحساب وهو تلميذ ابن البنا (64) .

وعلي اليفرنى المكتاسي الشهير بالطنجي امام في الفرائض والحساب في وقته توفى عام 734 هـ (65)

وعبد الله بن محمد بن احمد التلمساني ولد سنة 748 ترا الهندسة بكتاب اقليدس على والده بفاس (66)

وعلي بن احمد التلمساني موقت القرويين ايام ابي منان المريني صنع « المنجاة » المقابلة للمدرسة العنانية عام 758 هـ (67) .

وعبد الرحمن اللجائي تلميذ ابن البنا في العلوم التعليمية توفي عام 773 حسب تلميذه ابن قنفذ (68) واحمد الاوسي المراكشي المعروف بابن الشماع امام

63 توفى عام 221 هـ على قول ابن قنفذ (نيل الابتهاج ص 42) كان يقصد شيخه عبد الرحمن الهزميري فيما اشكل عليه من مسائل الهندسة (137) وله أيضا جزء في « المساحات » (الجذوة ص 77) .

ذكر ابن القاضي في « درة الحجال » (القسم الاول ص 5) أن له كتابا في الجبر والمقابلة سماه « الاصول » وكذلك « رفع الحجاب من تلخيص أعمال الحساب » زيادة على « تلخيص أعمال الحساب » وذكر عباس بن ابراهيم في الاعلام أن كتاب « الجبر والمقابلة » موجود في المكتبة الخديوية (ج 1 ص 379) ومن شرح تلخيص ابن البناء احمد بن رجب ابن طنبغا القاهري المتوفى عام 850 هـ المعروف بابن المجدي ومن اختصره وسماه « بالحاوي ابو شهاب القراني المعروف بابن الهائم المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن غازي المكتاسي وابن القاضي صاحب « الجذوة » (ص 384) ومن شرح التلخيص ابو العباس بن قنفذ في كتاب سماه « حط النقاب عن وجوه الحساب » ولابن قنفذ هذا « بنية الفرائض من الحساب والفرائض » (الاعلام ج 2 ص 17) .

64 (الاعلام ج 2 ص 2) .

65 (الدرة ص 441) وهو بن عبد الرحمان بن غيم (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 192) .

66 (نيل الابتهاج ص 127) .

67 (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 31) .

68 السلوة ج 1 ص 304 .

69 الاعلام ج 2 ص 10 .

70 نيل الابتهاج ص 258 و 264 .

71 له « غاية الانتفاع بالبخش الذي في طرف قوس الانتفاع » طبع حجر ، فاس .

72 السلوة ج 2 ص 116 .

73 درة الحجال (ص 107) (وسلوة الانناس (ج 2 ص 4) تلميذه ابراهيم الزواوي لقيه كنو من السودان (الدرة ص 111)

74 درة الحجال ص 91 .

75 نيل الابتهاج ص 340 .

ومحمد بن هلال « إمام التعاليم في سبقة وشارح
المجسطي في الهيئة » مات عام 949 هـ (76) .

ومحمد بن يوسف المعروف بابن مشون من
أساتذة الريّة رحل إلى سبقة ونظم رجزاً في علم
الجبر والمقابلة ، توفى عام 989 (77) .

أما في عصر السعديين فلم ينبغ من الأطباء
والرياضيين والجغرافيين وغيرهم من العلماء سوى
عدد محدود ، منهم الطبيب بن عزوز المراكشي صاحب
ذهاب الكسوف (78) وعبد الرحمن ستين الفاسي
المحدث الأدب الذي كان يدرس الفية ابن سينا (79) .
وأبو القاسم الوزير الفسائي صاحب شرح حليات ابن
عزرون « و » وحديقة الأزهار في شرح ماهية العشب
والمقار « (80) .

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس
المغربية العليا (81) دراسة حول « حديقة الأزهار » ذكر
فيها أن هذا الكتاب « يمتاز بمنهاجه الواضح جسداً في
الوصف النباتي الذي يتسم غالباً بطابع من الأصالة
والطرافة ، وتلما يخلو الكتاب من الإشارة إلى منابت
الأعشاب التي توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا
بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلانية بفاس ،
فهي إذن محاولة مفيدة لترتيب ثلاثي يدخل عنصرها
جديداً في وصف أعشاب المدرسة الصيدلانية الشرقية » .

ومن أطباء هذا العصر وعلمائه :

عبد الوهاب الزقاق الذي كانت له مشاركة في
الأدب والأصليين والطب والتفسير والحديث والنحو
وولي القضاء بفاس (توفى عام 961 هـ) .

وطبيب المنصور أبو عبد الله محمد الطيب (82) .
ومحمد الاندلسي الذي كان مولماً بالكيمياء
والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة (83) .

وداود بن عبد الله البغدادي ثم التلمساني الطبيب
الماهر (84) .

وأحمد بن عبد الحميد المعروف بالمريد المراكشي
الذي كان إماماً في جميع الفنون حكيماً ماهراً في
الطب (85) .

وعبد الرحمن الفاسي الذي انفرد بتحقيق تعاليم
وتحدث في كتابه « الاقتنوم في مبادئ العلوم » عن الطب
ومعاملات التشريح وفنون العلاج وعن البيطرة وعلم
الزردقة أي طب الحيوان وعن الصيدلة وهو علم
الاقتراباذين وآخر هؤلاء الأطباء أحمد بن محمد بن
حمدون بن الحاج الذي ساقه رينو كإنموذج أخير
للطبيب العالم ، له كتاب « الدرر الطبية » في الطب
والطبائع والهواء والأغذية والأشربة والأمراض وطرق
علاجها والأدوية مع تقسيم غني جديد لهذه الأدوية .

والسلطان أحمد المنصور الذهبي له قدم راسخ في
المنطق والحساب والهيئة والهندسة (86) .

وأحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم
من حساب وهيئة (87) .

وأحمد بن القاضي الكناسي المؤرخ له (غنية
الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض)
(مقتودة) و « المدخل » في الهندسة ، ونظم تلخيص
ابن البنا (نشر الثاني ج 1 ص 129) وظهرت في

76) الإعلام ج 3 ص 263 .

77) درة الحجال ص 176 .

78) اقتبس فصول طب العيون من الكحال المشرقي علي بن عيسى (الطب القديم بالمغرب ص 75) .

79) توفى عام 956 (نيل الابتهاج ص 153) .

80) ألفه للسلطان المنصور السعدي عام 994 (نشر الثاني ج 2 ص 125) .

81) ج 18 ص 195 .

82) « نزهة الحادي » طبعة هوداس ص 146 .

83) قتل عام 980 هـ (الإعلام ج 4 ص 318) .

84) لقيه ابن القاضي في مصر عام 986 (درة الحجال ص 143) .

85) توفى عام 1048 (الإعلام لابن إبراهيم ج 2 ص 114) .

86) نشر الثاني ج 1 ص 77 . فهم كتاب أقليدس من غير شيخ لمزة وجوده بالمغرب مكان يك شكلا في

كل يوم (درة الحجال ص 51) وتضلع أيضا في الجبر والمقابلة (السلوة ج 3 ص 226) .

87) توفى بمراكش عام 1022 هـ (الإعلام ج 2 ص 82) .

وقته الحرف المهمة التي لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (88) .

والرحالة محمد بن القاسم ابن القاضي اوجده مصره في علم الحساب والتنجيم والجداول ، له « البرق الوامض في الحساب والفرائض » (89) .

واحمد القلصادي موقت الغرويين كان يدرس كتاب القلصادي (90) .

ويعقوب البستاني امام الفرائض والحساب (91) واحمد التتليتي المعارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة ، وهو شيخ « جامعة الفنون » المذكورة بمراكش ، وهو معاصر لمؤلف درة البحال (92) .

ومحمد بن سعيد السوسي المرفيئي صاحب المقنع في التوقيت (93) .

ومحمد ادراق السوسي .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني ، كان يتقن فنون الريافة واقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف انواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره (94) .

وقد تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها ، وكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصلها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة من كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسومها ركبت عليها أخرى مجوفة منقصة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (95) .

غير أن هذه « العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سميتها العلمية فأصبحت مجرد (حرف) تقنية ضمت اختصاصيين في الحساب والهندسة والمساحات » (96) وما يدل على عدم الصيلة ما لاحظته الحسن الوزان من أن العقائريين بفاس لم يكونوا قادرين على ترتيب الاثربة والأدهان طبقا لوصفات الأطباء فكانوا يجتمعون كلهم لاعدادها ثم يرسلونها الى دكاكينهم لتوزيعها وهي ظاهرة ان كانت ثم من انخفاض في المستوى العلمي فانها تدل مع ذلك على امانة واخلاص للمهنة . وبالفهم من تقص شبكة العلوم فان الروح العلمية ظلت تخفي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تقسيمات أبي علي اليوسي للعلوم : الى فلسفة وملية ، وتحديدده لماهية علم الفلسفة الذي يهدف الى « تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الأشياء بقدر الطاقة » وأتته — كما يقول — اما نظري واما عملي ، والاول اما مجرد عن المادة مطلقا وهو العلم الالهي ، او في الذهن فقط وهو العلم الرياضي ، او مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي . والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، وسمى سياسة النفس وعلم الأخلاق ، او بها وبما يحتاج اليه من شهوات قواها وهو علم تدبير المنزل ، او بما يعم وهو الملكية والسلطنة » ..

وتد أصبحت التعاليم تنحصر على عهد العلويين في عمليات تطبيقية منها ما صنه :

محمد المسناوي مريو الاندلسي المنجم الحيسوبي الذي وضع مؤلفات في « تقدير قرض النفقات » بعمل

88 الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46 . (توفي عام 1025 هـ) .

89 توفي قتيلا بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 ص 287) .

90 توفي عام 1063 (نشر الثاني للقادري ص 207) اما علي بن محمد القلصادي (810 — 891 هـ) فاصل من بسطة ، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له « شرح الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة » و « قانون الحساب » و « كشف الأسرار في الجبر » (الاعلام للزركلي ج 5 ص 163) وله أيضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحويني والفنية في الفرائض ، أخذ بمصر من ابن حجر كما في رحلته (النفع ج 2 ص 684) . وقد طبع كتابه « كشف الأسرار من علم حروف الفبار » مرارا بحجر فاس .

91 كان يقرؤها في الهواء فاذا أراد حاملها يصورها في اللوح ضربه بالقضيب على يده (الجذوة ص 350) . وهذا يدل على استعمال السبورة في شرح العلوم بالمغرب في ذلك العصر .

92 الدرة 92 .

93 توفي عام 1809 م (نشر الثاني ج 2 ص 37)

94 توفي عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الاثر) .

95 نشر الثاني ص 87 .

96 الاعلام للمراكشي ج 1 ص 46 .

عبد الرحمان « رئيس المهندسين » وعينه مولاي الحسن « رئيس تواد الطبجية » (اي المدعية في العامية المغربية) وخليفة وزير الحرب (104)

وهناك رياضيون ومهندسون آخرون تتجلى تيمتهم العلمية فيما صنّفوه من كتب وأبحاث تكللت الطبعة الحجرية في ماس بطبعها عندما انشأها السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (105).

وقد اندرس التعليم الرسمي للطب والعلم بجامعة القرويين رغم ما أشار اليه دلفان (106) من استمرار اعتناء الطلبة آنذاك « بالكامل » للرازي « والقانون » لابن سينا « وزبدة الطب » للجرجاني « والتذكرة » للسويدي « وتذكرة الانطاكي » وكليات ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز للجزائري ومع ذلك ظل الأطباء يجرون بمهارة بعض العمليات التشريحية الصغرى (107).

وقد بدأ المغرب منذ العهد السعدي يستدعي « خبراء فنيين » معدودين كالتبيب الفرنسي كيوم بيرار (Guillaume Berard) الذي كانت له ثقافة متواضعة (108). وهوبير (Hubert) أستاذ العربية بجامعة باريس (109) والطبيب الإنجليزي لبريبر والدكتور براون الذي منحه السلطان مولاي عبد الرحمن رخصة لممارسة مهنة الطب بالمغرب ، وذلك علاوة على الأطباء اليهود الذين كانت تستقدمهم الجالية الاسرائيلية ، او من كان يولد في الاجزاء المحتلة من المغرب أمثال الطبيب النباتي الاسباني السبتي كريستوف دا كوستا . وشعر المغرب

الرموز والأرقام مرتباً على أطوار حياة المنفق عليهم (97) والاستاذ المعطي مريو له مؤلفات في التوثيق ، منها كتاب في تعديل الكواكب السبعة سماه « كنز الأسرار » ، وآخر في أبعاد النيرات ورموده ، وابتكارات أخرى في علم « المزاوول الرخامية » وغير ذلك (98).

وأحمد بن الطاهر المراكشي العالم بالأحكام النجومية والأزياج والهندسة والجدول (99).

وأحمد حدو الهنتيني الأستاذ في الحساب والرصد والأسماء (100).

ومحمد متجنوش استاذ انفراد في علم الحساب والتنجيم (101).

وعبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي الحيسوبي (102).

ومحمد بن الرئيس بن الحسن على التركي الضليح في الهندسة والرياضة . ومن أوضاعه في هذه مثال سماه « الشكل الكوري » شامل لمناظر الزوايا والخطوط وأشكال الهندسة مما تشمله أصول اقليدس وتهذيب الطوسي (103).

وأحمد بن عبد الله التتاني المعروف بالصوري ، كان عارفاً بالحساب والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية وعلم الهيئة ، له مؤلفات وتعليق في الحساب والجبر والمقابلة وفي اللوغاريتم ، وحل اشكالا هندسية طبقتها في الرياضيات ، وكان عيئته السلطان سيدي محمد بن

(97) تولى عام 1207 (ج 1 ص 136 - الاغتيال) لابي جندار .

(98) تولى عام 1223 (ج 2 ص 116 - الاغتيال)

(99) مات عام 1250 هـ (الاعلام ج 7 ص 214) .

(100) وكان يحسن نحواً من ثمانية عشر علماً تولى عام 1285 هـ (السلوة ج 3 ص 82) .

(101) توفي عام 1290 - ومعه 31 سنة (ج 1 ص 212) .

(102) سافر الى الحج 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر (ج 2 ص 134 - الاغتيال) .

(103) الاغتيال لابي جندار (ج 2 ص 192)

(104) الاعلام (ج 2 ص 267) .

(105) راجع مطبوعات المغرب للاستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة (

(106) في كتابه « ماس وجامعتها » طبعة 1889 Delphin

(107) رينو - ص 128 (راجع في كتابنا « الطب والأطباء بالمغرب » نماذج لمهارة بعض المحترفين في هذا المجال ص 72 - 80)

(108) رينو - « نشرة معهد الدروس العليا » ج 18 ص 206 .

(109) كودار - تاريخ المغرب ص 399 و ص 490 « المغرب الحديث مملكة تنهار » كامبو 1866 ص 16.

بتفاضل الاختصاصيين فأسس مدرسة للفنون بفاس الجديد « ومدرسة مركزية للمعلمية » بالجديدة (110) تخرجت منها فئات من الطلبة توجهت لاستكمال دراستها في مصر وكذلك في إنجلترا وأسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا . وقد تابعت بعثة مكونة من اثني عشر طالبا دراستها في جامعة مونتبيلييه (Montpellier) بفرنسا خلال سنوات (1885 — 1888) درست فيها اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية والهيئة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والتليفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ومسح الأراضي ومن تحرير التصميمات الهندسية بالإضافة إلى التمارين العسكرية وبناء الخنادق وأجهزة الدفاع وصنع آلات الحصار ، وحقق هؤلاء الطلبة نجاحا كبيرا يحررون الأفكار ويتأهبون للاضططلاع برسالة تقنية هامة في المغرب الحديث ، وتم الاتفاق بين المغرب وفرنسا على توجيه موج جديد لاستكمال الأطر المغربية تدريجيا في مدينة فرساي (Versailles) ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، حيث تولى الحسن الأول بعد سنوات ودخل المغرب في خضم من الدسائس الدولية عرقلت تربيته للانبعاث ، ووجه الحسن الأول كذلك إلى أوروبا طلبة لدراسة الطب تابع ستة منهم تمارين بالمستشفى الأسباني بطنجة في ميدان الفحص والتصميم والتشريح وعين ثلاثة من خريجيها أطباء في الجيش بكل من طنجة ومراكش ، أما مصر فانه لم يتوجه إليها هذا الأستاذ عبد السلام العلمي لدراسة الطب بالقاهرة ، وكأنها كانت النواة الأولى أراد السلطان الحسن الأول أن يستكنه بها قيمة الدراسة العلمية في الشرق العربي غير أن هذه البعثة لم تجدد كمثيلاتها في أوروبا بالرغم من ارتفاع مستوى التعليم في مصر آنذاك ، والواقع أن المغرب أمام كثيرا من الروح الجديدة التي تقبصها الشريف العلمي الذي ما لبث أن صنف بعد وفاته كتابا سماه « ضياء النبراس » في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس (111) ذكر فيه شيوخه في « الأسبيلية الكبرى » بالقصر العيني الذي أسس عام 1827 م بأمر من الخديوي محمد ، ويعتبر هذا الكتاب في نظري نقطة تحول في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في الشرق والغرب وفي المغرب مصححا في بعض الأحيان

أغلاط سلطه ومنظرا بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد أطباء المغرب وصيادته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ، ويأتي أحيانا بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والأرنجية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالصميد والتقطير ، وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والمقايير والأدوية ، ويحكى من تجارب شيوخه في قصر العيني وأسهامه الشخصي في هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالتصحر العيني خلال تراءته على الحيوانات (الضياء ص 57) وشارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر (ص 72)

وقد نقل من نحو الخمسين مؤلفا منهم ابن الخطيب (ص 80) والوزير الفسائي صاحب الحديث وعبد الرحمن الفاسي وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلي المجاني والطبيب المصري أحمد بن حسين الرشدي الذي عاش أول القرن الماضي وابن الحشاء صاحب تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواتمة في الكتاب المنصوري (108) . وقد أسس الطبيب مولاي عبد السلام العلمي مصحة صغيرة بفاس قبل بها حتى توفي عام 1323 هـ ، ورسالة العلمي هذه مشهورة بالاصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العلمية التي كانت تجري بالقصر العيني وأنواع العلوم التي كانت تدرس به مثل علم التشريح الهيكلي والمفصلي والمفصلي والتشريح العصبي والتاريخ الطبيعي والكيمياء الطبية والأقربالين (الصبلة) وطب الرمد والأمراض الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات المصبرة وأحجار المعادن وأمراض النساء والأطفال (في أسبيلية أمراض النساء بمصر) .

ويعطينا كتاب « ضياء النبراس » صورة من الاختلاف الملحوظ في المصطلحات العلمية بين الشرق العربي والمغرب الأقصى الذي عرف عشرات الأعشاب والنباتات باللسان البربري انفرد بها المغرب . ويتجلى من الصراع السياسي والعسكري الذي بدأ المغرب يخوضه منذ بداية هذا القرن أن التعليم العربي أصبح يسير رويدا نحو التقلص إلى أن انحصر في جامعة القرويين وروافدها المحدودة التي بعد مهدها بالعلوم . وازدادت اللغة العربية إبان الحماية تقلصا عندما اتخذ الاستعمار اللغة الفرنسية أداة وحيدة للتلقين في المدارس وقام « التعليم الحر » المغرب بردها لعمل عنيف

(110) الاتحاد لابن زيدان ج 3 ص 367 .

(111) طبع بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1318 .

تدريب ، ولذلك يلاحظ أن الأطر ما زالت تستعمل الفرنسية تبعاً للغة الخبراء الفنيين الذين يقل عددهم نسبياً بفضل حركة الحركة المغربية (112) على أن هذه المغربية لا تواكب حركة التدريب فقد ظلت لغة معظم الاختصاصيين المغاربة أجنبية في تحرير النصوص والخطابات والمناشير وكذلك التخاطب في المحافل والمؤتمرات باستثناء وزارة العدل والمرافق التابعة لها حيث شمل التدريب جميع المحاكم (ولعل المشكلة واحد في مجموع أقطار المغرب العربي - عدا ليبيا - نظراً لما نتج عن تعميم التعليم (أزيد من مليون طفل اليوم بالمغرب بدلاً من ربع مليون قبل الاستقلال) من هزيمة في تكوين الأطر وضعف في المستوى والظاهرة الغريبة هي أن جامعة القرويين نفسها قد تضائل طلبتها لكون ازدواجية اللغة ما زالت مقياساً لتقييم الاهليات في مختلف مجالات الحياة ، ولم تكد تمر أربع سنوات على الاستقلال حتى شعر جلالة المرحوم محمد الخامس بفعل الرواسب التي تباعد بين جناحي العربية خاصة في حقل المصطلح « العلمي والتقني » فدعا عام 1960 إلى عقد « مؤتمر للتدريب » أنبثق عنه في إطار جامعة الدول العربية المكتب الدائم لتنسيق التدريب في العالم العربي ، ذلك المكتب الذي يستهدف الاستفادة من تجربة الجناح الشرقي لدعم حركة التدريب في الجناح الغربي ، وقد نشر هذا المكتب عدة معاجم في العلوم بلغات مختلفة ، كما أصدر « اللسان العربي » وهي مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتدريب في العالم العربي ، وأسس مكتبة للعلوم زاهرة بأحدث ما أصدره الشرق من مصنفات في مختلف القطاعات التقنية ، وقد خطط لنفسه تصميماً عشارياً غايته الأساسية استكمال الاداة العلمية والتقنية في أمد محدود بتوحيد المصطلحات واستقرارها تعزيزاً لصراع ثقافي تخوضه لغة الضاد كلفة عمل في كثير من المحافل الدولية ، وقد اندرج هذا العمل التنسيق ضمن مشاريع تسهم فيها المجالس العليا والاتحاد العلمي العربي والجامعات والهيئات الثقافية في مختلف المواسم العربية ومآت الاختصاصيين الذين يرسلون المكتب الدائم من جميع أنحاء العالم العربي .

وقد بدأ هذا الكناح يؤتي أكله باقناع النخب المغربية - القليلة الصلة بالثقافة العربية - بفعلية لغتنا القومية في مجال الحضارة والعلم كأداة طيعة للتخاطب في الحقل الدولي ، ولكن هذا الاقتناع لن يتم

تدريب تدريس العلوم وخاصة بشمال المغرب حيث توجهت أنماج من الطلبة لاستكمال دروسهم في الشرق، وكانت الحماية الإسبانية في هذه المنطقة أقل مضايقة للمواطنين فتكاثر عدد المتخرجين من الشرق العربي وشجع الباب المفتوح الطلبة على متابعة دروسهم الثانوية في المعاهد المصرية على عكس ما ابتدأه الفرنسيون في منطقة نفوذهم بالجنوب من أساليب المكر والدسائس للقضاء على لغة الضاد . ومع ذلك فقد واصل « التعليم الحر المغرب » رسالته الخالدة محافظاً على كيان اللغة بالرغم من « تفرنس » أغلبية المثقفين وازدواجية ثقافة الأقلية الضليلة من هذه النخبة التي تزعمت بروحها العربية الإسلامية حركة الثورة ضد الاستعمار . وكان التعليم المغرب يستورد خفية من الشرق - وخاصة من مصر - جملة من المصنفات معظمها في الآداب واللغة والنحو وظل الحاجز كثيفاً بين لغة عربية علمية تتطور في الشرق وتواكب النهضة الجديدة وبين عربية تص جناحها في المغرب الأقصى لا كلفة علمية بل كجهد لغة ، وقد تامت الصحابة العربية بدور هام في تجديد الصلة بين الشرق والمغرب متبعة بالبحوث الجديدة ومصطلحاتها المولدة في الاقتصاد والسياسة والقانون وتاريخ المذاهب الشيوعية والاشتراكية والنزعات الأدبية والفنية المستورقة مقتبسة في ذلك ما راج في الشرق العربي من تعابير ومفردات وطلق المغرب بعد استقلاله في عام 1956 يتطور ببطء نظراً لتراكم المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لرسم التخطيطات في شتى الميادين الحضارية وضاعف حمص اللغة العربية فاعتكف الآن تدريب السلك الابتدائي وإن كانت قلة الأطر المغربية الصالحة تهدد بتحجر هذه الحركة، وظل الثانوي في طوره يلقي العلوم بالفرنسية عدا التعليم الحر والأصل أي الإسلامي الذي هو من روافد جامعة القرويين بكلياتها الجديدة (الشريعة بفاس ، وأصول الدين بتطوان ، واللغة العربية بمراكش) كما ظل إقبال المغاربة ملحوظاً في مدارس البعثة الفرنسية التي بدأت منذ يناير من سنة (1969) تلقن العربية للتلاميذ . وقد تزايدت حصة اللغة العربية في معظم الأسلاك بينما أحدثت اتسام مغربية في كليتي الآداب والحقوق والدراسة العليا للإستاذة مع بقاء الكليات التقنية ككلية العلوم ومدرسة المهندسين ومعاهد الفلاحة والأكاديمية العسكرية في معزل عن أي

(112) ما عدا تسهما يسيراً تعمل وزارة الوظيفة العمومية على تدريبه بدروس خاصة تنظمها للموظفين .

هذا وان مواكبة حفارة المعر الحديث لن تكتمل
بالنسبة اليها مماثر العرب الا اذا توازت فيها ذاتيتنا
العربية مع انسايتنا الحضارية ، والقوم الجوهري
لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي ظلت — كما يتول
ماسنيون Massignon اداة هالصة لنقل بدائع
الفكر في الحقل الدولي وعنصرا جوهريا للسلام في
مستقبل الامم والشعوب » .

الا اذا استقصينا تدريجيا المصطلحات التقنية التي
اصبحت حتى عند دول كبرى كفرنسا مثار لغزو ثقافي
بسبب ما تزج به مخابر الكشوف في الاسواق الدولية
من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحا في
كل يوم



تدريس العربية كلغة صيّة في الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور ساجي عياد- الدكتور رجب جريس
الولايات المتحدة

مع الناس في أحداث كل يوم العادية . وهناك من يومين بتعليم الفصحى أولا ثم بعد ذلك العامية عن طريق إحدى لهجاتها .

وهذه الحلول المختلفة تبدو غير مرضية بتاتا في نظر آخرين يؤمنون بأنه إذا كان الهدف من تعليم العامية هو تمكين الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لان بتعليمه العامية سيحدد له لهجة معينة كما انه وان لم يستعملها في مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلا اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي فلن يمكنه التفاهم الكامل معها . اما اذا تعلم الطالب الاجنبى اللغة العربية المكتوبة او بالاحرى الفصحى بدون التعرض الى اللهجات فهذا يعده البعض اسلوبا غير واقعي في تعليم لغة حية كما انه لا يتفق ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام ياتي أولا وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم . وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة في نظر هؤلاء العلماء لابد ان يكون عمليا ويتفق مع الواقع اللغوي العربي وفي نفس الوقت مع نظريات علم اللغويات الحديثة . معنى هذا انه اذا وافقنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلابد من البدء باللغة العامية . ولكن أية لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على الهدف من تعلم اللغة نفسها .

بالرغم من ان دخول اللغة العربية في برامج عدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فان الاهتمام بها نما نموا مطردا خلال السنوات العشر الاخيرة . وهناك من الادلة ما يفيد بان الدراسات العربية أصبحت ميدانا علميا هاما وان عدد الجامعات الامريكية التي تقدم في برامجها اللغة العربية وحضارتها المريعة تد بلغ أكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسع اثار مشاكل تربوية وأصبح السؤال الذي يردده كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدأ .

فمنهاك الفصحى والعامية . اما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات عربية عديدة فمنها اللهجة اللبنانية والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الصورة تعقيدا بان كلا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . ففي مصر نرى اللهجة القاهرية واللهجة الصعيدية . ثم تزداد المشكلة تعقيدا بان الكتابة العربية نفسها — بدون شكل — تسمح بنطق كلمة واحدة في عدة اوضاع بمعانيها المختلفة . فمثلا (ك ت ب) يمكن نطقها بأشكال مختلفة .

اتقدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يمتد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم الفصحى فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لان الهدف من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم

لنأخذ تعلم الانجليزية كمثال لنا . فالانجليزية الامريكية مثلا التي يتعلمها الاجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفي انجلترا ايضا يتعلم الاجنبي اللغة المعروفة Received English وقد يكون لاختيار هاتين اللغتين عدة اسباب . اولا : انها لغة مهذبة للحديث . وثانيا ان لها أهمية خاصة في التطبيق والاستعمال العام . بمعنى آخر ان اللغة التي تدرس هي التي تمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاهم الكامل مع اصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم وهم يفهمونه .

لنعد الآن الى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما انها لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعمائة مليون مسلم في العالم . ونحن نعلم ايضا انه منذ ظهور القومية العربية فقد ظهر في الافق العربي يقظة ورغبة قوية في تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية . شكرا للتبادل الثقافي ووسائل الاعلام المختلفة في البلدان العربية . اما الفروق اللهجية فلم تفتقر قط طريق الوحدة الثقافية . وظهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن ان نسميه باللغة المهذبة أو لغة المتكلمين خصوصا تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يفهمها الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الاهم في ان الطالب الاجنبي الذي يرغب في تعلم اللغة العربية يجب ان يتجه الى احد هذه المراكز الكبرى حيث يمكنه ان يجد وسيلة للتفاهم تساعده ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك ان هنالك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وفاس . وكلنا نعلم ان القاهرة بالذات تتمتع بكثير من الامتيازات كما ان لهجتها « المهذبة » أو لهجة المتكلمين فيها تعتبر مهمة جدا بالنسبة للطالب الأمريكي الذي يبحث عن وسيلة تمكنه من التفاهم مع اكبر عدد من العرب في بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا ان اللهجة المهذبة القاهرية هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المهذبة الرباطية والبيروتية والبغدادية يمكنها ان تقوم بنفس العملية وتحقق نفس الاهداف .

واللهجة التي يفترضها اصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي ايضا التي يذاع بواسطتها بعض البرامج الاذاعية

العربية في كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب في اختيار هذه اللهجة هي انها مفهومه تماما في جميع البلاد العربية . وشكرا لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزيون وراديو وافلام سينمائية التي قربت هذه اللهجة الى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة مقبولة للجميع وتتمتع بشهرتها المعروفة واحترامها .

فالذي يقترحه اصحاب هذه النظرية في اول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المهذبة .

وهنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحى » . فاية لغة من لغات العالم لا تتكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديدا واضحا . بل بالاحرى تتكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفة معينة . ولكي يكون استخدام العربية نمالا يجب على الدارس والمدرس ان يكونا متقنطين لهذه المستويات وان العربية نمت وزادت بلاغتها على مر الازمان والاقبال . وعلى ذلك يمكن ان نميز على الاقل ثلاثة مستويات عامة :

اولا : العربية الفصحى أو لغة القرآن الكريم .

ثانيا : العربية الحديثة وهي تشمل ما تقرأه في الصحف اليومية والمجلات والاذاعة . وفي نطاق هذا المستوى لابد من تأكيد الكتابة الرسمية رغم ان هناك الآن كتابة لبعض العامية : الاغاني مثلا ، والامثال العامية ، والتخصص الخرافية .

ثالثا : العربية الخاصة بالحوار أو التحدث اليومي وهي تمثل اللهجة المهذبة التي تحدثت عنها . وهنا يجب ملاحظة ان العامة العرب فيسر المتعلمين يستخدمون الكثير من النماذج بالعربية الفصحى (عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو اصطلاحات معينة مثل « حالا » و « بسرعة » . و « أهلا وسهلا » . الخ) .

ولسنا في حاجة الى تأكيد الحقيقة وهي ان هذا التقسيم لا يعني مطلقا ان كل قسم منفصل تماما عن الآخر . فهذا ليس من شأن اللغات الحية . ومن هنا يؤكد لنا اصحاب هذا الرأي — وهو رأي انا ايضا ان « اللهجة المهذبة » تستخدم كقنطرة تسهل الانتقال من لغة الحديث الى اللغة الفصحى لمثلا حرف « الغاب » يتردد كثيرا في لغة الحديث خصوصا عند ذكر كلمة « القرآن » و « القاهرة » فهذه اللهجة المهذبة تحتوي

على كلمات كثيرة من الفصحى وتتبع أيضا عن قرب
تواعد الفصحى .

كما ان اللغة العربية المعاصرة او الحديثة يمكن
بسهولة تمييزها عن الفصحى من طريق الكلمات
الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون »
او « تلفزة » و « فيلا » .

وبالنسبة للعامة يمكن تمييزها عن الفصحى بما
يحدث من تغيير في بعض الاصوات ممثلا نقول « كتب »
بدلا من « كتب » و « ولد » بدلا من « ولد » ولدا —
ولد » .

وايضا الولد او الولد بدلا من الولد — الولد —
الولد ، يفتح بدلا من يفتح (باللهجة المهذبة القاهرية
مثلا) .

وايضا تغيير صوتي في بعض الحروف مثل (ت)
بدلا من (ث) فنقول مرة « ثانية » ، وعشرين ثانية ،
(داب) بدلا من (ذاب) و (ازا) بدلا من (اذا) .

ثم ايضا نلاحظ التخفيف : / مرد / و / مرض /

والاساس الهام الذي يبنى عليه تعليم اية لغة
اجنبية هو التقدم من لغة الحديث الى الكتابة او من
الصوت الى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز
الصوتية فقط في المرحلة الاولى حتى يمكن للطالب ان
يتلقن كل الاصوات ويميز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق
ذلك نقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs
مثل : (دم) ، (ضم) لتوضيح التخفيف .

(كلب) / (قلب) لتوضيح اهمية نطق احرف
معينة في معنى الكلمة .

(س) / (ساد) لتوضيح اهمية الاصوات
الطويلة .

وفي هذه النماذج يكون التركيز على ابراز اختلاف
واحد فقط لان الاستماع يأتي قبل النطق وان القدرة
على تمييز الاختلاف في الاصوات يأتي قبل اعادة انتاجها.
وبمجرد أن يتمكن الطالب الاجنبي من ترديد النماذج
الصوتية الاساسية يمكنه بسهولة أن ينتقل الى الكتابة
ومنها الى الفصحى .

كيف نقدم الفصحى بعد ذلك ؟

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون
العربية الفصحى في أول سنة ابتدائية رددوا كلمات

والعمالا مشهورة مثل (قتل) ، (ضرب) ، اما في
اللاتينية مثلا فتعلمنا « حب » وما شابهها . وليست
المشكلة في الواقع مشكلة معان ولكن المشكلة هي انه لم
يكن هناك اهتمام بفكرة « التدرج » في تقديم « الاصوات »
وتركيب الجملة او مميزات تراكييبية خاصة
Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة الى
الغرب في تعليم العربية وأصبح الاهتمام منصبا على
المفردات والتواعد الصماء .

وفي السنين الاخيرة لاحظنا ان بعض اساتذة
العربية في الجامعات الامريكية التي تقوم بتدريس
العربية تد الفوا كتباً خاصة لتعليم العربية للمبتدئين
ووصلوا في تفكيرهم الى اهمال كل المستويات اللغوية
والتركيز على ما اطلقوا عليه اسم « العربية الحديثة »
Modern Standard Arabic وبهذا الاسلوب يبدو انهم
قد فشلوا في تقديم العربية كلفة حية لها مستوياتها
الثقافية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو
التعبير الوحيد للعربية وينتج من هذا انه من المستحيل
للتألم ان يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة »
عندما يستمع الى حديث او افنية عربية بالاذاعة او
خطبة عامة او ادب شعبي . أضف الى
ذلك انه اذا استخدم الفصحى الحديثة في حواراته
يكون يتكلم ككتاب لا يعبر عن واقع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم الفصحى في
المرحلة الاولى من تعليم العربية في نطاق الاساليب
الآتية :

اولا : ان المحتويات التركيبية يجب ان تقدم بالتدرج
على اساس البساطة في التركيب ، التكرار ،
والقيمة العلمية . وبناء على ذلك فمن الناحية
الصوتية تقدم الاصوات السهلة والتي تماثل
لغة الطالب الاجنبي اولا (محروف القاف والميم
والحاء والخاء والفين تؤجل الى فترة مقبلة)
ومن الناحية الاعرابية والصرفية فالجمل الاسمية
تقدم قبل الجمل الفعلية : مثل أنا من ليبيا ،
الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الضمائر
الهامة فقط مثل : أنت ، انت ، انتم .

ثانيا : يجب على النماذج التركيبية ان تمثل الثقافة
والحضارة العربية وان تبرز الهام منها . كالحج
وشهر رمضان المبارك والمائلة العربية وخلاصة
بدلا من « أين الفيل يا خليل » او « مقد مجلس
الوزراء جلسة خطيرة » .

تمارين من نوع جديد متفق عليه ونظريات اصول التعلم وعلم اللغويات . تمارين الاستبدال Substitution مثلا والتحويل Transformation وغيرها من التمارين الفعالة التي «تثبت» ما يتعلمه الطالب .
مثلا : هو من القاهرة

هي

انا

انت

بيروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المفردات فيجب الا تبعثر في الدروس بلا نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج التركيبية يجب ان يكون اختيارها في غاية الدقة والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية بدلا من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لاهدث طرق تدريس اللغات الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها الثقافية المختلفة .

ثالثا : في تطبيق مبدأ التدرج وربط النماذج بالحفارة يتحقق غرضان مهمان : الاول هو ان الطالب في هذه المرحلة الاولى الحرجة يبدأ بالشعور بالنجاح بدون الالتجاء الى « ضغط من الذاكرة » وثانيا ان رغبته في المزيد من التعليم تزداد ومعها تزداد شهيته لمعرفة الثقافة الجديدة التي تمثلها اللغة . او بمعنى آخر ان النماذج اللغوية يصبح لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم ممتعة وفعالة . وكلنا نعلم ان اول اتصال في تعلم لغة اجنبية له أهمية قصوى في مواصلة تعلم تلك اللغة .

نعم هناك في بعض الاحيان فرق واضح بين كلمة عامية ومقابلها بالفصحى — مثل (بالزاف) و (كثير) ولكن هنا تبدو ابداعية استاذ اللغة في اختيار النماذج المشتركة بين اللهجة المهدية والفصحى — كالمثلة التي سبق الاشارة اليها . هذا هو القاسم المشترك الذي عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية للاجانب .

اما من حيث القواعد فكلما ذكرت ان النماذج التي تقدم يشتمل منها الطالب القاعدة بدلا من تقديم القاعدة في قالب اجوف لحفظها فقط .

وهنا تلعب التمارين الخاصة بكل درس دورها الهام في عملية التعلم فبدلا من سؤال الطالب امره ما يأتي : او استخراج اسم المفعول من كل فاعل — نقدم

العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الويلبي «بيروت»

الاسترسال ، من شأنه أن يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد أن نأخذ به نفسنا الآن ، وهو الموضوع الذي أردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي تصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحتة ، وبين المعاني الالهية الخالدة التي التحقت بها ، بين حين وحين بمض آيات القرآن الكريم في أثناء دعوتها الناس من كافة الاجناس الى الإيمان بوجود الله الخالق الديان .

على انه ، لابد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا ، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول رغبة المؤلف بربط افراض القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من آراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بأن هذا الكتاب ليس جديداً في بابيه او مادته ، فلقد سبق أن نحا هذا النحو الجدلي ، في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا أن يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاكتشافات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بأن القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عداه من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاكتشافات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

بين ابدي الناس الآن كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرآن» من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية ، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانني لدى مطالعته ، وجدته امام محاولة جريئة لدراسة القرآن الكريم بأسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثار اوارها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار التناقض المزعم بين المعطيات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلميات العقيدة الدينية ، القديمة . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطرت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق اقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان هذه الحملة ليست وليدة العصر الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مالوفة من قبل ، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب تتفاوت من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين القلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الآن ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الإيمان بالله الذي ارسى قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداء الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بقافلة من الالقاء العلمية الجذابة ، لاننا نرى ان مثل هذا

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتفاعه ، فعنوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما نكتبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله في الارض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيان » فان البيان المذكور ، في سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه باسنانك فتقرأ كما قرأه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والمعاني ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكر ، من البيان الذي اكد الله انه يظهره لامة الاسلام »

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسه بما اقتنع به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التأويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

واذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرآن الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية في توحيد الله عز وجل وبيان اغراض الشريعة في ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهرى قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخريج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والمادية وراء مكاتبهم وتحت أضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بمرض آرائه وتقديرها بصورة متحدية جازمة ، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الاسلام مشرعات الاول من الكتب الاسلامية في علم الفقه . . وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز في عقل أو شرع ان يبرع المسلمون في علم آياته القليلة ، ويجهلوا علما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آياتنا برموها في الفقه ، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات ، لنتم به لترقي الاممة » .

واذا نحن اقبلنا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجده يحشد في هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر

ففي اواسط العقد الثالث من النصف الاول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث من احد المؤلفين المصريين الذي حاول تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يتجاوب فيه مع روح العصر الذي تطورت فيه الانكار الانسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، او يفوس بهذا القلم ، الى داخل احشاء الارض باحثا في هذه الاحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس ان الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، احاط به كتاب الله في كلامه الازلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ طنطاوي جوهرى ، الذي كان استاذاً في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ (1940 م) فقد صنف هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان : « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عدداً ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيراً ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد اخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهرى وملكت عليه احساسه ومشاعره حتى اعتقد بان العناية الالهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبر هذا العمل فاطلق قلمه عبر كتابه بنداء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا امة الاسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرما من علم الرياضيات ، فما بالكُم أيها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها . . هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الاسلام . . هذا زمان رقيه . يا ليت شعري ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ولكنسي ، اقول ، الحمد لله ، الحمد لله ، انك تقرأ في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراساتها افضل من دراسة علم الفرائض ، لانه فرض كفاية ، اما هذه ، فانها للازدياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر . . ان هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي اففلها الجاهل المزعوم من صفاء الفقهاء في الاسلام . . فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق . . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان هذا الشيخ يتابع ندائه مسترسلاً في حماسه واندفاعه ويقول :

علم الفضاء	11 آية
علم الحيوان	12 آية
علم الزراعة	21 آية
علم الاحياء	32 آية
الجغرافية العامة	73 آية
علم السلالات البشرية	10 آيات
علم طبقات الارض	20 آية
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آية
وصف العلم والعلماء والبحث على طلب العلم	
64 آية	

وجربا على العادة التي يتبعها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء اوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينورت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انضمت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول ريتونورت :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . لجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يعاكونه في الاستنجاذ باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندرى اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دائما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدد القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في مداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحوث العلمية مادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

لطبيعة ومجارب العلوم لكي يؤكد لقائله ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وفرائب هو الحقيقة بمبناها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تموزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء عن افلاطون في فلسفته او بما رده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في ارائه فانه لا يتورع من الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرآن » بنفس الاسلوب الذي اعتمدته الشيخ طنطاوي جوهرى في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » حتى يكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدركان القرآن الكريم ويفسران آياته . فالاستاذ يوسف مروه يؤكد في كتابه المذكور ان « ميزة القرآن الكبرى انه اورد صورة بسيطة واضحة وسهلة لتكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »

ومثلما فعل الشيخ طنطاوي جوهرى حين احصى في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الآيات التي تحتوي على مبادئ العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الآيات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرآنية ومقدار ورودها ووجودها في القرآن لتبين لنا اكثر من عشر الآيات القرآنية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آية
الفيزياء	64 آية
الذرة	5 آيات
الكيمياء	9 آيات
النسبية	62 آية
الفلك	100 آية
المناسبات	20 آية
المناخات	14 آية
الرياضيات	57 آية

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا الفصل اعلن قائلا :

« واني في محاولتي هذه سأقتصر على اهم واخطر مواضع العلم الحديث وهي الذرة والفضاء والنسبية في الباني لنفي التنافس بين العلم والدين» .

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسه لاثبات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين معاني الايات القرآنية، لم ينس ان يشير الى آخرين من العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى انطباق وتوافق هذه الايات او بعضها مع مواضيع العلم الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهرى (الذي تناولناه في حديثنا هذا من قبل) وكذلك الدكتور احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة التحديات المصرية الحديثة للإسلام بالكشف عن المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القرآن الكريم فان الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتصوير عن هذه المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها الله في هذه الايات حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادئ نظرية تخضع في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي هو مستمد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله بالامس ، وان ينفي في الغد ما اثبتته اليوم وهكذا بما لما يمرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه الحياة .

وان من يمعن قراءة المقدمة التي استهل بها الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بان الكاتب الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القرآن الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل انه اختار من آثار المرحوم الشيخ مصطفى الفلايني ما كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم وجمعه في مطلع كتابه وقال : « اعجبت بدقة وعمق بحثه ورايت من الواجب ان انقل للقارئ بعض ما كتبه

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل التنطع في جر آيات القرآن الكريم الى ساحة الابحاث العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة في التجديد بما لا طائل منه لصالح القراءان واهدافه الدينية والدينية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذ مروه واحزابه في هذا الصدد ، انما هو في الواقع ، رد فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها الافكار المبهورة بما بلفته الحضارة الانسانية من تقدم وتطور وازدهار في هذا العصر . كما انه يعتبر بمثابة جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض الانهام السقيمة التي الفت على كاهل الدين الاسلامي وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التفسير من ادراك شوا الحضارة الغربية في مستواها العلمي الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اوائل الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة هي :

اولا : ان تثبت للمتزمين والمتعصبين ضد طلب العلوم الحديثة ، ان القرآن قد دعا وشدد في طلب جميع العلوم (الدينية والطبيعية) بلا استثناء ، ولذلك فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسهم على معطيات العلم الحديث لان عدم امامهم بهذه المعطيات قد شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتماليم الدين الحنيف .

ثانيا : ان تثبت للمثقفين المسلمين وغير المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا الدين قائم على العلم وان آيات القرآن وتعاليمه تنسجم انسجاما كاملا مع معطيات العلم الحديث في ادق واخطر مباحثه وتجاريه واكتشافاته من ذرة وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة ولنتأكد ان العلم الذي دعا القرآن الى طلبه ، والذي اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشرعية فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل على ما نقول :

هذا الفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير السدي
أما لجنه .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على
اقتناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى
الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم
يزعم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى
اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى
الله عليه وسلم واعدا رسالته السماوية ، فانهم لم
يعطوا في شأنهم للنبي ورسالته الى حد اتهامهما بأنهما قد
العلم وأهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقتناع
قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة
مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ،
لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان وفرا
على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى
الصدر ، ساير ذلك الذي قال في كلمته ان علماء الدين
يحمون مسؤولية عدم تفسير النصوص القرآنية
والسنن المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . واني من
رأى الشيخ المذكور بان الاطلاع على ظروف علماء الدين
الاسلامي يكشف انهم بدلو اصحاب امكاناتهم في سبيل
هذه الفاية الشريفة وقدموا عشرات الكتب بهذا
الصدد ، حتى ان بعضهم القوا كتباً في خواص العلم
التجريبية زائدا على تأليف كتب تحاول عرض النصوص
والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة
والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا
الصدد بانه لا يوجد كتاب في طول الارض وعرضها من
بداية التاريخ حتى اليوم ، خدمه أهله من العلماء مثلاً
خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات
تكاد تنوء بأعمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن
بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره
الجبار في توجيه البشر بمختلف أجناسهم واللوانهم الى
الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى
الكتاب الذي ألفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي
طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان
بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي
صدر مؤخراً وأعيدت طباعته مراراً ، من شأنه على ما
نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بان أهل العلم الصحيح
من شيوخ المسلمين لم يبخلوا في أداء واجبههم نحو

القرآن الكريم في الحاضر كما ان السلف الصالح من
امثالهم وزملائهم ، لم يبخلوا كذلك في الماضي في القيام
بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين
هؤلاء وأولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته
وعلى طبيعته في التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي
بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور
الالهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارها موجة
التحديات المصرية الوافدة علينا من افاق العالم
الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة
نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، وليس من
مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية ،
او وضع أسس للانتاج الثقافي البشري ، فالقرآن
الكريم يحاول ان يصنع الانسان الكامل الذي هو مبدا
العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة بأحكامه الفردية
والاجتماعية ومعاليمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعدد لأؤكد ان تناول القرآن لهذه المباحث
(اي العلوم الكونية) هو استطراد ذكر وامثال ، وليس
من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ،
شان الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ
الصدر ما يريده بيانا وايضاحا فوق ما هو عليه من
البيان والوضوح ، اذ لا يقلل ان يأتي القرآن الكريم
ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية
والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اي
دين ، هي ان يخلد البشر بالمبادئ التوجيهية التي
ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما
فيه انضباطهم وصلاحهم في هذه الحياة الدنيا . وليس
من مهمة الدين ، في قليل او كثير ، ان يتناول العناصر
التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود
المقدار الذي يضرب به المثل للعظمة والاعتبار
والتأمل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير
التي يضعها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات في
نطاق الروابط التي تحكم أواصرهم وتشدهم الى
العيش بعضهم مع بعض دون أي تناقض ولا اصطدام .

ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك قالنا » فكانت نكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتى اليوم ...

وبعد ، فلقد أطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرآن » حتى كدنا نوهم قارئنا بأن الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنفطم هذا المؤلف العالم حقه من التنويه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك ، لنجد له فضله في الانكباب على دراسة كتاب الله سورة سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا الكتاب الغد الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الفزيية التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما إليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شهاب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بعد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بأن هذا الشاب النابغة يستحق أن يوضع اسمه بين أسماء فطاحل العلماء المسلمين الذين أضافوا لثرائنا القومي صفحة مشرقة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا أن تباهل بمكانته العالمية وان تفاخر بذهنه المتفتح أكثر الامم تقدما وابعدها شأوا في مضمار الحضارة والتطور والازدهار .

واذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فأننا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بأن يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفائاته في علوم الذرة والفيزياء والكيمياء . هذه العلوم التي أصبحت اليوم ، ميدانا تتزاحم فيه الامم الحية لاجراء قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من أجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية.

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرآن وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في امثاله غيرنا من جهابذة العلماء المسلمين امثال الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره « (المنار) » يعني على من تأثروا في تفسيرهم بالنزعة العلمية المادية . وان الشيخ رشيد قد نعا على الفخر الرازي ما أورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، واعتبر ان هذا العمل من شأنه أن يصرف الانسان عن القرآن وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلدوا الفخر الرازي في طريقته من المفسرين المعاصرين . فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كاليئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقئده بعض المعاصرين (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهرى) بإيراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسما والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارئ مما انزل الله لاجله القرآن .

وبمناسبة الكلام من جنوح بعض المفسرين الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعية . فأننا لا نرى بأسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يبسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتم معشر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الاتكليزية للسفريات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيل المبسطة ، لذلك فوراً اجل فان اسم هذه الشركة

الإعداد العِلْمِي في الوطن العربي

أصدر المؤتمر الثقافي العربي الثامن الذي انعقد بالقاهرة بين 20 و 30 ديسمبر (كانون أول) 1969 توصيات في موضوع اعداد العلمين في الوطن العربي جاء فيه :

شأن معرفة العلمية والحضارية ، وكان لها اثرها الواضح في النهضة العلمية الاوربية .

واعتمادا على طبيعة اللغة العربية وسعتها ومرونتها وقدرتها على التطور والاستيعاب والتعبير عن العلم الحديث وتطبيقاته ، وقد تمثل ذلك في التجربة الرائدة التي نهضت بمبناها الجامعة السورية خلال نصف قرن بالتدريس والتأليف في الكليات العلمية العملية باللغة العربية ، والتي تتطلب من الجامعات العربية الاخرى الاسراع الى التعاون والدمج والمساندة.

ومع الاعتراف بالصعاب الحالية التي تترسّخ سبيل استعمال اللغة العربية لغة تدريس وبحث علمي في الكليات الجامعية والمعاهد ، والتي تستدعي :

- 1 - اعداد هيئة التدريس .
- 2 - ترجمة المصطلحات وتدريبها وتوحيدها .
- 3 - استكمال النقص في المراجع والصادر العلمية .

وهي الصعاب التي يمكن التغلب عليها عملا في مراحل التعليم العام وفي كليات الحقوق وفي الدراسات الاجتماعية والنفسية ، التي أصبح التدريس فيها منذ زمن باللغة العربية في كثير من البلاد العربية أمرا واقما وحقيقة مقررة ، بعد ان كان التدريس فيها

« التوصية الاولى »
اللغة العربية لغة العلم في التعليم العالي :

لما كانت اللغة القومية لكل أمة هي الوعاء الفكري للمواطن ، اذ انها أداة التفكير كما انها وسيلة التعبير. وتحققا للاهداف العلمية والتربوية لوضع المادة العلمية في متناول ادراك الطالب وفهمه دون هوائق لغوية خارجية تزيد من صعوبة المادة وتعمل على الإبطاء في استيعابها .

وايمانا بان تاصيل العلم والتفكير العلمي لدى أمة يتطلب استعمال لغتها القومية في كل من التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة .

وادراكا ان استعمال اللغة القومية في التدريس والبحث العلمي يزيد من ارتباط العلماء بشعوبهم ومن ارتباط العلم وتطبيقاته بقضايا وطنهم وحاجات أمتهم ومتطلباتها ، ويساعد على الاحتفاظ بهم والحد من هجرتهم .

وتقريرا للحقيقة التاريخية المعروفة ان اللغة العربية وسعت في مصور ازدهارها جميع جوانب

الوقت نفسه شعبا لاتحاد المجامع ودعامة له في عمله .

6 - تأسيس الجمعيات العلمية لمختلف فروع العلم في كل بلد عربي لتكون عوناً للجامعات والمجامع واتحادها والاتحاد العلمي العربي في النهوض بالتعريب والترجمة العلمية .

7 - بذل مزيد من العناية باللغات الأجنبية في التعليم الاعدادي والثانوي والجامعي ، والعمل على رفع مستواها للاستفادة بها في نشر البحوث العلمية العربية على الصعيد العالمي .

« التوصية الثانية »

السياسة العامة للاعداد العلمية :

لها كان المؤتمر يدرك ان المعركة التي تخوضها الامة العربية هي معركة حضارية في المقام الاول وان الامة العربية في حاجة الى تقدم حضاري يستفيد من العلم مضمونا واسلوبا في تدعيم الجبهة العربية ، ولما كان المؤتمر يرى ان التفاعل بين الحركة العلمية والتطور الصناعي والانتاجي امر ضروري للنهوض بها جميعا ، فانه يوصي بما يلي :

1 - وضع الخطط طويلة الامد لتربية الجماهير العربية تربية علمية اميلة تقوم على الايمان بالاسلوب العلمي في التفكير والوعي بدور العلم في تطوير الحياة الانسانية ، وباهمية العمل العلمي في حل المشكلات .

2 - ان تقوم اجهزة التعليم والاعلام بالعمل على ازالة العراقيل التي تعوق الحركة العلمية حتى يفسح لها مجال العمل على رفع مستوع الثقافة العلمية بين الجماهير واشاعة الفكر العلمي وتاصيل النظرة العلمية للامور وتربية الاجيال المساعدة تربية علمية شاملة .

3 - اعتبار عملية الاعداد العلمي عملية متكاملة تبدأ مع الطفل وتستمر حتى الدراسات العليا وان هذا التكامل يقتضي الربط بين مراحل الاعداد المختلفة وتحديد مستوياتها في كل مرحلة ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بانشاء هيئات او مجالس دائمة تكون مسؤولة عن تطوير خطط ومناهج الدراسات العلمية في المراحل المختلفة ورسم

بلغات اجنبية ، وكانت الاعتراضات على تعريبها والصعاب امام ذلك هي الاعتراضات والصعاب نفسها التي تثار الآن في مجال استعمال اللغة العربية للتدريس والبحث العلميين .

ومع التأكيد على ضرورة بذل مزيد من العناية باللغات الأجنبية لتكون نافذة تطل على سير العلم في البلاد الاخرى ووسيلة لمتابعة التطور العلمي في العالم.

فان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - المبادرة الى استعمال اللغة العربية لفظة للتدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة بالكلليات والمعاهد العلمية والتقنية في البلاد العربية ، على ان يصدر في كل بلد عربي تشريع ملزم بذلك ، وان يكون البدء بتنفيذه في السنة الاولى (الصف الاول) بتلك الكليات والمعاهد في بداية العام الدراسي التالي مباشرة لصدور التشريع ، وان ينص على ان يكون التنفيذ في السنوات (الصفوف) التالية متتابعاً عاماً بعد آخر دون فواصل زمنية .

2 - انشاء مركز لترجمة امهات الكتب والمراجع اللازمة لتعريب التدريس في الكليات والمعاهد العلمية .

3 - اعادة تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية الذي سبق ان وافق مجلس جامعة الدول العربية على تأسيسه وعلى نظامه الاساسي ، وحث مجلس جامعة الدول العربية على ان يرصد له اعتماداً مالياً كافياً يمكنه من القيام برسائلته العلمية والقومية الجليلة في مجالي التعريب والترجمة العلمية . على ان يتطور هذا الاتحاد في المستقبل ليصبح مجعماً لغوياً عربياً مركزياً وتصبح المجامع الاخرى في البلاد العربية مرموزاً له .

4 - ارتباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط باتحاد المجامع وفقاً لترتيب خاص يمنع الازدواج في العمل والتكرار في الجهد .

5 - حث الحكومات العربية التي لا توجد في بلادها مجامع على تأسيس مجامع لغوية ، تكون رسالتها العمل في نطاق القطر نفسه على قيام نهضة لغوية فكرية بشتى الوسائل وتكون في

سياسة شاملة للاعداد العلمي ، والقيام بالدراسات والابحاث الخاصة بتحديد نوميئات الاعداد ومستوياته .

4 - توثيق العلاقات بين المؤسسات العلمية ومراكز الانتاج والخدمات بحيث يتم تبادل الخبرات العلمية فيما بينها والعمل على حل المشكلات التي تواجهها تلك المراكز ، واتاحة الفرصة لتدريب الطلاب العلميين بصورة دورية في مراكز الانتاج والخدمات وانتقاء موضوعات البحث من المشكلات التي تطرحها هذه المؤسسات والمراكز .

« التوصية الثالثة »

الاعداد العلمي في التعليم العام :

يقدر المؤتمر الجهود التي تبذلها جميع الدول العربية في مجال تدريس المواد العلمية في التعليم العام ، ويرى وجوب اعطاء مزيد من الاهتمام لتحسين نوعية الاعداد العلمي في جميع مدارس التعليم العام نظرا لاهميته سواء لاعداد المواطن القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه والمساهمة في حلها او لاعداد العالبيين المتخصصين .

ولذلك يوصى المؤتمر بما يلي :

1 - العناية اثناء تدريس العلوم في المرحلة الاولى بالدراسات التطبيقية على الطبيعة ، اي ان تقرر عملية التعليم بالمشاهدة ما أمكن ذلك وان تنمي المبادرة الفردية واكتساب بعض المهارات العلمية بحيث يمكن تنمية الشخصية العلمية المزودة ببعض المعارف العلمية الاساسية .

2 - اعادة صياغة المناهج العلمية بحيث تهتم بأساسيات المعرفة العلمية دون ازديادها بالتفاصيل على ان تجري عملية متابعة وتقييم لهذه المناهج باستمرار في ما تسفر عنه من نتائج وما يستجد من احتياجات تمشيا مع التطور العلمي الحديث .

3 - تطوير اساليب التدريس ، وهذا يرتبط باعداد المعلم ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بالاهتمام باعداد المدرس وتوثير الجو والظروف المناسبة لكي يقوم بدوره على احسن وجه ، وذلك عن طريق تحسين ظروفه المادية والمعنوية وتزويده

بوسائل التدريس اللازمة ومده باستمرار بالجديد في العلم وفي طرق التدريس وتنظيم السدورات التدريبية والتجديدية المناسبة .

4 - الاهتمام بمزج الاعداد العلمي بالاعداد الانساني والقومي ، وبوجه خاص اثناء احساس الطالب بالانتماء للوطن وادراكه لمسؤولياته تجاهه .

5 - العناية بتدريس اللغة العربية باعتبار ان اللغة القومية هي الوسيلة المثلى للتعبير عن الافكار العلمية وتبادلها بين اجزاء الوطن العربي . كما يؤكد ضرورة العناية بتدريس اللغات الاجنبية لانها وسيلة هامة من وسائل تحصيل العلم .

6 - العناية بالمدارس المهنية وزيادة عددها وتنوعها طبقا لمتطلبات خطط التنمية على ان يرتفع مستوى الدراسة العلمية النظرية في هذه المدارس الى ما لا يقل من مستواه في المدارس العامة على ان لا يكون ذلك على حساب النواحي المهنية مع اتاحة الفرصة للمتخرج في هذه المدارس بمواصلة دراسته في التعليم التقني العالي اذا كان صالحا لذلك ، على ان يراعى في قبول الطلاب في هذه المدارس الميل والكفاءة .

« التوصية الرابعة »

الاعداد العلمي في المرحلة الجامعية :

يقدر المؤتمر الجهد الذي تبذله جميع الدول العربية في التوسع في التعليم الجامعي العالي ، ويرى ان الوقت قد حان للاهتمام بنوعية الاعداد في هذه المرحلة بما يلي باحتياجات الامة العربية . ولهذا يوصى المؤتمر بما يأتي :

1 - ان تحدد كل دولة عربية اهداف التعليم الجامعي بصورة واضحة في ضوء احتياجاتها المحلية من علميين على مختلف انواعهم ، آخذة في الاعتبار الحاجات القومية على نطاق الوطن العربي .

2 - ولما كان تحديد التخصصات وانواعها ومجالاتها امرا يرتبط بخطة التنمية الوطنية والقومية ، فان المؤتمر يوصي بانه اذا لم تتوافر خطط للتنمية طويلة الامد فيفضل ان تكون التخصصات مريضة تتيح للمتخرجين في الجامعة العمل في مجالات متنوعة بحيث يستطيعون سد حاجات

مختلف القطاعات والمشروعات التي يتقرر انشاؤها في المستقبل .

3 - تجنب الازدواج بين الاعداد الاكاديمي والاعداد التطبيقي ومراعاة الاحتياجات الفعلية للمجتمع

5 - زيادة الاهتمام بالعلوم الانسانية والاجتماعية في الكليات العلمية العملية .

6 - لما كان توفير المختبرات والاجهزة العلمية والمكتبات يحتاج الى نفقات كبيرة قد لا تتحملها الطاقات المحلية ، فان المؤتمر يوصي بالتسبيق بين مراكز البحث والجامعات بحيث يستفاد من الامكانيات الموجودة وذلك بانشاء معامل ومكتبات مركزية وتوفير خدمات التوثيق العلمي . وفي هذا المجال يوصي المؤتمر بان تبنى البلاد العربية مشروع انشاء مؤسسة عربية لتصنيع وصيانة ادوات واجهزة المختبرات والوسائل التعليمية .

7 - توفير اعضاء هيئات التدريس اللازمين للقيام باعباء التدريس بحيث تصل نسبة هيئة التدريس الى الطلاب في اقرب وقت ممكن الى النسب المقبولة عالميا .

8 - ان تتحمل الجامعات والمعاهد العليا مسؤولياتها في متابعة النمو العلمي للخريجين عن طريق البرامج التدريبية ووسائل النشر والاعلام ومراكز خدمة الخريجين .

« التوصية الخامسة »

اعداد الباحثين العلميين :

ان المؤتمر اذ يدرك ان اية نهضة علمية اميلة تقوم اساسا على اكتاف مجموعة من الباحثين في المجالات المختلفة ، تادرين على تنشيط حركة البحث العلمي وربطها بالحركة الاجتماعية والاقتصادية ، فانه يوجه النظر الى ضرورة الاهتمام باعدادهم وتوفير الظروف الملائمة لهم ، وفي هذا المجال يوصي بما يلي :

1 - لما كانت اساليب البحث العلمي واهدائه في الجامعات قد تختلف عنها في مؤسسات البحث العلمي الاخرى والتي ينبغي ان يرتبط العمل فيها باحتياجات تنمية المجتمع ، فان المؤتمر يوصي عند تقويم اداء العلميين العاملين في مجالات

البحوث التطويرية والتطبيقية بالاعتماد على الانتاج العلمي بدلا من الاقتصار على اعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .

2 - لما كان خريج الجامعة يحتاج قبل قيامه بالبحث الى تدريب خاص يكسبه المهارات الاساسية اللازمة للبحث فان المؤتمر يوصي بانشاء دراسات خاصة للخريجين الذين يدخلون ميدان البحث العلمي وتقويم عملهم فيها للتعرف على صلاحيتهم لتابعة البحث العلمي .

3 - تشجيع الربط بين بحوث الماجستير والدكتوراه وغيرها من البحوث الجامعية وبين احتياجات المجتمع ما أمكن ذلك .

4 - يرى المؤتمر ان هناك حاجة الى مزيد من الاهتمام بالدبلومات المهنية التطبيقية بحيث تتنوع وتأخذ صورة ذات طبيعة تطبيقية يقصد بها اعداد المتخصصين المهنيين اعدادا علميا وعمليا للعمل في فروع التخصص التي يحتاجها المجتمع .

5 - تشجيع الباحثين على متابعة تكوينهم العلمي بالانتساب الى دراسات ودورات تدريبية لرفع مستواهم بشكل مستمر .

6 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائيين في التوثيق والنشر العلمي .

7 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائيين في اعمال الادارة العلمية والتخطيط العلمي .

« التوصية السادسة »

اعداد الفنيين والمعاونين في البحث العلمي :

لاحظ المؤتمر ان مرافق المؤسسات العلمية والانتاجية لاسيما المراكز الصناعية في الوطن العربي تعاني نقصا كبيرا في الفنيين ، مع ان العمل في هذه المرافق يستند الى خدمات الفنيين في عمليات التنفيذ بقدر ما يحتاج الى المهندسين والعلميين من ذوي الاختصاصات العالية في عمليات التصميم والبحث . لذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

1 - الاهتمام باعداد ورعاية الفنيين والمعاونين في شؤون البحث العلمي في قطاعاته المختلفة بخامة الفئات التالية :

١ - المختصون بصيانة واصلاح الاجهزة العلمية .

ب - المختصون باجهزة القياس الدقيقة والتحليلات ومختلف التحضيرات العلمية

ج - الفنيون المدربون على الاجهزة الالكترونية واجهزة الصناعات الكيميائية والتمديدية وغيرها .

د - الفنيون في اعمال التصبيم والتجارب نصف الصناعية .

هـ - الفنيون في اعمال الرسم والتصوير العلمي.

و - الفنيون اللازمون للمعاونة في اعمال المكتبات والتوثيق والنشر العلمي .

ويجب ان يكون اعداد الفنيين متناسبا مع متطلبات العمل .

2 - تشجيع الفنيين ماديا ومعنويا وذلك بتحسين اوضاعهم المادية وتنمية الشعور بأن عمل الفنيين لا يقل اهمية من الاعمال العلمية الأخرى.

3 - ان يكون المشرفون على اعداد وتدريب الفنيين من مدرسين ومدرسين من ذوي الخبرة الفنيين المتدربين يمثل هذه الاعمال .

« التوصية السابعة »

هجرة المعلمين ووسائل الاحتفاظ بهم :

يوصي المؤتمر بأن تراجع كل دولة عربية الظروف التي تدفع المعلمين العرب الى الهجرة مثل :

— ضعف الدعم المادي للعمل العلمي وقلة دخل المعلمين التي تصرفهم من تكريس جهودهم للعمل العلمي المنتج .

— عزلة المعلمين بعضهم من بعض على الصعيدين المحلي والعربي وعدم اشتراكهم في وضع خطط التنمية في بلادهم .

— التركيب البيروقراطي لكثير من المؤسسات العلمية وطرق التوظيف فيها والتي أنت التي وضع كثير من غير المناسبين في مسؤوليات حساسة في ميدان العمل العلمي ومن ثم سلبية كثير من المعلمين العائدين بعد تدريبهم وتأهيلهم في الخارج .

— القيود التي تفرض في بعض البلدان العربية على حرية المعلمين في التفكير والعمل وعدم الاستقرار في مجالات العمل العلمي وهيئاته : مما يضر باستمرارية العمل .

كما يوصي المؤتمر كل دولة عربية بالعمل على الاحتفاظ بالمعلمين داخل الوطن العربي وعلى حسن الافادة من طاقاتهم ، وعلى ترقيتهم من هاجر منهم في العودة ، وذلك بتوفير المناخ العلمي اللائم والمشجع من طريق اتخاذ الاجراءات التالية :

1 - توفير الدخل المادي الكافي الذي يضمن تكريس كل جهود المعلمين لواجباتهم العلمية مع وضع الحوافز المادية والمعنوية لهم .

2 - رفع القيود على تحركات المعلمين داخل الوطن العربي للاغراض العلمية واعطاء العلماء العرب الاولوية في شغل الشواغر في الوطن العربي ضمن برنامج المنظمات الدولية .

3 - انشاء مركز عربي لجمع بيانات عن احتياجات الوطن العربي من المعلمين في حقول التخصص المختلفة وكذلك جمع بيانات عن القوى العلمية العربية العاملة في الوطن العربي وخارجه ، وذلك من أجل التنسيق بين احتياجات الدول العربية المختلفة بما يضمن توزيعا متكاملًا للمعلمين واستخدام اكبر عدد ممكن منهم داخل الوطن العربي .

4 - مبادرة الدول العربية الى وضع خطط مشتركة تحدد فيها مشكلاتها العلمية واحتياجاتها من المعلمين وترصد لها الإمكانيات اللازمة لتنفيذ الخطة العربية المشتركة وحل ما يعترضها من عقبات .

5 - متابعة القيام بدراسات ميدانية تهدف الى التعرف على المشكلات التي واجهها ويواجهها المعلمون العرب داخل الوطن العربي ومسببات هجرتهم .

6 - اعادة النظر في مؤهلات العاملين في مختلف الحقول الإنشائية في البلاد العربية وشغل تلك الحقول بذوي المؤهلات العلمية القيادية المتخصصة .

7 - مبادرة الهيئات العلمية الى خلق مدارس البحث العلمي المرتبطة باحتياجات المجتمع كوسيلة لربط العلمين بمجتمعهم وللحفاظ على العلمين الذين يعودون الى هذه الهيئات من الخارج ولتوضيح الدور الذي يجب ان يلعبه العمل العلمي في بناء المجتمع العربي .

8 - انشاء صندوق عربي يتولى تنفيذ برنامج لتبادل العلماء العرب داخل الوطن العربي من جهة وبين المؤسسات العلمية العربية ونظيراتها في الدول المتقدمة من جهة اخرى .

9 - اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد ما امكن من خروج الطلبة العرب للدراسة الجامعية الاولى الى الجامعات الاجنبية خشية انصهارهم في المجتمعات الاجنبية التي يذهبون اليها .

« التوصية الثامنة »

مسح الامكانيات العلمية :

يوصي المؤتمر ان تقوم كل دولة عربية بالعمل على تحقيق مسح شامل وكامل للمؤسسات البحث فيها وذلك من حيث تركيبها وامكانها وتجهيزاتها وقدراتها والعاملين فيها (مؤهلاتهم وخبراتهم) وتمويلها والجهات التي تنبمها ومواضع اختصاصاتها ونشاطها وذلك تمهيدا للاستفادة من امكانياتها في خطط الانماء والبحث العلمي ولاستكمال نواتجها وتمهيدا لاستحداث وحدات جديدة في اماكن وميادين تميز على ضوء الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما يوصي بأن يكون جمع هذه البيانات والاحصاءات مستمرا ، وان تعمل ادارات الامانة العامة للجامعة العربية (الادارة الثقافية - قسم العلوم والتكنولوجيا وغيرها) على جمع هذه البيانات من الدول العربية وتصنيفها ونشرها .

« التوصية التاسعة »

تنظيم البحث العلمي على النطاق المحلي :

يوصي المؤتمر بأن تمتد كل دولة عربية الى انشاء هيئة مركزية على اعلى مستوى تتبع بالاستقلال الاداري والمالي وتكون مهمتها وضع السياسة العلمية الوطنية وتوجيه البحث العلمي وتنسيبه وتشجيعه

وامداد الباحثين والعلمين على ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ويوصي المؤتمر بأن تنظم البلاد العربية مؤسسات البحث العلمي فيها على ضوء المسح الذي تجريه ، وهي تؤكد ضرورة وضع خطة علمية تستهدف التنسيق بين مختلف مراكز البحث بحيث تستفيد الى اقصى حد من الامكانيات العلمية المتوفرة وتوجهها الى تناول مواضيع البحث ذات الاهمية بالنسبة لحسن استغلال الموارد الطبيعية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما يوصي المؤتمر بأن تتوخى خطة انشاء وتدعيم مراكز البحث تمكين هذه المراكز من تحقيق دورها في ميادين البحث الاساسي والتطبيقي والتكنولوجي وفي اعداد العلمين والباحثين الرئيسيين والمساعدين على السواء . وان يتم توزيع البحوث على المؤسسات العلمية بحيث تاتي متكاملة في خدمة المصلحة الانمائية العامة وبحيث تتجنب التكرار والازدواجية مع التأكيد على اهمية دور الجامعات في البحث العلمي ، وبحيث يقوم البحث العلمي بدوره كجسر لنقل التكنولوجيا الحديثة الى البلاد العربية .

« التوصية العاشرة »

تنظيم البحث العلمي على نطاق الوطن العربي:

ان التنسيق بين جهود الدول العربية في المجال العلمي ضرورة ملحة لتحقيق اهدافها القومية وعبره نجوة التخلف، وبخاصة ان المشكلات التي تواجهها هذه الدول في حقول التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتشابه موضوعيا ، مما يحتم عليها ان تتعاون وان تنسق جهودها لحاقا بالتقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، وبخاصة ان التحديات الراهنة والمقبلة التي تواجه وستواجه الامة العربية قد وصلت الى مرحلة بالغة الخطورة ، وان عناصر التقدم العلمي من موارد بشرية وامكانيات مادية وطبيعية ليست موزعة بشكل متوازن على رقعة الوطن العربي .

لذلك يؤكد المؤتمر اهمية التعاون العربي في حقل البحث العلمي ، وضرورة التنسيق والتوثيق وتبادل الخبرات والمعرفة ، ويوصي بما يلي :

اولا - ان يبادر العلميون في مختلف الحقول اينما وجدوا في الوطن العربي الى انشاء جمعيات علمية عربية تضم الاختصاصيين في الحقول العلمية

المترابطة والمتداخلة في جميع البلدان العربية وعلى سبيل المثال تنشأ الجمعيات الآتية :

أ - جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية .

ب - جمعية العلوم البيولوجية .

ج - جمعية العلوم الكيميائية والجيولوجية .

د - جمعية العلوم الهندسية .

هـ - جمعية العلوم الطبية .

و - جمعية العلوم الزراعية .

ز - جمعية العلوم الاجتماعية .

ح - جمعية العلوم الادارية

ط - جمعية العلوم الاقتصادية

على ان تفتحن مهام هذه الجمعيات اصدار دوريات علمية لنشر البحوث على مستوى الوطن العربي وعقد المؤتمرات العلمية الدورية

ثانياً - ان يقوم اتحاد الجامعات العربية - وهو اطار مناسب للتنسيق العلمي بين الجامعات العربية - بدور اكثر فعالية في هذا المجال . ويحتاج ذلك الى :

1 - مزيد من الدعم المادي من الجامعات والحكومات العربية .

2 - توسيع قاعدة المؤتمر العام لاتحاد الجامعات ليشمل ممثلين لاهضاء هيئة التدريس من غير اعضاء مجالس الجامعات ومن مختلف التخصصات العلمية ، وعلى ان يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل عام .

3 - تنشيط عمل لجان الاتحاد الفنية واشراك اكبر عدد ممكن من اعضاء هيئة التدريس الراغبين والقادرين على المساهمة فيها .

4 - عقد مؤتمرات دورية تمثل اتسام التخصص في كل جامعة لتنسيق شؤونها العلمية والتعليمية .

5 - عقد حلقات دراسية لبحث المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي مع الاهتمام بوجه خاص في المراحل القادمة بالموضوعات الآتية :

أ - مركز الاقسام العلمية وخصوصا البحث منها نظرا لتداخل مروع العلم المتعارضة ولتجنب بعبثة الامكانيات .

ب - التنسيق فيما بين الاقسام التخصصية في الجامعات المختلفة لتوزيع اهتماماتها في مجال البحوث والدراسات العليا وتوزيعها بحيث تصبح متكاملة ومتفاعلة .

ج - اعداد ونشر دليل سنوي لاهضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعات العربية في مختلف حقول التدريس .

د - التنسيق بين الجامعات العربية في مجال المشاركة العربية في المؤتمرات العلمية الدولية وتنظيم الاستضافة منها .

هـ - اعداد دراسة تستهدف وضع معادلات سليمة لتكلفة تعليم وتأهيل الطالب في مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي .

ثالثاً - انشاء مجلس علمي عربي يضم البلاد العربية وتكون من بين مهامه الامور التالية :

1 - انشاء وادارة مراكز البحوث الاقليمية .

2 - انشاء وادارة مراكز الخدمات العلمية الاقليمية .

3 - انشاء وادارة مراكز اقليمية لتدريب الفنيين العلميين .

4 - انشاء وادارة مركز للتوثيق العلمي .

5 - انشاء مركز يتابع تطور الحركة العلمية لدى العدو واستعمال العلم في جميع مجالات حياته .

6 - تدعيم البحث العلمي عن طريق تقديم المنح للباحثين حيثما كانوا في الوطن العربي .

7 - تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية لمختلف فئات الشعب .

ويرى المؤتمر ان يستفيد هذا المجلس ما امكن مما هو متوفر من مؤسسات علمية تقوم الآن في البلدان العربية وذلك اما بتتويعها او بالحاق اتسام للخدمات والبحث فيها .

ويرى المؤتمر كمدخل لتحقيق ذلك ان تيسر الامانة العامة لجامعة الدول العربية (قسم العلوم

والتكنولوجيا (الى دعوة عدد من العلماء الكفاء في الوطن العربي لوضع مشروع نظام هذا المجلس وعرضه على مجلس الجامعة في اول اجتماع مقبل له .

« التوصية الحادية عشرة »

التعاون العلمي العربي :

ينوه المؤتمر بأهمية التعاون العلمي في مجال البحوث العلمية والمراكز الاقليمية المشتركة (من امثال مركز النظائر المشعة والمركز الاقليمي العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ومراكز البحوث التي اقرها مركز التنمية الصناعية التابع للجامعة العربية) ، وبالنشاط الذي يقوم على نطاق الوطن العربي وينوه بأهمية « المجلس العربي المشترك للطاقة الذرية » الذي قرر انشاءه مؤتمر القمة الثاني .

ويوصي بأن يكون انشاء مراكز البحوث الاقليمية مرتبطا بموضوعات علمية تهم الوطن العربي والتنمية الاقتصادية فيه .

التوصية الثانية عشرة «

التوثيق والنشر العلمي :

نظرا لان نتائج البحوث العلمية أصبحت تنشر في العالم في ملايين من التقارير العلمية بعشرات اللغات ، فقد أصبح التوثيق العلمي من أهم الامور التي يجب ان تعنى بها مؤسسات البحث العلمي ، ويعتمد التوثيق العلمي الكامل اليوم على اجهزة حديثة بالفة النفقة لذلك يوصي المؤتمر بأن تتعاون البلاد العربية على انشاء مركز للتوثيق العلمي يستخدم الوسائل والاجهزة الحديثة ويكون في خدمة البحث العلمي على الصعيد العربي كله .

« التوصية الثالثة عشرة »

تنظيم براءات الاختراع والملكية الصناعية :

يوصي المؤتمر بانشاء وتنظيم جهاز براءات الاختراع في كل دولة عربية ، على ان يكون الجهاز ادارة استقبال اسرار التكنولوجيا المرفقة بطلبات براءات الاختراع ، واداة ارسال تلك الوثائق الى مراكز البحث العلمي

والجامعات والمصانع ، واداة متابعة تعميم تطبيق أحدث الاختراعات في الصناعات الرئيسية . على ان تتبع ادارة براءات الاختراع الجهاز العلمي المركزي في الدولة ، وان يتمتع الجهاز بكيان ذاتي . ويتمين ان يتضمن جهاز براءات الاختراع مفعلا من الادارة التقليدية التي تختص بالاجراءات والتسجيل ، ادارة تكنولوجيا واقتصادية ، وادارة وثائق واعلام ، وادارة ابحاث قانونية وعلاقات دولية .

ويوصي المؤتمر البلاد العربية بالعمل على اعداد فئة من العلماء والقانونيين والاقتصاديين والخصائيين الوثائق والمكتبات لتخصص علما وعملا في براءات الاختراع والملكية الصناعية .

« التوصية الرابعة عشرة »

يوصي المؤتمر بالتعاون بين الدول العربية في مجال الملكية الصناعية بتكوين مركز للملكية الصناعية ووثائق براءات الاختراع . ويختص المركز بالعمل على تنسيق تشريعات الملكية الصناعية في الدول العربية وتوجيه حركة التشريع لتحقيق مصالح الدول العربية وحماية حقوق المخترعين العرب كما يختص بالقيام بالابحاث الخاصة بالائتمانيات الدولية في الملكية الصناعية واممال ووثائق براءات الاختراع ونشر هذه الوثائق .

« التوصية الخامسة عشرة »

تمويل البحث العلمي :

يوصي المؤتمر بأن تخصص كل دولة عربية للبحث العلمي ما لا يقل عن الواحد بالمائة من الدخل القومي العام على ان ترتفع هذه النسبة الى اثنين بالمائة في ظرف ثلاثة أعوام . ويكون توزيع اعتمادات هذه المخصصات مرتبطا بخطة البحث العلمي التي تنبثق من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

« التوصية السادسة عشرة »

دور العلم والعلميين في مواجهة التحديات :

لما كان الاعداد العلمي يحتاج الى وحدة مكررة وعمل بين جميع الاجهزة المسؤولة عنه ، ولما كان هذا الاعداد يتم ضمن اطار اجتماعي بوجهه نحو

5 - إنشاء معاهد تكنولوجية متخصصة أو إضافة

مروع للمعاهد القائمة تختص بالدراسات والبحوث ذات الصلة بالعمل العسكري وفي هذا المجال ، يوصي المؤتمر الدول العربية التي توجد بها نواة لمثل هذه المعاهد ان تفسمها في خدمة العمل العربي الشامل بفرض تثبيتها لتحقيق اهدافنا القومية .

6 - الاهتمام بايجاد جهاز من العلماء المتخصصين

ضمن القيادة العسكرية لكل دولة عربية في اطار الدفاع المشترك. ويكون هذا الجهاز مسؤولا عن تقديم معوناته بشأن وضع العلم واجهزته وبحوثه في خدمة العمل العسكري .

7 - تعبئة جميع الطاقات العلمية العربية الموجودة في

الوطن العربي وخارجه لتوجيهها نحو خدمة متطلبات المعركة الحالية ، وفي هذا المجال يشير المؤتمر بصفة خاصة الى توجيه قدرات البحث العلمي لانتاج اسلحة مناسبة بموارد متاحة داخل الوطن العربي ، هذا الى جانب تدريب ابناء الامة العربية على المهارات الحربية والادارية المناسبة.

8 - بنائش المؤتمر اجهزة الاعلام في الوطن العربي

اعطاء مزيد من الاهتمام لنشر الوعي العسكري العلمي حتى يكون جميع افراد الامة العربية على مستوى متطلبات المعركة سواء بالنسبة للعمل العسكري المباشر او بالنسبة لوسائل الدفاع المدني .

غاياته المرجوة ، ولما كان للعلم دور رئيسي في مواجهة متطلبات المعركة المستمرة مع الامبريالية وقاعدتها الصهيونية وهو دور لن يتحقق الا باتخاذ التدابير اللازمة على المستوى الوطني وعلى المستوى القومي فان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - ضرورة وضع سياسة عامة للاعداد العلمي

تنبثق من واقع الوطن العربي وتكون على مستوى التحديات التي تواجهه عسكريا واقتصاديا وحضاريا ، وتعتنى بمتطلباته واحتياجاته في ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعبئة العسكرية .

2 - الاسراع باجراء الدراسات الخاصة بالمدو

وطاقاته وامكانياته وسياساته العلمية والطرق التي يتبناها في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والتكنولوجية واجراء دراسات عن طاقاتها العربية التي يجب حشدتها من اجل المواجهة الحالية والمستقبلية مع العدو . وفي هذا المجال ايضا يشير المؤتمر الى اهمية الاستعانة بملحقين علميين يتم تعيينهم في الدول المختلة لجمع المعلومات العلمية .

3 - تنظيم وتدريب برامج ثقافية عامة ومناهج في

التعليم العام والجامعي تتناول هدونا وطاقاته وطرق مواجهته والتعريف كذلك بالانجازات العربية .

4 - الاهتمام بالدراسات التي تهدف الى رفع مستوى

المعلوم ذات التطبيقات العسكرية في الجامعات والمعاهد الفنية العالية .

النيث في العرشي

الأستاذ عبدالحق فاخيل ، الدار البيضاء

العدد من الثلاثة الى العشرة ، فقالوا مثلا : (سبعة) رجال ، بدلا من : سبع رجال .

ولا يحق لنا التبادي اكثر من هذا في مرض رأي الباحث المستشرق اعتمادا على الذاكرة بعد هذا الابد المتناول ، مخافة ان نظلم الرجل نمنزو اليه ما نتوهم انه قاله وهو لم يقله ، او قاله على نحو آخر . لكننا نذكر اننا حين قرأنا ذلك البحث لم نقتنع بتأويلاته ولو اننا تقبلناه على انه مقال طريف ومحاولة جريئة لتفسير ظاهرة لغوية غريبة ، من زاوية جديدة .

اما بصدد النقطة الاولى فان الكثير من اسماء الجادات لا يخضع للقاعدة المذكورة فقد وردت في العربية مؤنثات من الجادات لا مشابهة لها بالانوثة كالعصا والداس والذراع ، ومذكرات لا شبه لها بالذكورة كالوادي والغار ، والجب المرادف للبشر المؤنثة .

واما بصدد النقطة الثانية لماذا اعتبرنا الثاني في بعض الحالات تكريما للمرأة حيث قيل سبعة رجال فان الباحث لم يذكر فيما نظن ان اسم العدد يذكر ايضا مع المؤنث — مما يقلل هبة المرأة ويقل من سطوتها — فيقال (سبع) نساء ، بدلا من سبعة نساء . ولعل المستشرق الفاضل قد ذكر ذلك ونسره بطريقة لم تقنعنا على كل حال .

قرأت منذ اكثر من عشرين عاما — في مطبوع ما ، لعله مجلة غاب عن بالي عنوانها — لمستشرق نسبت اسمه — بحثا شائعا حاول فيه تفسير ظاهرة الثاني في لغتنا بما فيها من غرابة ومفارقات . والذي تستطيع الذاكرة ان تستعيده الآن من ذلك البحث هو النقطتان الاساسيتان اللتان عليهما كان مدار الموضوع . النقطة الاولى قوله ان العرب انثوا من الجادات ما هو شبيه بالانوثة مما كان مكتوبا أو ميقا أو موطوا أو نحو ذلك ، كالرحي والبئر والارض . وبوسعنا جريا على هذه النظرية ان نضيف الى ذلك من الجادات المؤنثة التي تشبه المرأة ما كان ساميا كالسقاء ، ووهاجا كالشمس ، ومتقلبا كالريح ، ومحرقا كالجحيم ، ومدمرا كالعرب ..

والنقطة الثانية قوله ان العرب كانوا قد مروا في احد عهودهم القديم بمرحلة الامومة كغيرهم من الامم ، اي مرحلة سيادة المرأة الام على العائلة قبل الانتقال الى مرحلة الابوة اي سيادة الرجل الاب . وبخيل لي ان المستشرق قد استشهد على رايه هذا بنبرة من كلام هيرودتس عن علاقة مغايرة للمألوف الحديث كانت على مهده قائمة بين الرجل والمرأة ، لدى بعض العرب ، ولا نحسب ان ذلك الاستشهاد كان واثقا بما فيه لانه لا يدل على سيادة المرأة فيما نذكر . وعلى أية حال كان من تاثير سيطرة الانثى الام ، على قوله ، ان العرب انثوا الكثير من اسماء الاشياء غير المؤنثة ، حتى من الذكور البشر ، كتانيث اسم

إشارة ، فمن الحائهم الهزة بها مفتوحة ومضمومة
ومكسورة نشأت حركات الأعراب ، ومن الحاق النون
بها نشأ التثوين بمختلف حالاته .

النتائج :

والذي يهدهنا إليه استعراض الضمائر العربية
في شتى أحوالها وصورها هو أن هذه العناصر
الضميرية البدائية الثلاثة لم تنشأ في مكان واحد عند
فريق معين من الأعراب (العرب الأوائل) ، بل أن
كل طائفة منهم كانت تستعمل واحدا من هذه الضمائر .
ففريق منهم كانوا يستعملون ضمير (تا) كما كان فريق
ثان يستعملون ضمير (ت) وفريق ثالث ضمير (نا)
كالذي فصلناه وعملناه في كتابنا الآنف الذكر ، فلا حاجة
للاعادة فيه هنا .

وهكذا كان نصيب التاء أن الحقوها كأخويها
الضميرين الآخرين بالاسماء والأفعال . وهذا هو سر
وجود التاء في بعض الاسماء مثل : جبهة ، هضبة ،
اجمة ، مقدرة ، خشبة .

فليس التانيث هو الغرض من التاء في أسماء هذه
الاشياء المجردة من أي أثر لأي تانيث أو تكثير ، وإنما
التاء هنا مجرد بقية أثرية من عهد لغوي مندرس بعيد
كانوا فيه يلحقونها بكل الاسماء والأفعال .

وقد كان من نتيجة اختلاط القليل الذين يستعملون
التاء بغيرهم من الأعراب الذين لا يستعملونها أن
ضعف شأنها وقل استعمالها حتى أنها سقطت من كثير
من الأفعال مثل : أعمل ونعمل ويعملون ، ومن معظم
الاسماء مثل : جبل ، طير ، نهر ، أرض ، كوكب ،
تراب ، بحر ... وبقيت عالقة باسماء أخرى كالتسي
ذكرناها : هضبة ، جبهة ، الخ ... وبقيت متارجعة في
أسماء أخرى حيث يمكن حذفها وإثباتها في مثل : ليل
ونجم .

قلنا أن التاء الحقوها بالاسماء والأفعال لاداء
معنى الضمائر أو أسماء الإشارة أول الأمر ، لكن
تطاول الاحتباب وتعاقب الأجيال جعلها تظهر أولا في
صور مختلفة بسبب اختلاف القوم في نطقها كما قلنا ،

ولاندري الآن ما إذا كان قد فاته كذلك أن الجمادات
تؤنث وتذكر في اللاتينية وبناتها . فهل نعزو ذلك
إلى مشابهة المسميات للذكورة والانوثة أو إلى سيطرة
الأم على الرومان قبل أن تتوطد لديهم سيطرة الأب
أيضا ؟

وبلاحظ أن اسم الجباد الخلو (1) في اللاتينيات
أما مذكر فقط وأما مؤنث فقط . وأما في العربية فمان
الكثير من أسماء الإخلاء يجوز فيها التذكير والتانيث .
فهذا يضعف رأي المستشرق الباحث في قوله أن لمشابهة
الاشياء بالانوثة علاقة بالمسالة . ولو نحن مضينا في
التطبيق قياسا على نظريته لقلنا أن جواز التذكير
والتانيث في الكثير من أسماء الإخلاء في العربية يدل
على مرور العرب بعهد سادت فيه الخنثى على العائلة .

قبل الادلاء برأينا في تفسير ظاهرة التانيث
يطالبنا الإنصاف أن نحیی هذا الجهد المخلص الذي
أنفقه الفضال المستشرق — المجهول لدينا في الوقت
الحاضر ، وقد نهتدي إلى معرفة اسمه ذات يوم —
نحو وأمثاله من الباحثين الأجانب ، الذين قاموا بعملية
استكشاف واسعة المجال في قارة التراث العربي ومنه
تراث اللغة ، قد أسدوا إلى العربية خدمات قيمة
مذكورة ، ولا عتب عليهم أن أخطأوا أحيانا ، فإن لهم
الفضل أنهم أصابوا أحيانا كثيرة أخرى .

الضمائر العربية :

إذا حللنا الضمائر العربية — أنا ، أنت ، هو ..
الخ — نجدها تتألف من ثلاثة عناصر أساسية : الالف
والنون والتاء . وقد تطرقنا في كتابنا « مفامرات لغوية »
(في فصل أسرار الضمائر) (2) بشيء من التفصيل إلى
هذه العناصر الضميرية الثلاثة التي نطقها الإنسان
الأقدم (ت) و (نا) و (و) (و) أول الأمر ، ثم
تطورت لتتعدد صيغها وتنوعت معانيها ، أي أن
الأقدمين كانوا يفتتلون في نطق هذه الضمائر منشآت
لها صيغ كثيرة ، وكانوا لفقرهم اللغوي يستعملون كلا
من تلك الصيغ في مختلف المعاني التي يتوقون إلى
الانصاح عنها ولا يجدون اللفاظ المعبرة عن كل منها .
وكانوا يلحقون هذه العناصر البدائية الثلاثة
(ت ، نا ، و) بالاسماء والأفعال كضمائر أو أسماء

(1) نستعمل كلمة الخلو — زنة الصنو والشلو — بمعنى الشيء الخالي من الانوثة والذكورة . ومثلها :

الخلوة ، وجيمها : الإخلاء — زنة الاشلاء .

(2) وفي مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس ، لسنة 1967 .

وتؤدي ثانياً أغراضاً مختلفة بسبب الفقر اللغوي الذي المعتاد إليه. ما اضطرهم إلى استعمال الكلمة الواحدة في أكثر من معنى واحد .

من اختلاف الطوائف الأمرية في نطقها نجدها في لغتنا مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة . ومن بقايا استعمالها بمعنى مختلف الضمائر سوف يستغرب القارئ أن نقول له أن (تو) ما زالت تعني أنا بالمرية ، وأن (تا) تعني أنت المخاطب ، و (تي) تعني أنت المخاطبة ، و (ات) تعني هي . لكننا نجد هذا كله جلياً مدهشاً في الفعل الماضي ، فالتاء المضمومة تعني أنا في فعلت (= فعل + تو) ، والمفتوحة تعني أنت في : فعلت (= فعل + تا) ، والمكسورة تعني أنت في : فعلت (= فعل + تي) ، والساكنة تعني هي في : فعلت (= فعل + ات) . وهذه الصيغة الأخيرة (ات) قد ذابت همزتها كما تذوب همزة في كثير من الحالات التي سميت فيها همزة وصل .

وظائف التاء :

أوضحنا في كتابنا المذكور كيف تفقد الضمائر أحياناً وظائفها أي معانيها ، أو تتعاض منها وظائف أخرى . وقد كان شأن التاء في هذا شأن غيرها من الضمائر فقد تقلبت عليها أحداث لغوية اقتدتها وظيفتها أحياناً وأبدلتها بها وظائف أخرى أحياناً أخرى ، في ظروف تطورية مثيرة ، نجملها فيما يلي :

أولاً : فقدت التاء وظيفتها تماماً في بعض الأسماء مثل : نجمة وضلعة وماءة — فيجوز لك حذف التاء من هذه الأسماء فتقول : نجم وضلعد وماء ، بنفس المعنى . أي أن التاء هنا لم تستطع أن تجد لها وظيفة ما أو تخصص بحالة معينة تميزها عن حالة تجسرد الاسم بن التاء . فممكننا على هذا أن نسميها (التاء الزائدة)

ثانياً : وجدت التاء لنفسها بعض الوظائف تؤديها في بعض الحالات ، من ذلك أنها تغير معاني بعض الألفاظ مثل : الظهير والهاجر والجر . فهذه الألفاظ تكتسب معاني جديدة ليست لها أية علاقة بمعانيها الأصلية حين تلتحق بها التاء فتصبح : المهاجرة والظهيرية والجرة . فهذه قد يجوز تسميتها (تاء التغير) . ثالثاً : صارت التاء تخلق معنى لبعض الألفاظ التي لا معنى لها . وبعبارة أخرى أن التاء صارت جزءاً مهماً لبعض الأسماء بحيث تصبح لا معنى لها إذا

حذفت التاء منها ، مثل : الأمسية والبكرة والرئسة والبورة — فلا معنى للألفاظ الأمسي والبكر والريء والبور . أي أن التاء هنا قد التصقت ببناء الكلمة فأصبحت جزءاً من نسيجها كحروفها الأصلية . وهذه يصح أن نسميها (التاء اللازمة) .

رابعاً : صارت التاء أداة لتكوين بعض المصادر كما في الفعلين : دحرج واستقام ، فمصدرهما : دحرجة واستقامة — وهي قاعدة قياسية لا حيد عنها ، أما في الفعل المضعف فإن التاء وجوبية أحياناً في مثل : وصى توصية وعبا تعبئة .. وجوازية أحياناً في مثل : قدم تتمة أو تقديم ، وكرم تكريمة أو تكريماً .. ومنومة أحياناً كما في علم تعلماً وكسر تكسيراً ، فلا يقال تعلمة وتكسرة . وهذه أجدر بأن تسمى (التاء المصدرية) .

خامساً : صارت التاء تؤدي معنى الحرفة في مثل : الكهانة والسفارة والسدانة والعيافة — أي حرفة الكاهن والسفير والسادن والعائف . وهذه نسميها (تاء الحرفة) .

سادساً : صارت التاء تؤدي أيضاً معنى تأكيد الصفات في مثل : النسابة والدوابة والراوية . فإذا حذفنا التاء من هذه الصفات فقلنا النساب والدواقي والراوي ، ضعفت قوة المعنى ، على حين أنه لا يجوز حذفها من بعض الصفات المؤكدة بها مثل الطلعة والهمزة واللمزة (بضم الأول وفتح الثاني في اللفظات الثلاث) — أي الكثير التطلع والهماز واللماز ، فلا يقال فيها : الطلع والهمز واللمز ، وهذه التاء أجدر بأن تسمى (تاء التوكيد) . وهي تاء لازمة في نفس الوقت في الطلعة والهمزة واللمزة .

سابعاً : صارت التاء تدل على معنى الأمراد في بعض الأسماء كالشجرة والحمامة والسكة ، فإذا حذفنا من هذه الأسماء أمثالها صارت تدل على الجمع أي اسم الجنس : الشجر ، الحمام ، السك ، ولا يمكن اعتبارها تاء تانيث حتى في الحمامة والسكة وغيرهما من الأحياء ، لأن الكثير من أمثال هذه الأسماء تطلق على الذكر والأنثى دون تمييز . وتتجلى وظيفة الأمراد على نحو أوضح في مصادر بعض الأفعال . فالنظرة هي النظر مرة واحدة ، والابتسام والضربة والأكلة هي الابتسام والضرب والاكل مرة واحدة . فهي إذن (تاء الأمراد) .

ثامناً : على العكس من هذا صارت التاء تعني الجمع في أسماء أخرى مثل : العدناني والقططاني

وقد نطق بعض العرب أسماء الأناث بهذا الفتحة قبل التاء ، ولا يزال على ذلك بعضهم كالمختبرين في نطق ثيريات وعنايات (اسم علم للانثى) ، ومع الزمن تخصصت هذه الصيغة الجديدة لدى العربيين بجمع المؤنث السالم ، مثل جيلات وراحيات وقائبات .

في اللاتينية :

وبعض العرب المعاصرين ينطقون تاء التانيث في لغاتهم الدارجة في بعض الاسماء ويهملونها في بعض ، كالمراقبين الذين ينطقونها في مثل : المساوت والحيات والشريرات ، ويهملون نطقها في مثل : الحرية والتربية والصلاة .

واهمال نطق التاء في بعض الالفاظ منحدر من اصل عربي عريق فيما يظهر ، منشؤه ان بعض العربيين صاروا يستقونها في الاسم عند الوقف عليها في آخر الكلام فقط - كما هي الحال في الفصحى السريونية . وبذلك زالت التاء وبقي منها أثر هو الهاء الساكنة ، ومن هنا صارت المعاجم العربية تسميها (الهاء) بدل (التاء) . والواقع انها ليست هاء بالمعنى الصحيح فهي على الاغلب تنطق مجرد مفتحة على آخر الاسم . ويظهر ان بعض اللهجات القديمة اتخذت ذلك قاعدة عامة لها حتى عند وقوع التاء في داخل الجملة ، وقد بقيت هذه القاعدة في بعض اللغات الآرية كاللاتينية والاطالية ، ففي اللاتينية يقال : filia (بنت) ، و amica (صديقة) ، و lupa (ذئبة) - تانيثا لقولهم filius و amicus و lupus . وهذه المؤنثات الثلاث توجد بنفسها في الايطالية - غير ان البنت تكتب filia (وتنطق filia أيضا) . أما مذكراتها في الايطالية فهي : figlio و amico و lupo

وأما في الفرنسية فان التاء تنطق صريحة في الالفاظ المؤنثة بها مثل toutes (جميع) ، للمؤنث (و cette (هذه) و coite (هادئة) - ومذكراتها tous و ce و col يضاف الى ذلك في الفرنسية ان تصغير الاناث أيضا يتم بالحق التاء في مثل : table (منضدة) و casse (صندوق) و française (فرنسية) - وتصغيرها : tablette و francette و cassette

والمصري واليماني والسياف والخيال . فقد جمعوها على مدنانية وتطحانية ومصرية ويمانية وسيافة وخيالة - أي بمجرد إضافة التاء الى الاسم المفرد دون تغيير في تركيب بنائه . على حين ان بعض الاسماء تتغير بنيتها اذا جمعت بالتاء مثل جمع الماضي والبازي على مشاة ويزاة ، وجمع القائد والسائق على قيادة وساقة ، وجمع الضماني والمنذري على ضمامنة ومناذرة ، وجمع الكاتب والفاعل على كتبة ومعملة ، وجمع الدب والفيل على دببة وفيلة .

ومن الطريف ان التاء صارت اداة الجمع في بعض اللغات الآرية أيضا كالانجليزية والفرنسية والاسبانية ، لكن بعد ابدالها سينا (s) ، وابدال التاء سينا. موضوع له اهميته النغمية الخاصة ، وقد اوضحناه في كتابنا الانثى الذكر ، والعدد المذكور من مجلة « اللسان العربي » .

هذا في الاسم ، غير ان فعالية التاء في ميدان الجمع شملت الفعل أيضا ، كما في : قالت الاعراب وتقول الرجال ، فالتاء هنا تعني الجمع لا التانيث كما توهم النحاة ، بدليل ان التاء في قولنا (انفضت الناس) تحل محل واو الجمع في قولنا (الناس انفضوا) ، وانها في قولنا : (تفعل الرجال) تعمل محل السواو والنون في قولنا (الرجال يفعلون) . وهذه التاء ما هي الا (تاء الجمع) .

تاسعا : واخيرا ناتي الى تاء النحويين ، أي التاء التي تدل على التانيث في أسماء بني الانسان والحيوان أي الكائنات المنقسمة الى اناث وذكر مثل : امرأة وهرة ونمرة وسعيدة وعاقلة - تانيثا لمرء وهر ونمر وسعيد وعاتل . وهي نفس التاء الملحقة بالفعل الماضي في قولهم : جاءت وذہبت - تانيثا لقولهم : جاء وذہب

وكانت التاء الملحقة بالاسماء تنطق صريحة فيما نعتقد حتى عند الوقف عليها في آخر الكلام كما هي الحال في الفعل الماضي (فعلت هي) . وما زال بعض العرب على ذلك أي ينطقون تاء التانيث في الاسماء حتى عند الوقوف عليها فيقولون حين يقرأون في الفصحى : الشجاعت والحرارات والانسانيت - وهي احدى اللهجات في لبنان . ومثل ذلك يفعل الاتراك والفرس في الالفاظ العربية الثانية المستعملة في لغتيهما مثل : محبت امانت ، سلطنت ، انسانيت ، ملت .

اختلاط الوظائف :

صفوة القول ان التاء وردت في معان مختلفة متعددة متميزة ذكرنا ما يحضرنا منها هنا باجمال ، ولا ندري ان كنا قد اغفلنا بعض حالاتها المهمة ، لكننا نتوقع على كل حال ان المستقبل سينتج بحوثا مفصلة في هذا الموضوع بعد تتبع الطويل والاستقراء الشامل ، وما نرجو لحديثنا هذا السريع الا ان يكون خميرة لذلك المستقبل .

ويكفي الان ما تقدم بنا من مظاهر التاء التي سميناها بحسب وظائفها : التاء الزائدة ، وتاء التخيير ، والتاء اللازمة ، والتاء المصدرية ، وتاء العزمة ، وتاء التوكيد ، وتاء الامراد ، وتاء الجمع . واخيرا تاء التانيث . افليس من العجب العجيب ان النحاة المشهورين بتدقيقاتهم البالغ فيها في بعض التوافه ، لم يميزوا بين حالات التاء المختلفة هذه بل احتطبوها جميعا ، خبط عشواء ، وكدسوها تحت اسم تاء التانيث ؟

وقبل ان نفرغ من حديث التاء وننتقل الى مظهر آخر من مظاهر التانيث في العربية يجدر بنا ان نلاحظ ان الاعتباطات التطورية قد عملت عملها في خلط وظائف التاء بعضها ببعض شأنها في مختلف التطورات اللغوية . أي اننا نجد للتاء أكثر من وظيفة واحدة في الكلمة الواحدة أحيانا ، مثل : تفعل أنت وتفعل هي ، تفعلان أنتما وتفعلان هما الغائبتان ، أتبلت الجارية وأقبلت الفرسان . ومثل ذلك : المرأة المدنانية والعرب المدنانية . بل قد تجتمع في الكلمة الواحدة ثلاث وظائف مثل (النسابة) وهي تعني المرأة النسابة أو الرجل النساب أو الرجال النسابين . وشبهه بذلك (السفارة) التي اكتسبت الآن معنى حديثا بالإضافة الى معناها القديم — فقد صارت السفارة تطلق على المؤسسة الرسمية التي يرأسها السفير .

غير أن هذا الاختلاط في المعاني لا يرفع الملامة من النحويين الذين لم يفتهموا شيئا من نشاطات التاء أصلا ، فقد كان عليهم — جزاهم الله رفعا ونصبًا — ووقاهم الكسر والجر — ان يميزوا بين بعضها وبعضها ويسموا كلا منها باسمه كما ميزوا مثلا بين حالات النصب الكثيرة في الاسماء وسموا كلا منها باسمه .

العدد والمعدود

ونأتي الآن الى تلك القاعدة الشذوية التي حيرت الالهام واعتبرت من بدوات اللغة العربية ونزواتها البوهبية ، وهي قاعدة تانيث العدد (من الثلاثة الى المشرة) مع الذكور وتذكيره مع الاناث ، لتفهمها على ضوء تحليل وظائف التاء . فما تفسيرها يا ترى ؟

مفتاح هذا اللغز هو التفريق بين وظيفتي الجمع والتانيث . فقبل كل شيء يجب ان نعتز بان التاء في (الثلاثة) وأخوانها انما هي تاء جمع لا تاء تانيث ، فحين قال اجدادنا البداة في عهد جاهلي سحيق : سبعة فرسان ، لم يخطر لهم ان يؤنثوا الفرسان مثلا لم يخطر لهم ان يؤنثوا اليمانيين والغازين والخيالين حين سموهم : يمانية وغزاة وخيالة .

اما في حالة عد الاناث فقد استعملوا اجتباع التامين — تاء جمع العدد وتاء تانيث المعدود — في مثل (خمسة بقراء) فاستطوا احدى التامين ، تخلفنا . ولقد كان التطور اللغوي منطقيًا جدا هذه المرة اذ أسقط تاء الجمع ، لا تاء التانيث ، لان معنى الجمع مفهوم بذاته في اسم العدد . اما لو انهم اسقطوا تاء التانيث من البقرات والفتيات والوالدات لتغير معنى التانيث الذي اراده القائل ، فلذلك امتنعوا منه .

وحذف تاء الجمع من العدد ينطبق كذلك على جميع أسماء الاخلاء (الجمادات) المنتهية بالتاء كالتخيلات والهضبات والجففات ، ثم سرى ذلك على جمع أسماء الاخلاء المؤنثة ، ولو لم تكن منتهية بالتاء ، كالمصني والدور والفؤوس والحروب .

هذا التفسير يؤيده لنا أنهم وازنوا — لفرض التخفيف أيضا — بين التامين — وكلتاها للجمع — في الاعداد المشرة ، فصاروا اذا نطقوا التاء في أحد شطري العدد استطوها من الآخر ، فقالوا : خمسة عشر حصانا وخمس عشرة فرسا ، أي أنهم استعملوا تاء واحدة لكل من الذكر والمؤنث في كل من العاليتين .

لم يكن فرض القوم ان تانيث الرجال ولا تذكير النساء ترضية لغرور المرأة واحترامها بياسها .

هو وهي :

هذا جانب من حكاية التانيث ، لنتنقل الآن الى الجانب الآخر منها لنتحسس ابعاده في ضمير الغائب (هو) وتطوراته .

ان تانيث الاسم يعرف من صيغته مثل : جبيلة وذلفاء وعطشى ، او من معناه مثل : مريض وظئير وحامل ، او من الضمير الدال عليه مثل : هي ، هن .

والذي نعتقد ان العرب كانوا اول الامر يستعملون ضمير (هو) للدلالة على الذكر والانثى والخلو جيمعا — انسانا وحيوانا وجمادا .. وما زال الامر على ذلك في الفارسية التي ينطق فيها هذا الضمير بصورته البدئية (او — u) ، اي كما كان ينطقه العرب قبل ان يبدلوا همزته هاءا . نعتي ان العرب كانوا في عهودهم اللغوية الاولى يقولون : هو الرجل ، هو المرأة ، هو الشمس ، هو القمر . ثم ظهرت فئة منهم نطقت (هو) بالكسر : (هي) بنفس المعنى . ثم اختلطت هذه الفئة من العرب بغيرها من الفئات العربية لصار المختلطون يقول بعضهم (هو) وبعضهم (هي) ، ثم نشأ منهما جيل يستعمل كلا الضميرين بمعنى واحد . وما يدل على ان الضمير (هي) كان يستعمل اولا للذكر انه ما يزال كذلك في الانكليزية بنفس النطق (هي : he) . كذلك اطلق الساميون القدامى في ارض بابل ضمير (هي) — قبل ابدال همزته هاءا — بصيغة (ايا — Ea) على الاله الذكر (ماء القمر)

وبمرور الزمن تخصصت في العربية صيغة (هو) بالذكر وصيغة (هي) بالمؤنث . وتظهر (هي) بمعنى التانيث في اللاتينية (ايا : ea) اي نفس اسم الاله (ماء القمر) .

ومثل هذا التخصص مألوف في التطور اللغوي حين تظهر لفظتان بمعنى واحد مع وجود معنى آخر لا لفظ له . فالمادة أن المعنى المحتاج الى لفظ يعبر به من وجوده يختلط أحد اللفظين المترادفين . وهكذا اختلط معنى التانيث (هي) واستأثر بها لنفسه .

نعتقد ان تانيث موضع التانيث والتذكير في العربية . ذلك بان الجهاد كذي الروح لا يد — من الاشارة اليه بضمير ما . وقد كان يقال للجهاد (هو)

و (هي) دون تمييز عندما كان معنى الكلمتين واحدا ، اي هاجما لثلاثة اصناف : الذكور ، والاناث ، والاخلاء . وهكذا صار بعضهم يقول : هو الروح وهو العنق وهو السكين وهو الطريق وهو السبيل .. وبعضهم يقول : هي الروح وهي العنق وهي السكين وهي الطريق وهي السبيل ، اي انهم اضطروا الى تذكير الجهاد الخلو او تانيثه لانهم لم يجدوا ضميرا ثالثا يخصونه به كما خص الانكليز مثلا ضمير it بالخلو الغائب المبرد (لكنهم استعملوا نفس الضمائر للذكر والمؤنث والخلو في الحالات الاخرى اي في حالات الخطاب والجمع) . ومع الزمن استقر التانيث في العربية لبعض الاخلاء كالنار والحرب والدار ، واستقر التذكير لبعضها كالجبل والنهر والليل والنهار ، وظل بعضها الآخر هائما مترددا بين الحالين اي يؤنث ويذكر دون تمييز كالروح والعنق والسكين ..

من جهة اخرى نجد ان التاء ايضا قد تخصصت بالتانيث في مثل الوالدة والمرأة والسحابة والجنبة ، ومن هنا صارت المادة ان تعامل كل اسماء الاخلاء المنتهية بالتاء معاملة المؤنث وكانها توهم قدامى العرب — كما توهم النحاة من بعدهم — ان تاء البانة والركوة والخيفة والرابية ايضا تعني التانيث فقالوا : هي البانة وهي الركوة وهي الخيفة .

وبتعبير آخر ان التانيث (الحقيقي) قد تعامل فيه ضمير (هي) في مثل هي الاثان ، مع تاء التانيث في مثل الذئبة والفتاة ، نصارت (هي) تستعمل كتعاودة عامة مع اسماء الاثان سواء اكانت منتهية بالتاء ام لم تكن ، ومع اسماء الاخلاء المنتهية بالتاء . وقد حولت هذه الاسماء معاملة الاثان في مختلف حالات الكلام ، نصاروا يقولون : هي الاثان وهي الشبعة وهي الغابات .

اما ما يدل على الذكر والانثى من الاسماء غير التانية مثل الفرس فيؤنث اذا تصدوا الانثى ويذكر اذا تصدوا الذكر .

واما الاسماء التي يجوز نطقها بالتاء وبدونها كالنجم والليله فقد انثوا مع التاء وذكروها بدونها فقالوا : هو النجم وهي النجمة وهذا الليل وهذه الليلة ، وذلك الماء وتلك الماءة . لكن الضدعة انثوا في كلتا الحالتين فقالوا : تلك الضدعة وهذه الضدعة ، لانهم اعتبروها انثى في كلتا الحالتين ، اما ذكر الضدعة فسبوه العلجوم .

صفة التانيث أو استقر في الكلام ثانيه جسي في الدارجات كالشمس والارض والحرب والنار ..

ونشهد القدامى العرب أنهم اصابوا حين انشوا بعض الاسماء مع خلوها من علامة التانيث كالظئر والمرضع والحامل ، لان هذه الصفات لا تكون الا في الاناث ، ولو انهم — العرب — شذوا حين عموها صفة الولادة على الرجل . ويبطل استغراب القاريء لقولنا هذا اذا تذكر أنهم يسمون الاب (الوالد) مع استحالة الولادة عليه . واضفاء صفة الولادة على الاب وهو منها براء ليس كذلك من باب مجاملة المرأة او الخضوع لسلطوبتها ، وانما جاء من اطلاق (الوالدين) على الام والودة والاب ، كما اطلقوا (القبرين) على الشمس والقمر . وقد اطلقوا عليهما (الابوين) ايضا ، لكنهم لم يسموا الوالدة ابة كما سمو الاب والدا .

الا ان ذلك المنطق — في الظئر والحامل والمرضع — يطير هباء في مثل : الخادم والماعز والرسول والضيف وامثالها من الاسماء التي تطلق على الذكر والانثى ، أي ان الصيغة في هذه الاسماء يمكن اعتبارها خنثى ، وانما تكون ذكرا أو انثى حين تميزها قرينة من الضمائر أو غيرها حيث يقال : هي الخادم ، وهن الماعزات ، وتلك الرسول ، وهذه الضيف .. او : هو الخادم وهم الماعزات ..

تانيث الجموع :

والآن وقد رأينا التانيث في حالتيه ، أي نشوئه من اضافة التاء أولا ومن استعمال ضمير (هي) ثانيا ، نأتي الى ظاهرة أخرى منشؤها اختلاط معنى الجمع بالتانيث ، في كلتا الحالتين .

ان معاملة بعض الاخلاء من الجبادات معاملة الاناث قد سرت عدواها الى جموع تلك الجبادات ثم الى جموع كل الجبادات ، فصارت تؤنث بالتاء ويشار اليها بما يخص الانثى المفردة من الضمائر واسماء الإشارة والصفات ، ما تجتمع نماذجها في مثل قولك : تلك هي (الجبال) الشماء الزاهية التي تسر رائحتها . فجميع الالفاظ في هذه العبارة خاصة بالانثى مع انها تدل على الجبال التي مفردتها (الجبل) مذكر .

واذا كانت حياة الاستقرار والاجتماع في صعيد تدل على ثبوت القواعد اللغوية .، مثل التانيث بالفتحة كتخانة عامة في اللاتينية ، فان حياة النقلة في المعربة وتكرار افتراق أهلها واجتماعهم على غير نظام تدل على المعربة مختبرا لغويا تلقى فيه تجارب لغوية كثيرة التنوع والتعقيد دائمة التفاعل والتخفيف والتولد . (وقد استمرت المعربة تصدر نماذج منها الى الخارج ، لغات ولهجات ، على السنة الآريين والحاميين والساميين ، منذ سحيق العصور) .

وبنتيجة ذلك التفاعل والتخفيف والتولد في المعربة صار بعض القبائل يؤنث بعض أسماء الاخلاء كما رأينا ، وبعض القبائل يذكرها ، وبعضهم يؤنثها ويذكرها . فلهذا اختلف اللغويون فيما يؤنثون ويذكرون من أسماء الجبادات لان بعضهم يروي عن هذه الطائفة وبعضهم عن تلك .

وقد أخذ المحدثون من معاصرينا يميلون الى اعتبار (هو) ضميرا عاما للتذكير والتجريد من المنسل (1) معا ، نقل اليوم من يقولون (هي الطريق) وأقل منهم من يقولون (هي السوق) فيما عدا قولهم : السوق السوداء والسوق المشتركة . واما كلمة (السلم) فلا نلن اننا ترائناها مؤنثة لاحد من المحدثين ولا حتى المتعطلين منهم . واما (الرمح والفول) فلا نذكر انهما مرا بنا شخصا مؤنثين في شعر أو نثر حديث ولا قديم ، بالرغم من أن اللغويين ادرجوها ضمن الاسماء المؤنثة .

وفي اللهجة المصرية يؤنثون الامضاء والهناء مثلا وينطقون بها الامضة والهنئة لانتهائهما بالفتحة ، وفي اللهجة المغربية يؤنثون الزيت لانتهائه بالتاء . وبعض العراقيين يؤنثون الرأس والباب والبطن . بل ان بعض ضعاف الكتاب من معاصرينا يفعلون ذلك ايضا ، وقد وجدناه حتى عند ذوي الاسماء الاناثية (أي التي طبقت شهرتها الاناث) .

هذه البلبلة التي كانت شغلا شاعرا للغويين القدامى ، هي التي حدث ببعضهم الى أن يقول بجواز التانيث والتذكير في جميع أسماء الجبادات التي لا تدل صيغتها على التانيث . واصوب من هذا هو الاتجاه الذي ينتحيه التطور في هذا الجبل كالذي نوهنا به ، أي تغليب التذكير على الاسماء الخلوة ، الا ما ورد في

(1) نعصد بالمنسل — زنة البرد — آلة التماسيل للذكر والانثى .

وتعامل الاخلاء احيانا معاملة جمع المؤنث السالم
فيقال « انهن عصور متطاوالت ودهور داهرات » .

فماذا أضفنا الى هذا جموع المؤنثات الحقيقية
من بني الانسان والحيوان علاوة على بعض أسماء
الذكور التي تجمع بالناء كاليمانية والخيالة ، وتقول
الرجال وتعمل — مما ظنوه تانيثا — انضح لنا لماذا
تغلب التانيث على أكثر الجموع ، وعرمنا لماذا قال
شمرور النحاة :

ان قومي تجمموا ويقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم كل جمع مؤنث ا

وما سميناه شمرورا لفئاة شمعه لكن لانه روم
بالاضافة الى ذلك ان (كل جمع) مؤنث ، متجاهلا
جموع الذكور مثل : هم الرجال ، فعلوا ، ويفعلون ،
وماعلون . ولو قد قال بدلا من ذلك « رب جمع مؤنث »
لاحسن واصاب ، بمعنى أن (رب) للتكثير لا للتعليل .

فهذا ميمنا نظن موجز حكاية هذا التانيث الفوغوسي
الذي بلبل بال اللغويين والنحويين ، قديما وحديثا ،
من شرقيين ومشرقيين — المسؤول في احدثاته
ضمير (هي) الذي خدع العرب الاتدميين بمعنييه
للتذكير والتانيث ، وشريكته في الجرم (التاء) التي
خدمت العرب الاتدميين والنحاة من بعدهم بمعانيها
الكثيرة المتشابكة .



علم الأصوات الحيوانية عند العرب

الأستاذ عبد الرهادي الفضلي أستاذ اللغة العربية بكلية الفقه "الجفج الأشرف" لعراوه

وثالثة أعادها وهو يريت على ظهر الكلب أو كتفه وقبيل وضع المسحوق في فمه أيضا .
فكانت النتيجة ذاتها .

فاهتدى من هذا الى أن المنبهات البديلة أو ما يسميها بـ (المنبهات الشرطية) تستدعي الاستجابة أو ما سماه بـ (الفعل المنعكس الشرطي) كما تستدعيها المنبهات الطبيعية .

وقد أطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنبهات الشرطية مصطلح (التعلم الشرطي) .

وانتهى أيضا الى أن هذا اللون من التعلم موجود في جميع الحيوانات حتى أخطأ .. وإلى أنه يستطيع بواسطة تفسير جميع مظاهر السلوك الانساني والحيواني (1) .

ونحن عندما نرجع الى تراثنا العلمي العربي نجد جذور هذه النظرية تبدأ ويتفصيل من قبل العلامة النحوي العربي رضي الدين الاسترأبادي المعروف بـ (الرضي) والمتوفى عام 684 هـ ، وذلك في كتابه النحوي (شرح الكافية) فمد دراسته موضوع (الأصوات) .

قال :

« وثالثها : أصوات يصوت بها للحيوانات عند

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم الشرطي الى العالم الفسيولوجي الروسي إيفان بترونيش بالوف Pavlov المتوفى 1936 م .

وهي من مهمات نظريات التعلم ومن مهمات موضوعات علم النفس .

ويعني التعلم الشرطي : ذلك الترابط الآلي بين الاستجابات الطبيعية والمنبهات الصناعية الشرطية ، والذي تنوب فيه اشارات ورموز اشارة السلوك من المنبه الاصلي .

وقد توصل اليها العلامة بالوف من تجاربه التي أجراها على الكلب الذي كان يثبته على مائدة التجارب .

حيث كان يضع على لسان الكلب مقداراً من مسحوق اللحم المجفف ، قارعا جرساً كهربائياً قبيل وضع المسحوق في فم الكلب .

ولاحظ بعد أن كرر التجربة أكثر من مرة أن قرع الجرس الكهربائي وحده كاف في إغراز لعاب الكلب .

وأعاد التجربة مستبدلاً قرع الجرس بأضواء مصباح أمام الكلب وقبيل وضع المسحوق في فمه أيضاً .

ولاحظ أن أضواء المصباح وحدها بعد تكرار التجربة كافية في أن يسيل لعاب الكلب عند رؤيتها .

(1) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح 281.

طلب شيء منها ، أما المجيء كالفاظ الدعاء نحو (جوت) و (قوس) ونحوهما ، وأما الذهاب كـ (هلا) و (هج) و (هجا) ونحوها ، وأما أمر آخر كـ (سا) للشرب و (هدع) للتسكين .

وهذه الالفاظ ليست بما يخاطب به هذه الحيوانات المعجم حتى يقال انها أوامر أو نواه — كما ذهب اليه بعضهم — لانها لا تصلح لكونها مخاطبة ، لعدم فهمها للكلام كما قال الله تعالى : (كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء) (1) ، بل كان أصلها أن الشخص كان يقصد انقياد بعض الحيوانات لشيء من هذه الأعمال فيصوت لها إما بصوت غير مركب من الحروف كالصليخ للدابة عند إيرادها الماء ، وغير ذلك ، وإما بصوت معين مركب من حروف معينة لا معنى تحته ثم يحرفه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الأمر إما بضربه وتأديبه ، وإما بايناسه وإطعامه ، فكان الحيوان يمثل المراد منه إما رهبة من الضرب أو رغبة في ذلك البر .

وكان يتكرر مقارنة ذلك التصويت لذلك الضرب أو البر إلى أن يكتفي الطالب بذلك الصوت من الضرب أو البر لأنه كان يتصور الحيوان من ذلك الصوت ما يصحبه من الضرب أو ضده فيمثل عقيب الصوت عادة ودربة مضار ذلك الصوت المركب من الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وأما وضعوا كمثل هذا الغرض صوتا مركبا من الحروف ولم يقتنعوا بسادج الصوت لأن الصوت من حيث هو هو مشتبه الأفراد وتمايزها بالتقطيع والاعتماد على الخارج سهل ، فلما كان الأعمال المطلوبة من الحيوانات مختلفة أرادوا اختلاف العلامات الدالة عليها فركبوا من الحروف .

وما ذكرنا من الترتيب يتبين منه كيفية تعليم الحيوانات كالدب والفرس والكلب وغير ذلك .

هذا .. وأنا لا أرى من أن كتاب صيرورة هذه الأصوات المقارنة في الأصل للضرب أو البر لما استغنى بها الطالب عن اسماء أعمال بمعنى الأمر

— كما ذهب اليه بعضهم — فتكون أوامر ونواهي ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل العجاوايات في فهم المطلوب من هذه الأصوات بمنزلة العقلاء ، فلا بأس بأن تخاطب وتكلم بما تفهمه كالعقلاء » (2) .

وفي ضوء المقارنة بين هذا النص (الذي نقلته بكامله ليناد منه) وبين تجارب بالملوف ونتائج .. نستطيع أن ننتهي إلى أن الرضي كان سابقا في الاهتداء إلى هذه النظرية (نظرية التعلم الشرطي) .

وربما أنماها من ملاحظاته المتكررة لحياة الحيوان وسلوكه حيث لم يذكر تاريخيا أنه قام بتجارب مماثلة لما قام به بالملوف .

والنظرية كما تأتي نتيجة لتجارب تجري في معامل الترويض ، تأتي أيضا نتيجة للملاحظة المنظمة الدقيقة للسلوك .

ونستطيع أن نعمل عدم إعطاء اهتداء الرضي للنظرية الاهتمام الدراسي المطلوب ، بمجيئه سابقا بتقرون لوجود علم النفس ، ولأنه كان في مجال غير نفسي وهو المجال النحوي .

وعاين آخر عدم دراسة نظريات الرضي لغوية وغيرها من قبل الباحثين العرب أو غيرهم — فيما أعليه .

فقد خلف الرضي ثروة علمية ضخمة ، وذلك في كتابيه (شرح الكافية) في علم النحو العربي (وشرح الشامية) في علم الصرف العربي ، اللذين عالج فيهما مسائل ذنك العلمين ونظريتهما معالجة وأعية اتسمت بالاحصالة في الرأي والعمق في البحث والانتهاه إلى آراء خاصة ذات قيمة مهمة في المجالين اللغوي والنحوي منحتة لقب (المحقق) بين العلماء (ونجم الأئمة) باستحقاق .

وأخيرا :

للعالم بالملوف تأكيد النظرية بالتجربة العملية ، وبلورتها إلى مصطلح أخذ مجاله العلمي .

(1) 171/ البقرة .

(2) شرح الكافية 80/2 و 81 .

ملاحظات حول النقد الأدبي

الدكتور محمد رجب السيوي "القاهرة"

بمعنى المعبى والانتقام فقد جاء فى قولهم نقدته الحية بمعنى لدفته ، ونقدت رأسه بأصمى بمعنى ضربته وفيما يروى من حديث أبى الدرداء أن نقدت الناس نقدوك بمعنى أن عبتهم عابوك ومن هنا رجح بعض الباحثين غلبة معنى النقد على مدلول المؤاخذة والتخطئة مشيراً إلى أن اللفظة قد وضعت لفظ التقريظ لما يقابل المؤاخذة من المديح والاطراء أخذاً من قول العرب قرظت الجلد إذا دبغ بالقرظ محسن وزين وجمل وقد شاع معنى التقريظ اليوم شيوعاً ظاهراً ، إذ نرى نفراً من الناس يحرصون على كتابة مقدمات لمؤلفاتهم تتضمن المديح الخالص دون أن تتعرض — إلا فى القليل — لمخالفة صريحة فى الراى والاتجاه ، ونحن لا نرفض التقريظ إذا صدر عن راى وامتداد ووافق موضعه من البحث الرائع والعمل الممتاز ، فهناك من الآثار الأدبية ما هو جدير بالتقريظ الجميل ، ولكن المشاهد المؤلم أن أكثر من يتجهون إلى التقريظ لا يضعونه الموضع الصحيح لربما رجح عندهم البهرج وشال الصحيح .

أذن فتميز الجيد من الرديء ، والمعيب المنتقم كلاهما من مدلول المعنى اللغوي لكلمة النقد — إذاً اتجهنا إلى المعنى الأدبي للنقد عند العرب وجدناه يستعمل فى القديم بمعنى التحليل والشرح والتمييز والحكم بالنقد لا يخرج لديهم من دراسة الآثار الأدبية وتفسيرها وتحليلها ثم بيان مداها من الإصابة والخطأ مقدرين درجتها الفنية شارحين أسباب الاستحسان

يطلبون الحديث من معنى النقد فى اللغة فيلمون بكل ما قالت المعاجم فى مادة نقد ومشتقاتها ثم يحاولون أن يمتدوا صلة ما بين كل معنى وما تمورف عليه الآن من معنى النقد الأدبي ، وذلك جهد أن أبان من حسن التصرف وبرامة الاحتيال فانه يكثر الحديث فى غير طائل ، والافق أن نختار من معاني الكلمة اللغوية ما يمت بالصلة القريبة إلى المعنى الاصطلاحي بلا تزيد فى التفسير لنصل إلى الحقيقة دون تصميب .

وإذا كان من أوضح معاني النقد فى كتب اللغة أنه تمييز الجيد من الرديء ، تقول نقدت الدراهم وانتقدتها بمعنى أنك أبنت الزائف من الصحيح ، وميزت الجيد من الرديء ، فان هذا المعنى الواضح هو القريب من مدلول النقد فى الاصطلاح الأدبي لأن الناقد لا يخرج من كونه صيرلياً ماهراً ، يعرف الزائف من الصحيح ويميز الجيد من الرديء ، غير أن مادته هي الأساليب الأدبية يختلف فنونها وأجناسها ، فهو إذن جوهرى المعاني والألفاظ ، يزن الخواطر والمشاعر والتعبير بميزانه الأدبي ويبعث بفكره وراء كل كلمة وخاطره مبيناً مكان ذلك من البناء الفني المتكامل للجنس الأدبي فهو بعمله هذا من المدلول اللغوي قريب قريب وإذا كان الناقد الأدبي يعمد إلى تصحيح الخطأ وتقويم الموعج وفى ذلك من توجيه اللوم ضمنياً إلى صاحب الأثر المنتقد ما قد يقع منه موقع الألم وعدم الارتياح فان من معاني النقد اللغوية ما يمت بصلة قريبة إلى ذلك ، إذ أن العرب قد يستعملون النقد

والاستهجان وذلك ما يراه المحدثون اذ يقولون حسن النقد انه التقدير الصحيح لاي اثر لغني مع بيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة الى سواء. ، واذا كان النقد الادبي اليوم في جوهره هو دراسة الاسلوب مكسرة وتصويرا وتعبيرا واحسنا مع الحكم عليه فان ذلك ما يلتقي بمعنى النقد في كتب الادب القديمة من ايسر السبيل .

واذا كانت الكتب المؤلفة في النقد العربي القديم، هي الجامعة لمذاهب العلماء والادباء في الفن ، والحافلة بآراء شيوخ الادب في النثر والشعر ، فانتا لا نصل منها الى تحديد اول من اطلق كلمة النقد على مدلولها الادبي من هؤلاء ، واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة يرتفع الى البحري حين تحدث عن ابي العباس ابن ثعلب مقال عنه : « ما رأيته ناقدًا للشعر ولا مبيزا للالفاظ » ولكن رواية البحري جاءت على لسان عبد القاهر في «دلائل الامجاز» فلمله روى المعنى دون اللفظ، وظهر من نص على هذه الكلمة صراحة هو ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي من علماء القرن الرابع (337) هـ حين سمي كتابه نقد الشعر وصرح بانه يبحث في تخليص جيده من رديئه ، وقد سبقه الى هذا المضمار محمد بن سلام الجمحي (232) هـ في كتابه «طبقات الشعراء» والجاحظ (255) هـ في «البيان والتبيين» وابن قتيبة (276) هـ في «كتاب الشعر والشعراء»، الا ان هؤلاء الثلاثة لم يشيروا الى كلمة النقد اطلاقا حتى جعلها قدامة اسما لكتابه فتعوربت واشتهرت، وترددت بعد ذلك في ما كتبه الامدي والجرجاني والزمخشري وابو هلال وابن رشيق حتى أصبحت علما على من ادبي طائر الصيت ، ويخيل الى ان خلف الاحمر (180) اول من اشار اليها من قريب دون ان ينص على لفظها الصريح وكأنه حوم ولم يقع ، فقد روى صاحب طبقات الشعراء (1) أن قائلا قال له : اذا سمعت انا بالشعر استحسنته فما ابالي ما قلت فيه أنت واصحابك مقال له : « اذا اخذت أنت درهمًا فاستحسنته فقال لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسانك له » والصيرمي في اللغة هو الناقد وقد قرنه خلف الاحمر بمن يلخص الشعر ويؤنه بميزانه الصحيح ، ثم صار الفاحص ناقدًا دون طريق . هذا الناقد الذي يجلس من الاثر الادبي مجلس القاضي فوق منصة القضاء ، يحلل البواطن ويكتنه السرائر ويتعمق المعاني ما موقفه من النص المنقود ؟ يقتصر

في نقده على ايضاح مشاعره الذاتية ازاء النص لمجيء حكمه النقدي صدى لشعوره النفسي ومعبرا عن مدى استجابته الشخصية للنص المدروس أم يقتيد بقواعد علمية مرسومة تعارف عليها السابقون وجعلوها مناط الاحتذاء والترسم لقد طال النقاش حول الذاتية والموضوعية فانبرى الذاتيون ينادون بأن الناقد ليس آلة في يد المقررات السابقة يسير في ضوئها ، ويمشوا الى ناراها ويحرص على التزامها دون انحراف ، فان له من مشاعره الخاصة وثقافته النيرة ، وبصيرته الناقدة ما يستطيع به أن يضع بعض المقررات الجديدة التي تفتح اتجاهات مغلفة ، وتشير الى طرق حديثة في مجال التعبير والتصوير ، وبذلك يتقدم الادب في شتى مجاله ويضيف اللاحق الى السابق ما يطرد به النمو الادبي نحو الكمال هذا بعض ما يقوله الذاتيون ، اما انصار النقد الموضوعي ، فيرون ان الاهواء الشخصية تتحكم ، والميول النسبية تسيطر لماذا تجرد الناقد عن كل مصطلح مقرر امكنه تحت هذه الميول المتحكة أن يمدح المخطئ ويذم المصيب ولن يعدم من أوجه التحمل والافتعال ما يظهر نقده مظهر المحايد المتجرد ، واذا استطاع بمسح الحصفاء أن يدركوا مأخذ الضعف في انحرافه فأن الكثرة من القراء سينخدعون بطلانه ، ويسيرون في تياره وربما احتذى الناشئة حذوه فاندفعوا الى محاكاة ادب هابط رفعة ناقد مغرض لحاجة في نفسه فامتد ضرره السيء الى نطاق بعيد هذا بعض ما يقوله الموضوعيون ، وتلك قضية تلزمننا أن نقول أن الحدود ليست فاصلة بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، اذ أن النقد الذاتي مهما استجاب لتأثيره النفسي وتجاوبه الشعوري ومهما عبر عن انفعاله الخاص نحو اثر يقرؤه ويتذوقه فانه يصدر في تجاوبه واستجابته عن حسيلة قراءات سابقة تتلق على استحسان الجيد واستهجان الرديء ، وهو بعد لم يستطع أن يشق طريقه في ميدان النقد بحيث يصبح ذا تأثير كبير على قرائه الا بعد رسوخ في النظر المستقيم وادمان على البحث الجيد ، ومواصلة للدراسة المنقبة من مطاوي المعارف ومجاهل الآراء ، وهو بكل هذه الدراسة الموضوعية لا يستطيع أن يكون ذاتيا يتجرد عن جميع ما قرره السابقون من أحكام ، كما أن الناقد الموضوعي مهما التزم القراءات المعلومة وتقيّد بالمعارف المرسومة ونهج منهج المحافظين على تضايي الفكر ومذاهب البحث فانه انسان يحس ويتأثر

ويستجيب ، وله ذاتيته التي تدموه الى التفاعل مع النص تفاعلا يسير به الى تحبيذه في ضوء ما يعلم من المقررات فتمنصر الذاتية قريب منه قرب الموضوعية من صاحبه ؟ فليست هناك حدود ماصلة تجعل الناقد الموضوعي ينزول انعزالا تاما عن الناقد الذاتي ، غير اننا نلاحظ السمة البارزة لدى الناقد فاذا غلبت الذاتية على احكامه عد من انصارها واذا غلبت الموضوعية عليه كان ناقدا موضوعيا ، ومن خير الادب ان يوجد الناقد الذاتي والناقد الموضوعي معا ليلتكر الاول ويجدد ويدهو الى آفاق جديدة تليق بالضياع فيطرد النمو الادبي وتتسلسل الحلقات الجديدة على تناسل الزمان ، أما الناقد الموضوعي فيقف حائلا دون الشطط الجامح ، وحاجزا دون التهور في الرأي والاسراف المفرق ، وسير الزمن في دورته لينشا في الجيل اللاحق من يزن آراء الذاتيين والموضوعيين معا ، فيرمي بالزبد ويبقى الصريح .

واذا كنا نحب الادب ونحرص على الاستمتاع بصورة والامادة من افكاره والالتذاذ بموسيقاه فان حبنا للادب يدفعنا تلقائيا الى حب النقد ، اذ ان النقد يتولى شرح الاثر الادبي وتحليله فيسلط اشعته القوية على زواياه الخافية ، ويهدي القارئ الى مناح دقيقة قد تغيب عن ذهنه فيجئ عمله مكملا لعمل الاديب ، وقد يضيق كثير من المنشئين بهؤلاء النقاد ، ويترمون بما يبدو من ملاحظات واذاكر اتي قرات قصة غريبة تهدف الى السخرية من النقد وتصنمهم بالشلل والجذب وتتحداهم ان يضموا اثرا من الآثار الفنية التي يعملون فيها معاولهم الهادمة ولعل كاتب القصة ممن تعرضوا الى نقد متتابع ازعجه واقلق راحته ، فاندفع يثار لنفسه من قوم يحملون معاول الهدم وادوات البناء معا ، لان الناقد حين يهدم اثرا فنيا انما يدل على نواحي ضعفه ومواضع تهافته ليتجنبها من يزاوئ الانتاج وهو في الوقت نفسه يدل على طريقة الانشاء الجيد هادما بانيا في وقت واحد وكل ناقد يعتمد الى الهدم فقط دون ان يشير بالملاج المسدد لا يؤدي رسالته كما يجب ان تكون ، والقارئ ظالم حين يقرأ النص ثم يطالع نقده لانه حين قرا النص قد خرج عنه لا محالة بفكرة ما دقيقة او مضاعفة ، فوزنه بميزانه الشخصي الذي تخلقه الطبيعة في نفس كل قارئ يقرأ ويحكم فاذا قرا بعد ذلك نقدا جيدا لهذا الاثر ، فانه يوجهه الى ما فاته لدى قراءته الاولى من ملاحظات وربما دفعه الى نهج يلتزمه عند القراءة لمتنمو في نفسه بذرة ناقد حقيقي

يشرب للنمو ، وقد يشق طريقه الى الميدان ، أو يكتفي بما أتبع له من قوة الملاحظة وسعة الأفق حين درس وجهة النظر الجديدة فيها طالع ودرس ، وإذا كانت فائدة القارئ عظيمة فإن فائدة صاحب الأثر الفني أعظم وأدسم ، لأن كل صاحب عمل نظري أو فني يجب أن يستطلع آراء المتخصصين فيه ، فهو يشعر في أطوائه برغبة ملحة إلى الاستماع لكل ما يدور حوله. من وجهات النظر المختلفة ، فإذا صادف ناقد مخلصا لهدفه فإنه يكمل نقصه بما يبدى من اعتراض أو مؤاخذة ، ولن يضره في شيء أن يحصي الناقد أخطائه في دقة وتعميل لأنه إذا ألمه من هذه الناحية فسيره حين يتعرض بالتحليل الكاشف إلى مواطن الإبداع في منه وموضع النبوغ في نظرائه ، وقد يكون سفيره إلى القراء ، إذ يوثق صلاتهم به حين يفتح عيونهم على منافع جديدة في إنتاجه لم تكن لتتاح للكثرة القارئة دون ناقد نزيه ، وعلى أن من الخطر كل الخطر أن يصبح الأديب تلميذا لناقده يخضع لتوجيهه ويرضى بقبول توصياته ، إذ أن من الناقدين من تشمخ نفوسهم إلى الاستعلاء فيدعون أنهم أساتذة الأدباء مع أنهم في حقيقة نفوسهم لا يعيشون على غير تراث هؤلاء التلاميذ المزعومين بلولا أن الشاعر أو الكاتب قد أبدع أثره الفني ما وجد الناقد مجالا للحديث ؟ وفي الناس من يشترط في الناقد أن يكون أدبيا منشئا زاول الإنتاج الفني ليكون أبصر بمضيقه ، وأدري بمنرجاته وقد يكون ذلك ميسورا لدى بعض المهووبين من النقاد ، إلا أنه ليس أمرا عاما لدى الجميع ، وقد كان الرافعي رحمه الله يشترط في ناقد الشعر أن يكون شاعرا ، وهو اشتراط عسير التحقيق من ناحية وغير ضروري من ناحية أخرى إذ أن أكثر نقدة الشعر المجيدين في القديم والحديث لبسوا بشعراء ولم ينعمهم ذلك عن تأليف الكتب الناجمة والمقالات الحاسمة في فن الشعر ومآخذة على أن الناقد من الأدباء قريب غير بعيد إذ أن ميدان الفن الأدبي هو الإنسان والطبيعة فالأدباء أما أن يتعرض للنفس الباطنية بما يوج بها من تيار المواقف والنوازع فيصدر من الذات الداخلية ناظرا إلى العلاقات البارزة في الصلات الاجتماعية والمتناقضات البشرية والمواقف الإنسانية ومتخذًا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم الخفية في غبطة وارتياح ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله صابئة وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجبال وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذًا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم

الخفية في غبطة وارتياح ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله صامتا وناطقة فيتحدث من الطير والحيوان وعن النباتات والشجر والجبال وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذاً من هذا المحيط الزاخر مسرحاً بديعاً لخياله الخالق ، وهو في نظريته الداخلية والخارجية لا يقدم للناقد شيئاً غريباً عنه ، فهو إنسان مثله يرى ويحس ويتصور ويحكم ، ولئن ماتته أبداع المصور المنشئ فلهذه أبداع المحلل الشارح وقد تكون المقالة النقدية بانسجام بنائها وتسلسل أفكارها وإيماض لفئاتها وسر أبحاثها ذات متعة وجدانية لدى المذوقين .

ولكن أي ناقد الذي يتمتعنا بفنه الأدبي كما يقتنعنا بنظره الفكري هذا؟ أننا نقرا كل يوم في الصحف والمجلات — حتى الرصينة منها — نصولا تتسم بسمة النقد الظاهرية ولكنها لا تؤدي وظيفته الحقيقية فكم من ناقد يتعرض إلى قصة أو ديوان أو مؤلف فلا يلج إلى خواصه ولا يفسر مرامييه — مخالفاً أو مؤيداً — بل يكتفي بعرض عام يلم به من يقرأ مقدمة المؤلف في كتابه ، حتى قيل لكل موظف في مجلة أو صحيفة أنه يستطيع أن يكون ناقدًا ، وقد يكون عرض أبواب الكتاب والاشارة السريعة إلى مضمونه مما يبيد القارئ بعض الإفادة ولكن صاحب هذا العرض لا يست إلى النقد بسببوثيق مهما أخذ مظهرهم الخارجي في حديثه ونحن نشعر الآن بانخفاض المستوى الأدبي في التأليف مما كان عليه في حقبة تربية ، ومرد ذلك في بعض أسبابه إلى ضحالة النقد الأدبي ، ومقد النقد الموجه ، الذي يملك القدرة على التسييد والتوجيه ، وليست الصفات المروضة في هذا الناقد المسدد بالأمر المعجز ، فهي مما يدخل في طوق نفر من الموهوبين لو تركوا الكسل الوداع ونشطوا إلى العمل المدوب .

وأول صفات الناقد الهادف قوة البصيرة المستندة إلى الذكاء اللامح ، فهو صاحب الرأي الممتاز في صفة ما تنتجه العقول المتقازة من بيان ولابد أن يجد لديه من النفاذ والعمق ما يسعفه بالتفسير الهادف ، والملاحظة القوية كما يمد برصيد حي من التجربة الفنية والدراسة الشخصية بالبواحي والغايات ، ومبلغ ذلك كله من نفسه التي تتوهج بالفكر وتزخر بالمعاطفة والاحساس والتصور وتلك لخصائص ثمينة يلمسها صاحب الاستعداد الاصيل في نفسه ليتصل بها إلى ما يريد من التثقيم والتقويم .

وهذه البصيرة المستندة إلى الذكاء في حاجة ماسة إلى الاطلاع المستمر على أحدث ما يجد من النظريات والآراء الدائرة في محيطه الفني ، لأن سعة المعرفة تفتح آفاق النظر وتسلح صاحبها بأقوى مدد الماضي ، وكلما زادت هذه المعرفة منحت جناح صاحبها ريشاً يحلق في آفاقه المتراصة ، وإذا كنا نرى الآن بعض من يدابون من النقد على الاطلاع ويحرصون على اقتطاف أشهى الثمار من الحقل العلمي ثم لا يبلغون باطلاعهم الواسع ما يريدون من صدق النقد وكمال التوجيه بذلك لأن الاطلاع والوسع وأن تنوعت روافده لا يفيد الناقد إذا عدم البصيرة القوية المستندة إلى الذكاء اللامح ، إذ أن هذه المعارف المختلفة أغذية جيدة تنيد الجسم أكبر مائدة ولكن على شريطة أن توجد الإنسان القاضية والمعدة الهاضمة بحيث تتحول إلى دم حار قوي يمنح الجسم نشاطه ويجدد انسجته وخلاياه بالذات يمتعون في الاطلاع الدائب دون أن يتسلحوا بالذكاء اللامح والخبرة الحسيفة لا يعطون الصورة الإيمنة للناقد المنشود .

وتأتي بعد قوة البصيرة وسعة الاطلاع صفة ثالثة للناقد الجيد وهي تجرده الخالص من ميوله الذاتية وأهوائه الشخصية بحيث ينسى مصيبتة لما يحتق من مذاهب حين يتجه إلى النص بالنقد إذ أن هذه الميول الخاصة تضع على الحقائق ستاراً يحجب كثيراً من لائها الساطع ، ونحن نعلم أن الانصاف الأدبي خلق عزيز النال لا يرقى إليه غير ذوي العزم من أصحاب المبادئ النبيلة ولكنه على صعوبة مثاله موجود متحقق لدى قلة تتسم به وتصدر عنه فيما تدل به من الأحكام ومن غرائب النفس البشرية أن صاحب التعمص الذهني قد لا ينتفت في بعض أحواله إلى تعصبه بل يتجه إليه لا شعوريا تحت تأثير عوامل قوية بعيدة الخفاء في منطقة التأثير الباطني فهو صادق بينه وبين نفسه حين يعلن اليك تجرده النزيه في نقده إذا أردنا بالصدق موافقة النقد للاتجاه الشعوري في رأي الناقد ولكنه غير صادق حين نحلل أعماليه الدفينة التي قد يجهلها جهلاً تاماً لنذكر ما القى التعصب على عينيه من غشاه ، وعلى القاري أن يدرس ناقد دراسة وافية ليملم مذاهبه التي ينسك بها في مختلف أمانين الرأي من سياسة وأدب واجتماع ما دام يصدر عنها لا محالة ، فالتعصب المذهبي كان ولا يزال مما يفسح الحوائل الكثيفة دون الصواب الصريح إذ أن صاحب الاتجاه الديني أو السياسي أو الاجتماعي لا يستطيع التخلص من مبادئه

مجاہلا ، بل نريد أن يكون هذا الود الانساني مدعاة الى تفهم الاثر على حقيقته من ناحية وعاملا على قبول المنقود له وانتفاعه بما يحمل من تسديد وتوجيه، فما أضر بالنقد في حديثه وقديمه غير قوم رأوا الاستعلاء والسيطرة باب المأخذة والنقض فشنوا حربا طاحنة كان الاولى أن تكون مسامرة هادئة حتى لقد وقر عند الناقد أن الشدة العنيفة هي طريقة التصويب والتقييم ، كما انتقلت العدوى الى جبهة القراء فأخذوا يتابعون أصحاب القسوة المفرطة معجبين ، وقد تعجب حين ترى بعض المتزمعين في ميدان النقد قد نالوا بسلطتهم المفروضة ما لم ينله الشرفاء من أبناء الكلبة وأرباب الهدوء المتزن وأن كان مع هذه الجبهة المشغوفة بقسوة النقد قللة منصلة تنفر من الضجيج المقتعل ، وتسد أذنيها لدى الفرقة الصاخبة ، وهي طائفة المستثيرين من ذوي النظر البعيد ، ومن الحظ الحسن أن يكون هؤلاء على قلتهم أداة الترجيح الحقيقية في المعركة إذ يقولون فيسمعون .

ونحن في عصر تقدمت فيه العلوم الانسانية فمتشعبت فروعها واتسعت ميادينها وأصبحت تهد المثقف المعاصر بزاد دسم يمينه على النظر الثاقب والفكر الصحيح، وإذا كان الناقد ملزما كل الالتزام أن يلم المأما حسنا بخير ما ينتجه الفكر الانساني من علم وفلسفة، لتتسع آفاقه الفكرية ، فقد شهدت المارك الأدبية في هذا العهد نقاشا حادا حول صلة هذه العلوم الانسانية بالنقد المعاصر ، فذهب فريق من الكاتبين الى تعقيد النقد ودعمه على أسس علمية ترتكز على هذه العلوم بمعنى أن تكون من علوم النفس والاجتماع والجمال أسس صالحة للنظر النقدي إذ أن عالم النفس حين يلم بالنفس الانسانية ويعلم نوازعها المتباينة وتياراتها المتصارعة وما تسببه المقد النفسية من صراع ، وما تبليه الفرائز من أهواء وميول فانه يستطيع على ضوء هذه المعرفة النفسية أن يحلل النص الادبي تحليلا يبرز مكان القوة وأسباب الضعف في جملة وتفصيلا، كما أن عالم الاجتماع حين يرصد موقف الاديب من مجتمعه وأثر المجتمع في تكوين الاديب وتلوين مشاريعه، وتنازع أهوائه فانه يلمس أثر ذلك فيما قدم من انتاج ادبي ، وربما التمس له بعض العذر في ما يخالف وجهة النظر العامة بعض المخالفة ، وكذلك عالم الجمال الذي درس أصوله وألم بمقاييسه وعرف مدى ما توصل اليه في البحث عن حاسة الجمال وبيـزان الشيء الجميل فانه بمقاييسه الجمالية يستطيع أن يزن الاثر الادبي ميزانا علميا لا تميل به النوازع

الفكرية في سهولة مفرطة ليجنح الى الحكم التزيه على اثر ادبي لا يرتضي منحا وفي تاريخ النقد العربي أمثلة كثيرة لشيوخ يعتنقون مذاهب خاصة في الحديث والقديم تشل عقولهم من التفكير الصحيح ، فهناك من يتعصب للجاهلين وحدهم ، ولا يكاد يفضل غيرهم في مجال الاستشهاد وهناك من يفسح صدره فيضهم الاسلاميين والامويين الى دائرة رضاه ويقف موقف السخرية مما أحدثه ادياء العباسية من انتاج ، كما وجد أيضا من شيوخ النقد القديم من ينزع عنه رداء التعصب ، وينظر الى النص الادبي نظرة مجردة من التعصب لاتجاه معين يصدر عنه فيما يقول ولعل ابن تينية قد أفصح عن نفسه وعن غيره حين قال في كتابه من الشعر والشعراء : « ولم اتصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المستأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل الى الفريقين وأعطيت كلا حقه وولمرت عليه حظه فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل في زمانه ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولاخص قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباد و جعل كل قديم منهم حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في اوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخلط يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قديما عندنا ببعده العهد منهم وكذلك من يكون من بعدهم لن بعدنا كالخريمي والمصابي والحسن بن هانئ فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثينا عليه به ولم يرغمه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » .

ولابد أن نشير الى صفة رابعة للناقد الجيد وهي الصفاء النفسي الذي يطبعه بطابع الهدوء السوادع ويمنحه اعتدال المزاج ، وأطمئنان الاعصاب فلا يثور لمخالفة أو يهتاج لنقيصة بل ينظر الى الاثر نظرة الحكيم العالم بالبوأاث العطوف على الانسانية في ضلعها وكبوتها ، فهو مع النص المنقود دارس متزن يعرف دواعي القول ، ويلقى صاحبه بابتسامة الود حين يشرح وجهة نظره ويضع نفسه مكانه مصورا ما استجر في صدره من الاحاسيس حين رسم خلجاته في ما قدم من انتاج ، ولا نريد بذلك أن ينقلب النقد تقريظا

الخاصة في شيء ، هذا ما ذهب اليه فريق من الباحثين وتطاحنوا من أجله مع فريق آخر يرى أن الدعوة إلى تعمد النقد الأدبي ودعمه على أسس علمية ترتكز على العلوم الإنسانية خطر داهم يحيط بالنقد الأدبي ، لأنه يصرف الناقد عن التذوق الفني الخالص إلى اصطلاحات علمية تلتقي على دراسته ظلمة مبهمة ، لا تساعد على ارتقاء ذوق أو تفهم احساس اذ يرون أن عمل الناقد الأول هو دراسة النص الأدبي وتفسيره في أمته الأدبي المتذوق بحيث يقف الناقد ليسجل خواطره الذاتية محللاً مفسراً دون أن يتعامل بمصطلحات تنف كالصخور الثقيلة في طريق القاريء دون جدوى . هذا بعض ما تنازع حوله الفريقان باذلين جهودهم الشاقة في التدليل والتعليل ، فأصحاب الرأي الأول يرون أن العلوم المختلطة تتشابه وتمتد لتقدم للذهن البشري غذاء يسد نظره وينير طريقه ، ولابد من الإلمام بها لنصل إلى الحقائق الأدبية دون انحراف ، فإن العصر الحاضر هو عصر الدراسات التجريبية في كل مجال ولابد أن تطبق هذه الدراسات على الإنسان ليفهم على ضوءها منازع انتاجه وبواطن خواطره ، وذلك مما يدعو إلى تثقيف الناقد تثقيفاً بصيراً ، لترتفع البحوث الأدبية إلى المستوى المنهجي ذي القواعد المضبوطة ، والموازن الدقيقة ، أما الذين يخالفون ذلك لهم في رأي دماءة التثقيف العلمي انفعاليون لا يصبرون على بحث بل يسرعون إلى الاستجابة إلى تأثيراتهم السريعة عند القراءة العاجلة مما يدفعهم إلى الشطط في الحكم والانحراف من الجادة ، ولن يسكت أصحاب الرأي الثاني عن خصومهم فهبوا يقولون أنهم ينسون وظيفة النقد الحقيقية وهي دراسة النصوص الأدبية ، وتحديد كل معنى وكل لفظ مع إيضاح صلة الإنكار وارتباطها وملاءمة الشكل للمضمون وكل اهتمام للمعارف الإنسانية على هذه الدراسة مما يعمد بالناقد من ميدانه ، ولنا نقول بعدم جدوى هذه المعارف الإنسانية للناقد فهي توسع مداركه وتسرعوامضه دون نزاع ، ولكننا نقول أن اهتمامها في النقد مما يطمس بريقه ويضعف تأثيره وهم بذلك يتفقون مع أصحاب الرأي الأول في جدوى هذه الدراسات كتقافة عامة للناقد ، ويختلفون معهم اختلافاً يصل إلى حد الضراوة والعنف في محاولة استخدام مصطلحاتها العلمية وإساليبها النظرية في عملية النقد ذاته ، ونحن

معهم في أن النقد الأدبي يجب ألا تتكرر مشاريعه بهذه التسميات النظرية والمصطلحات العلمية بل يظل في مستواه الفني واضحاً مشرقاً يخاطب الذوق والعقل والعاطفة دون غشاء ، ولدينا المثال البارز على نساد التفريع العلمي في مجال النقد الأدبي بما نعره من انحدار علوم البلاغة في جهودها الأخيرة على يد المقنيين من أمثال السكاكي والقزويني والسعد وغيرهم ممن جانب مذهب عبد القاهر في الاستشفاف الذاتي المستند إلى الوجهة البيانية والخبرة الأدبية إذ أن هؤلاء المقنيين جعلوا من بحوث البلاغة الأدبية مجالا للمنطق والفلسفة ثم خلف من بعدهم خلف نظر إلى هذه المباحث نظرة الماهكة والتبرير مخفقت البلاغة خنقا فيما كتبوه من متون وحواش وتقريرات؟ فالرأي الفصل فيما نشب من عراك حول هذه العلوم الإنسانية أن يلم بها الناقد المأما يزيد من ثقافته وعلمه على أن يعتمد منها كل الاعتماد في مجال التطبيق الأدبي إذ يقف أمام النص الفني وجهها لوجه دون ستار ، وقد ذهب ممارضو اتحام هذه النظريات العلمية في مجال النقد الأدبي إلى الاستشهاد بأقوال أساطين النقد الأوربي مثل لانسون الفرنسي حين يقول فيما ترجمه عنه الدكتور محمد مندور « أن الاصطلاح العلمي عندما ننقله في الأدب لا يلقي غير ضوء كاذب ، بل يحدث أن يلقي ظلمة ، وأمن في الروح العلمية موقف أولئك الأدباء الذين لا يدهون بناء أي شيء على نموذج غيره ، بل يقتصرون همهم على رؤية الوقائع الداخلة في مجال بحثهم ، والمثور على العبارات التي لا تخلف شيئا خارجا عنها ولا تضيف إليها الا أقل ما يمكن والشيء الذي يجب أن نأخذه من العلم ليس كما قال مردريك وهو هذه الوسيلة أو تلك بل روحه » . وإذا كان الدكتور محمد مندور في طليعة من نادوا بالابتعاد عن اتحام العلوم الإنسانية في مجال النقد الأدبي فقد أيد وجهته بما ترجمه من أساتذة النقد في فرنسا من مقالات وكتب تناقش هذه المسائل ، كما لم ينس إجداده العرب حين بحث عن أقوالهم المتصلة بهذا الموضوع فنقل من ابن قتيبة قوله في مقدمة « أدب الكاتب » (1). ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الإسلام براه نظر من جهة النظر لاحتباه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها

وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحري .

وواضح أن الأدي يتحدث هنا عن الشاعر لا عن الناقد وقد يظن ظان أن الاستشهاد في غير موضعه ، ولكننا نقول أن النقد الأدبي في حقيقته الأصلية — عمل أدبي كالشعر ، وكاتب النقد كناظم القصيدة يجب أن يقدم نقده واضحا شافيا بعيدا عن غموض العويص من اللغة والدقيق من المصطلحات ، وإذا كان للشاعر أن يتتق بالدراسات الإنسانية كما يتتق الناقد فإن مصطلحات هذه الدراسة لا يجوز أن تنتقل إلى القصيدة الشعرية كما لا يجوز أن تنتقل إلى الكتابة النقدية سواء بسواء .

وإذا كنا نعرف أن النقد الأدبي يقوم على الذوق المستشف البصير بمراتي النبوغ ومهاوي الضعف في الأثر الأدبي ، فليس لكل قاري أن يقيم من ذوقه الخاص ناقدا يصدر الأحكام الأدبية ويوزعها ذات الشمال وذات اليمين كما يشاء ، ولكن صاحب الاستعداد الفطري بالطبيعة والمكتسب بالقراءة والموازنة وسعة الخبرة هو الذي يستطيع النفاذ إلى النص الأدبي تحليلًا وتفسيرًا وحكمًا ، وهو القادر على أن يندمج فيما يقرأ اندماجًا يوحي له بكل ما يمن من تقدير أو مؤاخذة ، مستعينًا بعاطفته ومقله وحسه على أداء وظيفته النقدية ومستجيبًا إلى هوائه نفسه فيما توحى به من ارتياح أو نفور ، وفق ما أدى إليه تمرسه الطويل ومزاويلته المستمرة في محيط العمل الفني فذوق الناقد لا يقف به عند مجرد الاستحسان أو الاستهجان بل يهديه إلى حيثيات ما يصدر من حكم يكمن وراءه الذهن الصافي والريححة الخصبة والحس المتيقظ لادق الخلجات وأبعد اللوامح ، ونقد يخالف الناقد الذواتة زميله الذوق في حكم ، ويكون كلاهما صحيح النظرة سليم الاتجاه لأن الطلبة الأدبية تتسع لأكثر من اتجاه ، ولأن الطبيعة البشرية تفتقر في مدى الاستجابة وقوة الإيحاء وفق ما لابس الناقد من خبرات قد تختلف في بعض تجاربها من خبرات زميله ، ومن هنا نجد الناقدين الكبارين يحكمون على القصيدة أو المسرحية أو المقالة بما قد تفتقر به الاتجاهات ، ومن البعيد أن يبلغ الاختلاف بينهما درجة التضاد والتباين وأن وقع ذلك فهو من الندرة بحيث لا يمثل قاعدة مطردة إذ أن المسلم به أنه توجد مع موامل الخلاف موامل أخرى للاتفاق تحول دون التضاد الصريح ، إنما يكون هذا الاختلاف بين الناقدين

منغضب لذلك وعاداه وانحرف عنه إلى علم قد سلّمه له ولا مثاله المسلمون وقتل فيه المناظرون له . ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم ماذا سمع الغمر والحدث الغر قوله ، الكون والفساد ، وسمع الكيان والأسماء المفردة والكنية والكمية والزمان والدليل والإخبار المؤلفة ، راعه ما سمع وظن تحت هذه الألقاب كل فائدة ولطيفة ماذا طالعها لم يحل منها بطائل إنما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والعرض لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط النقطه ، والنقطه لا تقسم ، والكلام أربعة ، أمر وخبر واستخبار ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر . والآن حد الزمانيين مع هذان كثير ، والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه ، ماذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وقيدا للسانه وعيا في المحافل وغفلة عند المناظرين » ، ولن نعلق على نقل الدكتور مندور عن ابن قتيبة بشيء سوى أن صاحب « أدب الكاتب » قد ذكر ما يدور من اصطلاحات العلوم في عصره مما تداوله علماء المنطق والفلسفة والكلام من أمثال الجوهر والعرض والكيف والكمية ، ولكل عصر مصطلحاته وقواعده ، فما يذكر اليوم من مصطلحات علوم النفس والاجتماع والجمال شبيه بما دار في عصر ابن قتيبة من غوامض التعريفات ولم يكتف الدكتور مندور بقول ابن قتيبة بل عززه بما ذكره أبو القاسم الأدي في الموازنة بين العائنين حيث قال بعد نقل متشعب :

« وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة — طريقة السهولة والوضوح — وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان وحكمة الهند ، أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متمسكة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليم قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعمان لطيفة حسنة فإن شئت دهنوك حكيما أو سميناك فيلسوفا ولكن لا نسبك شاعرا ولا ندهوك أدبيا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فإن سميناك بذلك لم تلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء ، وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق وينسده ويمحيه حتى يحتاج مستبمه إلى تأمل وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره ، وحسن التأليف

الكبيرين غالباً في درجة الحكم ونسبته فهو يترجح بين الحسن والاحسن أو الجيد والاجود أو الضمير والاضعف ، وهذا حين يكون النقد فنياً تأثرياً لا مذهبياً عقائدياً حيث يلتزم الناقد باتجاه ذهني أو اجتماعي أو سياسي يدمو اليه ، فمن الممكن إذن أن يصل الخلاف بين الناقدين الى درجة التضاد ، ومن حسن الحظ ان النفوس أصبحت تضييق بالنقد المذهبي في مجال الادب الخالص ، وتراه عامل تعصب لا يهدف الى الحكم المجرد النزيه انما النقد ذوق خالص مثقف يستوحي النص دون تقيد أو تضيق ، وهذا الذوق هبة عليا تمنح لذوي المواهب وتصل بالقرأة والنظر والتمرس البصير ، ويهمننا أن ننقل من ناقد عربي كبير رأيه الخاص في تقدير الذوق الموهوب وارتكاز النقد الادبي عليه ارتكازاً يجعل كل تعليم دائب لا يكاد يفني عنه شيئاً ذلك هو ضياء الدين بن الاثير حيث يقول في مقدمة « المثل السائر » « اعلم ايها الناظر في كتابي ان

مداد علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وان كان ليسا يليه عليك استاذاً واذا سللت مما ينفع به قيل لك هذا ، فان الدربة والادملن اجدى عليك نفعاً ، واهدى بصراً وسعياً ، وهما يريانك الخبر مياناً ويجمعان مسرك من القول امكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك ما اخطاك ، وما مثلي فيما جهدته لك من هذه الطريق الا كن طبع سيئاً ووضعته في يمينك لتقاتل به ، وليس عليه ان يخلق لك قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال .

هذه خطرات اُهد بها للحديث عن النقد العربي في اطواره المتعاقبة لنعطى القارئ اخواء تهديه في ارتياد طريق مبتدة الشعاب ، وهي بعد خلاصة مركزة لبعض ما يدور حول هذا الفن من آراء تشغل النقد والناقدين .



الحضارة الإسلامية

بين الماضي... والمستقبل (١)

الأستاذ أحمد عبدالرحيم السايح " القاورة "

إذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران فإن مفهوم الحضارة في العصر الحاضر قد امتد إلى الوان من المعنى ، هي أبعد وأوسع مما رواه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية إلى الحضرة .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ « مدني » بمعنى « اجتماعي » فإن مفهومه آخر ظهر واتصل بها ، أصبح الآن يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سابقا أيضا في هذا المجال اللفظي فاستعمل كلمة « التمدن » وكان يعني بها « التحضر » .

على أن تلك المفاهيم اللغوية إنما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضرة فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقنيديّة إلا في جهات قليلة جدا خارج العالم العربي .

ولذلك فإن لفظ الحضارة في مفهومه العالي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي والتقليدي وإذا كان أصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرهما » الإقامة في الحضرة . فإن المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة في استمالتها المولد

بمناز الإسلام بأنه دين الحضارة الإنسانية الكاملة : بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة .

وأنه أنشأ لونا من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الإسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية الإسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية أنها : -

تعنى حياة الحضرة والإقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها البداوة . وهي حياة التنقل من البادية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضرة منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . بل أن هذا العالم العربي هو أول من عالج شؤون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .

على أنه إذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة . والذي يناقش في مضمونه البداوة . فينشئ القرى والمدن ويضفي على أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة .

المطاء بأنها : مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضرة .

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظيتين آخرين لهما في الحياة الانسانية شأن كبير واثر واضح . وهما : الثقافة والمدنية .

فاصل مادة التشكيل في اللغة العربية : التشذيب والتهديب والتقويم والحدق والفظانة والمعاجم اللغوية تعرفها في الاستعمال المحدث بأنها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحدق فيها . ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والدوق والشاعر ، وهي حصيلة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها . وتجمع انماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والتي يتصل بعضها بتراث للانسانية مشترك ، ويتصل بعضها الآخر بحياة جماعات بلدانها دون سواها .

ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدنية والميش فيها والاخذ بأسباب الحضارة وقد اتصل لفظ المدنية في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والمظهري من الحياة . وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنشأتها الملموسة .

وكذلك من حيث الانماط الميشية في اسسها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والمحسوسة في حياة الجماعة من قواعد ونظم وامراف .

والحضارة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ومجموع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنوية .

وبعبارة اخرى هي : الخطة العريضة التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الإنسان او الجماعات الخاصة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بانه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر ، واعتزاز حرية الإنسان وكرامته . وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال اخاء شامل ، وعمل

نام وروحانية صالحة واعتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة .

فان واقع الامر يبين للدارس والباحث والمفكر ان الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصرها وجودها واسباب نمائها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجزيرة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

فان الاسلام بخصيئته الذاتية استطاع ان يصفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين في مختلف الاقطار وبلاد الدنيا .

دعائم الحضارة الاسلامية :

(1) ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شملت حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب . فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والنفوس وثورة في الحياة العملية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة الحاكم بالحكوم وكذلك في تشريعات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه القوة الفاعلة انها كانت اصلاحا جذريا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

(2) ان الاسلام كان منذ يومه الاول دين دعوة له رسالة يجب على المسام ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا .

وفكرة الدعوة في العقيدة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمي وبالتالي تمكن الاسلام من ان ينشر طابعه الحضاري كمقيدة وكنمط للحياة .

(3) كان الاسلام ديننا سهلا غير معقد ولا مركب في عقيدته ونظمه وعماليمه وكان في الوقت

ذاته ، دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة في العقيدة الاسلامية شاملة للعبادات ، والمعاملات جميعا .

وما نلن دينا يطلب الى الفرد شهادة ايسر من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة تقف بالانسان على عتبة الاسلام موقفا سهلا .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ، ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل في دين الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لابد ان يأتي مباشرة دون وساطة او وكالة . على انه من الحق ان نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من المرونة الذي قد يشوه التطبيق .

ولعل المقوم الاصيل الذي لم يجعل البساطة تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان القراءان كان وعاء للعقيدة كلها . حفظها على مر العصور واضفى عليها الطابع المشترك في مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف .

(4) كان الاسلام دينا رحبا يقبل الاجتهاد ، ويدعو اليه في حدود اصول العقيدة . وكان يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الضمير والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر والى المعرفة اساسا من اسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام في رحابته الحضارية استطاع ان يمتص الوان الحضارة في البلاد التي انتقل اليها وان يسبح عليها طابعا اسلاميا شاملا .

(5) كان الاسلام دينا للعالم والآخر معا ولى هذا قد اختلف من كثير من الديانات والعقائد التي ينبع بعضها في ماديات الحياة ثم يضي عليها مسحة من العبادة او الفلسفة ويتبع بعضها الآخر في مجال الروحية التجريدية .

وقد ترتب على ما اتصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة انه اصبح دينا رحبا حيا يلائم حياة الناس ومنطق التطور . كذلك اصبح الاسلام

اكثر التصاقا بالحياة في مفهومها الحقيقي وصورتها الواقعية . وفي الوقت ذاته اصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري في مجال المدنية من جهة والثقافية والروحية والعقلية بل والاجتماعية من جهة اخرى .

(6) كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاما متكاملًا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد ام من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الافراد وكثيرا من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من أبرز القيم التي استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة الدائمة للانسان . واستنادها الى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما كسبت رهينة » « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الاخاء التي تجعل الانسان المسلم ينتمي الى جماعة المسلمين ويحس بأنه عضو من اعضاء الجماعة السامعة يعمل لمصلحة الجماعة والجماعة تسمى للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله ويكمل به ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي به .

وليس في الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام في اصلاح الانساني العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الدائمة للافراد باعتبارهم مدنيين بوجودهم لله مسئولين امامه من اعمالهم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم واماله » والاسلام حينما جعل الفرد مسئولا عن اعماله والمسئولية - هنا تقع عليه وحده - الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الدائمة ويوصل به الى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفي الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنات المجتمع الانساني يعمل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف باللاهوتية التي يدمج بها الفرد في المجتمع قسرا وربما منه كما في الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم فرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحرب دون نقاش .

(7) البيئة بمعاملها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة . ولقد كانت الجزيرة العربية ذاتها منطقة وصل بين أطراف العالم عند ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بإدلة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بإدلة بالبحر الأحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سببا في أن شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب أن يقوموا به ولم يكن الأمر في ذلك بالطبع مجرد التوسط الجغرافي على أهميته . وإنما كان الأمر أوسع وأعمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السلوك الإنساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي أمور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الإسلام شرقا وغربا بالبر والبحر على حد سواء .

(8) القرآن الكريم ذاته وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين ، بحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعها من عقائد ومبادئ وأوامر ونواهي ، كان دستوراً من أعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنته من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم .

ولقد كان أول اثر من آثار القرآن في الفكر الإنساني اهتمامه الواسع بالعلم وذلك أن العلم أساس التقدم ومروءة نهضة الأمم وعنوان حضارتها . وقد كانت نهاية القرآن بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القرآن وتدبر آياته تجده يدعو إلى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون وأحداث الماضي . والقرآن نفسه مشتق من القراءة والقراءة أدنى مفاتيح العلم للإنسان وأول منازل على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس آيات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الإلهي بالقراءة في أول آية وكررها مرة أخرى في الآية

الثالثة وأوضحها مؤكدا ما رمى إليه من معنى وهو التعليم وردد التأكيد بذكر القلم ثم لفت النظر إلى الأصل الذي خلق الله منه الإنسان وهو العلق وفي قوله تعالى « علم الإنسان ما لم يعلم » ما فيه من مكنون أسرار هذا الكون مما سيمر به الإنسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

وأول قسم في القرآن أقسم به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » فأول سورة نزلت من القرآن سورة العلق ومن العلق يخلق الإنسان وكانت السورة التالية في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « والقلم يكتب ويعلم الإنسان » .

فإنسانية الإنسان لا تكون إلا بالخلق ولا تتم إلا بالعلم « الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان عنه البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

إذا افتخر الإبطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

والقرآن دائما يهتف بالإنسانية « وما أوتينم من العلم الا قليلا » والقرآن يفرض أن يقف بالعلم عند حد بل يفتح للإنسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الإسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . وتمييز صحيحها من زائفها فقرر أن المسائل لا تأخذ طابعا علميا ولا ترتقى إلى درجة معلومات إلا إذا قامت عليها بيعة واستندت إلى دليل ومن ثم كان القرآن ينادي دائما « هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « انتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم » « ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

وهذه الآية الأخيرة تنهى من اتباع ما لم يقم به علم يستند إلى حجة سمعية أو رؤية بصرية أو براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات .

وهذا الميزان الذى وضعه الاسلام يدفع الناس دفعا الى تلمس الادلة . ويمشي بهم فى طريق النور والمعرفة ومظاهر الكون والرفق .

ولقد دعا الاسلام الناس ان يمعنوا فكرهم فى هذا الكون الفسيح وينعموا النظر فيما حوى من عجائب ، ليستغلوا ما حواه من موارد ويستكنهوا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا فى السماوات والارض » ولم يكتف القراءن بهذا بل ردد كلمة العلم (بجميع اشتقاقاتها وتصريفها فى سورة وداياته زهاء سبعمائة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفى لتقدير المنزلة التى رفع القراءن « العلم » اليها . وكلمة العلم فى الاسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كله دليل على ان الشخصية الانسانية لا يرقىها شئ غير العلم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقراءن مليء بالايحاءات لتنمية القوى العقلية المفضية الى النظر فى البراهين الدالة على قدرته سبحانه وتعالى الداعية الى التفكير والتأمل فى هذا الكون العجيب الذى يمتليء بالظواهر الطبيعية التى تسير فى نظام ودقة مجيبين .

(9) اللغة العربية نفسها فهي : من اعرق اللغات العالية منبتا واعزها جانبا واقواها جلادة ، وابلغها عبارة واغزرها مادة وادقها تعويلا لما يقع تحت الحس ، وتميزا عما يجول فى النفس وذلك لمرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهديب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القراءن الكريم بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا واغوى استقرارا وبفضل القراءن صارت ابعد اللغات مدى واوسعها افقا واغزرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تميثه الانسانية .

واستطاعت فى ظل عالية الاسلام ، ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات وترتفع حتى تصل ارقى اختلاجات النفس .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات تصويرا صحيحا حي المقاطع واضح السمات بارز القسمات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الانسانية الخالدة ومعارف البشرية الرائعة كما انصبت لمقومات الامة الانسانية الاسلامية التى شرقت بالحضارة وغربت .

برزت الى الوجود قوية تتمتع بقوة لفة بالفة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة وما بدت الا لتكون لسان الحضارة الاسلامية فى ظلال القراءن .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان يكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية ومقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة : وهاتان اللغتان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل من « كيبانيا » فى ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطيء دجلة ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التى امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب اسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امست اليونانية واللاتينية فى صف اللغات الميتة منذ هبطت مدينتاهما فما الذى حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مي » ان الذى كان باعنا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذى ما زال حافظها الى اليوم وهو القراءن ، لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء فى الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا فمن ذا الذى لا يعرف للقراءن فضله فى بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذى يجهل ان اللغة العربية بالية ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذى لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضى وحضارات اليوم .

لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية واشورية وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها من مصور الركود وما نشأت تفيض قوة وحيوية .

انها الرابطة النفسية التي تربط بين اهل البلاد والصيغة الجميلة التي تودعها مكنوناتها العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسعت مبادئ ومثلا عليها لم تضق بها ولم تنكل من احتمال اعبائها بل في ظل حضارة الاسلام مرنت وامتصت وتفاعلت ونمت نماءها الطبيعي المتطور من داخلها وهضمت خلاياها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تمعلقت واتسعت وافاقها وانتشرت ظلالها وقضت في دورانها العظيم على كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها من التحليق والارتفاع واستطاعت بقوتها الدائبة ان تقشع اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة - جاليتها في صراع - بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة خلاقة .

هذه اللغة دعمها القردان اذ اخذت تفرض سلطانها في بيئات جديدة في اقطار الارض ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط اسيا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القردان وقد يكون من اسباب قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ومهما تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قوية لأمم وشعوب قد تختلف وتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها لا تلبث ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المعنوية الادبية والعقلية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من الخليج الى المحيط الاطلسي تنهج جدولتها وترسل اشعتها وشرورها الى كل مكان حتى في امريكا تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيء في المجلات والاثار الادبية .

وواضح انها اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن وقد الت بها خطوط كثيرة ولكنها وقفت في

طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلزم بها ثم يرايها ، وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية . فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكانها اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من المعرفة والفكر وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل يجري غزيرا زاخرا متفتحا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت العربية بين هذه الامم والشعوب فاذا هي عالم واحد مهما تدانست وتباعدت ومهما شرقت او غربت .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرفه والادراك النافذ.

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس وتجلى معانيها في اجراس الالفاظ تتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها نبضات القلوب ومشامل الحياة ، فالعاني المحسة والمعقولة مبنية في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعه لشبيهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف دالة الضرب وموضعه من الجسم واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينية وحاجبيه وانفه ولفه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت فقل يحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا لهذه المكانة فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو الضم والاخريات لها الفتح والجر .

وما هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين من ادق الاحساس والطفه واذا اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، فيها مادة ووزن تغذ المادة او اخلقها او استمرها من لغة اخرى ثم صبا في قالب من قوالب الاسماء والانعال وصورها بالقوالب او الاوزان، فمن سمع

فاعلا اومفعولا ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلزمه في الوداد كلها وبهذا امتازت العربية واستبان خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها وللأسماء اوزان وللأفعال اوزان فما لا ترزه هذه الاوزان فهو اجنبي وبهذا بقيت على الدهر المتناول نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تعي ولم تفق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقافة من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكروهة .

ولقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان وحيه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا في كلمات ودايات وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب وما استقام له ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتوالت المحن وثار الفتن والعربية ثابتة ناضرة وامحت لغات وخلقت لغات وبذلت لغات وحرقت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تتغير ولم تبدل .

ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الامم الاخرى واولتها من العناية والحفاوة اكثر مما اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقبا طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة ادب وعلم في كثير من الامم الاسلامية غير العربية .

وما تزال لغات هذه الامم مثرمة بالفاظ العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور ادبا لا تحويه لغة ادبا مواطنة ما بين الصين الى بحر الظلمات كما يقول العلماء - وزمانه اربعة عشر قرنا من الزمان .

ولا نعرف في آداب العالم قديمها وحديثها ادبا اتسمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الامصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القرمان وبهذا استطاعت العربية ان تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الانساني .

ولاول مرة تجد في التاريخ لغة تنتشر بهذه القوة فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الايام في بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات غلبتها وتمكنت شعوبها .

والرومانيون استطاعوا ان ينشروا اللاتينية في المغرب الاوربي في فرنسا وفي بريطانيا وفي اسبانيا وحاولوا ان يحملوها لغة منتشرة في شمال افريقيا فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت ان تظهر اليونانية في الشرق وان تظهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد وان تظهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم ان تظهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وان تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة الدين وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري وفي اقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسع كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اسافت ثقافة اليونان على سمعتها وعمقتها وصعوبتها واسافت فلسفتهم وعنومهم وطبهم وفنونهم .

واسافت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلك الثقافات التي كانت متوارثة بين السامية

فالعربية : اداة الفكر الحي نقل الناس اليها كتب السماء المنزلة مثل التوراة ، والانجيل والزبور وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبرانية .

ونقلوا اليها ما جاء به الحكماء وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب .

10 (وبجانب هذا وذاك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالمصر الذي ظهر فيه الاسلام وانتشرت عقيدته . ثم بالعنصر البشري والتكوين السكاني للمجتمعات الاسلامية .

فاما من مصر فان الاسلام كان ختام الاديان السماوية وكان بذلك رباطا لها من الناحية

التاريخية . كما كان فى الوقت ذاته تصحيحا روحيا
لصور من الديانات السابقة التى شوهها الزمن . وكان
على الاسلام ان يصححها وينقيها ويرد اليها اصالة
الفكر التوحيدي .

ولقد كان هذا كله مصدر قوة ودفع للفكر
الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان
الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية .

فهذا التصدي كان الحافز الاصيل للفكر
الاسلامي والنظم الاجتماعية فى ان تحتفظ باصالتها
من جهة وان تجدد حيويتها وتوسع نطاق رحابتها
ومرونتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع السوان
الحضارات التى التقى بها على قوة غلبت كل
التحديات فانشر طابع الحضارة الاسلامية فى فمالية
لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام فى انتشاره وترسيخ
معالم حضارته قد تضاعفت بفعل مقوم انساني آخر
عظيم هو تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى تربت على كل هذه
الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار
الزمني فى الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمتاز بان كل مقوماتها
الجوهرية تنبع من وحي رسالة السماء التى تمدها
بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموازنة بين
مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد
المطلل للعمل ومن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

1 - فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله والفراده
بالعبادة والتمظيم والتمسك بما شرع من آداب
السلوك والمعاملة .

2 - وفى نظامها السياسي تقوم على الشورى
والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين
الناس واحترام حقوق الإنسان والتزود بكل
اسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات
المقيدة والوطن .

3 - وفى نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية
ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق

والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التى تسير
بالانسانية الى الكمال والتقدم

4 - وفى نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة
المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة
والاخلاص والاحترام والتعاون والتعارف .
وقيام كل راع بمسئوليته .

5 - وفى نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع
واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية
الفردية .

6 - وفى نظامها التشريعي ، تقوم على اصول
رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية فى
ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية
الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية
الاجتهاد الفكري .

7 - وفى نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة
ايا كانت واستخدام العقل فى كسب المعارف
وتسخير الطبيعة لخدمة الفرد والجماعة .
واعتماد الثقافة ايا كان مصدرها ومهدا تراثا
عاما للانسانية .

8 - وفى نظامها الفكري تقوم على حرية الفكر
واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم
تنحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا فى طلب
الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

1 - وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما
حفظت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من
صنع عبقريتها المبدعة الخلاقة .

2 - انقلت العالم القديم مما كان يعيش فيه من
فوضى وانهايار واضطراب فى الحضارات
واستبداد وظلم اجتماعي .

3 - اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة
التوحيد فى اسمى صورها ومجتمعها جديدا
يقوم على التعاون والتسامح والحرية
والتعايش السلمي بين الجميع

4 - اعطت الانسانية ذخيرة حية ضخمة من
المعارف الصاد منها الغرب فى عصر الاحياء
والنهضة ، واعتمد عليها العالم الاسلامي فى
بقلته الحديثة وفى بناء نهضته المعاصرة .

5 - وضعت بعض أصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك منذ الفزالي والاحاطة بجميع جوانب الموضوع ايجابا وسلبا . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في تسعة احكام . وهماي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :

يبحث عن وجود الشيء او من عدمه

السؤال الثاني ما هو :

يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :

يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :

يبحث عن صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :

يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :

يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :

يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :

يبحث عن هلة الشيء المعلول

السؤال التاسع من هو :

يبحث عن التعريف للشيء .

6 - فتحت للانسانية افاقا جديدة في البحوث الانسانية كفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم البصريات على يد «ابن الهيثم» وابندا مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد «الخوارزمي» و «عمر الخيام» .

7 - ساعدت بادابها على نهضة الاداب في اوربا وتحت افاقا جديدة امام شعراء الغرب وكتابه .

8 - ساعد حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبمناذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على اشاعة المثل الاخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم او في الحرب .

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية وبنى رجال اوربا بما تمنوه في معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهادة العلم واساتذة الدنيا وعماثلة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسي والبغدادي والدينوري والرازي والقزويني والانطاكي والزهراوي والغافقي والخوارزمي والصوفي وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حبان وابن حمزة والادريسي والمسعودي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيثم (965 - 1039) يبحث في السهول والادوية ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجيلي يسهر على قمم الجبال العالية يحرق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويمرر ابعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الاوردة والشرايين المبتوثة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع اجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف (هارفي) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بثمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهديب والبيولوجيا .

وجابر بن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندوق السامة (الرقاص) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات الجهل والفوضى والهمجية والتأخر ولم ينقد اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور

وقال العلامة « دربير » المدوس بجامعة (هارفارد) بأمريكا في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول هدمهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية أي بعد موت محمد بست سنوات ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية وقدروها حق قدرها .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظمى لخرجنا من حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انواع المنسوجات كالصوف والحريير والقطن . وكانوا يديرون المادن ويجودون في عملها على ما حسنه وهذبوه من سبكها وصنعها واننا لندهش حين نرى مؤلفاتهم من الآراء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر .

ويقول في مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان مثوله اوروبا وامراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليمالجوا فيها . وقال العلامة « سديو » في كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى اوروبا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الانجليزي :

« كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الدوق العلمي في المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة، ويروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غني وفقير .

وقال « دربير » : اول مدرسة انشئت للطلب في اوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بالرم) من

الاسلام وما زالت أسماء العلماء والمصطلحات التي اعطاها هؤلاء العلماء المسلمون لفرائب العلم ما زالت حية نابضة في جميع اللغات رغم ما نالها من تحريف وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باهواز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا ييغون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم في ذاته . والذين لا تسيطر عليهم المعصية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة ووضعا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع ان الاسلام ليس في حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا ناتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب . وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم يجهلون ولا يعرفون منها الا النذر اليسير والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتور (سيجريد هوتكه) ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها ابناء الصحراء من المدم من امجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري لسيادة ابناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة في نوعها وان الانسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتي يحار الانسان في تحليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان اوروبا تدين للمرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق اوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا »

وقال العلامة « كاربينسكي » ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت اوروبا في ظلمات القرون الوسطى .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خلق محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

إيطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في إشبيلية بإسبانيا وأنهم رتقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والأدب وفاقوا غيرهم في هذا الميدان ومن يطلق على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والأدب .

وانظر إلى كتب البيروني تجد أن الأدب والرياضيات اجتماعا متمائجين . . قال العلامة «درابرا» : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الأسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الأسلوب هو الذي أوجب لهم الترقى الباهر في الهندسة والمثلثات .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذي أنشأ في آسيا وأوروبا نشأة جديدة وإنسانية جديدة .

إن هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء أفاضل لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنا وجملة وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الإسلامية الإنسانية التي لمست الإنسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معاني السعادة واعتلت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الأبد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الأذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجوع العرب إلى منابع عزهم ، هذا وإذا كانت الحضارة الإسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بها إلى ذروة ما قدر للإنسانية من التقدم ولها من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح لها أن تكون لها فلسفتها الخاصة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة أن تعود إلى إشراقها من جديد فتساهم في إعطاء الحضارة الإنسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التي لا يسوغ إنكارها أن آداب وتعاليم الإسلام كفيلا بأن تجعل العالم الإسلامي في وضع يسمح له بأن يشي فلسفته الخاصة به والتي تنبع من الفكر الإسلامي . ويتضح ذلك من الحقائق التالية :

أولا - أن العالم الإسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسفيكي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . مجتازة جاليات ودولا إسلامية ذات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ومنطقة العالم الإسلامي تشمل بأنها :

1 - تقع من العالم موقع الحزام من جسم الإنسان . بعيدة عن القطبين ومسألة من الأعاصير والطوفانات والثلوج والبراكين . ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

2 - وأنها تمتلك من شواطئها البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الإشراف على عدد كبير من أعظم موانئ العالم كما بها من الأنهار والمناجيع ما يجعلها من أخصب المناطق وأكثرها ازدهارا ونماء .

3 - وأن فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من إغناء الحضارة الإنسانية وزيادة الأمن والرخاء .

4 - وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها إلى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

5 - وأن التجانس المذهبي بين سكان العالم الإسلامي يجعل المنطقة في منأى عن الانشقاق الملحوظ في المذاهب الأخرى ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وتفتحاً وتقدماً .

وتلك أمور تجعل العالم الإسلامي قوة إيجابية مهيبة الجانب مخطوبة الود . يتهيب العدو بأسه ويخشى سلطانه وتجعله أيضا مهيأً للإسهام في بناء الحضارة الإنسانية وإعادة صنع الحياة وإغناء البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضى والإباحية والاستعمار والألحاد .

ثانيا - وإذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع وما لهما من خصائص ومميزات وما لهما من كنوز وخيرات إلى الحديث عن الإسلام نفسه فإنا نجد أنه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وتفتحته .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتنزيه البالغ ارتقى صورته وأشكاله عقيدة ترفع من قيمة الإنسان لأنها تصله بالله الواحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أعماله . « قل هو الله

أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد .

ولا تبيح تلك العقيدة الإسلامية للإنسان أن يتعلق بال مخلوقات أو يدعو ويعد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . والإسلام من جهة أخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الإنسانية ومصالحها الحيوية في حدود الحق والفضيلة وباعتبار أنه دين توحيد واجتماع أمكن للإسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا وأن يرضي مطالب الروح والجسد حتى ترافقا في اعتدال وكونا حقيقة الإنسان المذهب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهذيب الاجتماعي أمكن للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادئ .

والإسلام وليد العقيدة الرائقة الرائعة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتغذي العقل وتوقف الغريزة عند حدها وتمطي كل مطمع من مطامع الإنسان معناه الداني وسيره الطبيعي .

والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من اخص خصائصها أنها تبحث في روح المؤمن بها الاحساس بالعمة من غير كبر وروح الثقة في غير افتراء وشعور الاطمئنان في غير تواكل .

ثالثا - ان الإسلام متعل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والإسلام قادر بطبيعته الدالية على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التباور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الأمم في حركتها الداخلة الممتدة عبر المصور .

والإسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالإضافة الى انه دين يهتم بالجانب الروحي من الإنسان ويريد منه ان يتحمل الخلافة في الأرض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بالحريّة والإخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها وأقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : انه ما من شيء يهم الإنسانية ويشغل بالها ويأخذ قسطا من عنايتها الا وله في الإسلام هدى وبيان واهتمام وما من شيء يلامس حياة الناس أو يتعقبها الا وله في الإسلام مرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الإسلام بوحدة العقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع في مظاهر العبادات والمعادن والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة .

رابعا - ان تعاليم الإسلام الفراء صالحة لكل زمان ومكان وفي الإصلاح الإسلامي من كليات وجزيئات ما هو كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ولكن ذلك رهين إرجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم الأخلاقية الإسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجدوات المتقدمة التي لا يغبو ضوؤها .

قال الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن أن يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زعامة العالم السياسية والعلمية - كما كانوا من قبل - اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعنوم التي حث الإسلام على الأخذ بها . »

وقال العلامة دامبري : « ان روح نظام المسلمين هو الدين والذي احياهم هو الدين والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس الا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى : « ان الشرق الإسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما انه في فجر طور جديد في حياته السياسية وهو دور يمكن ان نسميه دور الإبداع والابتكار ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والادبية . ولنا ان نتكهن ان إنشاء الثقافة الإسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم في خدمة المدنية والانسانية » .

والدكتور سمث استاذ ورئيس قسم الديانات بكاية ووتر بولاية أوهايو يرى انه لو أمكن اشارة التماسك الإسلامي في سبيل الفراض ايجابية وتكثيل الأمم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية لا يمكن ان تصير هذه الوحدة قوة ايجابية في العالم . .

(يتبع)

نقد الكتب

الدكتور مدوح عتيق

وخير في المكتب الدائم ،

- 2 - نفحات الخليج ، عبد الله سنان محمد
260 صفحة من القطع الكبير .
- 3 - بيت من نجوم الصيف ، علي السبتي
172 صفحة من القطع الصغير .
- 4 - النور من الداخل ، محمد الفايز
260 صفحة من القطع المتوسط .
- 5 - الطين والشمس ، محمد الفايز
98 صفحة القطع الصغير .

أما الأول والثاني فشمعهما ابتاعي النسيج ، البيت فيه شطران والقافية موحدة . إلا أن موضوعاتهما متلاحمة مترابطة كأنها قصة ذات مقدمة وموضوع ونهاية ، وفي ذلك تفوق حسن على كثير من الشعراء الاباعيين المعاصرين ، لولا أن لفتها ليست من القوة بحيث تشبه لغة كبار الشعراء .

وأما الثلاثة الأخيرة ، فقد سلكت طريق الشعر الحر ، أصابت في بعضه وضعفت في بعضه الآخر . وموضوعاتها على العموم رومانسية تذكرنا بشعراء النهضة الأوائل في لبنان وسوريا ومصر .

وفي طريقة العرض ميل إلى الرمزية ، فديوان الطين والشمس مثلاً ، يعرض الشاعر في كل صفحة ثلاثة أبيات ، وأحياناً بيتاً واحداً ، وأحياناً صورة رمزية كرجل مصلوب ، أو رجل عريان قاعد على رأس تل وفوق رأسه غراب ... وكلها من الرسم القريب من السريالي . والديوان كله يقرأ بنحو نصف ساعة!!

أماي الآن ثمانية دواوين لثمانية شعراء من الكويت . وقد قرأتها جميعاً بلهفة لاني ما كنت اتصور أن هذه الدوة العربية الصغيرة بحجمها ، القليلة بعدد سكانها ، قادرة على أن تنتج مثل هذا العدد الضخم من الشعراء ، في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ، ولو كان في المجلة منسج لنقدها وتقريظها تفصيلاً لعلت ، وأنها لجديرة بذلك ، ولكنني مضطر إلى عرضها مجملة ، تمريراً بها ، ولثلا يفوت قراءنا العلم بالنهضة الادبية المتوثبة في هذا القطر الحبيب .

ولاحظت أن ثلاثة من هذه الدواوين أنشئت باللهجة الكويتية ، ويسمونها هناك « اللغة النبطية » فهمتها كلها ولم يفتني منها إلا القليل النادر ، وهذا ما يؤكد لي بأن اللهجات العربية ، مهما تباعدت الاقطار فيما بينها ، هي متقاربة جداً سواء بمفرداتها أم بتراكيبها . كما اني لاحظت ارتفاعاً بمستواها مما كنت أعده فيها قبل بضع سنين ، وهذا دليل واضح على الاتجاه الطيب الذي تتجه إليه اللهجات العامية في جميع بلاد العرب نحو اللغة الفصحى . ومع أني أعجبت بشاعرية أصحاب هذه الدواوين الثلاثة ، السادة : وليد جعفر في « آهات قلبي » وعبد الله عبد العزيز الدويش ، وصقر النصافي ، فاني لا أراه أكثر من شعر محلي .

أما الدواوين الخمسة الأخرى ، فلفتها عربية خفيفة على تفاوت فيما بينها قليل

- 1 - ديوان صقر الشبيب 460 صفحة من
القطع الكبير .

الا ان شاعرية هذا الشاب قد تستوقفك احيانا للتأمل والتفكر .

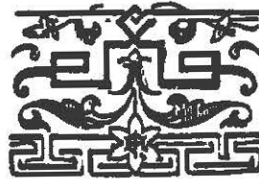
واحب ان اشير هنا الى كتابين آخرين تلقيناها من الكويت كذلك هما :

1 - دوايات كويتية - فالحسل خلف 154 صفحة من القطع الكبير .

2 - ادباء الكويت في قرنين - خالد سعود 288 صفحة من القطع الكبير .

وهما كتابان جيدان يوضحان كثيرا مما غمض في تاريخ الكويت الادبي ، ويشرحان كثيرا مما تعقد على الدارس فهمه . وقد اتكأت عليهما وساعداني مساعدة مجدية في تفهم شعراء الكويت فصيحهم ونبطيهم .

اما الكتاب الاخير الذي وقفت عنده كثيرا على صفر حجمه (93 صفحة من القطع الصغير) فهو « مقالات عن الكويت ، لاحمد البشير » فقد عرض جزءا من تاريخ الكويت الادبي القديم وجلا ناحية لم يسبقه اليها احد : اثبت بان جيل كاظمة الذي دفن فيه غالب بن صمصمة والد الفرزدق ، ما هو الا المكان المسمى الآن « ام القيرة » قرب الجهراء . وان « الفرزدق » نشأ بين قومه هناك ، وانه كان يثوب اليه بمد كل سفر . وعلى هذا فالفرزدق سيد شعراء بني امية الاوائل ، ما هو الا شاعر كويتي ، واذا لم يكن للكويت من فخر في تاريخها الادبي الا انها انجبت مثل الفرزدق لكفيت بذلك فخرا .



الموسيقى لغة الروح

الأستاذ إبراهيم الدرويش المصري
مفتش التربية الموسيقية في سوريا

ولما كان التفكير بتأثير الموسيقى بالمؤثر الخارجي وبالظروف الآتية التي ينشط فيها ، فإن النتيجة التي يصل إليها في حالة التأثر بالموسيقى ، هي نتيجة لا شك أنها من مقومات الفهم التام والجمال المجرد الذي يتجه ناحية الخير .

ولم يعد أثر فن الموسيقى محصوراً في أطراب الأذن وأشباع الحواس ، كنوع من الترف والكماليات كما كان شائعاً فيما مضى ، بل تمداه إلى تادية خدمات جليلة في كل ميدان من ميادين التربية والمادة والمجتمع .

وكانت الحرب العالمية الأخيرة اختباراً قوياً لقيمة هذا الفن في ميادين عدة كالتوعية والتوجيه والترقية .

ولقد أدت الموسيقى دورها من قديم كوسيلة للدعاية المثمرة . فقبل قرن مضى تقريباً كانت « بولونيا » لا تعدو كونها أمة مستعبدة تتناوب حكمها دولتان قويتان ، روسيا وألمانيا وكانت أخبار كفاح شعبها الباسل - نظراً لتأخر وسائل المدنية آنذاك - تصل مشوهة لا تلفت ولا تثير إلا عطفاً وقتياً . لقد أخفقت السياسة وفشلت الدعاية في لفت أنظار العالم إلى نصرة بولونيا الجريحة ولكن الموسيقى نجحت فيما أخفقت فيه جميع الوسائل ونجح موسيقى في استدراج العطف على أمته وإثارة ضمير الإنسانية في صالح بلاده . فقد مور شوبان في مقطوعته (البولونية)

علي الدرويش علم من أعلام الموسيقى في القطر العربي السوري .

ياخذ موقفنا من الموسيقى أوضاعاً ثلاثة :

1 - نستمع إليها كوسيلة لترفيه والطرب ، والاستماع الفني .

2 - نبحثها كعلم وفن وصناعة ومهنة .

3 - نبحثها في أثرها العام كثقافة ومدوق وتوعية وتوجيه ، وفي أثرها التربوي الخاص ، وهو ما يهمنا في هذه الكلمة .

الموسيقى فن رفيع بل لعله أرفع الفنون .
هي لغة الروح المجردة عن المادة ، المنطلقة من سلاسل الحياة وتبدوها . هي لغة نبيلة تستطيع أن تأنس إليها كل روح ويطمئن إليها كل قلب لأنها الصدى الذي يعبر عن مشاعر لا تستطيع لغة الكلام أن تعبرها فيها . وارتباط الموسيقى هذا الارتباط الوثيق بالمعاطفة الإنسانية يجعل تأثيرها أمضى وأكثر من غيرها من الفنون الجميلة في توجيه الروح والقلب وفي تفتح الطاقات وتفجيرها ، كخطوة أولى في سبيل توجيه الفكر البشري .

لأن تأثير الموسيقى لا يزول بتأثير النفخة والحن المنبثت من الآلة الموسيقية أو من العنبرة البشرية ، إذ أنها تنقل المشاعر إلى عالم جميل علوي يستسيغه العقل ويعمل فيه بحرية وحيوية .

كفاح شعب جريح وصور في العانها نداء الحق
المهضوم فاذا بهذه المقطوعة الموسيقية تسدي خدمة
لم تسدها السياسة قط الى شعب مناضل مكتم .
وتحررت يولونيا لان موسيقى (شوبان) قد حركت
الضمير البشري .

ومندي اكثر من مثال على ان الموسيقى تستطيع
باشراف الدولة ان توجه الجماهير والشباب والاجيال
في التربية والتوعية الهادفة ، توجيهها كليا .

مثالنا على ذلك موسيقى (فاكنر) الالماني التي
ادت دورا هاما في حياة المانيا ، فقد اوحث مقطوعاته
الى الشعب الالماني روح النضال والكفاح في سبيل
البقاء والاتحاد ، وكانت هاملا قويا في تكوين المانيا
ايام حرب السبعين ، ثم استخدمت ثانية في النهوض
بالمانيا بعد هزيمتها في الحربين العالميتين الاولى
والثانية فقد ادخلت في البرامج الدراسية وفي
الشهادات العامة وبثت في نفوس الشعب الالماني
فوجته الى التفاني في محبة الوطن والقومية وخدمت
اغراض السياسة ايضا .

وقس على ذلك نشيد (المارسيلاز) الذي كان
من عوامل حماية الثورة الفرنسية وقد الف كلماته
ولحنه الشاعر (روجيه دي ليل) . وانشيد معركة
بور سعيد العربية عام 1956 واخص بالذكر نشيد
(الله اكبر) ، ثم بعض اناشيد الثورة في الجمهورية
العربية السورية . وهناك امثلة لا حصر لها .

ولم يقتصر عمل الموسيقى على الميادين
الروحية بل تعدتها الى الميادين العملية ، اذ ان
استخدامها في المصانع خلال الحرب الاخيرة وما
بعدها ، قد ادى الى زيادة الانتاج زيادة كبيرة
ملحوظة .

ولا اغالي اذا قلت بان الدول الكبرى كالولايات
المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ومعظم الدول
النامية واخص بالذكر سويسرا التي ظهر فيها المربي
(جاك دلكروز) مؤسس مدرسة التطعيم والتربية
الموسيقية عام 1913 - كانت سباقة في ادخال
الموسيقى كوسيلة من وسائل التربية ، فقد اثبتت
الاختبارات العلمية الدقيقة ان الموسيقى تلعب دورا
هاما في تكوين شخصية ونفسية الطفل في سنينه
الاولى وفي دور المراهقة والشباب ايضا .

ولذا اصبحت الموسيقى من مقومات الحضارة
الحديثة كعلم وفن وصناعة ومهنة ووسيلة خطيرة من

وسائل الدعاية والتوجيه والتنوعية والتربية والتعليم .
كما ان الموسيقى تريح العقل كما يريح الاستجمام
الجم لماتبه من نشاط فكري نشاهد اثره واضحا
جنبيا في تفكير الطفل وزيادة قابليته للفهم والاستيعاب .

وهكذا نلمس للموسيقى اثارا ثلاثة في التربية:

1 - اثرها في التوجيه والتربية العامة
للمشعب .

2 - اثرها في تربية الروح القومية والمحبة
للانسانية .

3 - اثرها التربوي في المدرسة .

لهذا كان لا بد لنا اذا ما اردنا ان نقوم على تربية
جيل جديد يتوقف عليه ازدهار شان امتنا ان نأخذ
بعين الاعتبار مسألة ادخال الموسيقى بصورة جدية
في وسائل التربية كمعصر اساسي للتربية النفسية
والخلاقية وتقريرها في مناهج التعليم العام بجميع
مراحلها وامتبارها في الشهادات العامة ، والعمل على
افتتاح المعاهد الموسيقية لرعاية الموهوبين والمعاهد
الشعبية لتثقيف الهواة ، وتنظيم الامور الموسيقية
والعناية بها باخلاص ونزاهة في كل من الاذاعة
والتلفزيون . على ان يكون هدفنا دوما توجيه فن
الموسيقى توجيها سليما للتأثير على عقلية رجال
ونساء الغد بما فيه دعم بناء الامس .

واري ان تكون الموسيقى قطعة من حياة الطفل
ذكرا كان ام انثى وخاصة في مرحلة رياض الاطفال
والتعليم الابتدائي ، واري ان تربي فرائر الطفل
ونفسيته تربية موسيقية وخلقية قوية بتوجيه فني
تربوي ، يستطيع ان ينفذ الى مشاعره ويسمو بها .

وبهذا تسهل مهمة المربي والمربية لان الموسيقى
اداة فعالة في تدريب عقلية الطفل وتهذيب نفسيته
وتوسيع مداركه في الطريق التي ترسمها قواعد
التربية .

ولنضرب مثلا للمجهود العربي في هذا المجال
بحياة علم من الاعلام الموسيقى في القطر العربي
السوري هو الاستاذ علي الدرويش : فقد ولد وتوفي
في حلب 1884 م - 1952 م .

كان جده الاكبر من اصل مصري عربي ، خلف
ولدا اسماء ابراهيم ، كان ابراهيم هو والد علي
الدرويش يشتغل بتجارة الاقمشة وقد نشا نشأة
مصامية دينية ، تعلم القراءة والكتابة في الكتائب

والمدارس الدينية وكان ذا صوت حسن ومن اتساع الطريقة المولوية «التكايا المولوية» في العهد التركي العثماني ، فكان لذلك أثر كبير ورثه عنه ابنه الصغير علي ، وعندما كان الفتى الصغير علي يدرس في المدرسة الاشرفية الابتدائية ، ينتهز العطل المدرسية وخصوصا أيام الجمعة ليزور والده في التكية للاستماع الى حفلاتهم الخاصة ، فكان يستمتع طويلا الى اناشيدهم وموسيقاهم الصوفية وبمعجب بها ومن هنا نشأ تعلقه بالموسيقى وشغفه بها .

انس شيخ التكية «عامل جلبي» بالشباب علي صوتا جميلا وميلا قويا للموسيقى فاوكل اليه مهمة اداء الاذان في شهر رمضان .. ثم طاب من والده ان يلقنه الحان الطريقة المولوية واغانيتهم كي يشترك ابنه علي في حفلاتها وكانت تضم جدران التكية المولوية في ذلك الحين «عثمان بك» الملقب «كجوك عثمان» مؤذن السلطان عبد العزيز سابقا الذي نفاه السلطان عبد الحميد عند توليه الحكم وعنى يدي «عثمان بك» تلقى علي دروسه الاولى في مبادئ الموسيقى وقواعدها الاولى . ثم رار مدينة حلب في هذه الفترة من الزمن موسيقار تركي من اشهر نافخي «النائي» يدعى «شرف الدين بك» وقد اخذ عنه علي الشاب دراسة النفخ بالنائي ، وفي تلك الاثناء كان يجمع ما بين دراسته في المدرسة اثناء النهار ودراسته الموسيقية في التكية اثناء الليل . وعندما انتهى دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة العثمانية للعلوم الدينية سابقا وهي «الخسرفية» والكلية الشرعية حاليا وكان من اساتذتها المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ بشير الغزي . وعندما انتهى دراسته في هذه المدرسة بعد اربع سنوات كان ما زال منكبا على دراسته الموسيقية وقد لقب بالشيخ علي لتقدمه في الفن الموسيقي على اقرانه وتفوقه فيه ، ثم لدراسة في المدرسة العثمانية ولقب بالدرويش ايضا لانتسابه الى الطريقة المولوية فاطلق عليه الشيخ علي الدرويش ، وكان يطلق عليه ايضا «علي دده» بالتركية لانتسابه الى الطريقة المولوية . لذلك فقد اتقن هذا الشاب اللغتين العربية والتركية وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة .

وقد مينه بعد ذلك شيخ التكية (عامل جلبي) في وظيفة (قدوم زادباشي) رئيس جماعة الموسيقين في «المطرب» وهو المكان الذي كان يجلس فيه جماعة العازفين والمغنيين اثناء حفلاتهم الخاصة ،

وبقي في هذا العمل زهاء عشرة أعوام متوالية ، كان خلالها دائم البحث والتنقيب عن اصول الموسيقى ودقائقها بصورة عامة والموسيقى والالحان والمؤلفات العربية التركية بصورة خاصة . لذلك فان الشيخ علي تأثر كثيرا بأساليب والحن الموسيقى التركية التي طعم بها الموسيقى العربية بمؤلفاته والحنه، وقد لحن عددا كبيرا من الالحان باللغة العربية ومن الالحان الآلية كالبشارف والسماميات ، ومن الالحان المولوية باللغة التركية وهي الحان مطبوعة بطابع الخشوع والوقار والمعروفة باسم «آيين شريف» ومن الحنه آيين كردبلي حجاز كار وغيره ..

رحل الشيخ علي رحلته الاولى من حلب الى اماره المحمرة في ولاية البصرة وقد ارسل في طلبه أمير المحمرة على رأس فرقة موسيقية فغائية وذلك بعد ذبوع شهرته خارج البلاد السورية، وعندما سافر الى المحمرة كان عمره حوالي السابعة والعشرين عاما بعد ان استقال من وظيفته في المولوية نهائيا . وكان تاريخ سفره الى المحمرة وعودته منها ما بين عام 1912 الى عام 1914 م . وقد عاد الى بلده حلب في بداية الحرب العالمية الاولى فقد امضى في ضيافة (الامير خرمل) سنتين كان فيهما موضع حفاوته واکرامه مع اعضاء فرقته الموسيقية .

انتهر فرصة وجوده في تلك البلاد فزار البصرة وبغداد وطهران ومنها سافر الى الهند وحل في كراتشي وبومباي ثم قفل راجعا الى حلب ابان الحرب العالمية الاولى ابام حكم السلطان رشاد كما ذكرت.

وفي عام 1914 حتى عام 1923 م . سافر الى البلاد التركية فاصدا استنبول بصحبة شيخ تكيه حلب «عامل شابي» وهناك في استنبول اتم الشيخ علي دراسته العالمية في الموسيقى في معهد «دار الالحن» الشهير . وقد عين بعد ذلك مدرسا للموسيقى في مدينة «قسطنوني» وهي مركز ولاية قسطنوني الواقعة شمالي تركيا قريبة من شاطئ البحر الاسود . وقد الف في مدينة قسطنوني فرقة موسيقية نحاسية امضاؤها من طلبة المدارس الثانوية ودور المعلمين والصنائع والميتم الاسلامي كانت هذه الفرقة تعزف في المناسبات الرسمية وغيرها . وكانت اقامته في مدينة قسطنوني تسع سنوات تزوج خلالها من هناك .

وقد انجز في هذه الفترة كتابا في دراسة الموسيقى من تأليفه في خمسة الى سبعة ابواب .. ثم

اذن ملكي صادر في سراي راس التين بالاسكندرية في 18 تشرين الاول عام 1931م. وذلك للسفر مع ديرلنجيه الى تونس للعمل معه على اتمام ابحاثه في الموسيقى العربية .

وقد اشترك الشيخ علي في عام 1932 م . في مؤتمر الموسيقى العربية الذي عقد في مدينة القاهرة بدعوة ملكية رسمية . هذا المؤتمر المشمول بالرعاية الملكية والذي اشترك فيه نخبة من اساتذة الشرق والغرب ودام انعقاده قرابة شهر . سافر الشيخ علي الى تونس ومكث هناك من عام 1931 م حتى عام 1939 أي حتى بداية الحرب العالمية الثانية . عندما سافر الى تونس عام 1931 م . كما ذكرت سابقا ومكث هناك مدة اشهر ، عاد الى القاهرة بعد ان طلب رسميا لمؤتمر الموسيقى العربية واثر انتهاء هذا المؤتمر سافر الى تونس صجة البارون ديرلنجيه للعمل معه على اتمام ابحاثه ودراساته حول الموسيقى العربية بعد ان ترك القطر المصري نهائيا ، وبعد شهرين من وصوله الى تونس الخفراء ، تعاقد مع وزارة المعارف التونسية في معهدي المطارين والرشيديّة لتدريس الموسيقى . فمكث في تلك الديار ذهابا ثماني سنوات كان يطوف خلالها مع ديرلنجيه في جميع البلاد التونسية وشمال إفريقيا للبحث عن الالحان الباقية من آثار الاندلسيين الذين هاجروا قديما الى تونس والقيروان واكثرهم من سكان قرطبة وقرنطة واشبيلية وقد كانت هذه الابحاث البارون ديرلنجيه مبالغ طائلة ولكن الشيخ علي وفق اثناء ذلك الى جمع وتكوين اربعة عشر « نوبة أندلسية » وعشرين ملحقا لهذه النوبات وجملة موشحات أندلسية . وقد استطاع الشيخ علي الاحتفاظ لنفسه بنسخة من هذه النوبات والموشحات الاندلسية لتكون في حوزته .

وقد أسس الشيخ علي عند عودته الى مدينة حلب خلال العطلة الصيفية مع رهنط من اصدقائه من هواة الموسيقى حوالي عام 1934 م . ناديا موسيقيا لتدريس الموسيقى ونشرها باسم « النادي الموسيقي بحلب » وكان مقره وقتئذ في باب النصر . ثم انتسب عضو شرف في نادي « دوحة الميماس للموسيقى والتمثيل » في مدينة حمص وكان في تلك الاثناء مضوا عاملا في حزب الكتلة الوطنية الذي كان يتزعمه الزعيم الراحل ابراهيم هنانو ضد الانتداب الفرنسي ، فلحن الكثير من الاناشيد الحماسية والوطنية في مناسبات عديدة . فاذا ما انقضت العطلة الصيفية عاد الشيخ علي الى مقر عمله في تونس . . وقد عمل

عاد بعد ذلك الى مدينة حلب تاركا في قسطنطيني اجمل الذكرى وخلف عددا من التلاميذ أصبحوا اساتذة من بعده . . وعندما عاد الشيخ علي الى اهله وذويه في حلب كانت سوريا حينذاك تحت الانتداب الفرنسي . مكث ثلاث سنوات الف خلالها الكثير من الالحان الفنائية والآلية . مثل سماح عجم عشيران وسماحي نهاوند ولونقا فرحفا وغيرها . وقد بحث في هذه الفترة من الالحان العربية القديمة التي اشتهرت بها سوريا وخاصة مدينة حلب فجمع من التراث العربي الشعبي القديم وغيره ودونه وسجله بالعلامات الموسيقية الحديثة كالموشحات والقُدود والادوار وفواصل « اسق المعطاش » ورقص السماح مع تدون الحانها .

ثم انتسب عضوا عاملا الى نادي « الصنائع النفسية » وكان من اعضائه الاساتذة المرحوم شرف الدين الفاروقي والدكتور فؤاد رجائي والاستاذ سعد الدين القدسي مؤسس النادي وغيرهم .

وفي هذه الفترة سافر علي راس فرقة موسيقية الى استانبول ، نال هناك نجاحا باهرا ثم عاد مصطحبا معه عددا ضخما من الكتب والمؤلفات الموسيقية في شتى الفروع والاختصاصات في اللغات التركية والعربية وغيرها ، وفي عام 1927 م حتى عام 1931م رحل الشيخ علي الى القطر المصري ، بعد تسلمه دعوة رسمية من النادي الموسيقي الشرفي بمصر الذي أسس في القاهرة عام 1913 م . ذهب لتدريس الموسيقى هناك بعد ان اتفق اعضاء النادي المذكور الذي شمله الملك فؤاد الاول برعايته وعلى راسهم رئيس النادي مصطفى بك رضا ، على شراء كتاب مؤلف في الموسيقى للشيخ علي وتدريبه مدة اربع سنوات بصورة مبدئية على ان يكون للنادي الحق في نشر الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وتعرف اثناء اقامته في مصر على كثير من الشخصيات الفنية وغيرها . ودرس عليه في هذه الاثناء بعض المشهورين الان كالاساتذة : محمد عبد الوهاب ، رياض السنباطي والسيدة أم كلثوم . وكان الشيخ علي يعود الى حلب خلال عطلة النادي صيف كل عام . وفي عام 1931 م أي قبل انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية بسنة واحدة تعرف الشيخ علي في مصر بمستشرق انجليزي يدعى البارون ديرلنجيه والذي دعاه هذا الاخير للعمل معه في تونس لاتمام ابحاثه في الموسيقى العربية بعد ان اعجب بمقدرته الفنية ثم استحصل له من طريق النادي الموسيقي الذي كان يعمل فيه على

ايضا في الاذاعة التونسية وقام من تونس مع بعض الاصدقاء برحلات الى اوربا وحضر بعض الحفلات الموسيقية لدور الاوبرا والسفونوني اذ كان يعجب جدا بتلك الموسيقى التي وصلت الى ما وصلت اليه في تطورها من الرقي والكمال .

وفي هذه الاثناء توفي البارون دريلنجيه ماسوفا عليه بالنظر لخدماته الجليلة للموسيقى العربية وقبل مغادرة الشيخ علي الديار التونسية انعم عليه باي تونس آنذاك بوسام الافتخار من الدرجة الثالثة تقديرا له على خدماته للموسيقى العربية في المملكة التونسية .

وفي ابتداء الحرب العالمية الثانية عام 1939م قفل الشيخ علي راجعا الى وطنه تاركا آثارا طيبة واصدقاء وتلاميذ أصبحوا عمدة النهضة الموسيقية في تونس ومنهم الاستاذ صالح المهدي رئيس اللجنة القومية للموسيقى حاليا ، وعندما عاد الى حلب الف كتابا في الموسيقى بعنوان « النظريات الحقيقية في علم القراءة الموسيقية » .

وفي عام 1942 م . عين الشيخ علي مبيدا ومدرسا في المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق .

وفي عام 1944 م . سجل في محطة الاذاعة في القدس بفلسطين نخبة كبيرة من الموشحات القديمة ثم عمل مدرسا في معهد الفنون الجميلة في بغداد من عام 1945 حتى عام 1951 م . وقد سجل في اذاعة بغداد ايضا عدة تسجيلات من الموشحات القديمة وبقي هناك زهاء ست سنوات ، وفي عام 1946 م . كان الشيخ علي الدمامة الكبرى في تأسيس المعهد للموسيقى في حلب ولدى عودته الاخيرة الى الوطن عام 1951 م . عاد الى عمله السابق في المعهد الموسيقي ، هذا المعهد الذي أسسه المرحوم الدكتور فؤاد رجائي ثم عين الشيخ علي الى جانب عمله في المعهد مستشارا فنيا في دار الاذاعة السورية في حلب الى ان وافته المنية في مدينة حلب يوم الخميس المصادف في 12 ربيع الاول 1371 هـ . الموافق في 26 تشرين الثاني عام 1952م

من عمر ناهز الثامنة والستين وقد شيعت جنازه في حفل رهيب مشى فيها بعض الهيئات الحكومية وقد جاء خصيصا من اساتذة المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق للاشتراك بتشجيع جنازه الى جانب اساتذة وطلاب المعهد الموسيقي في حلب حشد كبير من الجمهور ، ودفن في مقبرة آقبول بحلب .

واورد هنا مقتطفات من قصيدة شعرية للشاعر التونسي محمود بورقيبة يمتدح بها ضيف تونس حينذاك المرحوم الاستاذ علي الدرويش عنوانها :
- رابطة الفن بين تونس وشقيقها سوريا -

يقول الشاعر محمود بورقيبة :

لمدة الفن اجلاسي واعظامي
الى «علي» الى ذي المركز السامي

الى الذي حل بالخضراء فافترفت
من فنه علم أوزان وانغام

الى الذي كان يلقي من شبيبته
دوما عواطف تقدير واكرام

الى ان قال :

« علي » بلغ لسوريا الشقيقة من
خضرائنا كل تبجيل واعظام

وعد لتونس يا استاذ عودة ار
هار الربيع لها في عذب تيسام

وانشر بأجوائها فنا رفعت له
رأسا كريما فاضحى شامخ الهام

الى أن قال :

سر عمدة الفن نحو الشام وابق لنا
الذكرى العزيرة ذكرى خير ايام

واحمل الى الشام من خضرائنا ارجا
مربون ود هبيب بالحشا نامي

والشرق في صدره لا زال يجمعنا
والفن قد ربط الخضراء بالشام

التحقيق العلمي

عند الدكتور مصطفى جواد

محمد ابراهيم الكنائي، الأستاذ في جامعتي القرويين
ومحمد الخامس « المغرب الأقصى »

أوفد المكتب الدائم الأستاذ محمد ابراهيم الكنائي ليمثله في حفل تأبين
المرحوم الدكتور مصطفى جواد ببغداد وقد ألقى الأستاذ باسم المكتب الدائم المحاضرة
الآتية :

ومنها الاخذ من نحو البصريين دون الكوفيين ، مع ان
مذهب البصريين مناب لطبيعة اللغات .

وفي (الصرف) يبين بطلان فكرة (المطاوعة) و
(المصدر الصناعي / و (عدم النسبة للجمع) .

وفي مشكلة معجمات العربية ومرتداتها يذكر ان
اللغة العربية محتاجة الى معجمات تستوعب الفصح
وغير الفصح ، والقديم والمولد ، والعربي والمغرب ،
وما ورد في كتب المسلمين الى زمن انتطاع التاليف
المتن .

ليذكر ان الكلمة العربية لها قيمتان دائما ، قيمة
معجمية لا حياة فيها ، وقيمة استعمالية هيوية ، وانك
اذا تصفحت هذه المعجمات اللغوية المتداولة قلما
تجد الشواهد القرائية لاستعمال الكلم مع انها تقدم
الشواهد تسجيلا واصحها .

فالمعجمات ينبغي فيها ان تأخذ وجوه استعمال
الكلمات في القرآن الكريم ، وتجب دراسة القرآن
دراسة لغوية ودراسة نحوية مودا على بدء . ففي ذلك
نمش للعربية من كيوتهما وتقوية وتوسيع .

ويعتبر ان من اعظم ميسرات العربية على
طالبها والكتاب الناشئين وضع (قواعد عامة)
تفنيهم في كثير من الاحيان عن مراجعة المعجمات ،
وتقدم 16 قاعدة امثلة لما يقترحه من القواعد .

ان الناظر في كثير من آثار النقيب الدكتور مصطفى
جواد رحمه الله ، — ولو كان معجلا ، يتجلى له
بوضوح متانة ثقافته واتسامها وعمقها ، واطلاعه
الواسع ، واستقلاله الفكري ، ومعرفته الكبيرة بالكتب

لهو ذو ثقافة لغوية متينة . شديد الحرص على
سلامة التعبير العربي من البسوخ والانحراف من النهج
السليم . وهو في نفس الوقت شديد العناية بمساييرة
اللغة العربية لركب التطور ، ومواجهة المشاكل التي
تعتري سبيلها ، وهو اذا كان عارفا بالتراث معتزا
به قادرا له حق قدره ، فانه في نفس الوقت يفرق من
معرفة واسعة بين ما هو من جوهر العربية وذايتها
القائمة على اساس المقدسات التي لا تحتل تطورا ولا
تبديلا . وما هو من اجتهادات المجتهدين التي يحق
لغيرهم ان يناقشهم فيها وأن يدلي من جهته بتجربته
الخاصة ، حسبما جرت عادة الباحثين في عصور
ازدهار الفكر العربي . وهو بهذا التفكير الاصيل المتحرر
في نفس الوقت ، يواجه مشكلة المصطلحات ومشكلات
نحو العربية وصرمها : من الجمود وعدم الابداع ،
ويعني بالجمود اتباع قداماء النحويين في سرد القواعد
من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من
الضرورة .

ويذكر من اسباب اختلال النحو اختلالا ملحشا
مصله عما يسمى (علم المعاني) الذي كان من النحو ،

والدقة في التعبير ، وعدم القاء الكلام على عواهنه ،
والعفة في المنطق ، والتواضع وعدم الدعوى .

وكما يتجلى فيها بوضوح شغفه الكبير بالكتب
ومعرفته الواسعة بمطبوعاتها ومخطوطاتها ، والصحيح
والسقيم من طبعاتها ، وما هو منسوب خطأ لنفسه
مؤلفه ، ومن هو مؤلف بمض من جهل مؤلفه منها وما
هي قيمتها ، وما هو تام منها وما هو ناقص ، والموجود
منها وأمكنة وجوده ، وما هو مجهول المكان ، فإن ذلك
يتجلى أيضا فيما نشره عن الكتب من دراسات
ومقالات لا تعد ، مما يؤكد صحة ما قاله الفقيه رحمه
الله عن الكتب والمخطوطات في الحديث الذي نشرته
مجلة (أقلام) في الجزء الأول من السنة السادسة بقلم
الأستاذ سالم الألوسي : (أنها عماد حياته وسر
بقائه) .

وتدبرها قيل : (العلم معرفة المظان) فمن لسم
يعرف المراجع التي تناولت الموضوعات المختلفة وتبية
هذه المراجع من الناحية العلمية ، لم يستطع معرفة ما
يحتاج معرفته أو لم يكن على ثقة من صحة ما يجده
فيها .

ومن أمثلة تحقيق الفقيه العلمي في دراسته للكتب ،
بحثه القيم عن (الفوائد من معجم الأدباء) لياقوت
الرومي الحموي ، فقد بين فيه وقوع النقصان فيه ،
وفي مواضع لم ينشأ لها ناشره مرجليوت ، وفقدان
القسم الثاني من الجزء الثالث والشك في كون الجزء
الرابع أصلا أو مختصرا فقط ، وأن السابع مختصر
مقط ثم شك في أن يكون كل من الجزأين الرابع
والسابع منتزعين من (معجم الشعراء) لياقوت
الحموي ، أن لم يكونا جزأين منه ، ثم عتب بذكر
تراجم تعتبر ضائعة من معجم الأدباء عثر عليها من
مطالعائه وتصفحاته ، وقد وثقت منها على 46 ترجمة
في المجلدين السادس والسابع من مجلة (المجمع العلمي
المراقي) وقال : له صلة ، فما أدري أنشر شيئا بعد
ذلك أولا ؟

ويعتبر ميدان تحقيق المخطوطات من أبرز ميادين
التحقيق العلمي .

وغير خاف أنه كان للمعرب والمسلمين في معمر
ازدهار الحضارة العربية والثقافية الإسلامية تقاليد
رائعة في ميدان تحقيق المخطوطات ، فقد كان المؤلف
يكتب تأليفه ويصححه ، ثم يمليه على الطالب وهو
يكتب ثم يقرأ الطالب على المؤلف ما كتبه والمؤلف
يمسك نسخه ، فيصحح الطالب بين يدي المؤلف ما

وكل هذا في مقدمة محاضراته عن (المباحث
اللغوية في المراقي) وقد أشار في أواخرها إلى
مؤلفاته في هذه الموضوعات : (المعجم المستدرك)
الذي نشر منه شيئا في (مجلة المجمع العلمي المراقي
تحت عنوان (مبحث في سلامة اللغة) و (المصحح
النذير ، للمصباح المنير) و (قل ولا تقل) و (فقه
اللغة العربية) على حسب مباحث العلم الحديث في
المباحث اللغوية ، وقال : أن فيه مباحث من قبيل
الابداع ، لا التحسين والاتباع ، (وكتاب القلب
والابدال) قال : وتغلب عليه الجدة والاستنباط .
و (نهج السداد ، في كلام النقاد) و (معجم الجمل
العربية - الفرنسية) وحقق ونشر بالاشتراك
الجامع الكبير (لابن الأثير في البلاغة . وقد كان يعرب
إلى جانب العربية والفرنسية الفارسية والألمانية .

وهو كذلك ذو اطلاع واسع في التاريخ ولمروعه
المختلفة من تاريخ الحوادث والتراجم والحركة الفكرية
ووصف البلدان وأتوال الرحالين والأدباء في ذلك .

وقد نشر في هذه الموضوعات كثيرا من المؤلفات
والبحوث والدراسات ، وحقق كثيرا من المخطوطات

مثل دراسته عن (ابن الفوطي / وعن (بقية
الإدارة بمصر) ، وعن (أصلهان ، معقل الأدب
العربي في إيران) و (معجم مواضع واسط وأميان
واسطيون من حملة العلم والأثر) و (الثقافة العقلية
والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا) و (الفتوة
وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين) و
(جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين)
و (علم ابن النديم باليهودية والنصرانية) وكلها نشرت
بمجلة المجمع العلمي المراقي ، و (سيدات البلاط
المباصي)

كما نشر بالاشتراك (دليل خارطة بغداد) وحقق
وعلق ونشر (الجزء التاسع من الجامع المختصر ،
و (نساء الخلفاء) كلاهما لابن الساعي . و (تكملة
إكمال الإكمال) لابن الصايوني ، و (المختصر المحتاج
إليه من تاريخ ابن الديبشي) والقسم الرابع من
(تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي) . وهذه الآثار
- وغيرها - من آثار الفقيه إلى جانب كونها تدل على
سعة ثقافته وتنوعها وعمقها وأصالتها ، تتسم في
الغالب بطابع التحقيق العلمي ، من جهة .

وتدل من جهة أخرى على ما كان يتصف به
الفقيه من الكثير من أخلاق العلماء ، من التثبت والتعري

المعلمين الى الميدان — ولهم من يحملون شهادات عليا من جامعات اجنبية — وقيامهم بأعمال مشوهة باسم التحقيق العلمي ، ممن دعا الى وضع رسائل عن المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات ، فيها الاصيل وفيها المنقول .

وقد كان القيد — رحمه الله — من أبرز العاملين في ميدان التحقيق العلمي للمخطوطات ، ولكننا لا نعرف له رسالة خاصة أو مقالا عن المنهج العلمي لهذا التحقيق (1) وبالرجوع الى بعض أعماله في هذا الميدان نستطيع استخلاص بعض آرائه في الموضوع .

وستنجد عنه في رسالة (نساء الخلفاء) لابن السامي التي نشرتها (دار المعارف) بمصر بدون تاريخ ضمن سلسلة (ذخائر العرب) رقم 27 مرجعا في هذا البحث .

(1) اسم الكتاب

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء من الحرائر والاماء) وسماه صاحب (كشف الظنون) (نساء الخلفاء) مجمع المحقق بين الاسمين بتقديم الثاني لوضوح معناه ، وتأخير الاول نظرا لعظم استمرار استعمال كلمة (جهة) فيما كانت تستعمل فيه .

(2) مؤلف الكتاب

لم يكتب اسم المؤلف على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

وقد نسبته الأستاذ مكرم بن خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول الى كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطى المؤرخ ، متصدى المحقق لبيان بطلان هذه النسبة التي لا دليل عليها لا في الكتاب ولا خارجه ، وقدم أربعة أدلة على انه لابن السامي لا لابن الفوطى استغرقت خمس صفحات .

ثم بين خطأ أعمال كتابة اسم المؤلف على الكتاب ، وذكر ان المؤلف المعروف في زمن قد تذهب شهرته أو كثير منها في عصر آخر وأورد أمثلة على ذلك

(3) التعريف بالمؤلف وعصره

لقد كان الترتيب الطبيعي يقتضي تأخير التعريف بالمؤلف وعصره الى ما بعد اثبات انه ابن السامي لا

عساه يكون قد صدر منه اثناء الكتابة من خطأ ، وبعد فراغ الطالب من مقابلة جميع الكتاب مع المؤلف يكتب له المؤلف بخط يده وتوقيع على نسخته شهادة بان الطالب قد قرأ عليه هذا الكتاب وقابله معه حتى أصبحت نسخته هذه طبق اصل المؤلف ، ويضيف المؤلف لذلك ما مؤداه اعترافه بان هذا الكتاب من تأليفه وانه موافق على صحة هذه النسخة باذنه لهذا الطالب (واجازته) له ان يروي عنه هذا الكتاب ، وهكذا يفعل هذا الطالب عندما يصبح استاذاً مع طلبته ، منتزع من نسخة المؤلف الاصلية لمروع طبق الاصل بقدر من قراوها على المؤلف وقابلوها معه واجاز لهم روايتها عنه ، ثم تنتزع عن كل نسخة من هذه النسخ المطابقة لاصل المؤلف نسخ عديدة طبق المروع المنسوخة منها ، وهكذا دواليك .

وقد عرف تاريخ الثقافة الاسلامية نسخا اصلية مصححة ومقابلة استمرت الاجيال المتعاقبة في مختلف الاقطار تتناقلها وتقابل عليها المروع المستنسخة منها ، وتتصل روايتها عن مؤلفها أو ناسخها بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، وكان اهل العلم يتنافسون ويتغالون في الحصول على هذه النسخ ويعرفون لها تيمتها . على انه لا نكران انه كان الى جانب هؤلاء المثبتين المتحررين الممتنين طائفة أخرى من النساخ الجاهلين الذين لا ذمة لهم ، مما استحقوا معه ان يسموا بالماسخين !

وظهرت المطبعة العربية اول مرة في اوربا وقام اعاجم غير مسلمين بطبع بعض المخطوطات العربية لاغراض خاصة . وعلى نطاق محدود ، وكانت عندهم امكانيات مادية كافية ، ولم يكن بعضهم يخلو من معرفة وروح علمية .

وعندما انتقلت المطبعة العربية الى البلاد ذات الثقافة العربية قامت بعض المؤسسات الرسمية باسناد مهمة تصحيح المطبوعات العربية الى طائفة من اهل العلم ، فنشرت مخطوطات مهمة لا تنقصها الصحة في كثير من الاحيان ، ولكن تحول نشر المخطوطات الى عملية تجارية كان نكبة مظيمة للكتاب العربي مسخته مسخا شنيعا ، مما دفع بعض المخلصين للتراث العربي في بعض البلاد العربية الى القيام بحركات لاتخاذ الكتاب العربي بنشره نشرًا علميا .

ولكن هؤلاء المحققين لم يسلكوا منهاج واحد في التحقيق ، وزاد الامر تعقدا تسرب جماعة من انصاف

(1) علمت بعد لقاء هذا البحث في المهرجان الثابني ان له بحثا مخطوطا في الموضوع .

5 () اصلاح اخطاء النسخة

ذكر المحقق انه صحح ما في النسخة من خطأ النسخ ، فالتاسخ نقل في عدة مواضع ما لم يلقه من الكتاب ونسخ ما هو غير واضح ، الى اخطاء املائية يرتكبها .

وقد حدث خلل في النسخة : وهو ان تسما من اخبار احدي المترجمات ادغم في اخبار ترجمة اخرى ، فاستوجب ذلك تنبيهها واصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك احد قبل المحقق .

ونشير الى ان من محققي المخطوطات من يحافظون على ما في النسخة كما هو صوابا وخطا ، ثم يعلقون في الحاشية ببيان الاخطاء ووجه الصواب فيها ، ومنهم من يصلح الاخطاء ، في الاصل وينكر في الحاشية ما كانت عليه في المخطوط ، ووجه اصلاحها .

وقد سلك الفقيه هذا المسلك الاخير في (نساء الخلفاء) اربعا وعشرين مرة ، منها ما هو خطأ نحوي ، ومنها ما هو خطأ في الاعلام ، ومنها ما املحه اعتمادا على المصادر ، ومنها ما اصلحه لعدم مناسبته المقام ، ومن امثله :

ومطربها (بمعزفه) ... يؤوب الى نوائحها .
مكان (بمعزفة) قال : لا محل للمعزفة فيه ، وانما العبرة في صيرورة المطرب بمعزفه الى النوائح !

ولكن المحقق ابقى اخطاء اخرى على حالها ونبه على خطئها مثل (الرزازين) التي هي تصحيف الزرادين و (قصر الخلافة) والصواب قصر (الرضاة) و (ظفرسي) الداهي العلوي ، وهو قريب من ظفر ابن الداهي العلوي .

وتارة يبقى الخطأ على حاله ويضيف كلمة (كذا) اليه . هذا كله فيما اتضح فيه وجه الخطأ ، اما ما كان محتملا فانه يكتفي على حاله ويذكر الاحتمال في التعليق ، فقد وردت في المخطوط — مثلا — كلمة (فتلبتها) ويجوز ان تكون (فتلبتها) كأنها عملت ذلك احتراماً لمهديها .

6 () هل الكتاب تام أم ناقص ؟

استظهر المؤلف في تعليق (ص 53) انه ناقص .

7 () هل التزم المؤلف شرطه ؟

ختم المحقق تصديره بان المؤلف لم يلتزم شرط

ابن الفوطي ولا غيره ، ولكن المحقق رأى ان الادلة التي قامت له على انه ابن السامي تنفي كل احتمال ممكن في انه لغيره ، ولذلك تجاهل هذا الاحتمال اولا وتصدى للتمريف بمصر المؤلف والمؤلف فاورد ما قاله ثمانية من الرحالين والمؤرخين من الحالة السياسية في عصر المؤلف . واورد قائمة بأسماء بعض الشعراء والعلماء ، بمعنى العلم الصحيح ، والمؤرخين .

وفي كلامه على سيرة المؤلف ، ذكر مولده ، وأشار الى عدم وجود ذكر لوالده في التاريخ ، وبين معنى السامي وسماع المؤلف للحديث ، ودراسته الادب والتاريخ ولبسه خرقة التصوف وشيوخه .

ثم ذكر ان بعض من ذكروا المؤلف التبس عليهم اسمه ابن السامي بابن الساماتي ، وبين غلطهم .

وان ابن السامي عرف بالخازن ، وبين معناه وذكر أسماء بعض من كانوا يختلفون الى دور الكتب في هذا العصر ، وان ابن السامي ألف أكثر كتبه في أيام الدولة العباسية ، وان العباسيين كانوا يجيزونه عليها ، وأضاف : وهذا يطعن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق !

ثم ذكر بعض من استمد من تأليفه ، وقيمتهم كمؤرخ وضعت طعن من طعن فيه ، ثم أورد قائمة بأسماء مؤلفاته ومن ذكر كل واحد منها .

ويقع هذا التصدير في 40 صفحة بالحرف الصغير بينما تقع الرسالة بتعاليقها في 92 صفحة أغلبها بالحرف الكبير .

هذا — وقد سبق للمحقق ان حقق ونشر الجزء التاسع مع المختصر ، في فنون التواريخ وفنون السير لابن السامي . ومصدره بمقدمة ترجم فيها المؤلف ، وذكر نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها ، والخلافة على عهد الناصر لدين الله فيعتبر عمله في تصدير (نساء الخلفاء) تنهيا لعمله السابق .

4 () مصدر النسخة وصفتها

ذكر المحقق — في التصدير — كيف علم بوجود النسخة ومكانها ، وكيف تم تصويرها ثم اخراجها على الورق وتيامه بنسخها ، ووصف خط النسخة وذكر تاريخها .

كتابه بتضمنه اياه نساء الخلفاء ، فقد اضاف اليه من نساء السلاطين والامراء .

(8) شكل الكلمات

ويولي التقييد رحمه الله مناهة خاصة للكلمات التي تحتل الخطا عند النطق بها فيشكلها بالحركات مثل : المعكري ، وبغا والديشي ، والسهورودي ، والجناذدي ، وخبارويه ، وبنلشا ، والصلح .

وضبط شمة بفتح الشين والميم ، فزارا من قول من قال : ان تسكين الميم من كلام المولدين — وان لم ينه على ذلك .

واحيانا يناقش المصادر في ضبطها لبعض الكلمات .

فعرّب ضبطها الذهبي بالضم . ولكن ورد في الجزء الثامن عشر من الأغاني شعر يدل على ان الميم مفتوحة والراء مكسورة .

وبنان بضم الباء وضبطها مصححوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بالفتح .

(9) تفسير الكلمات المحتاجة الى تفسير

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء) — جمع جهة وهي كناية من زوجة الخليفة او حظيته ، او زوجة السلطان او حظيته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ، واريد بها احيانا السيدة المتزوجة مطلقا . ووردت كلمة (البدنة) في كلام المؤلف واحمد ابن ابي طاهر وابي جعفر الطبري ، بدون تفسير ففسرها واستعمل المؤلف كلمة (الفابرين) بمعنى الباقين وهذا هو الوجه الصحيح في استعمال الفابر وهو الوارد في القرآن الكريم ، واما استعمال الفابر بمعنى الباهي وكونه من الاضداد كما عند ابن الانباري فغاشىء — من رأى الحق — من تصحيف العابر بالمعين البهمل .

(10) التعريف بالامكنة الوارد ذكرها في النص

اذا ورد ذكر مكان ، وكل الامكنة الوارد ذكرها من بغداد ، فان المعلق يعين المحل الذي كانت توجد فيه .

مقصود دار الخلافة ومراقبتها كانت في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرقية .

ومحلة نهر عيسى تسمى اليوم محلة السوق الجديد من الجانب الغربي من بغداد وما قاله ياقوت عن نهر عيسى مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي ، واكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب انهار العراق لابن سرائيمون .

والظاهر ان سوق الخبازين كان مجاورا لدرب الخبازين المعروف اليوم بدرب العاتولية بشارع بغداد ويعرف بسوق الحيدر خانة .

ومن المعروف ان المحقق الف في هذا الموضوع بالاشتراك — كما سبق القول — (دليل خارطة بغداد) .

(11) التعريف بالاشخاص

يملق المحقق — غالبا — على اسم المترجمة في الكتاب بذكر مراجع ترجمتها ، وبعض المراجع التي لها فيها ذكر ، مطبوعة ومخطوطة ، مع ذكر الجزء والصفحة ومكان الطبع وتاريخه — غالبا في كل ذلك — ويذكر في المخطوط — زيادة على الجزء والصفحة — المكتبة التي يوجد بها ورقه ، والمكتبة التي توجد بها صورة عنه ان كانت هي التي رجع اليها ، ويكرر ذلك كلما ورد ذكر الكتاب .

وقال من واحدة انه لم يجد لها ذكرا في كتب التاريخ والادب التي وصلت اليها يده سوى كتاب واحد وقال من أخرى انه لم يقف على ذكر لها في كتاب آخر .

ولكنه لم يشر الى مراجع 16 ترجمة ، فالظاهر انه لم يقف على ذكرهن من غير ان ينه على ذلك .

(12) الرجوع الى المراجع التي احال عليها المؤلف

من أبسط قواعد التحقيق العلمي ان يتأكد المحقق مما ينقله المؤلف من مرجع من المراجع . فمعرفة هل هو موجود فيه أولا ، واذا كان موجودا لما هو مقداره مطابقته لما نقله عنه المؤلف .

وقد نبه المحقق على عدم وجود بعض ما ذكره المؤلف في المصدر الذي رجع اليه .

محمد بن الأخضر ، ومحمد بن داود هو ابن الجراح ،
والمشهور بأبي عبد الله الحنبلي في عصر ابن النجار
هو أبو عبد الله محمد بن مكي بن أبي الرجاء الملقب
تقي الدين .

15) التنبيه على أوهام المراجع

ويولي الفقيد رحمه الله عناية بالغة للأوهام
الواقعة في المراجع لميهم بالتنبيه عليها وبيان الصواب
فيها ، فقد نسب ابن خلكان للسمعاني أنه ضبط كلمة
جهير بالضم وهو غلط ، مع أن الوارد في (الانساب)
هو الفتح ، وكذلك ما في مختصره (الباب) .

وبنابن بضم الباء ، وضبطها محققوا كتاب الاغانى
بدار الكتب المصرية بفتحها .

وظن ابن ثغرى بردي أن ابن السامى كان حنانيا
مع أنه شامي ، وقد نبه المحقق على ما يمكن أن
يكون السبب في ظنه هذا .

وذكر علي بن الحسن الخزرجي ابن السامى
نسباً ابن الخازن والصواب الخازن .

ومن مؤلفات ابن السامى (الاحاديث الثمانية) .
وقد ورد في بعض المصادر (البيانية) من غلط النسخ
أو الطبع .

ولابن السامى كتابان في نساء الخلفاء ، وقد
حسبهما الذهبي وبعده الصفدي وتابعه ابن ثغرى
بردي كتاباً واحداً .

وسمى المؤلف أحد شيوخه عبد العزيز بن
المبارك ، وجاء في (تذكرة الحفاظ) للذهبي : عبد
العزيز بن مسعود ، وهو خطأ ، ولم يصحح هذا
الخطأ مصححو « معجم البلدان » (طبعة دار صادر
ببيروت) .

وذكر ياقوت باب المحول من الجانب الشرقي من
بغداد والصواب الغربي .

وتردد صاحب مختصر بغداد في نسبة خبر
للمعتضد أو المعتد والصحيح أنه المعتد .

ولقب ابن النجار في (النجوم الزاهرة) بمجد
الدين بدلا من محب الدين وهو من خطأ النسخ وعدم
التصحيح في الطبع !

وقد نقل المؤلف من الجهشيارى فلم يجد المعلق
الخبر في المطبوع من كتاب (الوزراء والكتائب) لأن
المطبوع ناقص كما هو معلوم .

ونقل المؤلف من ابن الجوزي فلم يجد المؤلف
الخبر في (المنتظم) لأنه انتهى قبل ذلك التاريخ ،
فالظاهر أن هذا الخبر من (درة الاكلیل) .

ونقل المؤلف من أبي بكر الصولي فاستظهر
المعلق أن المؤلف أخذ هذا القول مما ذكره أبو الفرج
في اخبار أبي المتاهية .

وأورد المؤلف كلاماً مضطرباً فأصلحه المعلق من
(مروج الذهب) . والذي جرت به مادة محققى
المخطوطات وعليه درج الفقيد في كثير من تحقيقاته ،
(تلخيص مجمع الآداب) مثلاً ، بيان جزء المصدر
والصفحة الذين يوجد فيهما ما نقله المؤلف .

ولكنه أهمل هذا في تحقيقه (لنساء الخلفاء)
وقد ذكر المؤلف في ترجمة (عنان) أن لها اخباراً مدونة
ذكرها أبو الفرج الاصلهاني في (كتاب الاغانى) وذكر
المعلق في مراجع ترجمتها الاجزاء : العاشر والعشرين
والثالث والعشرين المخطوط . ولكنه لم يذكر في أى
جزء من هذه الاجزاء يوجد أنه ما نقله المؤلف .

وكذلك في ترجمة هريب ، وبدعة الكبيرة .

وكذلك فيما نقله عن (كتاب بغداد) لأحمد بن
أبي طاهر ، ونقل من كتاب (الورقة) لابن الجراح
مذكر المعلق أن المطبوع منه ناقص ، ولكنه لم يشير إلى
ما إذا كان ما نقله المؤلف موجوداً في المطبوع أولاً
إلى غير ذلك .

13) التعريف بالمراجع

وقد يغيب المحقق التعريف بالمرجع الذي نقل
منه المؤلف فقد نقل عن تاريخ ثابت بن سنان بن مرة ،
فنقل عن القفطي التعريف بهذا التاريخ ، وبيان المدة
التي أرخها وأهيمته .

14) ايضاح المبهات

فالحافظ أبو عبد الله البغدادي هو محب الدين
محمد ابن النجار وأبو القاسم الأرجي هو يحيى بن
أسعد بن بوش ، وأبو أحمد الامين هو عبد الوهاب
ابن سكينه ، وأبو محمد الجنابدي هو عبد العزيز بن

وفكر ابن جبير دار أبي الفرج ابن الجوزي ،
مع انها مدرسة بنفشا وكان يسكن فيها لانه كان
مدرسها يومئذ .

وكان انشاء تربة عون ومعين ايام الناصر .
واخطا الصلاح الصفدي غنسب عبارات الناصر ومنها
تربة عون ومعين الى ابيه محمد الظاهر .

ووقع في ترجمة ثابت بن سنان في تاريخ الحكماء
للقفطي اضطراب في تاريخ وماتته : حيث ذكر مرة
انها كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ومرة سنة
خمس وستين وثلاثمائة . وورد اسم (شاهنرد) في
تاريخ الطبري وفي الكامل شاه آبريد ، وفي بعض
نسخ (مروج الذهب) للسمودي (سارية) وهو
تصحيف .

ورجح ابن خلكان ما ورد عند العماد في (الخريدة)
على ما ورد عند السمعاني لظنه ان بينهما تعارفا ،
فبين الحق انه لا تعارض بينهما .

وورد ذكر أبي بكر ابن الملط ، مذكر الملط
مصادر ترجمته وقال : وهو صاحب الابيات المشهورة
في رثاء البرد ، وليست هي لثعلب كما ذكر الكمال بن
الانباري في (نزهة الالباء) .

16) التعريف بمؤلفي بعض المخطوطات الغفل

نقل المحقق عن (ذيل تاريخ بغداد) لابن
الديبي ، نسخة كمبريدج ، وزاد : ولم يعلم المفهرس
انه تاريخ ابن الديبي وقد حققنا ذلك وتأكد لنا .

17) التنبيه على الخطأ في نسبة بعض المؤلفات لفير مؤلفيها

تقدم انه بين ان (نساء الخلفاء) لابن السامي
لا لابن الديبي ، ومن مؤلفات ابن السامي (اخبار
الخلفاء) ، واما هذا المطبوع المسمى (مختصر اخبار
الخلفاء) فهو مدسوس عليه نخله اياه بعض المزورين
الذين اعتادوا التزوير في كل امورهم وشؤونهم !

و (المحاسن والاضداد) منسوب خطأ للجاحظ .

وكتاب (الفخائر والتحف) مجهول المؤلف ، وقد
نسب الى القاضي الرشيد ابن الزبير ، وكتب تحته
(القرن الخامس الهجري) . قال المحقق : وكل ذلك
خطأ على خطأ !

وذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حميد
الله انه مع سميح لم يكثر على ترجمة القاضي
الرشيد ، مع انه مترجم بتفصيل في مصادر اوردها
المحقق . وهو من اهل القرن السادس لا الخامس .
ثم قال : ونسبة الكتاب المذكور اليه - وهو من تاليف
القرن الخامس - خطأ مبين يجب اصلاحه ، ولعله
من مؤلفات ابن بابشاد المشهور .

و (طبقات الشعراء) منسوب لابن المعتز .

18) التنبيه على نقصان بعض الكتب

الظاهر ان ترجمة عبيد الله بن احمد بن ابي
طاهر فقدت فيها نقد من (معجم الادباء) .

والمطبوع من (كتاب الوزراء والكتاب) للجيشياري
ناقص كما هو معلوم ، وما أكثر المفقود منه !

والمطبوع من (كتاب الورقة) (بعناية دار
المعارف !) وتحقيق الاستاذين الدكتور عبد الوهاب
عزام وعبد الستار لراج خال من الترجمة التي نقلها
ابن السامي فالنسخة ناقصة .

وقد ورد في (اخبار النساء) خبر منقول عن
(الورقة) لا يوجد في المطبوع .

ومنها نقل عن أحمد بن أبي طاهر لا ذكر له في
المطبوع منه المعروف (بأخبار بغداد) .

ونقل عن تاريخ هلال بن محسن الكاتب لا ذكر
له في المطبوع منه للمحق (بتاريخ الوزراء) لهلال
المذكور ، فهو ناقص .

19) التنبيه على خطأ تسمية بعض المؤلفات

كان التقيد قد صحح تديبا مخطوطا غسلا من
التسمية وتسمية المؤلف ، سماه في المطبوع (الحوادث
الجامعة) لكمال الدين ابن الفوطي ، وقد مدره ناشره
بمقدمتين اولاهما بقلم صديقنا الاديب الكبير محمد رضا
الشبيبي رحمه الله ، وقد جاء فيها : (ومن رأيي
- وقد تصفحت الكتاب - انه كتاب (الحوادث
والتاريخ) لمؤلفه ابن الفوطي ، وزاد : وان لدينا من
الادلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب الغفل الى العلامة
المذكور .

وثانية المقدمتين بقلم الفقيه ، مصحح الكتاب والمعلق عليه ، وقد اورد اسم (الحوادث الجامعة) بدون نقاش .

وذكر اول من نسبه لمؤلفه في عصرنا .

ولكنه في تعاليقه على (نساء الخلفاء) يقول : الكتاب الذي سميناه (الحوادث الجامعة) استرجاحا فظهر انه غيره !

(20) التنبيه على قيمة بعض الطبقات

ينقل المحقق من (وفيات الاعيان) طبعة بلاد المجر ، ثم قال عنها انها اصح من الطبقات الاخرى .

(21) اضافة ملحق للكتاب

اضاف المحقق الى (نساء الخلفاء) ملحقا اورد فيه اخبارا متعلقة ببعض المترجمات في الكتاب وردت في (الذخائر والتحف) السابق الذكر .

(22) الفهارس وقائمة المراجع

الفهارس مفاتيح الكتب ، فالكتاب الذي لا فهارس له تكون الاستفادة منه صعبة وفي نطاق محدود . ولهذا كان وضع الفهارس من اهم ما يقوم عليه المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات .

وقد اختلف موقف الفقيه من هذه القاعدة فهو تارة يضع الفهارس اللازمة والمتنوعة ، مثل ما فعل في جزء (الجامع المختصر) .

حيث اضاف له خبسة فهارس احدها للكلمات المفسرة وآخر ممراني للاخلاق والمعادن والشؤون الاجتماعية ، وفي (تكملة اكمال الاكمال) لابن الصابوني حيث اضاف له اربعة فهارس ، ثالثها للفوائد الشاردة وفي (الجامع الكبير) لابن الاثير ثمانية فهارس .

وفي (دليل خارطة بغداد) فهرسان .

وتارة اخرى يكتفي بفهرس مختصر مثلما فعل فيما ساء (الحوادث الجامعة) .

ومثل جزاي (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديبني) حيث ذكر في الاول مراجع التصحيح والايضاح والتراجم ، وفي الاخير ثبتا مختصرا للمترجمين في الجزء ، ومثل القسم الثالث من الجزء

الرابع من (تلخيص مجمع الاداب) لابن الفوطي حيث اقتصر على فهرس ابواب هذا القسم الثالث من الكتاب ، ووعد ان يثبت في القسم الرابع والاخير منه الفهارس العامة التفصيلية للجزء الرابع كله ، ولم اقف الا على القسم الثالث وحده .

ولكنه تارة ثالثة لا يضع فهرسا بالرة مثل سيدات البلاط المباسية و (نساء الخلفاء) .

واذا كان مظهر (سيدات البلاط) لا يدل على طابع تحقيق علمي ، لخلوه من التعليقات والمصادر مآخرى الصفحات وما يتبعها ، الى جانب الصورة التي على الغلاف !

فان النسخة التي وقلت عليها من (نساء الخلفاء) خالية من الفهارس والمراجع ، لما ادري استطت من هذه النسخة نقط ، ام ان المحقق رأى ان صفر الرسالة في غنى عن الفهارس ، او انما الفيت من طرف الدار (اقتصادا في النفقات !)

(22) اخطاء الطبع

تلما يسلم مطبوع من خطأ مطبعي ، و (نساء الخلفاء) التي بذل محققها رحمه الله جهودا في التحقيق والضبط لم تسلم من خطأ مطبعي !

ومن امثلة ذلك في ص 60 بفتح الواو والصواب البيم ، وفي 135 السادس والصواب الخامس ، وفي 124 الجبازين والصواب الخبازين ، وفي 120 واقرت والصواب واقرت .

وكثير من محققي الكتب يوردون في آخر الكتاب جدولا للخطأ والصواب ولم يرد في (نساء الخلفاء) شيء من ذلك !

(23) نماذج مصورة من الاصل

في اول الكتاب صور 3 صفحات من المخطوط لتمكين القارئ من تكوين فكرة عن المخطوط .

الاستطراد

ومن مظاهر اتساع ثقافة المحقق استطراده المابر المفيد .

فالتصوف والتشيع اخوان ، واوقف ابن السامي كتبه على المدرسة النظامية قبل موته بقليل ، كما هو

وهذه العبارة الاخيرة ليست من باب التواضع
ولكنها الحقيقة الواضحة ، وصدق الله العظيم : (ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)



هذه صورة من ثقافة الفقيه واخلقه العلمية
كما تتجلى للناظر في كثير من آثاره ، ومنها يتجلى انه
رحمه الله كان علما بارزا من اعلام النهضة الثقافية
العربية في هذا العصر .

ولعل مما ساعده على ذلك انه تنقش في اول
امره ثقافة اسلامية عربية متينة خالصة ، ولم يتصل
بالفكر الاجنبي الا بعد ان تكونت شخصيته تكوينا
سليما ، فلم يصب بما أصيب به الكثيرون ممن اتصلوا
بالفكر الاجنبي في هذائهم فنجح في مسخ شخصيتهم ،
وقطع صلتهم بترائهم الفكري والحضاري المجيد .

رحم الله الفقيه رحمة واسعة ، وجزاء احسن
الجزاء ، كناء ما قدم من خدمات جليلة للغة العربية
وقرائها واحسن عزاء الامة العربية التي لمقتد نبيه
ركنا من اركان نهضتها ، ووفق تلاميذه لمواصلة اداء
رسالته في خدمة اللغة العربية وتراثها ، وعسى ان
يقوم المجمع العلمي العراقي بجمع جميع مقالات
الفقيه وبحوثه المتفرقة في اعداد مجلة المجمع وغيرها
من المجلات وطبعها حتى يعم الانتفاع بها ، وتسهل
الاستفادة منها ، فان مجلة المجمع — مثلا — على
اهميتها الكبيرة محدودة الانتشار جدا في الوطن العربي .

كما ان من الواجب الاكيد ايلاء عناية خاصة لآثار
الفقيه المخطوطة حتى تخرج للوجود ويستفيد منها
قراء العربية في كل مكان .

وشكرا جزيلا لوزارة الارشاد على ثبنيها لهذا
العمل الجليل واتاحتها لهذه الفرصة التي مكنت زمرة
من اهل الفكر العرب ان يجتمعوا في دار السلام التي
افنت الفكر العربي والاسلامي بالآلاف العلماء والمؤلفين
الذين انجبتهم في عصورها الزاهرة ، والذين قاد
الكثيرون منهم الفكر الاسلامي والعربي في مختلف
انحاء الوطن العربي والاسلامي عدة قرون .

عادة العلماء الوافدين كتبهم على المدارس ، وفعل ذلك
تقبله ابن النجار ، ودفن ابن الساعي بمقبرة الشويخية
بالجانب الغربي من بغداد ، وهي مقبرة الصوفية وذوي
المشرب الصوفي وان لم يتصوفوا ، وفيها دفن الجنيد
الصوفي الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد
معروفا مزورا .

ومن شيوخ المؤلف ابو البقاء العكبري المنسوب
اليه (شرح ديوان ابي الطيب المتنبي) المطبوع غير
مرة مع انه تاليف عفيف الدين علي بن عدلان الموصل
المتوفى سنة 666 هـ .

الاعتراف بالجميل

وقد كرر المحقق التنويه بفضل ماسينيون الذي
كتب اليه مخررا بوجود المخطوطة في استانبول . كما
نوه بالاستاذ (احمد آتش) التركي الذي صور
المخطوطة بالمايكروفيلم (يعني الشريط الدقيق) .

وهكذا تجد الفقيه يعترف لكل ذي فضل بفضل
ولا تشمر انه يحاول غبط حق احد ممن يرد ذكرهم
في كلامه ، وهو اذا كان حريصا على بيان الاخطاء
التي وقع فيها المؤلفون فانه يعبر عن ذلك بمعارات
مهذبة ولبقة ، مع التماس الامذار لكل مخطيء غالبا ،
وفي كثير من عباراته التي اوردناها سابقا امثلة على
ذلك .

وقد علق على وصف الموفق بالامام : ولم يكن
الموفق اماما اي خليفة ، بل كان ولي عهد ، فان صح
ان هذا تول المؤلف فهو خطأ ، ولعل الاصل الامير .

التواضع

ويرجو المحقق ان لا تخلو تعاليقه من مائدة
يقطنها القارىء في اثناء تراءته الكتاب ، والباحث عند
استبداده منه ، ويزيد : ولا أبريء نفسي من تقصير
ولا من ذهول مان نشر كتاب مخطوط اول مرة لا يبلغ
الكمال في كل الاحوال .

الفكر العلمي العربي

في شخص العباس بن فرناس

حكيم الأندلس
الأستاذ سعيد السويدي
عضو مجمع بعالي العراقة

ومناظرات ومجادلات علمية ، وما يلقيه علماء الأندلس
من طريف ما أخذوه من المشاركة .

ويقصد المجالس الأدبية ، ويستمع الى شيوخها
استماع متبصر ، يريد ان يستفيد مما يجري في
الحلقات والمجالس ، مما كان يلقيه شعراء الأندلس
وأدباؤها من جميل النظم والنثر ، ومن غريب
الاخبار واللفة التي اخذوها من اهل المشرق .

وكان يتردد الى اصحاب الفنون الرفيعة ،
فيستمع الى الاموات التي وضعوها ، والآلات
الموسيقية التي يوقعون عليها .

درس كتب الطب ، وخصائص الامراض
واعراضها ، وطرق الوقاية منها ، وعلاج من اصاب
بها .

درس خصائص الاحجار والاعشاب والنباتات ،
ووقف على ما تفيد في المعالجة ، وكان يقصد الاطباء
والصيدالة ويناقشهم فيما ظهر له من اطلاله وتجاربه
في هذا العلم الجليل ، الذي يحفظ صحة المجتمع ،
ويقويه شر الامراض .

ابو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكرني
الاموي بالولاء - احد اساطين العلم والادب والفن في
الأندلس .

لم نقف على ولادة هذا العالم الجليل ، والدين
ترجموا له ذكروا : انه توفي سنة 274 هـ (884 م)
وانه اربى على الثمانين ، فتكون ولادته في آخر
القرن الثاني للهجرة (حوالي سنة 194 هـ)

اصله من برارة « تاكرنا » ونشأ في قرطبة ،
عاصمة الدولة الاموية ، وهي - اذ ذاك - مركز العلم
والادب والفن في اوربة ، يشدون اليها الرحال ،
ويقتبسون من معارف العرب وفنونهم وصناعاتهم ،
التي كانت تبهر عقولهم ، وتأخذ بالبابهم .

في هذا المحيط الزاهي بالعلوم والمعارف ، شب
ابن فرناس ، وكان ذكي الفؤاد ، سريع الحفظ ، دقيق
النظر .

تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الدين الحنيف
في الكتابيب التي كانت كثيرة في قرطبة ، ثم اخذ
برناد الحلقات العلمية ، التي كانت تعقد في جامع
قرطبة ، ويستمع الى ما يجري فيها من محاضرات

واشتهر بين اطباء عصره ، فاتخذ الامراء الامويون (1) طبيباً خاصاً لمعالجة الاسرة الحاكمة ، يشرف على صحتهم وطعامهم ، ويرشدهم الى انجح الطرق في معالجة مريضهم .

درس الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية ، وجمع الكتب التي تبحث فيها ، والتي صعب الحصول عليها ، وقراها قراءة مدققة ، واستفاد منها وافاد قومه .

اشتغل بالنحو ودقائق الامراب ، واطنح على آراء النحاة في التعليل وصار من نعاة عصره في الاندلس ، يؤخذ عنه وذكره اليبسدي في الطبقة الثالثة من نعاة الاندلس ، وقال عنه : كان متصرفاً في شروب من الامراب .

كان يقصد اهل الصناعات الرفيعة ، ويدقق باعمالهم وصناعاتهم ، وفنونهم الدقيقة ، ويسالهم عن سر ما لم يهتد الى معرفته بنفسه ، فاقتبس منهم صناعات ومعارف سامدته على ابراز ما علمه ، مما يحتاج الى عمل آلات علمية .

وهكذا صار ابو القاسم العباس بن فرناس متضلماً بعدة علوم وفنون وصناعات ، وآداب مختلفة ، فبرز على علماء زمانه ، بما انفرد به من معارف وعلوم لم تنهيا لغيره من اهل الاندلس ، حتى انهم اطلقوا عليه « حكيم الاندلس »

- 2 -

كثير هم الذين قنعوا من العلم بالامور البسيطة ، التي يسهل فهمها . وبالنظريات المجردة ينقلونها عن غيرهم ، ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث والتدقيق فيما درسوه ، او تحقيق ما علموه ، ولم يحاولوا تطبيق العلم على العمل ، ليتأكدوا من صحة ما نقل اليهم ، او اخذوه عن غيرهم .

وابو القاسم لم يكن من هذا الرميل القانع بالسهل المبسط ، بل كان يدقق ما يدور ، ويحقق ما يفهمه ، ويتدبر ما يقرأه ، ويطبق عملياً ما يحتاج الى العمل ، ليتأكد صحة المسمى ، ويستفيد مما اخذ ، فهو احد العلماء العاملين ، الذين وضعوا اساس الحضارة العلمية والعملية في الاندلس : سهلوا العويص ، وشرحوا الغامض ، ويسروا المسر ، وابتكروا آلات علمية ومعارف عملية .

فابو القاسم من العلماء الذين علموا وعملوا : مكف على تحقيق القضايا التي درسها ، وهيا لنفسه ما يحتاجه عمله من آلات دقيقة ، وادوات مختلفة والاجهزة العلمية - التي سامدته على اظهار علومه ومعارفه عملياً ، ورسم طريقة مثلى لاهل بلاده . وهي محاولة تطبيق العلم على العمل ، بحيث يحققون ما يدرسونه ، ويصنعون لانفسهم الآلات والادوات العلمية التي يحتاجونها من غير ان يتكلموا عن غيرهم ، وبذا يحق لهم ان يكونوا علماء عاملين ، يسمى اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويمتاز بأرائهم المؤيدة بالعمل بعد العلم .

وعلى هذا فابو القاسم فاق اهل عصره في طريقته العملية ، فبرز في علوم ومعارف اوجدها من تجاربه في التوليد والاختراع ثم الابتكار ، ومن ذلك :

1 - عانى صناعة الكيمياء ، وقام بتجارب وفحوص مختلفة ، واهتدى الى حقائق ، لم تكن معروفة عند الاندلسيين ، منها : انه استنبط صناعة الزجاج من نوع من الحجارة ، وبدا يسر للاندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن ، سهلة التناول ، فانتشرت صناعته في الاندلس ، وتفوقوا فيها .

2 - عانى علم الفلك والتنجيم ، رانب النجوم والكواكب في افلاكها ومداراتها ، وصنع الآلات التي تساعده على الرصد . ومما صنعه الآلة المعروفة « بلذات الحلق » ورنمها الى الامير محمد بن عبد

(1) اتصل ابن فرناس بثلاثة امراء - وكان مقرباً اليهم وهم على التوالي :

1 - الحكم بن هشام 188 - 206 هـ = 803 - 821 م

2 - عبد الرحمن بن الحكم 206 - 238 هـ = 821 - 852 م

3 - محمد بن عبد الرحمن 238 - 273 هـ = 852 - 886 م

الرحمن الاموي ، وكتب عليها ابيانا من نظمه تناسب
الآلة ، وما تقوم به من عمل :

قد تم ما حملتني من آلة
اعيا الفلاسفة الجهابذ دوني

لو كان بطليموس الهم صنعة
لم يشتغل بجداول القانون

فاذا راته الشمس في آفاقها
بعثت اليه بنورها المحزون

ومنازل القمر التي حجبت معا
دون الميون بكل طالع حين

يبدون فيها بالنهار - كما بدت
في الليل في ظلماتهن الجون

3 - عمل الميقاتة لمعرفة الاوقات - وهي تقوم
مقام الساعة في يومنا هذا ، ورفعها الى الامير محمد
بن عبد الرحمن ، وكتب عليها من نظمه :

الا انني للدين خير اداة
اذا غاب منكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ، ولم تنر
كواكب ليل ، حالك الظلمات

بيمن امام المسلمين « محمد »
تجلت من الاوقات كل صلاة

4 - اتخذ في داره هيئة السماء ، وصور فيها
الشمس والقمر ، والكواكب ومداراتها ، والغيوم
والرعد والبرق ، فكان من اعاجيب الصنعة والابتكار.
5 - انه اول من طار وحلق في الهواء - كما تطير
الطيور وهذا من الاختراعات المدهشة التي قام بها
« حكيم الاندلس » .

قام بعدة تجارب تمهيدية ، درس بها ثقل
الاجسام ، ومقاومة الهواء لها ، وتأثير ضغط الهواء

عليها اذا ما طارت في الفضاء ، وكان له خير مساعد
على هذا تفوقه في العلوم الطبيعية والرياضية
والكيمياء ، فاطلع على خواص الاجسام ، واجتمع
لديه من المعلومات ، ما حمله على ان يجرب الطيران
بنفسه .

كسا نفسه بريش اتخذله من سرقى الحرير (1) ،
اتننته وقوته ، وهو يتناسب مع ثقل جسمه ، وصنع
له جناحين - من الحرير ايضا - يحملان جسمه اذا ما
حركهما في الفضاء ، وبعد ان تم له كل ما يحتاج اليه
هذا العمل الخطير ، وتأكد ان باستطاعته اذا ما حركه
الجناحين ، فانهما سيحملانه ويطيرون في الفضاء ،
- كما تطير الطيور - ويسهل عليه التنقل بهما اينما
شاء .

اعلن للناس انه يريد ان يطير في الجو ، وان
طيرانه سيكون من الرصافة - ظاهر مدينة قرطبة -
فاجتمع الناس فيها ليشاهدوا البطل يتهادى في سماء
قرطبة .

صعد ابو القاسم فوق مرتفع ، وحرك جناحيه ،
وقفز في الجو ، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن
المحل الذي وقف فوقه ، والناس ينظرون اليه بدهشة
واعجاب ، يهللون له ، وشامروهم يقول :

يطم (2) على المنقاء في طيرانها
اذا ما كسا جثمانه ريح تشمم

ولما هم بالنزول الى الارض ، تاذى في ظهره ،
وفاته ان الطائر انما يقع على زمكه (ذيله) ، ولم يكن
يعلم موقع الذنب في الجسم اثناء هبوطه الى الارض ،
فاصيب بما اصاب من اذى .

هذه اول عملية جريئة يقوم بها حكيم اندلسي ،
يجرب الطيران بنفسه ، وينجح بعمله الى حد ما ،
وهذا النجاح الذي سجله حكيم الاندلس ، دفع الناس

(1) شقق الحرير الابيض والواحدة سرقى

(2) طم : علا ، غلب ، والتشمم : المسن من النسور .

بالاقدام على محاولة الطيران ، فكان عمله نواة طبية ،
نمت وازدهرت ثم الثمرت .

على ان تقصيره في كيفية النزول الى الارض
سالما ، لا ينقص من دقة عمله ، وخطوته الجريئة ،
بالاقدام على الطيران بصورة فعلية . فان كل عمل في
بدايته ، تعقبه دراسات عديدة ، تكمل نواقصه ،
وتهدب طرقه ، وتحسن عمله ، وهكذا يكون في تقدم
مطرد مع الزمن ، وحاجة الانسان ، وما زالت
الدراسات المتتالية تجري على الطيران ، حتى شاهدنا
سفنا عظيمة تطير في الفضاء ، حاملة عددا لا يستهان
به من المسافرين ، مع امتعتهم واثقالهم ، تقطع
المسافات البعيدة ، بساعات معدودات ، كان هذا
بفضل التجارب التي قاموا بها ، وفي مقدمتهم حكيم
الاندلس - والفضل للمتقدم -

ثم اعقبه بعد قرن من الزمان ، رجل عالم
فاصل من المشرق ، هو : اسماعيل بن حماد
الجوهري المتوفى سنة 393 هـ (1003 م) . ولكن
عمله لم يكن من دراسة ، وانما من خاطر خطر بباله ،
فكان خاتمة حياته (1) .

هذا ما قام به المسلمون في المغرب والمشرق من
محاولة الطيران ، فنجح حكيم الاندلس ، ولاسى
حتفه عالم المشرق ، ولكنهما فتحا بابا واسعا لمن اتى
بعدهما في الاقدام على هذا العمل النافع .

كان العباس بن فرناس اديبا شاعرا ، وله شعر
كثير في اغراض مختلفة ، اتصل بالبلاط الاموي ،
فكان شاعرهم - كما كان طبيبهم - وعاش في اكناف
امرائهم ونظم لهم الشعر في مختلف الاغراض :

مدح امراء البيت المالك ، ووصف حروبهم
ومعاركهم مع الاعداء - وقد يشارك بنفسه فيها -

وصف مجالس الانس والطرب ، وما في قصورهم من
جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، وملاعب
وكواعب ، ومصائدهم ومطاردهم - وكان يرافقهم بها .

وافق الامير محمد بن عبد الرحمن ، لما سار الى
اخمد ثورة اهل « طليطلة » مع حلفائهم النصاري
سنة 240 هـ (854 م) فوقع فيهم الامير ، واخمد
الثورة بعنف وشدة وشنت الثائرين . فقال ابن
فرناس يصف هذه الواقعة :

ومؤلف الاصوات مختلف الرحف
لهوم الغلا ، قبل القبائل ملتف

اذا اومضت فيه الصوارم خلتها
بروقا تزوى في الغمام وتستخفي

كان ذرى الاعلام في ميلانها
قراقر في يم ، عجزن عن القذف

بكي جبلا وادي سليط فاعولا
على النفر المبدان ، والعصبة الغلف

يقول ابن بوليس لموسى - وقد اتى -
ارى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي

قتلت لهم الفا والفا ومثلها
والفا والفا بعد الف الى الف

سوى من طواه النهر في مستحاله
فافرق فيه ، او تهدد في جرف

لقد نعمت فيه فراة نسورنا
وسمعت الدقات قصفا على قصف

ووصف ما آلت اليه طليطلة من الدمار
والتهريب ، وهدم الامير قنطرتها الشهيرة فقال :

(1) كان اماما في اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل في الجودة ، لا يكاد يفرق بينه وبين خط « ابن
مقلة » سافر في طلب العلم ، واخذ من مدة شيوخ وخالط الاصراب في بلاد ربيعة ومصر ،
وصنف كتابه المشهور « الصحاح » في اللغة واستقر في نيسابور على التدريس والتأليف ، وتعليم
الخط ، وكتابة المصاحف ، وله عدة كتب .

نكر في الطيران ، واعتقد ان في مقدور الانسان ان يطير اذا ما اتخذ له جناحين ، كجناحي
الطير ، ولكنه لم يتم بدراسات تمهيدية يجرب بها ما افترضه - كما فعل حكيم الاندلس - فانه
صعد سطح الجامع القديم في نيسابور وقال : ايها الناس اني عمات في الدنيا ما لم اسبق اليه ،
فسأعمل للآخرة امرا لم اسبق اليه ، وضم الى جنبه مصراحي باب ، وثابطهما بحبل ، وطسار في
الفضاء ، - ولم يكن موفقا بعمله ، فان مصراحي الباب لم يحملانه في الفضاء ، بل سقطا به على
الارض ومات . فكان عمله هذا دراسة سطحية لئلا كبير .

الجميلة التى فتنت الكثير من شعرائها ، فابدموا فى وصفها .

ومما قاله فى صفة روضة :

ترى وردها والافحوان كأنه
بها شفة لمياء ضاحكها فخر

وقد ابدع فى وصف اشجار النخيل الباسقات
- الاشجار المباركة التى رافقت العربي اينما حل
واستقر - نقلوها الى الاندلس وزينوا بها حدائقهم
وبساتينهم :

حنايا كامثال الاهلة ركبت

على عمد ، تعمد فى جوهر البدر

كان من الياقوت قيست رؤوسها
على كل مسنون مقبض من السدر

ترى الباسقات الناشرات فروعها
موائس فيها ، من مداولة الوقر

كان صناعا صاغ بين فصوصها
من الذهب البادي، عراجين من نخل

نشت لؤلؤا ، ثم استحاتت زمردا
يؤول الى العقيان قبل جنى البسر

ووصف الصحراء ووحشتها ، وترامى اطرافها
فقال :

موسومة بالبعد ، تحب سهلا
لقى السماء بحولها اطنابا

فكانها دار تقاذف صحنها
لم يجعل الباني لها ابوابا

ومن جميل قوله فى وصف السراب :

يفلقن لجة آله ، فامامها
حاد ، وآخر خلفها لم يلحق

فكان ذا موسى ، وذلك بالره
فرعون ، الا انه لم يفرق

ومن تشبيهاته الجميلة ما قاله فى وصف كوز :

ومعجم لم يبق فى جثمانه
الا حشاشة مهجة لم تزهق

اضحت طليطلة معطلة
من اهنها ، فى قبضة المقر

تركت بلا اهل تؤهلها
مهجورة الاكفاف ، كالتقير

ما كان يبقى الله قنطرة
نصبت لحمل كتاب الكفر

وله قصيدة يهنيء بها الامير محمد بعودته من
طليطلة ، موافقا عيد الاضحى المبارك اولها :

ان القنول الذى اودى بميدان الخ ..

ولما جدد الامير محمد قصور الرصافة ، التى كان
قد شيدها جده « صقر قريش » عبد الرحمن
الداخل ، وزينها بجميل الزخارف والكتابات وجعلها
من اجمل القصور بهاء ورونقا ، فقال ابن فرناس فيها:

كان قصور الارض بعد تمامه
كثير له اخفى شخوصا من الدر

فأعجب من اقتنائها الفرر التى
يقيم بهن البرد فى دعوة الحر

وتنتشر الابصار منها الى مدى
التنزه بالاطيار والوحش والزهر

كان الذى يخفى الحديث بنجوها
على اخفض الاصوات يشدو على وتر

وكما كان يتحف الامراء بالالات الدقيقة الصنع،
كان يتحفهم بهدايا طريفة نفيسة ، نظم اربعة ابيات،
وكتبها بالذهب على تفاحة ، ورفعها الى الامير محمد،
اولها :

محمد اكرم مستخلف

من خلفاء الله فى الارض

فسر الامير ، وامر ان يغنى بها ، وكافا ابا
القاسم من كل بيت بالف دينار ، وقال : لو زادنا
لزدنناه .

كان ابو القاسم مرهف الحس ، واسع الخيال،
يستهو به جمال الطبيعة ، وسحرها الغلاب ، دقيق
الوصف ، وكيف لا يصف مباهج الاندلس ، ومناظرها

حنيت على كشحيه من برحائه
مضدان : فهو لمولى لم يطلق

حلت ممامه راسه فتضومت
منا مفارقه ، بمثل الزنبق

وله شعر رقيق يستهوي القلوب ، كقوله :

فبتنا وانواع النسيم ابتدالنا
ولا غير عينيها ، وعيني كالي

الى ان بدا وجه الصباح كانه
جبين فتاة ، لاح بين حبال

وقوله متغزلا :

واحور ما يمضي الميون من الفسق
له كذب في الجدد ، احلى من الصدق

وللحسن في خديه شمس مقيمة
وبدر كمال لا يحور الى محق

وما العيش الا ميتة الهجر والهوى
باحور ، ما يبقى هواه ، وما يبقى

- 4 -

كان ابن فرناس موسيقيا مبدعا ، ينظم الشعر ،
ويضع اللحن ، ويفضي به ، ويوقع على المود ،
واشتهر بما وضعه من قطع جميلة كانت من نظمه
وتوقيعه ، وكان امراء قرطبة يربون مجالسهم
بانشاده وعزفه ، واكثر الامراء حبا له هو الامير محمد
ابن عبد الرحمن ، فعنه يوما صوتا من نظمه وتلحينه
اوله :

الجهل ليل ليس فيه نور
والعلم فجر نوره مشهور

فاجزل له المطاء .

ومما يدلنا على سرعة بديته في نظم الشعر ،
وضع الصوت المناسب وحسن توقيعه على المود ،
ما رواه المرزباني (في طبقات اللغويين والنحويين)
فقال :

(1) مدينة غربي الاندلس

كان محمود بن ابي جميل غلاما جوادا - وكان
ماملا في اخريات ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم
- فعمل قبة ادم - بلغت النفقة فيها وفي واطاها
خمسائة دينار - فاكملت غربها على وادي لك (1) ،
وصنع ضيفا ، جمع له اصناف الكورة ، ووافق ذلك
اطلاع « عبد الملك بن جهور بن يوسف بن بخت »
ضياعه « بشدونة » فاستجلبه محمود مع بياض الكورة ،
فشهد وشهدوا ، فلما تقضى طعامهم ، وصاروا الى
المؤانسة - وعندهم احد بني زرياب - طلع عليهم
عباس بن فرناس زائرا لمحمود ، فقام محمود اليه
والتزمه ، وسر جميعهم بوروده ، ثم عرض عليه
الطعام ، فطمع ، ثم صار الى المؤانسة ، ودفع ابن
زرياب يفي :

ولو لم يشقني الظامنون لشاقتني
حمام تدامت في الديار وقوع

تدامين فاستبكيين من كان ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع

فاستمدادوا الصوت اعجابا ، فاعاده .

فلما تقضى غناء ابن زرياب ، مد العباس يده الى
المود ، فاخذه وغنى البيتين ، ووصلهما من عنده
بديهة فقال :

شدت بمحمود يدا حين خانها
زمان لاسباب الرجاء قطوع

بنى - لمسامي الجود والمجد - قبة
اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا ابا القاسم ،
اعز ما يحضرني من مالي القبة وهي لك - بما فيها من
كسوتي هذه - وتكون في ضيافتك بقية يومنا ،
ودما اليه بكسوة فلبسها ، ودفع اليه كسوته ، وكانوا
يومهم كذلك ..

هذه القصة الطريفة عن الفنان ابن فرناس ،
تطلعنا على ما كان عليه من النظم الذي يناسب

المقام ، وانه كان يضع له الصوت ، ويفني بما يعجب
المبرزين فى الفناء ، بل يفوقهم بذلك

- 5 -

هذا التفوق فى الموسيقى والايقاع ، ساعده على
حل اصطلاحات كتاب العروى للخليل بن احمد
الفراهيدي (100 - 170 هـ = 718 - 786 م) احد
مفاخر العرب والاسلام .

ذكر المؤرخون : لما ادخل الى الاندلس كتاب
العروى ، للخليل بن احمد الفراهيدي وصار الى
الامير عبد الرحمن بن الحكم ، عرضه على علماء قرطبة
وادبائها ليوضحوه له ، فمجزوا عن ذلك ، وصار
الكتاب مما يتلوه به فى قصر الامير ، حتى ان بعض
جوارى القصر كان يقول لبعض : صبر الله عقلك ،
كمقل الذى ملا كتابه من : مما ومما . فبلغ الخبر ابا
القاسم بن فرناس ، فتقدم الى الامير ، وطلب اليه
اخراج الكتاب اليه ، ففعل ، ولما قراه ابن فرناس
وتدبره ، علم انه فى علم العروى ، العلم الذى
ابتكره الفراهيدي ، وضبط به بحور الشعر العربى ،
فكك ابو القاسم فوامضه ، وشرحه لقومه ، فسهل
عليهم دراسة هذا الفن الجميل والاستفادة منه .

فتولا براعته فى الموسيقى والنغم ، وشموره
المرهف ، وبصره بالغريب ، واطلاعه الواسع على
دقائق هذا الفن - لما سهل عليه حل رموز الكتاب ،
وتبسيطه .

- 6 -

فحكيم الاندلس ابن فرناس ، كان من عباقرة
عصره فى العلوم ، والمعارف الدقيقة ، والآداب
الرفيعة ، والفنون الجميلة .

عانى صناعة الطب ، فكان من اطباء زمانه ،
درس المنطق والفلسفة وعلوم الحكمة وصار من اعلامها ،
عكف على التجارب فى الكيمياء والعلوم الطبيعية
واهتدى الى امور خفيت على غيره ، متضلعا بعلم
الفلك والنجوم والرياضيات ، وجاء بما ادهش
قومه - وكان مع هذا كله - اديبا شاعرا نحويا لغويا ،
يتقن وضع الالحن ، ويحسن الايقاع على آلات الطرب ،
ويطير فى الفضاء ، محلقا فى جو الاندلس ، ذلك
لانه كان بعمله وفنه ، فوق ما عليه قومه ، فخلق فى
العلم والعمل .

رحم الله ابا القاسم « حكيم الاندلس » فقد كان
من اعلام نوابغ الاسلام ، يفاخرون بعلمه وادبه وفنه .

اهم المصادر التى عولنا عليها فى هذا البحث :

- بغية المنتسب - للضبي
- المغرب فى حلى المغرب - نشره شوقي ضيف .
- جدوة المقتبس - للحميدي .
- التشبيهات من اشعار اهل الاندلس - الكتاني .
- نفع الطيب - المقري .
- الحلل السندسية - ارسلان
- معجم الادباء - ياقوت
- بثيمة الدهر - للثعالبي .
- طبقات اللغويين والنحويين - الزبيدي .
- وفيات الاميان - ابن خلكان
- بغية الوعاة - السيوطي
- شذرات الذهب - لابن العماد
- مقال فى العدد 22 من مجلة العربى للاستاذ عنان .
- وغيرها من المصادر ..

أعلام اللغة

أحمد فارس الشدياق
الأستاذ محمد جميل بيهم

الى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809
فتخرج فيها ، وتعلم في مدرسة عين ورقة . ولما
مات والده انكب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ
الكتب .

ولما مات اخوه بطرس الذي كان حبيب البطريك
المادوني في دير قنوين خاف فارس على نفسه فعاف
وطنه مغاضبا ، وسافر الى القاهرة ليكون استاذ
اللغة العربية عند رجال البعثات الاميركيين . وهناك
انكب على دراسة اللغة العربية وعلى الاتصال بالائمة
المصريين والعلماء ، فبلغ ابعاد اعماقها . ولذلك عهد
اليه محمد علي الكبير والي مصر بتحرير جريدة
الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب الى مالطة بناء على
طلب المرسلين الاميركان ، ولبت في تلك الجزيرة
اربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح
مطبوعات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبته وزارة الخارجية
الانكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور «لي» على
ترجمة التوراة ، فلبى طلبها ومكث في لندن عشر
سنوات تعرف خلالها باكبر علماء أوروبا وأدبائها .
وهناك ألف كتبه « الواسطة » و« كشف الخبايا »
و « الفارياق » الذي طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس ألف واصدر كتبا اخرى أبرزها
« سر الليالي » الذي كشف به الغطاء عن مظلة اللغة

منذ بداية القرن التاسع عشر برزت في كل من
مدينة بيروت ، التي كانت مركزا لولاية تحمل اسمها،
ولبنان في مهديه الاقطامي والتصريفية الممتازة، برزت
نهضة عارمة شملت النواحي الادبية والاجتماعية
والسياسية . وكان يرجع مصدرها الى اختلاط هذا
الشعر والجبال المشرفة عليه بأوروبا وذلك بانتقال
بعض رجال الدين المسيحي الى مواسم الغرب ،
وبتدفق الارسلات التبشيرية الى هذين البلدين ،
وتنافسها في انشاء المدارس والكليات والمطابع ،
بالاضافة الى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الاجنبية
بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي اسفار كان
يقوم بها تجار بيروت الى الممالك الاوروبية وغيرها في
سبيل التبادل التجاري .

وفي اواخر القرن المذكور كان شعار النهضة
اهتماما باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لواءهما
ادباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا
المقامات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا
فحسب ، وانما في غيرها من البلاد المجاورة ،
وأوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان المعاصر المرحوم
مارون عبود احمد فارس الشدياق كان الرجل
الاول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة
العربية .

— * —

ولد فارس الشدياق في قرية مشقوت ببلبنان
سنة 1804 ، ولاحوال سياسية انتقل والده منصور

وعلى رأسهم مفتي البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت الرايات والأعلام تمشي امام الجنائز ، ومشايخ الطرق يمشون وراها يهللون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ، وسماع المراثي من نظم ونثر (على ما ذكرت جريدة لسان الحال في اليوم التالي نقل جثمانه الى قرية الحدث ، ولكنه لم يدفن فيها ، وإنما دفن على مقربة منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت ودمشق حيث شيدت الدولة له ضريحاً مرموقاً على نسق مقامات الباشوات والحكام .

— * —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمهرة من كبار الادباء والصحفيين والاعيان ، وقرروا الاحتفال بيوميل الشدياق بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد مهرجان كبير لاحياء ذكراه ، ولإعادة طبع آثاره . وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيساً لهذه اللجنة ، ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضاً دون قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « صقر لبنان » الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة في ود » : اورد فيه ما اعترض الاحتفال الخمسيني للشدياق من ملاسبات وعقبات . وقال : « عندما ارسانا الصرخة تلو الصرخة لم نحسب انها جميعاً ستذهب في واد . فما اصدروا بضع مقالات ، في نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي بأديب النهضة الحديثة ، وواضع حجر الزاوية في بنيانها العلامة الاكبر احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين للاستاذ محمد جميل ييههم دموته الى شربنا فيها الشاي والقهوة ، واكلنا من الحلوى اقراصاً مختلفة .

كنا اربعين ، ولكن غير الاربعين الخالدين ، فانتخبنا منا اثني عشر رسولا ... حملناهم الدموة للشدياق ، وارسلناهم كالخراف ... كانت همتنا عظيمة يوم بدانا ، وتلك عادتنا ، نار هشيم ، ثم تنطفئ . فما ذقت الدموة حتى انبعثت الهمم ، واتانا من القاهرة نأ الدكتور فيليب الشدياق (ابن هم المرحوم) يتبرع بمائة جنيه مصري لعمل تمثال

العربية . وصادف ان جاء باريس وقتئذ احمد باشا باي تونس ، فمدحه الشدياق بقصيدة كان اولها « زارت سماد » ، ثم بعث بها اليه بعد عودة الباي الى بلاده فاعجب هذا بها ، وارسل يستقدمه الى تونس على سفينة بخارية ليبحر الشدياق عليها هو وعائلته .

وفي تونس عُمر الباي الشدياق بنعمه ، وقلده اسمى المناصب ، وفضلاً عن مديرية المعارف عهد اليه برياسة تحرير جريدة الرائد التونسي . وفي فمسة هذه النعم أعلن فارس الشدياق اسلامه ، وازداد الى اسمه احمداً ، وتكنى بابي العباس .

وحينئذ ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب ، استدعاه السلطان عبد المجيد العثماني بواسطة الباي . ولما جاء دار السعادة « اسطامبول » رحب به السلطان ، وعهد اليه بادارة المطبعة السلطانية طوال عدة سنوات . وفي سنة 1861 انشأ الشدياق جريدة الجوائب ، فكانت تنطق بلسان الشرق ، ومرجماً للصحف الاوروبية في القضايا الشرقية التي كان يطلق عليها « المسألة الشرقية » . وكانت هذه الجريدة تحمل لواء العرب والعربية الامر الذي افضى الى اسكانها سنة 1884 .

وفي 1886 زار احمد الشدياق القاهرة ، وهو شيخ ، فاكرمه الخيدوي توفيق باشا ، ونوه بخدماته للشرق افضل تنويه ، ولكنه مع ذلك ظل يحن الى العاصمة العثمانية فعاد اليها ، وقضى نحبها فيها سنة 1887 . وقد احتفل بماتمه احسن احتفال ، واشترك فيه ممثل السلطان ، وصدرت ارادة سنية بدفنه في تربة السلطان محمود ، بينما رثته صحف العالم على اختلاف لغاتها ، ونقل البرق نعيه الى المواسم الاخرى . وقالت عنه جريدة الاجيبييان هازيت ما يلي : « ضع الكتب الانجليز سكيت وامرسون وداور دروث ووايكنف وبلويز في شخصية واحدة فحينئذ يمكنك ان تتصور جيداً عظيمة احمد فارس الشدياق . ولو ولد الشدياق في اوروبا لدفن مع نخبة العظماء ، ولنصبت له التماثيل في اكثر مدن بلاده . »

ولكن الشدياق (على ما جاء في دائرة معارف البستاني) كان يريد ان لا يدفن في غير مسقط رأسه ولذلك فان ولده سليمان التمس الاذن بأن يدفن في قرية الحدث عملاً بوصية والده . وكان يوم نقل جثمانه الى لبنان من اعظم ايامه ، كما كان يوم استقبال جثمانه في بيروت يوماً مشهوداً اشترك فيه العلماء

لنوفد لكي يطلب معونة الحكومة ، بل اعلن لوائريه
حالا انه سيخصص مبلغا من المال تسمح به حالة
موازنة المعارف يكون فاتحة الاكتتاب الذي ستجريه
اللجنة لتحقيق منهاجها ، ووعده بأن تشترك مدرسة
الصنائع والفنون مع احد مهندسي الحكومة لترميم
الضريح ، فخرج الوفد من زيارته شاكرا .

ومضى عبود يقول :

« راحت وزارة ابي شهلا ، وجاءت بعدها وزارة
ابي اللمع ، ثم سقطت هذه وجاءت وزارة ثابت ،
ولكن الوزارات لم تكن تحل وتربط ، فمشت القضية
على قدم وساق الى الانحلال ..

وهكذا ارتخت همة لجنة الشدياق ، اذ علم
الاعضاء الكرام ، والرئيس الهمام انهم ينفخون في
رماد . »

وهنا امر بمرحوم مارون عبود عن اسفه على ما
اعترض يوبيل الشدياق الخمسيني من عقبات ،
ولكنه قال : « فلا بأس ان تركنا التمثال للدرية فلعلها
تكون خيرا منا فلجنة تمثال بودليس نامت رهاء ربع
قرن » .

اما وقد مضى 35 عاما على موعد يوبيل
الشدياق الخمسيني توفي خلالها الداعي الاول لهذا
اليوبيل ، واشرفت على اللهاق به حين ان احدا من
الدرية لم يفكر في الاحتفال بذكرى الشدياق فاني
احببت ان اذكر العالم العربي بمجلة «اللسان العربي»
المحترمة، بالرجل الفذ الذي خدم هذا اللسان خدمات
لم يرق فيها احد سواه في عصره ، ولعل الذكرى تنفع
المؤمنين .

للفقيد ، وتوات جاسات اللجنة المختارة حتى خطر
ببالها ان تقرر باب الحكومة ، فمئة فيليب شجعتها
... اما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما
كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك
المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية
البنانية تقدر ثوابها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام
اللغة العربية وحجتها في القرن التاسع عشر الماسوف
عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها :
السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف
زكريا ، وكرم ملح كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا
فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة
وطلبوا اليه التلطف بقبول جعل المهرجان تحت رعاية
فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة
بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشروعيها
ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع
بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير
الامر ، عملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى
معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقى من وزير
التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه
مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل
المادية والمعنوية ، وقد تلتف وشكر اللجنة باسم
الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبنانية
من نوابغ الامة العربية ، ووعده بقبول رعاية المهرجان .

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم
الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار
مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه
في العازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا
يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية
وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال

تاريخ جامعة الدول العربية

الشيخ طه الوحي "بيروت"

هذه المرة لم تعتمد على موظفيها العاديين في البلاد العربية أمثال السير هنري مكماهون ، وإنما كلفت وزير خارجيتها بالذات ، المستر انطوني ايدن ، باطلاق تصريح سياسي قال فيه :

« لقد خطا العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي، وهو يطمح الآن الى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالما متماسكا، ویرجو ان تساعد بريطانيا العظمى في بلوغ هذا الهدف . ويسرني ان أعلن باسم حكومة صاحب الجلالة من ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة ومن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالما تتوفر لديها الأدلة على تأييد الرأي العام العربي لها » .

غير انه بالرغم من المكانة الرسمية التي يتمتع بها المستر ايدن في حكومته ، فان تصريحه المثير لم يحدث اثره المطلوب في نفوس القادة العرب . لان هؤلاء كانوا ما يزالون غير مقتنعين بقوة الحلفاء ولا بسلامة موقفهم العسكري ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان العرب على مختلف اوساطهم كانوا غير مؤمنين بصدق نوايا الانكليز الذي سبق لهم ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، ان تنكروا لوعودهم وعهودهم التي اسرفوا في اغداقها على الشريف حسين ، أمير مكة ، حين استدعوه للثورة على دولة الخلافة العثمانية الاسلامية . فلما انتصروا على اعدائهم ، لم يتورعوا عن اعتقاله في جزيرة قبرص ، واحتلال الشرق العربي وتقسيم بلاده فيما بينهم وبين حلفائهم الفرنسيين على ما هو معروف ، ولا داعي لتكراره في هذه المناسبة .

كان عام 1941 بالنسبة للحلفاء مشحونا بالمفاجآت والمتاعب . وفي اثنائه احرزت قوات الالمان انتصارات عسكرية ساحقة على اكثر الجبهات الحربية سواء في اوربا حيث سقطت فرنسا صريعة تحت اقدام الغزاة وتفشت قوات المحور بقيادة رومل على طول شمال افريقيا حتى الحدود المصرية، وبدأ للناس في كل مكان ان هتلر سيصبح سيد العالم بلا منازع .

وقد ادى هذا الوضع العالمي الى تحريك المشاعر القومية في بلاد الشرق العربي فقامت الاوساط الوطنية المتحمسة باثارة الجماهير للانتفاض على السلطات الحليفة بأساليب مختلفة ، بلغت احيانا حد الحركات المسلحة ، كما حدث مثلا في العراق حيث أعلن الجيش العراقي الحرب بصورة رسمية على القوات البريطانية التي كانت ترابط في البلاد ، واستولى على السلطة بعد ان اضطر الوصي على العرش وحكومته للهرب من العاصمة بغداد والاعتصام في البصرة تحت حماية القوات الانجليزية التي كانت صارتها البحرية قريبة منها .

وعلى الرغم من ان الجيوش الحليفة كانت ولا تزال قادرة على اخمد كل حركة محلية تقوم ضدها، بل هي اخمدتها بالفعل ، بالرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية وجدت ان من مصلحتها يومئذ معالجة المواطنين الوطنية مند العرب بالتي هي احسن ، فلهجات الى نفس الاساليب التي سبق لها ان اتبعها في الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) بيد انها في

وكان تصريح المستر انطوني ايدن الاول بتاريخ 29 ايار 1941 . وفي 24 شباط سنة 1943 جاء ايدن بتصريح جديد ، كرر فيه ما كان قد عرضه في السابق من بلل خدمات بريطانيا لمساعدة العرب على تحقيق امانهم في الاتحاد والتحرر ، وذلك في معرض رده على سؤال وجه اليه من قبل احد اعضاء مجلس العموم البريطاني .

ويبدو ان الظروف في سنة 1943 كانت ، بالنسبة للحلفاء افضل منها في سنة 1941 . نظرا لتحول الموقف العسكري بوجه عام الى صالحهم ، فاستقبل ساسة العرب التصريح الانجليزي الثاني بروح ايجابية ، رغبة منهم في الافادة من هذا العرض البريطاني ، الذي بدا لهم وكأنه فرصة ذهبية ، لا يجوز تفويتها على امتهم ولا سيما وان الحلفاء في ذلك الحين ، ارادوا تبديد الشكوك فيما يقولونه ، فانتهزوا فرصة انسحاب قوات المحور وفي جملتها قوات حكومة فيشي التابعة لهم ، من منطقة الشرق الاوسط ، فاعلن ديفول ، رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة اعترافه باستقلال سورية ولبنان ، كما اعلن الانجليز عزيمتهم على الاعتراف باستقلال امارة شرق الاردن فيما بعد .

وبالفعل كان اول رد فعل لتجاوب العرب مع المبادرة البريطانية جاء من قبل الامير عبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن الذي كان اول من اعرب عن استجابته لتصريح ايدن ، معلنا بان العرب سيجتمعون حالا ، لدراسة التصريح المذكور ، والتصرف على ضوء ما تضمنه من مروض ووعود .

وكان الامير عبد الله يرى ان الظرف اصبح ملائما للعمل على تحقيق حلمه في بحث مملكة له تضم البلاد السورية في جميع اجزائها التي اقتسمها الحلفاء فيما بينهم بعد الاحتلال الذي فرضوه عليها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فوجه مذكرة الى الحكومة الانجليزية يناشدها فيها الغاء الانتداب من شرق الاردن اسوة بالاقطار السورية الاخرى ليتمكن من السعي مع تلك الاقطار للوحدة تمهيدا للملك الذي يطمح به . وايد الامير مذكرته هذه بان ارسل معها صورة عن قرار اتخذ مجلس الوزراء الاردني بتاريخ اول تموز سنة 1941 جاء فيه :

... « ان التصريح البريطاني الاخير على لسان المستر ايدن اولا ، ولسان السير مايكل لمبسون

ثانيا ، وكذلك تصريح فرنسا الحرة على لسان الجنرال كاترو . قد قوبلا بالاعتباط والشكر من حكومة سموكم واتاحا لها ، على ضوءهما ان تدرس الموقف السياسي الحاضر في البلاد التي تتألف من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين ، وتمثل المجموعة السورية المراقبة التاريخية ، وانها لترحب اجمل ترحيب بهذين التصريحين وتسجلهما وتعتبرهما اعترافا بجدارة البلاد السورية بالاستقلال والوحدة ، ودليلا على تقدير بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة للمنافع المشتركة التي يمكن ان يضمنها استقلال البلاد العربية السورية ووحدتها للدولتين الحليفتين وللعرب انفسهم سواء في ايام السلم او ايام الحرب . وبناء على هذا الرأي ترى (اي الحكومة الاردنية) ان تفضلوا وتسمحوا لها بالاتصال بالحكومات المشار اليها والتعاون واياها على العمل لتحقيق الغايات الآتية وجمع الكلمة وتوحيد الرأي العام ، وانها تستند في اقتراحها هذا الى الامور الآتية :

تضمن تصريح المستر ايدن ان الحكومة البريطانية مظلومة العطف على قضية الاستقلال السوري وانها مستعدة لتأييد السعي الذي يبذله فريق من زعماء العرب لايجاد نوع من الوحدة العربية .. وان ذلك ليعد اكبر تأييد من الحكومة البريطانية واعظم عطف منها على القضية العربية .

ثم تضمن قرار الحكومة الاردنية ، النقاط التي رداها مبررة لما جاء فيه .

على ان الحكومة البريطانية استقبلت مذكرة الامير عبد الله وقرار حكومته بفتور ملحوظ وكلفت معتمدها في الاردن بالجواب عليه في مذكرة جاء فيها :

« .. ان فخامة المندوب السامي (بفلسطين) قد احال الامر الى حكومة جلالتة .. واور الى بان ابلاغ سموكم رد حكومته بالنص التالي :

« ان المثل الاعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحود على عطف حكومة جلالتة التام ، على ان القضية يرجع امرها الى تبصر العرب انفسهم ، عندما يكون الميدان اكثر جلاء مما هو عليه في الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق بالقرار الموجود قيد النظر ، فان حكومة جلالتة تلزم رايها التاكيد ان كل تقارب من الحكومة السورية او من اية حكومة اخرى من الحكومات ، كالتى تضمها حكومة شرق الاردن

نصب عينها ينبغي ارجاؤه ريثما تغدو الحالة اكثر استقرارا » .

ولم تكن استجابة الامير عبد الله هي الوحيدة التي قوبل بها تصريح ايدن من قبل العرب ، بل ان نوري السعيد قام بدوره بتقديم مذكرة عرفت يومها « بالكتاب الازرق » الى المستر كيزي وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط ، وقد اعربت هذه المذكرة عن ترحيب العراق بالبادرة الانجليزية التي وردت على لسان المستر ايدن . .

بيان مصطفى النحاس باشا

ان البيانات التي اصدرها المسؤولون في الاردن والعراق لم تترك اي صدى في الدوائر العربية الاخرى لان الوضع السياسي في كلتا الدولتين المذكورتين لم يكن يحظى بتأييد هذه الدوائر ولا يرضاهما ، فاتجهت الانظار الى مصر كبرى الدول العربية . وفي غضون اسابيع قلائل تناقلت وكالات الانباء ان مصطفى النحاس باشا ، رئيس الحكومة المصرية كلف وزير العدل في حكومته ، المحرم صبري ابو عثم باشا بان يلقي يوم 30 اذار سنة 1943 ، باسمه وبصفة رسمية ، البيان التالي :

« انني من قديم معنى بأحوال الامم العربية والمعاونة على تحقيق آمالها في الحرية والاستقلال ، سواء في ذلك ، اكنث في الحكم ام خارج الحكم ، وقد خطوت في ذلك خطوات واسعة ، صادفها التوفيق بان اتجه نظام الحكم في بعض الاقطار العربية الاتجاه الشعبي الصحيح . ومنذ اعلن المستر ايدن تصريحه فكرت فيه طويلا ، وقد رأيت ان الطريقة المثلى التي يمكن ان توصل الى غاية مرضية ، هي ان تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من آمال كل على حدها ، ثم تبدل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ثم تدوهم بعد ذلك الى مصر معا في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسمى للوحدة العربية كجبهة متحدة بالفعل ، فاذا ما تم التفاهم او كاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر برئاسة الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققا ما تنشده الامم العربية . »

ويمكن تفسير هذا الموقف السريع والحاسم الذي بادر الى اتخاذه مصطفى النحاس باشا من تصريح المستر ايدن ، بان مصر ارادت ان تدخل الى الحركة العربية من بابها الواسع ، وان يكون لها في هذه الحركة الدور الرئيسي الفعال ، فلا تترك ، لا للامير عبد الله ولا لنوري السعيد الاستقلال بأخذ المبادرة في توجيه النشاط العربي سواء من الناحية القومية او من الناحية الرسمية ، وهذا ما يعنيه بالفعل ، تركيز بيان النحاس باشا على ان تتولى مصر بالذات الدعوة لعقد المؤتمر العربي في أراضيها وبرئاسة رئيس حكومتها دون سواء .

ونظرا لمكانة مصر في العالم العربي وفعاليتها في الميدان الدولي العالمي ، فان بيان النحاس باشا احدث تأثيره السريع لدى المحافل العربية ، فاستجابات له الحكومات العربية على الفور وكان اول المستجيبين الحكومة العراقية فاودت وزير داخليتها المرحوم تحسين العسكري ومعه جميل المدفعي أحد رؤساء الحكومة العراقية السابقين لاجراء مشاورات رسمية مع الحكومة المصرية حول ما جاء في بيان النحاس باشا لاتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها اخراج فكرته الى حيز التنفيذ . واتفق الطرفان ، مصر والعراق ، على توجيه الدعوة الى الحكومات العربية كي ترسل ممثلين عنها للمشاركة في هذه المشاورات في مؤتمر تحضيري ، يعقد لهذا الغرض في مدينة الاسكندرية . وقد رؤى الاقتضار يومئذ على الدول العربية المستقلة وكان عددها خمسة وهي : سورية والاردن والعراق ولبنان ومصر . وقد لبثت هذه الدول الخمس دعوة الحكومة المصرية لحضور هذا المؤتمر التحضيري وفي جملتها الاردن نفسه ، الذي ارسل موافقته في كتاب حمله الى النحاس باشا نوري السعيد باشا ، جاء فيه :

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزارة المصرية الافخم كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، وقد زارنا بممان وسيزور مصر ليرى رفعتكم في القضية العربية التي قد استرعى افكارنا عنها علاوة على ما يعلم فخامته من البدا القديم الذي سار عليه بيتنا في القضية العربية . واقنا لنشكر لرفعتكم على منيلكم للاخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعا في اقطارنا المحبوبة ، واننا حين نكتب كتابنا هذا ، نتمنى لرفعتكم الصحة والعافية والتوفيق في جميع الاممال .

مؤتمر الاسكندرية التحضيرى

استمر انعقاد المؤتمر الذى دعاه اليه النحاس باشا فى مدينة الاسكندرية طوال المدة الواقعة ما بين 25 ايلول و 7 تشرين الاول من سنة 1943 . وفى نهايتها اصدر المؤتمر بياناً رسمياً ، عرف فيما بعد باسم « بروتوكول الاسكندرية » ، وجاء فى مقدمة هذا البيان :

« البائنا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين البلاد العربية جمعاء ، وحرماً على توطيد هذه الروابط وتدميمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانها واهمالها ، واستجابة للرأي العربى العام ، فى جميع الاقطار العربية قد اجتمعوا (اي المؤتمر) بالاسكندرية بين يوم الاثنين 8 شوال سنة 1963 الموافق 25 سبتمبر 1943 ويوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1943 فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام وتم الاتفاق بينهم على ما ياتى :

اولا : تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى «مجلس جامعة الدول العربية» تمثل فيه الدول المشتركة فى «الجامعة» على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد الاجتماعات الدورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء ، بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الاحوال التى يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان الى المجلس لفصل هذا الخلاف ، وفى هذه الاحوال ، تكون قرارات «مجلس الجامعة» نافذة وملزمة ، ولا يجوز على كل حال الاتجاه الى القوة لفصل المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام او روحها . ولا يجوز فى اية حال اتباع سياسة خارجية تفسر سياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة

او غيرها للتوفيق بينهما . وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لاعداد مشروع لنظام «مجلس الجامعة» ولبحث المسائل السياسية التى يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية . « وقد تضمن هذا البيان « البروتوكول » بالاضافة الى فقراته الاساسية قرارين خاصين ، احدهما من لبنان والاخر من فلسطين . ويمكن تلخيص المبادئ العامة الواردة فى هذا البروتوكول بما يلى :

« التعاون فى الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها وتدميم هذه الروابط فى المستقبل » . وجرى التوقيع النهائي عليه فى ادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية يوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1944 والذين وقعوا عليه هم :

من مصر :

مصطفى النحاس ، رئيس الحكومة
احمد نجيب الهلالي ، وزير المعارف العمومية
محمد صبري ابو علم ، وزير العدل
محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية

من سورية :

سعد الله الجابري ، رئيس الحكومة .
جميل مردم ، وزير الخارجية .
نجيب الارمنازي ، امين السر العام لرئاسة الجمهورية

من الاردن :

توفيق ابو الهدى ، رئيس الحكومة
سليمان السكر ، سكرتير مالي وزارة الخارجية

من العراق :

حمدي الباجه جي ، رئيس الحكومة
نوري السعيد ، رئيس سابق للحكومة
ارشد العمري ، وزير الخارجية
تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض بمصر .

من لبنان :

رياض الصلح ، رئيس الحكومة
سليم تقلا ، وزير الخارجية
موسى مبارك ، مدير حرفة رئيس الجمهورية

اجتماع القاهرة والقرار ميثاق الجامعة

ولما كان اجتماع الاسكندرية عبارة عن مؤتمر تحضيرى، والبيان الذى انبثق منه عبارة عن بروتوكول اعدادى ، فان الحكومات العربية التى شاركت فى هذا الاجتماع وقعت البروتوكول ، كلفت من بينها لجنة فرعية لصياغة مشروع نهائي فى تنظيم المبادئ التى تقوم عليها جامعة الدول العربية وهيكلها الاداري . وقد قامت هذه اللجنة بما عهد اليها وقدمت هذا المشروع بشقيه السياسى والاداري فى غضون مدة قليلة لم تتجاوز الاسابيع الثلاثة ، وفى 22 اذار سنة 1945 ، انعقد مؤتمر عربي عام اشترك فيه مندوبون وسميون عن الدول التى سبق لها ان وقعت على بروتوكول الاسكندرية من قبل ، وقد انضم الى المجتمعين فى هذا المؤتمر مندوبون عن المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية ، بعد جهود شخصية بذلها عبد الرحمن عزام باشا لدى المرحوم الملك عبد العزيز وال سعود الذى لم يكن فى ذلك الوقت على علاقة طيبة مع مصر والعراق لاسباب تاريخية معروفة .

وبعد ان ناقش المؤتمر فى القاهرة المواد التى عرضت عليهم، ادخلوا عليها بعض التعديلات التى راوها ضرورية لنجاح المؤسسة القومية التى يريدون تأسيسها ثم ذبلوا ما اتفقوا عليه بتواقيعهم . وكان ذلك فى قصر الزعفران بالقاهرة يوم الخميس 8 ربيع الثانى سنة 1364 الموافق 22 اذار سنة 1945 . وكانت الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، بعد ان الفوا كلمة «بروتوكول الاسكندرية» ووضعوا مكانها عنوانا آخر وهو « ميثاق جامعة الدول العربية » . والذين وقعوا هذا الميثاق نيابة عن دولهم هم السادة :

عن سورية :

فارس الخوري ، رئيس الحكومة
جميل مردم ، وزير الخارجية

عن الاردن :

سمير الرفاعي ، رئيس الحكومة
سميد المفتي ، وزير الداخلية
سليمان النابلسي : نائب سر الحكومة

عن العراق :

ارشد العمري ، وزير الخارجية

علي جودت الايوبي ، وزير العراق المفوض
بواشنطن

تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض
بمصر .

عن المملكة السعودية :

الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير الخارجية
خير الدين الزركلي ، مستشار المفوضية
السعودية بمصر

عن لبنان :

عبد الحميد كرامي ، رئيس الحكومة
يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بمصر

عن مصر :

محمود فهمي النقراشي ، رئيس الحكومة
محمد حسين هيكل ، رئيس مجلس الشيوخ
عبد الحميد بدوي ، وزير الخارجية
مكرم عبيد ، وزير المالية
عبد الرزاق السنهوري ، وزير المعارف
العمومية

عبد الرحمن عزام ، الوزير المفوض بوزارة
الخارجية

اما اليمن فقد ارسلت الى صنعاء نسخة الميثاق
حيث وقعها مندوب المملكة المتوكلية اليمنية وبذلك
تكون جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة
قد وقعت ميثاق الجامعة بلا استثناء .

يوم 22 اذار سنة 1945 هو ميلاد جامعة
الدول العربية رسميا

تنص المادة العشرون من الميثاق ، وهي اآخر
مادة فيه :

« يصدق على هذا الميثاق وملاحقه ، وفقا للنظم
الاساسية المرمية فى كل من الدول المتعاقدة وتودع
وثائق التصديق لدى الامانة العامة . ويصبح
الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انتفاء خمسة
عشر يوما ومن تاريخ استلام الامين العام وثائق
التصديق من اربع دول . »

وقد نفذت الدول العربية المتعاقدة مضمون هذه
المادة خلال ايام متقاربة ، واودعت حكومات هذه

الدول وثائق التصديق على الميثاق حسب الترتيب التالي :

المملكة الأردنية الهاشمية	بتاريخ 10 نيسان 1945
المملكة المصرية	بتاريخ 12 نيسان 1945
المملكة العربية السعودية	بتاريخ 16 نيسان 1945
المملكة العراقية	بتاريخ 25 نيسان 1945
الجمهورية اللبنانية	بتاريخ 16 أيار 1945
المملكة المتوكلية اليمنية	بتاريخ 19 أيار 1945
الجمهورية السورية	بتاريخ 9 شباط 1946

وعلى هذا فإنه ابتداء من يوم 11 أيار 1945 أصبح ميثاق جامعة الدول العربية نافذ المفعول بشكل رسمي ، غير أن الرأي اتفق بالاتفاق على أن يكون يوم 22 آذار 1945 هو الميعاد الرسمي لتأسيس الجامعة ، ذلك أن مندوبي الدول العربية المجتمعين في القاهرة وقعوا بمجموعهم تقريرا الميثاق في هذا اليوم .

ونظرا لأهمية هذا الحدث القومي في تاريخ الأمة العربية ، فقد قررت جميع الدول المشتركة في الجامعة اعتبار هذا اليوم عيدا قوميا تعطّل فيه سائر الدوائر والمؤسسات العامة في بلادها من كل عام .

خلاصة الميثاق

وميثاق جامعة الدول العربية يقع في عشرين مادة اتفق عليها جميع الدين وقعوا عليه لتكون قاسما مشتركا ضمن الحدود التي توضحوا على التزامها فيما بينهم ، سواء في علاقاتهم بعضهم ببعض أو في علاقاتهم مع غيرهم من الدول الأجنبية .

وقد عبرت المادة الأولى من هذا الميثاق عن طبيعة الجامعة وأغراضها ومبادئها إذ نصت أنه :

«تألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقعة على هذا الميثاق ، ولكل دولة عربية مستقلة الحق في أن تنضم إلى الجامعة ، فإذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة للجامعة ، ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » .

كما نصت المادة الثانية على أن :

« الفرص من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر

بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .
كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الآتية :

1 - الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملية وأمور الزراعة والصناعة .

2 - شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

3 - شؤون الثقافة

4 - شؤون الجنسية والجوازات والناشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين

5 - الشؤون الاجتماعية .

6 - الشؤون الصحية .

ملاحق الميثاق

ويعد أن مددت مواد الميثاق أنواع النشاطات المختلفة التي تقوم بها الجامعة فإن مندوبي الدول العربية الذين اشتركوا في إعداد الميثاق بصيغته النهائية ، كانوا حريصين على تضمينه ملحقا خاصا بالقضية الفلسطينية قالوا فيه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لأي دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمورها لأصحاب الشأن فيها . وإذا لم تكن قد مكنت من تولي أمورها ، فإن ميثاق العصبة (عصبة الأمم) في سنة 1919 لم يقرر النظام الذي وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها . فوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى . وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب القاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية ، أنه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله » .

اختيار القاهرة مقرا للجامعة

اما بصدد المكان الذي يتخذ مقرا رئيسيا لاقامة امين هام للجامعة بصورة دائمة مع الدوائر الادارية التي تتبع له مباشرة ، فقد رؤى ان يكون في مدينة القاهرة . وقد روعي في هذا الاختيار مكانة مصر في العالم العربي ، وهي المكانة التي تستمد قوتها ونفوذها من الامكانات الضخمة التي تتوفر لهذا القطر الكبير سواء بالنسبة لعدد سكانه او بالنسبة للظروف المنعوية التاريخية التي جعلت منه كيانا قوميا تكاملت له اسباب الزعامة الفكرية عن طريق ما فيه من المؤسسات العلمية الكثيرة ، الى جانب الزعامة الدينية عن طريق وجود الجامع الازهر الشريف في ارضه . وعلى هذا فقد نصت المادة العاشرة من ميثاق الجامعة :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية وللمجلس الجامعة على ان يجتمع في اي مكان آخر يعينه » .

النص على مصرية الامين العام للجامعة

وتبعا لاختيار مدينة القاهرة مقرا دائما للجامعة ، فان اعضاء مجلس الجامعة راوا ان يكون كذلك منصب الامين العام لهذه المؤسسة وقفا على واحد من المصريين ، لا ينافيهم في ذلك غيرهم من الشعوب العربية . وقد اكد المجلس ذلك بالنص عليه في الملحق الذي اضافوه في آخر الميثاق وهو يقضي باسناد هذا المنصب الخطير الى عبد الرحمن عزام باشا نظرا لخبرته في الشؤون العربية وسابقته في خدمة العروبة في مختلف اقطارها وامصارها .

الفوارق الملهوطة بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة

وما دما قد تحدثنا فيما سبق عن ميثاق الجامعة بمواده وملاحقه ، فاننا لا نرى باسا من ان نتناول بكلمة هابرة الظروف والملابسات التي جعلت من هذا الميثاق يختلف في بعض مواد الرئيسية وملاحقه الاضافية من البروتوكول الذي أصدره المؤتمر التحضيري في الاسكندرية عندما اجتمع في هذه المدينة بدعوة من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية .

ولقد كان اختيار الشخصية العربية الفلسطينية موضوعا شائكا بالنسبة لاهضاء الجامعة ، وذلك بسبب الاوضاع الصعبة التي كانت تعانيها فلسطين تحت وطأة الانتداب الانجليزي وهموم الخطر اليهودي الذي يهددها بالزوال من خريطة العالم العربي ، وكذلك بسبب غياب زعيمها سماحة السيد محمد امين الحسيني وصحبه من قادة النضال الفلسطيني ، في المعتقلات والمنافي السحيقة .

غير ان مجلس الجامعة رأى الخروج من هذا المازق الحرج بتبني اقتراح قدمه السيد محمد صلاح الدين باشا . وهذا الاقتراح يقضي بتعيين السيد موسى العلمي ممثلا عن فلسطين في ذلك الحين ، وكان الذي وجه نظر صلاح الدين باشا الى هذا الشخص الاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العربي المعروف . والسيد موسى العلمي الذي كان حينئذ مقيما بمصر هو من رجال فلسطين المثقفين الذين يتمتعون بسمعة مرموقة واسم طيب ، وكان يشغل في بلده فلسطين ايام الانتداب البريطاني وظيفة مساعد النائب العام .

موضوع الدول العربية غير المستقلة

وكذلك فان ميثاق جامعة الدول العربية لم يشأ ان يحصر اهتمامه بالدول العربية المستقلة ، بل انه تضمن الى جانب الملحق الخامس بفلسطين ، ملحقا آخر خاصا بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة بسبب وقوعها تحت السيطرة الاجنبية كي لا تحرم هذه الدول وما هو في حكمها من المساهمة في نشاطات الجامعة داخل لجانها المتعددة . وقد جاء في الميثاق في هذا الصدد انه : « نظرا لان الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شؤوننا يعود خيرها والرها على العالم العربي كله ، ولان امانى البلاد العربية غير المشتركة في المجلس ينبغي ان يرهاها وان يعمل على تحقيقها فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعينها بوجه خاص ان توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشراك تلك البلاد في اللجان المشار اليها في الميثاق ، بان يذهب في التعاون معها الى ابعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بان لا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم امانيتها وآمالها ، وبان يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهينه الوسائل السياسية من اسباب » .

ويمكن القول ان أبرز مواطن الاختلاف بين الميثاق وبين البروتوكول ، تكاد تنحصر في موضوعي لبنان وفلسطين .

ملحق لبنان في البروتوكول

تضمنت الفقرة الرابعة من بروتوكول الاسكندرية قرارا خاصا بلبنان هذا نصها :

« تؤيد الدول العربية الممثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده العاصرة ، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهت سياسة استقلالية اعلنتها حكومتها ببيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس النيابي اللبناني بالاجماع في 7 اكتوبر 1943 » .

اما الميثاق فقد خلا خلا تاما من الاشارة الى لبنان ، فلم يذكر هذا القطر فيه لا تصريحاً ولا تلميحاً ، وليس من شك في ان تخصيص لبنان بمثل هذا القرار المستقل من قبل المؤتمرين بالاسكندرية كان بايعاء من المرحوم رياض بك الصلح الذي كان يتمتع باحترام جميع الزعماء العرب في داخل المؤتمر وخارجه ، ولعل المرحوم رياض بك اراد من وراء ذلك تطمين بعض الفئات اللبنانية الانمالية الى احترام الدول العربية المؤسسة للجامعة لكيان لبنان بصورة رسمية ونهائية ، هذا الكيان الذي لم يكن حتى ذلك الحين يحظى لدى هذه الدول بالقبول والتأييد بسبب ما كان يحيط بنشؤنه سنة 1920 من اعتبارات سياسية تتناقض مع الاماني الوطنية عند العرب في ذلك الحين . فلقد اراد المرحوم رياض بك الافادة من المكانة السامية التي كان يحتلها في الاوساط العربية لدعم موقفه الشعبي في نفس لبنان عن طريق بادريه هذه ، وبذلك يعيب مصغورين بحجر واحد ، كما يقول المثل السائر ، اثبات وجوده عربيا من جهة وتأكيد ولأله الصادق للبنان في حدوده التي خطتها الانتداب الفرنسي لدى بعض مواطنيه من جهة ثانية .

ومما ساعد رئيس الحكومة اللبنانية يومئذ على تمرير قراره في صلب النص الرسمي لبروتوكول الاسكندرية ان هذا القرار وجد هوى واستجابة في نفوس زملائه المؤتمرين الذين راوا الفرصة سانحة امامهم لحل « المعضلة العربية » التي كانت تنهش اعصاب فريق من اهل « متصرفية جبل لبنان » القديمة ،

وتثير في نفوسهم الشك والريبة بكل ما هو عربي او يتصل بالعروبة من قريب او بعيد ! ..

بيد ان المؤتمر التحضيري الذي تحول في القاهرة الى مجلس جامعة الدول العربية رأى افعال هذا القرار في ميثاقه كي لا يكون في هذا الميثاق نتوءات نفسية او لغزات قومية ، توحى بالتفرقة بين دولة عربية واخرى . واكتفى اعضاء المؤتمر بتأكيد المبادئ العامة التي تشمل الدول العربية المستقلة جميعها ، على سوية واحدة من الاعتبارات الوطنية.

فلسطين وبروتوكول الاسكندرية

اما بالنسبة الى فلسطين فان بروتوكول الاسكندرية كان قد خصصها في فقرته الخامسة بقرار مستقل جاء فيه :

1 - ترى اللجنة ان فلسطين وكن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي ، كما ترى اللجنة ان التعهدات التي اربطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من الحقوق الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تالما من احد لما اصاب اليهود في أوروبا من الويلات والالام على يد بعض الدول الاوروبية الديكتاتورية ، ولكن يجب ان لا يخلط بين مسألة اليهود بأوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

2 - يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانتقاد اراضي العرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل .

وعندما اجتمعت هذه اللجنة التحضيرية في قصر الزعفران بالقاهرة واصدرت بيانها « ميثاق جامعة الدول العربية » يوم 22 آذار 1945 ، جاء نص الملحق الخاص بفلسطين مخالفا جملة وتفصيلا للقرار الذي

تضمنه البروتوكول بهذا الصدد ، اذ روعي في نص الميثاق من فلسطين ، ان يدور في العموميات القامضة التي لا تلزم امضاء الجامعة بآية مبادرة محددة من اجل انقاذ فلسطين من الاخطار الاستعمارية والصهيونية التي كانت تهدد كيانها بالزوال والتي ازالته بعد ذلك بالفعل .

وقد اثار هذا الفموض في قرار فلسطين بالميثاق يومئذ تساؤلات كثيرة رددتها الصحف على السنة بعض القادة والزعماء الوطنيين . على ان هذه التساؤلات بقيت دون اى جواب من قبل المسؤولين العرب ، والتعليق الوحيد الذي صدر في حينها حول هذا الموضوع هو ما نسب الى الامين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا من « الخواجات عاوزين كده » .

وطبيعي ان هذا الجواب المنسوب الى عزام باشا ابقى علامة الاستفهام هائلة حيث هي في اذهان المتساقلين لان عبارة « الخواجات عاوزين كده » لم تحمل اليهم الجواب الذي كانوا يتوقعونه . وكل ما حصل هو ان الفنون اتجهت الى ان المقصود « بالخواجات » هم الإنكاز ، الامر الذي جعل الناس غير مطمئنين الى جدية الكلام الوارد في الميثاق بصدد قضية فلسطين والذي يؤسف له ان الايام قد كشفت فعلا فيما بعد ان سوء ظن الناس كان في محله !

الصفة القانونية والوضع الدولي لجامعة الدول العربية

بعد ان قدمنا جامعة الدول العربية في اطارها القومي العام واغراضها الوطنية المختلفة ، فانه يجدر بنا ان نقدم هذه المؤسسة الهامة من خلال مفهومها القانوني سواء في علاقاتها الرسمية باعضائها من الدول العربية او فيما كانت تقوم به من طريق امينها العام من اتصالات مع حكومات الدول الاجنبية والمؤسسات العالمية كهيئة الامم المتحدة واللجان المتفرعة عنها .

والملاحظ ، ان الذين وضعوا ميثاق الجامعة بما فيه من مواد او ملاحق او تنظيمات لم يحاولوا تحديد وضعها القانوني لا عربيا ولا دوليا ، وذلك على الرغم من ان البحث في هذا الوضع اثير اكثر من مرة واستقطب اهتمام الدول الاعضاء واستدرجهم الى كثير من الحوار والمناقشات الجدلية التي تميزت بالحدة والعنف . الا ان الاعضاء كانوا يدورون دائما حول الحمى دون ان يرتفعوا في صميمه ، او ينتهوا منه الى راي حاسم يجمع

عليه كافة الفرقاء المعنيين . واخيرا تركوا البحث في هذا الموضوع تاركين للزمن مهمة البت في الوصف القانوني لمؤسستهم لتفادي الحرج والانتقام والفشل فيما اخذوا انفسهم به لا سيما بعدما سمعوا زميلهم الاستاذ هنري فرعون ، وزير خارجية لبنان يعلن قائلا : « عندما نمطي كيانا قانونيا للجامعة تصبح لها الشخصية الدولية ، ونفس البروتوكول لا ينص على ذلك ، فاذا اردتم موافقتنا فلنترك هذه المسألة » .

وهكذا يمكن القول بان شخصية جامعة الدول العربية من الناحية القانونية بقيت غير واضحة ولا محددة المعالم ، مما حمل اهل الدراية في الفقه السياسي والتشريع الدولي على ان يعتبروها مجرد مؤتمر دائم للدول العربية يرمي الى القيام بمهام خاصة ومحددة ، وعلى انه « ليس لهذه الجامعة شخصية كاملة في السيادة والاستقلال سواء في الداخل او في الخارج » . وهذا هو الرأى الذي تثبت باعتماده مندوب لبنان الاستاذ هنري فرعون وعلق بقاء حكومته في الجامعة على اساسه .

الجامعة العربية وعلاقاتها الدولية والعالمية

هذا فيما يتصل بالشخصية القانونية للجامعة في المحيط العربي البحث . اما فيما يتصل بصفتها القانونية في المحيط الدولي والعالمي ، فان اوار الجدل حول هذا الموضوع لم يكن اقل احتداما عنه في صدد الموضوع السابق . ذلك ان بعض الحكومات العربية وفي طليعتها لبنان كانت تصر دائما على ان تنفي عن الجامعة الصفة القانونية التي تخولها حق التكلم باسمها في المحافل الدولية كهيئة الامم المتحدة ، او عن طريق المراسلات الرسمية مع الدول الاجنبية الاخرى . وكانت معارضة هذه الحكومات قائمة على ان القول باعتبار الجامعة العربية هيئة اقليمية يتعارض ومبدأ السيادة القومية لكل دولة من دولها على حدة .

وهنا لا بد من القول بان الحكومة اللبنانية كان لها يومئذ النصيب الاوفر في معارضة الصفة القانونية الدولية للجامعة ، وعندما كان عبد الرحمن عزام باشا يقوم في امريكا بجولة دعائية لصالح القضية المصرية اثناء نظرها في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، نقلت جريدة المصري عن لسان الاستاذ هنري فرعون قوله :

حدود الميثاق صادرا من الجامعة بوصفها هيئة اقليمية قائمة بذاتها .

وبالفعل فان حكومات الدول العربية عملت على التو بهذه التوصية التي سرعان ما لقيت استجابة رسمية من بعض الدول الاجنبية ، فاعلنت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في ذلك الحين : « ان الحكومة البريطانية ستعترف رسميا بالمخبرات الخاصة بالموضوعات السياسية والتي توجه من قبل جامعة الدول العربية ، وسيوجه الرد عنها الى الامين العام للجامعة ، بنفس الطريق الذي اتبع في ارسال الخطاب المجاب عليه » . وضمن البيان بان هذا الكتاب الرسمي من طرف الوزارة البريطانية يعني اعتراف هذه الحكومة بكيان الجامعة وصفتها القانونية . حتى ان الحكومة الاسبانية لم تكتف بالاعتراف الشكلي بالصفة الدولية لجامعة الدول العربية، بل انها تجاوزت ذلك الى مدى ابعد ، وتقدمت الى مجلس الجامعة عبر مذكرة رسمية تلتزم فيها معاوئتها في محيط السياسة الدولية وتأييدها في مواقفها السياسية عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

اعتراف هيئة الامم المتحدة بالكيان الدولي للجامعة

هذا ، ولم يقف الاعتراف بالشخصية القانونية لجامعة الدول العربية عند حدود الحكومات الاجنبية وحسب ، بل ان هيئة الامم المتحدة نفسها ، قد اعترفت هي الاخرى بهذه الشخصية وذلك عندما اقرت جميعتها العمومية اقتراحا قدم اليها بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى النظر في انشاء لجنة اقتصادية للشرق الاوسط واعترفت فيه « بان تعاون اللجنة مع الهيئات الاقليمية في الشرق الاوسط » كجامعة العربية « من شأنه ان ييسر للجنة مهمتها »

وعلى الرغم من ان قرار هيئة الامم المتحدة الذي اصدرته جميعتها العمومية ، فسر يومها بأنه نوع من الاعتراف « الواقعي » بالجامعة ، الا انه على اي حال يعتبر اعترافا ضمنيا بالشخصية الدولية لهذه المؤسسة الاقليمية . وقد ذكر عبد الرحمن مزام باشا في حديث نشرته له جريدة « الحياة » البيروتية في عددها الصادر يوم 23 آذار 1969 ان الجمعية العمومية للامم المتحدة اتخذت سنة 1950 قرارا بقبول الجامعة كمنظمة اقليمية تخدم اهداف الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

« بما انه ليست للجامعة اية شخصية قضائية (لعله يريد قانونية لانه لا يحسن العربية السليمة) فان امينها العام لا يخرج من كونه موظفا كبيرا اداريا . ومن الواضح انه ليست له اية صفة لبذل مثل هذا المسمى على حساب الجامعة . وتعتبر هذه الجامعة بمثابة مؤتمر دائم للدول العربية ، وان الدول العربية تعرب من آرائها بواسطة حكوماتها ووزرائها المفوضين » .

على انه مما يثير الدهشة والاستغراب ان موقف لبنان من هذه المسألة كان يناقض بعضه بعضا حتى في نفس الحكومة الواحدة ، اذ بينما كان راي وزير خارجية لبنان كما بينا آنفا . فان رئيس الحكومة اللبنانية المرحوم عبد الحميد كرامي في ذلك الوقت ، نجده عند نظر قضية جلاء القوات الفرنسية من سورية ولبنان بصر ، وفي مجلس الجامعة بالذات بان : « لبنان يتمسك بتمثيل الجامعة في كل مؤتمر يعقد بين الدول الكبرى لعلاج هذا الامر »

اما مندوب سورية المرحوم سعد الله بك الجابري فقد ذهب في الاعتماد على قانونية الوجود الدولي للجامعة الى ابعد مدى حين قال : « ان سورية تؤثر ان لا تمثل هي ويمثل مجلس الجامعة » .

وبالفعل فان المجلس قد اصدر يوم 5 يونيو 1945 بناء لطلب مندوبي سورية ولبنان قرارا متضمنا هذا التمسك بتمثيل الجامعة وتفضيله على تمثيل الدولتين صاحبتى الشأن المباشر ، وكان هذا القرار باجماع آراء الدول الممثلة في المجلس، وهو اعتراف اكيد وصريح بالصفة القانونية الدولية للجامعة .

والواقع ان جامعة الدول العربية كانت تعتبر نفسها ذات شخصية دولية غير مشكوك في قانونيتها . وقد كان امينها العام عبد الرحمن مزام باشا يمارس نشاطه ويقيم اتصالاته وعلاقاته مع الحكومات الاجنبية والمنظمات الدولية من خلال هذا الاعتبار . وعندما بحث مجلس الجامعة في اجتماعه العادي الخامس قضيتي ليبيا وفلسطين مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، فان هاتين الدولتين تخاطبتا رسميا ومباشرة مع جامعة الدول العربية في موضوع هذين البلدين .

على انه في 13 حزيران 1946 حسم الجدل حول هذا الموضوع ، اذ اصدر مجلس الجامعة المنعقد في بلودان قرارا يوصي فيه الدول العربية بان تطالب الحكومة البريطانية بالاعتراف بجامعة الدول العربية صراحة ، وان تعتبر ما يوجهه اليها الامين العام ، ضمن

اقتطارها ، بل انها تجاوزت في نضالها الدبلوماسي هذا النطاق القومي فاصدرت قرارا بتوصية الدول الاعضاء بهيئة الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية الاندونيسية عندما حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من الاستعمار الهولندي . وهكذا ...

الجامعة توصي بانشاء جيش موحد للدفاع عن البلاد العربية

عندما تعرض مجلس الجامعة لبحث الاعتداء الفرنسي على سورية ولبنان 1945 ، اقترح المرحوم توفيق السويدي تزويد هذين البلدين بجيش عربي مشترك لمساندتهم في الدفاع عن كيانهما الوطني ، وقد علق عبد الرحمن عزام باشا يومئذ على هذا الاقتراح بالتحديد وقال : « ان هدف الجامعة العربية هو ان تكون في المستقبل مسئولة عن الامن داخل نطاق دول الجامعة وتستمد هذه السلطة من نفسها ومن شعوبها . وقد يقرها مجلس الامن الدولي على ذلك ، وسياتي اليوم الذي يكون فيه للدول العربية قوة دولية كافية لتأمين الامن في نفس هذه الساحة . . مستندة الى مجلس الامن نفسه ا » .

محكمة عدل عربية تابعة للجامعة

وقبل ان ناتي على ختام هذا الحديث فانه لا بد لنا من الاشارة الى ان المرحوم رياض بك الصلح سعى سعيا حثيثا لاجل انشاء « محكمة عدل عربية » في صلب تنظيمات الجامعة العربية ، تكون مهمتها النظر من الناحية القضائية في النزاعات التي يمكن ان تقوم بين الدول الاعضاء في هذه الجامعة ، وذلك من اجل تحديد الحالة القانونية للدول المتنازعة . على نحو ما هو متبع في محكمة العدل الدولية في لاهاي بهولندا ، غير ان هذه الفكرة الجليلة لم يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ وطوي البحث فيها بعد اغتيال المرحوم رياض بك في سنة 1951 .

وايا ما كان ، فان جامعة الدول العربية ما لبثت ان اصبحت عربيا ودوليا ذات شخصية قانونية قائمة ببلاتها رغم ان المندوب اللبناني اصر على اعتبارها بمثابة مؤتمر يجمع الحكومات العربية للتشاور فيما بينها في درس القضايا الخاصة بالعرب مما يعرض عليه .

الجامعة تتصرف على انها هيئة قومية اقليمية

وان الجامعة ، قد تصرفت فعلا على انها هيئة سياسية اقليمية ، من ذلك انها تقدمت الى مجالس الوزراء بالدول العظمى عبر مذكرات متعددة تبين فيها وجهة نظرها في مصير ليبيا وتطلب الاشتراك بهذه الصفة في اى لجنة تحقيق يمكن ان ترسل اليها لتعرف رغبات سكانها في تقرير مصيرهم . وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف هجرة الايطاليين غير المشروعة الى البلاد الليبية .

وبعثت بمذكرتين الى الجمهورية الفرنسية ، احدهما بشأن تحرير المرحوم محمد المنصف باي تونس الذي كان اسيرا في فرنسا واعادته الى مرشده الذي اغتصب منه بغير حق ، والاخرى بشأن اطلاق سراح المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف بمراكش الاسبانية . كما انها قامت بجهود خاصة في سبيل منع تنفيذ احكام الاعدام التي اصدرتها الحكومة الفرنسية بالجزائر بحق عدد من المجاهدين الجزائريين سنة 1945 . وكذلك ارسلت مذكرة اخرى الى فرنسا تطالبها فيها بتنفيذ التزاماتها كدولة تدير اقاليم لا تتمتع بالحكم الذاتي مما هو منصوص عليه في ميثاق هيئة الامم المتحدة . وايضا فان الجامعة قامت بالتوسط لدى الحكومة البريطانية لدعوة الهيئة العربية لفلسطين الى الاشتراك في مؤتمر لندن ، واتصلت بهيئة الامم المتحدة بشأن تحديد موعد اجتماع اللجنة المؤقتة للجنة الصحية للامم المتحدة عند انعقادها في جنيف بسويسرا .

بل ان الجامعة لم تكتف بالاتصالات العالمية التي قامت بها لصالح قضايا الشعوب العربية في مختلف

عن دويلات

الدكتور أسعد حمود "دمشق"

وكان القادة الصهاينة والقيمن من انه لن يصدر عن العرب والمسلمين رد فعل جدي، لاحتراق المسجد الأقصى، وأن الرد لن يكون أكثر من احتجاجات وصيحات لن تلبث أن تهدأ، ولن يكون لها على الصهاينة اثر ولا ضرر.

وكان موشي ديان هو القائد الصهيوني الذي داهبت الاحلام الخادمة اجفانه، بل يقترب اسمه في التاريخ بتحقيق دولة (اسرائيل الكبرى)، والقضاء على كل اثر للعرب والاسلام فيها. وان نصر حزيران الرخيص الذي حققته قيادته على العرب، قد فاق جميع تقديراته وآماله، فظن أن ما حلت اسرائيل بتحقيقه، على مدى اجيال وقرون، أصبح، بعد نصر حزيران، أمرا سهلا المنال قريب التحقيق، فطمع بأن يكون هو ذلك البطل المحقق لاحلام قومه.

واندفع ديان ومصابته في مفاخراتهم، وجرائمهم، التي بلغت ذروتها في احتراق المسجد الأقصى، ليمجموا مود العرب والمسلمين، وليجربوا رد فعلهم، حتى اذا وجدوه هزيعا ضعيفا، مادوا الكرة لاحتراقه بشكل تام ونهائسي.

وفي الواقع كان رد فعل العرب والمسلمين ضعيفا، لا يتناسب وقدسية المكان الذي أشعل الصهاينة فيه النار ودنسوه. ولكن يجب أن نعترف للامانة والحقيقة، بأن العرب أنفسهم - أصحاب المصلحة المباشرة في أرض فلسطين، وفي الحفاظ على قدسية المسجد الأقصى - لم يحسنوا الافادة من هذه المناسبة، ولم يحسنوا

إبطر الصهيونيين فشل العرب عام 1948، في القضاء على أحلامهم في إقامة دولة لهم في قلب العالم العربي، في البقعة المقدسة فلسطين، وراى في جرائمهم نجاح عدوانهم على مصر عام 1956، إذ اشتركت معهم في المعركة دولتان كبيرتان هما انكثرا وفرنسا، بينما ترك العرب مصر لمصيرها، تواجهه العدوان لوحدها.

وبلغت النشوة والخيلاء بالصهيونيين حد الجنون اثر ظفرهم، غدرا وفيلة، بالعرب في معركة حزيران 1967 فاستخفوا بالعرب وقدراتهم على الحفاظ على ما تحت أيديهم من أرض وتراث، فانطلقت من افواه المسؤولين الصهاينة أصوات وصيحات، تفضح بوضوح ودون تورية أو تمويه، المخطط الصهيوني البعيد المدى، من ضم والحاق وتوسيع على حساب الأرض العربية. ولم يستبعدوا التفكير في الامتداد على الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز.

أما القدس فقد اعتبر الصهاينة امرها منتهيا، فامروا باحراق المسجد الأقصى، الذي يمثل احد المقدسات الكبرى للعالم الاسلامي، غير مقيمين وزنا لرد فعل العرب، ولا لفضب المسلمين المنتشرين في اصقاع الأرض. إذ كانوا يريدون أن ينتهوا، وبأسرع ما يمكن، من القضاء على كل ما يربط العرب والمسلمين بالقدس، والأرض المقدسة فلسطين، ليسهل عليهم امر ترحيل من تبقى من العرب في القدس والمدن الفلسطينية الاخرى، الى البلاد العربية.

ولا شك في أن السعي الجدي لتحقيق التنسيق والتقارب بين مصر وليبيا والسودان ، ستتلوه خطوات أخرى نحو الوحدة بين الاقطار الثلاثة ، تجعل تلك المنطقة المتلاصقة ، التي تضم قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع من الأرض وخمسين مليوناً من البشر ، كتلة واحدة في المعركة ، ونواة تستقطب الاقطار العربية الواحدة بعد الأخرى ، لتجتمع شملها من جديد .

واننا لا نشك في أن التصريحات الوثقة التي صدرت وتصدر كل يوم ، عن قادة العنصريين في اسرائيل ، والتي تكشف عن نواياهم وأهدافهم ، واطماعهم التوسعية ، وأن تدنيسهم للمقدسات الإسلامية والمسبحة في القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ، واعتماداتهم المتكررة على الوطن العربي ، ستكون بدء النهاية بالنسبة لهذا الجسم الغريب الذي أريد زرعه في جسم الأمة العربية ، ويوم ينهار هذا الكيان القائم خلافاً لمنطق التاريخ ، ولعقلية العصر ، سينال القادة المغامرون جزاء وفاقاً على ما اقترفوه بحق الإنسانية والمقدسات من جرائم .

وليس زعماء اسرائيل هم أول من طرأ على هذا الأرض وحاول تدنيس مقدساتها ، والإساءة إلى شعوبها ، وليس موسى ديان وعصائنه هم أول المغامرين الذين اغرامهم التفرق ، والنزعات العارضة بين شعوب العالمين الإسلامي والعربي ، بالاستطالة على العرب والمسلمين وعلى مقدساتهم ، وبالسخرية من قدراتهم ، وامكاناتهم في رد الأذى والحق الهزيمة بالمتعدين . فمنذ قرابة ثمانمائة عام حل في جنوبي البحر الميت ، مغامر صليبي غادر ، غرته انتصارات عارضة ، حققها الصليبيون على المسلمين في المنطقة ، فلن أن بإمكانه تدنيس المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة ، كما دنس من سبقوه المقدسات الإسلامية في القدس والخليل ، واتخذوا من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة مربطاً للخيل ومهجماً للجند .

وكان من نتيجة ذلك أن فتحت جرائم ذلك المغامر عيون العرب والمسلمين على حقيقة الخطر المحقق بهم وبمقدساتهم في المنطقة كلها ، وادركوا أنه ما دام هناك مستقر لجسم غريب في أرضهم ، فلا أمن ولا سلام ولا أطمئنان ، فتحركت اوتال تتلو اوتالا من المجاهدين ، من كل أرض من أراضي الإسلام ، ملية دعوة الجهاد ، تقاتل وتعارب ، حتى كانت معركة حطين ، التي دفع ذلك المغامر قومه إلى خوضها وهم

عرض قضيتهم ، ولم يعرفوا ما يريدون بالضبط من وراء دعوة اقطاب المسلمين إلى مؤتمر الرباط . وفي اعتقادنا أنهم لو اتبعوا صيحة الجهاد التي أطلقوها ، بتنظيم جدي لايفاد متطوعة ومحاربين من العالم الإسلامي ، لرأينا اليوم زحواً تتلوها زحوف من الابطال المستميتين ، يتدفقون على ميدان المعركة ، من كل أرض انطلقت من مآذنها صيحة (الله اكبر) ، منبئين دامي الجهاد المقدس ، ليقضوا على العدو الذي دنس مقدساتهم ، أو لينالوا اجر الشهداء على الأرض المقدسة في المعركة المقدسة .

إن الصهيونيين يستمدون على العرب كل من يستطيعون ، باسم الدين ، وباسم القومية ، وباسم المصالح الاقتصادية والسياسية . الخ ، لا يفرطون في عون يائهم وإن صغر . ونحن نستبعد عوناً كبيراً ، بل معيناً من العون لا ينضب ، كان يمكن أن يكون في كفتنا ، وكان يمكن أن يؤثر تأثيراً فعلياً وحقيقياً على أولئك الذين يدعمون اسرائيل ، ويمكنون لها ، لو اننا أحسننا التصرف ، وعرفنا ما نريد ، إلا وهو عون العالم الإسلامي ، ذي المصلحة الحقيقية في أن لا يكون في المنطقة خطر يهدد مقدسات الإسلام في فلسطين والحجاز .

وعلى كل حال فقد كان لاحراق المسجد الأقصى ، وتصريحات زعماء اسرائيل وتهديداتهم فائدة إذ فتحت عيون العرب على حقيقة ما يراد بهم ، وعرفتهم بحقيقة وضعهم ، الذي يفري الاعداء بهم . فادركوا أنه ما لم يتم تضامن حقيقي بين الدول العربية ، بانتظار قيام وحدة بين اقطارهم ، تستطيع إقامة دولة عصرية وجيش مدرب قادر على استيعاب العلم الحديث والسلاح الحديث - فانهم لن يستطيعوا رد الطامعين بهم ، وستبقى حفنة من المغامرين ، تستخف بهم ، وتستعزى بهم وتتحداهم في كل يوم وفي كل ساعة ، وتضربهم في مقر دارهم كلما شاء لها هواها أن تلهو بذلك

وقد كانت أولبادرة للتضامن تصدر عن العرب ، وتشر برفض هذا الواقع المؤلم ، هي الإجماع في مؤتمر الخرطوم ، الذي عقد اثر النكسة ، على دعم الامكانيات المادية والعسكرية لدول المواجهة مع العدو ، وعلى رفض التفاوض مع العدو ، وعلى رفض الصلح معه . وتلت ذلك ثورتان في ليبيا والسودان ، كان من شأنهما وضع امكانيات القطرين الشقيقين في الميزان العربي الفعلي في المعركة المصيرية .

المهود والمواليق على القادة الصليبيين بان يعيدوا اليه ما يحتلونه مما كان تابعا في الماضي للإمبراطورية البيزنطية ، وخصوصا انطاكية .

ولكن بوهمند لم يكن يفكر في غير مصالحه الخاصة، فرفض الاستماع الى النصائح والاعتراضات ، وتمكن بحيله ومدبراته ، من الفوز بامارة انطاكية، رغم معارضة بعض زملائه .

وسار الامراء الصليبيون الآخرون جنوبا ، وأقام كل منهم أمارا لنفسه ، فكانت هناك مملكة في القدس، وامارة في طرابلس ، وامارة في الرها (اورفه) .

وأصبح بوهمند بلاء على المسلمين من جيرانه، وكان أكثر ضعفه منصبا على حلب المجاورة لانطاكية ، ثم أسر بوهمند من قبل الغازي ابن الدانشمند ، أمير التركمان في الأناضول ، ولكن لم يلبث أن فاضله وأطلق سراحه لقاء فدية كبيرة ، فعاد بوهمند يتابع اعتدائه نحو من حوله من المسلمين والبيزنطيين .

وتقم البيزنطيون على بوهمند حثه يمينه ، وانكاره لحقهم في السيادة على انطاكية ، فافتنموا فرصة هزيمة الفرنج - وفيهم بوهمند - في معركة حران عام 1104 م، وأسرهم ويحثون الخطا نحو كيليكيا واللاذقية التابعتين لامارة بوهمند . فخارت قوى بوهمند وشعر بالخطر الشديد المهدق به . فمهد بالامارة الى ابن أخته تانكريد ، وذهب الى أوروبا ، ليستثير حملة صليبية أخرى ، هدفها انقاذ انطاكية من خطر المسلمين والبيزنطيين . ولكن بوهمند ذهب ولم يعد ، وتزوج هناك من أميرة فرنسية رزق منها بولد يعرفه التاريخ باسم بوهمند الثاني .

وفي الفترة بين ذهاب بوهمند الأول الى أوروبا ، ووصول بوهمند الثاني الى الشرق ، تعاقب على انطاكية اميران نورمنديان ، أحدهما يدعى تانكريد ، والآخر روجيه ، وقد قضى المسلمون على روجيه وعلى جيشه في معركة البلاط على الطريق بين حلب وانطاكية .

وفي عام 1128 م ، وصل الى انطاكية بوهمند الثاني ، وهو شاب فارغ الطول ، قوي البنية ، جميل الملامح ، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، واتقن استعمال السلاح ، حتى بلد أقرانه به . وما هو الا ان تسلم أمارا انطاكية حتى تزوج باليس ابنة الثانية لملك القدس بودوان الثاني ، وبأشهر الإهارة على جيرانه المسلمين ، ومباغتة الحصون القريبة من

لها كارهون ، فوقع في يد صلاح الدين أسيرا ، فلم يصف منه ، لانه اعتبره مجرما ، وقاطع طريق ، ولم يعتبره محاربا يحترم قوانين الحرب .

ومنذ ذلك اليوم أدرك الصليبيون ان دولتهم قد أصبحت في حكم المقضي عليها بالزوال ، وتابيع من خلفوا صلاح الدين المهمة التي بدأها ذلك البطل ، حتى قدفوا بآخر الصليبيين في البحر ، بعد مائة وشر سنين من الحروب المتواصلة من يوم حطين .

وها نحن نسوق قصة ذلك المغامر الصليبي (ارناط) أو (رينودوشا بيون) لعلنا ان يكون فيها عظة للمرب ، وهبرة للمغامرين .

— أرناط —

تدفقت سيول الصليبيين على المشرق عام 1097 م (490 هـ) تريد - استجابة لنداء الكنيسة - استرجاع القدس من أيدي المسلمين ؛ ووجد الامراء المغامرون في أوروبا الفرصة سانحة ، فتبنوا المشروع لعاهم يفوزون بامارات وأقطاعات في الشرق ، مستغلين حماسة البسطاء والسذج ممن دفعتهم الحماسة الدينية لتحقيق رغبات الكنيسة . وكان من بين أولئك الامراء المغامرين ، أمير نورمندي الأصل استقر أباه في جنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية ، وكان من نصيبه في الميراث أرضا صغيرة في جنوبي إيطاليا لا ترضي أطماعه الواسعة ، فأسرع بوهمند أوييمند كما تسميه الرواية على رأس من تجمع تحت لوائه ، ينضم الى الجيوش الصليبية في الجانب الشرقي من مضيق البوسفور .

وبعد حروب واهوال وفظائع ومذابح ، تمكن ثلاثة أرباع المليون من الصليبيين من شق طريقهم الى سوريا، وكان أول ما احتلوه فيها، مدينة انطاكية، التي دافع عنها حمايتها المسلمون أشرف دفاع وأشجعه طوال عشرة أشهر . ولولا الخيانة التي ألحقت أحد القادة الداخلين حديثا في الإسلام ، لما تمكن الفرنج من احتلالها ، ولتبدل سير التاريخ كله في المنطقة .

وطمع بوهمند في ان يقيم لنفسه أمارا في انطاكية وخاف رفاقه ، القادة الآخرون ، ان تفسد أطماع بوهمند خططهم الرامية الى التعاون مع الامبراطور البيزنطي ، اسحق كومنين ، وضرب المسلمين بقوة صليبية بيزنطية موحدة . وكان الامبراطور قد اخذ

للقاء العدو مصممين على النصر ، وما النصر الا من عند الله .

وتقدم المسلمون ، وقضوا على الجيش الصليبي واكثروا فيه القتل ، حتى ذكر ابن الاثير ، انه مر في ارض المعركة ليلا ، بعد اكثر من سبعين عاما ، قتل له ان عظام القتلى الفرنج ما زالت منتشرة في تلك الارض . وعاد المسلمون الى حصن الانارب فتسلموه من الفرنج ، فاخربوه حتى سبوا بنسائه بالتراب ، لكيلا يتركوا اثرا يرمز الى الرهبة في قلوب اهل حلب ، ومن حولهم من المسلمين .

وخافت الاميرة الشابة على ملكها ، فاخذت ترسل زكي سرا ، وتضع نفسها تحت حمايته ، فاساء ذلك الفرنج الذين تسربت اليهم انباء اتصالاتها بالمسلمين . واخذ الجميع يفكرون في وسيلة يتمكنون بها من ابعاد الاميرة (اليس) من حكم انطاكية ، وقد وجدوا ان خير الوسائل لذلك هي البحث عن زوج للاميرة الطفلة الوارثة (كونستانس) .

ووجدوا لها اخيرا شابا جميلا من نبله فرنسا ، هو الكونت (ريمون دوبواتيه) فقدم الى انطاكية على انه سيكون زوجا للاميرة (اليس) ، لكي يأمّنوا معارضتها في دخول ريمون الى انطاكية .

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت الاميرة بمقد قران ريمون على ابنتها كونستانس ، فانسحبت الى اللاذقية .

تسلم ريمون دوبواتيه ادارة انطاكية ، نيابة عن زوجته ، وكان فارسا نجدا ، ولكن خصائصه ومميزاته ضاعت امام هتكة هماد الدين زكي وابنه نور الدين محمود ، الذي خلف ابيه في حكم حلب ، في عام 1146م فانزحوا من الفرنج جميع ما كانوا يحتلونه شرقي الماصي ، كما انتزحوا منهم جميع اماراة الرها .

وفي 29 حزيران (يونيو) 1149 م ، ظفر نور الدين محمود بجيش انطاكية ، عند قرية (انب) (القرية من جسر الشغور) واباده تقريبا ، وكان ريمون بين القتلى . فاصبحت كونستانس وصية على ابنها بوهمند .

وقد شعرت الاميرة ، لأول مرة ، بمد موت زوجها بلذة الحكم . وسر البطريق لشموورها هذا ، فاخذ يشجعها على عدم الزواج مرة اخرى ، لكيلا

اراضيه ، فحقق بمض النجاح ، وقد زاد ذلك النجاح المحدود في صلفه وغروره .

وفي يوم من ايام شهر شباط (فبراير) 1131 ، اتجه بوهمند من انطاكية الى كيليكيا ، على رأس قوة من فرسانه ، يريد ان يلحق به الامارة الارمنية ، بعد ان توفي صاحبها وابنه ، فانقض عليهم جيش من التركمان بقيادة الغازي بن الدانشمند (آسر بوهمند الاول عام 1101 م) ، واحاط بهم احاطة تامة ، وانهاى عليهم رميا بالنبال ، فخرجوا على الارض صرعى ، وكانهم اعجاز نخل منقعر ، وفيهم بوهمند نفسه .

ولم يترك بوهمند من الاولاد غير بنت صغيرة لا يتجاوز عمرها السنتين ، اسمها (كونستانس) فتسلمت امها الاميرة (اليس) ادارة الامارة ، تحت وصاية ملك القدس .

ومرت الايام ثقالا على الاميرة الشابة في ادارة اماراة واسعة ، يطعم بها جيرانها البيزنطيون من الشمال ، والمسلمون من الشرق . وكان خطر المسلمين قد اصبح مقلقا فعلا ، اذ تسلم امارتي الموصل وحلب امير شهم ، بعيد الهمة ، قوي العزيمة ، هو هماد الدين زكي ، وقرر ان يخوض بالمسلمين حربا ضروسا مع الفرنج ، ليزيل ما تجمع في نفس المسلمين من هيبة للفرنج في ميدان الحرب . فسار بجيشه الى حصن قريب من حلب ، هو حصن الانارب ، الذي طالما ارضب فرسانه اهل حلب ، وخرّبوا زروعهم ، ونهبوا اموالهم .

وتجمع الفرنج للدفاع عن الحصن ، وسال زكي رجاله ماذا يرتأون . فاشار عليه بعضهم بالانسحاب من الارض التي يحتلها العدو ، والعودة الى حلب ، واشار عليه آخرون بالتراجع الى اراضي حلب ، فاذا لحق بهم الفرنج ، امكنهم انشاب المعركة في ارض اسلامية .

وكان زكي قد قرر في نفسه خوض المعركة مهما كانت النتائج ، فقال لرجاله ، ان الفرنج قد استطالوا على المسلمين كثيرا ، وقد اصبح مألوسا لديهم ان يروا تراجع المسلمين واحجامهم من القتال كلما راوا تجمع الفرنج ، ولذلك فانه يرى ان يذيق المسلمون بأسهم للفرنج ، ليزكروا ذلك في المستقبل ويقدرّوه . وانه يرى ان اي تراجع امام الفرنج سيجرّئهم ، ويضعف من هزيمة المقاتلين المسلمين . وخلص من ذلك الى القول بانه يرى ان يقدم المسلمون

يأتي أمير جديد يقضي عليه بالاعتصام على عمله الديني وحسب .

وحاول ملك القدس - وهو ابن خالة كونستانس - أن يجد لها زوجا يحره من مسؤولية الاشراف على انطاكية ، ويستطيع النهوض باعباء الدفاع عنها في تلك الايام العصيبة من تاريخ امارات الفرنج في الشرق ، فلم تقبل الاميرة بروج ، وآثرت الاستمرار في حياتها طليقة من قيود الزواج .

وسارت الامور سيرها العادي ، ونور الدين محمود بلغ على ما بيد الفرنج من مدن وحصون ، في كل يوم ، وقابو الفرنج في انطاكية وفي غيرها ، ترتجف هلما ، كلما نظروا الى المستقبل المظلم .

لقاء الاميرة (بارناط)

وفي ذات يوم من اواخر عام 1152 ، لمحبت الاميرة الشابة فارسا يدل زيه على انه حديث عهد بالوصول الى الشرق ، فاهجبت به واستدعته اليها ، وتمرفت عليه ، فزاد امجابها به . ولم يكن ذلك الشاب غير المغامر رينو دوشاتيون (او ارناط كما تسميه الرواية العربية) الذي سيجر الممالك الصليبية كلها الى الهاوية في معركة حطين ، وهو الذي سيجره غدرة ومحاولاته العبث بالمقدسات الى الموت بيد الرجل الرحيم صلاح الدين الايوبي .

وتكررت مقابلات الاميرة والفارس الفتى ، حتى اغرمت به واتفقت معه على الزواج ، ووجد المغامر الجريء في هذا الغرام فرصة تحقق له اكثر مما كان يطمح به ويعلم ، فلم يشأ ان يضيعها . وكان لا بد - بحسب التقاليد ايام النظام الاقطاعي - من الحصول على موافقة ملك القدس ، بودوان الثالث على الزواج ، بصفته الوصي الشرعي على الاميرة وعلى الامارة ، وكان بودوان اذ ذاك منهمكا في حصار ميناء مستقلان في جنوبي فلسطين ، ومستقلان هي آخر ما تبقى بيد الفاطميين من ملك في فلسطين - فطار اليه الفارس المغامر ، يرجوه الموافقة على الزواج .

ومحبب الملك من غرابة اطوار ابنة خالته ، كيف تقبل الزواج من شاب مغمور ، لا ثروة له ولا جاه ، بينما سبق لها ان رفضت الزواج بخيرة الامراء والنبلاء الذين عرضوا عليها في الماضي ؟ مع انه كان من الممكن ان يكون في ثراء هؤلاء النبلاء ، ونفوذ بيوتاتهم ، واسماع

املاكهم ، خير عون لامارة انطاكية ، وللممالك العايبية في الشرق ، في حربهم الفروس المستمرة منذ خمسين سنة . ولكن الملك الذي يشس من موضوع رواج (كونستانس) ، اراد ان يتحرر من اعباء الدفاع عن انطاكية ، فوافق على الزواج ، بعد ان جشا (ارناط) على قدميه ضارعا متوسلا .

تم الزواج الاسطوري ، وتسلم ارناط حكم انطاكية فساسها بمقلية المغامر الفظ ، وكان اول ما استهل به عهده في الحكم ، هو الانتقام من بطريك انطاكية (ايمري دو ليموج) .

لقد كان البطريك شيخا هرما يوم تم الزواج ، وكان يشارك الاميرة مشاركة فعلية في ادارة الامارة ، فاستمر الحكم والسلطة وسر بهما ايما سرور ، لذلك وجد من مصلحته ان تبقى الاميرة دون زوج ، تدير الامارة ، ليكون هو الحاكم الفعلي ، والموجه الاول ، تصدر الامور في انطاكية من رايه ونهيه .

ولما تم الزواج فوجيء البطريك به ، فامتعض وساءه ان يصبح تابعا لجندي مغمور ، ليس له من الميزات غير غرام الاميرة الطائش به ، فاطلق لسانه فيه ، واظهر له الاحتقار والازدراء ، وهو لا يعلم ان عدوه الجديد لا تقف قسوته عند حد .

قسوة ارناط وغدرة

وسرعان ما تطور الصراع بين الرجلين ، فامر ارناط بالقبض على البطريك ، وجلده في الساحة العامة حتى ادمى جلده ، ثم امر به فشد الى وتد ، وهو عاري الجسد ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ، وطلى جلده بالعسل ، لتتجمع عليه الحشرات والهوام ، لتسعه وتشرب من دمه .

وقد استاء الناس في انطاكية من هذه الوحشية ، التي يعامل بها اميرهم الجديد رجلا هرما له مكانته الدينية في نفوس الناس ، وله فضل في الدفاع عن انطاكية ، في ايام الشدة ، بعد مصرع ريمون دو بواتيه ووصلت انباء هذه المعاملة الفظة الى ملك القدس ، فوافد على جناح السرعة رسولا ، يستنكر عمل رينو ويستغفله ، ويأمره باطلاق سراح البطريك ، ففعل . ثم بدا لارناط ان يتفاهم مع الامبراطورية البيزنطية لمحاربة امراء الارمن في كيليكيا ، لعله يفوز بشيء من اراضيهم ، ولكنه سرعان ما انقلب على البيزنطيين ،

وشرع المحاصرون فى نصب آلاتهم ، وقذف الاسوار بالمجانيق ، وبعد مدة قصيرة من الحصار ، اقتحم الفرنج اسوار البلد واحتلوها ، فلجأ المدافعون منها الى القلعة وتابعوا دفاعهم .

وعرف ارناط بما ينتويه بودوان من تسليم شيزر وما حولها للكونت دوفلاندر ، فاستاء من ذلك واعترض على هذه الفكرة ، مدعيا ان شيزر وما حولها تدخل فى نطاق المجال الحيوي لانطاكية وان على تيرى ، اذا تسلم اماره شيزر واواسط العاصي ، ان يكون تابعا له حسب التسلسل الاقطاعي . واستاء تيرى بدوره من هذه الفكرة ، فانه لم يكن يخطر له على بال ، وهو المنحدر من امرق البيوتات واکرمها ، ان يدين بالولاء والطاعة لمغامر افاق حمله الحظ الى كرسي الامارة ، واعلم رفضه لما اقترحه ارناط . واشتد الخلاف فى المعسكر الصليبي حتى كاد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه ، فلم يجد بودوان بدا من رفع الحصار والانسحاب من شيزر لكيلا يكون احتلالها سببا فى نشوب حرب اهلية بين الصليبيين .

خضوع الجبناء

استاء الامبراطور مانويل كومنين ، اشد الاستياء من هجوم ارناط وزميله الارمني على قبرص ، ومن الفظائع التي ارتكبها ، ولكن ظروف الامبراطورية ، وما كانت تواجهه من مشاكل فى أوروبا ، لم تكن تسمح له اذ ذاك بالتفكير فى معاقبة المجرمين .

ولكن بعد ان تحرر الامبراطور من الكثير من مشاغفه ، تحرك فى عام 1158 م ، على رأس جيش كبير الى كيليكيا ، فسحق امارات الارمن فيها ، واستولى على امهات المدن ، واقام معسكره قرب المعصية بانتظار تحركه لمعاقبة ارناط .

وعلم هذا بما ينتويه الامبراطور ، فجزع جزع الجبناء المجرمين ، وخارت قواه ، وشل تفكيره ، ولم يعد يعرف ما يصنع ، بعد ان ادرك ان جرائمه قد اسلمته لمصيره ، وانه لن يجد بسببها ، معينا له فى محنته . وبينما كانت هواجس ارناط تعذبه وتقص مضجعه ، لا حت لاحد المقربين منه فكرة ، وجد فيها الفرج والخلاص ، وهي : لماذا لا يخرج ارناط الى معسكر الامبراطور تالبا معتذرا ، ويضع نفسه تحت رحمته وتصرفه ، ويعلن له الاعتراف بطاعته والتبعية له . ؟ فقد سبق لوالد الامبراطور ان عفى عن ريمون

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، واعد ارناط وطوروس امير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص - وكانت مقاطعة بيزنطية - فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط فى اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتكبت القوات الغازية من الفظائع والقبايح ما تقشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذاننا ، وجدعت انوفنا ، وهتكت امراضا ، ونهبت اموالا لا يحصى عد . وعاد المغامر ان وايديهما مثقلة بالتسبي والغنائم .

طمع ارناط وانانيته افشلا مخطط الصليبيين لاحتلال شيزر

كانت شيزر قلعة حصينة تقوم على الضفة اليسرى للعاصي ، وقد اعجز الصليبيين احتلالها ، بفضل دفاع امرائها ، آل منقل وبفضل موقعها الجغرافي ، ومثانة أسوارها . وفى عام 1157 م ، ضربت هزة ارضية مدن سوريا فاخربت اكثرها ، وكان الخراب الذى اصاب شيزر كبيرا ، وكال آل منقل قد تجمعوا فى قصرهم لحضور حفل فيه ، فانهار عليهم القصر ، ولم ينج منهم غير اسامة الذى كان منفيا خارج شيزر ، وغير امرأة وطفل منهم ، اخرجوا من تحت الانقاض .

وفى ذلك العام ، وائر الهوة التي ألحقت الدمار بالمدن السورية ، وقع امير سوريا وبطلها نور الدين محمود مريضا ، حتى اشفى على الموت ، فبدأ للصليبيين ان يفتنموا الفرصة ، ليحتلوا شيزر ، ويثبتوا اقدامهم فى حوض العاصي من جديد .

وبدا للملك بودوان الثالث ان يحتل ما يمكن احتلاله من اواسط حوض العاصي ليسلمه الى الكونت (تيرى دوفلاندر) يقيم له اماره فيه ، تفيد من الامكانات الضخمة التي يتمتع بها بيت الكونت وامارته فى فرنسا ، وبذلك يستطيع تخفيف العبء الثقيل الذى أصبحت تنوء به الامارات القائمة فى الشمال ، بعد القضاء على اماره الرها .

وفى اوائل تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1157 م تجمع حول شيزر جميع الامراء الصليبيين ، مع جيش ارمني يدعمهم ويعمل معهم ، وانضم اليهم الكونت تيرى دوفلاندر ، ومن معه من الفرسان القادمين للحج والنجدة .

دوبوايه ، واكتفى بالاعتراف بالتبعية والولاء ، ورنع علم الامبراطورية على قلعة انطاكية .

وبدت الفكرة لارناط اخاذة . فانه اذا استطاع ان يدفع العقاب عن نفسه ، وان يؤجل احتلال انطاكية ولو الى حين ، يكون قد حقق كسبا لا يستهان به . فقرر السير بنفسه الى المعسكر الامبراطوري ، وارسل قبله رسولا من رجال الدين ، يمهّد السبيل ، ويلطف الجو . وتمكن الرسول ، بعدة ودهائه وجميل اعتداده من تهدئة نائرة الامبراطور ، ومن تخفيف ثقله على ارناط .

ووصل ارناط الى المصبصة ، وكان عليه ان يجتاز المدينة كلها ، ليصل الى المعسكر الامبراطوري ، فترجل عن فرسه ، وخلع نعليه ، ولبس قميصا يكشف عن ذراعيه حتى المرفقين ، وأمسك بسيفه من مقدمة النصل ، ليقدم قبضته الى الامبراطور ، وسار وهو على هذه الحالة المزرية ، من الذل والاستخذاء في شوارع المصبصة ، التي اصطف الناس فيها على جانبي الطريق ، ليتفرجوا على هذا الجبان الدليل الغادر المتقلب .

ورضى الامبراطور ، ما تم من خضوع ارناط ، واكتفى بالاعتراف بتبعية الامارة له والسماح له باقامة حامية بيزنطية في قلعة انطاكية ، كرمز لاثبات حقه .

أسر المغامر

وبعد ان رحل الامبراطور عن كيليكيا ، تنفس ارناط الصعداء ، ونسى ما لقيه من ذل ومهانة ، وعاد يتابع حياته المعتادة ، حياة المغامر الشرير . وفي يوم من ايام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1160 م ، علم ارناط ان قطمانا كبيرة من الماشية ترمى في السهول الواقعة بين هينتاب ومرعش ، وان هذه القطمان لا تحرسها قوات اسلامية ، وكانت القطمان في اكثريتها يملكها ارمن ويونانيون من سكان المناطق التي استرجعها المسلمون من الفرنج حديثا ، ولكن ارناط لم يكن يهمه من يملك القطمان ، وانما الذي يهمه ان يحقق مفعما ، دون ان يتعرض لخطر قتال .

وبينما كان الرعاة آمنين مطمئنين ، انقض عليهم ارناط وفرسانه ، فأسروهم ، واستاقوا قطمانهم فرحين بما حققوه من كسب . ولكن فرحتهم لم تطل كثيرا ، اذ ان انباء الهجوم الغادر ، وصلت الى نائب

نور الدين في حلب ، امجد الدين ابي بكر بن الداية ، فاستنفر قواته ، وطار بها ليقطع الطريق على المغامرين .

وعلم ارناط وصحبه بخروج المسلمين اليهم ، فخاف اصحابه ، ونصحوه بان يتخلى عن المنجم الضخم ، وان ينسحب هائدا الى انطاكية . ولكن ارناط اراد ان يتظاهر بالجراة الكاذبة امام صحبه ، فرفض الفكرة ، وامر فرسانه بسوق القطمان ، بين صفين من الجند ، وان يحثوا الخطا الى انطاكية ، وسار هو مع قوة من رجاله في الساقة ليحميها ويدافع عنها .

وبينما كان ارناط وصحبه يسرون مسرعين قرب قرية الجومه ، شمالي غربي هزاز ، انقض عليهم فرسان حلب ، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا ، وقتلوا اكثرهم ، وجبن الآخرون فاستسلموا ، وكان بين المسلمين ارناط . ونجا قليلون هاربين ، يخبرون فرنج انطاكية بانباء المعركة ومسير ارناط .

والقى ابو بكر بارناط وصحبه على ظهور الجمال ، وكانهم بعض المتاع ، ودخلوا بهم حلب ، فأسرع الناس يتفرجون على هذا المشهد الذي لم يعد يشير فضولهم كثيرا ، لكثرة ما تكرر منذ ان تولى عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود امور حلب . ووصلت الجمال باحمالها امام قلعة حلب التاريخية ، فانزلت الاحمال ، واستيق ارناط الى سجنها ليقضي فيه سنة عشر عاما من حياته الشقية .

وبعد ان تولى نور الدين محمود ، موحد سوريا ومصر ، كان ابنه الملك الصالح ، صغيرا ، فاختلف الامراء من حوله ، اهتم بكفله ، ليبسط سلطانه على الدولة . وتحرك صلاح الدين نائب نور الدين في مصر ، يريد اثبات حقه في تولي رعاية ابن سيده . وجرت بينه وبين امراء سوريا المشرفين على الملك الصالح ، حروب ووقائع ، انتصر فيها صلاح الدين ، ووصل في زحفه المظفر الى حلب ، فحاصرها .

ولم يجد من بحلب من الامراء وسيلة لدفع صلاح الدين عنهم ، غير الاتصال بالفرنج ، فتحرك ريمون الثالث ، امير طرابلس ليهاجم حمص ، كما تحرك فرنج انطاكية . وليثبت امراء حلب للفرنج حسن نواياهم ، واخلاصهم في التعاون معهم ، اطلقوا في عام 1176 م سراح من كانوا في سجن حلب من الفرنج ، ومنهم ارناط .

وكانت اماره انطاكية قد تولاه اوارثها الشرعي ، بوهمند الثالث ، فلم يجد المغامر مكانا له في انطاكية ،

واذا فقد كان زواج ارناط من اميرة قلاع شرقي الاردن ، يحق جميع الشروط المناسبة والملائمة لانطلاق مغامراته من جديد .

واخذ ارناط بيت عيونه وارصاده من الصليبيين ومن بدو الصحراء ، ليرصدوا تحرك القوافل ، ويعلموه بها فيقوم بالاغارة عليها ونهبها وسبي من فيها ، دون ان يخشى مفاجأة من جيش اسلامي قريب .

وتكررت اعمال ارناط ، وعادت عليه الاعمال بالارباح الوفيرة ، فزاد ذلك في جراته ، وفي اطماعه ، والمسلمون لا يستطيعون الوصول اليه ، كما لا يستطيعون ان يتخلوا من سلوك طريق الصحراء ليصلوا من سوريا وما وادها الى مصر والحجاز .

ثم جرت اتصالات بين ملك القدس وبين صلاح الدين ، لتحقيق هدنة ، تريح الجانبين من عناء الحروب المتواصلة ، وقد كانت الهدنة ضرورية لصلاح الدين ، ليتفرغ الى تسوية مشكلات مملكته ، واستكمال وحديتها وكانت الهدنة اكثر ضرورة للصليبيين ، الذين انهكتهم الحروب ، وقلصت رقعة اراضيهم ، واخرت ما تبقى منها في ايديهم ، كما كانت ضرورة لهم لتسوية خلافاتهم الداخلية ، وخصوصا الخلافات بين افراد البيوتات الحاكمة ومشاكلها العائلية ، والخلاف بين منظمي الداوية والاستبارية .

وحينما تحققت الهدنة كان من المفروض ان تشمل مملكة القدس ، باماراتها المختلفة ومنها اماره شرقي الاردن التي يحكمها ارناط . واتصرف كل من الجانبين الى تسوية اموره مطمئنا الى قدسية العهد والمواثيق .

ولكن هذه الهدنة لم ترق لارناط ، الذي امتداد على تحقيق المكاسب والمغانم من طريق العدوان على القوافل العابرة في الصحراء ، فاضمر في نفسه الغدر ، وعدم التقيد بها . واخذ يتحين الفرصة ، المناسبة للغدر ، فقد تكون الهدنة اكثر كسبا له . وبالفعل كانت.

ففي صيف عام 1181 م ، علم ارناط ان قافلة اسلامية كبيرة جدا ، قدرت الروايات ثمن ما فيها بمئتي ألف دينار تسلك الصحراء مطمئنة الى الهدنة ، في حراسة عدد قليل من الرجال ، فاستعد للاستيلاء عليها .

ولما اصبحت القافلة قريبة من قلعتيه ، نزل من فيها يستريحون من وعناء السفر ، وباتوا ليلتهم هناك ،

وتابع سيره الى القدس . وهناك تعرف بارملة اخرى هي (اتين دوميلتي) ، ارملة (اونفروادو تورون) (ابن الهنغري كما تسميه الرواية العربية) . وكانت هذه الاملة قد ورثت اماره شرقي الاردن ، التي يقوم فيها حصنا الكرك والشوبك ، فاعجبت هي به ، واعجب هو بمالها واملاكها ، التي تحتل افضل مركز جغرافي ، يسيطر على طريق القوافل ، المتنقلة بين سوريا ومصر والحجاز ، فعمدا زواجهما حوالي عام 1177 م .

لم تكن الظروف مواتية لامال ارناط واطماعه في المغامرة ، حينما كان زوجا لاميرة انطاكية . اذ كانت انطاكية محصورة بين مملكة نور الدين في الشرق ، وبين الامبراطورية البيزنطية في الشمال . وكانت انطاكية اقرب المواقع الصليبية الى حلب ، وحصونها الغربية ، فلم يكن في مقدور ارناط ان يندفع وراء مغامراته كما يحلو له ، دون ان يكون معرضا لخطر الانقضاض عليه من المواقع الاسلامية المحدقة بارض انطاكية . وقد راينا كيف ان فرسان حلب كانوا اسرع من ارناط ، فاعترضوا سبيل عودته بالفنائم الى انطاكية واسروه .

كما ان الانضباط الذي كان يفرضه ملوك القدس على الامارات الصليبية الاخرى في المشرق ، كان سببا من اسباب كبح جماع المغامرين من الامراء ، والزامهم بالمعقول من التصرفات .

ولكن ما لم يكن ممكنا القيام به من المغامرات في انطاكية عام 1160 م ، اصبح ممكنا كل الامكان القيام به في جنوبي شرقي الاردن عام 1180 م ، فالملك بودوان الرابع ، اصبح ملك القدس ، وكان مصابا بالجذام ، وحالته ميؤوس منها ، وقد ضعفت الملكية ، واصبحت موضع مساومة ومتازعات بين الطامعين في السيطرة على الملك .

وفي المملكة الاسلامية كانت الظروف قد تغيرت هي ايضا ، فقد مات الرجل الحديدي الارادة ، نور الدين محمود ، واصبحت خلافته موضع نزاع بين الطامعين في ان يخلفوه ، حتى تمكن صلاح الدين بعد كثير من الجهد من تثبيت اقدامه ، وفرض سلطانه على المنشقين عليه .

اما من الناحية الجغرافية فان موقع قلعتي الكرك والشوبك ، في قلب الصحراء بعيدا عن عواصم المسلمين ومراكز تجمع قواتهم ، يجعل المغامرات اكثر ربحا ، واقل تعرضا للاخطار .

تتضي بان يتحرك الصليبيون لنجدة أرناط ، ولاعتراض سبيل صلاح الدين أثناء هودته من مصر الى دمشق .

ولكن العقلاء ، وعلى رأسهم ريموند الثالث امير طرابلس ، الذي كانت تربطه بالمسلمين هدنة ، لم يروا هذا الرأي ، وقدروا ان احتشاد الجيش الصليبي في جنوبي الاردن ، امر بالغ الخطورة ، لانه يترك الاراضي الصليبية في فلسطين ، خالية من القوات ، فتعرض بذلك لهجمات المسلمين المباشرة .

وفازت نظرية المغامرين ، اذ لم يكن بودوان في وضع يمكنه من اتخاذ موقف حازم . فعبا الصليبيون قواتهم ، وصاروا بها الى الكرك ، وعسكروا حولها ينتظرون عودة صلاح الدين ، ليقوموا به . ولكن صلاح الدين علم بمخطط الفرنج ، فخرج على رأس فرسانه عبر الصحراء على خير تمهية ، وجعل اخياه نوري على رأس قوة تحرس القافلة العائدة بالمتاع والمرضى والنساء ، على ان يسيروا موغلين في الصحراء ، ليكونوا بعيدين من متناول يد الفرنج .

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه صلاح الدين عبور الصحراء ، اومر الى ابن اخيه فروخ شاه ، وهو نائبه في دمشق ، بان يفتتح فرصة خلو فلسطين من القوات ، ويضرب هناك بعنف . فخرج فروخ شاه من دمشق على رأس قوة خفيفة الحركة ، وأسرى الى منطقة الجليل ، فلم يشعر الفرنج ، الذين كانوا يعملون آمنين مطمئنين ، الا والجيش الاسلامي ينقض عليهم ، يقتل ويأسر ويسبي ويغتم ، ويخرب ، دون ان تكون للفرنج فرصة للانتحاء الى معقل او حصن . ثم عاد المسلمون الى منطقة السواد الواقعة شرقي بحيرة طبرية ، يوقعون بالفرنج ويفتكون بهم .

وتقول الروايات ان فروخ شاه ، هاد الى دمشق يسوق امامه قرابة الف أسير وعشرين ألف رأس من الماشية . وعلم الصليبيون وهم في معسكرهم قرب الكرك ، بما أحدثته غارة فروخ شاه من خراب ودمار ، في منطقتي الجليل والسواد ، فقلقوا وادركوا خطاهم بتابع اراء أرناط وأصحابه ، فانسحبوا مسرعين الى منطقة الجليل ، وعسكروا قرب هيون صفورية ، بانتظار ما سيقوم به المسلمون .

اما صلاح الدين لانه وصل الى دمشق في 22 حزيران (يونيو) 1182 م ، وبعد ان اطمأن الى وصول اخيه نوري والقافلة سالمين الى دمشق ، هاد بقواته الى حدود مملكته مع فلسطين المحتلة ، وعسكر في

فلم يشعروا الا وأرناط ورجاله ينتفضون عليهم ، ويمعنون فيهم قتلا وأسرا ، فنجا منهم من سبق فرسه ، ووقعت القافلة في ايدي أرناط . ووصل الناجون من رجال القافلة الى دمشق يقصون على صلاح الدين اخبار الغدر الفرنجي ، فانزعج صلاح الدين وادرك ان وجود قلاع صليبية على الطريق بين شقي مملكته ، امر بالغ الخطورة ، وانه لا بد من القضاء عليها اذا اريد للمملكة ان تزدهر وتتماسك .

وانزعج الصليبيون في القدس كثيرا ، وخصوصا الملك بودوان الرابع ، الذي ألح عليه المرض وانهكه ، فقد تعود اسلافه تشریف تعهداتهم ، والحفاظ على مهودهم ، كما تعودوا ان يثقوا بمهود المسلمين ومواليقهم ، وأسرع يكتب لأرناط يلومه على هذا الغدر الذي يظهر الصليبيين بمظهر المغامرين الذين لا يتقيدون بعهد ولا ميثاق . وطلب اليه ان يعيد ما وقع بأيديه من المغانم الى المسلمين ، وان يطلق سراح الاسرى . فسخر أرناط من الملك ، وأعلن رفضه الاستجابة للطلب . فعاد الملك وأرسل اليه وفدا من رجال الدين ، ومن فرسان الاستبارية ، يلحون عليه في ضرورة اعادة الاسرى والمغانم ، الى المسلمين ، للإبقاء على الهدنة القائمة ، فلم يكن رد أرناط على الوفد بأفضل من رده الاول . وسخر من الملك ومن سلطانه عليه .

واراد صلاح الدين ان تستمر الهدنة قائمة ، فكتب الى بودوان يعرفه بالواقعة ، ويستنكر تصرف أرناط ، ويطلب اليه التدخل لاعادة الاسرى والاموال . فلم يجد بودوان ما يرد به على صلاح الدين غير الاعتذار بأنه لا يستطيع عمل شيء مع تابع لا يحترم عهدا ولا هدنة .

وحينما تلقى صلاح الدين هذا الرد ، اعتبر الهدنة غير قائمة ، وباشر الحرب من جديد .

وهكذا وجد الصليبيون انفسهم مسوقين برؤسهم وراء المغامر ، لان غارات المسلمين لم تقتصر على ارض أرناط .

وفي عام 1182 م ، ذهب صلاح الدين لمصر ، لينتقد شؤونها ، ولما علم الفرنج بذلك ، عقدوا مجلسا حربيا بحضور بودوان ، لمناقشة الموقف . وقد ارتأى المغامرون من انصار أرناط ، ان صلاح الدين ، سيعود على رأس قوات ، وانه سيهاجم معاقل أرناط في الكرك والشوبك ، لينتقم منه ، وان الحكمة

منطقة القحوانة ، قرب سمخ ، فلم يجرؤ الصليبيون على دخول المعركة معه . لانهم كانوا يدركون حقيقة تفوقه عليهم بقواته وبموارده وبانضباط جيشه ، بينما كانت الفوضى والمنازعات الداخلية ، تنخر في جسم الكيان الدخيل .

وبث صلاح الدين سراياه في المنطقة تعيث فيها

تحت سمع الجيش الصليبي وبصره ، دون أن يجرؤ على التعرض للمسلمين . وبلغت سرايا المسلمين بيسان وجنين تقتل وتخرب وتحرق ، لعلها تدفع الفرنج الى المعركة ، ولكن الصليبيين لبثوا ساكنين لا يتحركون . واخيرا اعلم الجنود صلاح الدين ان ازوادهم قد نفذت وأن مقامهم قد طال ، فقرر صلاح الدين الانسحاب الى دمشق ، بعد ان تأكد من ان الفرنج لن يجازفوا بدخول الحرب .

اغرت ارناط انتصاراته المحدودة على القوافل العابرة في الصحراء ، فجعلته يفكر بامور لم تخطر لغيره على بال ، لما فيها من خطر ايقاظ نفمة العالم الاسلامي كله ، ودفع المجاهدين الى التدفق على ميدان المعركة للقضاء على الخطر المهدد لمقدساتهم .

ويقول المؤرخون ان ارناط ، قد بلغ تيماء في عام 1181 م ، في احدى اندفاماته في الصحراء ، وتيماء تقع في قلب الجزيرة العربية ، وانه كان ينوي التوجه من هناك الى المدينة المنورة لمبايعتها ، والاعتداء على قبر النبي عليه السلام ، ولكن هجوما قام به فروخ شاه على حصون ارناط في شرقي الاردن ، اضطره الى الارتداد مسرعا ، مخافة ان يباغته في الصحراء .

وقدر ارناط انه اذا تمكن من الاستيلاء على (ابلا) على خليج العقبة ، فانه يستطيع ان ينشئ اسطولا يسيطر على البحر الاحمر ، ويتحكم بموانئ المسلمين فيه ، وبالتالي فانه يستطيع الوصول الى الاماكن الاسلامية المقدسة في مكة والمدينة ، والايقاع بالمسلمين وهم في موسم الحج .

وبالفعل نفذ المغامر مخططه ، فانشا قوارب في عسقلان والكرك ، ونقل اجزاءها مفككة على ظهور الجمال فجعلها في خليج العقبة ، وقذف بمراكبه في البحر ، وبينما اتجهت قوة صليبية تحاصر ابلا ، اتجهت المراكب الاخرى عبر خليج العقبة الى البحر الاحمر ، ومن هناك سارت الى الموانئ الاسلامية الآمنة التي لم تكن تتوقع ان ترى مراكب صليبية ، فاخذت في نهبا ، والاعتداء عليها ، كما تعرضت

للمراكب الاسلامية الماخرة في البحر الاحمر ، فاقامت بها ، ونهبت العديد منها . وكان اول ميناء ظهر الفرنج امامه هو ميناء (عبداب) ، تجاه ميناء جدة ، ثم انتقل الفرنج الى الموانئ الحجازية يغيرون عليها ، حتى بلغوا ميناء الحديد قرب ينبع ، ومنه اتجهوا الى رايع شمالي جدة ، ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم ارسوا مراكبهم في الجوراء قرب رايع ، ونزلوا الى البر يعمشون فيما حولها ، ويمدون عدتهم للايغال في داخل الارض المقدسة والوصول الى مكة ، للايقاع بالحجاج المجتمعين فيها .

وقلق العالم الاسلامي لهذه الجرة التي لم يكن

احد يتوقعها ، واضطربت نفوس الحكام ، وجاشت نفوس المسلمين بالفضب ، كيف تجرؤ شرادم طارئة على مشرقنا المتسامح ، فتفكر في تدنيس المقدسات وترويع الامنين اللاندين ببيت الله وحرمة .

وكان اسرع الجميع استجابة لنداء الواجب هو

الملك العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، فجهز اسطولا مهد بقيادته الى امير البحر حسام الدين لؤلؤ ، وكلفه بملاحقة الفرنج وردهم من مقدسات الاسلام . فخرج لؤلؤ مسرعا ، يتبع الفرنج ، ويستقضي اخبارهم ، فادركهم وقد نزلوا بالبحوراء ، فاستولى على مراكبهم الراسية ، ثم نزل ورجاله الى اليابسة ، لقتال الفرنج الهابطين على الساحل . ولما راي الفرنج غرق سفنهم ووقوعها في ايدي المسلمين ، انقطع املمهم في النجاة بها ، فلجأوا الى شعاب الجبال القريبة من الساحل ، فلحق بهم لؤلؤ وقتلهم في شباط (فبراير) 1183 م ، قتالا شديدا حتى افناهم ، واخذ من تبقى منهم حيا اسيرا . فارسل بعضهم الى منى لينحروا فيها كالاضحى يوم عيد الاضحى ، امام الحجاج ، لتطمن خواطر الناس ، وليعلموا ان قادة المسلمين لا يمكن ان يتهاونوا مع من يدنس مقدسات الاسلام ، فنحروا هناك يوم العيد ، والناس من حولهم يهللون ويكسرون .

اما الباقون من الاسرى ، فقد سيقوا الى مصر ، فأمر صلاح الدين بضرب أعناقهم جميعا لكيلا يفكر احد منهم في العودة مع حملات اخرى على الطريق .

لم يكن صلاح الدين يجهل أهمية الخطر الذي يشكله على الاسلام عامة وعلى مملكته بصورة خاصة ، وجود الصليبيين في سوريا ، وخصوصا وجودهم في شرقي الاردن وجنوبي فلسطين . ولكن هذا الوجود

كان قبل صلاح الدين ، وكان من الممكن أن يستمر ، دون أن يشعر صلاح الدين بأن اقتلاعهم ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها . ولكن مغامرات أرناط في نقض الهدنة وسلب الحجاج والقوافل ، وقطع الطريق بين سوريا ومصر والحجاز ، ومحاولاته لتدنيس مقدسات المسلمين ، وترويع أهل الأرض المقدسة ، ومن يؤمها من الحجاج المسلمين ، كل ذلك اقنع صلاح الدين ، أنه لا بد من القضاء نهائيا على هذا الخطر المهدد ، في أسرع وقت ، واجتثاثه من جذوره ، لكيلا تبقى له في أرضنا بقية . فشرع من ساعد الجد ، وأقسم على أنه سينتقم بنفسه من أرناط ، وأنه سيقتله بيديه إن ظفر به ، وقد مكّنه الله من ذلك .

وتتالت حملات صلاح الدين على قلاع أرناط ، خلال الأعوام التالية ، وحاصره أكثر من مرة في قلعة الكرك وضيق عليه ، فكانت الجيوش الصليبية تتجمع في كل مرة ، وتسير لنجدة الكرك ، ولكنها كانت ترفض الدخول في المعركة مع المسلمين ، لأنها كانت تدرك أنها ليست كفء لصلاح الدين وجيشه .



وحينما حل عام 1187 م ، (583 هـ) ، امتزج صلاح الدين الدخول في معركة فاصلة مع الفرنج ، فصرف همه لتسوية خلافاته مع اتباعه وجيرانه المسلمين ، كما طلب إلى نائبه في حلب وحماه ، بمهادنة الفرنج في إمارة أنطاكية ، (أما طرابلس فكان أميرها قد دخل منذ زمن بعيد في حمى صلاح الدين وهادنه) . ولما تحقق الصلح بين المسلمين وبين فرنج أنطاكية في أيار (مايو) 1187 م ، (أواخر ربيع الأول 583 هـ) . أخذ السلطان في جمع القوات ، واستدعى تابعيه من الأمراء في الجزيرة وديار بكر والموصل ، واستدعى قوات من مصر وحلب وحمص وحماة ، وخرج هو من دمشق إلى مشترا (في حوران) ، وأقام هناك ينتظر اجتماع الجيوش عليه . ولما تكامل اجتماعها ، استمرضها في منتصف ربيع الآخر 583 هـ ، ومباها تعبئة القتال ، وسار بها يوم الجمعة في 17 ربيع الآخر ، حتى نزل جنوبي بحيرة طبرية عند قرية الصنبرة .

وكان الفرنج قد علموا باجتماع الجيوش على صلاح الدين ، فأسرعوا بجمع قواتهم ، وصكروا قرب ميون صفورية ، في الجليل ، ينتظرون التعرف على مرامي خطة صلاح الدين .

وفي اليوم التالي سار صلاح الدين ونزل على جبل غربي طبرية ، ولبت هناك ينتظر تعرف الفرنج ليقاثلهم ، ولكن الفرنج كانوا مختلفين فيما بينهم حول ما يجب عمله تجاه صلاح الدين . فقد مات الملك بودوان الرابع غير مخلف عقباً ، وأوصى بالملك إلى ابنة اخت له ، تزوجها رجل ضعيف الشخصية ، عرف باسم (جي دولوزينيان) فأصبح ملكاً على القدس ، وقد أحدث ارتقاء (جي) العرش انشقاقاً في صفوف الصليبيين ، يضاف إلى الفوضى القائمة بينهم .

ولما اجتمع الفرنج في صفورية ، ونزل صلاح الدين على طبرية ، اقترح المغامرون مهاجمة صلاح الدين لفك الحصار الذي ضربه على مدينة طبرية ، وكانت طبرية ملكاً لزوجة ريموند الثالث أمير طرابلس ، وكان ريموند أكثر الصليبيين خبرة بالحرب ، وأبعدهم نظراً ، وأكثرهم أدراكاً للواقع الصليبي ، وتقديراً لقوة صلاح الدين ، فكان رايه أن لا يخاطر الفرنج المتفخخون بالاشتباك بالمسلمين ، وهم أكثر ما يكونون قوة ، وتصميماً على سحق العدوان ، والانتقام من محاولة تدنيس مقدساتهم . لذلك اعترض على رأى القائلين بضرورة الاشتباك بصلاح الدين ، وقال لهم أن طبرية ملك لزوجته ، وأن زوجته وأبنائها موجودون في طبرية ، وأنه إذا أحدث مكروه لطبريا فإن المكروه سيصيبه قبل غيره ، ومع ذلك فإنه يفضل أن يضحي بزوجته وأبنائه ويبيع أملكه ، على أن يقامر بمستقبل الممالك الصليبيين في المشرق ، نسخر منه المغامرون ، واتهموه بالخيانة والتواطؤ مع المسلمين ، وتطاولوا عليه ، ولما اقنعوا الملك بضرورة السير إلى طبريا لفك الحصار ، وترحيل المسلمين منها ، لأنه ليس من الشهامة ولا الرجولة في شيء ترك الأميرة لمصيرها تدافع وحدها عن طبرية .

جرت تلك المناقشات في المعسكر الصليبي في صفورية ، قبل أن يتحركوا من مواقعهم . ولما رأى صلاح الدين الفرنج لا يتحركون ، ترك قوة في المرتفعات ، لمواجهة الفرنج أن تحركوا ، ونزل مسرعاً مع قوة خفيفة الحركة ، فهاجم طبرية واستولى عليها سريعاً ، وأسر وقتل وهنم ، ولجأت الأميرة ومن نجا من المعركة ، إلى القلعة يتأهبون المقاومة ، فحضر صلاح الدين حصاراً حول القلعة ، ولبت ينتظر رد فعل الصليبيين في صفورية .

ولما علم الفرنج بما حل بطبرية ، ارتفعت أصوات المتطرفين ، واقنعوا الملك بضرورة السير لانقاذ

الاميرة ، فتحرك المعسكر الصليبي كله ، نحو المسلمين رغم معارضة ريموند واحتجاجاته .

ولما علم المسلمون بتحريك الفرنج أرسلوا يخبرون صلاح الدين ، وكان هذا بالضبط ما قصده هو من مهاجمة طبرية ، وهو ان يستثيرهم ، وان يدفعهم الى قبول الدخول في المعركة معه . فترك قوة من رجاله في طبرية تتابع حصار قلعتها ، واسرع هو بمن معه الى المرتفع ، حيث ترك معسكره ، فوصله مساء الخميس في 22 ربيع الآخر . وبعد قليل وصل الصليبيون ، وأقاموا معسكرهم تجاه المسلمين ، ولم يجر قتال في ذلك اليوم .

وفي صبيحة يوم الجمعة 23 ربيع الاخير 583 هـ (تموز 1187 م) ، اشتبك الفريقان في قتال عنيف في ارض اللوية ، دام طوال النهار ، وكان الحر شديدا ، ولم يكن حول المعسكر الصليبي ماء يصلون اليه ، وحاولت قواتهم اكثر من مرة ان تشق طريقها الى طبرية لتستقي ، ولكن المسلمين كانوا يردونها ، بعد ان أدركوا غايتها .

وبات الفرنج عطاشا ، والمسلمون من حولهم يطوفون بمعسكرهم ، يرمونهم بالنبال طوال الليل ، حتى لم يتركوا لهم فرصة للراحة .

وذكر الجانبان يوم السبت الى القتال ، والفرنج قد انهكهم التعب والعطش والحر ، وجرى عراك رهيب ، وصبر الفريقان صبرا عجيبا ، ورأى ريموند ان المعركة أصبحت خاسرة ، وانه لم يعد لهم أمل في نصر ، فحمل بمن معه من الفرسان حملة مستقتل يريد النجاة ، فأمر قائد الفرسان تقي الدين عمر ، رجاله بان يفسحوا لهم المجال ، فخرجوا من المعركة ، وتابعوا طريقهم الى صور . فاضعف خروج قوات طرابلس ، من عزائم المقاتلين ، وحاولت فئة اخرى منهم النجاة ، فلاحقهم المسلمون وأبادوهم .

أما الملك (جي) ومن تبقى معه ، فانهم لم يجدوا لهم مهربا ، فانهازوا الى تل حطين ، وتحصنوا فيه ، فأحاط بهم المسلمون ، وتجدد القتال على أشد ما يكون هنفا حول التل . واستمر حتى تمكن المسلمون من الوصول الى خيمة الملك فأخذوه أسيرا ، وأسرع أرناط يلقي بسلاحه مستائرا ، وفعل غيره مثل فعله . وانتهت المعركة مساء السبت بأسر الملك وأسر أرناط

الذي اثارت مفامراته الحرب ، وغيره من الزعماء والقادة .

ولما انتهى القتال ، جلس السلطان المنتصر ، في خيمته فرحا مسرورا ، بما آفاه الله عليه من نصر ، وجلس من حوله كبار القادة والأمراء ، واستدعى اليه الأسرى ، فأحضر الملك وأرناط ، وقد هدهما العطش ، فأمر صلاح الدين للملك بشربة من ماء مثلج فتناول الكوب وشرب منها ، ثم ناولها لأرناط ، وكان بجانبه ، فشرب أرناط وصاح صلاح الدين في الترجمان ليقول للملك الأسير ، انت الذي سقى أرناط وليس انا . وكانت الاعراف تقضي بان الأسير اذا نال من طعام أسر ، او من شرابه لم يعد يجوز له قتله . وقد سبق لصلاح الدين ان أقسم بأنه اذا ظفر بأرناط ليقبله بيديه ، وقد تسبب أرناط بمفامراته وجرائمه ، وخياناته للمهود والموائيق ، بهذه الحرب الطويلة المتواصلة ، ولم يصر صلاح الدين على الاستمرار في الحرب الا ليظفر بأرناط ، ليجمعه عبرة لكل غادر مفامر .

ولم يشأ صلاح الدين ان يقتل أرناط بحضور (جي) ، فأخرجهما من مجلسه ، ثم استدعى أرناط ، وعنفه على محاولاته تدنيس المقدسات الاسلامية ، وذكره بما كان منه نحو رجال القافلة الذين غدر بهم في وقت الهدنة والسلم ، وسخر منهم ومن دينهم ونبيهم ، حينما ناشدوه الله ، وذكره بالصلح القائم بين المسلمين والفرنج . ثم قام اليه صلاح الدين ، وقال له ها انا انتصر لدين محمد ، واستل سيفه وضربه به على كتفه فحله ، وقام من حضر بالاجهاز على أرناط ، ثم حملوه الى باب الخيمة والقوة ، ولما رأى (جي) صاحبه قتيلا جزع ، وخاف مثل مصيره فاستحضره صلاح الدين ، وطيب قلبه وهذا روعه وقال له : (لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك ، وأما هذا فانه تجاوز حده ، فجرى ما جرى) .

وأثر معركة حطين بدأت تنهوى المدن والقلاع التي كانت للصليبيين ، في أيدي صلاح الدين ، وتابع من خلفه خطته في العمل على أجشاث جذور الدخلاء ، حتى تمكنوا بعد قرابة مائة وعشر سنين ، من يوم حطين ، من القاء آخر الصليبيين في البحر . ولم تستطع النجذات الكثيرة التي تلقاها الصليبيون من أوروبا من ان تمنع زوال كيانهم ، الذي قام في غفلة من الدهر ، بالعدوان والتهور والغدر .

دراسة حول نهاية الأدب للنويري

من موسوعة الأدب واللغة

هل التعبير الجميل بلفة رصينة هو الأدب؟

عبد الحليم الندي أساذ بالجامعة الملية الإسلامية (رذعي الجسدفة)

توصلنا من حضرة الاستاذ عبد الحليم الندي بهذه الدراسة الشيقة التي شارك بها في مسابقة المكتب الدائم ، الا ان لجنة التحكيم اوتات انها تعيد عن موضوع المسابقة - ونظرا لقيمتها اقتطفنا منها هذا القسم الذي نشره شاكرين :

بحركة مباركة يمكن ان نسميها بـ «حركة الموسوعات» . وغاية هذه الحركة هو جمع ما يوجد من نتاج العلماء القدماء ، وما وضعوه في مختلف العلوم والفنون من كتب خوفا من ضياعها ، على ابدي الفزاة . ذلك ان التثار قتلوا « كثيرا من علماء المسلمين ببغداد وغيرها ، ومن قتل ببغداد الشيخ محى الدين بن الجوزي واولاده . وكذلك ائلفوا كثيرا من دور الكتب واحرقوها . وقد امر هولاء وقت فتح بغداد بالقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ، وعلى العلوم والآداب نفائسها ، فقدت العربية الى الابد آلافا من المؤلفات » (1) فلما رأى العلماء هذه الكارثة الرهبة وما جرت من ضياع اكبر العلماء واجلهم شائنا « وجدوا أنفسهم - بمد هذه الكارثة الرهبة - مسئولين امام الله عن دينه ، وامام التاريخ من نهضة العلم واقالة مثاره ، وامام ضمائرهم عن معارفها وامام اوطانهم عن تدعيمها . فدفعهم شعورهم العميق بهذه المسئولية وضخامتها الى الجد في العمل لتلافي ما فات ، وبذل الجهد لامادة هذا العرح المنهار » (2) ومن هنا نجد طائفة من العلماء في هذا

ولد النويري في اواخر القرن السابع الهجري ، القرن الذي شهد تطورات سياسية هامة ، غيرت مجرى التاريخ الاسلامي بسبب فتنة التثار الجامعة التي اعقبتها ويلات ودمار انجلت عن حركة علمية ، من نوع جديد ، لم يكن للعالم الاسلامي ، بها عهد من قبل . فما ان يكاد فجر القرن السابع الهجري يشرق الا ونرى العقول العربية ، التي لم تزل طوال السنوات الماضية ، تزود المجتمع العربي ، بانتاجها الغصب ، ونتائج قرائنها الفياضة ، قد توقفت او تكاد ، وذلك بسبب تغير الاوضاع والظروف التي قلما تسمح لاصحاب الفكر والعلم والمشتغلين بالادب والفن ، بمزاولة امهالهم الفنية ، وممارسة انتاجهم العلمي والادبي دون ان يتوجسوا خيفة او وجلا . وبخاصة بعد ما كان هؤلاء العلماء قد افلوا جوا وظروفا تتناهى والتي ابتلوا بها في هذه الحقبة من الزمن ، فلما نجد انتاجا علميا غصبا ، او مادة ادبية فنية غريسة ، او شعرا عذبا بليغا ، من ذلك النوع الذي تطرب له القلوب وترنج له المشاعر والاحاسيس . ولكن ما تكاد تنقشع غياهب هذه الفتنة حتى يبرز رهط من العلماء ، يقوم

(1) من مختصر ابي الفداء ج 4 ص 194 ، نقلا عن كتاب « مصر سلاطين الممالك » لمحمود رزق سليم المجلد الثالث ص : 17 .

(2) نفس المرجع السابق .

المعصر قد عكفت على دراسة ما تبقى من هذا التراث الضخم ، واستخلاص موارده ، وجمعه في كتب مطولة ضخمة ضنا به وحفظا له .

والغريب في الامر ان هذا الرهط من العلماء وخاصة النويري ، اتخذ في مرامه هذا ، اسوة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاموا ، خوفا من الضياع والذهاب ، بأول عمل للجمع والتدوين سم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، وأعني به جمع القراءان الكريم وتدوينه في مصحف مكتوب . فقد نقلوه من الجلود ، والعظام والمسب واللخاف التي كانت سور القراءان الكريم او آياته قد كتبت عليها زمن النبي صلى الله عليه وسلم او من صدور الصحابة من الحفاظ الذين كانوا يسمون القراء عصرئذ . وكان الباعث الهام والاول هو توجس الخيفة من ضياعه او ذهابه مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، كما حدث في غزوة اليمامة .

فقد روى المؤرخون ، انه عندما ارتدت بعض القبائل من أهل الجزيرة ابان خلافة سيدنا أبي بكر الصديق ، وارسل القوات الاسلامية لقمع دابرهم ، دارت بينهما وبين المرتدين معارك دامية ، استشهد فيها حوالي 1200 مسلم من بينهم 700 قارئ . ففرغ المسلمون كثيرا لهذه الظاهرة التي تعرضت لهم اول مرة في حياتهم . وخافوا اذا ما استمرت الحال على هذه الوتيرة ، ان يحرموا من القراءان الكريم بموت او شهادة حفاظه . وكان منهم اكثر خوفا سيدنا عمر بن الخطاب ، فسمى الى أبي بكر يحاوره في الامر . وأشار عليه ان يقوم بجمع القراءان الكريم حفظا له وضنا به . الا ان أبا بكر تردد في الامر وترث وقال : « كيف أفعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد اليه عهدا » . ولكن عمر الح عليه وأصر ، فخضع له آخر الامر ورأى الحكمة في جمعه . فطلب الى زيد بن ثابت وكان من أبرز كتاب الوحي ، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فجمعه مما وجدته مدونا عند الصحابة ، وما كانوا قد حفظوه في صدورهم ، فجعل مصحفا كاملا وسلمه الى أبي بكر . فلما توفي أبو بكر سلمه عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء وبعد وفاته في سنة 23 هـ ، انتقل المصحف الى كريمته حفصة ام المؤمنين .

وفي زمن سيدنا عثمان بن عفان ، عندما توسعت رقعة الفتوحات وانتشر المسلمون الى اقطار مختلفة وبلدان عديدة ، مع نسخ من القراءان الكريم يعولون عليه ودخلت في حظيرة الاسلام شعوب وقبائل تنفخ في لافاتها

ولهجاتها لهجة قريش ، التي نزل القراءان الكريم بها . وحدث اختلاف في قرائته ، وبدا في ادراك معناه ، اتصل حذيفة بن اليمان بعثمان ، وابناه بما رآه اثناء سفره الى آرمينيا وأذربايجان في غزوة ، من اختلاف المسلمين في القراءة والتفاخر بها والتمسك بها ، حذره من الماقبة الوخيمة التي قد يؤدي اليها هذا الاختلاف وهذا الوضع الشاذ اذا ما نفشى بين المسلمين وقال قوله المعروفة : « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » . ففطن عثمان الى ما في قوله من حكمة واستصوب رايه . وطلب الى حفصة يقول لها : « ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » ففعلت ، فاستدعى عثمان رهطا من الصحابة من كتبة الوحي والتفليمين في القراءان الكريم ، مثل زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وغيرهم وأمرهم ان ينسخوا القراءان ويستمينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم » ، ففعلوا وكتبوا أربعة مصاحف بعث بها عثمان الى الامصار . وأبقى عنده نسختين ، احدهما لاهل المدينة والاخرى لنفسه . وسميت هذه الاخيرة « بالامام » . ثم جمع المصاحف والصحف الاخرى وأمر باحراقها .

ومن نسخ عثمان المرسله الى البلدان والامصار الاسلامية الكبرى مثل مكة والبصرة والكوفة والشام ، استنسخ المسلمون مصاحف أخرى ، حتى كثرت النسخ ، فاصبحت الى مئات ، الى واقعة صفين بين علي ومعاوية حسب قول المسعودي .

تلك هي الاسوة الحسنة التي جعلها النويري نبراسا له يهتدي به خير مثال يقتنيه . فقد جمع القراءان اول مرة بسبب خوف الضياع وذهاب اهله . فبينه وعمل النويري شبه قريب . فانه ايضا قام بجمع قرائث الاسلاف خوفا من الضياع على يد الحداد وخافة بعد ما رأى ما آل اليه امر الكتب والكراسات والنفايس العلمية ، اثر اكتساح التناثر الاقطار الاسلامية والمراق منها بصفة خاصة .

ثم جمع القراءان الكريم اتقاء لشر تفشي اللهجات المختلفة وتعدد المعاني والمفاهيم القرائية من أجلها . وتفاديا لوقوع الخلاف والشجار بين المسلمين فيه . فاننا ولو نستبعد قيام النويري بهذا العمل اتقاء لشر تفشي اللهجات وتفاديا لوقوع الخلاف ، الا انه يتبادر الى الذهن ان النويري يمكن ان يكون قد فكر في

الذي لولا « هذا الترديد » لكان قد أصبح في حديث الماضي ، مثل الكتب القيمة الأخرى ، التي لا نجد لها ذكرا . إلا بين طيات كتب التاريخ أو كتب الطبقات . وان وجدت فانها لا تزال زينة الرفوف في المكتبات ، لم يقدر لها أن ترى النور بعد . أو هي مخطوطة نادرة نعرف أو لا نعرف لها مقرا .

نشأ النويري في هذه الظروف ، وترعرع في هذه الفتنة « واشتغل بوظائف حكومية متعددة ، في بلاط السلطان المالك ناصر (محمد بن قلاوون) إلا أن نفسه الطموح لم ترض من مزاوله هذه الوظائف التي كانت قد جعلت منه أداة للجهاز الحكومي ليس إلا . دون أن تسمح له بالاشتغال بما جبل عليه من حب للعلم ، ووله بالعمق على الأدب والفن ، وللاطلاع بنصيب أوفر مما جادت به قرائع العلماء والناخبين . ورجل هذا شأنه لا يستقر به مقام ، مهما كان ذا عزة عليا ، ومنصب مرموق ذلك لأنه دائما يحسب مركزه هذا دون أهليته وما تهوى إليه نفسه ، مهما يكن ضئيلا في نظر الآخرين . فما كان من النويري إلا أن ترك وظيفته في بلاط السلطان حيث قال « ثم نبذتها وراء ظهري وهزمت على تركها في سري دون جهري وسألت الله تعالى الفينة منها ، وتفرغت إليه فيما هو خير منها ، ورغبت في صناعة الأدب وتعلقت بأهدافها وانتظمت في سلك أربابها . قرأت غرضي لا يتم بتلقيها من أفواه الفضلاء شفاها وموردي منها لا يصفو ما لم أجرد العزم سفاها (4) .

ومن ثم حول النويري جهده لمطالعة الكتب بنفسه ، لكي يحقق غرضه من هذا العلم الذي يشواق إليه ، والذي قد ضحى في سبيله بوظيفته الحكومية

الموضوع من هذه الناحية أيضا . فمن يدري لعله رأى أنه منذ جمعه لهذه المؤلفات يصونها من الضياع من ناحية ، ويصونها أيضا من وقوع الشك والريبة في نصوصها وموادها من ناحية أخرى ، وخاصة عندما يطول عليها الأمد . فعمد إلى ضبط نصوصها في سجل ولم يمس على وضعها عهد بعيد ، ويثمه يديه وهو العالم الخبير « الفقيه الفاضل والمؤرخ البار ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » حسب قول الثوري بردي . والواقع أن الكتب التي اختصرها أو نقلها في كتابه كانت خليقة بالتغيير والتبديل أو للشك والشبهة في نصوصها خلال التيارات السياسية والاجتماعية التي مر منها المجتمع الإسلامي في تلك العصور . (1)

وبما أن القاهرة ، مدينة الماليك ، كانت في مامن من ويلات هذه الفتنة الطافية ، فلقد أتبعنا هذه الحركة - حركة الموسوعات - من هذه الأرض الخصبة المطمئنة . فسجل القائمون بها ، ما تركته لنا جهود العلماء من السلف ، من نتائج خصب ، من علم وأدب ، وحكمة ومعرفة ، ودين وموعظة ، وتاريخ وسيرة ، وغيرها من الفنون . « فالفضل الأكبر في بقاء آداب اللغة العربية في ذلك العصر يرجع إلى مصر والشام ، وهما في حوزة السلاطين الماليك ومن بقي من الملوك الأيوبيين . فقد كانت الملجأ الوحيد لبناء هذا اللسان في فرائدهم من وجه المغول عند اكتساحهم خراسان وفارس والعراق (2) ومن بين القائمين بهذا العمل الجليل ، شهاب الدين أحمد النويري الكندي البكري صاحب « نهاية الأرب في فنون الأدب » . حقا أن هذا العمل لا يتمدى « أن يكون ترديدا لما فات ، وجمعا لمتفرق أو تفرقا لمجتمع » (3) إلا أنه ليس من شك بأن هذا « الترديد لما فات » له الفضل الأكبر في حفظ ما خلفه لنا آباؤنا وأجدادنا من هذا التراث الفخم الغزير

(1) راجع لجمع القرمان وتدوينه :

أ - صحيح البخاري باب جمع القرآن .

ب - الترمذي أبواب التفسير .

ج - اتقان للسيوطي .

د - فتنح الباري .

هـ - المصاحف لابن أبي داود . والكتب الأخرى باللغة الأردنية كتبت حول الموضوع .

(2) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - ج 2 صفحة : 111 .

(3) ظهر الإسلام لأحمد أمين ج 4 صفحة : 191 .

(4) مقدمة نهاية الأرب ج 1 صفحة : 3 .

فقال « فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة ، حيث ذل لي مركبها وصفا لي مشربها (1) .

وبما انه من الشخصيات التي نبغت في مصر كان يمر بانحلال ، وبماني تدهورا في الانتاج العلمي ، لم تحفزه مطالعته هذه ، وانشغاله بالادب والعلم وما اتيح له الانشغال ، الى ان ينتج شيئا من فيض قريحته هو ، ويملي عليه مكوفه على المطالعة ، وتلقي مختلف العلوم والفنون . بل حاول ان يجرد من مطالعته كتابا لا يسهم به في الانتاج العلمي اسهاما - كما يبدو لاول وهلة - وانما ليستانس به هو بنفسه ، ويرجع اليه اذا اضطرت نفسه الى المراجعة فيقول ... « آثرت ان اجرد منها كتابا استانس به او ارجع اليه واهول فيما يمرض لي من المهمات عليه » (مقدمة نهاية الارب) .

وهنا يتبادر الى الذهن ان النويري انما بدأ عمله لجمع ما طالع في الكتب في موسوعته ، ليس بارادة تأليف كتاب بالذات بالمعنى المفهوم ، وانما غرضه استيعاب ما طالع وضبطه في دفتر ، لكي لا ينساه وان انفلت من ذاكرته شيء سهل عليه الرجوع اليه . وكذا لم يات بهذا الكتاب بعد فكر ودراسة وروية في الموضوع ، وانما جاء به عفوا كفكرة طارئة ، دون ان يحسب لها حسابا من قبل .

ولكنه يبدو لي ، ان النويري ، بعد ما كان قد اراد ان يضمن كتابه هذا وما يخاف انقلابه من ذاكرته ، وبعد ان مضى فيه فعلا شوطا ، غير رايه لما وجد من اهمية فيما يطالع ، وندرة ما وصلت اليه يداه من النفائس . فمن ثم وطد عزمه على جمع هذه النبذات ، وتسجيل ما يوجب به من المختارات ، لا ليستفيد بها هو وحده ، بل لتكون ذات فائدة للآخرين ايضا ومتمعة لهم لكي يمكن لهم الرجوع اليها والالمام بها عند الحاجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لكي

يحفظ هذا التراث العظيم الذي كان قد اصبح عرضة للخطر على يد الحدثان . هذا التراث الذي اهمله المجتمع لانشغاله بأموره الخاصة ، التي فرضتها عليه الظروف ، من ضيق اسباب المعاش وتغير الاوضاع المألوفة وهذا العمل يتطلب الى جانب العقل الناضج والدوق السليم ، هلما فزيرا ، ثم خطة مرسومة احكمت اصولها ، وترتيب وتهذيب روعي فيهما دقة الاختيار وحسن الانتخاب . فان القينا النظر على كتاب نهاية الارب من هذه الناحية ، وجدناه مستوفيا لهذه الشروط كلها وان خضنا في البحث في صفحات الكتاب ، وجدناه موزعا على ابواب وفصول واقسام في صورة منتظمة لا يبعد اليها من يريد جمع اشياء ونبذات خيفة الافلات منه او النسيان ، ليرجع اليها اذا شاء الرجوع . فهذا الترتيب الكامل ، لا يمكن ان ياتي عفوا ، دون اعمال الفكر وتنسيق الخطة ، وبعد طول الممارسة وتدبر استغرق وقتا غير قصير . ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الظاهرة تتجلى بوضوح في المقدمات التي يستهل بها الابواب . فهي كلها آتت على غرار مقدمات تكتب بعد فكر وروية بالفين ولا ينطلق بها قلم يجمع لصاحبه مختارات من هنا وهناك ، في صورة « مذكرات » . اذ ان شأنه غير شأن المؤلف او الجامع . فقلما يوجد بها ترتيب محكم ، او تهذيب ملحوظ ، او اختيار منسق ، او خطة مرسومة ونهج معين مضبوط . ثم ان النويري نفسه قد افصح عما كان ينويه من جمع كتابه هذا حيث يقول « وما أوردت فيه الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه وان الخواطر تشتتل عليه » (2) فهذه العبارة تبرهن على ان النويري لم يبدل جهوده الجبارة هذه لاجل نفسه وحدها وانما للنفوس وللخواطر بالجمع لا المفرد أي نفوس القراء الى جانب نفسه طبعاً . كما كان ينوي ان ياتي بكتاب يكون ذخرا للخلف ، وخرانة لما ورثناه من انتاج اسلافنا من العلماء والفقهاء والادباء النابغين .

(1) مقدمة نهاية الارب ج : 1 صفحة : 3 .

- راجع للنويري : 1 - مسالك الابصار في ممالك الامصار لفضل الله العمري .
- 2 - النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تفرى بردي الاتاكي ج 7 و 9 .
- 3 - حسن المحاضرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج : 1 .
- 4 - كشف الظنون للجلبي ج : 2 مادة (ن) .
- 5 - الطالع السعيد لجعفر بن ثعلب الادفوي حرف .
- 6 - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج : 3 .
- 7 - الحركة الفكرية في المصريين الايوبي والملوكي للدكتور عبد اللطيف حمزة .

(2) مقدمة الكتاب صفحة : 26 .

الجمع ، قليل الابتكار » فلم يترك السيوطي بابا لفن لم يطرقه « حتى لقد عدت من تأليفه بثلاثمائة كتاب » (4) .

كانت تلك هي الظروف ، وهذه الاوضاع التي وضع فيها النويري كتابه الشهير « نهاية الارب في فنون الادب » في ثلاثين مجلدا ضخما . وعلى ترتيب حسن بديع يضاهي احسن ترتيب ممكن . اودعه كل مختار ومختب من علوم القدماء ، ومن كل فن وموضوع ، وبقدر ليس بفضيل .

قسم النويري موسوعته الى خمسة فنون ، يحتوي كل فن على خمسة ابواب . ضمنها جميع العلوم والفنون التي كانت معروفة الى عصره ، من الكلام حول السماء والارض العلوية ، والارض والمعاليم السفلية ، والانسان وما يتعلق به . من اشتقاقه من كلمة الانس ، الى ما يعرض له العوارض في الدنيا ، وما يميل اليه من شعر وادب ، وما يرغب فيه من حب وهوى ونزعاته الى حياة مترفة قوامها الخمر والنساء ، والسقاة والندمان ، ومجالس الفناء وغيرها . وما روى عنه من حكم وامثال ، وقصص واخبار . كما نقل مما وجدته حول الحيوانات ، الصناعات منها والناطق . وحول النباتات وما يتعلق بها من اصلها ومختلف اسمائها واصنافها . وما أعجب به في التاريخ من تبدلات ووقائع واحداث ، من مبدا خلق ادينا آدم عليه السلام تتخلله اخبار يوم القيامة ونفخاته ، وخروج ياجوج وماجوج واهواله ، ونزول عيسى عليه السلام وآثاره ، الى اخبار ملوك الاصقاع وملوك الامم والطوائف ، ووقائع العرب في الجاهلية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اخبار الخلفاء الراشدين ، فالدول التي تلتهم ، من اموية وعباسية وغيرها الى ان انتهى هذا الباب باخبار ولي نعمته ابي المظفر محمد بن قلاوون الصالحى ، سلطان مصر ، وهنا ينتهي الكتاب .

وقد يتساءل المرء لماذا سمي النويري كتابه هذا بـ « نهاية الارب في فنون الادب » مع اننا نراه يضم اليه علومنا وفنوننا لا تتمنى بالادب في شيء ، وانما هي علوم وفنون بذاتها لها اصولها وقواعدها . وانه لمن العجيب ان النويري ، مع غزارة علمه ، وهو كعب

ومع ان النويري « كان بطبيعته ميالا الى العلم والادب ، شغوبا به مكوبا عليه ، فقيها فاضلا ، مؤرخا بارعا ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » (1) ولكنه عند نقله هذه الكتاب لم يعتمد على نفسه وعلمه ومعرفته فحسب ، بل اظهر نفسه تابعا للعلماء السلف معتمدا على علمهم ، واتقا في كفاءتهم ، ولذا اقتفى آثارهم في هذا المضمار اذ يقول « ولو علمت ان فيه خطأ لقبضت بنائي ، وغضضت طرفي ، ولو خبرت طريق المترض ، لمطفت عنائي وثنيت عطفني ، ولكنني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي ، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبابي » (2) .

وبما ان النويري اقتفى آثارهم ، لطبيعي ان يتبرا من الاغلاط التي قد تبدو في الكتاب ، فيحمل مسئوليتها هؤلاء العلماء بقوله « فان يكن امتراض فعلي غلام لا على المار » (3) ومن هنا يتضح ان النويري لم يرض لنفسه مركزا الا مركز الناقل الامين ، دون ان يستخدم في المسائل رايه او يعمل علمه او يعرض ما ينقنه على محك ليعرف به جودة البضاعة من غشها ، وخاصة في المسائل الدينية والامور المختلف فيها بين العلماء كما سنرى .

والسبب كما اسلفناه ، هو الانحلال الفكري والاضمحلال الذهني الذي طرأ على العلماء في هذا العصر . ثم الفوضى وعدم الاستقرار الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي . فلم يحفزهم عنهم الى الابداع والابتكار الذي يتطلب راحة البال واستقرار الاحوال . ومن ثم اقتصر على جمع ما وجدوا امامهم من الكتب ، في شتى الفنون والموضوعات . وذلك ما اشار اليه عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في احاديثه اذ قال : « بان عصر المماليك يمتاز بانه عصر دوائر المعارف والموسوعات الادبية ، الف في الكتب التي جمعت ما كان العرب والمسلمون قد اصنعوه من الكتب الكثيرة مثل لسان العرب (لابن منظور قبل النويري) و « مسالك الابصار » لفضل الله العمري ، و « صبح الامشى » (للقلقشندي) ، الى ان ينتهي هذا الركب الى السيوطي « الذي » هو اكبر مظهر لهذا العصر (أي العصر المملوكي) فهو مؤلف كثير التاليف ، كثير

1 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لتفري بردي ج 9 صفحة : 299 .

2 مقدمة الكتاب .

3 مقدمة الكتاب .

4 ظهر الاسلام لاحمد امين ، ج : 4 ، صفحة : 21

والتمثال البديع . فهو اذن يتصل بالدوق والحس والشعور ويمس ملكة تقدير الجمال في النفس . والكتاب في النحو او في الطبيعة او في الرياضة ادب بالمعنى العام لانه كلام يصور ما انتجه العقل الانساني من انواع المعرفة ، سواء احدث في النفس اثناء قرائته او سماعه هذه اللذة الفنية ام لم يحدثها .

على ان الادب ، او الاديب ، ليس من شأنه ، ان يبحث في هذه العلوم من حيث هي ، فيتمق فيها ، وانما يأخذ منها الشطر الذي يتعلق بالانسان ومحيطه وبيئته ويتناولها بالقدر الذي يحدث المتمعة ويثير الحساسية في نفس القارئ او السامع . فانه ان تعمق فيها ، قد يفقد الحساسية والاثار في كلامه ، فيصبح انتاجه في الادب بالمعنى العام ولذلك اصاب الجاحظ عندما نادى « بان الادب » (هو الاخذ من كل فن بطرف) . وهذا الاخذ من كل فن بطرف ، يجب ان يكون بحيث يمرر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل . فلا بد لعدد الشيء ادبا من ركنين : معان تشيخ العاطفة والفاظ جميلة اديت بها المعنى ... كذلك لابد من صياغة وتعبير جميل . وذلك هو مفهوم الادب في عصرنا هذا .

فان القينا النظر على ما جعله النويري في كتابه من نبذات واقتباسات في ضوء هذا التعريف للادب ، نجده يفي به تماما بل يزيد ، اذ انه لم يتمق في العلوم والفنون عند النقل والاقتباس ، وانما اخذ منها تلك المينات واللقطات التي تتمتع بها النفس ويتأثر بها الحس وتلذذ بها المشاعر ، وكل ذلك في صياغة وتعبير جميل مع الفاظ جميلة . وبدا افاء بشرط « الاخذ من كل فن بطرف » فجاء فيه ، من ناحية ، الكلام الجيد من المنشور والمنظوم ، كما اشرنا اليه في الصفحات السابقة ، ومن ناحية اخرى زاد عليه ، فجاء بماوم وفنون تعتبر من الادب بالمعنى العام ، مثل الكلام على النحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والسيرة والعلوم الطبيعية وغيرها . وكذا فانه شمل معنى الادب بمفهوميه ، المفهوم الخاص منه والعام في وقت واحد .

فاننا اذا لم نأخذ هذا التعريف بعين الاعتبار ، فقد نضطر الى شطب بعض الكتب الهامة ، وانتاج بعض الفطاحل من القدماء من هداد الادب ، ولو اننا ما زلنا نعتبرها من امهات الكتب الادبية والاممال الرائعة التي خضعت امامها وما تزال تخضع ، هامات الكبار من العلماء والادباء في كل عصر ومصر . واهني

في التمييز بين فن وفن ، قد اباح لنفسه ان يطلق اسم الادب على جميع هذه الفنون التي تتفاير تفايرا كليا ؟ فليس من شك ، بان الكتاب يحوي فنونا وعلوما لا تمت الى الادب بصلة كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهنة . كما أن النويري لم يجهل ما بين فن وفن من فرق وتفاير ، ولكنه مع ذلك شملها كلها بالادب .

الادب ومفهومه

ان الادب ، وان دلت مادته منذ اقدم المصور العربية الاسلامية على رياضة النفس بالتعليم والتمرين على ما يستحسن من السيرة والاخلاق ، والتأثر بهذه الرياضة والاقتناع بها واكتساب الاخلاق الكريمة واصطناع السيرة الحميدة ، تطور مفهومه في القرن الاول الهجري ، ليشمل التعليم ايضا ، « فالمدب » كان يراد به الشخص الذي يتخذ التعليم صناعة ويكسب به رزقه ، « والادب » كل ما يلقيه المؤدب (المعلم) الى تلميذه من شعر وقصص واخبار وانساب ما هذا العلوم الدينية التي تتعلق بالقرءان والحديث النبوي الشريف .

فلما استهل القرن الثاني والثالث للهجرة ، حيث نشأت علوم اللغة العربية ، من صرف ونحو ولغة وبلاغة وغيرها ، انتمش مفهوم الادب ومراده « فاصبح الادب يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما كان يتعل به ويفسره من الشرح والنقد والاخبار والانساب وعلوم العربية » .

فهل لهذا الكلام الجيد من المنظوم والمنثور محك نختبر به جودته ؟ نعم ، فالكلام الجيد ، من النظم والنثر ، هو ذلك الذي « يحدث في نفس قارئه وسماعه لذة فنية ، سواء اكان هذا الكلام شعرا ونثرا . وليس كل ما ينظم او ينثر يحدث في نفس القارئ او السامع لذة فنية . ولذلك نضطر الى تقسيم الادب الى معنيين مختلفين : احدهما « الادب بمعناه الخاص » وهو الادب الفني الذي يجد القارئ او السامع في نفسه لذة ومتعة لقرائته او سماعه ، فليتلذذ به وبطرب . والثاني « الادب بمعناه العام » وهو الانتاج العقلي الذي يصدر في الكلام ويكتب في الكتب . فالقصيدة الرائعة والمقالة البارعة والخطبة المؤثرة والقصة المثارة ، كل هذا ادب بالمعنى الخاص ، لاننا نقراه او نسمعه فنجد فيه لذة فنية ، كاللذة التي نجدها حين نسمع غناء الممغن وتوقيع الموسيقى ، وحين نرى الصورة الجميلة

الافاعي والمقارب والضب والحرياء حتى الفيران والجرذان . ثم مد الى الطيور البضات منها والمقلات والنزور ، وما منها الليلية والنهارية وغيرها من مختلف الاقسام والانواع ، التي قيلت فيها الشمر (2) هذا من ناحية وصف الحيوانات . فاذا فرغ من نقل الاشعار الوصفية ، بدأ ينقل من الاشعار تلك التي فيها ذم للحيوانات ، وردت على سبيل الهجو « كطرائف في ذم الخيل والحمير والبغال » اتي فيها بأشعار تهجو الخيول لئلا يها ويضعفها وعدم سيرها او عدم تحملها المشاق وغيرها من المعائب التي تهجر من أجلها الخيول والبغال والحمير . (3) وجميع هذه الاشعار من شعر جزل رائع .

فان انتقلنا الى الفن الثالث والرابع والخامس (3) نجدها كلها توشك أن تكون أدبا خالصا . « فقد اشتمل الفن الخامس منها - بنوع خاص - على كثير من الامثال وعلى كثير من اشعارهم التي تجري مجرى الامثال وذلك من لدن امرئ القيس الى العصر الذي عاش فيه النويري » (4) وهكذا نجد النويري قد اتى في جميع الابواب والفنون بطائفة من الاشعار ، في غاية من الروعة والجمال ، مما تضيف اليها من الصبغة الادبية قدرا يطفى على الفن الذي تخضع هذه المادة اليه وتشتمل هذه النبذة عليه . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان النويري لم يفكر في وضع كتابه هذا في الادب بالمعنى المخصوص الذي حدده النقاد والعلماء قبل القرن الثالث الهجري . بل وسع نطاقه وجعله الادب بالمعنى العام الذي يشمل كل شيء بحيث يأخذ من كل فن بطرف وذلك على غرار التأليف الذي كان شائعا في مصر في ذلك العصر .

ومهما يكن من شيء ؛ سواء نظرنا الى الكتاب بمفهوم الادب قديما او بمفهومه الحديث ، فاننا لن نجد الكتاب خارجا من نطاقه الادبي في أي شيء . وعلى كل حال فانه يتوجب أن يعرب عن البال ان «النهاية موسوعة» قبل كل شيء ، ليس من شأنها أن تقتصر على فن دون فن فلها رسالة أكثر أهمية وخطورة منه ، وهو أن يكون سجلا حافلا لكل شيء على وجه الارض . وبما أن صاحبها جبل على حبه للادب ، اتي بهذه الاشياء كلها

به (الكامل للمبرد) و (البيان والتبيين للجاحظ) و (كتاب الشمر والشعراء لابن قتيبة) و (طبقات الشعراء) (لمحمد بن سلام الجمحي) وغيرها من الانتاج الادبي الغصص المتع ، فهذه الكتب جميعها ، تشمل الاخبار والانساب والقصص والسيرة والتاريخ والاساطير . ومع هذا فان احدا لا ينكر انها ليست من الكتب الادبية ، وهذا الانتاج ، ليس من الانتاج الادبي . فاما اذا اذن نتردد في اعتبار كتاب « نهاية الارب » للنويري في مداد الادب وحيطته ، والحال ان كتاب النويري يحيط بمفهوم الادب بالمعنيين . ؟

وثمة ناحية جديدة بالانتباه اليها وهي ان النويري لم يدون كتابه هذا باعتباره كتابا في فن خاص او علم يبحث في ناحية من فن معلوم معين ، وانما حاول جمع ما احدثه مطالعته من العلوم والفنون ، في كتاب له اجزاء متسلسلة متشابكة ، يجعلها مرجعا لكل هذه الفنون . ثم ان معظم الابواب والاقسام التي يشملها الكتاب يضمن الادب بالمعنى المفهوم منه في هذا العصر . اما الابواب الباقية منه ، فانها ايضا لا تخلو من نبذات الادب خلوا تماما . فخذ مثلا « باب السماء » تجد فيه من الاشعار التي قالتها الشعراء حول السماء والنجوم والفلك وكلها في منتهى الروعة والجمال ، تترنح لها المشاعر والاحاسيس وتطرب لها القلوب . مما يجعل من الباب جزءا من الادب له قيمته ووزنه من هذه الناحية . وكذلك حين ينقل لنا صفحات الحيوانات على مختلف انواعها (1) فانه ياتي في هذا الصدد ، بنخبة مختارة من الاشعار قالتها الشعراء حول هذه الحيوانات ، مثل قول بعض الشعراء على لسان اعرابي يصف الاسد يقول :

مبوس شمس مصلخد مكابر
جري على الاقران للقرن قاهر

لنعتبه اقوال من الشعراء الآخرين ، مثل ابي الطيب المتنبي وعبد الجبار بن حمديس وبشر بن عوالة وكشاجم وغيره ، وكلها مما تعد من احسن ما يقال في الموضوع . وهكذا في سائر الحيوانات : من كلب ونمر وفهد وحمار وبغال وابل وفيل . وما تدب منها مثل

(1) نهاية الارب ، ج : 10 ، صفحة 65 .

(2) نهاية ، ج : 11 .

(3) نفس المرجع .

(4) الحركة الفكرية في المصيرين الايوبي والملوكي صفحة 320 .

باطار من الادب بحيث لا نتمدى الحقيقة اذا ما قلنا ان كتابه موسوعة ادبية .

واننا فى قولنا هذا، انما نتبع آثار من سبقنا من العلماء الكبار ممن اقبلوه . فلقد وصفوا كتابه هذا بأنه عمل ادبي ، حول عليه الادباء . فيقول ابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الابصار فى ممالك الامصار » المتوفى سنة 748 هـ « كان الباعث عليها (أى نقل الكتب القديمة وجمع الفنون فى سجل حافل) كما قلنا هو جمع المعارف الإنسانية كلها فى اطار من الادب مرة كما فى نهاية الارب للنويري ، ومن الجغرافيا كما فى كتاب الابصار ، ومن الكتابة الديوانية مرة ثلاثة كما فى كتاب صبح الاعشى » (1) .

ويقول جمال الدين يوسف بن تفرى بردي لاتابكي فى كتابه « النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة » الجزء التاسع ما نصه : « ... وكان يكتب فى كل يوم ثلاث كراريس . وتاريخه سماه « منتهى الارب فى عام الادب » فى ثلاثين مجلدا ، رايته وانتقته ونقلت منه بعض شىء فى هذا التاريخ وغيره » . وفى عصرنا هذا يقول محمود رزق سليم فى كتابه « عصر سلاطين المماليك » « ... ويعتبر (أى نهاية الارب) أحد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا . (2)

تلك كلمات اوردناها من المؤلف ، وعن الاوضاع التى الف فيها كتابه ، كما قلنا شيئا عن الكتاب نفسه ، كل ذلك بشىء من الإيجاز كثير . والان نحاول القاء نظرة فى شىء من التفصيل ، على ما اتخذه النويري من منهج لوضع كتابه هذا ، الذى أصبح فى العصر الحديث ، ولم يزل منذ الزمن القديم ، من أهم المراجع لما كتبه الاوائل فى شتى الفنون والعلوم . والذي له الفصل الأكبر فى حفظ ما تركه لنا اسلافنا من تراث علمي عظيم .

يستهل النويري الابواب والفنون عادة ، بمقدمة يكتبها هو بنفسه أحيانا ، او ينقلها من الكتاب الذى يورد منه مأموماته حول هذا الباب أو الفن فيذكر فى المقدمة ما حواه هذا الباب أو الفن من موضوع ، وهذا

الموضوع من اقسام وابواب ، وما لكل قسم فى مادة خاصة ولكل فصل من علم معين .

ولناخذ على سبيل المثال مقدمته حول « الفن الاول » فى السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية » فقد كتب هذه المقدمة بنفسه يشرح فيها ما يحتوي هذا الفن من موضوعات وفصول واقسام فيقول :

« قد اوردت فى هذا الفن نبذة من وصف السماء، التى هي قبلة الدماء وباب الرجاء، والكواكب السيارات، ذوات السنا والسنا، والملائكة الذين هم اولو اجنحة، مشى وثلاث ورباع ، والسحاب التى تجود بوبنها ، فتعدل فى قسمها بين السهل والباق ، والرعد الذى ان دنت بحثها ، والريح الذى ان اجتمعت يثها ، والبرق الذى شبه ببنان الحاسب والكف الخضيب والتلج الذى خلع على الارض رداء المشيب ، وقوس السحاب الذى تنكبه الجو فانرغ عليه مصبغات الحبل، ورمى الجذب بينادق البرد فتباشرت بالخصب اهل الحبل ، والنيران وعبادها وعددها، والسنة وفصولها، والاعبياد والمواسم ومتخذها ، والارض والجبال والبراري والرمال ، والجزائر والبحار والمياه وامدادها ومددها ، والليالي والايام والشهور والاعوام، والعيون والانهار ، وطبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد ، والمباني والمماثل والقصور والمنازل ... »

... وجملته خمسة اقسام يستدل بها عليه ويتوصل من ابوابها اليه » (3) .

فلناخذ ان هذه المقدمة تحتوي على جميع الابواب والفصول والمواد التى سيأتي بها فى هذا الفن . وذلك لكى يسهل على القارىء معرفة محتوياته بالقاء نظرة خاطفة على المقدمة . فالكلمات المكتوبة بالخط الكثيف تبدي بأن هذا الفن تناول فى بحث هذه المواد، فى باب منفرد وبتفصيل واف .

فلناخذ « وصف السماء » مثلا . نجد ان النويري بدها بفصل يتعلق « فى مبدأ خلق السماء » وبرهن عليه بأية قرآنية تقول « انتم اشد خلقا ام السماء ، بناها ورفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها » ، ثم ذكر بأن السماء تذكر وتؤنث

(1) مسالك الابصار فى ممالك الامصار مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 3003 .

(2) الجزء التاسع ، صفحة : 299 .

(3) نهاية ، ج : 1 ، صفحة : 67 .

ايضا . فشاهد التذكير قوله عز وجل « السماء
منفطر به » ، وقول الشاعر :

فلو رفع السماء اليه قويا
لحقنا بالسماء مع السحاب

وشاهد الثاني قوله تبارك وتعالى « اذا السماء
انفطرت » . وقول الشاعر :

يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم أتى باسماء مختلفة للسماء أطلقها العرب
عليها (1) ثم تحدث عن سبب حدوثها . لبحث في باب
ثان من هيتها ، وأسهب فيه اسبابا حول الموضوع
من الاستدلال بالقرآن الكريم الى الاحاديث النبوية .
ثم أتى بما ضربت من الامثال حول السماء وما أشد
الشعراء من الاشعار في وصفها والتشبيه بها .
ومعظمهم اسلاميون . وذلك لان الجاهليين يندر
عندهم وصف السماء والتشبيه الرائع بها في كلامهم .
ولقد ساق الامثلة على التشبيه بالسماء من اقوال
مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

كان سماءنا لما تجلست
خلال نجومها عند الصباح

رياض بنفسج خفل نداء
تفتح بينه نور الافحاح

وفي النجوم قول ظافر الحداد :

كان نجوم الليل لما تبلجت
توقد جمر في خلال رماد

حكى فوق ممتد المجرة شكلها
فواقع تطفو فوق لجة وادي

ومما قيل في الفلك ، قول أبي العلاء المعري :

يا ليت شمري ، وهل ليت بنافعه
ما ذا ورالك ، أو ما انت يا فلك

واحسن ما أورد في هذا الصدد قول أبي عباد
البحري :

أناة أيها الفلك المدار

أنهب ما تصرف أم خيار

ستبلى مثل ما نبلى وتغنى
كما نفنى ويؤخذ منك ثار

وبعد الاستدلال بالاشعار ، يبدأ الباب الاخر ،
وينهج فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه .

وقد يأتي أحيانا بـ « ذكر الشيء على طريق الدم »
مثلا فصله الذي يقول فيه « ذكر شيء مما قيل في
الشمس على طريق الدم » ، وأورد فيه بعض الاشعار
للشعراء يجهنون الشمس أو يذكرونها بطريق الدم
كقول ابن سناء الملك :

لا كانت الشمس ، فكم أصدات
صفحة خد كالحماء الصقيل

أو « ذكر القمر على طريق الدم » كقول ابن الرومي :

رب عرض منزله عن قبس
منسته معرضات الهجاء (الآيات)

وهكذا يأتي بالاشعار لفحول الشعراء يهجون بها
الشيء المعين أو يعيبونه بأقوالهم .

ومن المقدمات التي كتبها النويري بنفسه على
هذا النحو ، مقدمته على الانساب ، حيث بدأها قائلا
« يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... »
ومعرفة انساب الامم مما افتخرت به العرب على المعجم
لأنها احتررت على معرفة نسبها وتمسكت بهتين
حسبها وعرفت جماهير قومها وشعوبها ... الخ (2)

فهذه المقدمة أوضح فيها النويري بإيجاز ، ما
يحتوي عليه هذا الباب من الموضوعات والمسود
والفصول . ثم سار نفس المنهج الذي سبق ذكره في
نقل ما ضمن هذا الباب .

وأحيانا يضيف النويري في مقدماته الى الآيات
القرآنية ، بعض الاحاديث أيضا التي تطابق الموضوع .
مثلا مقدمته على « القسم الثاني من الفن الثاني - في
الامثال المشهورة » . فبعد أن بين الموضوعات التي
أوردها في هذا القسم يقول في الباب الاول - (في
الامثال) ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز
في آي كثيرة فقال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له » وتكرر ذكر الامثال . ثم يورد حديثا

(1) ومنها : الجرباء والخلقاء وبرقع والرقيع وغيرها

(2) نهاية الأرب ، ج : 2 ، صفحة : 276 .

يناسب هذا الباب حيث يقول : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الله صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تمرجوا » (1) ثم فسّر الكلمات التي وردت في هذا الحديث . وبعد ذلك أخذ في نقله عن الميداني من الأقوال حول الأمثال وبيان ذلك . وكتابه المنقول منه الأقوال هو « مجمع الأمثال » .

والمعجب أن النويري مع جلالة قدره وعلو كعبه في العلوم الدينية أيضا فقد وصفه معاصروه بأنه فقيه بارع ، لا يتحاشى الاستدلال بالأحاديث الموضوعة أيضا . واثني بعد الدراسة والاستقصاء للأحاديث التي أوردها في كتابه بلفت إلى هذه النتيجة وهي أنه إنما يأتي بمثل هذه الأحاديث الموضوعة أو الضيقة ويستدل بها ، في أماكن ومسائل لا تتصل بأي ركن من أركان الإسلام ، وذلك أن العلماء قد أجازوا الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، طالما لم تكن تنافي نصا قطعيا عن القرآن الكريم أو مسألة متفقاً عليها باجماع الأمة ، وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الأدب ومثله من العلوم الأخرى .

وقد بدأ أخذ على الإمام الغزالي وبعض العلماء الآخرين الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم . وقد أجيب عنهم ، أنهم إنما جاءوا بمثل هذه الأحاديث في كتبهم في مواضع ومسائل وأمور لا تمس بالدين والمعتقدات الإسلامية المتفق عليها بسوء ، إبطالا أو الفاء . بل جاءوا بمثل هذه الأحاديث في مواضع الذكر والعظمة والعبرة ، لكي يدعموا أقوالهم بقول النبي ولو كان ضعيفا . فلم يصر العلماء بأسا في الاستدلال بمثل هذه الأحاديث في موضع النصيحة والعظة والتذكير ، فهي بمثابة « الحكمة ضالة المؤمن ، فإينما وجدها فهو أحق بالانتفاع منها والاستفادة بها .



وبعد المقدمات التي يستهل بها النويري الفنون والفصول يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . وطريقته فيه أنه يطالع الكتاب بدقة وتدبر وتفكر ، ثم يختار العينات والنبدات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد أعدها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

(1) نهاية الأرب ، ج : 3 ، صفحة : 2

وطريقته في النقل أنه أحيانا يذكر المرجع أو الكتاب الذي نقل عنه العينة أو العبارة أو المسألة . وأكثر الأحيان لا يذكره . كما نجد أنه يذكر المرجع بصراحة تامة حينما يشير إليه إشارة خفيفة حينما آخر .

وهنا نقف وقفة قصيرة ، لنذكر نبذة من الفصول التي أخذها من مختلف الكتب ولكنه لم يذكرها على الإطلاق ، لا إشارة ولا صراحة .

قال النويري : « وأما ما ورد في ذم الشيب » قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيب خطام المنية . وقال غيره : « الشيب نذير الموت »

وقال : « قد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى « وجاءكم نذير » قيل هو الشيب .

إلى قول عبد الملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن .

أورد النويري هذه المقتطفات من المقدم الفريد لابن عبد ربه (الجزء الثاني) ولم يذكر هذا المرجع على الإطلاق .

وهناك أمثلة كثيرة نقل النويري الفصول والأبواب من المقدم الفريد بأجزائه دون أن يذكر المرجع أو يشير إليه .

ومن أمثلة عدم ذكر المرجع ما نقله النويري في « فصل في الوزارة و أصحاب الملك » في (نهاية الأرب ج 6 ص 92) فأكثره منقول من كتاب « قوانين الوزارة » للماوردي . أما « وصايا أصحاب السلطان » في نفس الجزء السابق ، فإنها مأخوذة من « الأدب الكبير » لابن المقفع .

وكذلك فصل « في وصف أمضاء الإنسان » وفصل « ظهور الشيب » فإنهما منقول لفظا وحرفا من « فقه اللغة للثعالبي » . وكذلك الفصول « في أسماء شعير الإنسان من فوق لتحت » و « مما قيل في الحواجب » وما قيل في العيون ووصفها » و « فصل ترتيب الصمم » وغيرها من فصول كثيرة ، منقولة من كتاب فقه اللغة للثعالبي دون الإشارة إليه .

وقد قال « الوزير أبو المغيرة ابن حزم عندما مرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب إليه وده بعد أن علر قال :

وقرض الشعر مثل إبراهيم المهدي وعليه بنت المهدي وأبو ميسى وابن المعتز وعائشة بنت طلحة وغيرهم .

على أن النويري لا ينقل من الأغاني كل ما ورد فيه ، بل يقتصر على الذي يطيب له ويصح عنده ، وما يطابق خطته من الموضوع . أما باقي المينات فانه يحذفها من وهي وأدراك وصيرة وقصد .

ومن أمثله اكتفاء النويري على ذكر اسم واضع الكتاب دون الكتاب نفسه ، ما نقله عن ابن المقفع حيث قال « وقال ابن المقفع « عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلم ... الخ »

ثم أن النويري لايهتم أحيانا بذكر الاسم الكامل للمؤلف أو الجامع ، فيكتفي بذكره اما ناقصا أو باختصار كبير يصعب على الباحث معرفة اسمه الكامل ، وخاصة اذا كان للاسم المذكور لقب وكنية يعرف بها .

ونلاحظ ، ونحن نبحث في الكتاب ، أن النويري الى جانب اقتصاره على ذكر اسم المصنف ، أو كنيته أو لقبه باختصار شديد أو إهمال ذكر اسم المؤلف بساتا أو الكتب التي ينقل منها ، أن هناك شواهد تدل على أن النويري يعترف بصدر رحب وبصراحة تامة ، بأن نقل هذا الفصل أو الباب من كتاب يسميه ، ولمصنف ينتمى نعتا واضحا . وذلك عند نقله من الميداني مثلا ، حيث يقول « ومن أمثال العرب ما نقله من كتاب « الأمثال » للميداني .

وكذلك صرح بنقله من كتاب أبي البركات الجواني النسابة ، في الباب الرابع ، في الانساب . ويعترف بنقله منه قائلا « وقد وقفت على المقدمة التي وضعها الشريف أبو البركات الجواني ، لرفعت له علما ونصبت له الى المعالي سلما » . ويبدو انه قرأ معظم الكتب الموجودة مصرئد في هذا الفن ، ثم بعد ذلك اختار كتاب الجواني ، لانه « اتقن أصولها وحرر فصولها وأورد فيها من الانساب ما ينتفع به اللبيب ويستغنى بوجوده الكاتب الأريب » وأكثر منه صراحة قوله « على الشريف الجواني الممدة فيما أوردته والممدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت وعلى مقالته اعتمدت » (2) ثم بدأ ينقل منه بقوله « قال السيد

« ورد كتابك يشد ضالة ودنا ويرقع خلسق مهذنا ويطلب ما افاءته جريرتك اتينا وذهبت به جنابتك علينا أيام فضك ناضر ، وبدرلك زاهر لا نجد رسولا اليك ، غير لحظة تخرق حجاب الدموع ... الخ » (نهاية ج 2 ص 87) .

نقل النويري هذه الرسالة بتمامها ضمن فصل « مما وصف به العذار على طريق الدم » في الفن الثاني - الباب الاول . ولكنه لم يذكر او يشر الى انه نقلها من كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام ، الجزء الاول صفحة 117 (1) .

ثم أن النويري أورد الكتاب المشهور الذي كتبه سيدنا علي رضي الله عنه الى مالك بن الحارث الأشتر عندما ولاء مصر ، والذي يتضمن نصائح وأصولا غالية الثمن ، (نهاية ج 6 ص 19) نقله من كتاب « نهج البلاغة » للسيد الشريف الرضى (الجزء الثاني ص 79) دون أن يشير الى هذا الكتاب



وهناك فصول وابواب ، يذكر النويري مراجعها . وذكرها في مثل هذه الابواب ينحصر في طريقتين :

احدهما : أن يكتفي بذكر اسم المؤلف دون أن يذكر كتابه الذي نقل منه العين . ومثاله حين يقول : « وروى أبو الفرج عن أحمد بن حنبل الله بن همار قال : كنا عند أبي العباس المبرد يوما ، وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن أمرد حسن الوجه » ثم الحكاية التي أوردتها في ص 229 من النهاية ج 4 . أورد هذه الحكاية نقلا عن الأغاني ، ولكنه لم يذكر اسم الكتاب بل اكتفى بذكر المؤلف .

وقد نقل النويري اشياء كثيرة من كتاب الأغاني لابي الفرج الاصفهاني وبخاصة حياة واخبار الكرام (نهاية ج 3 ص 211) واخبار المغنيين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى العربية ، واخبار وحياة اشهر المغنيين ، وحكايات القيان وأول من فنى من النساء ، وحياة اولاد الخلفاء ومن كان منهم يجيد أو يميل الى الغناء

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام - مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2348 - أدب

(2) نهاية الارب ج 2 صفحة 276 .

الشریف نقیب النقیاء أبو البركات بن اسمعـد علي بن معمر الحسيني الجواني النسابة رحمة الله : ان جميع ما بنت عليه العرب فی نسبها اركانها ، واستست عليه بنيانها عشر طبقات . الا ان النويري غير ترتيب الجواني ، « وسرد النسب من اصله اي آدم عليه السلام » فالجواني بداه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وبصفته الناقل المحض ، يعمد النويري الى بعض التبدلات من كتاب انتخبه لموضوعه ، فينقلها لفظا وحرفا دون التصرف فيها بكلمة . ومثال ذلك ما اورده من كتاب « ادب الكتاب » لاني بكر محمد بن يحيى الصولي (النهاية الجزء السابع صفحة 14) فی فصل « وما قيل فی حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب الكتاب » حيث يقول « سئل بعض الكتاب من الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة ؟ قال : « اذا اعتدلت اقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سطوره ... » فلقد وردت هذه الكلمات بعينها فی كتاب « ادب الكتاب » للصولي (صفحة 50) لفظا وحرفا .

ومن امثله « رسالة الثقيفة » التي بعث بها ابو بكر الصديق الى علي رضي الله عنه عند توليته الخلافة . نقل النويري هذه الرسالة من « رسائل ابي حيان التوحيدي » . ولقد اتى بها لفظا وحرفا دون ان يعلق عليها بحرف ، مع العلم ان هذه الرسالة مشكوك فيها ومطمون عليها . (1)

وانما يعمل النويري كل هذا حسب خطة مرسومة محكمة التنبؤ يضمها بعد فكر وروية وتدبر . فلقد راى فی تأليفه هذا ، ان يضع الابواب والفصول على ترتيب حسن منتظم ، حيث يسهل تناوله والاستفادة منه . فلم يكن يجمع كل رطب ويابس قراه او وصلت اليه بداه ، دون ان يفكر فيه من ناحية جودته والاستفادة منه والافادة وتقسيم فنه . حتى لا يدخل شيء فی شيء لا يوافقه ، او فن فی فن يفايره ، كما فعله الجاحظ فی معظم كتبه . بل كان منهج النويري فيه ، منهجا يصاهي منهج العصر الحديث فی توظيف التأليف وتنسيقه . فكان ينتخب فنا خاصا من الفنون ليطالعه ، فيجمع الكتب المتعلقة به أولا ، ثم يطالعه مطالعة دقيقة وافية ، وبعد ذلك

يضع لهذا الباب أو الفن خطة مرسومة واضحة دقيقة . يثبت فيها ترتيب كتابته ، وكيفية نقله من هذا الكتاب ، حيث يأتي بكل نبذة فی محلها ويثبتها حيث يقتضي المقام البانها . فيبدأ نقله مثلا من كتاب ، ويستمر فيه الى كلام او بحث خاص يحب نقله ، ثم يتروك هذا الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر انتخب فصلا منه لنقله فی كتابه وفي محل خاص منه . وهكذا يمد ما ينتهي من نقله من هذا الكتاب الى البحث او الفصل الذي يريده ، ينقل الى كتاب ثالث ، ليستأنف نقله منه الى أن ينتهي الباب من كتابه .

وخير مثال لطريقته هذه ، ما اورده فی القسم الخامس « فی الملك وما يشترط فيه وما يحتاج اليه وما يجب له على الرمية » ، وما يجب للرعية عليه ، ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش واصناف السلاح وولاة المناصب الدينية ، وفيه اربعة عشر بابا .

وثمة ظاهرة اخرى ، جديرة بالذكر ، وهي ان النويري للفرض المنشود من وضع خطته يتصرف احيانا في النقل ايضا . وذلك ما نلاحظه عند نقله شروط الامامة من الاحكام السلطانية للماوردي . اذ ان الماوردي ذكر شروط الامامة بسبعة شروط ، اما النويري فقد جعلها ثمانية بجعل الذكورية والبلوغ ، صفتين منفردتين ، بحجة قول الله عز وجل وقول النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم انه لاجل هذه الخطة المرسومة ، يعمد فيغير احيانا ترتيب الكتاب المنقول منه ، عند ما ينقله فی كتابه ، لكي يأتي حسب ما يشاء منه فی خطته . وبطابق الاصول التي وضعها لنقله . وخير مثال لهذه الظاهرة ما نجده عند نقله من كتاب « اصول الاحساب وفصول الانساب » للجواني النسابة فنراه اورد كل شيء في قسم الانساب من هذا الكتاب ، الا انه غير ترتيبه حتى جمعه ظهرا لبطن .

فقد سرد الجواني النسب من ابيينا آدم عليه السلام وانتهى به الى نبينا صلى الله عليه وسلم ، فنسب بني هاشم الذي اورده الجواني في اول كتابه ، نقله النويري في آخر كتابه هذا الباب . (2)

- (1) جمع الدكتور ابراهيم الكيلاني هذه الرسائل ونشرها في دمشق عام 1951 .
- (2) اصول الاحساب صفحة 14 ونهاية ج 2 صفحة 360 .

ولا فعل . قال الفراء يقال : مونت تعوينا وهي هوان
بينة التعوين والخمرة من الاختمار كالجلسة من
الجلوس ، اسم للهيئة والحال ، أي أنها لا تحتاج إلى
تعليم الاختمار ، يضرب « للرجل المجرب » (3) .

أما النويري فقد أورد المثل وحذف ما قبل
حوله من الاختلاف في كلمة العوان وتشرح معنى
الاختمار ، لأنه ليس يكتب كتابا في علم النحو أو اللغة
أو المعاني ، وإنما يأتي بما يستفاد به من هذا المثل
وهو مدلوله فاكثف بنقل مضرب المثل وموقعه (4) .

وكذلك يحذف النويري بعض الأحيان ، ما يورده
الميداني من تفسيرات لفوية لبعض الكلمات الواردة في
المثل .

ثم إن النويري عند نقله لامثال من الميداني لا
يهتم بالقصص التي أوردتها حول الامثال . والسبب
فيه هو أن النويري يقصد بنقل هذه الامثال أبرز معالم
الأدب وخفاياه والامثال إحدى دعامته . ولذلك نراه
يقصر على الحد ، سواء من القصة أو شرح الكلمة .
يرى فيه أن المثل أصبح واضحا بحيث لا يصعب
فهمه . فإن رأى بأن المثل غامض لا يمكن فهمه بدون
إتيان القصة المشهورة حوله ، فإنه يأتي بالقصة تاركا
الحشو والزوائد ، مقتصرًا على لبها وخلاصتها .

وكذلك اختصر النويري القصص والحكايات التي
أوردتها صاحب الأغاني عند الكلام من الفنين والشعراء
وأصحاب الفرف الفكاكة مثل ابن سريج ومعبد وابن
محرز وغيرهم . فقد أتى في كتابه ، من هذه القصص
والحكايات ، تلك التي تفيد غرضه وتستسيغ نهجه
وتلائم خطته ، من غير الانغماس في تطويل ممل ،
والإخذ من المينات والاقتباسات التي قد تكون موضع
الشك والشبهة تاريخيا . فقد تكون لا تعتمد على
برهان تاريخي أو حجة لا تقبل الشك والريبة (5) .

وهناك أمثلة يحذف النويري فيها القصة أو
الحديث كله ، ويكتفي بذكر موقع استعمال المثل

وفي الكتاب أمثلة كثيرة تدل على أن النويري
يغير ترتيب المنصف ، وينقل نصه بترتيب وخطه
وضعها هو . ومنها أنه ما نقل من كتاب « ذم الهوى »
لابن الجوزي (1) حوالي عشرين بابا في « باب الحب
والهوى والمشق والغزل وغيره » إلا أنه قدم بابا وآخر
آخر ، حسب رغبته وخطته .

وكان النويري إلى جانب اختصاره للإبواب
والفصول من الكتب يختصر المطولة . فيورد منها ما
يظنه أنفع وأكثر فائدة . فمن الكتب التي اختصرها
كتاب « مجمع الامثال » للميداني بجزئيه .

فقد أودع الميداني كتابه « مجمع الامثال » حوالي
سنة آلاف مثل ونيف (2) وطريقته في نقل مثل ، هو
أنه يأتي بالمثل ، ثم يسرد سبب إطلاق هذا المثل
وقصته ، والشخصيات المتعلقة بها ، ومختلف
الروايات والأقوال التي يتناقلها المؤرخون والأدباء
حول . ثم يورد أقوال النحاة والمتفلسفين في اللغة حول
الكلمة إن كان هناك اختلاف في نطقها ، أو تصريفها
أو فصاحتها ، وكل ما يتعلق من الناحية النحوية
والصرفية واللفوية ، ويسبب فيه أسهابا ملحوظا .

أما النويري فإنه عادة ينتخب من الامثال ،
السائرة أو كثيرة الاستعمال في الأدب أو الكتب
المتداولة ، أو الامثال التي وردت بكثرة في الأشعار ،
أو التي خفيفة على اللسان غزيرة في المعنى ، دقيقة
في التعبير ، ثم يسرد المعنى الذي يستعمل فيه هذا
المثل ، ولا يهتم بتحقيق الميداني فيما أوردته من
الكلام حول تصريف الكلمة وصحتها من الناحية
اللفوية والأدبية ، ومختلف الأقوال في هذا الصدد .
وإن أخذ منها شيئا ، فذلك التي لا مندوحة له منها ،
لفهم المثل وفهم مدلوله .

فلتر مثلا « أن العوان لا تعلم الخمرة » فلقد قال
الميداني ، وهو يصف مختلف الأقوال حول كلمة
« العوان » قال الكسائي : لم نسمع في العوان بمصدر

- 1 كتاب « ذم الهوى » لابن جوزي (أبو الفرج) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 286 - أدب
تيمور (في مجلدين) .
- 2 مقدمة مجمع الامثال صفحة 5 .
- 3 مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 16 .
- 4 نهاية ج 3 صفحة 9 .
- 5 راجع الأغاني للأصفهاني ، الجزء الأول صفحة 101 فما بعد . ونهاية الأرب الجزء الثاني صفحة 225
فما بعد ، لأخبار الفنين وغيرهم .

اكتفى باتيان معنى المثل وموقع ضربه . فقال :
« يضرب في معرفة الشيء حقيقة » (2) .

والواقع ان النويري كان يتحاشى اتيان الرطب واليابس في كتابه ، والروايات التي لا يتأكد من صحتها ، او التي هي منحولة موضوعة ، او تقبل الشك والشبهة حتى لا يلقي بنفسه في اطناب ممل وان لا يكون موضع النقد بجمع كل ما وصلت اليه يداه دون أعمال الفكر والروية ، واختبار النبدات على محك علمي ، من شأنه ان يميز الصدق من الكذب والغش والوضع . ثم ليأتي بالقصص والنبدات ، التي لها علاقة بالادب بصورة مباشرة .

ومن الكتب التي اختصرها النويري على هذا اتنحو ، « فقه اللغة للشعالي » و الاحكام السلطانية للمواردي » و « قوانين الوزارة للمواردي » ، وكتاب حسن التوسل الى صناعة التوسل ، لمحمود بن سليمان الحلبي الحنفي و « ذم الهوى لابن جوزي » و « فصول الاحساب للجواني » و « كتاب المنهاج للنحليمي الجرجاني » وغيرها (3) .



وفضلا عما يفهم به كتابه « نهاية الارب » من الموضوعات الطريفة ، والمواد الممتعة الشيقة ، التي تفيض علما وادبا وفنا ، مما استقاها من مواردها الاصيلية ، فقد اودع كتابه هذا ، من اجمل الاشعار وامدبها ، مما فاضت بها قرائح الشعراء ، حسن السبك وطلاوته ، وغزارة المعاني وعمقها ، ودقة البيان وحلاوته ورصانة التركيب واحكامه ، مما تتلذذ بها الطبايع ، وتطرب لها القلوب وتهتز لها المشاعر . كما تدل على ما اوتي النويري من حظ واثر في حسن الاختيار ، وعلو كعبه في الذوق الشاعري اللطيف ، ومعرفته الواسعة بدواوين الشعراء والكتب ، واستخلاص الدرر الغرر من هذا البحر الزاخر . ثم تركيبها في مواقعها بحيث انتظمت في سلك ، تتلالا حسنا وجمالا . فلا يمل القارئ ، وهو يمضي بادق فن واصعبه في كتابه ، بل ينسى ما كابده من جهد وتعب اثناء قرائته لمثل هذه الفنون الدقيقة ، المسيرة الفهم والادراك عندما يبلغ به المطاف الى هذا الجزء

ومعناه فقط . وذلك منذ نقله المثل « عند جهينة الخبر اليقين » . فبعد ان اورد الميداني هذا المثل ، نقل قصة طريفة ، رواية من هشام بن الكلبي ، يذكر فيها بان حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب ، ورجلا من قبيلة جهينة يسمى الاخنس بن كعب خرجا يريدان قطع الطريق فسلبا رجلا لقياه في الطريق . فقال الرجل : ان تركتماني وشاني دللتكما على رجل تحت شجرة معه مغنم كثير فخليا سبيله . واتيا الرجل وهو من لحم . وكانت شجرة يستظل بها وامامه طعامه وشرايه ، فحياهما واشركهما طعاما . فاكلوا وشربا . ثم ان الاخنس ذهب لقضاء بعض حاجاته . فلما عاد راي حصين قد قتل النخعي واستولى على ماله . فجلسا يشربان وكل منهما يخفي في نفسه رغبة لصاحبه . وبعد قليل قال الحصين للاخنس هل تعرف زجر الطير ؟ فقال الاخنس ماذا ترى ؟ قال ارى عقابا كاسرا ، واثار اليه ومد عنقه الى الجهة التي كان العقاب فيها . فافتمم الاخنس هذه الفرصة وضرب عنقه بفتة . ثم انطلق هائدا الى بيته فاذا بامرأة حصين تفتقده ، فقال لها ، انه قتله ولكنها لم تصدقه وقالت : « كذبت ما مثلك يقتل مثله اما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا » . فمضى الاخنس واتى قبيلته وصالحها وكان غاضبا منهم ، ثم عاد الى امرأة حصين وقبيلتها ، وانشد حيث تسمع القبيلة :

وكم من ضيفم ورد هموس
أبي شبيلن مسكنه المريس

الى ان قال :

تسائل عن حصين كل ركب

وعند جهينة الخبر اليقين

قال الاصمعي وابن الامرابي : هو جفينة بالغاء ،

وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تسائل من ابيا كل ركب

وعند جفينة الخبر اليقين

قال : فسألوا جفينة فاخبرهم خبر القتييل .

وقال بعضهم هو جفينة بالحاء المهملة ، يضرب في معرفة الشيء حقيقة (1) .

هذه هي القصة ، ومختلف الاقوال ، اوردها الميداني في كتابه حول المثل ، سردنا ها باختصار . الا ان النويري لم يذكر من هذه التفاصيل شيئا . بل

(1) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 391 .

(2) نهاية ج 3 صفحة 39 .

(3) الكتب الاخيرة الثلاث مخطوطات بدار الكتب المصرية ، لم تطبع بعد .

من الكتاب الذي ضمنه النويري الأشعار ، المتعلقة بهذا الفن ، ومنها كان دقيقاً أو صحيحاً . ويجد به متعة وبهجة قلما تضاهيها متعة وبهجة . كانه وصل أرضاً ناعماً سهلة نضرة ، بعد طوال الشقة ، قضاها في أرض وعرة المسالك .

ومنهج النويري في نقل الأشعار هو ، انه يأتي بباب أو فصل من قسم خاص مثلاً ، فينقل في هذا الباب أو الفصل ما طاب له ان ينقل فيه من الكلام حول الموضوع الذي يبحث فيه الباب ، لكبار الادباء النافرين والعلماء ، فلما ينتهي من نقله يحاول ان يطبق على ما كتبه من اقوال الشعراء وكلامهم ، فيخوض في دواوين الشعراء والكتب الادبية الاخرى لكي يلتقط منها جميع الأشعار التي تطابق ما اورده من النثر في الفصل السابق فيثبتها في محلها اللائق ، لكي لا يجد القارئ في نفسه كلالاً وتعباً من الاختصار على موضوع صعب جاف . وحتى يجمع كل ما قاله الكبار من الادباء من نثر ونظم حول الموضوع . وبدا يضيف الى ما اورده في كتابه صفة ادبية ، تميزه من سائر الكتب الادبية . ولكي يسجل مقال الشعراء في هذه الموضوعات بترتيب خاص ، يمكن الاستفادة منها والرجوع اليها في مكان واحد دون الخوض في الدواوين المختلفة ومجموعات كلام الشعراء ، دون ضياع الوقت وتحمل المشقة للبحث والتنقيب . وطريقته فيه انه يحاول جهده ان يبدأ بنقل الأشعار من الجاهلية فالاسلاميين الى المولدين والمحدثين ، ولو يختلف هذا الترتيب في بعض الاجزاء من الكتاب ، لعدم تمكنه من الاستمرار على هذه الطريقة ، اما لضائلة الأشعار عند القدماء في هذا الفن او الموضوع ، واما ، ان كانت لديهم ، فهي ليست من الجودة بحيث يشبهها النويري في كتابه ، مثل التشبيهات الرائعة التي نشت في عصر المولدين ، أو الأشعار في صفة الرياحين والبساتين والقصور أو تصوير المناظر الخلابة ، مما لا نظير لها في الشعر الجاهلي . ثم ان النويري لا يزيد من عدد الابيات مخافة الإطالة ، بل يقتصر عادة على بيتين أو ثلاثة أبيات ، ومنها ايضا على البيت القصيد في معظم الاوقات .

ولتقف برهة عند « الباب الثاني من القسم الاول من الفن الثاني » لنرى منهج النويري في نقل الأشعار . وذلك لان هذا الباب خير مثال لطريقته فيه . وهذا الباب يبحث في « أمضاء الانسان » وتشبيهها .

ابتدا النويري هذا الباب من شعر الانسان . فنقل من فقه اللغة للشعالبي أسماء الشعور بمختلف اقسامها . فلما فرغ من اسمائها وتفصيلها وضع فصلاً ، جمع فيه ما قالته الشعراء حول الشعر عامة وحول شعور النساء بوجه خاص . واجين ما اورد في وصف شعر الرجال قول ابن الرومي :

وفاحم وارد يقبل تمنى
شاه اذا اختال مرسلأ غدده
اقبل كالليل من مفارقه
منحدرا لا يذم منحدره
حتى تنهى التي مواطئته
يلثم من كل مواطئ غفره
كانه عاشق دنأ شغفنا
حتى قضى من حبيب وطره
وقول فتح الدين بن عبد الظاهر :

حل ثلاثا يوم حمامه
ذوالبأ يعق منها الفوال
فقلت ، والقصد ذوابابه
يا سهري في ذي الليالي الطوال

وقول آخر :

رايت على قد الحبيب ذواباة
لعمري على تلك اللؤابة تهمع
يقول لي الواشون : مالك يا كيا
فقلت : بعيني شعرة فهي تدمع
ومن احسن ما انتخبه في وصف شعر النساء :
قول بكر بن النطاح :

يفشاء تسحب من قيام فرمها
وتغيب فيه فهو جشل أسحم
لكانها فيه نهار ساطع
وكانه ليل عليها مظلم
وقول آخر :

نشرت على ذوابأ من شعرها
حذر الكواشح والعدو المحنق
لكانني وكانها وكانه
صباحان باتا تحت ليل مطبق
ومن قول المتنبي :

نشرت ثلاث ذوابأ من شعرها
في ليلة ، فارت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها
فارتنى القمرين فى وقت معا
وقد الم فى ذلك بقول ابن المعتز :

سقتني فى ليل شبيه بشعرها
شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجى
وشمسين من خمر وخذ حبيب
وقول ابن الدريد الأزدي :

غراء لو جلت الخدود شعاعها
للشمس عند طلوعها ، لم تشرق
عمن على دعمى تالق فوقه
قمر تالق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن : احتكم لم يعدها
أو قيل : خاطب غيرها ، لم ينطق
فكاننا من فرعها فى مضرب
وكاننا من وجهها فى مشرق (1)

وفى الكتاب أبيات أخرى قيلت فى شعر النساء،
الا اننى اخترت أحسن ما وجدته تعبيراً ووصفاً .

فلما فرغ من نقل الأشعار حول الشعر ، اتى
بفضل آخر ، بين فيه بمناسبة الشعور ، « ما قيل
فى الشيب والخضاب من مدح وذم » أورد فى هذا
الفصل من النثر ما كتب حول الموضوع . أرففه
بأشعار تدم الشيب والخضاب وأخرى تمدحه وترحب
بمقدمه . ثم ذكر نظرة المرأة الى الشيب وعوارضه
ثم بدأ بأهضاء الانسان من نثر ونظم . فأجمل ما قيل
فى وجه المذكر قول الوجيهي :

ومستقبل بالذي يهوى ، وان كثرت
منه الاساءة ، معذور بما صنعها
فى وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب ، وجبها حشما شفعا
ومنه أجمل ما قيل وجه المؤنث قول ابن سكرة:

فى وجه انانة كلفت بها
أربعة ما اجتمعن فى أحده
فالخد ورد والصدغ غائبة
والريق خمر والثغر من برد

(1) نهاية الارب ج 2 صفحة 20 .

(2) راجع لهذا الموضوع نهاية الارب ج 2 من صفحة 21 فما بعد .

لكل جزء من حسنهما بدع
تودع قلبي ودائع الكمد
ومن أجمل ما قيل فى الحواجب قول الزاهي :
وأغيد مجدول القوام جبينه
سنا القمر البدرى فى الفصن الرطب
تنكب قوس الحاجبين نسهمه
لواحظه المرضى ، وبر جاسه قلبي
وما قيل فى المين بلفظ التذكير قول عبد الله
ابن المعتز :

عالم بما تحت الصدور من الهوى
سريع بكر اللحظ والقلب جازع
ويجرح احشائي بعين مريضة
كما لان من السيف والسيف قاطع
وأقد اجاد جرير فى وصف مین مريضة اذ قال:
ان العيون التي فى طرفها حور
قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصر من ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله اركاناً (2)

وكذلك اتى بنخبة ممتازة من الأشعار حول
الخمر والمشى واليدان وغير ذلك من الامضاء .
فأبدع فيه وأجاد الاختيار .

ولقد أبدع ابن الرومي عند ما جمع اكثر المزاي
والاوصاف التي تستحسن من المحبوب حيث قال :

مخففة مثقلة تراها
كان لم يعد نصفها غدا
اذا الاغباب جدد حسن شيء
من اشياء جددها اللقاء
لها ريق تشف له الثنايا
ويروى عنه - لا منه - الظماء
وانفاس كانفاس الخزامي
قبيل الصبح ، يلتها السماء
تنفس نشرها سحرا فجاءت

به سحرية المسرى رخاء
وقد اعتمد النويري فى انتخاب أشعاره على
دواوين الشعراء أولا ، ثم « كتاب المنتحل » للشعالي ،
فالعقد الفريد لابن عبد ربه ، فعيون اخبار لابن قتيبة،

« وزهر الآداب » للحصري القيرواني و « ديوان المماني » لامي هلال المسكري وكتاب « نفع الطبيب » وغيرهم من المصنفين والأدباء .

ولاحظنا ، عند تصفح الأشعار التي أوردها النويري ، أنه عند نقله الأشعار من الجامعين وكتبهم ، يقتصر على ما أورده الجامع ، وأحيانا يضيف عليه بيتا أو بيتين . وطورا نراه يترك ما أورده المصنف بتاتا ، ويأتي بشعر من انتخابه هو يلائم الموضوع . وذلك أن النويري أديب يحظى بقسط أوفر من حسن الدوق الشعري والأدبي وله ملكة حسنة في الاختيار ، فهو عندما يرى أن الجامع لم يحسن الانتخاب من كلام الشعراء حسب الموضوع أو المناسبة ، يقوم هو بنفسه في البحث في الدواوين ومجموعات كلام الشعراء ، من كلام يناسب الموضوع والمناسبة ، ثم ينتخب أحسنه ويثبت في محله . وخير مثال لهذا ما نقله من الأشعار في تمثيل الأمثال ، التي اقتبسها من كتاب المنتحل للشمالي من الباب العاشر « في الأمثال والحكم والآداب » . فنراه أنه لم يقتصر على ما أورده الشمالي في هذا الصدد ، وإنما اختار بنفسه وأضاف عليه . فالشمالي مثلا لم يتمسك بترتيب مصور الشعراء وزمانهم ، فخلط فيما بينهم ، حيث أورد شعر الجاهلي ، أعقبه بمولد ، ثم مخضرمي إسلامي ، وهكذا في سائر كتابه . أما النويري فإنه أهتم اهتماما بالغا في ذكر الأشعار حسب ترتيب عصر الشعراء . فابتدأ بالجاهليين ثم المباسيين فالمحدثين والمولدين ، إلى أن بلغ إلى عصره .

فإذا التقينا نظرة على ما أورده النويري ، من الأشعار المنتخبة في كتابه يتضح لنا بأنها تشمل نغمة قيمة ممتازة من روائع الشعر في شتى أصناف المماني والموضوعات ، يتمدّد وجوده في كتاب واحد . وهذه الصبغة تضفي على نهاية الأرب صبغة تجعله - حقا - موسوعة شعرية ، تشمل كلام الأوائل والجدد في مختلف المماني والموضوعات والمواد ، بترتيب حسن وبنظام منسق مقبول . فالباحث يستطيع أن يستخرج من هذا الكتاب أشهر بيت قالته العرب وفي أي معنى شاء ، دون جهد أو مشقة بالغة ، ولشعراء جميع المصور التاريخية المختلفة . وتلك ميزة ينفرد بها هذا الكتاب . وفضلا من هذا فإن هذه الأشعار تشير إلى أن النويري كانت له يد طويلة في انتخاب أشعار وذلك بفضل هذا الدوق الرفيع والحسن الشاعري اللطيف الذي يتمتع به . فأننا نراه لم يات بشعر مهمل متفكك ، وإنما جاء بنخبة كلها من الطراز

المتناز . ومن جميع النواحي ، من ناحية جودة الالفاظ وحسن سبكها وروعة نظمها ومن ناحية المعنى وأداء الفرض والمطلب الذي أورده لأجله . وهذا خير دليل على سعة علم النويري بفنون القريض والشعر وأسراره ، ودقة نظره في خبايا هذا الفن واستخراجه . ومدى اطلاعه على المصادر الشعرية والمراجع . وعلى هذا الوله الأدبي ، الذي حفزه على أن يتمتع بنفسه ويبدل كل جهوده ، في جمع هذه الاشتات المبعثرة في الكتب والدواوين المختلفة الكثيرة ، حتى قدمها إلينا في صورة باقة جميلة تزينها أنواع وأشكال من الزهور والورود .

وهكذا يتضح لنا من دراسة كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، وما سلكه النويري من منهج لتأليف موسوعته هذه ، التي لها أكبر فضل في حفظ قدر ملحوظ من تراثنا القديم ، مما تركه لنا أسلافنا خلال القرون الست التي مضت على التاريخ الإسلامي الحافل . فمنهج النويري قيم ، لا نهار عليه ، يقوم على فكرة وروية واضحين . وقد تم التأليف بطريقة يمكن الاستفادة منه استفادة تامة . ما عدا عدم ذكره المراجع ، مما يكابد الباحث والدارس لمراجعته ، مشقة العثور عليها في مختلف الكتب ، لتقسيم الكتاب على فنون ، وهذه الفنون على أبواب وفصول ، وكل فصل ضمن علم خاص أو نبذة معينة ، ليسهل على الطالب مهمة البحث المفسني ، إذا لم يكن مدونا بهذه الصورة . كتبت الجاحظ التي هي الأخرى موسوعة بمجموعها . ولكن المرء يحترق أمام هذه المجموعة غير المرتبة ترتيبا لائقا ، فلا يبلغ مناه إلا بعد طول المشقة وكبير عناء . ثم يمتاز كتاب النهاية بعدم اختلاط موضوع في موضوع آخر ، كالذي تجده في كتاب « الكامل للمبرد » أو لسان العرب لابن منظور . فإنهم يتكلمون عن موضوع ويسهبون فيه أسهابا حتى يخيّل إلى القارئ ، أنهم نسوا الموضوع الحقيقي ، ولكنهم يرجعون إلى الموضوع الحقيقي بقولهم « رجع القول إلى » . أما النويري فإنه لا يعمد إلى موضوع ثان ما لم ينته من الموضوع الأول الذي كان يتكلم حوله . ولقد بالغ النويري في نزاهة كتابه من هذا النوع من « الخلط بالبحث » إلى حد ، أنه أثناء نقله من الكتب ، إذا وجد شيئا غارضا ، على الموضوع الأصلي الذي يتناوله ، يحذفه بتمامه ، ويواصل نقله من الجزء الذي يتصل الكلام فيه بالكلام الحقيقي . ولأجل هذا نراه يحذف صفحات كثيرة متتابعة من الكتب المنقول عنها ، أو نجده ينتقل من جزء إلى جزء

آخر من الكتب ، ليواصل موضوعه الاصلي بدون عارض ، او « الخطأ بالبحث » . ونلاحظ هذه الظاهرة واضحة ، عند نقله « اخبار المفسرين والمفنيات » من الاغانى التي يسهب صاحبها احيانا فى سرد اخبار لا تتعلق بالشخصية التي يتكلم عنها وانما هي عوارض اما النويري ، فانه يحذف هذه الروايد والحشو . ويقتصر على الموضوع الذي يتناوله بالكلام .

وقد حاول النويري أثناء نقله ، تسديد الخطأ الذي وقع فيه بعض المصنفين . فروى الثعالبي مثلا . بان الشعر القائل :

وما ينهض البازي بغير جناحه

ولا يحمل الماشين الا الحوامل

اذا انت لم تعرض على الجهل وانخنا

اصبت خليما او اصابك جاهل

قال « انه لمبيد الابرس » (1) الا ان النويري ضبطه لاوس بن حجر . ولقد تصفحت ديوان عبيد الابرس بنفسى ، فلم اجد فيه هذا الشعر ، وما قاله النويري فيه هو الصحيح .

ثم ان النويري لا ينفص في المسائل المختلف فيها . مثل مسألة سماع الغناء ، او مزاوله الاذكار والادعية ، وخاصيتها التي يعتقد بها الطائفة الصوفية . فانه في مثل هذه المسائل يقتصر على نقل آراء الجانبين دون ان يبدي رايه ، فيرجع هذا ويسفه ذلك . او يميل الى هذه النظرية ، ويتفاضى عن تلك . بسن يترك القارئ حرا يتصرف فيه - بعد معرفة راي الجانبين - كيف شاء وبأية طريقة يفضاها على غيرها .

والى جانب هذه المزايا التي تمتاز بها موسوعة نهاية الارب ، هناك اغلاط لم يسلم النويري من اقتنائها . ولكنها اغلاط بسيطة ، لا يؤبه بها . مقارنة بعلمه العظيم هذا فقد ذكر النويري مثل اسم « سموتيل بن العاديا » بين الشعراء المخدثين ، والحقيقة انه من شعراء الجاهلية دون اختلاف . والغريب في الامر ان مصححي الكتاب ايضا لم ينتبهوا الى هذا الخطأ الفاحش ، فطبع الكتاب حاملا هذا الخطأ . ثم ان النويري ذكر اسم خصي معاوية بـ

وهناك غلطة عجيبة وقع فيها النويري لم ادر كيف . ومن اين وهو استعمال كلمة « السبا » بدل كلمة « الجسا » بمعنى « ان يمسر على الانسان فتح عينيه » . اذ ان كلمة « السجا » لا توجد بالقواميس وليس لها اى مدلول او معنى (4) ويبد لي بان هذه الاغلاط وقعت من الناسخ اذ ان النويري مع غزارة علمه ووفرة اطلاعه ، يستبعد ان يقع في مثل هذه الاغلاط .

والعيب الاساسي الذي يؤاخذ به الباحث عليه ، هو انه لا يذكر المرجع عادة ، وخاصة في العلوم الادبية ، وعدم ذكره له يجعل الباحث في حيرة من امره . حيث يضيع الوقت في البحث . فكثيرا ما تستغرق فبدة وجيزة للبحث عن مصدرها ساعاات واياما في بعض الاوقات ، مثل ما حدث لي عند البحث عن العين الذي اتخذه من الدخيرة لابن بسام . فقد استغرق من هذا الاقتباس منى حوالي ثمانية ايام . ثم انه عندما يضيف شيئا الى ما ينقله من كتاب آخر لا يشير اليه ، مما يوهم الباحث انه ايضا من اصل الكتاب ، والحال انه من عنده . كما حصل عند جعل شروط الامامة ثمانية شروط ، بدل سبعة شروط كما اوردها الماوردي .

ومهما يكن ، فليس من شك ، بان منهج النويري في كتابه هذا ، منهج يضاهي احسن مناهج عصرنا الحديث ، الذي تقدمت فيه صناعة التأليف اى تقدم . ولمنهجه الواضح المفيد ، ولما يحوي من الموضوعات الفزيرة والمعلومات النافعة المتنوعة « يعتبر احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك . اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا » (5) .

(1) المنتحل للثعالبي صفحة 171 .

(2) نهاية ج 6 صفحة 183 .

(3) راجع الامامة والسياسة ، لابن قتيبة .

(4) راجع لهذه الكلمة : اقرب النوارد لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني وتاج المروس : لمحمد مرتضى الحسيني الوبيدي (فصل الجيم من باب الهرة) واللغات الاخرى .

(5) عصر سلاطين المائيك : محمود زوق سليم ج 3 صفحة : 125 .

الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد

الأستاذ عبد الهادي التازي
سفير المملكة المغربية في العراق

فحققه على مخطوطتين : الأولى تعود للقرن السادس الهجري ، والثانية كتبها جده العلامة السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحسني البغدادي أمير الخطاطين في عصره في بواكير القرن الرابع عشر الهجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء ص 321 ، كما ذكره ابن فارس في معجم مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من معجم (الجمل) .

رتب ابن فارس معجم (متخير الالفاظ) على ابواب المعاني في مائة وأربعة عشر بابا ، ويميزه الأساسية انه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقاة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاة ، والاقوال الجارية مجراها ، مؤكدا ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب ، واجتناب الوهم منه ، والانس بانيسه والتوحش من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، وشواهد من عيون الشعر العربي لفظا ومعنى .

وقد بدل الاستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المعجم جهدا ضخما حتى ناهزت مصادره ومراجعته الاربعمئة كتاب ، من بينها عدد غير قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا اول محاولة يقوم بها باحث عراقي في نشر معجم عربي قديم .

حركة التأليف المعجمي عند العرب مرت عبر القرون بمراحل متعددة ، اولها : مرحلة كتب الصفات أو الغريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت الى بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والغريب المصنف لابي عبيد ، والمخصص لابن سيده الاندلسي .

وثانيها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها رتبت المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها ، واولها معجم العين للخليل بن أحمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والتاليفين والمجمل والجمهرة والصاحح والمباب واللبان والقاموس المحيط وتاج العروس .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد رتبت فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وأبرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وجواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ، والالفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة للثعالبي .

وكانت بعض المراجع القديمة تذكر كتابا مهما من هذه الكتب ، وهو معجم (متخير الالفاظ) تصنيف العالم اللغوي الجليل أحمد فارس الرازي المتوفى سنة 395 هجرية ، ولكنه كان بعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخرا عثر الباحث العراقي الثبت الاستاذ صدر ناجي على المعجم المذكور ضمن مخطوطات أسرته ،

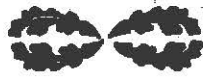
ضباع استمر الف عام ، وفاء للمربية واحياء لبعض تراث الاسرة ، وهكذا صاحبت - المتخير - قرابة عام ، كان فيه سميري كل ليلة ونجي كل دجنة ، وكان منه صاحباً ومحدثاً واليفاء ، أصوب منه ما حرف محرف وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر ، واقطع الليل اخرج بيتاً لشاعر أو قالة لنائر فلا يحول ولا يتغير ، وكم غبت من دنياي وأنا أمرض نصاً على مصدر ، حتى اذا ضجعت للفرور تالية النجم ، واخذ الليل في طي الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ردني الى دنياي مؤذن ينادي : أن حى على الفلاح .. قد قامت الصلاة ، فانسأخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار من الليل ، واذا ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان تقاؤنا واقتراقنا قرابة عام .

بمثل هذا الاسلوب الشاعرى المتدفق قدم المحقق الصديق لهذا المعجم الفريد .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة قيمة للمكتبة اللغوية .

وفى تقديري ان هذا المعجم بالذات لا غنى عنه لكل كاتب وشاعر ، وعسى ان نراه فى عالم المطبوعات قريباً .

والكتاب معد للطبع حالياً ، وقد قدم له الصديق المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث فى ختامها بلغة شعرية مؤثرة عن نوافعه فى تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه : « حققت قبل هذا عدداً من الكتب ونشرتها وشرفت فى تحقيق أخرى ، لكنى لم اشعر ابداً ان كتاباً غير المتخير اصبح جزءاً من كيائى ولوذا فى جنائى وبعضاً من بيائى ، ذلك ان روابط ممتدة الجدور موفلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شداً بوشائج روحية غير منظورة ، من هذه الروابط ، ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للمربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي المرحوم عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسنى البغدادي أمير الخطاطين فى عصره ، فبينى وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبينى وبينهما رحم وأصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عناية أسرنا بمعاجم اللغة جيلاً بعد جيل » ثم عرض لنفائس مخطوطات أسرتهم اللغوية حتى قال : « ان هذه العناية كانت تدفعني دفعاً وتحفزني حفواً ، لاني اصل جبل النسخ والحفظ فى أسرنا بجبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد



مَتَخَرِّجُ أَلْفِ سَاطِ

تصنيف

أحمد بن فارس

الترقي سنة ٣٩٥ هـ

محققه و قدم له

هلال ناجي

(يفتاد)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عصر المصنف :

ولد ابن فارس ومات في القرن الرابع الهجري وهو قرن تمزق الوطن الاسلامي فيه الى امارات ودويلات يغير بعضها على بعض ويسمى بعضها للاطاحة ببعض . ففي نهاية الربع الاول من هذا القرن اصبح المغرب والمريقية بيد الفاطميين ومصر والشام بيد ابن طنج الاخشيدي وديار بكر وديار ربيعة ومصر والموصل بيد الحمدانيين والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين في يد القرامطة وفارس والري واصبهان وهمدان في يد بني بويه وكرمان في يد محمد بن الياس وطبرستان وجرجان في يد الديلم وخراسان في يد نصر الساماني ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد واعمالها فاصبح رمزا دينيا لا سلطانا دنيويا ولا سببا بعد ان دخل البويهيون بغداد سنة 334 هـ .

وشاع الخلع والسمل والقتل الذي تعرض له خلفاء العباسيين في هذا القرن . خلع القاهر وسمل ، وخلق المتقي لله وسمل وخلق المستكني لله وسمل وجرت في تلك الايام حروب ومتن ونهبت دار الخلافة وفي عام 334 هـ سيطر ابو بويه سيطرة تامة وصار الخليفة المطيع لله لا امر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير الخلفاء الذين قتلوا كابن المعتز وسواه .

ويصف البيروني بعبارة صادقة ومؤثرة فقدان العباسيين لسلطانهم الدنيوي وسيطرة بني بويه على الدولة والملك بقوله :

« وان الدولة والملك قد انتقل في آخر ايام المتقي وأول ايام المستكني من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني امتقادي لا ملك دنيوي مالتعائم من ولد العباس الان انما هو رئيس الاسلام لا ملك » .

وهكذا خرج الامر من يد العباسيين وصار في يد الدخلاء من بني بويه حتى سنة (451) هـ .

ويصف المقدسي بغداد في هذا القرن بقول : « أما المدينة مخراب والجامع فيها يعمر في الجبع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب .. وهي في كل يوم الى وراء أخس انهما تمود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان » .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تردت الاحوال الاقتصادية في هذا العصر ترديا بالغا وشاعت المصادرات ، وكانت المصادرة اكبر خطر تعرضت له الملكية الخاصة في القرن الرابع الهجري وكانت تصيب الثرين ولا سيما الموظفين منهم وكان التجار والأغنياء من الأهلين عرضة للمصادرة أحيانا وقد حفظ مسكويه لنا قائمة بالمصادرات بين سنة 296 هـ - 381 هـ . وفي فترة التغلب البويهى هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وقاسى الفلاحون بصورة خاصة من كثرة الضرائب ومن جشع الموظفين وعدم ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

وتضائلت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه الفترة وتسئم الغرياء أحسن الوظائف وأصبح مستوى الأهلين في عداد الطبقات المتوسطة والفقيرة . وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفين المدنيين عامة في الفترة البويهية في حين ارتفع دخل رجال الجيش . وتعرض العراق لفترات فلاء ومجاعات ، ويمكن القول على وجه الإجمال بأن التغلب البويهى كان حداً فاصلاً بين فترتين إذ أنه أثر على الاقتصاد الزراعي ومرقل نمو المؤسسات التجارية والمصرفية .

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبي وأدى الى مصادمات دموية هلك فيها كثيرون ويذكر ياقوت في معجم البلدان أن بلدانا كثيرة خربت ودثرت بسبب هذا الصراع البغيض .

الحالة العلمية والأدبية :

إن السوء الذي انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة الإسلامية خلال هذا القرن لم يصاحبه سوء مماثل في الحالة العلمية والأدبية وكان العكس هو الصحيح . ففي هذا القرن بلغت الحركة العلمية والأدبية أوجها وأتت ثمارها . ولعل مرد ذلك أن التمزق السياسي أتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة . صارت تتنافس وتتبارى في اجتذاب العلماء والأدباء ، وتبع ذلك تنافس خير جنت منه الحركة الأدبية والعلمية خيرا كثيرا وشاعت العناية بالكتب وجميعها لدى الأمراء والوزراء والعلماء والأدباء شيوما كبيرا ونشأت الخزائن الكبرى التي يجدها منها المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم والآداب والفنون . كان بعض سلاطين بني بويه أدباء شعراء أمثال عز الدولة وعفد الدولة وتاج الدولة

وكانوا يؤثرون استيوار واستكتاب العلماء والأدباء فكان من وراثهم وكتابتهم : ابن
المعبد والصاحب بن عباد والمهلب وسابور بن أردشبر .

وقد عاصرت الدولة البويهية التي امتد سلطانها لتشمل العراق ومبارس
وخراسان . الدولة السامانية في تركستان وبرزت بخارى ونيسابور كمركزين ثقافيين
استقطبا العلماء والأدباء والشعراء واشتهر من أمرائها منصور بن نوح الذي استوزر
البلعمي الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية .

وابنه نوح بن منصور هو الذي شد نظر شاعره الدقيقي لنظم الشاهنامة فنظم
الدقيقي الف بيت من الشاهنامة كانت هي الأساس الاكيد لشاهنامة الفردوسي في
عصر الغزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة ضخمة انتفع منها ابن سينا ، ومنهم منصور
الساماني الذي الف له أبو بكر الرازي كتاب - المنصوري - في الطب .

وفي طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من أمرائها شمس المعالي قابوس بن
وشمكير ، الأديب الشاعر والفيلسوف الرياضي وصاحب رسالة الاسطرلاب . وكان
في خوارزم أمير محب للعلم والأدب هو أبو العباس المأمون بن مأمون خوارزمشاه ،
كان من رجال مجلسه ابن سينا الفيلسوف والبيروني المؤرخ الرياضي وأبو نصر
الرياضي والفيلسوف أبو سهل المسبحي ، والطبيب أبو الحسن الخمار وسواهم .

وقد استطاع السلطان محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية ضم بعضهم
الى بلاطه وأبرزهم البيروني . وحين استطاع السلطان المذكور اسقاط الدويلات
والامارات التي تضايقه جدت في مملكته نهضة أدبية نشيطة شجعها السلطان الغزنوي
بمطايه فني الشعر الغنائي برز منوجهري والعنصري والفرخي ورابعة التصديرية .
وفي الشعر الملحمي برز الفردوسي في شاهنامته التي بلغت الستين ألف بيت .

وترجم أبو المعالي نصر الله كتاب « كلیلة ودمنة » الى الفارسية فوضع التقاليد
الفنية للنثر الفني عند الفرس .

وكانت دولة الحمدانيين في هذا القرن قلعة من قلاع الثقافة والأدب وكان بلاطهم
حائدا بمخالقة الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي نواس الحمداني وسواهما ،
بل انهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل أبي عبد الله الحسن بن علي بن مقلة الخطاط
الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مقلة ، فوفروا له جوا لنيا ملائما وانقطع
اليهم وأبدع ما شاء .

روى ياقوت في معجم الأدباء (32/9) ما نصه : « كان أبو عبد الله منقطعاً الى
بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسن القيام وكان ينزل في دار قوراء حسنة ،
وفيها مرش تشاكلها ومجلس دست وله شيء للنسخ وهو في محابر وأقلام ،
فيقوم ويتمشى في الدار اذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس

وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر وينسخ أوراقا آخر على هذا ، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى .

وفي مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وأدب ، وقد اشتهر من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله بخزائن كتبهما الشهيرة .

وبالاختصار غني هذا القرن لمعت في سماء الآداب والعلوم والفنون أبرز الأسماء التي حفظها لنا التاريخ عبر مسجرتة الطويلة .

* * *

مصادر الفصل :

- (1) تجارب الأمم — مسكوية .
- (2) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري — الدوري .
- (3) الوزراء — الصابي — نشره آندروز — بيروت 1904
- (4) الأوراق — أخبار الرازي والمتقي لله — الصولي
- (5) صلة الطبري — مريب القرطبي
- (6) الآثار الباقية — البيروني
- (7) مروج الذهب — المسمودي
- (8) الفخري — ابن طباطبا
- (9) ظهر الاسلام — أحمد أمين
- (10) الخضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري — آدم متر
- (11) أحسن التقاسيم الى معرفة الأقاليم — المقدسي — نشره دي خويه 1877 م .
- (12) الادب الفارسي في العصر الفزنوي — الدكتور علي الشابي — تونس
- (13) معجم الأدباء — ياقوت .

من هو ابن فارس ؟

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن هبيب الرازي . هكذا نسبته أغلب المصادر ، وشذ عن ذلك ابن الأثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ، وكان أبوه فقيها شافعي لغويا روى عنه أبو الحسين في مقاييس اللغة وفي الصحابي وفي مخير الألفاظ وفي اللامات . والرازي نسبة الى الري ، مدينة في بلاد الديلم والرازي زائدة عليها كما زادوها في المروزي عند النسبة الى مرو الشاهجان ، ومسقط رأسه قرية اسمها كرسف جياناباذ ، وضبطها ياقوت في معجم الأدباء — كرسفة — وهي قرية من رستاق الزهراء .

ذكروا ان رجلا اتاه مسأله من وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن فارس :

بلاد بها شددت علي تئامسي وأول أرض مس جلدي ترابها (1)

لم تذكر لنا المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام 312 هـ وسندنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الادباء 221/12 نقلا عن كتاب أمالي ابن فارس ، وفي آخره : « قال ابن فارس : حدثني ابن الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله يقزوين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » .

ماذا كان ابن فارس قد روى من القطان سنة 332 هـ وانعترضنا ان ذلك كان في اول شبابه أي في العشرين من عمره ، صح ما ذهبنا اليه من ان ابن فارس من مواليد سنة 312 هـ او نحوها . وتذكر المصادر ان ابن فارس رحل الى قزوين للاخذ عن القطان وابراهيم بن علي ورحل الى زنجان واخذ عن احمد بن الحسن بن الخطيب ورحل الى ميانج في بلاد الشام واخذ عن احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد في طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة في حجه واستوطن همدان ومنها شعر بالوحدة والضياع ونسيان ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الري ليتلمذ عليه مجد الدولة أبو طالب بن مخر الدولة فسكنها واكتسب مالا وتوفى بالمحمدية وهي محلة في الري ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وفي تاريخ وماته خلاف كثير وأصح الأقوال انه توفى سنة 390 هـ رحمه الله .

وقد زعم بعضهم انه من أصل أعجمي (2) ، وهو وهم لا دليل عليه ، غير ما قيل من انه كان يتكلم بلسان القزاونة . والواقع ان إيران في القرون الإسلامية الأولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت أيام الفتوح واستوطنتها ، وليس في سلسلة نسب ابن فارس ، اسم غير عربي ، ماذا أضفنا لذلك ان تكلمه بلسان القزاونة أمر ملبمى تلبيه ظروف المجاورة للسكان الأصليين ، اتضح ان لا دليل يدعم زعم الزاعمين انه غير عربي بل العكس هو الصحيح ، ذلك ان أبي فارس كان شديد المعصبة للعرب

(1) انظر البيت في بلاغات النساء : لاحمد بن أبي طاهر البغدادي ص 199 ، وروايته فيه . — بلاد بها حل الشباب تئامسي — وهو منسوب فيه لجارية طائية وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منمع الى وسلمى ان يصوب أصحابها
والبيتان في أمالي القالي 83/1 ونسبتهما فيها لرقاع بن تيس الأسدي ورويا في اللسان مادة (تم) 336/14 منسوبين لرقاع الأسدي ، وهما في اللسان في مادة (نوط) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفي المصون من غير مزو ص 206 وهو كذلك من دون عزو في الكامل 406 ، 676 وفي معجم البلدان مادة (منمع) وزهر الاداب 682 .. وقد نسبنا لامرأة من طيء في سبط اللالي 272 ومحاضرات الراغب 676/2 .

(2) منهم بروكلمان انظر 265/2 ومحمد بن شنب 247/1 دائرة المعارف الإسلامية .

والعربية في عصر استفحلت فيه دعاوي الشعوبيين، يكشف من ذلك كتابه — الصحابي في لغة اللغة وهو تعصب يميله الانتساب اليهم على الاغلب .

وبالاجمال فان انتسابه للمرب اقرب للصواب في رأينا من اخباره انه قال (3) : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض اصحاب الحديث وليس معي قارورة ، فرايت شابا عليه سمة جمال فاستاذنته في كتب الحديث من قارورته ، فقال : من انبسط الى الاخوان بالاستئذان ، فقد استحق الحرمان .

وهي رواية تدل على مراعاة الخلق البغدادي في الترحيب بالغريب ورفع الكلفة عنه .

ومن اخباره : انه كان يناظر في اللغة لماذا وجد فقيها او متكلم او نحويا كان يأمر اصحابه بسؤالهم اياه ، وينظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارها جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها ، وكان يحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها في كتابه — فتيا فقيه العرب — ويخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعيا الى حفظ اللغة ويقول : من تصر عليه من اللغة وفولط غلط (4)

وكان شافعي المذهب ، ثم صار مالكيا في سنواته الاخيرة وقال (5) : دخلتني الحمية لهذا البلد ، يعني الري ، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الالسنه .

وفي نزعة الالباء انه قال حين غير مذهبه (6) : دخلتني الحمية لهذا الامام المقبول القول على جميع الالسنه ، ان يخلو مثل هذا البلد — يعني الري — من مذهبه ، فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد مخره ، فان الري اجمع البلاد للمعالات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها .

ورواية الخبر في بغية الوعاة (7) انه قال : — اخذتني الحمية لهذا الامام ان يخلو مثل هذا البلد من مذهبه .

ونراه في الصحابي يسخر من بعض فقهاء الشافعية فيقول : (8) : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراه من لغة الشافعي بالرتبة العليا في القياس فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ؟ ومن اي شيء هو ؟ فقال : ليس على هذا ، وانما على

(3) معجم الادباء 89/4 .

(4) انباء الرواة على انباء النحاة 94/1 .

(5) معجم الادباء 83/4 — 84

(6) نزعة الالباء 321

(7) البغية 352/1

(8) الصحابي 66

اقامة الدليل على صحتة . نقل الآن في رجل يزوم اقامة الدليل على صحة شيء ما لا يعرف معناه : ولا يدري ما هو ! ونعوذ بالله من سوء الاختيار ! »

وفي الموضع ذاته بنقل نص لابن داود في نقده الإمام الشافعي وتزويده للإمام مالك بن أنس .

وهو في موضع آخر من — الصاحبى — يرد على منكري قول الإمام مالك في الجائحة فيقول (9) : « قال احمد بن فارس : واترض قوم بهذا الذي ذكرناه على أبي عبد الله مالك بن أنس في قوله في الجائحة . لأن مالكا يذهب الى أن الجائحة اذا كانت دون الثلث لم يوضع لانها قليل بمنزلة ما تناله العراني من الطير وغيرها وما تلقيه الريح ، فاذا بلغت الجائحة الثلث — وما زاد — فهي كثيرة ، ولزم وضعها للحديث المروي فيها . قال المعارض على أبي عبد الله مالك — رضى — : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب اليه مالك لأن قوله — جل ثناؤه — (قم الليل الا قليلا) قد جعل النصف قليلا فاذا كان نصف الشيء قليلا منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف فالجواب عن هذا أن مالكا إنما ذهب في جملة الثلث كثيرا الى حديث حدثناه على بن ابراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن أبي عبيدة عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال : « أي رسول الله ! أن لي مالا وليس يرثني الا ابنتي ، إنا تصدق بثلاثي مالي ؟ قال : لا . قالت : فاشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال الثلث — والثلث كثير — أنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم يتكفلون الناس . فيقول رسول الله — صلعم — اخذ مالك ، ورسول الله — صلعم — أعلم بتأويل كتاب الله — جل ثناؤه » .

وبمثل هذا الكلام المعلل المدلل رد ابن فارس على منكري قول مالك في الجائحة ، فاذا عرفنا انه الف (الصاحبى) في الشطر الاخير من حياته ادركتنا صحة ما نقل من انه كان شافعيًا ثم صار مالكيًا وفي هذا يقول القنطري : « وكان من رؤساء أهل السنة المجودين على مذهب الحديث » (10) .

غير أن بعض مؤرخي الشيعة الاماضل ذهبوا الى انه تستر بالشافعية والمالكية وانه كان شيعيًا (11) .

ودارس آثار ابن فارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذي كان يكنه أبو الحسين لامير المؤمنين — علي بن أبي طالب — ، مما أثر الإمام تدور على لسانه في الصاحبى وفي المتخير وربما في غيرها مما ضاع من آثاره .

(9) الصاحبى 137 — 138

(10) انباء الرواة 95/1 .

(11) انظر تنقيح المقال 76 واميان الشيعة ص 216 — 217 .

جاء في المتخير : « وذكر ابن عباس عليا — عليهما السلام — فقال : سطة في العشيبة وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتزويل ، ووقع في التأويل ، وصبر اذا دهميت نزال » .

وقال في الصاحبى (12) : « مضاروا بعدما فكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره من مريضة فيلتي ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قول أمير المؤمنين علي — صلوات الله عليه — حين سئل عن ابنتين وابوين وامراة : « صار ثمنها تسما » فسميت المنبرية ، والى ان يقول هو — صلوات الله عليه — على منبره ، والمهاجرون والانصار متوافرون : « سلوني هو الله ما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام في جبل » ، وحتى قال — صلوات الله عليه — وأشار الى ابنه : « يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون » .

وجاء في الصاحبى (13) : « وروى السدي عن عبد خير علي — رحمه — انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله — صلعم — فالتسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : مجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانظر الى قول القائل : « جمعه من قلبه » . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز قال : قال ابو عبيد : حدثني نصر بن باب من الحجاج عن الحكم عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قال : ما رايت احدا اقرا من علي — صلوات الله عليه — ، صلينا خلفه فأسوا برزخا ، ثم رجع لقرا ثم عاد الى مكانه » . قال ابو مبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للبيت : « هو في برزخ » ، لانه بين الدنيا والآخرة . فإراد ابو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي استقط علي — صلعم — منه ذلك الحرف الى الموضع الذي كان انتهى اليه .

من هذه الاقوال المعبرة من حب ابن فارس لآل البيت الكرام ، ومن تعيينه مؤدبا وأستاذا للامير البويهى ، والبويهيون شيعة آل البيت استنتج الطوسسى والمامقاني والعاملي أمر تشيع ابن فارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك ان ابن فارس صار مالكا بعد ان كان شاعريا حمية لرجل — على حد قوله — فلم نستبعد تشيعه اقتناعا بفكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام علي ومآثره .

* * *

(12) الصاحبى من 78 — 79 .

(13) الصاحبى من 200 — 201 .

مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 80/4 .
- (2) الزهر — السيوطي 414/1 .
- (3) بغية الوعاة — السيوطي 352 / 1 .
- (4) مرآة الجنان — اليانعي 442/2 .
- (5) وفيات الايمان — ابن خلكان 100/1 .
- (6) شذرات الذهب — ابن العماد 132/2 .
- (7) نزهة الالباء — الانباري 320 .
- (8) انباء الرواة — القفطي 92/1 .
- (9) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 42 ج 2 — نيسان 1967 م 236 — 244 .
- (10) الديباج المذهب — ابن فرحون م 35 .
- (11) مفتاح السعادة 109/1 .
- (12) معجم المطبوعات العربية — سركيس 199 .
- (13) يتيمة الدهر — الثعالبي 400/3 .
- (14) مقدمة تمام نصيح الكلام — الدكتور مصطفى جواد .
- (15) المنظوم — ابن الجوزي 103/7 .
- (16) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (17) البداية والنهاية — ابن كثير 535/11 .
- (18) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 212/4 .
- (19) معجم البلدان — ياقوت 212/4 .
- (20) الآثار الباقية — البيروني 338 .
- (21) دمية القصر — الباخري 297 .
- (22) مقدمة معجم المتاييس — عبد السلام هارون .
- (23) فهرست ابن النديم م 80 .
- (24) الفلاكة والملوكون — الدلجي — 141 .
- (25) العبر في خبر من عبر — الذهبي — 58/3 .
- (26) الاعلام الزركلي 184/1 .
- (27) معجم المؤلفين — كحاله 40/2 .
- (28) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان 357/2 .
- (29) دائرة المعارف الاسلامية — محمد بن شنب 247/1 .
- (30) روضات الجنات — الخوامنساري 64 .
- (31) طبقات المفسرين — السيوطي م 4 .

- (32) ميون التواريخ — ابن شباكر الكتبي مخطوط 12 : 1/258 — 1/261
- (33) الوافي بالوفيات — الصفدي — مخطوط — 111/6 .
- (34) المختصر في أخبار البشر — أبو اللداء 142/2 .
- (35) سيد النبلاء — الذهبي — مخطوط — 22/11 و 23 .
- (36) مقدمة الصاحب في لغة اللغة طبعة مصر 1910 وطبعة بيروت 1963 .
- (37) منهج المقال — ميرزا محمد الاسترابادي من 40 — طهران 1302 هـ .
- (38) الدهرست — الطوسي من 36 .
- (39) منتهى المقال — أبو علي الحائري من 39 .
- (40) تنقيح المقال — عبد الله المامقاني 76/1 .
- (41) أعيان الشيعة — العاملي 215/9 — 228 .
- (42) مخطوطات الموصل — داود جلي من 67 .
- (43) طبقات النحاة واللغويين — ابن قاضي شعبة — مخطوط — 189 و 190 .
- (44) تلخيص ابن مکتوم — مخطوط — 15 — 16 .
- (45) إفصاح المكنون — البغدادي 421/1 .
- (46) دائرة المعارف — البستاني 419/3 .
- (47) تاريخ الادب العربي — بروكلمان — ترجمة عبد الحليم النجار 265/2 .
- (48) كشف الظنون — حاجي خليفة : 33 ، 89 ، 90 ، 173 ، 690 ، 722 ، 827 ، 828 ، 1068 ، 1069 ، 1279 ، 1454 ، 1574 ، 1605 ، 1615 ، 1804 ، 1848 .
- (49) سلم الوصول من 113
- (50) مقدمة الاتباع والمزاوجة — طبعة كمال مصطفى .

شيوخه :

- 1 — والده (مارس بن زكريا) (ت 369 هـ) : روى عنه ابن مارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما ذكر في المقاييس . وروى عنه كذلك في الصاحب وروى عنه في متخير الالفاظ في مواضع عدة وفي اللامات . وقد ذكر ضمن شيوخه في بنية الوعاة 352/1 وفي نزعة الالباء 321 وكان المذكور نقيها لغويا شاعريا .
- 2 — علي بن ابراهيم بن سلمة القطان (254 — 345 هـ) : روى عنه ابن مارس في متخير الالفاظ كثيرا كما روى عنه في المقاييس وفي الصاحب في مواضع عديدة . وذكر ضمن شيوخه في بنية الوعاة 352/1 وطبقات المفسرين من 4 ومعجم الادباء 82/4 .
- وانظر ترجمة القطان في العبر للذهبي 367/2 وغاية النهاية لابن الجوزي 516/1 ومعجم الادباء 218/12 .

- 3 — علي بن عبد العزيز المكي (ت 286 أو 287 هـ) : روى عنه ابن فارس في المقاييس كثيرا كما روى عنه كتابي أبي عبيد القاسم بن سلام — غريب الحديث ومصنف الغريب . وذكر ضمن شيوخه في طبقات المفسرين ص 4 ومعجم الادباء 83/4 . وللمكي ترجمة في المعبر للذهبي 77/1 وغاية النهاية 549/1 ونزهة الالباء 216 .
- 4 — أحمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن فارس في المقاييس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 . وللميانجي ترجمة في المعبر للذهبي 320/2 .
- 5 — أحمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 وطبقات المفسرين 4 .
- 6 — ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن سلمة بن مخر : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في انباء الرواة 95/1 .
- 7 — سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360 هـ) : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في معجم الادباء 83/4 وطبقات المفسرين 4 . وللطبراني ترجمة في المعبر 315/2 وغاية النهاية 311/1 والنجوم الزاهرة 59/4 .
- 8 — أحمد بن محمد بن اسحاق الدينوري : روى عنه ابن فارس في المقاييس وانظر ترجمته في المعبر للذهبي 332/2 .
- 9 — ومن شيوخه علي بن أحمد الساي .
- 10 — ومن شيوخه أبو بكر محمد بن أحمد الاصمهاني .
- 11 — ومن سمع منهم ابن فارس : أبو أحمد ابن أبي الثيار (معجم الادباء 90/4) وعبد الرحمن بن حمدان (الصاحبى 29) . وأحمد بن محمد بن بNDAR (الصاحبى 43) . وعلي بن محمد بن مهروية (الصاحبى 47) . وأبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم ، وقد حدثه بقزوين (الصاحبى 52) . وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن داود الفقيه (الصاحبى 83) . وأبو بكر أحمد بن علي بن اسماعيل الناقد (الصاحبى 129) . وأبو الحسن المعروف بابن التركية (الصاحبى 155) .

تلاميذه :

أبرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر :

- 1 — صاحب بن مباد (التولى سنة 385) انظر ترجمته في الاعلام 312/1 وفي معجم المؤلفين 274/2 .

وهو القائل — شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف .

- 2 — بدیع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة 398) انظر ترجمته في الاعلام 112/1 وفي معجم المؤلفين 209/1 .
- 3 — أبو طالب مجد الدولة بن مخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي .
- 4 — علي بن القاسم المقرئ — وقد قرأ عليه كتابه (أوجز السير لخير البشر) ويلهم من هذا الكتاب أن ابن فارس سكن في الموصل زمنا وقرأ عليه المقرئ فيها كتابه هذا .
- 5 و 6 — وقد روى عنه فيما ذكر ابن مروحون في الديباج المذهب — أبو ذر والغازي أبو زرعه وهو فقيه مالكي واسمه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القاري .
- 7 — أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالفخشان .
- 8 — أبو محمد نوح بن أحمد الأديب اللوباساني .
- 9 — أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت 447 هـ) — طبقات الشافعية الكبرى 388/4 .
- 10 — أبو زرعه روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي (ت 423 هـ) — طبقات الشافعية 379/4 .

صلاته بتلاميذه :

وليس بين أيدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تفصيلا باستثناء صلته بالصاحب وبالهمذاني .

أما صاحب بن عباد فقد كان منحرفا عن أبي الحسين بن فارس ، لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتمصبه له ، فأنفذ إليه من همذان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال صاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه ، وأمر له بصلة (14) . ثم لما انتقل ابن فارس إلى الري ليقرأ عليه مجد الدولة ذكرت المصادر أن صاحب تنلمذ على ابن فارس وأنه كان يكرمه ويقول : شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف (15) .

* * *

(14) يتيمة الدهر 204/3 ، وانظر الخبر في معجم الأدباء 87/4 وانباء الرواة 93/1 .
(15) انظر : معجم الأدباء 83/4 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الألباء 321 .

وأما بديع الزمان الهمذاني فيبدو أنه كان يكن ودا صادقا لاستاذة وهرمانا
لجبله . فقد ذكر الهمذاني في مجلس أبي الحسين بن مارس مقال ما معناه (16) :
ان البديع قد نسي حق تعليمنا آياه وعقنا وشمخ بانه عنا ، فالحمد لله على فساد
الزمان وتغير نوع الانسان ، فبلغ ذلك البديع ، فكتب الى أبي الحسين ،
« نعم أطل بقضاء الشيخ الامام ، انه الحما المسنون ، وان ظننت الظنون
والناس لادم ، وان كان العهد قد تقادم واركتبت الاضداد واختلط الميلاد ، والشيخ
يقول : حسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ افي الدولة العباسية وقد راينا
آخرها وسمعنا اولها ، ام المدة المروانية وفي اخبارها :

لا تكسح الشول باغيارها .

أم السنين الحربية :

والسيف يغمد في الطلي	والرمح يركز في الكلى
ومبيت حجر في الفلا	والحر تان وكريلا

أم البيعة الهاشمية وعلي يقول : ليت العشرة منكم برأس من بني مارس . أم
الايام الاموية والنفي الى الحجاز والعيون الى الاعجاز ، أم الامارة المدوية وصاحبها
يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، أم الخلافة القيمة وصاحبها يقول : طوبى لمن
مات في نائاة الاسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يا ملانة فقد
ذهبت الامانة ؟ أم في الجاهلية ، وليبد يقول : وبعت في خلق كجلد الاجرب أم قبل ذلك
وأخو عاد يقول :

بلاد بها كنا وكنا نجبها اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى لادم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مفسر قبيح

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)..
وما حسد الناس وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، انما امتد الاظلام ، وهل
يفسد الشيء الا عن صلاح ، ويمسي المرء الا عن صباح ، ولعمري ان كان كرم العهد
كتابا يرد ، وجوابا يصدر ، انه لقريب المنال ، واني على توبيخه لي لتغير الى لقائه ،
شفيق على بقاءه ، منتسب الى ولائه ، شاكر لآلئه .

وان له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى كل كلفة علمنيها منارا . ولو
مرمت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنت خدمته به ، ولرددت اليه سور كائنه ، وفعل
نفاسه . ولكني خشيت ان يقول : هذه بفسامتنا ردت الينا ، وله ايده الله المعبى ،

(16) انظر بقيمة الدهر 270/4 والبيان من رسائل بديع الزمان ص 415 ونهاية
الارب 262/7 .

والودة في القربى ، والرياء ، وما فيه الجلد وناله الباع ، وما فيه المشط :

وواله ما هي مندي رهي ولكنهما جل ما أمالك

وأثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانية ، وأنا وإن لم أكن خراساني الطينة ،
مائي خراساني المدينة ، والمرد من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث
يثبت ، لا من حيث ينبت ، فان انضاك الى خراسان ولادة هذان ارتفع القلم وسقط
التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ، ولا جنة ولا نار ، فليحتلني الشيخ على
هناسي ، اليس صاحبا يقول :

لا تلمني على ركافة قلبي ان تيقنت انني هذائي

* * *

وكتب بديع الزمان يستعطفه : « اني خدمت مولاي ، والخدمة رقي بغير
اشهاد ، وناصحته ، والمناصحة للود اوثق مباد ، ونادمته ، والمنادمة رضاع ثان ،
وطامته ، والطامة نسب دان ، وسافرت معه ، والسر والاخوة رضيما لبسان ،
وقمت بين يديه ، والقيام والصلاة شريكا هنان ، واثنت عليه ، والثناء عند الله بمكان ،
واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان » .

والذي نخلص اليه من كل ما تقدم ان بديع الزمان الهذائي كان برا باستعاذه
متبسكا بحبل ولائه ، ذاكرا وشاكرا فضله .

اخلاقه وطباعه :

وكان كريما جوادا ، مربيا وهب السائل ثيابه وفرش بيته ، وكان له صاحب
يقال له : ابو العباس احمد بن محمد الرازي المعروف بالفضبان ، وسبب تسميته
بذلك انه كان يخدم ابن فارس ويتصرف في بعض اموره .

قال : فكننت ربما دخلت ماجد فرش البيت او بعضه قد وهبه ، فاعاتبه على
ذلك ، واضجر منه ، فيضحك من ذلك ، ولا يزول من عادته ، فكننت متى دخلت عليه
ووجدت شيئا من البيت قد ذهب ، علمت انه قد وهبه ، فاعبس ، وتظهر الكآبة في
وجهي ، فيبسطني ويقول : ما شان الفضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما
كان يمازحني (17) .

وكان عفيفا . جاء في الديباج المذهب (18) انه انتهى بمنع من يفتح حائوتا قبالة دار رجل .

وكان ابن فارس متواضعا شديد التواضع يكشف عن طبيعته هذه قوله في آخر
(تمام نصيح الكلام) « هذا آخر ما أردت اثباته في هذا الباب ولم أعن أن أبا العباس

(17) نزهة الالباء ص 321 — 322 ،

(18) الديباج المذهب ص 37 .

تصر منه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا اتول أن جميع ما فكرته من علم أبى العباس جزاء الله عنا خيرا » (19) .

وتتضح هذه الفصلة الطيبة فيه حين يقول فى الصاحبى (20) : « والسذى جيعناه فى مؤلفنا هذا مفترق فى أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين — رضى الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء — وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسيط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق » .

ومن خلانقه روح السخرية والتندر التى تبدو فى شعره أوضح ما تبدو ، كما يشف عنها ما رواه بديع الزمان الهمذاني حين قال (21) : سمعت أبا الحسين أحمد بن مارس يقول : الذئخ عند الأطباء كناية عن الضرط والفسو ! والقطع عند المنجمين كناية عن الموت ! والنصيحة عند العمال كناية عن السعاية ! والوطء عند الفقهاء كناية عن الجباع ! وطبيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر ! والعلق عند اللاطة كناية عن الماجرة ! والزوار عند الكرام كناية عن السؤال ! وما أماء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة !

تلك المامة موجزة بخلائق هذا الرجل وبابرز صفاته .

* * *

شاعريته :

الى جانب قدرات ابن مارس النثرية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعرا أصيلا وأنه لمن المؤسف أن التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الاصيلية . وتغلب النماذج القليلة التي وصلت إلينا من شعره روح السخرية من مناقضات زمنه فهو فى همذان يدعو لها بالسقيا واحشاؤه تلهب ، ولم لا يدعو لهذه البلدة وقد نسى بها ما كان يعلم وهرق فى ديونه ! ! أن السخرية المرة تكاد تطفح منها حيث يقول :

سقى همذان الفيث لست بقائل	سوى ذا وفى الإحشاء نار تضررم
ومالي لا أصلي الدماء لبلدة	أعدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذى أحسنه غير أنسى	مدين وما فى جوف بيتي درهم

* * *

(19) تمام لمصيح الكلام ص 25 .

(20) الصاحبى 31 .

(21) المنتخب : الجرجاني ص 120 .

على ان سخريته هذه تتجلى في هزئه من قيم مجتمعه الذي يوتر الفني لغناه
ومالك الدرهم لدرهمه يقول :

يا ليت لي الف دينار موجهة وان حظي منها فلس ائلاس
قالوا : لما لك منها قلت يخدمني لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وانطلاقا من قاعدة توزير الدينار والدرهم نراه يقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا وائت بها كلف مفرم
مارسل حكيمها ولا تومسه وذاك الحكيم هو الدرهم

ونراه في موضع آخر يلح على هذه الفكرة شرحا وايضاها ويعرضها عرضا
جديدا اذ يقول :

قد قال فيما مضى حكيم ما المرء الا بامفريه
فقلت قول امرئ لبيسب ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن معه درهماه لم تلتفت عرسه اليه
وكان من ذلله حقيرا تبول سنورههم عليه

وتأسيسا على ما تقدم فقد واجه ابن مارس مأساته وجها لوجه .. فالمعلم والادب
لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان اي مورد من موارد الرزق الا العلم والادب فليس
فيهما مورد رزق :

وصاحب لي اتاني يستشير وقد اراد في جنبات الارض مضطربا
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد منه الموارد الا العلم والادب

لقد كان شعوره بالفقر والضياع .. ضياع الادباء والعلماء في مصره جميعا
وجديا وموشحا بالكآبة ولذلك قرانا له قوله :

وقالوا كيف حالك قلت خير نقضي حاجة وتطوت حاج
اذا ازدهمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديبي هرتي وانيس نفسي دماثر لي ومعثوقي السراج

ويسلمه هذا الشعور الاسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا وخل الامور لمن يملك
تقدر انت وجاري القضا واما نغدره يفحك

ويقول أيضا :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
وما غلظت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولت ما عناها

وبمثل هذه الروح القائمة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلاة
خاشعة وتوبة من الأعماق تبيل وفاته اذ يقول :

يا رب ان ذنوبي قد أحطت بها علما وبى وباعلاني واسرارى
أنا الموحد لكنى المقر بها نهب ذنوبى لتوحيدى واقرارى

* * *

ان ابن مارس الذي قضى حياته تارنا كاتبا قد عجب للذين يردهم حر الصيف
وبرد الشتاء من طلب العلم فتراه يعبر عن ذلك بقوله :

إذا كنت تأذى بحر الصيف ويبس الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع ناخذك للعلم تل لى متى ؟ ؟

* * *

وهو بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات فتراه يحذرك قائلا :

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقاه
اياك واحذر ان تبى ست من الثقات على ثقة

* * *

ويقول متأثرا بشاعر سبقه :

عتبت عليه حين ساء صنيعه وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خبر مجرب ولم أر خيرا منه مدت اليه

* * *

وتبقى بعد هذا أبيات من الغزل المتكلف هي من غزل العلماء الذين لم يمانوا
تجربة الحب من أعماقهم فبقى غزلهم سطوحيا استمع الى قوله :

قالوا لى اخترت فقلت ذا هيف بى من وصال وصده برح
بدر مليح القوام معتدل تلهاه وجهه ووجهه ربح

وقوله :

مرت بنا هيفاء متدودة تركية تنمى لتركى
ترنو بطرف فاتن فاطر كأنه حجة نحوي

وقوله :

كل يوم لي من سل سمى عتاب وسبـباب
وبادنى ما الاتى منهما يودى الشبـباب

وتظل بعد هذا تصيدة عينية قالها فى معاني كلمة (العين) فى اللغة رأينا من
الجدير اثباتها ها هنا استكمالاً للبحث فهى النموذج لاستعمال الشعر فى تقييد مسائل
اللغة ، قال ابن فارس :

يا دار سعدى بذات الضال من أضـم سلك صوب حيا من واكف العين
العين سحاب ينشأ من قبل القبلة .

انى لأفكر أياما بها ولنـا فى كل اصباح يوم قرة العين
العين هاهنا : عين الانسان وغيره .

تدنى معشقة منا معشقة تشجها عذبة من نابـع العين
العين هاهنا : ما ينبع منه الماء .

إذا تمزرها شيخ به طـرق سرت بقوتها فى الساق والعين
العين ها هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزق ملآن من ماء السرور فلا تخشى توله ما فيه من العين
العين ها هنا : ثقب يكون فى الزادة ، وتوله الماء : ان يشرب .

وغاب هذالنا منا فلا كـدر فى عيشنا من رقيب السوء والعين
العين ها هنا : الرقيب .

يقسم الود غيبا بيننا قسـما ميزان صدق بلا بغس ولا عين
العين ها هنا : العين فى الميزان .

ومائض المال يغنيها بحاضره فنكتلى من ثقل الدين بالعين
العين ها هنا : المال النافى .

والمجلد المجتبى تغنى فوائده حفاظه من كتاب الجيم والعين

* * *

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر السري ، في أيام صاحب متوقع أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويتغنى حق علمه ومضله ، وتوقع ابن بابك ، أن يزوره ابن فارس ، ويتغنى حق مقدمه ، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه ، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة :

تعديت في وصلي عمدي عتابك	وأدنى بدىلا من نواك إيابك
تيعنت أن لم أحظ والشمل جامع	بأيسر مطلوب مهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بمدك صبره	غداة ارتنا المرتلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة	لديك ولا مست يميني سخابك
ولا نقيت والعصب يصبو لمثلها	عن الوجنات الفائضات نقابك
ولا قلت يوما عن قلبي وسامة	لنفسك : سلي عن ثيابي ثيابك
وانت التي شبيت قبل أوائسه	شبابي سقى الفر الغوادي شبابك
تجنبت ما أومى وعاقبت ما كنسى	الم بأن سمدي أن تكلي عتابك ؟
وقد نبحتني من كلابك عصبية	مهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجافيت عن مستحسن البر جملة	وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات ، أرسلها إلى ابن بابك ، وكان مريضا ، فكتب جوابها بديها : وصلت الرقعة — أطال الله بقاء الأستاذ — وفهمتها ، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسين فإنه صيرني فعلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الخلاوى من الموائد ، وتمت من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مسح الذيل ، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان القفل من الباب ، ومذلك من الحساب ، وقد أجبت عن أبياته بأبيات ، أعلم أن فيها ضمعا لعلتين علتني ، وعلتها ، وهي :

أيا أثلاث الشعب من مرج يابس	سلام على آثاركن الدوارس
لقد شاتني والليل في شملة الحيا	اليكن ترجيع النسيم المخاليس
ولمحة برق مستغني كأنه	تردد لحظ بين أجفان ناعس
نبت كأنني ممدة يمينية	تزعزع في نقع من الليل دامس
الا حبذا صبح إذا أبيض ألقه	تصدع عن قرن من الشمس وارس
ركبت من الخلاء أقرب سيلها	ورود المطي الظاهبات الكوائس
فيا طارق الزوراء قل لغيومها	أهلي على مغنى من الكرخ آنس

وقل لرياض القلص تهدي نسميها فليست على بعد المزار بأيــــس
 الا ليت شعري هل ابين ليلا لقي بين اقراط المها والمحابس
 وهل ارين الري دهليز بابك وبابك دهليز الس ارض فارس
 ويصبح ردم السد قسلا عليهما كما صرت قسلا في تواني ابن فارس

فعرش ابو القاسم الحسولي المقطوعتين على صاحب ، وعمره الحال يقال :
 الباديء اظلم ، والقادم يزار ، وحسن العهد من الايمان .

مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 81/4 — 98 .
- (2) بتيمة الدهر — الثعالبي 400 — 407 .
- (3) وفيات الاعيان — ابن خلكان 100 — 101 .
- (4) بغية الوعاة — السيوطي 352 — 353 .
- (5) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (6) انباء الرواة — القفطي 93 — 95 .
- (7) الفلاكة والفلاكون — الدلجي 141 — 142 .
- (8) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 213/4 .
- (9) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (10) الانار الباقية — البيروني ص 338 .
- (11) التذكرة السعدية — المعبيدي — مخطوط —
- (12) شذرات الذهب — ابن العماد 133/3 — مصورة الاستاذ عبد الله الجبوري
 من نسخة كوبرلي بالاستانة .
- (13) اعيان الشيعة — العاملي 226/9 .
- (14) نزهة الالباء — الانباري 322 .
- (15) دائرة معارف — البستاني 419/3 .

آثاره :

ضرب ابن فارس بسهم وامر في حركة التأليف في مصره ، وفي ألوان متعددة من
 فنون المعرفة . وقد حفظت لنا أسماء تأليفه الكثار . وهذه التأليف ثلاثة اصناف :
 المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود . ونمينا يلي ثبنا بهذه التأليف طبقا لاصنافها :

أولا : آثاره المطبوعة :

- 1 — أبيات الاستشهاد : نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نواذر

المخطوطات — مطبعة السعادة — القاهرة 1951 وقد حققه على نسخة نريددة
محفوطة في الخزنة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم 445 ادب .

2 — الاتباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تأليف ابن مارس في بغية الوعاة 352/1 رقم
الترجمة 680 كما ذكره مرة ثانية في كتابه المزهري 414 وقال انه اختصره وزاد عليه
ما نأت المصنف في تأليف سماه « الالماع في الاتباع » . وكتاب الاتباع والمزاوجة يبحث
فيما ورد من كلام العرب مزدوجا . وقد نشر أولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو في
جيسن بالمانيا سنة 1906 على نسخة خطية مؤرخة في 626 هـ . ثم أعاد نشره
كمال مصطفى في القاهرة سنة 1947 بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخة
برنو المذكورة ونسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية ومؤرخة في 711 هـ وهي
من كتب العلامة الشنقيطي .

3 — تمام نصيح الكلام : ورد في معجم الادباء 82/4 باسم (النصيح) وفي هدية المارمين
68/1 باسم (تمام النصيح في اللغة) وفي تاريخ الادب العربي لبروكلمان 268/2 ورد
باسم (تمام نصيح الكلام) . وذكر بروكلمان انه في مكتبة كرنكو نسخة منه من
مخطوط في النجف كتبه ياقوت الحموي في مروود يوم 7 من ربيع الثاني 616 هـ عن
نسخة بخط المؤلف سنة 393 هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي أ . ج . آربري في لندن سنة 1951
بطريقة التصوير عن مخطوطة جستر بتي في دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة
النسخة المصورة وجدت انها هي بالذات النسخة النجفية التي تحدث عنها بروكلمان
ويبدو انها تسربت الى دبلن مع غيرها من نفائس تراثنا . ويلاحظ ان النسخة المذكورة
ضمن مجموع يضم نصيح ثعلب ثم تمام النصيح لابن مارس ثم مقتطفات من كتاب
لحن العامة للسجستاني وكلها بخط ياقوت الرومي الحموي . و (تمام نصيح الكلام)
أعاد نشره الدكتور مصطفى جواد في بغداد سنة 1969 ضمن كتاب رسائل في النحو
واللغة — سلسلة كتب التراث 11 الصادرة من وزارة الثقافة والأعلام العراقية
— مطبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى للكتاب خلافا للامانة العلمية .

4 — خلق الانسان : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 كما ذكره السيوطي في بغية الوعاة
352/1 وطبقات المفسرين 4 وورد ذكره أيضا في كشف الظنون ص 722 وهدية
المارمين 68/1 ومصباح السعادة 110/1 وذكره بروكلمان 267/2 باسم مقالة في
أسماء أعضاء الانسان نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجلي في مجلة (لغة العرب)
— 9 — بغداد 1931 (ص 110 — 116) ثم أعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب في
الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق —
نيسان 1967 ص 235 — 245 ولم يشر الدكتور فيصل الى النشرة الاولى خلافا
للامانة العلمية .

5 — ذم الخطأ في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 كما ذكره في كشف الظنون 827 وهدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 109/1 وبروكلمان 266/2 وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع صفحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي للمصاحب بن عباد — مطبعة المعاهد — القاهرة 1349 هـ .

6 — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 ونسخة المخطوطة تحمل عناوين مختلفة لنسخة الاسكوريال والقاهرة تحمل اسم (مختصر سيرة رسول الله) ونسخة برلين عنوانها (مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه) وعنوان نسخة الفاتيكان (راهي الدرر ورامق الزهر في أخبار خير البشر) وفي هامبورغ (اخصر سيرة سيد البشر) وفي بايزيد بالاستانة (مختصر سيرة رسول الله) .

وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر أول مرة سنة 1301 هـ تحت عنوان (أوجز السير لخير البشر) . ثم طبع ثانية في بومباي سنة 1311 هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقات العامة في بغداد .

7 — صاحب في لغة العربية وسنن العرب في كلامها : ذكر باسم (لغة) في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وهدية العارفين 68/1 وكشف الظنون 1288 وذكر باسم (صاحب) في معجم الأدباء 84/4 وكشف الظنون 1068 وهدية العارفين 68/1 وسمي بذلك لأنه صنفه برسم خزانة المصاحب بن عباد ، وذكر باسم (لغة اللغات) في طبقات المفسرين 4 ومفتاح السعادة 109/1 ، والكتاب واحد وإن اختلفت التسميات ، وقد صرح ابن فارس بذلك في مقدمة كتابه اذ قال : هذا الكتاب — صاحب في لغة العربية .. وإنما منونته بهذا الاسم لاني لما لفته اودعته خزانة صاحب الجليل كافي الكتابة الخ وقد صدر للمرة الاولى بعناية محب الدين الخطيب عن المكتبة السلطانية بالقاهرة سنة 1910 عن نسخة الشنقيطي . ثم نشره ثانية محققا تحقيقا علميا على مخطوطتي بايزيد واياصونيا الدكتور مصطفى الشويبي في بيروت — 1963 ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطابع ا . بدران — بيروت .

وقد حصل خلط طباعي في مقدمة بحث الدكتور دبذوب أوهم بأن الشيبات والحلي هو كتاب لغة اللغة فوجب التنبيه ومنه نقله مصطفى جواد في مقدمته لتسام نصيب الكلام ، دون أن يفتنه لشناعة الفلظ .

8 — امتيا معية العرب : ذكره بهذا الاسم الأنباري في نزهة الالباء 321 والقطلي في انباء الرواة 94/1 والسيوطي في المزهرة 622/1 وسماء ابن خلكان في الوفيات (مسائل في اللغة وتعاييبها الفقهاء) 100/1 وسماء اليافعي في مرآة الجنان 442/2 (مسائل في اللغة يتعاني الفقهاء) وتوهم السيوطي في بغية الوعاة 352/1 مغلظه كتابين الاول متاوي معية العرب والثاني مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء . وسماء الدلجسي في

(الفلاكة والمفلوكون) (مسائل في اللغة يعاين بها الفقه) ص 141 ومثله في الديباج المذهب ص 36 . وسمي (متناوي لقيه العرب) في هدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 110/1 .

وقد نشره على نسخة مريدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بمشهد في خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1958 كما نشر مستلا من المجلة محققا تحقيقا ممتازا جديرا بالتقدير .

9 — اللامات : ذكره بزوكلمان 267/2 وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية في دمشق وقد نشره المستشرق برجستراسي في مجلة (اسلافيا) 77/1 — 99 الصادرة سنة 1924 — 1925 ويشرف على هذه المجلة المستشرق ميشور .

10 — متخير الالفاظ — وقد ذكره ابن فارس في آخر الجزء الثاني من (المجل) المخطوط المحفوظ في المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم 839 ونص كلامه :

« وهذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب أبوابه واعلم اني توخيت الاختصار كما أرغب وآثرت الإيجاز كما سألت واقتصرت على ما صح عندي سماعا ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم أشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . ولكني عمدت للاصول التي أسبغتها في كتابي فجمعتها فيه بأوجز تول وأقربه ورجوت أن يكون هذا المختصر كافيا في بابيه مستمينا في معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والالفاظ التي يستعان بها في الأشعار والمكاتبات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميناه (متخير الالفاظ) والله أسأل أن يوفقنا وإياك لكل صالحة ويعيذك وإياك من السوء كله » .

وقد ورد ذكر المتخير في معجم الادباء 84/4 وفي نزهة الالباء 321 كما ذكره الجرجاني في كتابه كفايات الادباء باسم مختار الالفاظ ص 145 وسنفرده لهذا الكتاب فصلا مستقلا .

11 — مجمل اللغة : ورد ذكره في معجم الادباء 84/4 ونزهة الالباء 321 والبداية والنهاية 296/11 و 335/11 ومطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 ووميات الاعيان 100/1 والفلاكة والمفلوكون 141 وشذرات الذهب 132/3 والنجوم الزاهرة 212/4 والكمال لابن الاثير 258/8 والديباج المذهب 36 وكشف الظنون 1604 وهديسة العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 104/1 وقد ذكر بروكلمان 265/2 مخطوطاته المتناثرة في مكتبات العالم ويمكن ان نضيف اليها مخطوطة المتحف العراقي وهي من انفس مخطوطاته ، ومخطوطة سامراء ، ومخطوطة حلب التي اشرنا اليها . وقد نشر الجزء الاول من هذا المعجم القيم لأول مرة في القاهرة وأوله كتاب الهزرة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقة محمد ساسي المغربي سنة 1332 هـ — 1914 م

بمطبعة السعادة وعدد صفحاته 319 صفحة . ثم أعيد طبع الجزء الاول بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد سنة 1947 بمطبعة السعادة أيضا بمصر وعدته 319 صفحة أيضا . وآخره باب الدال واللام ولم تنشر أجزاؤه الباقية حتى اليوم وقد علمنا ان بعض المراجعين قد نهى الى تحقيقه فمضى أن يكمل هذا الجهد بالنجاح لينفض عن هذا السر النفيس غبار القرون وتوهم الدكتور ليصل دبدوب حين ظن ان المجلد بكامله مطبوع .

12 — مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله . ذكرها ابن فارس في كتابه الصحاح ص 162 اذ قال ما نصه . « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثنية وقد ذكرنا وجده كلا في كتاب المردناه » . وذكرها بروكلمان 267/2 . وقد نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل وأولها مقالة كلا لابن فارس والثانية ما تلحن فيه العوام للكسائي والثالثة رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي ، وقد طبعت في القاهرة سنة 1344 هـ ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة 1387 هـ .

13 — مقاييس اللغة : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والسيوطي في طبقات المسردين 4 وذكر في هدية المارميين 69/1 وقد نشر هذا المعجم الجليل في ستة أجزاء الاستاذ عبد السلام محمد هارون في القاهرة 1366 — 1371 هـ — دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه معتمداً بخطوطه مرو ومخطوطة القاهرة . ومن الكتابين مخطوطتين في لندن .

14 — النيزور — نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة سلسلة نواذر المخطوطات — القاهرة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1373 هـ — 1954م وقد امتد في نشرها نسخة مريدة في الخزائن التيمورية بالقاهرة .

15 — رسالته الى أبي عمرو محمد بن سميد الكاتب : وهي رسالة قيمة تعتبر نموذجا طيبا لنثره الفني وقد تضمنت دفاعا عن الحماسات المحدثه وعن محاسن شعراء عصره أثبت منها الشعالي مصلا مهما في البيتية (401/3) رأينا اثباته في هذا الموضوع لانه من جيد آثاره المطبوعة . قال ابن فارس :

الهمك الله الرشاد واصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحجب اليك الانصاف . وسبب دعائي بهذا لك انكارك علي أبي الحسن محمد بن علي المعجلي تأليفه كتابا في الحماسة ، واعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومفخاره ورغبه كثيرا مما مات المؤلف الاول ، مماذا الانكار ؟ ولله هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حظ على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولله تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للأخر شيئا ، وتدع قول الآخر . كم ترك الأول للأخر ، وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة الا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الاداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولله لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى

يؤلف مثل تاليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نواذر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ او ما علمت ان لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز ان يقال بعد ابي تمام مثل شعره ولم يجز ان يؤلف مثل تاليفه ؟ ولمه حجرت واسما ، وحظرت مباحا ، وحرمت حالا ، وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل حبيب الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز ان يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، واهل النحو في مصنعاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وارباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة ابي تمام في كتاب شذ عنه في الابواب التي شرعها فيه امر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب ادب غزير ، ولضلت انهام ثاقبة . ولكلت السن لسنة ، ولما توخى احد الخطابة ، ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة ، ولمجت الاسماع كل مردود مكرر ، وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ وختام لا يسام .

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي

والى متى : صفحنا عن بني ذهل

ولمه انكرت على العجلي معروفا واعترفت لحمزة بن الحسين ما انكره على ابي تمام في زعمه ان في كتابه تكريرا وتصحيفا واطفاء واقواء ونقل لايبات عن ابوابها الى ابواب لا تليق بها ولا تصلح لها ، الى ما سوى ذلك ، من روايات مدخولة وأمسور عليلة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حثت على اثاره ما غيبت الدهور ، وتجديد ما اخلقته الايام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وانكار هذا العصر على ان ذلك لو رآه رائم لاتبه . ولو فعله لقرات ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروك واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك .

وكان بقزوين رجل معروف بابي محمد الضير القزويني حضر طعاما والى جنبه رجل اكول ، فاحس ابو حامد بجودة اكله فقال (من الرجز) :

وصاحب لي بطنه كالهواية كان في امعائه معاوية

فانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وتويع الامعاء الى جنب معاوية وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد مجرد وابو الشعمق ؟ وهل في اثبات ذلك عار على مثبته ؟ او في تدوينه وصمة على مدونه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني نظر الى حاكم من حكامها من اهل طبرستان مقبلا ، عليه عصابة سوداء وطليسان ازرق وتميم شديد البياض وخفه اهر وهو مع ذلك كله تمير عيسى برذون ابلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر اليه (من السريع) :

وحاكم جاء على ابلق كعمق جاء على لقلق

فلو شاهدت هذا الحاكم على نرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة
التبديل ولعلبت انه لم يقصر من قول بشار (من الطويل) :

كان مثار النقع فوق رؤسنا وأسافنا ليل تهوى كواكبها

لما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه وجعود تجويده ؟
وانشدني الاستاذ ابو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف
بالهمذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض
منه (من المتقارب) :

وتيت الردى ومروى العلل ولا مرست تدماك الزلل
شكا المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليبا ابل
لك الذنب لا عتب الا عليك لماذا اكلت طعام السفيل
طعام يسوى بيتع النبيل ويصلح من حذر ذاك الممسل

وانشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي وقد رايت
صفة واهقت الموصوف (من المنسرح) :

وامغر اللون ازرق الحدقة في كل ما يدميه غير ثنية
كائه مالك الحزين اذا هم بزرق وقد لوى عنقه
ان تمت في هجوة بقائبة لكل شعر اقوله مدته

وانشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من اهل قزوين ويعرف
بابن المنادى (من الوافر) :

اذا ما جئت أحمد مستيحسا فلا يغررك منظره الأنيسق
له لطف وليس لديه عرق كبارقة تروق ولا تريق
لما يخشى العدو له وعيدا كما بالوعد لا يثق الصديق

وليوسف محاسن كثيرة وهو القائل ، ولعلك سمعت به (من الخفيف) :

حج مثلي زيارة الخمار واقتناني المقار شرب المقار
ووقاري اذا توقر ذو الشيب سة وسط الندى ترك الوقار
ما ابالي اذا المدامة دامت مذل ناه ولا شناعة جاري
رب ليبل كانه نرع ليلسى ما به كوكب يلوح لسارى
قد طويناه فوق خشف كحيل أحور الطرف ماتر سمار
ومكننا على المدامة فيه مرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإيجاز أمثل وما أحسبك ترى
بتدوين هذا وما أشبهه بأسا .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى خوانيا في أمره تصبده
يقول فيها كأنه يجيب سائلا (من مجزؤ الكامل) :

جودت شعرك في الأمير فكيف أمرك ؟ قلت : ماتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي منتظله ؟ وبأي شيء تعانده متدفعه عن
الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الذي أنشدتني (من مجزؤ
الكامل) :

سد الطريق على الزمما ن وقام في وجهه القطوب
كما نشدتني لبعض شعراء الموصل (من المتقارب) :

نديتك ما شبت من كبرة وهدى سنسي وهذا الحساب
ولكن هجرت محل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشباب

لم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها محولة الشعراء وشياطين الانسى
ومردة العالم في الشمر ؟

وانشدني عبد الله المفلسي المرافي لنفسه (من الطويل) :

غداة تولت عيبتهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميت
فلا مقلتي أدت حقوق ودادهم ولا أنا من عيني بذاك رضيت

وانشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق (من
الخبيف) :

زارني في الدجى منم عليه طيب اردائه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خلود أبرزت من غلالة زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى
أبا المنذر ، فقال لي صديق لي (من الطويل) :

أقول للنعمان وقد ساق طبه نفوسا نفيسات الى باطن الأرض
(أبا منذر أنشئت له سبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض)

آثاره المخطوطة :

- 1 — أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 والبغدادى في هدية العارفين 68/1 ومنه نسخة مخطوطة في تازان (انظر 94 د DER ISLAM XVII) ذكرها بروكلمان 267/2 .
- 2 — الثلاثة : ذكره البغدادى في هدية العارفين 69/1 والزركلى في الامـلام 184/1 وبروكلمان في تاريخ الادب العربى 266/2 وهارون في مقدمة المقاييس 28 ومن هذا الكتاب مخطوط بالاسكوريال برقم 363 وقرأنا ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه تمهيدا لنشره وابن فارس يعالج في الكتاب ثلاثة تقاليد للمسادة الواحدة فهو كتاب في الالفاظ . ومن الغريب ان الدكتور مصطفى الشويبي في مقدمته لكتاب الصحابي قال : انه لم يستطيع ان يضع الكتاب في احدى المجموعات السابقة لان عنوانه لا ينم عن موضوعه .
- 3 — الليل والنهار : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 1454 والبغدادى في هدية العارفين 69/1 وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة 110/1 ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في مكتبة لا ييزغ رقم 780 ذكرها بروكلمان 267/2 وقال ان عنوانها : قصص النهار وسمر الليل .
- 4 — مختصر في المذكر والمؤث : منه نسخة مريدة في الخزائن النيبورية بدار الكتب المصرية رقمها 265 لفة . وقد قرأنا في مجلة المكتبة الغراء لصاحبها الفضال الاستاذ تاسم محمد الرجب ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه .
- 5 — اليشكريات : ذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربى 267/2 ان منه مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق 29 ، 9 ، 3 .

آثاره المفقودة :

ان ما نسميه بالآثار المفقودة لا يعني ان الامل في العثور عليها قد انقطع ، ولكنه يعني انه لم يعثر عليها حتى اليوم وقد تجود بها الايام ضمن ثنائس المخطوطات غير المفهرسة في كثير من أرجاء الوطن العربى . وما ذلك ببعيد ومتخير الالفاظ الذي ننشره اليوم والذي كشفناه مؤخرا مثال جيد لآثاره التي كانت في وادي النجدة الى امد قصير جدا . وعلى أية حال فان المفقود من آثار ابن فارس يمكن حصره في الآتي :

- 1 — أصول الفقه : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 .

2 — الأضداد : ذكره ابن فارس في الصحاحي صفحة 66 من الطبعة الأولى والصفحة 98 من الطبعة الجديدة ونص عبارته : « ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو : الجون للأسود ، والجون للابيض . وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده . هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمى السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا ان العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به . وذكرنا رد ذلك ونقضه . فلذلك لم نكرره » .

والاضداد هذا لم يذكره احد ممن ترجم لابن فارس .

3 — الأفراد : ذكره بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في البرهان في علوم القرآن واقتبس منه اقتباسا مطولا من 105 — 110 رأينا من المبدأ اثباته لفقدان الأصل وهذا نصه :

« وقال ابن فارس في كتاب « الأفراد » :

كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) بمعناه الحزن ، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام . (يا أسفا على يوسف) الا قوله تعالى : (فلما آسفونا) فان معناه (أغضبونا) ، واما قوله في قصة موسى عليه السلام : (غضبان أسفا) فقال ابن عباس (مغلظا) .

وكل ما في القرآن من ذكر (البروج) مانها الكواكب ، كقوله تعالى (والسماء ذات البروج) الا التي في سورة النساء : (ولو كنتم في بروج مشيدة) مانها القصور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة . وما في القرآن من ذكر (البر) و (البحر) مانه يراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : (ظهر الفساد في البر والبحر) مانه يعني البرية والعمران . وقال بعض علمائنا : قتل ابن آدم اخاه ، (البحر) أخذ الملك كل سفينة غصبا .

والبخس في القرآن النقص ، مثل قوله تعالى : (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) الا حرما واحدا في سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس) مان أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ، كقوله تعالى (وبمولنهن أحق بردهن) الا حرما واحدا في الصافات (ائدمون بعلا) مانه أراد منها .

وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالايمن . كقوله : (مـم بكم) انما أراد (بكم) عن النطق والتوحيد مع صحة السننهم ، الا حرمين : احدهما في سورة بني اسرائيل (عميا وبكيا وصما) والثاني في سورة النحل : قوله عز وجل (احدهما أبكم) مانها في هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام .

وكل شيء في القرآن (جثيا) بمعنى (جميعا) الا التي في سورة الشريعة (ونرى كل امة جائية) لانه اراد تجئوا على ركبتيها .

وكل حرف في القرآن (حسابان) فهو من العدد ، غير حرف في سورة الكهف (حسابانا من السماء) لانه بمعنى المذاب .

وكل ما في القرآن (حسرة) فهو الندامة ، كتوله عز وجل : (يا حسرة على العباد) الا التي في سورة آل عمران : (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) لانه يعني به (حزنا) .

وكل شيء في القرآن : (الدحض) و (الداحض) بمعنى الباطل ، كتولاه : (حججهم داحضة) الا التي في سورة الصافات : (فكان من المدحضين) .

وكل حرف في القرآن من (رجز) فهو المذاب ، كتوله تعالى في قصة بني اسرائيل (لئن كشفت عنا الرجز) الا في سورة المدثر : (والرجز هاهجر) لانه يعني الصنم ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء في القرآن من (ريب) فهو شك ، غير حرف واحد ، وهو قوله تعالى : (نترقب به ريب المنون) لانه يعني حوادث الدهر .

وكل شيء في القرآن (يرجمكم) و (يرموكم) فهو القتل ، غير التسي في سورة مريم عليها السلام : (لأرجمنك) يعني لأشمتنك .

قلت : وقوله : (رجما بالغيب) أي ظنا . والرجم أيضا : الطرد واللعن ، ومنه قيل للشيطان : رجيـم .

وكل شيء في القرآن من (زور) فهو الكذب ، ويراد به الشرك ، غير التي في المجادلة : (منكرا من القول وزورا) ، لانه كذب غير شرك .

وكل شيء في القرآن من (زكاة) فهو المال ، غير التي في سورة مريم : (وحنانا من لدنا وزكاة) ، لانه يعني (تعطفا) .

وكل شيء في القرآن من (زافوا) ولا تزغ) لانه من (مالوا) ولا (تمل) غير واحد في سورة الأحزاب : (واذا زافت الابصار) بمعنى (شخصت) .

وكل شيء في القرآن من (يسخرون) و (سخرنا) لانه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ، لانه اراد أهوانا وخدما .

وكل سكينه في القرآن طمانينة في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : (فيه سكينه من ربكم) ، لانه يعني شيئا كراس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .

وكل شيء في القرآن من ذكر (السمير) فهو النار والوقود الا قوله عز وجل : (ان المجرمين في ضلال وسمر) ، لانه العناد .

وكل شيء في القرآن من ذكر (شيطان) لانه ابليس وجنوده وذريته الا قوله تعالى في سورة البقرة : (واذا خلوا الى شياطينهم) ، لانه يريد كهنهم ، مثل كعب ابن الاشرف وحيي بن اخطب وابي ياسر اخيه .

وكل (شهيد) في القرآن غير القتلى في الغزو منهم الذين يشهدون على أمور الناس ، الا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : (وادعوا شهداءكم) ، لانه يريد شركاءكم :

وكل ما في القرآن من (اصحاب النار) منهم اهل النار الا قوله : (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) لانه يريد خزنتها .

وكل (صلاة) في القرآن فهي عبادة ورحمة الا قوله تعالى : (وصلوات ومساجد) لانه يريد بيوت عباداتهم .

وكل (صمم) في القرآن فهو عن الاستماع للايمان ، غير واحد في بني اسرائيل ، قوله عز وجل : (عميا وبكما وصما) معناه لا يسمعون شيئا .

وكل (عذاب) في القرآن فهو التعذيب الا قوله عز وجل : (وليشهد عذابهما) لانه يريد الضرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : (كل له تانتون) معناه (مقرون) ، وكذلك في سورة الروم : (وله من في السموات والارض كل له تانتون) يعني مقرون بالمعبودية .

وكل (كنز) في القرآن الكريم فهو المال الا الذي في سورة الكهف : (وكان تحته كنز لهما) لانه اراد مصفا ولها .

وكل مصباح في القرآن فهو الكوكب الا الذي في سورة النور : (المصباح في زجاجة) لانه السراج نفسه .

النكاح في القرآن التزوج ، الا قوله جل ثناؤه : (حتى اذا بلغوا النكاح) لانه يعني الحلم .

النبا والانباء في القرآن الاخبار ، الا قوله تعالى : (نعميت عليهم الانباء) لانه بمعنى الحجج .

الورود في القرآن الدخول ، الا في القصص : (ولما ورد ماء مدين) يعني هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني من العمل الا في سورة النساء (الا ما آتاها) يعني النفقة .

وكل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا التي في الرعد (أعلم بيئس الذين آمنوا) أي ألم يعلموا . قال ابن مارس : انشدني أبي ، مارس بن زكريا :

أقول لهم بالفتنب اذ يبسروني الم تيسوا اني ابن مارس زهدم

وكل شيء في القرآن من ذكر (الصبر) محمود ، إلا قوله عز وجل : (لولا أن صبرنا عليها) و (واضربوا على آلهتكم) . انتهى ما ذكره ابن مارس .

وقد اقتبس السيوطي في كتابه « الاقتان » 132/2 الاقتباس منه ونرجح أنه نقل من البرهسان .

4 — الأماي : اقتبس منه ياقوت في معجم الأدباء 220/12 في أثناء ترجمة علي بن إبراهيم ابن سلمه القطان ونصه : « وقرات في أماي ابن مارس ، قال : سمعت أبا الحسين القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول : كنت حين خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة ألف حديث ، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث . قال وسمعتة يقول : أصبت ببصري وأظن بكثرة بكاء أبي أيام مرأتي لها في طلب الحديث والعلم . قال ابن مارس : حدثني أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . وذكر تمام الاسناد » .

ومن الأماي اقتبس ياقوت في معجم البلدان 405/1 في رسم أوطاس ونصه : « وقال أبو الحسين أحمد بن مارس اللخوي في أمايه : انشدني أبي رحمه الله :

يا دار أقوت بأوطاس وغيرها	من بعد ما حولها الأمطار والمور
كم ذا لاهلك من دهر ومن هجج	وأين حل الدمى والكئس الحور
ردي الجواب على حران مكتتب	سهاده مطلق والنوم بأسور
لم تبين لنا الاطلال من خبر	وقد تجلى العبايات الأخابير »

5 — أمثلة الاسجاع : قال ابن مارس في خاتمة كتابه (الاتباع والمزاوجة) ص 70 ما نصه : « قد ذكرت ما انتهى إلى من هذا الباب ، وتحررت ما كان منه كالمقل ، وتركت ما اختلف رويه ، وسترى ما جاء من كلامهم في الأمثال ، وما أشبه الأمثال من حكمهم على السجع ، في كتاب أمثلة الاسجاع ، أن شاء الله تعالى » .

6 — الانتصار للمطب : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 173 والبغداد في هدية المارمين 68/1 وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 .

7 — تفسير اسماء النبي عليه الصلاة والسلام : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء 321 والسيوطي في بغية الوعاة 352/1 وطائش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 . وسماه (النبي في تفسير اسماء النبي) في كشف الظنون 848 وفي هدية العارفين 69/1 .

وقد اقتبس منه ابن معصوم المدني في كتابه انوار الربيع في انواع البديع 291/5 وفيما يلي نص ما اقتبسه : « روى ابن فارس في كتابه اسماء النبي صلى الله عليه وسلم : ان في يوم حنين جاءت امرأة فانشدته شعرا تذكره ايام رضاعته في هوازن ، مرد عليهم ما اخذ ، واعطاهم عطاء كثيرا ، حتى توم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف اوقية ، وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله . وروى عن زهير بن سرد الجثمي انه قال : لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ويوم هوازن ، وذهب يفرق السبي ، تمت بين يديه وقتل : يا رسول الله ، انما في الحظائر خالاتك ، وحواضنك اللاتي كفلنك ، ولو انا صافحنا ابن ابي شمر او النعمان بن المنذر ، ثم اصابنا منهما مثل اصابنا منك رجونا عفوهما وعطفهما ، ثم انشدته أبياتا منها :

أمنن علينا رسول الله عن كرم فإنيك المرء نرجوه وننتظـره
أمنن على نسوة قد كنت ترضعهما إذ نوك تملؤه من محضها السدر
والبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وقالت قريش كذلك ، وقالت الانصار كذلك واطلقهم جميعهم » .

8 — الثياب والحلي : ذكره في معجم الادباء 84/4 وحرف الى الثياب والحلي في طبقات المفسرين ص 4 وهدية العارفين 69/1 والصواب ما ذهبنا اليه ذلك ان الثياب والحلي بابان متتابعان في معاجم الالفاظ (انظر الالفاظ لابن السكيت) وسوي ذلك .

9 — جامع التاويل في تفسير القرآن : ذكر ياقوت في معجم الادباء انه في أربع مجلدات 84/4 وكذلك السيوطي في طبقات المفسرين 4 وسماه البغدادي في هدية العارفين : جامع التاويل في تفسير التزويل .

10 — الجوابات : ذكره ابن فارس في الصحابي ص 242 في خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلا منه ويحيى في السورة معها أو في غيرها / اذ قال ما نصه : وهذا في القرآن كثير ، افردنا له كتابا وهو الذي يسمى الجوابات .

وهذا الكتاب لم يذكره احد ممن ترجموا لابن فارس في القديما والمعاصرين .

11 — الحبير المذهب : ذكره ابن فارس في مقدمة كتابه (متخير الالفاظ) اذ قال مانمسه : (وقد تحريت في هذا الكتاب الالباء الى طرق الخطابة وآثرت فيه الاختصار وتنكبت

الاطالة . فمن سميت به هبته الى كتاب اجمع منه ، ترا كتابي الذي اسميته (الحبير المذهب) فانه يوفي على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

والحبير المذهب هذا لم يذكره احد ممن ترجموا لابن فارس .

12 — العجر : ذكره ابن فارس في كتابه الصحابي ص 44 كما ذكره ياقوت في معجم الادباء 87/4 والقطني في انباء الرواة 93/1 والبغداد في هدية العارفين 68/1 .

13 — حلية الفقهاء : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 وابن خلكان في وفيات الاعيان 100/1 وابن العماد في شذرات الذهب 132/3 والسيوطي في بغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 690 وايضاح المكنون 421/1 وهدية العارفين 68/1 .

14 — الحماسة المحدث : ورد ذكره في معجم الادباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 وسماه ابن النديم في الفهرست الحماسة . ولابن فارس دماغ عن الحماسات اوردها فيما تقدم وحدثني الصديق الكريم عبد الله الجبوري ان العبيدي صاحب (التذكرة السعدية) قد اعتمد حماسة ابن فارس واذو بها في تذكرته .

15 — خضارة : ذكره ابن فارس في الصحابي ص 277 ونص عبارته « وما سوى هذا مما ذكرت الرواة ان الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في كتاب خضارة ، وهو كتاب نعت الشعراء » .

16 — دارات العرب : بهذا الاسم ورد في نزهة الالباء 321 وطبقات المفسرين 4 وباسم مقدمة كتاب دار العرب ورد في معجم الادباء 84/4 وقال عنه ياقوت في معجم البلدان 14/4 : ولم ار احدا من الائمة القدماء زاد على العشرين دارة ، الا ما كان من ابي الحسين بن فارس فانه اورد له كتابا مذكر نحو الاربعين ، فزدت انا عليه بحول الله وقوته نحوها »

17 — ذخائر الكلمات : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والبغداد في هدية العارفين 68/1

18 — ذم الغيبة : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 828 والبغداد في هدية العارفين 68/1 .

19 — شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والزهري هذا هو (ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري) احد اعلام التابعين وقد استقضاءه عبد الملك بن مروان .

20 — المم والخال : ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والبغداد في هدية العارفين 69/1 وصحف الاسم الى (المم والخال) في طبقات المفسرين .

- 21 — غريب امراب القرآن : ذكر في معجم الأدباء 84/4 ونزهة الألباء 321 وطبقات
المفسرين 4 .
- 22 — الفسرق : ذكره ابن فارس في كتابه تمام نصيح الكلام (بصورة آربري ص 38)
ونص عبارته : « ماها الفرق فقد كنت ألت فيه على اختصاري له كتابا جامعا وقد
شهر وبالله التوفيق » . وهي نشرة مصطفى جواد لكتاب تمام نصيح الكلام ص 35 .
وقد حرف الاسم في معجم الأدباء 84/4 وهدية العارفين 69/1 الى (المرق) .
- 23 — فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام : ذكر في كشف الظنون 1279 وهدية
العارفين 68/1 .
- 24 — كناية المتعلمين في اختلاف النحويين « كناية المتعلمين في أخلاق النحويين » اختلاف
النحاة . ذكر في معجم الأدباء 85/4 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وكشف
الظنون 33 وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 110/1 .
- 25 — ما جاء في أخلاق المؤمنين : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 وأعيان
الشيعة 220/9 .
- 26 — المعاش والكسب : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 وأعيان الشيعة
220/9 .
- 27 — الميرة : ولعلها السيرة : ذكر في فهرست الطوسي 36 وأعيان الشيعة 220/9 .
- 28 — مأخذ العلم : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1574 والبغداد في هدية العارفين
69/1 .
- 29 — المحصل في النحو المحصل : ذكر في كشف الظنون 1615 وفي هدية العارفين 69/1 .
- 30 — محنة الأريب : ذكر في هدية العارفين 69/1 .
- 31 — مقدمة في الفرائض : ذكر في معجم الأدباء 84/4 .
- 32 — مقدمة في النحو : ذكر في نزهة الألباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 1804
وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 109/1 .
- 33 — الوجوه والنظائر : ذكر في هدية العارفين 69/1 .
- 34 — شرح مختصر المزني : ذكر في الديباج المذهب لابن مرقون ص 35 .

ابن فارس نحويًا :

أجمع الذين ترجعوا لابن فارس على أنه كان في النحو واللغة على مذهب
الكوفيين .

على أننا لا نستطيع رسم صورة واضحة لابن فارس النحوي لأن مؤلفاته النحوية الخمسة وهي مقدمة في النحو ، اختلاف النحو ، المحصل في النحو ، غريب أعراب القرآن ، الانتصار لثعلب ، فقد فقدت جميعها . على أن بغض آرائه النحوية قد حفظها لنا كتابه — صاحب في لغة — .

ومن خلاله رأيناه يرجع إلى ثعلب أمام نحاة الكوفة وسواء من أئمة الكوفة أمثال الفراء والمفضل الضبي والكسائي والشيباني وأبي عبيد القاسم بن سلام ، كما كان يستعمل مصطلحات الكوفيين النحوية كالخلف والنسق والنمت ، مكان الجر والعطف والوصف عند البصريين .

ومما ما تقدم فإن البحث في تضاعيف — صاحب — يوقفنا على جملة — من القضايا التي أيد فيها الكوفيين من ذلك :

1 — مسألة « لكن » : (22)

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز دخول اللام في خبر (لكن) كما يجوز في خبر أن ، نحو (ما قام زيد لكن عمراً لعائش) ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز دخول اللام في خبر لكن .

فالكوفيون يرون أن (لكن / مركبة من (أن / زيدت عليها (لا / و (الكاف) ، خلافاً للبصريين الذين يرون أنها مفردة .

وذهب ابن فارس مذهب الكوفيين في ذلك (23) .

2 — ضد الفصل :

ذهب الكسائي إلى أن الفعل (ما دل على زمان) وخالفهم البصريون في ذلك ، فزعموا : أن الاسم ما أخذ من مصدر وبني لما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع . وقد عند ابن فارس رأي البصريين في (صاحب) (24) . وأعلن صحة رأي الكوفيين .

3 — مسألة كم :

ذهب الكوفيون إلى أن (كم) مركبة . وذهب البصريون إلى أنها مفردة موضوعة للمدد (25) .

22	الانصاف	208 — 218
23	الصاحبي	170 — 171
24	الصاحبي	85 .
25	الانصاف	298 — 303 .

وقد ذهب ابن فارس مذهب الكوفيين فيها (26) .

4 — مسألة « الآن » :

ذهب الكوفيون الى ان (الآن) مبني ، لان الالف واللام دخلتا على فعل ماض من قولهم : « آن يئين » أي حان . وبقي الفعل على فتحته . وذهب البصريون الى انه بني لانه شابه اسم الاشارة (27) .

وقد أخذ ابن فارس برأي الكوفيين (28)

5 — مسألة الضمير المتصل بعد لولا :

ذهب الكوفيون الى رفعه وذهب البصريون الى جره . وابن فارس على مذهب الكوفيين فيها .

تلك هي أبرز المسائل التي وقف فيها ابن فارس الى جانب نحاة الكوفة . وتوجد مسائل أخرى وقف فيها الى جانب البصريين منها انه استعمل بعض مصطلحاتهم ومن ذلك ، مصطلح (حروف المعاني) (29) .

ومنها انه أيدهم في (حد الحرف) (30)

كما ايد نحاة البصرة في عدم جواز مد المتصور (31)

وفي مسألة اشتقاق كلمة (الاسم) (32) .

وفي بعض المسائل نراه يخلط بين المذهبين ، كما في مسألة (أو) . فقد ذهب الكوفيون الى ان (أو) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) . وقال البصريون انها لا تكون كذلك وانها تكون لاحد الشئتين على الابهام (33)

وابن فارس يجمع بين المذهبين فيها فيرى ان (أو) حرف مطلق يأتي بمعد الاستفهام للشك وانها أيضا تكون للتخير وللإباحة (34) .

وفي مسائل أخرى نراه يرفض مذهب الكوفيين والبصريين معا ، والذي نخلص اليه مما تقدم ان ابن فارس لم يوقع نفسه في اطار مدرسة نحوية معينة ، صحيح انه

(26) صاحب 158 — 159 .

(27) الانصاف 520 — 524 .

(28) صاحب 144 .

(29) صاحب 97 .

(30) صاحب 86 .

(31) صاحب 275 .

(32) صاحب 88 .

(33) الانصاف 478 .

(34) صاحب 127 .

كان أميل الى الكوفيين ، بل هو منهم ، لكن ذلك لم يمنعه من الاخذ بيمسفى آراء البصريين وترجيحها . ومثل ذلك مألوف حتى في اطار المدرسة الواحدة .

وكما رأينا ابن فارس عصبيا في نظريته الى الحماسات المحدثه وغير متمصب لزمن على زمن ، كذلك نراه هنا يميل الى الكوفيين في غير تمصب وينحو منحاهم في غير تعجر وتلك آية من آيات قدرته على التطور والتجديد والابداع .

على انه يمكن تكوين فكرة عامة من هذه الزاوية من خلال فهمنا للمميزات الاساسية لمدرسة الكوفة ومنهجها العام والتي يمكن تلخيصها في انها تقوم على اهتمام المسبوع من كلام العرب والبعد عن تحكيم المقاييس العقلية في القضايا النحوية فالنحو الكوفي اقرب الى روح الدراسة اللغوية وأبعد عن الاخذ باسباب المنطق او التعلق بأساليب الفلسفة وهم يفهمون العربية فهما يقوم على تذوق اللغة والحس بطبيعتها بعيدا عن الافتراضات او الاستهداء بقوانين العقل والمنطق . والكوفيون يتقبلون مسائل اللغة اذا سمعوها من اعراب فصحاء ويميدون النظر في أصولهم لتوافق هذه المسائل بخلاف البصريين الذين اذا تعارض المثل بأصل من أصولهم عمدوا لتأويله ولو تأويلا بعيدا فان لم يخضع لأصولهم وصلوه بالشذوذ او الخطأ .

والكوفيون يعممون الظاهرة الفردية ويقيسون عليها والبصريون يجمعون مختلف الصيغ والابنية المتشابهة في اطار واحد يجعلونه مقياسا عاما لمختلف الصيغ والابنية . وبالإجمال فقد قدم الكوفيون الرواية والنقل على القياس الذي قدمه البصريون (35) .

من خلال هذه المميزات الاساسية لمنهج الكوفيين العام يمكن تصور المنهج النحوي لابن فارس ، وان ظل هذا الكلام بلا سند لفقدان مؤلفاته النحوية .

ابن فارس لغويا :

كان ابن فارس كوفي المنهج في اللغة ، وقد خلف تراثا لغويا رغمه الى مصاف القيم . فمما وصلنا من اثاره اللغوية : مقاييس اللغة ، المجمل ، مخبر الالفاظ ، تمام مصباح الكلام ، الاتباع والمزاوجة ، الثلاثة ، خلق الانسان ، مقاييس العربية .

ومضاع من اثاره اللغوية : الثياب والحلي ، ذخائر الكلمات ، الحبير المذهب ، العم والغال ، والحجر وسواها .

وقد تميز منهجه اللغوي بالتزامه ايراد الواضح الصحيح من كلام العرب وترك الوحشي المستغرب والدون المسترذل .

وقال بما قاله الكوفيون من كثرة الالفاظ المنحوتة في كلام العرب بل تميز كتابه (مقاييس اللغة) بفكرتي الأصول والنحت وهما نظريتان جديرتان بالتقدير ، وربما صح القول انهما جديرتان في ميدان التأليف المعجمي في زمنه .

(35) راجع : مدرسة الكوفة : المخزومي .

على أن ابن فارس رغم كونه كوفي المذهب ، لكن ذلك لم يدفعه الى التمسبب
الامسى بل كان سمحا يستشهد بكلام البصريين ورواياتهم فهو كثير الرواية — من
الخليل والاصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وكلهم بصريون .

على أنني أرى — بعد انعام نظر — أن ثلاثة علماء قد تركوا بصمات واضحة
على بعض آثار ابن فارس .

أولهم بغدادى وهو : ابن السكيت وتأثير كتابه (الألفاظ) ظاهر فى كتاب (متخير
الألفاظ) لابن فارس .

وثانيهم كوفي وهو : ثعلب ويبدو تأثيره فى (الصحاح) حيث يورد كلاما فى
الشيء الواحد يسمى بأسماء مختلفة ، ثم يقول ، وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبي
العباس أحمد بن يحيى ثعلب . وفى مواضع متعددة منه . ويبدو أيضا فى انتصاره له فى
كتابه (الانتصار لثعلب) الذى لم يصل إلينا ويبدو كذلك فى كتابه (تمام نصيح
الكلام) الذى استدرك به على نصيح ثعلب . ثم قال فى آخره . (هذا آخر ما أردت
اثباته فى هذا الباب ولم أكن أن أبا العباس قصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار
وحقا أقول أن جميع ما ذكرته من علم أبي العباس جزاء الله عنا خيرا) .

وثالثهم بصري وهو : ابن دريد ، ويبدو تأثير كتابه (الملاحن) فى كتاب مفتيا
مقبة العرب لابن فارس .

كما يبدو بوضوح تأثير كتاب الاشتقاق لابن دريد فى معجم المقاييس ذلك أن فارس
استطاع توسيع قاعدة الاشتقاق التى ابتدعها ابن دريد وحاول رد كل مادة لغوية الى
أصولها المعنوية المشتركة لموفق توفيقا كبيرا . ويمكن أن يقال أن ابن فارس اقتبس
النظام الألف بائي فى المجمل والمقاييس من (جهرة) ابن دريد .

تلك إشارة بالغة الإيجاز ، الى منهج ابن فارس اللغوي وهو منهج لا تتسع
لتنصيله مثل هذه المقدمة .

تأليف المعاجم :

مرت حركة التأليف المعجمي بعدة مراحل يمكن تسمية المرحلة الأولى منها
بمرحلة « كتب الصفات أو الغريب المصنف » وفيها تم جمع مفردات الباب الواحد
وضمها الى بعضها ومن أبرز امثلتها . كتاب المطر وكتاب اللبا واللبن لأبي زيد
الأنصاري وكتاب الصفات للنضر بن شميل والغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني
ومثله لقطرب ومثله لأبي عبيد .

وكتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر وكتاب النخل
والكرم للاصمعي وكتاب الرحل والمنزل لأبي عبيد وكتاب البئر وكتاب النخل والزرع

وكتاب الأنواء لابن الأعرابي وكتاب المطر والسحاب لابن دريد واقتد من ألف في هذا النوع أبو خيرة الأعرابي والقاسم بن معن الكوفي وبلغت قمتها في المخصص لابن سيده . ثم برزت مرحلة أخرى في التأليف المعجمي هي مرحلة « معاجم الألفاظ » أو الكتب المجلدة وفيها ترتب المفردات بالنسبة لحروفها لا إلى معانيها وأول هذه المعاجم المين للخليل بن أحمد الفراهيدي والجيم لشر بن حمدوية الهروي ومعاجم الألفاظ تنضوي تحت أربع مدارس (36) :

المدرسة الأولى : وهي مدرسة المين وتضم كتاب المين للفراهيدي والبارع للقالى والتهذيب للأزهري والمحيط للمصاحب بن عباد والمحكم لابن سيده . والرابطة التي تجمعها ترتيبها حروف الهجاء بحسب مخرجها وجعل هذا الترتيب أساساً لتقسيمها إلى كتب .

والمدرسة الثانية : تمسكت بالترتيب ألف بائي وتضم . الجبهة لابن دريد والمقاييس والمجل لابن فارس .

والمدرسة الثالثة : وتعتمد على تقسيم المعجم إلى أبواب وفقاً للحرف الأخير من الكلمات وتقسيم كل باب إلى أصول وفقاً للحرف الأول وترتيب المواد في هذه الفصول وفقاً لحروفها الوسطى باعتبار الحروف الأصول وحدها في جميع هذه المراحل . وتضم : صحاح الجوهري وعباب الصفاني ولسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز ابادي وتاج العروس للزبيدي والمعيار للشيرازي .

والمدرسة الرابعة : وهي التي ابتدأت بأساس البلاغة للزمخشري وتفرعت عنها المعاجم الحديثة .

وفي وقت نال لنشوء معاجم الألفاظ ظهر لون جديد من التأليف المعجمي تلبية لحاجة الدواوين ، هذا اللون جمع الألفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، مما يصح معه تسميتها بمعاجم المعاني أو الكتب المبوبة وأبرز أنموذجاتها الألفاظ لابن السمكيت وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر والألفاظ الكتابية للمهمذاني وفتح اللغة للثعالبي .

وكتابتنا هذا — متخير الألفاظ — من معاجم المعاني ومكانته بينها مكانة رفيعة ومريدة مما .

لقد ذكره ابن فارس في مداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من المجل كما فصلنا القول . كما ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والانتباري في نزعة الألباء 321 وحرف في كفايات الأدباء للجرجاني إلى مختار الألفاظ وكل الذين ترجموا لابن فارس كانوا يظنونونه في مداد كتبه المقودة .

(36) راجع المعجم العربي — نشيئه وتطوره — الدكتور حسين نصار .

مخطوطات الكتاب : وقد اعتدنا في تحقيقه ونشره للمرة الاولى على مخطوطتين الاولى ورمزنا لها بالحرف (ا) كانت ضمن مخطوطات مكتبة المرجوم عم والدنا السيد احمد بن السيد عبد الوهاب رئيس ديوان التدوين القانوني في العراق سابقا وعضو محكمة التمييز والمتوفى باجله الموعود سنة 1964 وهي نسخة نفيسة تعود للقرن السادس الهجري ويغلب عليها الشكل التام وعدتها 75 ورقة (150 صفحة) بما في ذلك ورقة العنوان . وعلى ورقة العنوان كتب ما يلي :

كتاب متخير الألفاظ تأليف الشيخ الفاضل أبي الحسين أحمد بن فارس رحمه

الله .

وعلى ورقة العنوان عدة تمليكات اقدمها : لأحمد بن مبارك شاه الحنفي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين سنة 538 ومنها : انتقل الي مستعارا وأنا العبد عبد الله مناء المولوي (ت 1005 هـ) ومنها . انتقل الى ملك كتابه محمد ابراهيم .. المالكى بالابتياح الشرعي من نور الدين علي الصبوة .. ومنها : ملكه من فضل الحليم الرحيم أحمد بن محمد بن عبد الرحيم .

وهذه النسخة قد انتقلت الى مكتبة المتحف العراقي مصادرة بسبب عدم تسجيلها طبقا للتعليمات وقياسها 13 سم x 18 سم ومعدل سطورها 13 سطرا في الصفحة الواحدة وقد اصابها النسخة رطوبة فالتفت السطور السفلى من العديد من صفحاتها وهي مكتوبة بخط النسخ وفي آخرها ما نصه :

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين . قول باصله الذي نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله نصح . والنسخة مكتوبة بالحبر الاسود ومناوينها بالحبر الاحمر وهي ضمن مجموع سجل برقم 3846 يضم كتابين : الاول : متخير الألفاظ الذي تقدم وصفه . والثاني : كتاب التكملة وهو نوادر ما تلحن فيه العامة لابي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي وعدته 43 ورقة وكتب في آخرها : (نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط المؤلف مقابلة وتولت بها نصحت بمنه وكرمه) .

وكتاب التكملة هذا توجد في هوامش العديد من اوراقه كالتورقات : 4 و 6 و 19 ب و 21 ب و 33 و 35 و 40 وسواها تعليقات لابن الخشاب وارجح انه عبد الوهاب بن أحمد بن الخشاب النحوي البغدادي المتوفى سنة 567 هـ وهي تعليقات لغوية قيمة .

والتفسير الوحيد لوجودها ان هذه النسخة نقلت من نسخة قراها وعلق عليها ابن الخشاب .

واما المخطوطة الثانية ورمزنا لها بالحرف (ع) فهي مكتوبة بالخط الفارسي وعدد صفحاتها 82 صفحة ومعدل سطورها 17 سطرا في الصفحة الواحدة وقياسها

14 سم x 19 سم وهي بخط جدنا المرحوم السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي شيخ الخطاطين في عصره ودلين مقبرة الخوالي ببغداد والنسخة مشكولة جزئيا وعاوين الابواب بالحبر الاحمر وهي في شكل كرايس لم تضم في سفر واحد - غير مجلدة - وليس فيها ورقة عنوان ولم يصرح الناسخ باسمه وهرمناه من بين ترائنا المائلي مخطوطة من كتاب الالفاظ الكتابيصة للهمذاني نسخت سنة 1114 هـ ومخطوطة من لغة اللغة للثعالبي نسخت سنة 1070 هـ ومخطوطة من التكملة وهي نوادر ما تلحن فيه العامة للجواليقي نسخت في القرن السادس الهجري .

ومخطوطة من مختار الصحاح للرازي نسخت سنة 1079 هـ . وجزء من مجاح الجوهرى نسخ في القرن الثاني عشر الهجري ومخطوطة من نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني نسخت سنة 1099 هـ .

ونسخة من تلخيص الشواهد لابن هشام الانصاري نسخت في القرن التاسع الهجري وغير ذلك من نفائس كتب اللغة . وحدثني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان السيد احمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الاسرة . وحدثني من اتق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمد امين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسريت إليه من المرحوم السيد احمد . هذا غير مخطوطتي - متخير الالفاظ - الفريدتين في الدنيا . ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني هنرا لان اصل جبل النسخ والحفظ - في اسرتنا - بعجل التحقيق والنشر ، فأتوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد ضياع اسنمر الف عام ، وفاء للمربية واحياء لبعض تراث الاسرة .

منهجنا في التحقيق :

هدف التحقيق في نظرنا هو تقديم المخطوط صحيحا كما صنفه مؤلفه . لا شرحه والنقل من كتب مطبوعة . واطلاقا من هذه المسئلة كان منهجنا في التحقيق كالآتي :

اولا - اعتمدنا النسخة الاقدم اما وشكلنا النص شكلا تاما واعتمدنا النسخة الثانية في المواضع المطبوسة من النسخة الاولى واثبتنا الفروق القليلة بين النسختين في الهوامش رغم ان الثانية نقلت من الاولى وصوبنا ما وجدناه من خطأ الناسخ من اثبات المصحف والمحرف والخطا في العامش .

ثانيا - حافظنا ما امكنا على الرسم المتبع في المخطوطة الام باستثناء بمسح الالفاظ التي ابدانها الى ما يعابها في القائمة التالية نظرا لتبدل رسمها عبر العصور آخذين بالرسم المعروف عندنا اليوم وابرز هذه الالفاظ :

واله : وآله ، ثلثة : ثلاثة ، قاريه : قارئه ، ساير : سائر ، شأ : شاء ،
 الجايح : الجائع . القايل : القائل . ماييه : مائه قايت : قاتت . الشمايل : الشمايل .
 الغايب : الغائب . الكاابة : الكاابة . خلايقه : خلائقه . الدائم : الدائم . السائلين :
 السائلين . نايلة : نائلة . ثابرة : ثابرة . هابجة : هابجة . ميره ونايره : مثرة ونائرة .
 طايلة : طائلة ، ثلثين : ثلاثين . طائرا : طائرا . الدمايم : الدمايم . سفين : سفين .
 نايبة : نايبة . ابراهيم : ابراهيم . شدايدها : شدايدها . مايدا : مايدا . ميره : ميره .
 رايحة : رائحة . المآ : الماء . مايد : مايد . استرخا : استرخا . ابا : ابي . ومينا :
 ومينا . داييم : دائم . النائل : النائل . العايفين : العايفين . السحاب : السحاب .
 غاييا : غاييا . العايف : العايف . الهايج : الهايج . النوايب : النوايب . المعاقب :
 المعاقب . الرغايب : الرغايب . آبايهم : آبايهم . جلسايه : جلسائه . الطبايع :
 الطبايع . السلايق : السلايق . النحايت : النحايت . الضرايب : الضرايب . فرب ما :
 فربما . الصبي : الصبا . وكلى : وكلا . رجا : رجا . الكلاء : الكلاء .

ثالثا : وضعنا النقاط والنواصل واشارات الاستلهم والتعجب والشوارح
 والاتواس المزهرة والاتواس المربعة والاتواس الاعتيادية والنواصل المزدوجة حيث
 يجب أن توضع .

رابعا : تمنا بتخريج الآيات والاحاديث كما خرجنا الاشعار والامثال والاتوال
 مشيرين الى مصدرها واختلافات رواياتها وقائلينا ان لم يكن الشعر أو المثل منسوباً .
 خامسا : ذكرنا في الحواشي مغان تراجم الاعلام مع الاشارة الى سني
 ولمايتهم واسمائهم كاملة .

سادسا : عرضت النصوص على المصادر ما امكننى ذلك واشرت الى اختلاف
 الروايات .

سابعا : في مواضع قليلة اثبتنا بعض الشروح الضرورية للفظ غلق ، كما اثبتنا
 بعض التعليقات المهمة .

ثامنا : اشرنا في مواضع كثيرة الى ما يقابل ابواب متخير الالفاظ في كتب
 الالفاظ لابن السكيت وجواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر والالفاظ الكتابية للهذائسي
 لتسهيل على القارئ الموازنة بين الابواب المتماثلة في معاجم المعاني التي سبقت ابن
 فارس زمنيا .

تاسما : كتبت المقدمة واعدت فهرس المصادر والمراجع .

عروض الكتاب وخطة المؤلف فيه :

رتب ابن فارس كتابه على ابواب المعاني ويقع الكتاب في (مائة وأربعة عشر)
 بابا بما في ذلك الخاتمة المطولة التي حشد فيها كثيرا من الالفاظ المفردة المستحسنة .

ولكن محتويات الخاتمة التي استغرقت خمس الكتاب لا يجمعها باب من أبواب المعاني بل هي اللفاظ المنتقاة من أبواب لا حصر لها وبعضها يمكن تصنيفه بسهولة في أبواب سبقت .

تحدث المصنف في مقدمته عن منهجه في كتابه هذا فقال :

« ان الكلام ثلاثة أضرب . ضرب يشترك فيه العلية والدون وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشي ، كان طباع قوم لمذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول ولا ارتفع ارتفاع الثاني وهو أحسن الثلاثة في السماع والذها على الانواء وأزينها في الخطابة وأمضيها في التريض وأدلها على معرفة من يختارها . وإنما ألفت كتابي على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح أبوابه الالفاظ المفردة السهلة ، وختبته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات وعولت في أكثره على اللفاظ الشمرء بعد التقدير من أشعارهم والتأويل لدواوينهم » .

فكتاب ابن فارس اذا قد تجنب الدون المسترذل والوحشي المستغرب وحلل بالالفاظ المفردة المنتقاة السهلة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشمرء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم فهو جولة رائعة خلال دواوين الشمرء ما بقي منها وما ضاع . وقد حلل أيضا بالامثال المنتقاة والاقوال الجارية مجراها .

لقد كان ابن فارس مؤمنا ، ان أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب واجتناب الومر منه والانس بانيسه والتوحش من وحشيه .

وان أحدا لن يتسنى ذروة البلاغة مع التكلف للفظ المستغرب وتبيز منهج المصنف في كتابه هذا بأنه أوما الى طرق الخطابة وآثر الاختصار وتكثف الاطالة .

ذاك منهج المصنف ، أما أبواب الكتاب فهي :

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (1) باب في الكلام والبلاغة | (10) باب في الوقعة وسوء القول |
| (2) باب في وصف الكلام الحسن | والشتم |
| (3) باب في ذكر الكلام الرديء والعي | (11) باب دماء الرجل لصاحبه بالخير |
| (4) باب الهنر والاكثار | (12) باب الدماء بالشر . |
| (5) باب في اللحن والفحوى | (13) باب قولهم ما كلمته بكلمة |
| (6) باب آخر . | (14) باب الايمان |
| (7) باب في السر والايخبار ببعض | (15) باب في الدماية |
| الحديث | (16) باب الكذب |
| (8) باب في النبهة | (17) باب الخصومة واللد |
| (9) باب المدح | (18) باب الرجل المحمود الخلق |

- (19) باب الرجل المشتهر بالنبيه
(20) باب البشاعة
(21) باب في الرجل الجامع للخصال المحمودة
(22) باب الشباب
(23) باب الشيب
(24) باب الجبال
(25) باب العبوس والتبع
(26) باب الفرح والسرور
(27) باب الكآبة والحزن والموجوم
(28) باب السخاء
(29) باب البخل
(30) باب الشجاعة
(31) باب الجبن
(32) باب العجلة والامجال
(33) باب في المسارع الى الشر
(34) باب النشاط
(35) باب الرجل الراضي باليسير من الطعام
(36) باب الرغبة وكثرة الاكل
(37) باب الجوع
(38) باب حسن المواتاة والذل
(39) باب الغضب
(40) باب الرضا ومتور الغضب
(41) باب العداوة
(42) باب الحرص والجشع وكثرة الاكل
(43) باب الكبر والزهو
(44) باب التخلف
(45) باب في الاسرة والعشيرة وذكر الكرام السادة
(46) باب الرذال والذناى والدعوة
(47) باب النوم والسهر
(48) باب القراية والرحم
(49) باب الجماعات
(50) باب الشر يقع بين القوم
(51) باب الشيء الذي لا يستقر
(52) باب الغنى
(53) باب منه آخر
(54) باب الفقر
(55) باب الكبر
(56) باب صفر الهمة والنفس
(57) باب الجهل بالشيء
(58) باب المته والجنون
(59) باب الحمق
(60) باب سوء الخلق
(61) باب الإباء وقلة الانتقاد
(62) باب التعسف والتهور
(63) باب الجبن
(64) باب الاحجام من الحرب
(65) باب الفزع
(66) باب الشتان والبغضة
(67) باب الكراهية
(68) باب رجوع الرجل في اللوم الى أصله والناظم في اللوم
(69) باب البخل
(70) باب الارتداع وضده
(71) باب التماذي واللجاج
(72) باب الحقد والضغينة
(73) باب الغدر والخيانة
(74) باب الخديعة والمكر والنكر
(75) باب الحسد
(76) باب الخب
(77) باب الفضب
(78) باب الحرص والجشع
(79) باب الظلم والغشم
(80) باب الحيف والجور
(81) باب استضعاف الرجل
(82) باب الذهاب بحق الانسان

باب الشريك بين اثنين	83	باب في ذكر الشمس	100
باب المنع من الشيء والردع	84	باب شدة الحر	101
باب تكليف الانسان ما لا يطيق	85	باب تغير لون الانسان لمسا	102
باب القوة والشدة	86	يصيبه من الحر وغيره	
باب الضخم والسمن	87	باب في الظل والفر	103
باب الطول وحسن الخلق	88	باب في الفجر والنهار	104
باب اللقاء وحالاته	89	باب زوال الشمس وبعد ذلك	105
باب الدأب	90	باب في الفم	106
باب الامر بفعل ما كان يفعله	91	باب الظلمة	107
باب في الجراحات والصرع	92	باب في الشتاء والبرد	108
والاوجاع		باب في الحر	109
باب المرض	93	باب الليل والنهار	110
باب الرمي	94	باب السماء والسحاب وغير	111
باب الكسر	95	ذلك	
باب الطبيعة	96	باب المطر	112
باب الذكاء وحدة الفؤاد	97	باب الريح	113
باب الشجاعة	98	باب الفاظ مفردة مستحسنة.	114
باب الشرب	99		

خصائص الكتاب وميزاته والفروق بينه وبين معاجم المعاني التي سبقته :

لكي نلم بالفروق بين هذا الكتاب ومعاجم المعاني التي سبقته لابد ان نستعرض بابا مشتركا بينها لنتعرف السبل التي سلكها كل مصنف من هؤلاء الاعلام ثم لنستطيع عبر النموذج استنباط خصائص الكتاب وميزاته .

ولنأخذ باب السخاء نعرضه كما أورده ابن السكيت في الالفاظ والهمذاني في الالفاظ الكتابية وقدامة بن جعفر في جواهر الالفاظ ثم نعبه بما قاله ابن جارس في التخيير ليتضح المنهج ونظمتس الفروق .

قال ابن السكيت في باب السخاء (37) :

يقال رجل سخى وقوم اسخفاء وقد سخو الرجل يسخو وسخا يسخو وسخى يسخى . الاصمعي . ويقال للرجل انه لسخى النفس ، وسخيط النفس ، ومذل النفس ، ويقال للرجل اذا كان هفيا سريعا في المعروف . انه لخرق من الرجال .

(37) مختصر تهذيب الالفاظ ص 123 — 126

وفلان يتخرق في ماله اذا كان يتصرف فيه بالمعروف ، وانه لطرف ، وسيدع من
الفتيان . والسيدع السيد الموطا الاكتاب ، (قال) يراد بقولهم . فلان هشا المكسر
مدح وضم . لماذا ارادوا ان يقولوا . هو خوار المود فهو ضم . واذا ارادوا ان يقولوا ليس
هو بصلاد القدح فهو مدح ، ويقال للرجل ييذل ما عنده . انه لو ارى الزند ، ووزى
الزند . وانما هو من الكرم ليس من قدح النار . قال الاعشي .

وزندك خير البلو ك صادف منهم مخرج عسارا
فان يقدحوا يجدوا عنده زنادهم كابيسات قمارا

وانه لذو حجر اي عطاء ، والهضوم المنفق ماله يقال . هضم له من ما له اي كسر
له ، وانه لذو هشاى الى الخير اي نشاط له ، ابو زيد والاريجي السخي الكريم ،
والاروع . والنجيب ، وهو طلق اليدين بالمعروف . وقد طلقت يداه بالمعروف طلاقة ،
الاصمعي . والفطريف السخي السري . يقال بنو فلان فطاريق اي سراة ، والخضرم
والخضم الكثير المطية ومثله كل شيء كثير . وخرج المعاج يريد اليمامة فاستقبله
جرير فقال : اين تريد . فقال : اليمامة . قال : تجد بها نبیذا خضرم اي كثيرا . وبئر
خضرم غزيرة الماء والخضم الموسع عليه من الدنيا ، وانه لذو خير والخير الكرم ،
والد هثم السهل اللين ، وانه لدهثم . ورهشوش . ابو زيد . والزهشوش الندى الكف
الكريم النفس ، والكهلول . والبهلول . والبحر . والنباض صلة الرجل الكريم ، وانه
لذو تحم عظام اي يتحم في الامور العظام يدخل فيها من خير وشر ، ويقال للرجل
الواسع الخلق الواسع الصدر . انه لو اسع الذرع ورجل لهوم وهو الغزير في الخير .
وناقة لهوم غزيرة اللبن . وممرس لهوم غزير في الجري . ورجل رهب السرب
واسع الصدر . ورجل ذلول بالمعروف بين الذل اذا كان سلسا بالمعروف ، والحشد
المحتشد في الامر في عطاء وغيره لا يدع عنده شيئا من الجهد ، الفراء يقال . وانه لذو
طائلة على قومه للمفضل المتطول ، ابو زيد . والمذل البازل لما عنده وهم مذلون بينو
المذلة والمذلة . وهو البذل ، ابو عمرو . والملث الكريم ، ورجل مريء من المروءة . وقوم
مريؤون ومراء . ومنه قولهم يئمر بنا اي يطلب المروءة بنقصنا ، ابو عبيدة . وهو
اسمح من لافظة وهي التي تفر مرخها لا تبقى في حوصلتها شيئا . الاصمعي . اللافظة
البحر . وقيل المنز تدهى للحلب تطلق جرتها ، ابو عمرو . ورجل نال اذا كان جوادا
ونالني اذا اعطاني ينولني نولا . قال كمب بن سعد .

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

(قال) وان فلانا ليتول بالخير ، وما انول فلانا اي ما اكثر نائله

قال جرير : لو كان من ملك النوال ينول

وانه لهش ودمث اذا كان لنا ساكنا ، والبسيط الذي اذا راينه انبسط اليك
ورايته يتهلل وجهه وعرفت السرور في وجهه . وكذلك الدهم . قال ابن لجأ :

ثم تنحت عن مقام الحوم لعطن رابي المقام دهثم

وقال عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في باب السخاء (38) :

يقال : فلان سخي (والجمع اسخياء) وسبح (والجمع سمحاء) . وجواد
(والجمع جوداء واجواد واجاود) . وهو معطاء وخرق . ونياس . ومرزا . وهو طلق
اليدين ، ورحب الصدر ، ورحب السرب وهو رحب اليدين ، وسط الانامل ، وندي
الكفين ، ورحب الذراع ، وواسع البلد والفناء ، وموطا الكتف ، واريحي ، وهو مخلف
متلف ، ومفيد مبيد ، وجواد لا يلقى درهما ، وواسع الفضاء ، ورحب العطن ، لم أر
مثله أوسع كفا لطالب ، ولا أطول يدا بمعروف ، وهو كريم المهزة . (وتقول من ذلك)
ما أبجد أخلاقه ، وأفشى معروفيه ، وأضفى نوافله ، وأندى أنامله ، وأوسع بلداه ،
وأرحب صدره ، وأبسط كفه ، وأكثر صنائعه ، وأهنا مواضله ، وأكرم طبائعه ،
وأفسح سربه ، وأوطأ كنفه ، وأطول باعه ، وأنه لخرق يتفرق في ماله ، ومذل (وفي
الامثال) اسبح من لائمة . وهي التي ترق لمرخها حتى لا تبقى في حوصلتها شيئا .

وقال تدامة بن جعفر في هذا المعنى (39) :

« سخي ، جواد ، سبح ، نياس . مرزا . معطاء . مفضال . فائض الانامل .
زاهر الجداول . ندي الكف . حي الأنف . رحب الذراع طويل الباع . واسع البلد .
سابق الصلد . رحب الفناء . كثير المعطاء . موطا الكتف مرزا الرشف . مخلف . متلف .
مفيد . مبيد . جواد لا يلقى شيئا ، وسبح لا يلقى بذلا ونيل . مسيح الكتف والفناء .
سجيح المنع والحباء . كريم المهزة . مطهر المهزة . لم أر مثله أوسع كفا لطالب . ولا
أطول يدا بالمعروف لمتمم وراغب .

ويقال : له سباحة وصباحة . وسخاء سوناء . وارتياح وانفاس . ومجد وجود .
وكرم وخير .

ويقال : هو أجودهم كفا ، وأغزرهم خلقا ، وأنداهم يدا ، وأنبهم جودا . وأكثرهم
أيادي ، وأعظمهم ارتياحا ومنحا ، وأشرحهم بالمواهب صدرا ، وأرجحهم في المكارم
قدرا ، وأغزرهم مودا ، وأغزرهم جودا ، وأكرمهم شيمة ، وأجودهم ديبعة ،

(38) الألفاظ الكتابية : ص 94 — 95 .

(39) جواهر الألفاظ ص 213 — 214 .

واسنانهم عطية ، وامجدهم سجية ، بنانه مندلق ، ولسانه بانجاز الوعد منطلق ، لا
لا يسام الانعام ، ولا يمل البر والاكرام ، اذا وعد ولمى ، واذا انجز اولى ، واذا ولمى
اجزل واسنى ، واذا من لم يمتن ، واذا تطول لم يعتد ، يسدى ولا يكدى .

وقال ابن فارس في باب السخاء :

ويقولون : هو صبير ينضح السمي ويعلو سواف المجد .

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه ، وفلان يتفرق في الجود ، وقد لبس المجد
احسن ملابس . وينشدون :

وابو اليتامى يبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب

وانه لندي البنان ، سبط الكف ، طويل اليد . ومن كلامهم .

يداه غمامة ، ومن نباته يجري الماء في العود ، وانه لغيث ونوء من الأنواء . قال
زهير :

وابيض مياض يداه غمامة على معتفيه ما تغيب نوافله

ويقولون : كنه خلف من المطر . قال جرير :

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلقنا من الخليفة ما نرجو من المطر

وانه لسمح ند موطن الاكثاف نباح فضفاض الرداء رحب المجر طويـل
الساعدين واسع جيب الكم ، قال : وهو يريد ما اشتعل عليه الجيب ، يعني نفسه .
وذلك كقولهم طاهر الثوب طاهر الرداء . وفي الذم : هو دسم الثوب ويقال : رجل ذو
مجر ، اذا كان يتلجر بالمعروف . قال الشاعر :

مجمع اضيائي جميل بن ممر بذى مجر تاوي اليه الارامل

وان في كنه لمطلبا للفنى قال :

لمنى كنه للفنى مطلب	وللسر في مدره موضع
يريد الملوك مدى جعفر	ولا يصنعون الذي يصنع
وكيف ينالون غاياته	وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الفنى	ولكن معروفه اوسع

وهذا كتوله :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراما

ويقولون : هو متصل دملقات الخير أريحي ، وهو يباري الريح . وفلان خصيب موطا الاكتاف . ومما يشبه الجواد به ان يقال :

بحر وربيع مربع ، وخال وهو الغيم البارق ، وخضرم وهو البئر الكثيرة الماء . ويقال : انه لكريم المعتمر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة ان عوف بن القمقاع على ان ينابر خالد بن مالك فقال : « والله ما عوف بهش ليكسر ولا برطب ليعتمر » . وفي هذه المناورة قال خالد : اطميت حولا من اكل واعطيت يوما من سال . قال الشاعر :

الم يك رطبا يعمر القوم ماءه وما عوده للكاسرين بيابس

وقال الأعشى :

وجروا على ما مودوا ولكل ميدان مصاره

وقال الآخر :

لو مچ مود على قوم مصارته لمچ عودك لينا المسك والبائس

وقال هشام بن حسان : لا يبعد الله يزيد بن المهلب ان كانت السفن لتجري في جوده . وفلان عد من الأعداد ، والمد الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن اللماظ الشعراء : ينعش المولى ويحتل الجلى ، وفلان يستعذب نغمات السائلين . ومن الفاظهم : يبست كفه ، اذا شجعت كف البخيل . قال ابن السكيت ، ويقال :

انه لذو تحم عظام اي يتحم في الأمور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحسب السرب ، خلول بالمعروف . الفراء : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل المتطول . قال الفنوي : ما اتول ملانا اي ما أكثر نائله .

من خلال مرض الباب المشترك في هذه الكتب الأربعة نستنبط الحقائق التالية :

1 — يبدو ابن السكيت شديد الاهتمام بالفريب ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر وأخبار البلغاء . وشواهد الشعرية بدورها حائلة بالفريب وابن السكيت يحرص على نسبة الرواية الى راويها كأبي زيد والأصمعي والفراء وأبي عمرو وأبي عبيدة وأضرابهم .

2 — أما الهمذاني فيبدو مهملًا للغريب شديد العناية بالمستعمل الشائع من الألفاظ لأنه ألف كتابه لسببان المكاتب لا يهتم بنسبة الرواية لروايتها ويندر استشهاده بالشعر وقد يستشهد بالأمثال والاقوال .

3 — وأما قدامة بن جعفر فهو لا يهتم بالشواهد من آية أو شعر أو حديث أو أمثال ولا يهتم بنسبة رواية لروايتها ولكنه لا يضع الكلمة إلى جوار الكلمة إلا أن تكون على زنتها وروايتها فهو كلف مولع بالبديع شديد الاهتمام به شديد الحرص عليه يغلب على عباراته الترصيع والتسجع وامتداد الوزن واشتقاق لفظ من لفظ ومكس اللفظ والاستعارة وتوفير تمام الاقتسام وتصحيح المقابلة وتلخيص الأوصاف والمبالغة والتكاثر والارداف والتثيل .

4 — ويبدو ابن فارس أكثر الأربعة عناية بمجازات الشعراء وتشبيهاتهم واستعاراتهم فالفاظه منتقاة متخيرة منتخبة لا يهتم بالوحشي الغريب ولا المسترذل الدون كثير الاستشهاد بالشعر وشواهد من عيون الشعر لفظا ومعنى وهو يهتم بنسبة الروايات لأصحابها كابن السكيت والفراء والغنوي كما يعني بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال .

وهو إلى جانب ذلك واسع الاطلاع على اقوال البلغاء وأخبارهم كثير الاستشهاد بهم كما رأينا فيما نقله عن حاجب بن زرارة وهشام بن حسان .

ويبدو من المثال المتقدم أيضا أن ابن فارس غير متأثر بالهمذاني وقدامة بن جعفر على الإطلاق . ولكنه تأثر بابن السكيت في بعض فصول الكتاب تأثرا كبيرا حتى كاد ينقل الفاظه باختصار كما في باب (اللقاء وحالاته) الذي يكشف عن تأثره الشديد بباب (اللقاء في قربه وإبطائه) في الفاظ ابن السكيت وكما في باب الفني وباب الفقر ونحوهما وهي أبواب معدودة ومحدودة .

على أن نميل التفرقة الأساسي بين الاثنين من خلال استعراض كتابيهما يتلخص في الآتي :

1 — لا يهتم ابن فارس بالوحشي المستغرب بل يهتم كثيرا باللفظة الحلوة المنتقاة على مكس ابن السكيت الذي يحشد الغريب في كتابه حشدا .

2 — أن شواهد ابن السكيت الشعرية كلها شواهد لغوية تطفح بالغريب ومن النادر أن تحس فيها بجمال تشبيه أو حسن استعارة أو حلاوة مجاز أو لطف تعبير خلافا لشواهد ابن فارس الشعرية التي تمثل مختارات منتقاة من الشعر العربي وتدل على ذوق شعري رقيق .

3 — يكشف ابن فارس في شواهد من الحديث النبوي الشريف على قدرة تعبه راوية للحديث في حين نجد ابن السكيت لا يستطيع التمييز بين الحديث النبوي وبين الأقوال المشهورة ويذكر عددا من الأحاديث النبوية على أنها أقوال مشهورة .

4 — يتميز كتاب ابن السكيت بالاطالة وكتاب ابن فارس بالإيجاز .

5 — انفرد ابن فارس بباب (الفاظ مفردة مستحسنة) وهو باب ضخم بمعثر المادة غير منظّمها وكان الأجدى لو تم تصنيف مواده تبعا لأبوابها وهو شيء لم يقع فيه ابن السكيت . على أنهما يشتركان في الخصائص التالية :

1 — يشتركان في نسبتهما كل رواية لراوية ورد كل قول لقائله .

2 — ويشتركان في كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وشعر الشعراء وبالأمثال

3 — ويشتركان في عدم اهتمامهما بالترتيب الداخلي لمواد الباب الواحد فهما لا يرتبان المعاني ترتيبا معجيبا ولا يتدرجان بها من الصغر إلى الكبر أو من القلة إلى الكثرة أو من الضعف إلى الشدة أو تبعا لموسيقاها بل تركاها غير منسقة ولا منظمة .

5 — كلاهما في كثير من الأحيان لا يورد الألفاظ مجردة بل يوردها في شعر أو مثل أو قول ويفسرهما .

6 — كلاهما في ترتيب الأبواب سعى إلى الجمع بين الأبواب المتقاربة أو المتضادة وتجانس الفصل بينها .

ف عند ابن فارس مثلا . باب الشباب تبعه باب الشيب ، وباب الشنان والبغضة تبعه باب الكراهية ، وباب الفرح تبعه باب الحزن ، وباب السخاء تبعه باب البخل ، وباب الشجاعة تبعه باب الجبن ، وباب الغضب تبعه باب الرضا ، وباب الجمال تبعه باب القبح وباب الفنى تبعه باب الفقر وباب الارتداع فباب التماضي واللجاج ، ونجد عند ابن فارس الأبواب المتشابهة ترد متتامة مثل باب العنة والجنون يليه باب الحمل فباب سوء الخلق وبعده باب التمسك والتهور وهكذا .

وهو يورد الأبواب المتعلقة بالطبيعة بصورة متتامة . فباب الشمس يليه باب شدة الحر فباب تغير لون الإنسان لما يصيبه من الحر فباب الظل والقيء فباب الفجر والنهار فباب زوال الشمس فباب القمر فباب الظلمة فباب الشتاء والبرد فباب الحر فباب الليل والنهار فباب السماء والسحاب فباب المطر وباب الريح .

وعند ابن السكيت نجد باب الفنى والغضب يتلوه باب الفقر والجذب وباب الشجاعة يتلوه باب الجبن وبالطول يتلوه باب القصر وباب الدعاء على الإنسان

بالبلاء يطلوه باب الدماء للإنسان وتجد الأبواب المتشابهة أو المتقاربة عند ابن السكيت
متتالية مثل :

باب الجراحات والقروح يليه باب المرض فباب الحمى .

ومثل باب صفات النساء اذ يطلوه باب الدماء والقصر وباب المعانز وباب
نعمت النساء في الولادة وباب نعمت النساء بالنسبة الى أزواجهن وباب الجرأة
والبذاء في النساء وباب الحياء والفاجرة وباب ما يكره من خلق النساء وباب المطلقة .
وكلها كما يلاحظ أبواب متتارية تدور حول صفات النساء .

7 — كلاهما لم يرتب الأبواب وفقا لخطة ثابتة كما ان ابن فارس قد خافه التوفيق حين كرر
باب الغضب مرتين ، وباب الجبن مرتين مع امكانه توحيدهما .

كلمة أخيرة :

حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشرعت في تحقيق أخرى . لكنني لم
اشعر أبدا ان كتابا — غير المتخير — أصبح جزءا من كياني ولوذا في جنائي وبعضا
من بياني .

ذلك ان روابط ممتدة الجذور موغلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج
روحية غير منظورة . من هذه الروابط ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للمربية مم أبي
السيد أحمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد أبي
المرحوم عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي أمير
الخطاطين في عصره . فبينني وبين المخطوطتين نسب وشيجة ، وبينني وبينهما رحم
وأمرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عنابة أسرتنا بمعاجم اللغة جيلا
بعد جيل . فلقد كشفت الأيام بين تراثنا العائلي غير مخطوطة واحدة من كتاب الالفاظ
الكتابية للهمذاني ونظام الغريب للربيعي . وحدثني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان
السيد أحمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الأسرة .
وحدثني من أثنى به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمد
أمين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد أنسربت اليه من المرحوم السيد أحمد .

هذا غير نسخ من (المحيط) وكتاب التكملة للجواليقي .

ان هذه العناية كانت: تدلني دفعا وتحزنني حزنا لان أصل هبل النسخ والحفظ
— في أسرتنا — بهبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم
المطبوعات بعد ضياع استمر ألف عام ، وفاء للمربية وأحياء لبعض تراث الأسرة .

وهكذا صاحبت — المتخير — نصف عام ، كان فيها سميري كل ليلة ونجني كل
دجنة وكان فيها صاحبا ومحدثا والينا . أصوب فيه ما حرف محرف وصحف مصحف

فلا يفجر . واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر أو قالة لنائر فلا يسام ولا يفخير وكأنه
بالمصبر قد تجلبب وتدثر :

حتى اذا أخذ الليل في طي الريط وتبين الخيط من الخيط ردى الى دنياي مؤذن
ينادى . ان هي على الفلاح .. قد قامت الصلاة . فانسلخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار
من الليل واذا ينشق النور عن الظلمة .

وعلى مثل هذا كان لقائنا وامتراقنا نصف عام أو يزيد .

واليوم اذ أضغ اللمسات الاخيرة من هذه المقدمة اشعر انني اقدم سميسري
ومصاحبي وخليلي الى آلاف القراء ليشاركونا السمر والصحبة والخلة في طريق
المعرفة الحاشد .

ثم انني اتوجه بالشكر الى اله العلي القدير على ما منح من صبر وسداد وما
الهم من توفيق ورشاد . والحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً .

بغداد — كانون الثاني (يناير) 1970 .

هلال بن ناجي بن زين الدين بن عبد الوهاب

الحمد لله وبه نستعين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين . قال الشيخ الجليل أبو الحسين أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله : هذا كتاب : « متخير اللفاظ » مفردا ومركباً ، وإنما نحلته هذا الاسم ، لما أودعته من محاسن كلام العرب ، ومستعذب ألفاظها ، وكريم خطابها ، منظوم ذلك ومنثوره . ولم آل جهداً في الانتقاء والانتخاب والتخير . وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام وآثر الاختصاص بجيده ، أو شاعر سلك المسلك الأوسط مرتقياً عن الدون المسترذل ونازلاً عن الوحشى المستغرب . وذلك ان الكلام ثلاثة أضرب : ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشى ، كان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الاول ولا ارتفع ارتفاع الثانى ، وهو أحسن الثلاثة في السماع والذها على الافواه وأزينها في الخطابة وأعذبها في القريض وأدلها على معرفة من يختارها ؟ وإنما ألفت كتابى هذا على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح أبوابه اللفاظ المفردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والتشبيهات والمجازات والاستعارات . وعولت في أكثره على الفاظ الشعراء ، بعد التنقيح (1) عن أشعارهم والتأمل لدواوينهم . فليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه ، ولمن يجود تمييزه واختياره ، فاما من سواه فسواء هذا عنده وغيره ، ونعوذ بالله من كلال الحد وبلادة الطبع وسوء النظر . وليعلم أن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء (2) السهل من الخطاب ، واجتنب الوعر منه ، والانس بأنيسه ، والتوحش من وحشيه . فهذا زمان ذلك . ولن يتسنم أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ الغلق ، (3) والتطلب للخطاب المستغرب ؟ وقد تحريت في هذا الكتاب الايحاء الى طرق الخطابة (4) ، وآثرت فيه الاختصار ، وتنبكت الاطالة . فان سمت به همته الى كتاب اجمع منه ، قرأ كتابى الذى أسميته « الحبير المذهب » ، فانه يوفى على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

(1) التنقيح : البحث .
(2) الاجتباء : الامطباء والانتقاء .
(3) الغلق : المشكل .
(4) فى الاصل : الخطابة (بكسر الفاء) .

باب متخير الفاظ العرب في الكلام والبلاغة (5)

يقولون : هذا رجل مقول ، فنتيق اللسان ، فرب اللسان (6) . ولسان طلق خلق . وقد لسن الرجل لسانا . قال قطرب (7) : يقال انه (لابسـن أقوال) (8) ، وابن قول ، وإذا كان ذا كلام ولسان (9) ، وانه لذو عارضة اذا كان مفوها ، وهو حذاق ، فصيح ، بين اللهجة . ورجل نقل : حاضر الجواب ، ويقال للرجل اذا خلط لين الكلام بالشدة : قد شبط ، وكان أبو عمرو بن العلاء (10) يقول : اشبطوا ، أي خوضوا مرة في الشعر ومرة في الحديث ؟ وبنو فلان شميظ ، أي شبان وشيب . ويقال : طرق الكلام وماشه (11) . ويقال : هو جيد السياق للحديث . وهو يسرد الحديث سردا .

(5) راجع باب فصيح اللسان في تهذيب الالفاظ 677 وباب الفصاحة في الالفاظ الكتابية للمذاني 183 وباب البلاغة ومدح البليغ ووصف كلامه في الالفاظ الكتابية ص 184 — 186 وباب بلاغة المنطق في جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ص 312 وباب اللسن وقوة الحجة في جواهر الالفاظ 230 — 233 .

(6) قرب اللسان : حديده .

(7) قطرب : هو محمد بن المستنير بن أحمد الشهير بقطرب (ت 206 هـ) . انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 52 وتاريخ بغداد 298/3 وطبقات النحويين 106 وبغية الوعاة 242/1 ونزهة الالباء 91 ووفيات الاميان 439/3 وشذرات الذهب 15/2 ومجمع المطبوعات ممود 1517 والاعلام 315/7 وأخبار النحويين البصريين 38 وأنباء الرواة 219/3 والبداية والنهاية 259/10 وتاريخ ابن الأثير 380/6 وتاريخ أبي الفدا 28/2 وروضات الجنات 595 والمعبر 350/1 ولسان الميزان 378/5 ومرآة الجنان 31/2 ومراتب النحويين 67 والمزهر 405/2 ، 463 ومسالك الابصار ج 2 م 281/2 ومجمع الادباء 52/19 — 54 وفتح السعادة 160/1 — 161 وكشف الظنون ممود 115 ، 723 ، 839 ، 1160 ، 1204 ، 1389 ، 1392 ، 1432 ، 1447 ، 1451 ، 1472 ، 1587 ، 1730 ، 1980 . وايفاح المكنون 100/1 ، 439 و 146/2 ، 315 ، 318 ، 346 ، 428 . وهدية المارفين 9/2 ومجمع المؤلفين 15/12 و 16 ونور القبس المختصر من المقتبس (للمزباني واختصار البيهقي) ص 174 — 178 .

(8) ابن اقوال : المختار على الكلام . انظر جمهرة الامثال 36/1 .

(9) ذو لسان : ذو مقالة .

(10) هو أبو عمرو زيان بن العلاء (ت 104 هـ) . انظر ترجمته في : أخبار النحويين البصريين 22 وطبقات القراء 288/1 وبغية الوعاة 267 ومجمع الادباء 156/11 ووفيات النحويين 331/1 وطبقات النحويين واللفويين 28 والفهرست 42 ونزهة الالباء 24 والمزهر 287/2 وشرح المقامات الحريري 189/2 وشذرات الذهب 23/1 ووفيات الاميان 136/3 والاعلام 72/3 . وأنباء الرواة برقم 919 والبداية والنهاية 112/10 وتاريخ ابن الأثير 38/5 وتاريخ أبي الفدا 6/2 وتاريخ التهذيب 454/2 وتهذيب الاسماء واللفات 262/1 وتهذيب التهذيب 178/12 وخلاصة تهذيب الكمال 374 والخريفة 318/1 وروضات الجنات 298 والمعبر للذهبي 223/1 واللباب 217/3 ومراتب النحويين 13 — 20 والمعارف 531 ونور القبس 25 والنجوم الزاهرة 22/2 . وانظر قول أبي عمرو هذا في لسان العرب مادة (شبط) 209/9 .

(11) العرب تقول : أطرتي وميشي ، لن يتفنن في كلامه .

وهو خطيب مصنع ، ومسهب ، وخاطب سلاق ، ورجل سفاح ، اذا كان قادرا على الكلام . قال الشاعر :

وقد ينطق الشعر الغني ويلتوى على البين السفاح وهو خطيب (12)

ويقال : هو فصيح صنع ، وهو أعضب لسانا ، وأعذب بيانا ، وأبل ريقا ، وأرق حاشية ، وأنصح لهجة ، وأشد عارضة ، وأصح قريحة ، وأحصف عقدة ، وأحسن سياقة ، وألبق إشارة ، وأبدع حجة ، وأنه لكما قال الشاعر :

تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزو (13)

وان كلامه لصريح ، وان لسانه لفصيح ، وكان بيانه لؤلؤ منثور ، وروض مطور .

باب متخير الفاظهم في وصف الكلام الحسن

تقول الشعراء : توشى بكلام يشفى من الجوى . ويقولون : تنزرت سقاط حديثها . ويقولون : هو قول يحل العصم سهل الاباطح (14) . وكان

(12) ورد البيت في اللسان 216/16 من غير مزو وروايته فيه : وانشد شعر :

قد ينطق الشعر الغني ويلتوى على البين السفاح وهو خطيب

قوله : يلتوى : اي يبطيء ، من اللاي وهو الابطاء .

(13) البيت لابن احمر ، انظر البيان والتبيين 1/276 و 2/172 . وابن احمر هو مبرو ابن احمر بن العمرد الباهلي شاعر مخضرم ، أسلم واشترك في المغازي وتوطن الشام وتولى في خلافة ميثان . انظر ترجمته في : الخزائن 3/38 والمؤلف 44 والاصابة 6460 وامالي ابن الشجري 1/137 والاغاني (الثقافة) 8/232 والشعر والشعراء 1/273 وطبقات ابن سلام 485 والسير 307 ومعجم الرزياني 24 وتبصير المنتبه 1070 وشرح ادب الكاتب للجواليقي .

(14) العبارة قسم بيت متدافع نسبته بعض المصادر لكثير عزة ، ونسبته مصادر اخرى لجنون بني عامر قيس بن الملوح . فهو في ديوان كثير 1/108 وروايته : وادنيقني حتى اذا ما ملكنتي بقول يحل العصم سهل الاباطح

وهو لكثير في المراجع التالية : امالي القالي 2/228 ومعجم شعراء الرزياني 243 وحماسة ابي تمام بشرح التبريزي 3/259 وثمار القلوب 111 . والمختار من شعر بشار 34 ، وخامس الفاص 107 ، والعمدة 2/116 والرافع 2/33 ، والاشباه والنظائر 1/202 .

والبيت للمجنون في ديوانه ص 67 وهو له في المراجع التالية : الاغاني (طبعة دار الثقافة) 2/75 وزهر الاداب 1/567 والشعر والشعراء 475 وميون الاخبار 3/78 و 4/139 ، والمقد الفريد 5/378 ، والزهرة ص 47 . والبيت من غير مزو في اشداد الانباري 205 .

وقد توهم البكري اذ قال في التنبية ص 118 : ((هذا الشعر لجنون بني عامر لا لكثير ولا املم احدا رواه له ولا وقع له في ديوانه)) . والصواب ان هذا الشعر مختلف في نسبته بالتفصيل الذي اوردناه ، وانظر اللالي 850 .

زياد يقول : لحدث اسمعه من عاقل أحب الى من سلافة قتلت بهاء ثغب في يوم ذي ودقة ترمض فيه الاجال (15) . ويقولون : كلام لو (6 ب) دعى به عاقل الاروى (16) تنزل، وتكلم بكلام كأنه القطر يعنون استواءه وحسنه . ويقولون : كلام يشبع الجائع وينتفع الظمان ؟ فيقول شاعرهم :

توشيت بقول كاد يشفى من الجوى تلم به أكبادنا ان تصدعا
كما استكرع الصادى وقائع مزنة ركاك (17) تولى صوبها حين وقعا

وقال بعض الهذليين (18) : كلام مثل الحبير المسلسل . ومما يصلح ذكره في هذا قول النابغة (19) :

تضبا من الريحان غلسه الندى مالت جناجه واسفله ندى

ويقولون للنساء اذا تحدثن : بيض يرامتن الحديث ، وذلك اذا ساقطن منه القليل فالقليل . والرماق : الشيء القليل . ومن ألفاظ الشعراء قوله : ارتمينا بقول بيننا دول ، أى جعلنا نتداوله . ويقال : ما زال يرمى بهم منذ اليوم شعب الحوار . ويقولون : مختزن من الحديث . وله الفاظ موزنة ،

(15) الثغب : بقية الماء المنب في الارض ، أو الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .

الودقة : شدة الحر .

ترمض : تتهرق قدماء من شدة الحر

الاجال : قطيع الظباء أو بقرة الوحش .

وانظر بعض هذا الحديث في اللسان مادة (ثغب) 232/1 مع اختلاف في الرواية

(16) الاروى : جمع اروية وهي انثى الوعل .

(17) ركاك : جمع رك وهو المطر الضعيف .

(18) هو أمية بن أبي عائذ الهذلي من شعراء الدولة الأموية . انظر ترجمته في الاصابة 177/1 والخزانة 417/1 والشعر والشعراء 558/2 والاهاني (طبعة بولاق) 115/20 .

وعبارته هذه تقسيم بيت له روايته في ديوان الهذليين 193/2 :

تحدث ليلى فامتدح أم نافع بعاقبة مثل الحبير المسلسل

(19) هو زياد بن معاوية الذيباني (ت نحو 18 ق هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الجاهلي 46 والشعر والشعراء 92/1 والاهاني (بولاق) 162/9 ومعاهد التفسير 333/1 ونهاية الارب 62/3 وخزانة البغدادي 287/1 و 427 ثم 96/4 وتهذيب ابن عساکر 424/5 وشرح شواهد المغني 29 وبروكلمان 88/1 والاعلام 92/3 . ولا وجود لهذا البيت في ديوان النابغة — صنعة الدكتور شكري فيصل . والجناح : عظام الصدر وقيل رؤوس الاضلاع ، وانظر اللسان 254/16 .

ومعان غضة ، كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفر » (20) . وقال :
إذا هن ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من سلك ناظم (21)

باب في نكر الكلام الرديء والمعنى (22)

يقال منطق عيال ، وهو الذي ليس على جهته . ويقال ليس لكلامه
ضحى ، أى ليس له بيان (23) . وقال الباهلى : سمعت أبا تمام

(20) هذا تقسيم بيت انشده ابن الاعرابي ، والبيت بتمامه :

له في ذوي الخلات نعمى كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفر
وتبله :

إذا ما أتاه السائلون توقدت عليه مصابيح الطلثة والبشر

راجع التشبيهات : ابن أبي عون ص 401

والشطر أيضا تقسيم بيت لأبي الاسد نباته بن عبد الله الحماني ، وكان منقطعا
الى الفيض بن صالح وزير المهدي وفيه يقول :

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر

انظر البصائر والذخائر المجلد الثالث قسم 1 ص 287 والاغانى 134/14 وأبو
الاسد شاعر عباسي تولى سنة (220 هـ) وانظر ترجمته في: الاغانى 131/14
والوزراء والكتاب 164 .

(21) البيت لأبي حية النهمري ، انظر : أمالي القاضي 281/2 وروايته : سقط وهو
في أمالي المرتضى 443/1 وروايته : الحديث حسبته ، وقال المرتضى في أماليه
معقبا : « ويروى ساقطن الاحاديث للفتى . ويروى أيضا : ساقطن الحديث
كانه » . والبيت في الكامل 72/1 :

إذا هن ساقطن الحديث كانه سقط حصى المرجان من سلك ناظم

والبيت في الزهرة ص 11 من غير مزو وروايته كرواية المتخير .
والبيت لأبي حية في الأشباه والنظائر للخالدين 203/1 — 204 وروايته مماثلة
لرواية الكامل . وهو له في الحماسة البصرية 86/2 وفي الصناعتين 156 وفي
زهر الاداب 15/1 . ونسب للبحثري خطأ في ديوان المعاني للمسكري 238/1 .

(22) راجع باب المعنى في الالفاظ الكتابية 186 وباب في الفهامة ولكن والمعجز من
الحجة : جواهر الالفاظ 223 وباب المعنى والفهامة 313 : جواهر الالفاظ .

(23) انظر العبارة في المنتخب من كنيات الادباء للجرجاني 145 .

الشاعر. (24) يقول لرجل تكلم فأساء : لمثل كلامك رزق الصمت المحبة ، ثم التفت الى فقال : أنا أبدعت هذه . ويقال : هو عى اللسان ، فدم ، ألوث ، وفي كلامه حكمة ، أى عجمة . وقد رتج في منطق رتجا ، وأرتج عليه ، اذا استغلق عليه الكلام ، وأصله من ارتجت الباب أى أغلقته . ويقال : هو عى ألف (25) . ويقولون : ليس ينطق حتى ينطق الحجر .

باب الهذر والأكثار (26)

يقال : أهذر في منطقته أهذارا ، ورجل ثرثار كثير الجلبة . ويقال : قد افترش لسانه ، اذا تكلم بما شاء . ويقولون : من أكثر أهجر . و (المكثار حاطب ليل) (27) ، والهراء : المنطق الفاسد ، والخطأ مثله . قال ذو الرمة (28) .

(24) ورد في كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ص 253 ما نصه : « حدثنا أبو تمام قال ، حدثنا كرامة قال : تكلم رجل في مجلس الميثم بن صالح فهذر ولم يصب ، فقال : يا هذا ، بكلام أمثالك رزق الصمت المحبة » . وانظر ترجمة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ) في : وميات الأعيان 334/1 ومعاهد التنصيص 38/1 وخزانة الأدب للبغدادي 172/1 و 464 وشذرات الذهب 72/2 وتاريخ بغداد 248/8 والذريعة 314/1 ودائرة المعارف الإسلامية 320/1 والاعلام 170/2 والافاني (طبعة الساسي) 96/15 والبداية والنهاية 299/1 وتاريخ أبي الفدا 38/2 وتنقيح المقال 251/1 والرجال للنجاشي 102 وشرح المعيون 324 وطبقات ابن المعتز 382 والمبر 411/1 وكشف الظنون 691 ، 770 ، 1241 . ومرة الجنان 102/2 ومعجم المؤلفين 183/3 ومفتاح السعادة 191/1 والنجوم الزاهرة 216/2 وأعيان الشيعة ج 19 والعمدة 130/1 - 133 والمهرست 165/1 ومروج الذهب 151/7 والموازنة بين أبي تمام والبحري للامدي والموشح 464 - 505 ومنتهى المقال 86 .

(25) وهو العمي الذي اذا تكلم ملأ لسانه فيه .
(26) راجع في الالفاظ الكتابية باب الامراط في الكلام 186 وفي جواهر الالفاظ باب الامراط والمبالغة 428 .

(27) انظر المثل في جمهرة الامثال 228/2 والفاخر 264 ومصل المقال 24 والميداني 172/2 والمستقصى 140 واللسان مادة (حطب) .

(28) هو غيلان بن عقبة (ت 117 هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الجبحي 465 والشعر والشعراء 437/2 والافاني 106/16 والموشح 170 وابن خلكان 404/1 والسيوطي 81 وشرح شواهد المفني 52 والخزانة 50(1) والميني 412/1 وبروكلمان 220/1 ومعاهد التنصيص 260/3 والشريشي 53/2 وجمهرة أشعار العرب 931 وتزيين الاسواق 88/1 ودائرة المعارف الإسلامية 392/9 والاعلام 320/5 . ورواية البيت في ديوان ذي الرمة ص 212 :
لها بشر مثل الحرير ومنطق دقيق الحواشي لاهراء ولانزر

وفي المخصص 126/2 وفي أمالي القالي 154/1 : رقيم الحواشي وهو كذلك في أضداد أبي الطيب اللغوي 74/1 . وفي البيان والتبيين 276/1 : رقيق الحواشي . والبيت أيضا في اصلاح المنطق 156 والاساس مادة (هرا) واللسان مادة (هرا) ومادة (نزر) ، واللاي 407 - 408 وأضداد ابن التباري 242 وأمالى المرتضى 63/1 وأمالى الشجري 78/2 والمقاييس 49/6 وشروح سقط الزند 394/1 .

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

باب في اللحن والفحوى

تقول العرب : عرفت ذلك في فحوى كلامه ، وفي لحن كلامه ، وعروض كلامه . قال قطرب ، يقال : عرفت في معراض قوله ، ومعنى كلامه . حويل قوله ، أى ما حاول . ويقال : أحال عليه بالكلام إذا أقبل . وأحال عليه بالسوط أقبل . ويقال : ليس لكلامه طلع غير هذا ، أى وجه . وكذلك مطلع . ويقال مدحه مدحة مستنيرة .

باب آخر

الخلف : الردى من القول . يقال (سكت ألفا ونطق خلفا) (29) . والقول الخامل : الخفيض . وفي الحديث : (اذكروا الله ذكرا خاملا) (30) أى خفيضا . ويقال : خاوضه الحديث : جراه وتجاوزا المسألة . وتكلم بكلمة طخياء ، أى أعجميه . وهو يرمى بيده عذبة وحردة ، إذا لم يبال ما قال . وهو يتلغم بذكر فلان ، أى يذكره . قال ابن الاعرابى (31) ، قلت لاعرابى : متى الرحيل ؟ قال تلغموا بالسبت . ويقال فى المدح خطيب معن ، إذا ائتمد نظره ، وابتل ريقه ، ولم يعيه شيء . وفلان مجهر . ورمى بالكلام

(29) يضرب مثلا لمن يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطأ . انظر المثل فى جمهرة الامثال 509/1 ومصل المقال 48 والميداني 223/1 والمستقصى 226 واللسان مادة (خلف) واصلاح المنطق ص 66 و 12 ومصباح ثعلب 69 ونظام الغريب 33 والفاخر 269 وروايته للمثل : « صمت ألفا ونطق خلفا » .
(30) جزء من حديث تامة قيل : وما الذكر الخامل ؟ قال : الذكر الخفي . رواه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق (رقم الحديث 155 ص 50) من حنزة بن حبيب مرسلا . واورده السيوطي فى الجامع الصغير 37/1 ورمز له بالضعف . وهو فى النهاية فى غريب الحديث والاثار 81/2 .

(31) هو أبو عبد الله محمد بن زياد (ت 231 هـ) . انظر ترجمته فى : ومبيات الاميان 492/1 وتاريخ بغداد 282/5 والوفاي بالوفيات 79/3 ونزهة الالباء 150 وطبقات النحويين واللغويين 213 والمفهرست لابن النديم 69 والاعلام 365/6 وانباء الرواة 128/3 والبداية والنهاية 307/10 وبغية الوعاة 105/1 وتاريخ ابن الاثير 275/5 وتاريخ اللدا 36/2 وتلخيص ابن مكتوم 209 و 210 . وتهذيب الاسماء واللغات 265/2 وروضات الجنات 596 وشذرات الذهب 70/2 وطبقات ابن قاضي شعبة الورقتان 24 و 25 والعبر 405/1 وعيون التواريخ (ومبيات 231 هـ) ومراتب النحويين 149 ومراة الجنان 106/2 والمزهر 411/2 و 464 ومسالك الابصار ج 2 م 230 و 231 والمعارف 546 ومعجم الادباء 189/18 ومعجم المؤلفين 11/10 ونور القبس 302 ومقدمة الازهري 58 و 59 والنجوم الزاهرة 264/2 وهدية المارفين 12/2 وكشف الظنون وايضاح المكنون فى مواضع متعددة . وانظر نص العبارة فى اللسان مادة (لغم) 18/16 .

على عواهنه ، أى على ما خيلت . ويقولون : لو كان عند فلان عقب تكلم ، أى لو كان عنده جواب . أبو زيد (32) ، يقال : كلمنى فلان فما أرجعت له قولاً ، أى ما أجبت بكلمة . قال أبو عمرو بن العلاء : العناج في القول : أن تكون للسان حصة فيتكلم بعلم ونظر .

بَاب فِي السَّرِّ وَالْأَخْبَارِ بِيَعْنُ الْحَدِيثَ (33)

يقال بينهم مهامسة ، وسمعت رساً (34) من الخبر وفروا . والفرو : المشافهة ببعض الخبر . وفي كلامه شكلة ، أى اشتباه . وكُميت (35) الشهادة . وخمر على الخبر ، أى خفى . ويقال للرجل يريد استئذالك عن السر : تستطنى فاخلت ظنه . ورجل جهره لا يكتُم سرا . وإذا مدحوه قالوا : شحيح بنث السر سمح بغيره (36) . وقالوا : كريم يميت السر (37)

(32) هو سميد بن أوسي الأنصاري البصري (ت 215 هـ) . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان 207/1 وأخبار النحويين البصريين 41 وتاريخ بغداد 77/9 ونزهة الألباء 125 وأنباء الرواة 30/2 والأعلام 144/3 والبداية والنهاية 269/10 وبغية الوعاة 582/1 وتاريخ ابن الأثير 220/5 وتاريخ أبي الفدا 30/2 وتقريب التهذيب 291/1 وتهذيب الأسماء واللغات 235/2 وتهذيب التهذيب 3/4 وجمهرة الأنساب لابن خزم 373 وخلاصة تذهيب الكمال 115 وروضة الجنات 312 وشذرات الذهب 34/2 وطبقات الزبيدي 182 وطبقات ابن قاضي شهيه الورق 149 و 150 وطبقات القراء 305/1 والمبر 367/1 وميوس التواريخ (وفيات 215) والفهرست 54 و 55 ومراة الجنان 58/2 ومراتب النحويين 42 والمزهر 402/2 و 419 و 461 ومسالك الإصدار ج 2 م 224/2 و 225 والمعارف 545 ومعجم الأدباء 212/11 ومعجم المطبوعات 312 ومعجم المؤلفين 220/4 ونور القبس 104 وميزان الاعتدال 126/2 والنجوم الزاهرة 210/2 وكشف الظنون وإيضاح المكنون في مواضع متعددة .

(33) راجع باب كتمان السر وباب اذاعة السر وباب اكتشاف السر في الألفاظ الكتابية ص 211 - 213 .

(34) رس الحديث : ابتدأه

(35) كميت : كتبت

(36) النث : نشر ما كان كتماناً له واجب .

وهو صدر بيت لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي في ديوانه 31/1 ورواية البيت نفسه :

(37) فنين ببذل السر سمح بغيره
قسيم بيت لكثير الخزاعي ونصه :

كريم يميت السر حتى كأنه
إذا استبحثوه من حديثك جاهله
انظر ديوانه 259(1) وإمالي الثاني 5/2 وزهر الآداب 953(2) وهو أيضاً قسيم بيت للأحوص الأنصاري في ديوانه صنعة الدكتور إبراهيم السامرائي ص 80 وروايته فيه :

كريم يميت السر حتى كأنه
هم بنواحي أبرها وهو خابر
والبيت في محاضرات الراغب 126/1 وفي الزهرة 237 وفي مجموعة المعاني 128 وانظر ترجمة الأحوص وهو عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 105 هـ) في : الأغانى (طبعة دار الكتب) 224/4 وشرح الشواهد 260 والشعر والشعراء 204 وخزانة الأدب للبغدادى 232/1 والموشح 231 والذريعة 319/1 وطبقات ابن سلام 137 وكنى الشعراء 290 وتاريخ الإسلام 91/4 وميوس التواريخ 237/3 ومصارع العشاق 419 وفهرست ابن خير الأثبيلي 397 والأعلام 257/4 وفي مقدمة ديوانه .

ويقال لمن يؤمر بالكتمان : اجمل هذا في وعاء غير سرب (38) . قال :
« واكنم السر فيه ضربة العنق » (39) . قال الضبي (40) : جهر فلان
الخبر كناه ولم يمحضك حقه ، وهذا خبر مجهر أى لا يدل منه على
جهة (41) .

(38) في الاصلين : سرب (بكسر السين وسكون الراء) .

(39) مجز بيت لأبي محجن الثقفي في ديوانه — طبعة المنجد ص 19 وروايته فيه :

واكتشف المازق المكروب غمته واكنم السر فيه ضربة العنق

قال أبو هلال العسكري شارح الديوان : « ويروى : المخشي غمته » .
واختلف في رواية صدر البيت . فلي الشعر والشعراء ص 337 : « قد اركب
الهول مسدولا مساكه » ورواية عيون الاخبار 38/1 وخزانة الادب 555
مماثلتان لرواية الشعر والشعراء .
ورواية الاتباع والمزاوجة ص 56 : وقد اجود و (ما) مالي بذى فنع
ورواية الوحشيات 169 واللسان مادة (منع) مماثلتان لرواية الاتباع
والمزاوجة . ورواية تهذيب الالفاظ ص 10 : وقد اجود وما مالي بذى فنع
ورواية الاغانى 142/21 :

واطمعن الطمعة النجلاء عن عرض . واحفظ السر فيه ضربة العنق

ورواية الاستيعاب مماثلة لرواية الاغانى . وانظر بهجة المجالس 462/1
ورواية الحيوان 182/5 والمخصص 280/12 مماثلتان لرواية الاتباع
والمزاوجة وانظر البيت في الفصول والفايات ص 465 . ورواية المعتمد الفريد
67/1 « قد اطمعن الطمعة النجلاء عن عرض » . ورواية الصدر في البصائر
والذخائر المجلد الثاني — القسم الثاني ص 312 : « واكتشف الماقت المكروه
غمته » . والمآقط : موضع القتال أو المضيق في الحرب . ورواية الصدر في جمع
الجواهر في الملح والنوادر ص 84 : « واطمعن الطمعة النجلاء عن عرض »
والمجز ايضا في الهوامل والشواهد للتوحيدي ص 19 .
وقد طبع ديوان أبي محجن في لندن والقاهرة والهند وبيروت . وانظر ترجمة أبي
محجن الثقفي (ت 30 هـ) في : الاغانى 137/21 والخزانة 550/3 والمعنى
381/4 وطبقات ابن سلام 225 والمؤلف 95 والاصابة 170/7 والشعر
والشعراء 337 وتجرید الاغانى — ابن واصل — القسم الثاني من الجزء الثاني
ص 1982 — 1987 ، والحيوان 303/6 . وفتوح البلدان للبلاذري — طبعة
المنجد 308/1 و 316 — 319 والطبري 548/3 (طبعة دار المعارف) ومروج
الذهب للمسعودي 323/2 (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد) .

(40) الفضل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178 هـ) . انظر ترجمته في : ارشاد
الاربيب 171/7 ومهرست ابن النديم 68 وغاية النهاية 307/2 وميزان الاعتدال
195/3 ولسان الميزان 81/6 ونزهة الالباء 56 واللباب 71/2 ومراتب النحويين
71 وتاريخ بغداد 121/13 والنجوم الزاهرة 69/2 وانباء السرواة 304/3
والاعلام 204/8 وبغية الوعاة 297/2 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات 168)
وطبقات الزبيدي 210 وطبقات ابن قاضي شهبة الورقة 257 والمزهر 405/2
والمعارف 545 ومعجم المطبوعات 1771 ومعجم المؤلفين 316/12 ونور القبس
272 وهدية المارفين 468/2 وايضاح المكنون 271/2 و 506 و 530 .

(41) قال الكسائي : اذا اخبرت صاحبك بطرف من الخبر وكتمت الذي تريد قلت :
جمهرت عليه . انظر المجلد لابن فارس ص 181 .

باب في النميمة (42)

يقال : نم ونمل ومذل بالامر : باح به . وفلان مشاء ، أى يمشى بين الناس بالنميمة ، ويوقد بين الناس بالحظر الرطب (43) ، كناية عن النميمة .

باب المدح (44)

يقال : مدحه ، وأثنى عليه ، وقرضه ، وأطراه ، ومجده . وإن فلانا وفلانا ليتقارضان الثناء ، إذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه . وقال ابن السكيت (45) : نلان يخم ثياب فلان ، إذا كان يثنى عليه (46) .

باب في الوقية وسوء القول والشتيم (47)

يقال : شتمه ، وذأمه ، وجدبه ، وثلبه ، ولحاه يلحاه . ويقال : شترت بالرجل ، وسمعت به ، وشردت به . قال :

(42) راجع باب النميمة ص 121 : جواهر الالفاظ .

(43) الحظر : الشجر المحتظر به ، أى المحتفى به . وأصل المثل : « أوقد في الحظر الرطب » أى نم . ويقال : « جاء بالحظر الرطب » أى بالكذب المستحسن أو بالكثير من المال . ويقال : « وقع فلان في الحظر الرطب » إذا وقع فيما لا طاقة له به .

وانظر المعانيص 81/2 وتهذيب الالفاظ 11 و 94 واللسان مادة (حطر) والتاج (حطر) . وفي الخصص 87/3 : جاء بالخضر الرطب وهو تصحيف . وانظر المثل في جمهرة الامثال 314/1 والمبدائي 179/أ رقم المثل 962 والكتايب ص 8

(44) راجع باب المدح والثناء في تهذيب الالفاظ 439 وباب المدح في الالفاظ الكتابية 22 وباب المدح في جواهر الالفاظ 45 .

(45) هو يعقوب بن اسحاق (ت 244 هـ) . انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 72 ووميات الاميان 309/2 ونزهة الالباء 178 والبلانة والملوكون 136 وهدية المارمين 536/2 والاعلام 255 والبداية والنهاية 346/10 وبغية الوصاة 349/2 وتاريخ ابن الاثير 200/5 وتاريخ بغداد 273/14 وتاريخ ابي الفدا 40/2 وتفتيح المقال 329/3 ودائرة المعارف الاسلامية 200/1 والرجال للنجاشي 312 وروضات الجنات 745 وشذرات الذهب 106/2 وطبقات الزبيدي 221 والمبر 443/1 ومرآة الجنان 147/2 ومراتب النهويين 95 والمزهر 412/2 ومعجم الادباء 50/20 - 52 ومعجم المطبوعات 9/1 ومعجم المؤلفين 243/13 ونور القبس 319 ومنتهى المقال 332 والنجوم الزاهرة 317/2 وطفيس ابن مكتوم 277 .

(46) انظر تهذيب الالفاظ 441 .

(47) راجع باب الثلب والطمع في الالفاظ الكتابية 20 وباب رمك الصموت بالوقية في الرجل والشتيم له : تهذيب الالفاظ 263 وباب الطعن على الرجل 265 منه . وباب الثلب والملاحاة 42 : جواهر الالفاظ .

أطوف في الإباطح كل يوم . مخافة أن يشرد بني حكيم (48)

وفي الامثال : (شتمك من بلغك) (49) . وفي هذا المعنى قول الغائل :

وما حل (50) حط قدرا من نفسه لم يصنه
أراد نقبص أخ لى بما يبلغ عنه
فكان ما سمعته مسامعى منه منه

ويقال : نددت به ، إذا سمعته القبيح . قال ابن السكيت ، يقال : هو ينمى عليه ذنوبه ، أى يذكره بها (51) . وقد تفاه بأمر عظيم ، إذا تدمه ، يقفوه . وقد اتذع له ، إذا سمعه كلاما قبيحا . ويقع فلان بقيح ، ومقع أيضا ، ويقع بسوءة . وقد أفحش فلان أمحاشا ، وأهجر أهجرا ، أى قال قبيحا ، قال :

كما جده الأعراق قال ابن خضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا (52)

وقال فلان هجرا وبجرا ، إذا قال قبيحا . ويقال : ما فى حسب فلان

-
- (48) البيت فى اللسان مادة (شرد) 223/4 من غير عزو ولية : فى الإباطح : بالإباطح . وشرد به : أى سمع بعيوبه . وحكيم رجل من بني سليم كانت تريض ولته الأخذ على أيدي السفهاء . والراء فى الأصلين مفتوحة : يشرد .
(49) فى جمهرة الأمثال 277/2 ما نصه : من سبك ؟ قال : من بلغك وفى هذا المعنى جاء فى مجمع الأمثال للميداني 314/2 رقم المثل 4087 ما نصه « من سبك ؟ قال : من بلغني . أى الذي بلغك ما تكره هو الذي قاله لك ، لانه لو سكت لم تعلم » .
(50) الماحل : الذي يكيد بسعاية .
(51) انظر تهذيب الالفاظ ص 264 .
(52) البيت للشماخ بن غرار الذبياني ، انظر ديوان الشماخ — تحقيق صلاح الدين الهادي — ذخائر العرب 42 — دار المعارف بمصر ص 135 ، ورواية البيت فيه :

مجدة الأعراق قال ابن خضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا

ورواية أمالي المرتضى 556/1 تماثلها .
والرواية (كمجدة الأعراق) فى : فصل المقال 24 والمصباح 851/2 ومتايس اللغة 35/6 وشرح نهج البلاغة ومفردات الراغب 537 واللسان مادة (هجر) 114/7 وتام نصيب الكلام — طبعة بغداد ص 19 .
وانظر ترجمة الشماخ (ت 22 هـ) فى : الأغاني (ساسي) 97/8 والموشح 67 وطبقات ابن سلام 110 والمؤلف 138 والشعر والشعراء 232/1 والسمط 58 والخزانة 526/1 والاصابة رقم الترجمة 3913 و المحبر 381 والكامل للمبرد 28/2 ومجمع المطبوعات 1141 ورغبة الأمل 94/2 والتبريزي 65/3 و 133/4 والاملام 252/3 .

قرامة ولا وصم ، وهو العيب . وفي كلامهم : فمته أذيمة ذيبا . وفي الامثال :
(لا تعدم الحسنة ذاما) (53) ويقال : فمه ذما ، وقصبه قصبا ، وجذبه
جذبا . وجاء في الحديث (54) : جذب لنا السمير بعد عتمة (أى عابه . قال
ذو الرمة : (55)

فيا لك من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جادبه

أى عائبه . وقد سببه ، ورماه بها جرات . وقد تعنى فلان بفلان ، اذا
هجاه ورماه بمنديات (56) . ويقال رماه بكلام كنكر (57) الاسود .

باب دعاء الرجل لصاحبه بالخير (58)

يقال : « نعم عوفك » (59) ، أى حالك . ويقال للمتزوج : « بالرفاء
والبنين » (60) ، من رفات الثوب ، كأنه قال : بالاجتماع والالتئام . ويقال
لمن رمى فأجاد : لا تنسل عسرك . ويقال : لا شللا ولا عى (61) . ولمن
تكلم فأجاد : لا يفض الله فاك ، أى لا جعله الله فضاء لا سن فيه . ويقولون :
« آهلك الله فى الجنة » (62) . ويقولون : أبل جديدا وتمل حبيبا ، أى ليطل

(53) معناه : لا يخلو أحد من شيء يعاب به . انظر المثل فى : جبهة الامثال 398/2
والفاخر 155 والميداني 109/2 ومصل المقال 39 واللسان (ذيم) والصاح
1926/5 .

(54) « جذب النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمير بعد صلاة العتمة »
رواه أبو داود الطيالسي فى مسنده عن عبد الله بن مسعود (منحة المعبود
73/1) ورواه ابن ماجه بنفس السند بلفظ : جذب لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم السمير بعد العشاء ، يعنى زجرنا . (انظر سنن ابن ماجه 230/1
رقم الحديث 703) . قال البوصيري : هذا اسناد رجاله ثقات ولا أعلم له علة
الا ان عطاء بن السائب اختلط باهره (مصباح الزجاجه - مخطوط ورقة
44 - ب) . والحديث فى النهاية 243/1 .

وجاء الحديث فى تهذيب الالفاظ 266 بلفظ : « جذب لنا سمير بعد عتمة »
أى عابه .

(55) ورد البيت فى ديوان ذي الرمة ص 43 بدون اختلاف فى الرواية . وهو فى مجالس
تعلم 33 وفى المجلد 145 وأمالى القالى 163/3 والمقاييس 435/1 واللسان
مادة (جذب) .

(56) المنديات : المخزيات .

(57) النكر : النهش ، والطمع بالانف .

(58) راجع باب الدعاء للانسان - تهذيب الالفاظ . 580 وباب الدعاء بالخير
الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بدوام النعمة 170 وفى جواهر الالفاظ راجع
باب الدعاء بدوام النعمة وطول امدها 316 .

(59) راجع تهذيب الالفاظ 580 والميداني 332/2 رقم المثل 4194 .

(60) انظر المثل فى : جبهة الامثال 206/1 ومصل المقال 77 والميداني 66/1
وتهذيب الالفاظ 580 والالفاظ الكتابية 171 والمقاييس 420/2 واصلاح المنطق
153 والفاخر 13 والمستقصى 182 واللسان مادة (رما) والاستقاي 488 .

(61) راجع : اصلاح المنطق 200 وتهذيب الالفاظ 582 .

(62) ورد فى تهذيب الالفاظ 582 : يقال : آهلك الله فى الجنة ايها لا ، أى زوجك الله
فيها وأدخلكها . وفى المقاييس 151/1 : معناه : زوجك فيها .

عمره معه (63). ويقولون : ان فلانا لكريم ولا تقبل من بعده ، أى لا امانته
الله فيثني عليه بذلك بعد موته (64). ويقولون : مرجبا وأهلا ، ولا آب
شائنة ، أى لا رجع . وتقول للرجل يرشدك : لا يعم عليك الرشد (65) .

باب الدعاء بالشر (66)

يقال : ماله آم وعام ا أى هلكت ماشيته وامراته فيثيم ويشتهى
اللبن . ماله قطع (67) الله مطاه (68). ويقال : ما له جرب وحرب ا جرب
من الجرب ، وحرب ذهب ماله . ويقال : ماله ال وغل ا ال طمن بالالة (69)،
وغل بالغل . ويقال : غل من الغليل وهو العطش (70). ويقال : ماله ذبل
ذبله ا من ذبول الشيء ، أى ذبل لحمه وجسمه . وماله قل حيسه (71) ا أى
خيره . وما له يدى من يده ا أى شلت يده . وما له شل عشره ا . وما له هبلته
الرعبل ا أى أمه الحمقاء (72). قال ، وسمعت الكلابى (73) يقول : ما له
أرقا الله به الدم ا أى ساق اليه قوما يطلبون قومه بقتيل ، فيقتلونهم
حتى يرقا (74) به دم غيره . ويقال : قطع الله به السبب ، أى سبب الحياة .
وسمعت أعرابيا يقول لآخر : جعل الله رزتك فوت فمك ، أى تنتظر اليه
فربما (75) يفوت فمك ولا تقدر عليه . ويقال : الحق الله بك الحوبة ، وهى

- 63 انظر تهذيب الالفاظ 582 .
64 انظر تهذيب الالفاظ 583 .
65 هكذا فى الأصل ، مع اضافة لفظة (معا) ، اشارة الى جواز القرامتين .
66 راجع باب الدعاء بالشر فى الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بالشر فى جوهر
الالفاظ 391 وباب الدعاء على الانسان بالبلاء والامر العظيم فى تهذيب الالفاظ
570 - 579 .
67 فى الأصل : (مطو) . والتصويب من تهذيب الالفاظ 571 .
68 مطاة : أى ظهره . والمطاة ايضا : الوثين والمصاحب .
69 الاله : الحربة .
70 ورد فى اللسان مادة (غل) 17/14 ما نصه : « وتولها ما له ال دفع فى قضاء ،
وغل جن موضع فى منعه الغل » . وانظر المقاييس 19/1 والاصلاح ص 20 .
71 الحيس : مجينة من خلط التمر والسمن والاقط ، وفى تهذيب الالفاظ 572 :
خيسه (بالخاء المعجمة) : أى خيره .
72 انظر تهذيب الالفاظ 572 .
73 ابو زياد الكلابى ، واسمه يزيد بن الحر ، ترجم له القنطلى فى انباء الرواة برقم
911 ، وقال : « أعرابي بدوي . قال دهميل : قدم ابو زياد من البادية أيام
المهدي حين أصابت الناس مجاعة ، ونزل بغداد فى عطية العباس بن محمد ،
واقام بها أربعين سنة ، وبها مات » ومن مؤلفاته كتاب النوادر والفرق والأبل
وخلق الانسان .
وانظر ترجمته ايضا فى فهرست ابن النديم ص 44 وتاريخ بغداد 398/14 .
74 فى تهذيب الالفاظ 572 : حتى يرقى الله به .
75 فى الأصل قرب ما ، وفى تهذيب الالفاظ : قرب ما ، وفى نسخة خطية من تهذيب
الالفاظ : قدر ما .

المسكنة والحاجة (76) . ويقال : امدى الله شواره ، وهي مذاكيره (77) . ويقولون : ان كنت كاذبا فشربت غبوقا باردا ، أى لا كان لك لبن حتى تجوع الى شرب الماء القراح (78) . ويقال : عليه العفاء ، أى محا الله أثره . ويقال : « عليه العفاء والكلب المواء » (79) . ويقولون : لمن يفارق وفراقه محبوب ، أبعد الله ، وأسحقه ، وأوقد نارا أثره يتفعلون ان لا يرجع اليهم (80) . ويقال : ما له تربت يداه ، اذا دعى عليه بالفقر . والمتربة : الفقر (81) . ويقال : ما له هوت أمه (82) ! وما له سباه الله ! أى غربه ، ويقال جاء السيل بعمود سبى اذا احتمله من بلد الى بلد (83) ويقال : بفيه البرى (84) أى التراب . وبفيه الاثلب (85) . ويقال لمن وقع في بليّة ومكروه وشمّت به : لليدين وللقم (86) ، و « به لا بظى بالصريمة أعفر » (87) وما له سحته الله أى استأصله . ويقال : رماه الله بليلة لا أخت

76 انظر تهذيب الالفاظ 574 .

77 جاء في اصلاح المنطق ص 165 « والشوار : مرج الرجل . ويقال : ابدى الله شوارك ومنه قيل شور به . أى كانه ابدى مورته » . وجاء في تهذيب الالفاظ ص 574 : ابدى الله شواره ، أى مورته .

78 انظر تهذيب الالفاظ 574 .

79 انظر المثل في تهذيب الالفاظ 574 . ورواية المثل في الميداني 39/2 رقم المثل 2572 : « عليه العفاء ، والذئب المواء » . العفاء : التراب والهلاك . والمواء : الكثير المواء .

80 انظر تهذيب الالفاظ 574 — 575 .

81 انظر تهذيب الالفاظ 575 .

82 في تهذيب الالفاظ 575 : ما له صوت امه : أى نكلته امه .

83 انظر تهذيب الالفاظ ص 576 .

84/ في الاصل : البرا . وانظر تهذيب الالفاظ 576 . وانظر المثل في مجمع الامثال 96/1 رقم المثل 462 .

85 الاثلب : التراب ، وقد ضبطت في الاصلين بفتحين وكسرتين ورسمت (معا) في الموضعين دليل جواز القرائتين . وانظر تهذيب الالفاظ ص 577 .

86 من بليغ الشواهد عليه قول عبد الله بن عبد العزيز وكان قد نهى ابن السكيت من اتصاله بالمتوكل فلم يستمع له فقتل شر قطة :

نهيتك يا يعقوب من قرب شادن إذا ما سطا أرمى على كل ضيفم
مذقوا حس ما استحصيته لا أقول إذ عثرت لعا ، بل لليدين وللقم

87 الصريمة : القطعة من الرمل ، والاعفر : الذي لونه لون العفر ، وهو التراب والمثل قاله الفرزدق ، ويضرب للشماتة بالرجل . انظر : جمهرة الامثال 207/1 وفصل المغال 91 والميداني 59/1 والمستقصى 187 واللسان مادة (صرم) . وتنام البيت :

أقول له لما اتاني نعيمه به لا بظبي بالصرائم اعفرا

لها ، أى أماته الله . ويقال : ما له صفر فناؤه وقرع مراحه (88) ! أى هلكت ماشيته (89) . ويقال : تعس وانتكس ، فالتعس أن يخسر على وجهه ، والنتكس أن يخسر على رأسه (90) . ويقال : رماء الله من كل أكمة بحجر . ويقولون : جدعا وعقرا . ويقال للقوم يدعى عليهم : فاقد الله بينهم .

باب قولهم ما كلمته بكلمة

يقال : ما سمع منى نأمة وما ناطقته الفصيح . قال قطرب : ما كلمته ببنت شفة ، أى كلمة .

باب الايمان

قال الاصمعي (91) : تقول العرب : « لا والنهار الازهر والليل الاخضر » ، ويقولون : « لا والذي شق الرجال للخيول والجبال للسيل » (92) « لا والذي لا أتقيه الا بمقتلة » (93) ، « ولا وقائت نفسى القصير ما كان كذا » (94) ، « ولا والذي شقها خمسا من واحدة » (95) يمنون الاصاب . ويقولون : « لا والذي أخرج النخلة من الجريمة والنار من الوثيمة » (96)

- (88) قرع مراحه : أى خلا مأوى ماله .
(89) انظر العبارة التي قبلها في تهذيب الالفاظ ص 577 .
(90) انظر تهذيب الالفاظ ص 578 .
(91) هو عبد الملك بن قريش بن عبد الملك (ت 216 هـ) انظر ترجمته في : المنتقى من أخبار الاصمعي للربيعي وأخبار النحويين البصريين 45 وأنباء الرواة 19/2 والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي 363/2 والتاريخ الصغير للتجارى 234 وجمهرة الانساب لابن حزم 234 ووفيات الاميان 288/1 والمصارف 236 والكمال لابن الاثير 220/5 وتاريخ اصبهان لابى نعيم 130/2 وتاريخ بغداد 410/10 وتاريخ ابن عساكر 414/24 وتهذيب التهذيب 415/6 . وروفيات الجنات 456 ، وطبقات القراء 470/1 ومراتب النحويين 74 ونزهة الالباء 150 والنجوم الزاهرة 190/2 . وشذرات الذهب 36/2 والوفيات 354/6 والمهرست 55 والبغية 112/2 وطبقات الزبيدي 183 .
(92) انظر : ايمان العرب في الجاهلية للنجيري ص 16 وانظر ذيل الامالي والنوادر للقالى ص 50 - 51 والمخصص لابن سيده 118/13 والمزهر 168/2 (الطبعة الثانية) نقلا من كتاب المثني لابن السكيت .
(93) انظر : ايمان العرب ص 17 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .
(94) انظر : ايمان العرب ص 24 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .
(95) انظر : ايمان العرب ص 16 وذيل الامالي ص 51 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 وفيها جميعا : شقتها : شقته .
(96) ورد في (ايمان العرب) ص 17 - 18 . والنخلة : العنق ، والجريمة النواة ، والوثيمة : قطعة من حجر تته أى تكسره . انظر : النهاية لابن الاثير : (عنق ووثم) وتاج العروس في المادتين المذكورتين ، واللسان مادة (وثم) ، وفي امالي القالي 102/1 : ان الوثيمة ، هي الوثومة المربوطة ، يريد به : قدح حوائر الخيل النار من الحجارة .

باب في الدعاية

يقال : جاء باملوحة ، وأكوهة . وتلاعبو بالعبوة . وفلان فكه ضحوك . ويقولون : داعبه مداعبة ، ومازحة مازحة . وقال أكثر : المازحة تذهب المهابة « (97) . ويقولون : « المزاح سباب النوكر » (98) .

باب الكذب (99)

يقال : كذب كذبا ، ومان مينا . وهذا كذب صراح (100) . ويقولون للكذاب : هو زلوق اللبد (101) . وقد اختلق كلامه وارتمطه . وفلان لا يقلب حديثه . وليس لهذا الحديث نجم ، أى ليس له أصل (102) . قال ابن السكيت :

يقال : اعتبط فلان على الكذب . وفلان لا يوثق بسيل تلغته ، إذا كان كاذبا . وإن فلانا لقموص الحنجرة . وفلان لا يصدق أثره (103) . قال ابن الاعرابي : تأويله أنه إذا قيل له من أين أتيت كذب (104) . وفلان لا تجارى خيلاه ، ولا تساير خيلاه ، ولا توافق خيلاه (105) . قال ابن الاعرابي : هو « أكذب من يلعب » (106) وهو السراب . وهو « أكذب من دب ودرج » (107) أى أكذب الاحياء والاموات .

-
- (97) انظر جبهة الامثال 231/2 والمثل ايضا في الميداني 287/2 رقم المثل 3914 منسوباً لأكثر بن صيفي .
وانظر ترجمة أكثر (ت 9 هـ) في : الاصابة 113/1 والمعارف 299 وجبهة الانساب 200 وبلوغ الارب للالوسي والاعلام 344/1 .
(98) انظر المثل في الميداني 287/2 رقم المثل 3910 . وفيه : المزاح (بكسر الميم) .
(99) راجع باب الكذب في تهذيب الالفاظ 258 وباب الكذب في الالفاظ الكتابية 52 وباب الكذب في جواهر الالفاظ 121 .
(100) الصراح : المحض الخالص من كل شيء .
(101) زلوق : أجلس . واللبد : الشعر المتداخل للزق .
(102) جاء في المعانييس 397/5 : « ليس لهذا الحديث نجم ، أي أصل ومطلع » .
وانظر المخصص 87/3 .
(103) انظر عبارات ابن السكيت في تهذيب الالفاظ 259 . وانظر المثل : لا يصدق أثره ، في الميداني 242/2 رقم المثل 2678 وانظر ايضا المخصص 89/3 والمنتخب 112 .
(104) انظر تهذيب الالفاظ 259 .
(105) في تهذيب الالفاظ 260 : لا تجارى (بضم التاء) ولا تساير (بضم الناء) .
(106) انظر المثل في : جبهة الامثال 171/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117 والمخصص 89/3 .
(107) انظر المثل في : جبهة الامثال 173/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117 واللسان (درج) وتهذيب الالفاظ 262 والمخصص 89/3 والاصلاح 315 .

باب الخصومة والجد

يقال : خاصمه مخاصمة ، ونازعه منازعة . وان فلانا لألد . ومن متخير الفاظهم قولهم : تركتهم يرتمون بالكلم العور (108) بينهم . ويقولون : أين كان مطرك عن ناره ، يعنى فى الخصومة . ويقال ان نواقره (109) من الحصى .

باب الرجل المحمود الخلق

يقال : انه أحلى من الأرى (110) ، ومن عذق بن طاب . قال الشيخ : نخلة بالمدينة يقال لها : عذق بن طاب (111) . وان على لسانه لثمة . ويقولون : كل طالب حاجة يتزوق لك بما ليس فيه حتى ينال بغيته . وقال ابن أخت تأبط شرا :

ولـه طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل (112)

ورجلدهين ، ساكن : حلو الشمائل لا تقلى خلائقه . أبو زيد قال ، تقول العرب للرجل الحسن الخلق : انه لدميث ، موطلاً الاكناف . والدهم : السهل اللين . والفكه : الطيب النفس ، الضحوك .

باب الرجل المشتهر النبيه

تقول العرب : فلان لا يحجز فى العكم (113) . ولا يرمى بـه الرجوان (114) . وهو نجم من الانجم . وهو أشهر من كوكب . ولا يجله

- (108) الكلم العور : الكلم القباح ، جمع تبيحة .
(109) النواقير : جمع ناقرة ، وهي الداهية والسهم المصيب .
(110) الأرى : العسل .
(111) جاء فى جمهرة الأمثال 40/1 ، وابن طاب : جنس من الرطب .
(112) ابن أخت تأبط شرا هو : خفاف بن نضلة ، انظر السمع 919/2 . والبيت من قصيدة قالها يرثي خاله تأبط شرا انظر العقد الفريد 298/3 . وفى شرح الحماسة للمرزوقي ، ان القصيدة لتأبط شرا نفسه ثم رجع نسبها لخلف الأحمر 827/2 . وفى شرح الحماسة للتبريزي 160/2 ذهب الى ما ذهب اليه المرزوقي وفى الحيوان للجاحظ 68/3 ما نصه : وقال تأبط شرا — ان كان قالها ثم أورد القصيدة التي منها البيت المذكور . وفى شروح سقط الزند 510/2 نسب البيت لتأبط شرا . فالبيت اذن متدايع بين تأبط شرا وابن أخته وخلف الأحمر والله أعلم . والشري : الحنظل .
(113) العكم : المعدل أو الكاره وما شد وجمع به من ثوب أو سواه وانظر اللسان 198/7 والتهذيب 123/4 .
(114) الرجوان : حافنا البئر .

الا من لا يعرف القمر . وهو نار في رأس علم . وهو نار بقبل (115) . ونار
بعلياء (116) . قال النابغة .

بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منها كوكب (117)

وقال ذو الرمة :

وقد بهرت فلا تخفى على أحد الا على أحد لا يعرف القمر (118)

وقال :

انا ابن المضرحي ابي ثليل وهل يخفى على الناس النهار (119)

وقالت الخنساء (120) :

- 115 قبل : ما ارتفع من الارض واستبلك ، والمحجة الواضحة .
116 علياء : رأس الجبيل .
117 ورد البيت في ديوان النابغة صنعة ابن السكيت ص 78 وروايته : فانك ...
ورواية ديوان النابغة (ضمن مجموع خبسة دواوين) ص 13 : لانك . ورواية
الكامل للبرد 33/3 : فانك . ورواية المصون للمسكري : بانك .
118 ورد البيت في ديوان ذي الرمة ص 191 وروايته فيه :
حتى بهرت لها .. وفي الاصل : طلعت . وفي هامش الاصل : بهرت
119 البيت للقتال الكلابي في ديوانه ص 51 - تحقيق الدكتور احسان عباس -
بيروت 1961 . ونسب للقتال الكلابي في تاج العروس مادة (سبر) . وهو في
اللسان مادة (سبر) من غير عزو ونسب للقتال في فصل القتال 114 وهو في
اساس البلاغة 46/2 من غير عزو ايضا .
وفي الوحشيات ص 65 نسب لجلمود ا وروايته فيه :
انا ابن المضرحي ابي هلال
والقتال الكلابي هو عبد الله بن المضرحي من كلاب بن عامر بن صعصعة (شاعر
اسلامي من شعراء الدولة المروانية) : انظر ترجمته في : الاغانى 319/23
طبعة دار الثقافة والموظف 167 والخزانة 667/3 والسميط 12 واسماء المفتاحين
203 والقاب الشعراء 312 والمحرر لابن حبيب 213 و 226 ونسب تريش 219
والشعر والشعراء 594 وشرح الحماسة للتبريزي (طبعة بولاق) 104/1
ومعجم البلدان مادة (حماية) ومعجم ما استمعهم للبكري مادة (ضربه) وكفى
الشعراء 295 .
والمضرحي : النسر والصقر الطويل الجناحين والرجل السيد السري الكريم
العتيق النجار ، انظر مادة (شرح) في اللسان 358/3 .
120 تماضر بنت عمرو السلبية (ت 24 هـ) وانظر ترجمتها في : معاهد التنميص
348/1 والدر المنثور 109 والشريشي 233/2 وحسن الصحابة 94 وجمهرة
الانساب 249 واعلام النساء 305/1 وبروكليان 164/1 والاغانى (ساسي)
19/13 والخزانة 403/3 وشرح شواهد المغني 89 والشعر والشعراء 260/1
والبيت بنصه في الصفحة 70 من ديوانها - تحقيق كرم البستاني - بيروت
1951 . وروايته في - المصون في الادب - للمسكري ص 17 :
أغر ابلج تاتم الهداة به كانه علم في رأسه نثار
والبيت في نظام الغريب 225 والكامل 46/3 والاغانى 132/13 وانظر مجز
البيت في : (رسالة في امجاز أبيات فغني في التمثيل عن صدورها) للبرد
ص 170 . وانظر المعجز في الاستغاث 209 .

وان صخرا لتأتم الهداة به . كأنه علم في رأسه نار
ومن الفاظ الشعراء : هو امرؤ جمع شعوب المعالي . قال ابن الاعرابي :
رجل صيت : أى شريف . وهو ذو حسب ضخم ، وهو ذو حسب عود .

باب البشاشة

يقال : تحفى به اذا ألطفه . وقد بش الىه ، وهش ، وتهل ، وأصل
التهل اشراق الوجه وملاقته . قال الحطيئة (121) :

مفيد ومتلاف اذا ما سألته تهل واهتز اهتزاز المهند

باب الفاظهم في الرجل الجامع للخصال المحمودة

قال وهب بن ربيعة (122) في رجل :

حلو الحلاوة دهثم جلد القوى مر المريرة

وقالوا لاخت عمرو ذى الكلب (123) : خرجنا نريد أخاك . قالت : والله

(121) هو جرول بن أوس العبسي (ت نحو 45 هـ) انظر ترجمته في : الاغانى 157/2 والخزانة 408/1 والميني 473/1 والاصابة 63/2 وطبقات الجهمي 93 والشعر والشعراء 238/1 وفوات الوفيات 99/1 . ورواية البيت في ديوان الحطيئة — تحقيق لقمان أمين طه — القاهرة — 1958 ص 161 : « كسوب ومتلاف » . والبيت في زهر الاداب 907/2 وديوان المعاني 43 . انظر ترجمة وهب بن ربيعة في : جبهة الانساب ص 400 واللباب 281/3 والتاج 509/1 والاعلام 148/9 . وهو لم يكن شاعرا .
(122) وفي شعر (أبى دهل واخبره) ص 1055 — المجلة الاسيوية الملكية — اكتوبر 1910 ، ان البيت لأبى دهل واسمه (وهب بن زمعة) من قصيدة يمدح فيها المغيرة بن عبد الله ، مما يقطع بان كلمة ربيعة محرفة وصوابها زمعة .

(123) اسمها جنوب ، شاعرة بليغة ، انظر ترجمتها في اعلام النساء 218/1 . وعمرو ذى الكلب بن العجلان شاعر فارسي من بني كاهل ، كان جاراً لهذيل وقيل كان معه كلب لا يفارقه فسمي بذلك . وقال ابن حبيب : انما سمي ذا الكلب لانه خرج في سرية من قومه وفيهم رجل يدعى مبرا ، وكان مع عمرو هذا كلب ، فسمي ذا الكلب ، وله شعر في القسم الثالث من ديوان الهذليين . وقد ورد الخبر المذكور في ديوان الهذليين 120/3 باختلاف يسير وهذا نصه : « قال أبو عبيدة : « كان ذو الكلب يفرزو » لمها » فوضعوا له الرصد على الماء فآخذوه وقتلوه ، ثم مروا باخته جنوب ، فقالت لهم : ما شأنكم فقالوا : انا طلبنا أخاك مبرا . فقالت : لئن طلبتموه لتجدنه منيما ، ولئن أضغتموه لتجدن جناحه مريما ، ولئن دموتموه لتجدنه سريما . قالوا : فقد أخذناه وقتلناه ، وهذا سلبه ، قالت : لئن سلبتموه لا تجدن ثنته وأمية ، ولا حجزته جامية ، ولا ضالته كالمية ، ولرب ثدي منكم قد افترشه ، ونهب قد احترشه ، وضرب قد اخترشه » .

لئن اردتموه لتجدنه منيعا ، ولئن ادرتموه لتجدنه سريعا ، ولئن خسفتموه لتجدنه مريعا . قالوا : فهذا سلبه قد سلبناه . قالت : والله لئن سلبتموه ، ما وجدتم ثنته وافية ، ولا ضالته كافية ، ولا حجزته جافية . قالوا : قد قتلناه ، قالت : والله لئن قتلتموه ، لرب ثدى منكم قد اقترشه ، وضب منكم قد احترشه ، ونهب منكم قد اقترشه . وسأ ، عمر (124) متمما (125) : ما كان أخوك (126) ؟ قال : « كان والله يقرى العين جمالا والاذن بيانا (127) قال : وغير هذا ؟ قال : كان لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش الجمل ، ولا يجبن حتى يجبن السيل » . ومن هذا الباب . قول الهذلي (128) .

- = وفي القسم المذكور من ديوان الهذليين عدة قصائد لجنوب ترثي أخاها عمرا ، وفي جمهرة الامثال 62/2 ورد بعض هذا الكلام منسوبا لام جليحة القيسية مشيخة عمرو المذكور .
- (124) الخليفة الثاني مير الخطاب (رضي) (ت 23 هـ) انظر ترجمته في : مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، وابن الاثير 19/3 والطبري 187/1 — 217 و 2/2 — 82 واليعقوبي 117/2 والاصابة : الترجمة رقم 5738 وصفة الصلوة 101/1 وحلية الاولياء 38/1 والخميس 259/1 ثم 239/2 واخبار القضاة لوكيع 105/1 والبدء والتاريخ 88/5 و 167 وشذور العنود للبكري 5 والكنى والاسماء 7/1 والاستيعاب 458/2 والبداية والنهاية 18/7 وتاريخ الخلفاء 108 وتاريخ ابن الوردي 144/1 وخصائص العشرة الكرام البررة للزمخشري 51 — 65 وتاريخ الاسلام 207/1 — 252 ومروج الذهب 312/2 — 340 والمعارف 77 — 82 وشذرات الذهب 27/1 وتاريخ ابن خلدون 178/1 ، 306 — 365 وصبح الامشى 255/3 والسيرة الحلبية 359/1 وسيرة ابن هشام 364/1 وطبقات النخباء ص 6 وطبقات ابن سعد والرياض النضرة في مناقب المشورة 187/1 و 2/2 — 82 والمغربي 71 والتبر المسبوك 53 واحياء العلوم 462/4 ومتوح البلدان 350 .
- (125) هو متمم بن نويرة اليربوعي التميمي (ت نحو 30 هـ) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 254/1 والطبري 24/3 والمؤلف 297 وجمهرة انساب العرب 224 وشرح الفضليات للانباري 63 و 526 والاصابة رقم الترجمة 7719 والجواليقي 375 ومنتخبات من شمس العلوم لشوان الحميري 102 وشواهد الغني 196 والافاني 63/14 وجمهرة اشعار العرب 141 والمرزباني 466 وسبط اللالي 87 والتبريزي 148/2 والجمعي 169 و 174 وخزانة البغدادي 236/1 ورغبة الامل 97/3 و 223/8 و 231 — 234 . والاعلام 154/6 — 155 وكتاب — مالك ومتمم ابن نويرة اليربوعي — لابن قتيبة مرهون الصفار .
- (126) هو مالك بن نويرة (ت 12 هـ) . انظر ترجمته في : الاعلام 145/6 وموات الوفيات 143/2 والاصابة رقم الترجمة 7698 والنقائض 22 و 247 و 258 و 298 والمرزباني 360 والشعر والشعراء 119 والمحرر 126 وشرح العميون 44 والجمعي 170 ورغبة الامل 58/1 والخزانة 236/1 .
- (127) ورد بعض الخبر في كتاب البديع لابن المعتز ص 6 وروايته : « قال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله اباك فانه كان يقرى العين جمالا والاذن بيانا » .
- (128) الهذلي : هو ابو المثلم الهذلي ثم الفخامي ، من بني خناسة بن سعد بن هذيل انظر ترجمته في المؤلف ص 277 — 278 . والابيات من قطعة قالها في رثاء صفخر الفتي الهذلي بعد مقتله . انظر ديوان الهذليين — قسم 2 ص 238 — 239 ، وانظر شرح اشعار الهذليين صنعة السكري 284/1 — 286 .

آبى الهضيمة نلب بالمعظيمة متلاف الكريمة لا نكس (129) ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة جلد غير ثنيان (130)

رباء مرقبة مناع مغلبة وهاب سلهة (131) قطاع أقران
هباط أودية جمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان (132)

ومن الفاظ الهذليين : كفيت النساء (133) نسال حد الوديقة. وقولهم : له في
كل ما رفع الفتى من صالح سبب (134) وفي خلاف ذلك، هو هلباجة، جبس،

- (129) في ديوان الهذليين وشرح السكري والمؤلف : لا سقط .
(130) في ديوان الهذليين : ثنيان (بكسر الشاء) . وفي المؤلف : خرق غير ثنيان . وفي
أفداد أبي الطيب 132 : جلد غير ثنيان . والبيت في المعاني الكبير 538/1 .
(131) في ديوان الهذليين : ركاب سلهة . ورواية السكري : وهاب سلهة ورواية
البيت الثاني من هذه القطعة في المجلد لابن فارس ص 189 :

حامى الحقيقة نسال الوديقة مع ———— ستاق الوسيقة لا نكس ولا وان

وهو انشاد مداخل .

(132) نسبت القطعة للخنساء في رثاء أخيها سخرًا من تصيدة مطلعها :

يا عين تبكي على سخر لاشجان وهاجس في ضمير القلب خزان

انظر ديوانها طبعة دار صادر ودار بيروت ص 136 — 137 .
والاختلاف بين رواية المتخير ورواية الديوان كبير . ونس رواية ديوان
الخنساء :

آبى الهضيمة آت بالمعظيمة مت	سلاف الكريمة ، لا نكس ولا وان
حامى الحقيقة بسال الوديقة مع	ستاق الوسيقة جلد غير ثنيان
طلاع مرقبة مناع مغلبة	وراد مشربة قطاع أقران
شهاد أندية جمال ألوية	قطاع أودية سرحان قيعان

- والأبيات في « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ ص 117 — 118
منسوبة للخنساء وروايتها قريبة من رواية المتخير .
والأبيات في العمدة 26/2 — 27 منسوبة لأبى المثلّم الهذلي . ونسبت لأبى
المثلّم في الصناعتين ص 300 .
(133) الكئيت : المصاحب الذي يكافئك أي يسابقك . والكئيت : القوت من العيش .
والكئيت : القوة على النكاح . ورجل كئيت : سريع خفيف دقيق . انظر مادة
(كئت) في اللسان 384/2 .
(134) البيت من تصيدة لأبى العيال الهذلي في رثاء قريب له أولها :

فتى ما غادر الأجنا د لا نكس ولا جنب

وأبو العيال شاعر مخضرم عمر إلى خلافة معاوية . انظر ديوان الهذليين
241/2 وشرح ديوان الهذليين 423/1 والأهاني 167/20 والشعر
والشعراء 560/2 والأصباة 143/7 . ومعنى البيت : يقول : كل ما قدم
الرجال من خير فله فيه نصيب .

عياء. وكان نصير (135) يقول : الهلجاجة المستجمع لخصال الشر ، كما ان الشيطم المستجمع لخصال الخير . قال الاصمعي ، سألت عنه أعرابيا فقال : هو الثقيل البليد الوخم الشديد الضرس الضعيف العمل لا يحاضر به القوم . قال : والعياء الذي لا يتجه لشيء من أمره ، وكذلك الطباقاء . وفي الحديث : « عياء طباقاء كل داء له داء » (136) .

باب الشباب

يقال : هو شاب ، معتدل القناة ، سوى العصا . قال أبو حية (137) :

حنتك الليالي بعد ما كنت مرة سوى العصا لو كن ييقين باقيا

ومن الفاظهم : « الشباب مظنة (138) الجهل » (139) . وهو ريان من ماء الشباب . ورجل مخلد ، اذا لم يشب . وهو في عنفوان شبابه وقرحه . عيشه . ويقولون : كان ذاك وفي عيشنا غرر . ومن ظريف كلامهم : سايرت ركبان الصبا ، وكنت ابن لهو أسابي الصبا . وفي الحديث (140) : « عليكم

135 نصير : هو نصير بن أبي نصير الرازي ، من الطبقة الثالثة من علماء اللغة الذين اعتد عليهم الأزهري في معجم التهذيب ، وكان علامة نحويا ، جالس الكسائي وأخذ منه النحو وقرا عليه القرآن ، كما سجع الاصمعي وأبا زيد ، ولم تفكر المراجع سنة ومات . انظر ترجمته في : تهذيب الأزهري 22 ، أنباء الرواة 347/3 رقم الترجمة 796 ، بغية الوعاة 316/2 رقم الترجمة 2068 تلخيص ابن مكتوم 264 .

136 انظر الحديث في : صحيح مسلم 1898/4 والنهاية 114/3 .
137 هو الهيثم بن الربيع النخعي (ت 210 هـ) وانظر ترجمته في : التكملة والشعراء 658/2 وطبقات ابن المعتز 143 والأغانى 307/16 والمؤلف والمختل 145 والخزانة 283/4 . ولم يطبع له ديوان . والبيت بنصه المتقدم في : زهر الآداب 222/1 وأمالى القالي 185/2 واللاي 802 . وهو في الحماسة البصرية 424/2 وروايتـه .

حننتي الليالي بعد ما كنت مرة تويم العصا لو كن ييقين باقيا

138 في الاصل : مظنية ، بالجمع بين النون والياء مع رسم (خ) صغيرة فوق الظاء . مما يجعل الكلمة تقرا بوجهين : مطية ، مظنة .

139 انظر المثل في الميداني 367/1 رقم المثل 1976 ونصه :
« الشباب مطية الجهل » ، وبيروى : « مظنة الجهل » أى منزله ومحلّه الذي يظن بسـه .

140 رواه ابن ماجه من مويم بن ساعدة الانصاري بلفظ : عليكم بالابكارمانهن أمذب أفواها وأنتق أرحاما وأرغى باليسير (598/1 رقم الحديث 1861) وفي أسناده محمد بن طلحة ، قال فيه أبو حاتم في الجرح والتعديل : لا يحتج به (قسم 2 ج 3 ص 292) ، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة ، قال البخاري : لم يصح حديثه (تهذيب التهذيب 238/9 ومصباح الزجاجة 108 - 109)
ورواه الطبراني في الأوسط من جابر بن عبد الله ، وفي أسناده أبو بلال =

بالشوا ب فانهن أعر أخلاقا ، وأنتق أرحاما ، وأرضى باليسير . ويقول
ابن هرمة (141) :

تعلقتهما وائاء الشباب يفهق (142) من جانبيه طفاحا

ويقول ابن الطثرية (143) .

جرى فوقها زهو الشباب وباشرت نعيم الليالي والرخاء من الخصب
وقال الهذلي (144) :

يجيب بعد الكرى إبيك داعيـــــــــه مجذامة لهواه قلقل عجل (145)
ليس بعل كبير لا شباب به (146) لكن أثيلة صافى الوجه مقتبل

= الاشعري ، ضمنه الدار قطني (مجمع الزوائد 259/4 وزوائد المعجمين
مخطوط ورقة 199 . ورواه ابن الأثير في النهاية 13/5 . ورواه البيهقي في
السنن الكبرى 81/8 وأورده السيوطي في الجامع الصغير 63/2 وفي كتب
الأدب ورد الحديث في جمهرة الأمثال 289/1 وروايته : « عليكم بالابكار
مانهن أطيب أمواها وأنتق أرحاما » . وفي أمالي القاضي 307/2 وروايته :
« عليكم بالابكار مانهن أطيب أمواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » .
(141) هو إبراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) والبيت في ديوانه تحقيق المبيد ص 80 .
وهو أيضا المراجع التالية : البخلاء 185 والمعاني الكبير 213 والصناعاتين
123 والتبثيل والمحاضرة 73 وثمار القلوب 445 وشروح سقط الزند 20 و
345 ومجمع الأمثال 225/1 و 323/2 وشرح المقامات 179/3 ونهاية
الأرب 49/3 وحياة الحيوان 149/2 .

(142) في الديوان : يفتح .
(143) ابن الطثرية : هو يزيد بن سلمة القشيري (ت 126 هـ) . انظر ترجمته في :
أرشاد الأريب 299/7 ووفيات الأعيان 299/2 وسبط اللالي 13 وأسماء
المفتالين من الأشراف 247/2 والشعر والشعراء 340/1 والأغاني (طبعة
الدار) 155/8 وطبقات الشعراء 150 والتبريزي 161/3 و 122/4 وحماسة ابن الشجري 145 ، 159 ، 199 . ورغبة الأمل 141/5 والأعلام
236/9 . ونشر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب الجوزآن 9 و 10
(حزيران 1967) ص 816 — 853 بحثا قويا عنه بعنوان — الشاعر يزيد
ابن الطثرية أخباره وشعره — . ثم ذيل عليه في المحدثين الحادي عشر
(آب 1967) والثاني عشر (أيلول 1967) من المجلة المذكورة .

وفي الأصلين : من الخطب ، وهو تحريف .
(144) هو المتخل الهذلي ، واسمه مالك بن هويمر ، والبيتان من قصيدة قالها في
رثاء (أثيلة) ابنه ، انظرها كاملة في ديوان الهذليين — القسم الثاني ص
33 — 37 . والبيت الثاني في اللسان مادة (علل) وخلق الإنسان للأصمعي
162 وخلق الإنسان لثابت 27 . وانظر ترجمة المتخل في : الأغاني (طبعة
الدار) 30/10 و (طبعة الثقافة) 259/23 . والاصابة رقم الترجمة 7675
والحبر 246 و 473 والمزباني 361 والروض الأنف 287/2 والنقائض
495 والخزانة 135/2 والشعر والشعراء 552/2 والمينسي 517/3
والسبط 724 وجمهرة أشعار العرب 594 .

(145) في الديوان ص 25 : وقل ، وهو الجيد التصعيد في الجبل .

(146) في الشعر والشعراء وخلق الإنسان لثابت : له .. والعل : المسن الصغير
الجسم ، وأخذ من القراء واسمه العل .

ويقول مسلم : لو رد في الرأس منى سكرة الغزل (147) ويقال : عليكم بالشواب فانهن أقل خبا وأشد حبا .

باب الشيب (148)

يقولون : قد ودع الشباب ، ونقدت (149) أسنانه . ويقولون : حط عن ظهر الصبا رحله ، وحنى قوسه موترها ، وحنى الشيب قناه مطاء ، وعصر الميدان بارحها ، وفلان قشعم (150) دالف ، وقد أقصرت راحلة الصبا ، وملت الترحال . وهريق اناء الشباب . وكأنه حفص (151) بال . وورع (152) الشيب شراستى وعرامى . وشردت عنى أفراس الصبا ، وذوى عود صباى . ويقال لمن شاب : قد توضح عذاره ، ومفرقه . ويقول الفرزدق (153) :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار

ويقول ابن مقبل : « ذهب تليات الصبا » (154) « ولا خير في

- (147) رواية البيت في ديوان مسلم بن الوليد الانتصاري ص 4 : ماذا على الدهر لو لانت مريكته ورد في الرأس منى سكرة الغزل
- وانظر ترجمة مسلم (ت 208 هـ) في : النجوم الزاهرة 186/2 وسبط اللالي 427 والمرزباني 372 والتبريزي 5/3 وتاريخ بغداد 96/13 وتاريخ جرجان 419 والنويري 82/3 والشعر والشعراء 712/2 وطبقات ابن المعتز 235 ومعاهد التنصيص 55/3 والموشح 289 وبروكلمان 32/2 والأعلام 120/8 .
- (148) راجع باب الشيب في الالفاظ الكتابية ص 252 .
- (149) نقدت : تاكلت .
- (150) قشعم : المسن من الرجال .
- (151) حفص : ردى المتاع ورذاله .
- (152) ورع : رد
- (153) ورد البيت في شرح ديوان الفرزدق - تحقيق عبد الله الصاوي 467/2 وروايته :
- والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
- وانظر البيت في التبيان في علم البيان للملكاني ص 47 والمرزباني 467 واللسان مادة نهر 97/7 وشروح سقط الزند 792 . والفرزدق : هو همام بن غالب الدارمي (ت 110 هـ) . انظر ترجمته في : أغاني الساسي 180/8 والموشح 99 ومجمع المرزباني 486 وأرشاد الأريب 297/19 وابن خلكان رقم 755 والخزانة 105/1 وشذرات الذهب 141/1 وبروكلمان 209/1 والشعر والشعراء 381/1 والشريشي 142/1 ومعاهد التنصيص 45/1 وابن سلام 75 ومفتاح السعادة 195/1 وأمالى المرتضى 58/1 وجمهرة أشعار العرب 163 وسرح الميرون - طبع بولاق 213 - والحيوان 226/6 .
- (154) العبارة قسيم بيت لابن مقبل ص 73 من ديوانه هذا نصه : يا هر أمست تليات الصبا ذهبت فلتست منها على عين ولا اثر

المعيش بعد الشيب والكبر » (155). ويقولون : قد قنمه الشيب . ومن الفاظ الشعراء : أقصر جهلى ، وثاب حلمى ، ونهته الشيب من عرامى . ويقولون : لوح بالقتير (156) ، وقنمه الشيب أخلاقه . ونظر رجل الى شيخ فقال : كيف أصبحت ؟ فقال : فى الداء الذى يتمناه (157) الناس .

* باب الجمال

يقال : ان فلانا لمشبوب ، نير الوجه . ويقولون للمرأة البيضاء : ان الخمار الاسود يشب وجهها ويحفلها (158) . قال بشر (159) :

رأى درة بيضاء يحفل لونها سخام كغربان البرير مقصب
وقال : ان الناس يرون بك هلالا . قال الفرزدق :

ترى الفر الجحاجح من قريش اذا ما الامر ذو الحد ثان عالا
قياما ينظرون الى سعيده كأنهم يرون به هلالا (160)

وقالت أعرابية لرجل : انك لتزوفنا اذا أثبتنا كأنك هلال بدا فى غير
قتان (161) ، أى فى غير غبرة . ويقولون : ما أنضر وجهه ، وأشرقه ! وما
أحسن التياحه (162) ! وان فلانا لمبشار ، أى هو أبدا ضاحك . وانه لاحسن

(155) العبارة تقسيم بيت لابن مقبل فى ديوانه روايته :

قالت سلمى ببطن القاع من سرح لآخر فى المعيش بعد الشيب والكبر

- (156) القنير : المشيب .
(157) هكذا فى الاصلين . ولعلها : يتمناه . او : لا يتمناه .
* راجع باب حسن المنظر فى الالفاظ الكتابية 147 وباب ترادف الحسن 281
وباب الحسن فى تهذيب الالفاظ 205 .
(158) أى يزيد فى جمالها وشدة بياضها .
(159) البيت لبشر بن أبى خازم الاسدي ، انظر ديوانه ص 7 والبكري 82/2
والمجل 223 والمقاييس 180/1 واللسان مادة (قصب ، حفل) والصاح
مادة (غرب) والاساس مادة (حفل) وتاج العروس 431/1 و 281/7 .
وانظر ترجمة بشر (ت نحو 92 ق . هـ) فى : الشعر والشعراء 190/1
وامالى المرتضى 114/2 وخزانة البغدادي 262/2 والامسلام 27/2
ومختارات ابن الشجري 31/2 والموشح 80 .
(160) البيتان فى شرح ديوان الفرزدق 618/2 ورواية الاول :

ترى الشم الجحاجح من قريش اذا ما الامر فى الحدثن هالا

- (161) فى الاصل : قبان ، والصواب ما أثبتناه ، جاء فى اللسان مادة (قنم)
359/15 : القنم والقنم : الغبار وحكى يعقوب فيه : القتان ، وهو لغة فيه .
(162) التياحه : بياضه المتلألئ .

من شنف (163) الانضر . وأحسن من الوذيلة (164) ؟ الانضر جمع نضر، وهو الذهب . وما أحسن أسرار وجهه ، وأسرة وجهه (165) ! وأنه ليستسقى به الغمام . وأنه لبسام ساعات الوجوم . وأنه لنير الوجه ، بليج الوجه . وما أحسن قسمته ! وهو الوجه (166) . قال :

كأن دنائيرا على قسماتهم وإن كان قد شف الوجوه لقاء

ومن ألفاظ الشعراء : انه لموسوم بالحسن ، غير قطوب ويقولون : هو أحسن من دينار الاعزة ؟ وقال بعض الرجاز (167) :

يا رب رب سالم بارك فيه
أذكرني لما نظرت في فيه
أجرع نور برقت أفاقه
والوجه لما أشرقت نواحيه
دينار صرف في يد تنزيه
والرأس اذ أخذته أدريه
جناح نسر حسن خوافيه

ويقال : رجل طرير : ظاهر الجمال . وهو صير ثبير ، اذا حسنت

- (163) الشنف : القيرط .
(164) الوذيلة : المرأة .
(165) الخطوط التي في الجبين .
(166) البيت في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي 193/2 وشرح المرزوقي 1457 واللسان مادة قسم 383/15 ومعجم الشعراء 332 لحرز بن المكبر الضبي وفي الكامل 80/1 نسب البيت للمكبر .
وفي خلق الانسان للثابت ص 101 نسب لحرث بن محفص المازني . والبيت من غير مزو في المراجع التالية : مقاييس اللغة 86/5 والاشتقاق 62 وشروح سقط الزند 1047 وأضداد ابن الأنباري 107 والمخصص 89/1 وخلق الانسان للأصمعي 179 . وجاء في نظام الغريب ص 10 : القسمة : ما بين الانف والوجنة من الوجه . قال الشاعر :

كأن دنائيرا على قسماتهم إذا الموت للأبطال كان تحاسيا

انظر البيت الاخير في : الحماسة شرح المرزوقي 1764 والمرزباني 304 وزهر الآداب 412/1 .

(167) وردت الأرجوزة في حيون الاخبار المجلد الرابع ص 30 ناقصة ومحرمة وهذا نصها : وقال امرابي يرقص أبنا له :

يا رب مالك بارك فيه بارك لمن يحبه ويدنيه
أذكرني لما نظرت في فيه أجرع نور غربت أواخيه
والوجه لما أشرقت نواحيه دينار حين بيد قبريه

صورته وشارته وهي ثيابه . وهو وسيم قسيم . ومن جيد كلامهم قول ابن هرمة :

انى غرضت الى تناصف وجهها غرض الحب الى الحبيب الغائب (168)
وأحسن منه قول الآخر :

جلبنا كل طرف (169) أعوجى (170)
كعصب البرد أقرح (171) أو بهيم (172)
وسلهبة يزال الطرف عنها تقوت بنان ملجمها الجسيم

قوله : يزل الطرف عنها ، أى لكثرة محاسنها لا يقف الطرف منها على شيء انما يجول . ويقولون : سرج الله وجهه ، أى حسنه . ويقولون : هو : هلال بدا من غمرة وغيوب . ووجهه كمرآة المضر (173) ، « وكمرآة الفريية » (174) . ويقولون للرجل يتزيين به : هو لنا برد

168 راجع البيت في ديوان ابراهيم بن هرمة : صنعة محمد جبار الميديد ص 65 . وهو أيضا في المراجع التالية : تهذيب اصلاح المنطق 128/1 واللسان مادة (غرض ونصف) والكامل 33/1 والفاضل 28 وشرح القصائد السبع الطوال 309 واعداد ابن الانباري 107 ومقاييس اللغة 417/4 وشروح سقط الزند 656 ورغبة الأمل 140/1 واصلاح المنطق 71 والصاحح مادة (نصف) وثمار القلوب 90 والمسلسل 49 .

وانظر ترجمة ابراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) في : الشعر والشعراء 639/2 والاغاني 101/4 والخزانة 203/1 والسمط 398 وتهذيب ابن عساكر 234/2 وطبقات ابن المعتز 20 والموشح 223 وتاريخ بغداد 127/6 والبداية والنهاية 170/10 والنجوم الزاهرة 84/2 . وطبع ديوانه في دمشق والنجد . وتمتاز الطبعة العراقية بزيادات كثيرة .

169 الطرف : الكريم الابوين من الخيل ونحوها .

170 أعوجى : نسبة الى أعوج ، وكان لمالك كندي ، غزا بني سليم يوم علاف ، فهزموه واخذوا أعوج مكان لسليم ثم لبني هلال ، ولهم نتجوه . وأمه سبل بنت بياض ، كانت لبني جمدة ، انظر : انساب الخيل لابن الكلبي ص 21 والنقائض 303/1 والخيل لابي عبيدة ص 66 .

171 من القرحة ، وهي كل بياض كان في جبهته ثم انتقع قبل ان يبلغ المرسن . انظر الخيل ص 109 . وجاء في الكنايات للجرجاني ص 127 : « ومن شيات الوجه : اذا كان في جبهته بياض كالدرهم أو أقل فهو أقرح فان زاد عليه فهو أغر فان دقت القرحة قيل : أقرح خفي » .

172 البهيم : هو الذي لا شية فيه ، والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس . انظر الخيل ص 108 .

173 المضر : ذات الضرائر .

174 من امثال العرب (انقى من مرآة الفريية) ، وهي التي تتزوج في غير قومها ، فهي تجلو مرآتها ابدا ، لئلا يخفى عليها من وجهها شيء . انظر : جمهرة الامثال 316/2 والميداني 207/2 والمتقصى 160 . ومن امثالهم أيضا : « أوضح من مرآة الفريية » . انظر : جمهرة الامثال 351/2 والميداني 226/2 والمستقصى 172 .

جميل (175). وقال :

وكننت لنا جبلا معقلا وعند المقامة بردا جميلا

ويقولون : هو حسن الخبر والسبر (176) ، أى ناعم . وهو ذو طلاوة .
قال أبو زياد : وقفت على ناس من بنى عامر بالبادية ، فقال بعضهم وقد
سمع كلامي : أما اللسان فبدوى ، وأما السنح فحضري . والسنح :
الهيئة (177) . قال ابن الأعرابي ، قالت لى أم هاشم السلولية : انه ليمجبنى
سنحك ووضحك ، قلت : وما سنحي ؟ قالت : هيئتك . قلت : وما وضحي
تالت : ما بدا من وجهك .

باب في العبوس (178) والتبجح

يقال : انه لعبس ، قطوب . وقد قطب ، اذا جمع بين عينيه (179) .
ومنه قولهم : قطب الشراب ، اذا جمع بينه وبين الماء مزجا . وان في وجهه
مورما ، مهبجا .
لابلاسا (180) ، وانه لاسحم (181) الوجه ، وأصبح فلان مسخد (182)
الوجه ، مورما ، مهبجا (183) . وهو جهم الوجه ، فان كان ذلك عارضا من
غضب قلت : تربد وجهه ، وترمد ، وكأنما سفى (184) في وجهه الرماد (185)
وكانما طلى وجهه بتنوم (186) ، وحمم (187) ، كل ذلك اذا اسود وتغير ؟

175 البيت لعبيد بن ثور الهلالي وهو في ديوانه ص 120 والبيت له ايضا في
الاشباه والنظائر للخالدين 343/2 . وانظر ترجمة حميد (ت نحو 30 هـ)
في : الاصابة 39/2 والاستيعاب 141 واسد الغابة 53/2 وطبقات الشعراء
193 والافاني 97/4 ومعجم الادباء 153/4 والمعني 177/1 واللاله 376
والشعر والشعراء 349 وتهذيب ابن مسافر 456/4 وشرح شواهد المغني
للسيوطي 73 وحسن الاصابة 92 ومقدمة ديوانه صنعة عبد العزيز الميني
والاعلام 318/2 .

176 الخبر : الجمال . السبر : الهيئة .
177 راجع النص في الصحاح مادة (سبر) 675/2 وفي اللسان مادة (سبر) .
* راجع باب القطوف في تهذيب الالفاظ ص 441 وباب أجناس العباس في
الالفاظ الكتابية ص 231 .

178 الذي في المعاجم : العبوس (بضم العين) . وربما قصد العبوس : اي العباس .
179 انظر المتعابيس 104/5 .

180 الابلاس : الانتكاس والحزن والياس والتعير .
181 اسحم : اسود .

182 مسخد : مورم مصغر ثقيل من مرض او غيره .
183 هبج وجه الرجل : انتفخ وتقبض ، وتهيج : تورم .

184 سفى التراب : تفرى وتبدد .
185 الرماد : في الاصل الرماد (بفتح الدال) .

186 التنوم : نبات فيه سواد ، وفي الاصل بفتح التاء والنون .
187 الحمم : الرماد والفعم .

واند تمر وجهه (188) ، وكأنما فنى ، فى وجهه حب الحماض ، وصار وجهه كالصرف (189) ، وذلك اذا غضب فاحمر وجهه . ورجل كره الوجه ، وبسر الوجه (190) . وقد كلح كلوحا ، وبسر بسورا ، وتبسر فى عيني ، أى كزعت مرآته (191) . وانزوى ما بين عيني ، أى تقبض .

باب الفرح والسرور

يقال : سر ، وجذل ، وبلج ، وخبر . قال قطرب : يقال خبره (192) الله ، أى نعمه . ومثالت امرأة من العرب :

على ابنتي مجل صوت ناع أصمى فلا آب محبوبا يريد ناعهما

وقد ابتهج به ، وبجح به : أى فرح ، وبجح أيضا وفى حديث أم زرع : « وبجحنى فبجحت » (193) ؟ وقال الزاعى (194) :

وما الفقر من أرض العشيرة سائنا اليك ، ولكنا بقرباك نبجح

- (188) تمر وجهه : تغير وملته صفرة أو زالت نضارته .
 (189) فى الأصل : يفتح الصاد ، وهو خطأ . والصرف : صبغ احمر يدبغ به الاديم .
 (190) وجه بسر : أى ياسر وهو المقطب .
 (191) مرآته : منظره .
 (192) فى الأصل : خبره بالتحديد . والصواب ما اثبتناه .
 (193) حديث متفق عليه من عائشة — رض — وفيه : « وبجحنى فبجحت الى نفسى » . رواه البخاري (كتاب النكاح — باب حسن المعاشرة مع الأهل 35/7) . ورواه مسلم فى (فضائل الصحابة 4/1899 رقم الحديث 2448) . وانظر الحديث النبوي الشريف فى المجمل لابن فارس 55 وروايته فيه موافقة لرواية المتخير . وهو فى المقاييس مادة بجح 1/198 وفى اللسان مادة (بججج) .
 (194) عبيد بن حصين بن معاوية النيمري (ت 90 هـ) . والبيت المتقدم لا وجود له فى (شعر الرامى النيمري واخباره) — جمع وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الحائى ومراجعة هز الدين التتوخي . وارجح أنه من تصيدة الزاهي التي مدح بها بشر بن مروان وأولها :
 أمي أثر الأظفان عينك تلمح نعم لات هنا ان قلبك متبح
 وقد اثبت الحائى منها سبعة أبيات فى قطعتين منفصلتين دون ان يلتفت الى انهما من تصيدة واحدة . والبيت فى المجلد ص 55 منسوباً للرامي ، وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . وهو أيضا فى المقاييس 1/198 وزهر الآداب 1/267 واللسان مادة بجح . وروايته فى المقاييس وزهر الآداب : فما . وفى زهر الآداب : ننجح . وفى المقاييس : نبجح (يفتح الباء) . وفى اللسان : من : من وانظر ترجمة الرامى فى : الأغاني 20/168 والمؤتلف 122 والخزانة 1/502 وطبقات ابن سلام 117 والسيط 49 والشعر والشعراء 1/327 ونسب قريش والتبريزي 1/146 ورغبة الأمل 1/146 ثم 3/144 ثم 6/139 وحجاسته ابن الفجري 129 — 188 — 191 والنقائض فى مواضع متفرقة و الاعلام 4/340 .

باب الكآبة والحزن والوجوم *

يقال : رأيته واجما ، وقد وجم يجم ، ورأيته يخطط في الارض ، ورأيته
يعد الحصى . قال

ظللت ردائي فوق رأسى قاعدا أعد الحصى ما تنتقضى عبراتي (195)
وقال النابغة :

يخططن بالعيدان في كل مقعد ويخبآن رمان الثدى النواهد (196)

وفي شعر معقل الهذلي (197) : منكسة تخطط في التراب
ويقال : لآعه الحزن . قال متمم (198) :

فقلت لها طول الاسى اذ سألتنى ولوعة حزن يترك الوجه أسفعا
ويقال : شفه (199) ، ولعجه (200) ، ووقذه (201) ، وحمز
صدره (202) ، وملا ذرعه .

باب السخاء **

(195) البيت بنصه لأمريء القيس في ديوانه من 73 طبعة حسن السندوبسي -
القاهرة وهو بنصه أيضا في الصفحة 78 من الديوان - طبعة دار المعارف
ببصر - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ورواية السكري : « ما تنجلي
ميراثي » ، انظر من 396 من طبعة دار المعارف . وفي الاصل : رداى .
* راجع باب الحزن في تهذيب الالفاظ من 619 وباب الحزن والامتعاض في
الالفاظ الكتابية من 149 .

(196) البيت بنصه للنابغة الذبياني في ديوانه من 169 - تحقيق الدكتور شكري
نيسل .

(197) هو معقل بن خويلد بن وائلة . وانظر شعره وترجمته في ديوان الهذليين
66/3 - 72 .

(198) هو متمم بن نويرة اليربومي ، والبيت في المفضلية 67 ، انظر المفضليات
- تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - الطبعة الرابعة
من 268 . وفيها . يترك : تترك . والبيت أيضا في جبهة اشعار العرب من
749 تحقيق علي محمد البجاوي . وهو أيضا في كتاب - مالك ومتمم ابنا
نويرة اليربومي - لابشام مرهون الصغار من 114 . وقد سبقت ترجمته .

(199) شفه المرغى أو الهم : أوهنه .
(200) لعج الحزن مؤاده : استحر في قلبه . واللحج : كل محرق . الم . الضرب .
الحرقة .

(201) وقذه : صرعه ، أو ضربه شديدا حتى أشرف على الموت .

** راجع باب السخاء في تهذيب الالفاظ من 201 وباب السخاء في الالفاظ
الكتابية من 94 وباب النوال والصلة من 44 .

(202) حمز صدره : أي قبضه وقبضه .

ويقولون :

هو صبير (203) ينضح السمي (204) ، ويعلو (205) سواف المجد

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه . وفلان يتخرق في الجود . وقد لبس المجد أحسن ملابس . وينشدون :

وأبو اليتامى ينبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب (206)

وانه لندى البنان ، سبط الكف ، طويل اليد ؟ ومن كلامهم : يداه غمامة ، ومن بنانه يجرى الماء في العود . وانه لغيث ، ونوء من الأنواء . قال زهير (207) :

وأبيض فياض (208) يداه غمامة على معتقيه ما تغب نوافله (209)

ويقولون : كنه خلف من المطر . قال جرير :

إذا لئرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر (210)

(203) الصبير : السحاب الأبيض

(204) السمي : جمع سماء وهو المطر .

(205) في الأصل : (ويعلو) بزيادة الف .

(206) البيت في (نظام الغريب) ص 197 من غير عزو وروايته فيه :

وأبو اليتامى ينبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب

ومكان مكلىء معشاب : إذا تكاثر فيه النبت .

وقبله في نظام الغريب بيت هو :

لمكه الى جنب الخوان اذا غدت نكباء تطلع ثابت الاطناب

(207) البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني يمدح حصن بن حذيفة الفزاري . راجع شرح ديوان زهير — صنعة ثعلب ص 139 . والبيت في ميون الاخبار 341/1 وفي المسائل والاجوبة لابن السيد البطليوسي ص 144 وفي البديع لأسامة منقذ ص 122 .

(208) في الديوان : وأبيض فياض .

وانظر ترجمة زهير (ت 13 ق هـ) في : طبقات الجبحي 52 والشمس والشمراء 76/1 والاغاني 146/9 والخزانة 375/1 والاعلام 87/3 وشرح شواهد المغني 48 ومعاهد التنصيص 327/1 وجمهرة الانساب 25 و 47 وصحيح الاخبار 7/1 .

(209) نوافله : ورواية الأصمعي : نوافله .

(210) البيت بنصه في شرح ديوان جرير ص 274 وهو من قصيدة فيها مبر بن عبد العزيز (رض) .

وكلمة (لنرجو) و (نرجو) : كتبنا في الأصل بالف زائدة .

وانه لسمع ، ند ، موطلا الأكتاف . فنياح نفاح . ففضاض الرداء ، رحب
المجم (211) ، طويل الساعدين ، واسع جيب الكم . قال : وهو يريد ما
اشتمل عليه الجيب ، يعنى نفسه ؟ وذلك كتولهم : طاهر الثوب ، طاهر
الرداء . وفي الفم : هو دبسم الثوب (212) . ويقال : رجل ذو فجر ، اذا كان
يتفجر بالمعروف . قال الشاعر :

فجع أضيافى جميل بن معمر بذى فجر تأوى اليه الارامل (213)
وان فى كفه لمطلبا للغنى . قال (214) :

ففى كفه للغنى مطلب وللرب فى صدره موضع
يريد الملوك (215) مدى جعفر ولا يصنعون الذى يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسمهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع
وهذا كتوله :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا (216)

- (211) المجم : المصدر .
(212) انظر اللسان : مادة (دبسم) .
(213) البيت لأبي خراش الهذلي ، انظر : الاشتقاق 130 وروايته فيه : « فجع
أصحابي » . وجنيل بن معمر من بني جبح وكان من أئم قريش لا يكتم شيئا .
والبيت من قصيدة يرثي فيها أبو خراش ، زهير بن المجوعة . وكان قتله جنيل
ابن معمر يوم حنين . والبيت أيضا فى ديوان الهذليين 148/2 وروايته فيه
كرواية — المتخير — . والفجر : المعروف والجود وانظر ترجمة أبي خراش
الهذلي واسمه خويلد بن مرة وهو صاحب نهشته حية لمات فى زمن عمر
ابن الخطاب (ت نحو 15 هـ) فى : الأغاني 38/21 — 48 والاصابة 464/1
وفرح الشواهد 144 وخزانة البغدادي 213/1 والشعر والشعراء 554
والسبط 216 وديوان الهذليين 116(2) والاعلام 373/2 .
(214) الابيات الاربعة لاشجع بن عمرو السلمي (ت نحو 195 هـ) . انظرها فى :
الأغاني (الثعالة) 155/18 والأوراق قسم أخبار الشعراء ص 83 والبصائر
والفائز 2 قسم 2 ص 762 ومخطوطة الأوائل للمسكري ص 14 والخزانة
143/1 والشعر والشعراء 760 وتهذيب ابن مسكّر 61/3 ومعاهد
التنصيب 62/4 . والاول فى بهجة المجالس ص 465 . مع اختلاف فى الروايات
وانظر ترجمة اشجع السلمي فى : الأغاني 30/17 وتهذيب ابن مسكّر
59/3 ومعاهد التنصيب 62/4 والتبريزي 169/2 . وتاريخ بغداد 45/7
والشعر والشعراء 759 . وخزانة البغدادي 143/1 والموشح 295 والاعلام
332/1 .
(215) فى الأصل : مددا .
(216) البيت متدافع ، نسب لأبي زياد الأعرابي الكلابي فى شرح العباسية للمرزوقي
ص 1592 . وروايته فيه بمائلة لرواية المتخير . والبيت فى خزانة الادب =

ويقولون : هو متصل دقيقات الخير ، أريحي ، وهو يبارى الريح .
وفلان خصيب ، موطن الاكتاف . ومما يشبه الجواد به أن يقال : بحر ،
وربيع مربع ، وخال : وهو الغيم البارقي ، وخضرم : وهو البثر الكثيرة الماء .
ويقال انه لكريم المعتصر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة (217) أن
عوف بن القمعاع (218) على (219) أن ينامر خالد بن
مالك (220) فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر » (221)
وفي هذه المنافرة قال خالد :

« أطعمت حولاً من أكل ، وأعطيت يوماً من سأل » (222) .

- = 119/3 منسوب لأبي زياد الكلابي وروايته مماثلة لرواية المتخير . وقبله :
له نار تشب على بفاع إذا النيران البست القناعا
كما نسب السعد في المطول وصاحب المعاهد في شواهد التلخيص إلى أبي
زياد الأهرابي الكلابي .
وجاء في أوراق الصولي - قسم أخبار الشعراء ص 83 ما خلاصته : أن
البيت لموسى شهوات مولى بني سهم قاله لمعد الله بن جعفر بن أبي طالب
ورويته فيه : ولم يك « أوسع » الفتيان مالا . وقد نقل عنه البغدادي هذا
الكلام وأثبت في خزانته 144/1 .
والبيتان في مخطوطة الاوائل للمسكري ص 14 من غير عزو وروايتهما :
له نار تشب بكل ريح إذا النيران جللت القناعا
وما أن كان أكثرهم سواما ولكن كان أرجبهم ذراما
والبيت في شروح سقط الزند ص 107 من غير عزو وروايته : أرجبهم :
أطولهم . ورواية البيت في البيان والتبيين 145/3 من غير عزو
وما أن كان أكثرهم سواما ولكن كان أطولهم ذراما
وفي الحيوان 135/5 من غير عزو ، وأورد الروائين .
(217) حاجب بن زرارة : من زعماء تميم يوم جيلة ، أدرك الإسلام ماسلم . وهو
الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم وولى به ، وبه ضرب المثل .
انظر ترجمته في الاصابة 1355 .
(218) هو عوف بن القمعاع بن معبد بن زرارة التميمي . وقد فخر القمعاع بابنه عوف
اذ قال : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل
الانس » . انظر الحيوان 236/6 .
(219) هكذا في الاصلين ، وأرجح أن كلمة قد سقطت من النسخ وهي بمعنى : مزم
أو نحوها ، فاختلت العبارة .
(220) هو خالد بن مالك الدارمي التميمي . انظر ترجمته في الاصابة 272/1 .
(221) جاء في البيان والتبيين 88/3 ما نصه : وقال حاجب بن زرارة : « والله ما
القمعاع برطب فيمصر ولا يابس فيكسر » .
(222) هكذا في الاصلين ، والذي في الاصابة 411/1 رقم 2194 ، أن القمعاع بن
معبد بن زرارة هو الذي نامر خالد بن مالك . وسبب هذه المنافرة : « أن
حاجب بن زرارة كان جالسا مرة وابله تورد عليه فاقبل خالد بن مالك
النهشلي على فرس وفي يده رمح فقال : يا حاجب ، والله لترقصن أو لاطمننك
فقال : تنح مني أيها السفيه . فأبى يبلغ ذلك شيان بن علقمة بن زرارة ،
فقال : أيتهاكم خالد بعني ، والله لأنافرنه . فكلمت بنو تميم حاجبا لمناه
لمتناهر القمعاع بن معبد وخالد بن مالك إلى ربيعة بن حذار الأسدي » .
والذي في الاصابة من وقوع المنافرة بين القمعاع بن معبد وخالد بن مالك ،
يوافق ما جاء في البيان والتبيين 88/3 .

قال الشاعر :

ألم يك رطباً يعصر القوم ماءه وما عوده للكاسرين بيابس (223)

وقال الأعشى (224) :

وجروا على ما عودوا ولكل عيدان عصاره (225)

وقال الآخر :

لو مج عود على قوم عصارته لمج عودك فينا المسك والبان (226)

وقال هشام بن حسان (227) : لا يبعد الله يزيد بن المهلب (228) ، ان كانت السفن لتجري في جوده. وفلان عد من الاعداد. والعد : الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن ألقاظ الشعراء : ينمش المولى ويحتمل الجلى . وفلان

- (223) البيت لرجل من محارب يرثي ابنه ، انظر البيان والتبيين 88/3 .
(224) هو ميمون بن تيس (ت 7 هـ / ، انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 178/1 والافغاني (الساسي) 74/8 ومعجم المرزباني 325 والمؤلف 12 والخزانة 83/1 وشرح شواهد المغني 85 ومماهد التخصيص 196/1 وآداب اللغة 109/1 ورغبة الأمل 70/4 ومصحح الأخبار 12/1 و 244 وجمهرة اشعار العرب 29 و 56 وشعراء النصرانية 357/1 والاعلام 300/8 وطبقات الجمحي في مواضع متفرقة وعده في الطبقة الاولى .
(225) هذا انشاد بداخل ، ورواية ديوان الاعشى الكبير — شرح وتعليق الدكتور محمد حسين — القاهرة ص 161 :

مجرؤا على ما مـودوا ولكل مسادات أماره
والمود يعصر مـاره ولكل ميدان مـاره

- والبيت في اللسان 315/4 وروايته مماثلة لرواية المتخير . وهو في حماسة البهري (ص 219 — ط 2 — تحقيق لويس شيخو — بيسروت 1967) مماثلاً لرواية المتخير . وروايته في المقاييس 342/4 والمخصص 215/1 والاستقاق 269 مماثلة لرواية الديوان .
(226) البيت لحباد مجرد الكوفي ، قاله في محمد بن أبي العباس السفاح ، راجع الشعر والشعراء 665 والبيان والتبيين 89/3 والافغاني (دار الثقافة 358/14 . وانظر ترجمة حباد مجرد في : الشعر والشعراء 663 والافغاني (الثقافة) 304/14 ووفيات الاميان 165/1 والمؤلف 157 وطبقات ابن المعتز 97 وتاريخ بغداد 184/8 ومعجم الادباء 249/10 ولسان الميزان 349/2 والاعلام 302/2 .
(227) هو هشام بن حسان الأزدي ، أبو عبد الله ، الفردوسي (ت 147 هـ . انظر ترجمته في الاعلام 81/9 وتهذيب التهذيب 34/11 والناج 214/4 وتذكرة الحفاظ 154/1 .
(228) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (ت 102 هـ) . انظر ترجمته في الاعلام 246/9 ووفيات الاميان 264/2 وخزانة البغدادي 105/1 والتبیه والاشراف 277 ورغبة الأمل 189/4 ومعجم ما استمع 950 والبعثوني 52/3 وابن خلدون 64/3 و 69 و 76 وابن الاثير 29/5 والطبري 151/8 وهبة الايام للبديمي 253 — 267 .

يستعذب نغمات السائلين . ومن ألفاظهم : يبسط (229) كفه اذا شنجت كف البخيل . قال ابن السكيت (230) ، ويقال : انه لذو قحم عظام ، أي يتقحم في الامور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحب السرب (231) ، ذلول بالمعروف . الفراء (232) : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل المتطول . قال الفنوي (233) : ما أنول فلانا أي ما أكثر نائله .

باب البخل (234)

يقال : فلان جعد اليديين ، جعد البنان ، يابس الكف . وانه « لا يندى الرضفة » (235) ، وليس يبيض (236) صفاه ، و « لا يبيض (237)

- (229) الطاء مطبوسة في الاصل .
 (230) العبارة في تهذيب الالفاظ ص 203 .
 (231) جاء في المقاييس 156/3 : واسع السرب ، أي الصدر ، قالوا : ويراد به انه بطيء الغضب وانظر تهذيب الالفاظ 203 .
 (232) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الكوفي (ت 207 هـ / . انظر ترجمته في : ارشاد الارب 276/7 ووفيات الاميان 228/2 ومهرست ابن النديم ص 66 وغاية النهاية 371/2 ونزهة الالباء 126 ومراتب النحويين ص 86 ومفتاح السعادة 144/1 والذريعة 39/1 وتهذيب التهذيب 212/11 وتاريخ بغداد 149/14 والاعلام 178/9 . والفتاوى منه الدكتور أحمد مكي الانصاري كتابه : « أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة » .
 (233) الفنوي هذا لم يذكر اسمه . وبالرجوع الى الالفاظ لابن السكيت وجدنا في باب السخاء ص 125 مانعه : « قال كمب بن سعد (الفنوي) :

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

- (قال) وان فلانا ليتنول بالخير ، وما أنول فلانا أي ما أكثر نائله » .
 ثم بالرجوع الى — كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ — وجدنا في هامش الصفحة 204 ما يشير الى ان المخطوطة الجزائرية المحفوظة في مكتبة باريس قد ذكرت في متن ابن السكيت ما نصه : « قال الفنوي : وما أنسول فلانا أي ما أكثر نائله » . وبهذا يكون نص متخير الالفاظ موافقا لنص ابن السكيت ، كما تتكشف هوية الفنوي المذكور والله اعلم .
 وكمب بن سعد الفنوي شاعر جاهلي (ت نحو 10 ق هـ) . انظر ترجمته في الاعلام 82/6 والتيجان 26 والحيوان — طبعة الحلبي — 56/3 ومجالس ثعلب 140 والجمعي 169 و 176 وسبط اللالي 771 وخزانة البغدادي 621/3 ومختارات ابن الشجري 25 والمزباني 341 وشعر النصارية وجمهرة اشعار العرب 133 وشرح شواهد المغني 236 ومعجم ما استعجم للبكري 877 ورغبة الامل 101/6 وكشف الظنون 808 .
 (234) راجع في تهذيب الالفاظ باب الشح 69 وفي الالفاظ الكتابية باب البخل 96 .
 (235) رواية المثل في جمهرة الامثال : « ما يندى الرضفة » 276/2 . وفي الميداني 275/2 « ما عنده ما يندى الرضفة » وهو في الاساس مادة (رصف) .
 (236) يبيض : ينشغ منه الماء .
 (237) رواية المثل في جمهرة الامثال 276/2 : « ما يبيض حجره » ، وانظر المثل في : المستقصى ص 305 واللسان مادة (بفض) والميداني 229/2 والالفاظ الكتابية 96 ومعنى المثل : ما يخرج منه خيسر .

حجره « ، ولا تندى صفاء ، وهو كدية (238) لا تحفر ، وهو مجدوف
البنان (239) . قال بعض العلماء : ما يندى الرضفة ، هو أن يعمد الى
كرش فيملا من الوذر ثم تحمي الحجارة فتلقى فيها حتى تنضج ما في
الكرش وهي المرضوفة (240) . قال الكميت (241) :

ومرضوفة لم تون في الطبخ طاهيا عجلت آلى محورها حين غرغرا

فمعنى الكلام : انه ليس عنده من الخير ما يندى هذه الحجارة .
ويقال : هو جماد برم ، البرم : الذي لا يأخذ النصيب من الجزور مع
القوم . وزعموا ان امرأة نظرت الى زوجها وهو يأكل بضعتين قد قرن
بينهما فقالت : « أبرما قرونا » (242) . ويقال للبخيل : هو زرم بكى . والبكى :
من بكؤت الشاة اذا انقطع لبنها . وهو مكد ، صلود ، أى يابس . قال : (243)
ومطير اليديين للحمد والمجد اذا ضن كل جيس صلود ، وأصلد الرجل :
بخل . وقال قطرب ، ويقولون فى مثا لهم : « فى الحجر أمت لافيه » (244)
الامت : اللين . أى : فى الحجر مغمز ومدخل لا فى هذا الرجل . وبفلان

(238) الكدية : الأرض الصلبة الغليظة .

(239) أى تصير البنان .

(240) ورد فى تهذيب اللفاظ ص 75 : « الأصمى : ما يندى الرضفة ، أى ما
يخرج منه من البيل بقدر ما يبل الرضفة وهو حجر يحمى » .
وقد اثبت ابن سيده فى المخصص 13/3 نصا . والوذر : قطع اللحم مفردا :
وثره وكذلك البضعة .

(241) هو الكميت بن زيد الأسدي (ت 126 هـ) والبيت فى الجزء الاول من ديوانه
ص 199 — تحقيق داود سلوم . وهو أيضا فى المعاني الكبير 367/1
ومتايبس اللغة 401/2 والصاحح 640/2 واللسان 220/4 والعاموس
المحيط 325/2 والتاج 164/3 . وانظر ترجمة الكميت فى : البيان والتبيين 22/1
والحيوان 55/5 والشعر والشعراء 485/2 والافغانى (بولاق) 113/15
(والساسى) 108/15 وجمهرة اشعار العرب 187 والموشح 302 وشرح
شواهد المغنى 13 وخزانة الادب 69/1 و 86 وديوان الاخطل 26 وبروكلمان
242/1 والمؤلف والمختلف 257 وطبقات الشعراء 163 ، 168 — 169
والكائرة للطبائسى 33 والاللى 12/11 والمعاهد 93/3 — 107 والمعنى
534/1 و 429/2 وامالى الزجاجى 137 .

(242) يضرب مثلا فى البخيل الشره الى ما هو فوق حقه ، انظر المثل فى : جمهرة
الامثال 220/2 والميداني 135/2 والمستقصى 119 واللسان مادة (برم)
وعيون الاخبار 203/3 .

(243) ما بعدها بيت مدور ، متصل الصدر بالعجز .

(244) لم أجد فيها رجعت اليه من كتب الامثال ، وتريب منه قولهم : « ما فى الحجر
مبقى ولا عند فلان » . يضرب مثلا مند توكيد اللوم وقلة الخير ، ومبقى
بمعنى مطلب . انظر جمهرة الامثال 251/2 والميداني 287/2 رقم المثل
3920 . وورد فى اللسان 309/2 مادة (امت) ما نصه : قال سيبويه ،
وقالوا : أمت فى الحجر لا نيك ، ومعناه ابقاك الله بعد فناء الحجارة » . وهو
بمعنى من معنى المثل المذكور فى المتخير .

مساك ، أى بخل . وهو حصور شحيح (245) . ومن ألفاظ الشعراء :
خلجات البخل . قال أبو دهب (246) :

ولو كان ما تعطى رياء تشبثت به خلجات البخل يجذبته جذبا
ولكنها تبغى به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا
فنعم ابن عم القوم في ذات ماله اذا كان بعض القوم في ماله كلبا (247)

ففى الابيات : خلجات البخل ، وذات ماله . ويقولون : « لثيم
راضع » (248) والآنوح : الذى يزحر اذا سئل . والازوح : المتقبض .
وفلان لثيم أعقد (249) ، زمر المروءة (250) . وعطية جذماء . قال :

(245) انظر الالفاظ الكتابية ص 96 .
(246) هو وهب بن زمعه الجبى (ت 63 هـ) ، انظر ترجمته في: الشعر والشعراء
512/2 والمؤتلك 168 والاغاني 114/7 - 145 والموشح 298 واما
المرتضى 1/ 79 والمعنى 141/1 وسبط اللالي 88/3 ومواضع متفرقة
من الحيوان ج 6 و 7 ودائرة معارف البستاني 299/4 . وقد نشر المستشرق
لريتر كرنكو ديوانه في مجلة الجمعية الاسيوية الملكية - لندن - عدد
اكتوبر سنة 1910 من ص 1017 - 1077 ، تحت عنوان « شعر ابي دهب
الجبى واخباره » عن نسخة خطية قديمة مؤرخة في 484 هـ مضيئا اليها ما
عثر عليه من شعره في بعض المراجع .
(247) الابيات لابي دهب في مدح ابن الازرق ، وروايتها في (شعر ابي دهب
الجبى واخباره) ص 1058 :

ما كنت الا رحمة الله أرسلت لهلكى قريش لا بخيلا ولا خبا
فلو كان ما تعطى رياء تنازعت به خلجات البخل تجذبته جذبا
ولكنها تبغى به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا

والبيتان الاول والثاني لابي دهب في اشباه ونظائر الخالدين 225/2 ورواية
الاول ليه :

فلو كنت ما تعطى رياء تنازعت به خلجات البخل يجذبته جذبا

والبيتان الاول والثاني لحاتم الطائي في ديوانه - طبعة دار الكتاب العربي
ص 28 وروايتها ليه :

فلو كان ما يعطى رياء لامسكت به جنبات اللوم يجذبته جذبا
ولكنها يبغى به الله وحده فاعط ، لقد أربحت في البيعة الكسبا

(248) الراضع الذى رضع اللوم من ثدي أمه ، يريد انه ولد في اللوم . والذي عليه
أكثر أهل اللغة أن الراضع هو الذى يرضع من الناقة والشاء من خلفها ولا
يحلب في أثناء اللها ينمى الصوت فتطلبه الضيغان .
انظر المثل في الماخر ص 42 وتهذيب الالفاظ 75 واللسان مادة (رضع) .

(249) أي ليس بسهل الخلق .
(250) أي صغير المروءة . واصل الزمر : قلة الصوف وقلة الريش .

ومن العطية ما ترى جفء ليس لها بذاره (251)
حجر تقلبه وهل تعطى على المدح الحجارة

ومن ألفاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره (252) .

باب الشجاعة (253)

يقال : هو شجاع بهمة . قال أبو زيد : لانه بهيم لا موضع فيه للجبن ؟
وبطل ، لانه يبطل الأقران ، وصمة ، لانه يصمم ولا يثنى . وأشوس ،
يعرف الغضب في عينيه وحاجبيه من تشاوسه . وأصمر ، قد أمال عنقه
غضبا . وكفى ، والبئيس ، وهو الذى اذا ثبت لم يبرح . وأيهم ، وهو مشبه
بالسيل ، وحمس ، وليث ، وعضب ، ومقدام بئيس ، مغوار ، باسل ،
مشيح ، أحوس ، أحمس ، محرب ، مشيح ، لزاز حرب . وقال
الحجاج (254) ، وذكر المختار (255) فقال : « لله دره ، أى رجل دنيا ،
ومسعر حرب ، ومقارع أعداء كان » . ومن ألفاظ الشعراء : هو برود
المضجع ، تقيل على عدوه . « عنيف على قرنه محطم ، يشذب بالسيف

(251) الببتان لأبي دهيل الجعفي من تصيدته التي مدح فيها عبارة بن عمرو بن حزم

عادل عبد الله بن الزبير على حضر موت ومعرضا بابن الأزرق ، انظرهما في
« شعر أبي دهيل وأخباره » ص 1071 من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية
سنة 1910 — عدد أكتوبر — وهما له في الأغاني — طبعة الثالثة — 125/7
وفيها : بذاره : نزاره والبيت الأول في تهذيب اللغة 428/14 من غير عزو .

والأول فقط في مجالس ثعلب 499/2 من غير عزو .

والأول منهما في اللسان 115/5 من غير عزو .

والثاني منهما في رسائل الجاحظ 342/2 منسوباً لأبي دهيل .

وقد سقطت عبارة « حجر تقلبه » من النسخ فائتتها في الهامش .

(252) اتحم الناسخ عبارة : « ومن ألفاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره » بين بيتي
أبي دهيل ، وحقتها التأخير .

(253) راجع باب الشجاعة من تهذيب الألفاظ ص 168 وباب الشجاعة في الألفاظ
الكتابية 62 .

(254) هو الحجاج بن يوسف الثقفي (40 — 95 هـ / انظر ترجمته في : وميات
الاميان 123/1 ومعجم البلدان 382/8 والمسعودي 103/2 وتهذيب ابن
عساكر 48/4 وتهذيب التهذيب 210/2 وابن الأثير 222/4 والبدء والتاريخ
28/6 والاعلام 175/2 .

(255) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (67/1 هـ) انظر ترجمته في : الاصابة
رقم 8547 والفرق بين 31 — 37 وابن الأثير 82/4 والطبري 146/7 وانظر
نهرس طبعة دار المعارف 409/10 والحدود العين 182 ونهار القلوب 70
ومرق الشيعة 23 والمرزباني 408 والاخبار الطوال 242 والذريعة 348/1
ومقتل الحسين ص 98 لأبي مخنف الأزدي والاعلام 70/8 وسير اعلام النبلاء
353/3 وتاريخ الاسلام للذهبي 369/2 ، 372 ، 380 و 70/3 .

أقرانه « (256) .

باب الجبن (257)

هو جبان ، مجوف (258) ، منزوف ، قد نزع عقله جبنا ، ومنخوب
نخب فؤاده ، أى طير ، ورعديد : يرتعد من الفرق . ويراعه ، شبه بالقصبة ،
وبعل ، هو الذى يبعل عند الحرب يدهش ، وكهام يرتد عن المواقعة ،
ومعرد أى مول . قال :

ولا بكهام بزه عن عدوه اذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا (259)
وقد أحجم ، وخام ، وكلل ، وجبأ . قال :

وهل أنا الا مثل سيقه العدى ان استقدمت نحر وان جبأت عقر (260)
وقد عتم فى الحرب ، وحمل فلان فأكذب ، وكذب . ورجل عقر ، اذا
نجاهه الروع فلم يقدر ان يتقدم أو يتأخر .

باب العجلة والاعجال

نقول العرب : سرعان ذا ، ووشكان ذا . وجاء فلان على غشاش ،

256 تسبها بيتين للبريق مياض بن خويلد الهذلي ، من تصيدة له فى ديسان
الهذليين 55/3 — 57 ونصها فى الديوان :

معى صاحب مثل نصل السنان منيف على ترنه مغمم
يشذب بالسيف أقرانه اذا مر ذو اللمة الفيلم

257 ورواية البيت الاول فى بقية اشعار الهذليين : « محطم » مكان « مغمم » .
راجع باب الجبن وضمف القلب ص 176 : تهذيب الالفاظ ، وباب الجبان فى
الالفاظ الكتابية ص 68 .

258 فى الاصل (تحوف) بالحاء المهبللة وفتح الميم ، وهو تصحيف .

259 البيت لمتهم بن نويرة فى رثاء أخيه ، انظر كتاب (مالك ومتهم ابنا نويرة
اليربوعي) ص 108 . ورواية الشطر الاول فى جمهرة اشعار العرب ص
746 — تحقيق على محمد الجاوي : « ولا بكهام ناكل من عدوه » . والكهام :
الكليل . والبز : السلاح ، والبيت فى اللسان مادة (بز) من غير عزو .
والبيت لمتهم فى الفضليات ص 266 وروايته : « ولا بكهام بزه » . والبيت
لمتهم فى العقد الفريد 264/3 وروايته : « ولا بكهام سيفه » . وقد سبقت
ترجمة متهم .

260 البيت فى التاج مادة (ساق) لنصيب بن رباح . وهو فى ديوان نصيب بن رباح
ص 92 . وفى حاشية الصحاح مادة (جبا) 40/1 انه لنصيب بن ابي محجن .
وهو فى المخصص 78/3 من غير عزو وهو فى اللسان مادة (جبا) ومادة
(سوقي) من غير عزو ايضا .

أى على عجلة . ولقد أجهضته عن ذلك الامر ، أى أعجلته . وحفزته . ووجدته مستوفزا (261) ، ومتحفزا ، وعلى عدواء .

باب متخير الفاظهم في المسارع الى الشر

يقال : انه لتيحان (262) في الامور ، أى معترض فيها . والشتيم الفاحش . ويقال للمتسرع اليك : « ان جفرك الى لتهدم » (263) ، « وان حبلك الى لانشوطة » (264) ، وانك لترع الى (265) . ورجل معن متيح : يدخل في كل شيء لا يعنيه (266) . الاصمعي (267) : ان فلانا لنعار في الفتن ، اذا كان سماء فيها . يقال ما وقعت فتنة الا نعر فيها . ونعر الدم ، اذا دفع ، ينعر . وهو عرق نعار . ويقال : انه لدعرة ، اذا كان فيه قاذح وغيوب . ومن ألفاظ الشعراء : انه يجرى اليها غير ذى رسن . والتشخر : التسرع الى الامر ، وهو من : تشخرت الناقة ، اذا أبصرت رعيها فنشطت ، وحركت رأسها مرحا . ومن أمثالهم في الرجل يعجل الى الرجل بالسوء : « استقدمت رحالتك » (268) .

باب النشاط (269)

يقال : هو أشر ، فره . وقد أشر ، وعرض ، وهو من عرص البرق ، اذا كثر لمعانه . ويقال عرص اليهم ، اذا نزا من النشاط . وقد بطر ، ومرح . قال ابن السكيت (270) ، قال أبو تمام الاسدي : « الخجل سوء احتمال الغنى ،

- 261 المستوفز : القاعد قعودا منتصبا دون اطمئنان .
262 التيحان والتيحان والتياح بمعنى .
263 في تهذيب الالفاظ 236 : « ان جفرك الى لهدم » . والجفر : البئر الواسعة لم تطو . وذكر في الاساس مادة جفر 127/1 : ان جفرك الى لهار ، أى شرك الى متسرع . وفي الميداني 65/1 رقم المثل 325 : ان جفرك الى الهدم : قال : يضرب للرجل يسرع الى ما يكرهه .
264 انظر المثل في الميداني 65/1 رقم المثل 326 وانظر (عقده بانشوطة) في الفاخر 123 .
265 انظر تهذيب الالفاظ 236 وفيه : انه لترع اليه ، وقد ترعت اليه أى تسرعت
266 انظر تهذيب الالفاظ 237 والمخصص 71/3 .
267 انظر تهذيب الالفاظ 237 .
268 في جمهرة الامثال 185/1 ورد : « استقدمت رحالته » . يقال للرجل يعجل الى صاحبه بالشتم وسوء القول ، والرحالة بمنزلة السرج ، واذا استقدمت رحالة الفارس مسد ركوبه ، فجعل ذلك مثالا لمن مسد قوله . وانظر المثل في الميداني 123/2 والمستقصى 65 .
269 راجع باب البطر والنشاط في تهذيب الالفاظ 504 وباب التكبر في الالفاظ الكتابية 133 .
270 انظر القول في تهذيب الالفاظ 505 واصلاح المنطق 318 والفاخر 121 وأضداد ابن الانباري 152 .

والدقع سوء احتمال الفقر . ويقال : قميص خجل ، أى فضفاض واسع (271) . قال زيد بن كثوة (272) : « دخلت على الحسن بن سهل (273) ، فكسأني قميصين خجلين » . وان فلانا لذو ميمة .

باب الرجل الراضى باليسير من الطعام

العرب تمدح بقلة الطعام ، وتذم الرغبة . قال أعشى باهلة (274) :

تكيفيه حزة فلذ ان ألم بها من الشواء ويروى شربه الفمر

ويقال : هو قليل الطعام ، زهيد . وهو يقرم قرمان البهمة (275) . وقد خلا على طعام كذا ، اذا لم يأكل غيره . ويقال أتانا بطعام فحططنا فيه ، أى أكثرنا . وخططنا ، أى عفرنا (276) .

- (271) انظر تهذيب الالفاظ 505 ونوادر أبي مسحل 55/1 .
 (272) هو زيد بن كثوة العنبري ، شاعر ورد ذكره في معاجم اللغة مادة « كثو » وفي الحيوان 116/6 . وانظر مقالته هذه في تهذيب الالفاظ 505 .
 (273) وزير المأمون العباسي ووالد (بوران) زوجة المأمون (ت 236 هـ) وهو أخو الفضل بن سهل . وانظر ترجمته في : وميات الاعيان 141/1 وتاريخ بغداد 319/7 وابن الوردي 217/1 والاعلام 207/2 .
 (274) هو عامر بن الحارث ، وقد ورد البيت في كتاب « الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشى الآخرين » ص 268 مع اختلاف يسير فيه . (ويكفي) مكان (ويروي) وانظر ترجمة أمشئ باهلة في : خزائن الادب 90/1 وسميط اللالي 75 والجمحي 169 والاعلام 16/4 . والامدي والاعتقابي 304 وشواهد المغني 86 والمكثرة 16 . والبيت في الاضداد للأنباري ص 421 وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . والبيت في الاشتقاق لابن دريد ص 486 وروايته فيه :

تفنيه حزة فلذ ان ألم بها من الشواء ويروي شربه الفمر

- وروايته في نظام الغريب ص 56 : تكيه ملذة كبد ، والبيت في اصلاح المنطق ص 4 و 85 و 285 . والمعاني الكبير 1109 واضداد السجستاني 147 ومقاييس اللغة 394/4 و 450 وأمالى المرتضى 96/1 واللالى 75 وشرح الحماسة للمرزوقي 402 والالفاظ لابن السكيت 607 والممددة 144/2 وأمالى القالى 16/1 وجمهرة الامثال 122/1 و 487 . وفي اضداد أبي الطيب اللغوي 554/2 : تكيه ملذة لحم . وهو في الصحاح 772/2 مادة (فمر) ، وفي اللسان 336/6 مادة (فمر) وفي شرح نهج البلاغة 850/2 و 509/4 ، وفي الكامل للمبرد 356/1 وفي نوادر أبي مسحل 146/1 وفي الاصمعيات 91 وفي جمهرة اشعار العرب 717 وفي الامتاع والموانسة 200/2 .
 (275) انظر تهذيب الالفاظ 648 .
 (276) جاء في تهذيب الالفاظ 647 : « وأتانا بطعام فحططنا فيه اي أكلنا ، قال أبو مبيدة : أي أكثرنا منه الأكل . وحططنا فيه أي عفرنا » . وقد عد الأنباري في اضراده ص 407 هذه الكلمة من الاضداد اذ قال : « أتانا فلان بطعام فحططنا فيه اذا عفرنا وأكلنا أكلا يسيرا ، وأتانا طعام فحططنا فيه ، اذا أكلنا أكلا كثيرا » .

باب الرغب وكثرة الاكل

يقال : هو سُرط ، اذا كان يلتم لقمًا جيدًا . ويقال : قد سلخ اللقمة ، وبلعها ، وزردھا ، وفي الامثال : « الاكل سلجان ، والقضاء ليان » (277).
يقول : ياكل ما يأخذ من الدين ، فاذا صار الى القضاء لوأه ، أى مطلقه .
والخضم : أكل الشيء الرطب . والقضم : أكل الشيء اليابس (278) .
ورجل بلع . ويقولون :

يلقم لقمًا ويفدى زاده
يرمى بأمثال القطا فؤاده (279)

وهو أكل جروز (280) ، ويقال : شد ما ملأت بطنك ، ودحسته .
ويقال : أوجب فلان أكله ، أى جملة وجبة ، كل يوم مرة . ويقال : خلا فلان على اللبن ، وعلى اللحم ، اذا لم ياكل معه شيئًا . وأخلى أيضا . قال أبو عبيدة : اجتحف (281) الثريد بأصابعه ، وقدم اليه طعام فتخسفه ، اذا لم يبق منه شيئًا . ويقال : هلم نتضح ، أى نتغدى . وحسوت الشيء . وفي الامثال : « أحس وذق » (282) ، « ونوم كحسو الطير » (283) ويقولون

- (277) اللبان : المثل ، والسلجان : سرمة الابتلاع . ويقال ايضا : « الاخذ سلجان والقضاء ليان » راجع جمهرة الامثال 171/1 والمستقصى 298/1 وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص 181 ومجمع الامثال 41/1 رقم المثل 156 وفي هذا المعنى قولهم : « ان اكله لسلجان ، وان قضاه للبان ، وان عدوه لرضمان » ورضمان معناه بطيء . راجع مجمع الامثال 67/1 رقم المثل 339 وانظر اللسان (سلج) وتهذيب الالفاظ 649 .
(278) ورد في مجمع الامثال للميداني 307/2 ما نصه : الخضم : الاكل بجميع النعم ، والقضم : الأكل باطراف الاسنان .
(279) ورد الرجز في مجالس ثعلب 461/2 من غير عزو . وفي اللسان 9/20 انشده ابن الامرابي ومعناه : يبقى زاده ويأكل من مال غيره . وفي الميداني 417/2 اختلط شطر الرجز بمثل يليه لموجب التنبية . قال الميداني معناه : يأكل من مال غيره ويحتفظ بماله .
(280) الجروز : الأكل الذي لا يترك على المائدة شيئًا .
(281) قال المصنف في المقاييس 427/1 : الجيم والحاء والفاء اصل واحد قياسه الذهاب بالشيء مستوعبا . يقال : سبل حجاب اذا جرف كل شيء وذهب به . ويقال اجحف بالشيء اذا ذهب به . وفي المنجد ص 77 : اجحفه : استلبه . استأصله وأهلكه . اجتحف ماء البئر : نزحه ونزله .
(282) يضرب مثلا للشجاعة بالجاني ، ومعناه انك قد جنيت الشر على نفسك فالحق ما فيه البلية . انظر المثل في جمهرة الامثال 124/1 ومجمع الامثال 207/1 .
(283) جاء في المقاييس 58/2 . يقولون : « نوم كحسو الطائر » أي قليل . وفي أساس البلاغة 174/1 : « ويوم ، ونوم كحسو الطائر » . وجاء في اللسان 192/18 : « ويوم كحسو الطير أي تصير . والمرب تقول نمت نومة كحسو الطير اذا نام نوما قليلا » .

في المثل أيضا : « لملها كنت أحسبك الحسا » (284) ويقولون : « أكل من حوت » (285) « وأروى من حوت » (286) . ورجل سريع الأكل ، سريع الإحارة (287) . ويقولون : « أراك بشر ما أحر مشفر » (288) . يضرب للسمين . أى من غذى بغذاء استبان ذلك عليه . ورجل فيه : أكل . ويقولون : ما زلنا في خضد ، وخضم ، وقضم . الخضد : أكل القثا وشبهه . والخضم : للفاكمة . والقضم : لليابس .

باب الجوع (289)

يقال : رجل جائع ، وغرثان . وفي المثل : « غرثان فاربكوا له » (290) وهو طعام يخلط له . وأصل هذا ان رجلا بشر بعلام فقال : ما أصنع به ؟ أكله أم أشربه ؟ فعلمت امرأته انه جائع ، فقالت : غرثان فاربكوا له ، فلما شبع ، قال : « كيف الطلا وأمه ؟؟ » (291) يعنى الصبى وأمه . ورجل ساغب ، وسغبان ، والمسغبة : المجاعة ورجل ضرم . وقد ضرم ضرما . والمسحوت : الجائع . والمسحور (292) : الذى به سعار . ورجل وحش ،

- (284) يراد به : لمل هذا الامر كنت أوثرك بما أوثرك به . وورد المثل في فصل المقال 219 والمستقصى 292 وشروح سقط الزند 640/2 والمقاييس 58/2 وروايته : « لمل ذا كنت أحسبك الحسا » . وهو كذلك في جبهة الامثال 185/2 . وروايته في أساس البلاغة 175/1 : « لملها كنت أحسبك الحسا » .
- (285) لبلعه الاشياء من غير مضغ . انظر المثل في جبهة الامثال 200/1 والمستقصى 6/1 والميداني 86/1 رقم المثل 411 .
- (286) انظر المثل في جبهة الامثال 201/1 و 499 و 31/2 والميداني 315/1
- (287) أي سريع اللقم .
- (288) يضرب مثلا للامر يدل ظاهره على باطنه ، انظر جبهة الامثال 77/1 وفصل المقال 245 والميداني 290/1 والمستقصى 58 واللسان مادة (شفر) .
- (289) راجع باب الجوع في تهذيب الالفاظ 632 وفي الالفاظ الكتابية راجع باب الجوع 78 وباب ترادف الجوعان ص 292 .
- (290) يضرب مثلا للرجل تكلمه وله شأن يشغله منك . انظر جبهة الامثال 82/2 والميداني 56/2 والمستقصى 248 . واللسان والاساس مادة (ربك) . ويروي المثل : غرثان مابكلوا له « . انظر الاشتقاق لابن دريد ص 429 و 534 . وبكلت الشيء أبكله بكلا ، اذا خلطته ، نحو الأقط بالسمن وغيره . وورد المثل بصيغة أخرى في كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ص 474 ونصه : « وحدثني المازني قال ، قال الكسائي : ولدت أعرابيكة وزوجها غائب ، فلما قدم قالوا له : ليهنك الفارس ! فقال : والله ما أدري : أكله أم أشربه ؟ فقيل ذلك لامرأته فقالت : جائع فاربكوا له » .
- وزوج الأعرابية الغائب هو ابن لسان الحمرة . وهذه المثل شبيهة بالمثل القائل : « فغبان لم تؤدم له البكيه » . والريكة والبكيه واللبكة شيء واحد . انظر الميداني 60/2 رقم 2678 .
- (291) المثل في الميداني 164/2 رقم المثل 3179 : قال الاصمعي : يضرب لمن قد ذهب همه وخلا لسانه .
- (292) السعار : شدة الجوع .

وقد أوحش ، وهو من قوم أوحاش ، أى جياح . ويقال : بقتنا الوحش .
وبقتنا القواء ، إذا لم يكن عندهم طعام . وقد أئوى القوم ، وأرملوا ، إذا نفذ
زادهم . والمخمصة : المجاعة . والطوى : ضمير البطن من الجوع . ورجل
طيان ، وبه سمر ، أى شهوة وجوع .

باب حسن المواتاة والذل (293)

يقال : هو ذلول بين الذل . وهو بعمير قيد ، إذا كان ذلولاً ينساق . يقال :
اجعل فى أول قطارك بعميرا قيداً تتبعه الأبل . وبعمير مديث ، إذا ذل بعض
التذليل ولم يستحكم . وديث فلان من صولة فلان ، إذا لين منها . وهو بعمير
مصحب ، منقاد . وجاءوا على صعب وذلول . قال أبو عمرو : وركبوا ذل
الطريق ، وهو ما قد وطئ منه . ويقال : «أمور جارية على اذلالها» (294)
أو على مجاريها .

باب الغضب (295)

يقال : غضب غضبا ، وعبد عبداً (296) ، واستأرب عليه غضبه (297) ،
وحمز صدره ، ووغر (298) . وقد «ثار ثأثره» (299) ، وهاج
هائج (300) . وبين القوم مثرة ، ونائرة (301) . وقد تفاحش ما بينهم ،
وتدابروا . وقد انصدع ما بينهم . وفى صدره عليه غضب (302) ، وغلة ، وغليل .
وقلان يقدر على فلان سحره (303) . وهو يحرق عليك الأرم (304) . ويقال
للمغضب أن إذا غضب واحتد : هو ذو طيرة ، وذو سورة ، وذو بادرة . وقد

- (293) راجع باب الذل وهو ضد الصموبة فى تهذيب الالفاظ 621 وراجع فى الالفاظ
الكتابية باب الانقياد ص 30 .
(294) من امثال الميداني 1/174 : اجر الامور على اذلالها . اي على وجوها التي
تصلح وتسهل وتيسر ، ويقال : جاء به على اذلاله ، اي على وجهه ، ويقال :
دعه على اذلاله : اي على حاله .
(295) راجع فى تهذيب الالفاظ باب الغضب والحدة والعداوة ص 78 ، وفى الالفاظ
الكتابية باب الغيظ ص 19 وباب اظهار العداوة ص 48 .
(296) راجع تهذيب الالفاظ 85 .
(297) راجع نواذر ابي مسهل 1/103 .
(298) وغر صدره على فلان : توقد عليه من الغيظ .
(299) اي هاج ما كان من مادته ان يهيج منه . انظر المثل فى الميداني 1/154 رقم
المثل 785 .
(300) راجع تهذيب الالفاظ 82 .
(301) راجع تهذيب الالفاظ 87 .
(302) الغضب : الحقد الخفي .
(303) السحر : الرنة .
(304) راجع تهذيب الالفاظ 81 . والارم : الاسنان .

أرى على صدرك . ويقال ضد ، وحرد ، وحرب . وحربته فحرب (305). واضطرم ، وتضرم ، واحتدم ، ونغر ينغر (306). والتثق : المكن غضبا . يقولون : « انا تثق وصاحبي متق ، فكيف نتفق » (307) ؟ ا . التثق : ان حركته تفجر والمثق : المغتاط السريع البكاء . فلا يكون بين هذين أبدا هدفة (308) ولا سكون . وفلان حامى الحميا ، اذا غضب حمى . والحميا : شدة الغضب . وحميا الكاس : سورتها . ويقال : هو ينفط (309) غضبا ؟

وقد شرى ، اذا تبادى وتتابع في غضبه ، وهو من : شرى البرق ، يشرى ، اذا كثر لمعانه (310). وانشد :

وقد جمل الرك الضعيف يسيلنى اليك ويشريك القليل فتقلق (311)

وقد تلظى ، وتلهب ، واستحصد عليه ، اذا تفتل عليه غضبا . واستحصد حبله (312) ، اذا غضب ، واستشاط عليه ، اذا تلهب وطار به الغضب . « وهو يتميز من الغيظ ، أى يتقطع . واربد الرجل ، اذا انتفخ وجهه من الغضب . واستغرب فى الحدة ، اذا مضى فيها . ويقال : أخذه قل من الغضب كأنه يستقل من موضعه . وقد احتمل اذا غضب » (313). قال ابن السكيت (314) : شالت نعامة فلان ثم سكن ، وذلك اذا غضب . واذا خف القوم من منزلهم قيل : شالت نعامتهم . يقال : اسف

(305) راجع تهذيب الالفاظ 78 .

(306) ورد فى تهذيب الالفاظ 79 : هو ينغر عليه اذا غلا عليه من الغضب .

(307) يضرب مثلا لسوء الموافقة فى الاخلاق . انظر المثل فى : جبهة الامثال 106/1 والميداني والمستقصى 156 واللسان مادة (تاق ، ماق) والاساس (تاق) والكامل للبرد 137/1 وخلق الانسان لثابت ص 4 و تهذيب الالفاظ 79 باختلاف فى الرواية .

(308) هكذا فى الاصلين ، والهدفة : الجماعة من الناس والبيوت يقيمون ويظعنون جميعها هدف . والمعنى : لا يكون بينهما اجتماع ولا هدوء . قلت : ولعل الصواب : هدنة (بالنون) .

(309) فى تهذيب الالفاظ 79 : انه لينفط غضبا .

(310) راجع تهذيب الالفاظ 79 .

(311) البيت فى اللسان 317/12 من غير مزو وانشده ابن الاعرابي ، وروايته : (متعلق) مكان (متعلق) . والرك : المطر الضعيف . ومعنى البيت : انه اذا اناك عنى شيء قليل غضبت وانا كذلك لميتى نتفق ؟

(312) فى الاصلين : استحصد عليه ، وهو تكرار لا وجه له ، والتصويب عن التهذيب 79 .

(313) ما بين الاتواس « منقول من تهذيب الالفاظ 80 . والقل : الرعدة .

(314) راجع تهذيب الالفاظ 81 .

عليه (315). قال أبو عبيدة (316) : فلان يكسر عليك الأرعاض . للذي يفتناظ على الرجل ويتوعدة . والأرعاض واحدها رعض ، وهو الذي يدخل سنخ نصل السهم فيه (317) . وقد احتفظته احتفاظا ، اذا اغضبته . قال ابن السكيت (318) : والسدم غضب مع غم ، ولذلك قولهم : « نـسـادم سادم » (319). ورجل فيه غم ، اذا كانت فيه حدة. قال أبو عبيدة (302): هذا غضب مطر ، أى جاء من أطرار الأرض لا أعرفه . قال الأصمعي : غضب مطر أى جاء من أطرار الأرض أعرقه ، قال الأصمعي : غضب مطر : فيه ادلال (321) . قال الحطيئة :

غضبتهم علينا ان قتلنا بخالد بنى مالك ها ان ذا غضب مطر (322)
ويقولون : لوى فلان عنا عذاره اذا غضب وأعرض . ويقولون : حرك خشاشه فغضب (323) .

(315) أي غضب .
(316) أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ت 209 هـ) انظر ترجمته في : وفيات الاعيان 105/2 دارشاد الاريب 164/7 وتذكرة الحفاظ 338/1 وبغية الوعاة 294/2 وأخبار النحويين البصريين ص 67 وتاريخ بغداد 252/13 وطبقات النحويين واللغويين 192 وتهذيب التهذيب 246/1 ونزهة الألباء 104 ومفتاح السعادة 93/1 والفلاحة والملوكون 75 وانباء السرواة 276/3 وشرحا النية العراقي 231/2 والاعلام 191/8 وميزان الاعتدال 189/3 والمعقبة والبررة (ضمن نواذر المحفوظات / 329/2 ومجاز القرآن : مقدمة الجزء الاول ، ومراتب النحويين 46/44 وتاريخ ابن الأثير 208/5 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات 210) وتاريخ ابن اللدا 28/2 وتقريب التهذيب 266/2 وتهذيب الاسماء واللفات 260/2 وشذرات الذهب 24/2 والمير 359/1 والمهرست 53 والمزهر 2 ، 403/2 — 462 والمعارف 543 ومراة الجنان 44/2 ومجمع المطبوعات 322 ومجمع المؤلفين 309/12 والنجوم الزاهرة 184/2 وهدية المارفين 466/2 وإشارة التبيين الورقة 54 وتلخيص ابن مكنون 346 وميون التواريخ (وفيات 210) وكشف الظنون وإيفساح المكنون في مواضع متعددة وروضات الجنات 725 ونور التبيين المختصر من المقتبس 109 — 124 وطبقات المسرين الورقة 319 و 320 وطبقات ابن قاضي شعبة الورقة 255 و 256 .

(317) انظر النص في تهذيب الالفاظ 81 .
(318) انظر النص في تهذيب الالفاظ 84 .
(319) انظر المثل في الفاخر 37 . والسادم : المتغير العقل من الغم . وقيل المتحير الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيئا كانه ممنوع من ذلك .
(320) انظر تهذيب الالفاظ 85 .
(321) غضب مطر : أي غضب لا يدري من أين جاء ، أو الغضب في غير موضعه .
(322) البيت بنصه في ديوان الحطيئة — تحقيق نعمان أمين طه 302 وهو في اللسان مادة (طرر) 172/6 وفي المقاييس 409/3 ونواذر أبي زيد 96 وروايته في اصلاح المنطق 288 :

غضبتهم علينا أن قتلنا بمالك بنى عامر ها ان ذا غضب مطر
ومجز البيت في مجالس ثعلب .

(323) الخشاش : خشبة تدخل في عظم انف البعير .

باب الرضى وفتور الغضب (324)

يقال : باخ (325) غضبه ، وفثا (326) وانفث غضبه ، وتحلل أسره (327) ، « وتحالت عقده » (328) وتخرم زنده ، وسكت غضبه . ومن كلامهم للرجل الغضبان اذا احبوا سكون غضبه : فشاش فشيه (329) من قولك فششت السقاء ، اذا عصرته حتى يخرج ريحه . قال ابن السكيت (330) ، يقال للرجل اذا فتر غضبه : قد تسبخ تسبشا . واللهم سبخ عنى الحمى ، أى خففها . وقد طنى غضبه ، وتسرى ، وسرى عنه .

باب العداوة (331)

قال ابن السكيت (332) عدو أزرق وعدو أسود الكبد (333) ، أى قد احترق جوفه من الشر . وان فى صدره لدحنة ، ودمنة ، وضبا ، ووغرة . وأصله من وغره الحر . وان فى صدره لضفنا ، وغمرا ، وغلا . وبينهما نائرة أى عداوة (334) . وقد شاحنه مشاحنة ، من الشحاء . ولفلان عند فلان دخل ، ووتر ، وطائلة ، وقبل ، وقد شنف له شنفا ، اذا أبغضه . وفى فلان سورة ، أى حدة . ويقال للرجل الحديد : « ملحه على ركبته » (335) .

باب الحرص والجشع وكثرة الأكل (336)

يقال : هو حريص ، جشع ، شره ، طبع . الطبع : اللئيم الأخلاق .

- (324) راجع خاتمة باب الغضب والحدة والعداوة فى تهذيب الالفاظ 89 .
(325) باخ : سكن .
(226) فثا : انكشف منه .
(327) أسره : شده وعصبه .
(328) يضرب مثلا للغضبان يسكن غضبه . انظر المثل فى الميداني 146/1 رقم المثل 741 .
(329) انظر المثل فى الميداني 78/2 رقم المثل 2764 وتنتمت : من استه الى فيه .
(330) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 89 وقد أورده ابن فارس بتصرف .
(331) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الغضب والحدة والعداوة 78 وفى الالفاظ الكتابية : باب الفيظ 19 وباب اظهار العداوة 48 .
(332) عدو أزرق : شديد العداوة . وانظر النص فى تهذيب الالفاظ 87 .
(333) من امثال الميداني : « هو أزرق العين ، وهو أسود الكبد » . يضرب مثلا فى الاستشهاد على البغض . انظر مجمع الامثال 385/2 رقم المثل 3475 .
(334) ما بين قوسين « » منقول باختصار عن تهذيب الالفاظ 88 .
(335) يضرب مثلا للرجل الذي يفضيه أدنى شيء . انظر المثل فى جمهرة الامثال 232/2 والفاخر 12 والميداني 269/2 وتهذيب الالفاظ 88 ولسان العرب مادة (ملح) والاساس 398/2 وامالي القالي 138/1 .
(336) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الشره والحرص والسؤال 253 وفى الالفاظ الكتابية : باب الطمع 42 .

والبطن : الذى همه بطنه . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحصرص عليه (337) . والواغل : الذى يأكل مع القوم ويشرب ولم يدع . يقال : وغل : وغل يغل . قال ابن السكيت (338) : ولبنى أسد مثل فى الأكل ، يقال : « هو أكل من ردامة » (339) وزعموا انه حلب ثلاثين لقة فشرب لبنها .

باب الكبر والزهو (340)

يقال : زهى (341) فهو مزهو . وشمخ بانفه (342) وبلخ ، وقد تأبعت نفسه . وهو أشوش ، وأصور (343) ، وأصيد . وجاء يريس (344) ، ويتذيل ، ويفيد . وهو جبار ذو خيلاء .

باب التخلف

يقال : قد سبق فلان الى الخير . وما هم الا نابتة ، وما هم الا كالشكير (345) . ويقال : هم بنو اليوم . ويقال للمسبق : أنت لا تبصر الا مدق الحافر .

باب متخير الفاظهم فى الاسرة والعشيرة ونكر الكرام والسادة

يقال : انه لياوى الى ركن شديد ، والى أسرة ، وعشيرة ، وصيابة (346) ، وناهضة (347) . وانه لفى ناصية (348) قومه ، وذؤابة

- (337) انظر المقاييس 396/2 .
(338) انظر تهذيب الالفاظ 257 ومختصره 158 .
(339) فى الاصلين : دراهمه ، وهو تحريف . وجاء فى المستقصى 7/1 : « اكل من ردايه : هو رجل اكل من بني أسد حكى انه حلب ثلاثين نعمة فشرب لبنها » وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ 257 .
(340) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الكبر 151 وفى الالفاظ الكتابية : باب التكبر 133
(341) فى الاصل : زهى (يفتح الزاي) والتصويب عن تهذيب الالفاظ 15
(342) راجع الالفاظ الكتابية 133 .
(343) راجع الالفاظ الكتابية 134 .
(344) يريس : يتختر كبرا .
(345) فى الاصل : كالشكير ، وهو تصحيف . والشكير من النبت والريش والشعر ما نبت من صفاره بين كبراه .
346 صوابة القوم وصياهم وصيابتهم : لبابهم وخيارهم .
(347) ناهضة الرجل : بنو ابيه الذين يفضون له وينهضون معه وخدمه القائمون بامرهم .
(348) فى 1 : ناصية ، والتصويب عن ع . وناصية القوم : خيارهم .

قومه (349) ، ولباب قومه . وانه لفي محقل عز ، وعيص أشب . والعيص :
ما التف من الشجر . والأشب الذي لا مدخل له . قال جرير :

فما شجرات عيصك في قریش . بعثات الفروع ولا ضواح (350)

وانه لفي ذروة قومه . وهؤلاء كاهل بنى فلان ، وسنام بنى فلان .
وهم ذراهم وانهم . وقالت غادية الدبيرية (351) في ابنها روس :

أشبه روس نفرا كراما
كانوا الذرى والأنف (352) والسناما (353)
كانوا لمن خالطهم اداما
كالسمن لما سفل (354) الطعاما
لو كنت ريشا لم تكن لؤاما
أو طائرا كنت اذا غناما
صقرا ، اذا لافى الحمام اعناما

ويقال : انه لو اسطة قومه . وهو مقابل مدابر ، اذا كان أخواله
وأعمامه من قوم واحد . وانهم من سرهم ، أى من خيارهم . وهو ثاقب
الحسب ، أى نير . وهو رفيع البيت ، على الدعائم ، كريم المركب (355) ،
كريم المحتد (356) ، وهو جفم صدق ، وارومة صدق (357) ، ومن
محض (358) قومه ، ونخبته . قال قطرب (359) : يقال انه لذو برابة في

- (349) هو ذؤابة قومه : أى المتقدم فيهم .
(350) البيت بنصه لجرير في شرح ديوانه ص 99 . وهو ايضا في المعاني 195/4
مادة (عيص) واللسان مادة (عيص) والصحاح مادة (غصا) 2407/6 .
وانظر ترجمة جرير بن مطية (ت 110 هـ) في : الاغانى 3/8 — 89 ووفيات
الاميان 102/1 وطبقات الجهمي 96 والشريشي 249/2 وشرح شواهد
المغنى 16 والشعر والشعراء 374/1 وخزانة الادب 36/1 والموشح 118
والعيني 91/1 والاعلام 111/2 .
(351) هي غادية بنت قزعة الدبيرية ، ولها أرجوزة صادية تذكر ابنها (مرها)
انظر مجالس ثعلب 299 — 300 وبعضها في نوادر أبي مهمل 155/1
والابيات الثلاثة الأولى من أرجوزتها الميمية هذه في اللسان 407/7 مادة
(روس) وذكر انها لغادية بنت قزعة الزبيرية . والابيات الثلاثة الأولى في
التاج 164/4 مادة (راس) وفيه : غادية بنت قزعة .
(352) فى ا : الأنف .
(353) فى ع : السنام .
(354) سفيل : رواء دسما ، والسفيلة أن يثرد اللحم مع الشحم فيكثر دسمة .
(355) المركب : الأصل .
(356) المحتد : الأصل .
(357) الارومة : الأصل .
(358) المحض : الخالص النسب ، الصريح .
(359) انظر المعاني 233/1 — 234 .

حسبه . وهو كريم النجار ، والشرخ . وهو في بهرة قومه ، واربية (360)
قومه ، ورباء قومه . ويقولون : جاءت مخة الناس (361)، ونصيتهم (362)
ومن ألفاظ الشعراء (363) :

من جمع في العز منها والحسب والأسرة الحصداء والميص والأشب

وذكر ابن عباس (364) عليا (365) — عليهما السلام — فقال :
« سطة (366) في العشيرة ، وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم
بالتنزيل ، وفقه في التأويل ، وصبر إذا دعيت نزال » (367) . ومن ألفاظ

- (360) الاربية : اصل الفخذ ، وهي هنا : اهل بيته وبنو عمه .
(361) مخة التوم : خيارهم .
(362) نصيتهم : خيارهم .
(363) الرجز لأبي دهبيل الجمحي ، انظر (شعر أبي دهبيل واخباره) صفحة 1043
وروايته فيه :

انا ابو دهبيل وهب لوهب
من جمع في العز منها والحسب
والأسرة الخضراء والميص الأشب
ومن هذيل والدي عالي النسب
أورثني المجد أب من بعد أب ... الخ

- وانظر الرجز أيضا في الاغانى — طبعة دار الثقافة — 113/7 ورواية
الاغانى : (والأسرة الخضراء) مكان (والأسرة الحصداء) .
(364) حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت 68 هـ) انظر
ترجمته في : الاصابة رقم الترجمة 4772 وصفة الصلوة 314/1 وذيل المذيل
21 وتاريخ الخميس 167/1 ونكت الهميان 180 ونسب قريش 26 والحبر
289 والاعلام 228/4 .
(365) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي) (ت 40 هـ) . انظر ترجمته في :
مروج الذهب — طبعة دار الاندلس 349/2 وخصائص العشرة الكرام
البررة 91 — 106 والاستيعاب الى معرفة الاصحاب 26/3 والكمال لابن
الانير 98/3 واليعقوبي 154/2 والطبري 450/3 وسيرة ابن هشام
1/264 و 154/2 و 13/4 ومسند بن حنبل 17/2 والاصابة 269/4 رقم
الترجمة 5682 وشذرات الذهب 42/1 ونفائح الباطنية 110 و 132 —
137 والمعارف 91 والمختصر في تاريخ البشر 170/1 وابن الوردي 155/1
واحياء العلوم 464/4 وصحيح مسلم 1870/4 وصحيح البخاري 22/5
والرياض النضرة 137/2 وتاريخ الخلفاء للسيوطي 166 — 187 وطبقات
ابن سعد 19/3 وصفة الصلوة 118/1 ومقاتل الطالبين 14 وحليمة
الاولياء 61/1 وشرح نهج البلاغة 579/2 والمرزبانى 279 ومنهاج السنة
2/3 وتاريخ الخميس 276/2 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي وخصائص
أمير المؤمنين للشرىف الرضى وتاريخ الاسلام 191/2 وتهذيب التهذيب
334/7 وتذكرة الحفاظ 9/1 وانباء الرواة 10/1 ومعجم الادباء 41/14 —
50 والاصابة رقم 1208 وتقريب التهذيب 39/2 والبخري 73 والاعلام
107/5 والمحسن والمساوى 41 والبدء والتاريخ 73/5 .
(366) السطة : الشرف الحسب
(367) نزال : المنازلة في الحرب

شعرائهم :

فتعلم أن عيص بنى عدى تفرع بيته الحسب النضارا
ومن زيد علوت عليك ظهرا جسيم المجد والمعد الكثارا
وتزخر من وراى حمى عمرو بذى صدين (368) يكتفى البحارا
وبنو فلان رؤوس العز (369) .

باب الرذال والفتابى والدعوة

يقال : انه من حفالتهم (370) ، وحفالتهم . وهو من زممهم (371) ،
ومن مآخيرهم : ليس من صدورهم ولا من سرواتهم . وذلك أن الزمع هي
الروادف التي خلف الأظلاف . وانهم من رذالهم ، وأوغالهم ، وأوغادهم . ومما
يجرى مجرى المثل : فلان كمروة الاناء وكأكارع الاديم (372) قال حسان :
أبلغ أبا سفيان أن محمدا هو الفرع ذو الاغصان لا الواحد الوغد .
وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وأنت دعى نيط في آل هاشم كمانيط خلف الراكب القدح الفرد (373)

- (368) صدا الجبل : ناحيتاه في مشعبه .
(369) في الاصل : (رؤس) بواو واحدة .
(370) الحفاله : الرذل من كل شيء .
(371) الزمع : رذال الناس ورعاهم . وفي الاصل : زممهم (بكسر الزاي)
(372) جاء في كتابات الجرجاني ص 15 : « ويكنون من الدمى باكارع الاديم قال الفرزدق : »

وانت زعيم في كليب زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع »

- (373) الابيات في شرح ديوان حسان بن ثابت — تحقيق البرقوقي — القاهرة : 1929
ص 159 — 160 وروايتها فيه :

لقد علم الاتوام أن ابن هاشم هو الفمن ذو الامنان لا الواحد الوغد
وانت زعيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والبيت الثالث في الكتابات ص 15 والثاني والثالث في زهر الاداب 26/1
وفيه : وانت زعيم ... ، وانظر ترجمة حسان بن ثابت (ت 54 هـ) في : الشعر
والشعراء 223/2 وتهذيب التهذيب 247/2 والاصابة 326/1 وابن عساكر
125/4 ومعاهد التتميم 209/1 وخزانة البغدادي 111/1 وذيل المذيل
28 والاهاني — طبعة الدار — 134/4 وشرح الشواهد 114 وطبقات ابن
سلام 52 وحسن الصحابة 17 ونكت الهميان 134 والاعلام 188/2 .

وقال آخر :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما نيط في عرض الاديم الاكارع (374)

وفلان ضئيل الحسب ، ملصق ، مأشوب ، موصوم ، سنيد (375) ،
مجلوب (376) مؤتشب (377) . وما بنو فلان باصل ولا طرف (378) .
وأبت عيدانهم الا انكسارا . ويقال في البقية الذليلة : ما بقى منهم الا مثل
شريد العانة ، يعنى شرود الحمير .

باب النوم والسهر (379)

يقال : نام ينام نوما . وانه لخبيث النيمة ، أى الحال التى ينام عليها.
ورجل نومة ، أى كثير النوم . وهجم وهجد . فاما التهجذ فالتيقظ . قال الله
تعالى : « ومن الليل فتتهجد به (380) » . الأصمى (381) : سب اعرابى
امراته فقال : عليها لعنة المتهمدين . ويقال : هوم تهويما ، اذا نام نوما
قليل . وما ذقت غماضا (382) . ورجل ميسان : كثير الوسن . وهو رائب ،

(374) البيت متدايع ، نسب للحظيم التبيبي وهو شاعر جاهلي ، انظر اللسان
مادة (زئم) . ونسب لحسان بن ثابت ، انظر الكامل 223/3 وليس في
ديوانه . ونسب لمدي بن زيد العبدي في الاقن في علوم القرآن 126/1 ،
وهو في ديوانه ص 201 صنعة محمد جبار المعيد . ورواه ابن فارس في
المقاييس 29/3 مادة (زئم) بدون نسبة . والبيت في الاشتقاق لابن دريد
175 وهو في سيرة ابن هشام — طبعة جوتنجن — 1859 ميلادية ص 238
وفي ابيات الاستشهاد 159 وورد في كتاب المباني ص 198 ما نصه : « روى
طلحة من عمرو بن مطاء ، قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربية
القرآن انشد الشعر ، فعيل له ما زنيم ؟ فقال :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع »

انظر : مقدمتان في علوم القرآن — القاهرة 1954 .

- (375) السنيد : الدهس
(376) المجلوب : المبد الجليب من غير بلاد المسلمين .
(377) مؤتشب : غير الصريح والمخلوط نسبه .
(378) الطرف : منتهى كل شيء ، والرجل الكريم ، والبعد في النسب .
(379) راجع باب النوم في تهذيب الالفاظ 627 وباب الرقاد والنوم في الالفاظ
الكتابية 91 .
(380) تمام الآية الكريمة : (ومن الليل فتتهجد به نافلة لك) : 79 م الاسراء 17 .
انظر المعجم المفهرس .
(381) انظر قول الأصمى في تهذيب الالفاظ 628 ومختصر تهذيب الالفاظ 381 .
(382) قال المصنف في المقاييس 396/4 : « ويقال : ما ذقت غماضا من النوم ولا
غماضا ، أى كقدر ما تنفض فيه العين » .

أى خاثر النفس من النعاس . ورجل سهد : قليل (383) النوم وللكرى (384) النعاس . قال ابن السكيت (385) : « انه لشديد جفن العين . اذا كان صبوراً على النعاس لا يغلبه النوم . ورجل بعث ، اذا كان كثير الانبعاث ، لا يغلبه النوم (386) وتوسنت المرأة ، اذا الممت بها وهى نائمة (387) .

باب القراية والرحم

يقال : رجل احص ، أى قاطع للرحم . ورحم حصاء ، أى مقطوعة قال ابن الاعرابى (388) ، تقول العرب : بينى وبينه خطرة رحم . وبيننا شجنة رحم . قال أبو زيد (389) : اطت (390) له منى حاسة ، أى رحم .

باب الجماعات (391)

يقال للجماعة : اثبة . وهذا حى حادر ، أى مجتمع كثير (392) . فاذا بلغ الحى ان ينفرد فى الغارة وحده ولا يحلب (393) فهو رأس « (394) . قال :

برأس من بنى جشم (395) بن بكر ندق به السهولة والحزونا (396)

-
- 383 فى الاصل : وتليل النوم ، والواو فى رأينا من وهم الناسخ .
384 اي ويقال للكرى : النعاس .
385 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 630 .
386 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 631 .
387 ورد فى تهذيب الالفاظ 631 : « ويقال توسنته اذا اثبتته وهو نائم » .
388 انظر قول ابن الاعرابى فى اللسان مادة (خطر) .
389 انظر قول أبي زيد فى اللسان مادة (حسن) .
390 اطت : حنت .
391 راجع باب الجماعة فى تهذيب الالفاظ 30 وباب الجماعة فى الالفاظ الكتابية 274 وباب الاجتماع فى تهذيب الالفاظ 51 وفى الالفاظ الكتابية : باب فى احتشاد القوم ص 68 .
392 انظر تهذيب الالفاظ 32 ونهيه : مجتمع (بفتح الميم)
393 يحلب : اي يمان .
394 ما بين الاقواس « منقول من تهذيب الالفاظ ص 32 .
395 فى الاصلين : حبشم (بكسر الميم) .
396 البيت لمعرو بن كلثوم ، انظر جبهة اشعار العرب للقرشي ص 352 — تحقيق البجاوي . وهو له فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للابنباري — ص 401 تحقيق عبد السلام محمد هارون .
وانظر ترجمة معرو بن كلثوم (ت نحو 40 ق هـ) فى : الاغانى — طبعة الدار — 52/11 وسقط اللالى 635 والمحرر 202 وجبهة اشعار العرب 31 و 74 والمزباني 202 والشعر والشعراء 157/1 وخزانة البغدادي 519/1 وصحيح الاخبار 9/1 و 192 والاعلام 256/5 وبروكلمان 103/1 .

والعمارة : الحى العظيم . وبنو فلان كرش القوم ، أى معظمهم . ورحى القوم : جماعتهم . ومرت بنا اضمامة من الناس ، أى جماعة . والحصى : العدد الكثير . قال الاعشى :

ولست بالاكتر منه حصى وانما العزة للكاثر (397)

والقبص : العدد الكثير . ويقال : أتانا دهم (398) من الناس . ويقال : ما أدري أى الورى هو (399) ! وأى من لقط الحصى هو ! وأى من وجن الجلد ، أى مرنه (400) وفى الحديث (401) : « لا تمثلوا بنامية الله » أى بخلقه . قال الفراء (402) : ما أدري أى الخوالف هو ! وأى ولد الرجل هو ! يريد آدم — عليه السلام — (403) . « وما أدري أى الجراد عاره » (404) أى أى الناس أخذه . الأصمعى (405) : جاء فلان فى غير عين ، أى فى غير جماعة . وقال : العثراء (406) : جماعة الناس . ودخل فى خمار الناس ، وغمارهم (407) . والفنون من الناس : الأخلاط . وبها أوزاع من الناس ،

397 رواية البيت فى ديوان الامشى الكبير من 143 : « ولست بالاكتر منهم حصى » وهو كذلك فى نوادر ابى زيد من 25 وجاء فيها : « قال الأصمعى : أراد ولست من بني فلان بالاكتر . يريد أنت منهم ولست بالاكتر حصى من هؤلاء القوم . أبو زيد أراد بالاكتر منهم حصى . والحصى العدد الكثير » . وانظر البيت فى : المقاييس 161/5 . وتهذيب اللغات 34 والاستقاق 65 وشروح سقط الزند 452 ورسائل الجاحظ 218/1 وميوس الاخبار 123/4 والكامل 44/1 والاساس واللسان مادة (كثر / والتصريف الملوكي لابن جنى من 14 طبعة دمشق 1970 وناج العروس — يستدرك كثر — والصحاح مادة (حصا) .

398 الدهم : العدد الكثير .

399 انظر المقاييس 104/6 .

400 وجن الجلد : أى لينه .

401 رواه الامام احمد من يلعلى بن مرة بلفظ : لا تمثلوا بعبادي . وفى رواية عند الطبراني : لا تمثلوا بعباد الله . وفى اسنادهما مطاء بن السائب وقد اختلط انظر مجمع الزوائد 248/6 . وفى رواية للطبراني : لا تمثلوا بشيء من خلق الله فيه الروح . وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك — مجمع الزوائد 249/6 . وانظر الحديث فى النهاية 295/4 وتهذيب اللغات 35 والاساس مادة (مثل) .

402 انظر قول الفراء فى تهذيب اللغات 36 .

403 انظر جوامع اصلاح المنطق من 214 وتهذيب اللغات 36 .

404 انظر المثل فى اساس البلاغة 117/1 ومعناه : أى أى شيء ذهب به وانظر اللسان 90/4 وفى الصحاح : « ما أدري أى جراد عاره » والمثل فى تهذيب اللغات 36 وجبهة الامثال 53/2 .

405 انظر قولة الاصمعى فى تهذيب اللغات من 36 .

406 هكذا فى الاصلين وكذلك وردت فى تهذيب اللغات من 36 ولم أجدها فى معاجم اللغة ، وصوابها : الفثراء : وهم سطة الناس .

407 ورد فى تهذيب اللغات من 36 : « يقال دخل فى خمار الناس ، وغمار الناس خطأ ليس من كلام العرب » .

أى فرق (408). والجماع : الجماعة من ضروب شتى (409). قال أبو قيس بن الأسلت (410) :

حتى تجلت ولنا غاية من بين جمع غير جماع (411)

والأشابة : الاخلاط (412). ويقال : أتنا بجد (413) من الناس ، ودهم من الناس . وجاء فلان في ناهضته ، وهم الذين ينهض بهم فيما يحزبه . وجاء في ظهرته وصاغيته (414). والسامة : الخاصة . والحامة : العامة (415). ويقال : ثلة من الناس ، وجبهة (416) من الناس . وجاءوا جما غفيرا ، أى بجماعتهم . قال الفراء (417) كيف جهراؤكم ؟ أى جماعتكم ودهماؤكم مثله . قال الكسائي (418) : قلت لاعرابي : ابنوا جعفر أشرف أم

- (408) في تهذيب الالفاظ 37 نسب هذا القول للاصمعي .
(409) العبارة والبيت الذي يليها في تهذيب الالفاظ 37 .
(410) ابن الأسلت : هو صيني بن عامر الأسلت الأوسي (ت 1 هـ) جاهلي كان رأس الأوس وشاعرها وخطيبها وقائدها في حروبها ، مات قبل أن يسلم . انظر ترجمته في : الأشابة باب الكنى 935 وتهذيب ابن عساكر 452/6 ومعاهد التنصيص 25/2 والبيان والتبيين 23/3 و 262 والاغاني 154/15 وابن الأثير 284/1 والاعلام 303/3 .
(411) البيت لابن الأسلت ، وهو في المسلسل من 136 وروايته : « حتى تولت » . وروايته في اللسان 407/9 : « حتى انتهينا .. » . والبيت في الاقتضاب في شرح ادب الكتاب 358 وروايته فيه مطابقة لرواية متخير الالفاظ ، والبيت في جمهرة اشعار العرب 655 وفي تهذيب الالفاظ وفي المفضليات 285 . وعجزه في المحجل لابن فارس من 167 ، وعجزه أيضا في ادب الكاتب لابن قتيبة من 226 منسوبا لابن الأسلت .
(412) انظر تهذيب الالفاظ 38 .
(413) في الاصطلاح : نجد ، بالنون وهو تصحيف . ويجد من الناس ودهم : وهم الناس الكثيرون . انظر تهذيب الالفاظ 39 .
(414) جاء في صاغيته : أى مع الذين يميلون اليه .
(415) انظر تهذيب الالفاظ 39 .
(416) جبهة من الناس : أى جماعة ، انظر تهذيب الالفاظ 40 .
(417) انظر عبارة الفراء في تهذيب الالفاظ 40 .
(418) انظر عبارة الكسائي في تهذيب الالفاظ 40 - 41 . والكسائي : هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت 183 هـ) انظر ترجمته في : مراتب النحويين 74 وطبقات الزبيدي 138 وطبقات القراء 535/1 وأعيان الشيعة 235/41 وانباء الرواة 256/2 ونزهة الألباء 67 والانساب 482 والبداية والنهاية 201/10 وبغية الوعاة 162/2 وتاريخ بغداد 403/11 وتاريخ أبي الفدا 17/2 وفتح المقال 286 وتهذيب التهذيب 313/7 وابن خلكان 330/1 وروضات الجنات 471 وشذرات الذهب 321/1 والمبر 302/1 والفهرست 65 واللباب 40/3 ومرآة الجنان 421/1 والمزهر 407/2 و 419 و 423 و 463 والمعارف 445 ومعجم الادباء 167/13 ومعجم البلدان 28/2 و 293/4 ومعجم المطبوعات 1558 وفتح السعادة 130/2 و 331 والنجوم الزاهرة 130/2 وهدية المارفين 668/1 وافيح الكون 48/1 و 279/2 و 313 و 322 و 332 و 336 و 345 و 350 و 450 وكشف الظنون 108 و 1328 و 1330 ومعجم المؤلفين 83/7 ونور القبس 283 والاعلام 93/5 .

بنو أبي بكر بن كلاب ؟ قال : « اما خواص رجال فبنو أبي بكر ، واما
 جهراء الحى فبنو جعفر » . قال الأصمى (419) رأيتهم عاصبين بفلان ،
 اذا اجتمعوا عليه ؟ وقد عصبوا به ، وستكنوا به ، وحوله ، اذا استداروا .
 وقال ابن مقبل (420) :

خروج من الغمى اذا صك صكة بدا والعيون المستكة تلمح (421)

وقد تجمعوا تجمع بيت الادم . لأن بيت الادم تجتمع فيه اطرافه
 وزعائفه (422) . ويقال : تحبش الناس ، أى تجمعوا . وتأثفوا ، واصفقوا ،
 وأطبقتوا ، واحلبوا ، واجلبوا ، وترافدوا ، اذا اعان بعضهم بعضا (423) .
 وهم عليه يد واحدة (424)

باب الشر يقع بين القوم (425)

يقال : هم يتهوشون ، اذا كان بينهم اختلاط . وقد لحج بينهم الشر ،
 أى نشب (426) . قال ابن السكيت (427) : « يقال للرجل اذا لم يستوله
 الامر : قد اشتفر عليه الشأن وذهب يعد بنى فلان فاشتفروا عليه ، أى
 كثروا فاختلف عليه كيف يمدهم » . ويقال : من دون ذاك مكاس ،

419 انظر قول الاصمى في تهذيب الالفاظ 51 .

420 هو تميم بن ابي بن مقبل (ت نحو 25 هـ) . انظر ترجمته في : المعبدة

291/2 والشعر والشعراء 366/1 والاصابة 195/1 والخزانة 113/1

وكنى الشعراء 289 وطبقات ابن سلام 55 والسميط 68 والاعلام 71/2

والمحبر 325 ومقدمة ديوانه الذي نشره الدكتور عزة حسن في دمشق

1962 ومعه ما استجمع 131/1 والاشتقاق 12 ووقعة صنين 601

ومجالس ثعلب 431 وزهر الاداب 19/1 وحياة ابن الشجري 131

والموشح 80 والزهر 482/2 .

421 البيت لابن مقبل وهو في ديوانه ص 29 ، وهو ايضا في المراجع التالية :

جمهرة الامثال 120/2 والميسر والقداح 65 والمقصود والمدود لابن ولاد -

طبعة ليدن 1900 ص 91 واللسان والصاح والتاج مادة (كلف) وامالى

الغالى 15/1 وثمار القلوب 173 وتهذيب الالفاظ 52 ومعاني العسكري

(2) 243 والسميط 67 .

والغمى : الشدة والضيق . والعيون المستكة : عيون الذين حوله ينظرون

اليه والى غيره من القداح .

422 انظر تهذيب الالفاظ ص 52 .

423 انظر تهذيب الالفاظ ص 53 - 54 .

424 جاء في تهذيب الالفاظ ص 54 : الاصمى : هم عليه يد واحدة اذا اجتمعوا

عليه .

425 راجع باب الاختلاط والشر يقع بين القوم في تهذيب الالفاظ ص 90 وباب

الشدائد والنوائب ص 152 في الالفاظ الكتابية وباب اللباس الامر وتثاقفه

ص 26 وص 230 في الالفاظ الكتابية .

426 في الاصل : نشب . وانظر العبارة في تهذيب الالفاظ 91 .

427 انظر عبارة ابن السكيت في تهذيب الالفاظ 91 - 92 .

وعكاس (428). ويقال : « التبس الحابل بالنابل » (429). الحابل : السدى . والنابل : اللحمة « واختلط المرعى بالهمل » (430) ، اذا اختلط الخير بالشر ، والصحيح بالسقيم . « واختلط الخائر بالزباد » (431) ، أى الخير بالشر ، والجيد بالردى ، والصالح بالطالح ، والشريف بالوضيع . لان الخائر من اللبن أجوده . والزباد : زبده وما لا خير فيه (432). ويقال : « اختلط الليل بالتراب » (433) ، اذا اختلط على القوم أمرهم . انشدنى على بن ابراهيم (434) عن ثعلب (435) عن ابن الاعرابى (436) :

- (428) وهو ان تأخذ بناصيته وتأخذ بناصيتك . انظر تهذيب الالفاظ 92 .
(429) يضرب مثلاً في اختلاط الأمر على القوم ، حتى لا يعرفوا وجهه . ورواية المثل في تهذيب الالفاظ ص 92 مماثلة لرواية المتخير .
وروايته في جبهة الامثال 110/1 : اختلط الحابل بالنابل . وانظر المثل في فصل المقال 333 والمستقصى 41 واللسان (حبل) .
(430) انظر المثل في جبهة الامثال 110/1 والمستقصى 42 واللسان (همل) والميداني 238/1 رقم 1262 وتهذيب الالفاظ 92 .
والهمل : المهلة التي لا زامى لها .
(431) انظر المثل في تهذيب الالفاظ 92 وفي جبهة الامثال 110/1 وفي فصل المقال 333 والميداني 240/1 والمستقصى 41 واللسان (خثر وزيد) .
(432) انظر العبارة في تهذيب الالفاظ ص 92 .
(433) انظر المثل في تهذيب الالفاظ ص 93 والميداني 240/1 والكنائيات 145 .
(434) هو علي بن ابراهيم بن سلمة القطان : ذكره ياقوت في معجم الادباء 82/4 والسيوطي في بغية الوعاة 153 في شيوخ احمد بن مارس . وقد أكثر ابن مارس من الرواية عنه في كتابه — الصحابي — كما ذكر في مقدمة معجمه المقاييس انه قرأ عليه كتاب العيين للخليل بن احمد . وقد روى عنه في متخير الالفاظ في غير موضع واحد . وقد ولد أبو الحسن سنة 254 هـ وتوفى سنة 345 هـ وانظر ترجمته في : معجم الادباء 218/12 — 221 وطبقات المفسرين 4 والمبر للذهبي 367/2 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الالباء 320 وغاية النهاية 516/1 .
(435) ثعلب أبو العباس احمد بن يحيى الشيباني (200 — 291 هـ) انظر ترجمته في : نزهة الالباء 293 وتذكرة الحفاظ 214/2 وطبقات ابن أبي يعلى 83/1 والمسمودي 387/2 وابن خلكان 30/1 وتاريخ بغداد 204/5 وانباء الرواة 138/1 وبغية الوعاة 172 والاعلام 252/1 ومهرست ابن النديم 110 وياقوت 102/5 والمنتظم لابن الجوزي 44/6 ومراة الجنان 218/2 وغاية النهاية وشذرات الذهب 207/2 وروضات الجنات 56/1 وطبقات المفسرين 41 .

(436) الارجوزة من غير عزو في مجالس ثعلب ص 425 — 426 وروايتها فيها :

لو ظمى القوم مقالوا من فتى
يخلف لا يردمه خوف الردى
فبعلوا سعدا الى الماء سدى
في ليلة بيانها مثل المسمى
بغير دلو ورشاه لاستقى
أمر يهدي رايه رأي اللحي .

لو أشرف القوم على أرض العدى
واختلط الليل بالوان الحمى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء لاستقى
ووجدوا ذا مرة جلد القوى
سمحا على أية اجريا جرى
امرد يهدى رأيه ذوى اللحي
مشمر المئزر عن نصف النسا

قال الاصمعي : وقع في دهمة (437) لا يتجه لها ، أى خطة شديدة
« ووقع في الحظر الرطب » (483) . وذلك ان الانسان يقع في الشوك
المحتظر فتصيبه منه شدة . ويقال : تباين ما بينهم ، أى انقطع (439) ،
« وما يدرى فلان ايخر ام يذيب ؟ » (440) وذلك اذا بعل بأمره . واصله
أن تصب الزبدة في القدر ، وفي نواحيها اللبن ، فإذا أوقد تحتها خثرت .
ويقال : تشاخص هذا الأمر . اختلف . ويوم عماس ، أى مبهم (441) .
« وتشاتما فكأنا جزرا ! بينهما ظربانا » (442) شبه قبح تشاتمها بنتن
الظربان (442) . ويقال : « أمركم هذا أمر ليل » (443) ، اذا كان ملتبسا
مظلمًا . وبات فلان بليلة من ليالى الشوامت (444) . ويقال : لقيت منه جهدا

ويلاحظ ان رواية المتخير اصح واكمل . وروية النص في البصائر والذخائر
مجلد 2 قسم 2 ص 863 موافقة لرواية مجالس ثعلب . وقد ذكر الجرجاني
في منتخب الكنايات ص 145 الابيات الاربعة الاولى وروايتها :

لو اشرف القوم على امر العدا
واختلط الليل بالوان الحمى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء يستقى (كذا)

- (437) في تهذيب الالفاظ ص 93 : وقع في بهمة لا يتجه لها ، أى خطة شديدة .
(438) انظر المغايب 81/2 وجبهة الامثال 314/1 والكنايات 8 وتهذيب الالفاظ
94 واللسان والتاج مادة (حظر) ونوادر ابى مسحل 511 .
(439) انظر تهذيب الالفاظ 94 .
(440) يضرب في اختلاط الأمر . وانظر المثل في الميداني 281/2 رقم المثل 3868
وانظر اللسان مادة (خثر) وانظر المثل وشرحه في تهذيب الالفاظ 94 .
(441) انظر تهذيب الالفاظ 95 .
(442) في تهذيب الالفاظ : جررا . والظربان : دابة تشبه الكلب وهي انتن الدواب
ريحا . وانظر المثل في تهذيب الالفاظ 95 واللسان (ظرب) . وفي الاصلين :
(ضربانا) مكان (ظربانا) و (ضربان) مكان (ظربان) .
(443) انظر المثل في تهذيب الالفاظ 95 والكنايات 145 وميه : ويقال : هذا امر ليل
اذا كان ملتبسا مظلمًا .
(444) انظر اللسان مادة (شمت)

جاهدا ومثلا (445) ماثلا . وهذا يوم ترشح منه الاصداغ . وقد غلت بهم
القدور . وقد نال الوقود اقاصى الحطب ، اذا تناهى الشر . ويقال للامر
الشديد : حصاة في خف . وقد اصابتنى بعدك شدى (446) . وأصابتهم
اوشاز الامور ، أى شداثدها . وهذا يوم ذكر .

باب الشيء الذى لا يستقر

قال ابن قتيبة (447) ، تقول العزب للشيء الذى لا يستقر : هو على
رجل طائر ، وبين مخاليب طائر ، وعلى قرن ظبى . قال الشاعر :

كأن فؤادى بين أظفار طائر من الخوف فى جو السماء محلق
حذار امرى قد كنت اعلم انه متى ما يعدم من نفسه الشر يصدق (448)

وقال المرار يذكر فلاه تنزو من مخافتها قلوب الأدلاء :

كأن قلوب ادلائها معلقة بقرون الأطباء (449)

(445) فى الاصل (مثلا) والتصويب من اللسان .

(446) روى القول من ابي زيد فى اللسان مادة (شدد) .

(447) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) . انظر
ترجمته فى : طبقات النحويين 200 وانباء الرواة 143/2 وبغية الوعاة
63/2 ونزهة الالباء 209 و امرأة الجنان 191/2 وتهذيب الاسماء واللغات
281/2 واللباب لابن الاثير 242/2 ووفيات الاميان 251/1 ولسان الميزان
357/3 والنجوم الزاهرة 75/3 وتذكرة الحفاظ 185/2 وتاريخ ابي الفدا
57/2 وتاريخ بغداد 170/10 وشذرات الذهب 169/2 ومهرست ابن
النديم 77 - 78 والمنظوم 102/5 والبداية والنهاية 48/11 وكشف الظنون
فى مواضع عديدة وآداب اللغة العربية 170/2 ودائرة المعارف الاسلامية
260/1 والاعلام 280/4 وايضاح المكنون 356/1 و 134/2 ، 146 ،
506 . وتاريخ ابن الاثير 66/6 وتلخيص ابن مكنون 100 وروضات الجنات
447 وطبقات ابن قاضي شهبه 177 و 178 والمبر 56/2 والمزهر 409/2
و 420 و 465 ومعجم المطبوعات 211 ومعجم المؤلفين 150/6 ومقدمة
التهذيب للازهري 75 وميزان الاعتدال 503/2 وهدية المارميين 441/1
و 4/2 .

(448) البيتان لرجل قالهما فى الحجاج بن يوسف الثقفى ، راجع تاويل مختلف
الحديث لابن قتيبة ص 347 وعيون الاخبار 145/3 .

(449) قاله المرار بن سعيد الفقعسى ، انظر البيت فى شروح سقط الزند 132/1
والمنتخب 140 والاساس (مبر) والحامسة البصرية 362/2 ونبيها حرفت
قلوب الى ترون . والبيت ايضا فى تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 488
منسوبا الى المرار وفى تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 130 من غير عزو ،
وفى امالي المرتضى 328/1 من غير عزو . وانظر ترجمة المرار فى : الشعر
والشعراء 588/2 والاغانى 151/9 والخزانة 193/2 والسمسط 231
والمؤلف 268 ومعجم المرزبانى 337 والاعلام 82/8 والتبريزي 76/3
و 121/4 .

وقال امرؤ القيس : كائن وأصحابي على قرن أعفرا (450) .

باب الفنى '451'

يقولون للفنى : مكث ، مترب ، مثر . وله مال جم ، ودثر . ولقد « جاء بالضح والريح » (452) ، « والطم والرم » (453) ، وهو ضافى المال وفلان مال نال ، وله عائرة عينين . « وله غنى طويل الذيل مياس » (454) ، « وله عائرة عين » (455) ، أى لا يسترثيه البصر ، أى لا يحركه بل تحار فيه العين . وفلان كثير الورق : صنوف المال من الذهب والفضة والعرض . وأنشد :

450 مجز بيت لامرؤ القيس فى ديوانه — صنعة حسن السندوبى من 75 والبيت بتمامه :

ولا مثل يوم فى تداران ظلته كائى وأصحابى على قرن أعفرا

يريد انهم كانوا فى ذلك الموضع على غير استقرار ولا طمانينة . ورواية المسكري للمجز فى ديوان امرؤ القيس — طبعة دار المعارف من 393 : « كائى وأصحابى بقلة هندرا » . والبيت فى طبعة المعارف من 70 . والبيت ايضا فى امالي المرتضى 329/1 وروايته : « ولا مثل يوم فى تداران ظلته » . قال ويروى : « فى تدار ظلته » . ورواية البيت فى المنتخب من 140 :

ولا مثل يوم فى تدار ظلته كائى وأصحابى على قرن أعفرا

والبيت فى شروح سقط الزند 131/1 وروايته : « ويوم طويل فى تداران ظلته » والمجز فى الاساس مادة (عفر) 128/2 . وانظر ترجمة امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت نحو 80 ق هـ) فى : الشعر والشعراء 50/1 وطبقات ابن سلام 44 والخزانة 302/1 والاماني 77/9 والاعلام 351/1 وتهذيب ابن عساكر 104/3 وشرح شواهد المفنى 6 وجمهرة اشعار العرب 124 والزوزنى من 2 والذريعة 349/2 وصحيح الاخبار لابن بليهد 6/1 و 16 — 110 .

451 راجع باب الفنى والخصب فى تهذيب الالفاظ من 1 وفى الالفاظ الكتابية باب الاستغناء من 41 وباب خفض الميثى والرفاهة من 78 .

452 أى جاء بكل شيء . انظر المثل فى جمهرة الامثال 321/1 والميداني 108/1 والمستقصى 195 واللسان مادة (ضحج) وادب الكاتب 37 والاساس 42/2 ونصيح ثعلب 69 والاصلاح 295 وتهذيب الالفاظ 10 .

453 معناه جاء بالكثرة . انظر المثل فى جمهرة الامثال 315/1 ومصل المثل 98 والميداني 108/1 والمستقصى 195 وتهذيب الالفاظ 9 واللسان مادة (طم) .

454 اصله مثل : « ان الفنى لطويل الذيل مياس » أى لا يستطيع صاحب المال أن يكتبه . انظر جمهرة الامثال 198/1 والميداني 34/1 وروايته فيه : « ان الفنى طويل الذيل مياس » والمثل فى المستقصى 164 والمنتخب 69 والالفاظ الكتابية 42 .

455 اصله مثل : (جاء بمائرة عين) ، اذا جاء بالمال الكثير يملأ العين حتى يكاد يعورها . انظر المثل فى جمهرة الامثال 314/1 والمستقصى 196 واللسان مادة (مور) . وانظر ايضا : له عائرة عينين فى الصحاح مادة (عور) وتهذيب الالفاظ 6 .

اليك أشكو فتقبل ملقى
واغفر خطايي وثمر ورقى (456)

وقال آخر :

وما ورق الدنيا بباقي لأهله ولا شدة الدنيا بضربة لازب (457)

ويقولون : عليه سواد من مال (458) . ورجل مرغب ، واجد ، ميل . وله مال لا يسهى ولا ينهى ، مثل لا يحصى . قال قطرب : مال ذو قنع ، ورجل كائر . وقال في قولهم : « جاء بالطم والرم » : الطم : ما اطمت به الريح نطار في الهواء . والرم : ما نبت فارتم (459) . قال ، ويقولون : « جاء بالسمر والقمر » (460) ، أى بكل شيء ، ويقولون : مشى ماله مشاء ،

إذا كثر (461) ، وقد تأثل مالا ، وأثل الله له مالا . وقد تقنى (462) بعدد

456 تاله المجاج ، انظر ديوانه من 40 ، والبيت في الصحاح 1565/4 واللسان 254/12 والاساس 400/2 وروايته في المصادر الثلاثة الأخيرة : (اياك ادمو) . وهو في المتايبس 102/6 وروايته (اليك ادمو) والبيت في اعداد الانباري 273 والشطر الثاني منه في اصلاح المنطق 101 وفي مجالس ثعلب من 7 . وانظر ترجمة المجاج وهو عبد الله بن رؤية السعدي التميمي (ت نحو 90 هـ) في : الشعر والشعراء 493 وشرح شواهد المغني 18 وتهذيب ابن مساكين 394/7 والموشح 215 .
457 البيت لكثير بن عبد الرحمن الخزامي وروايته في ديوانه 280/1 :

فما ورق الدنيا بباقي لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم

والبيت في المسلسل 192 واصلاح المنطق 289 والافاني 16/9 والقلب والأبدال 14 واللسان 34/2 مع اختلاف في الرواية ، وانظر ترجمة كثير (ت 105 هـ) في : الشعر والشعراء 410 والافاني 147/8 و 43/11 والموشح 143 ومعجم المزياني 250 وشرح شواهد المغني 24 والخزانة 381/2 وابن خلكان 433/1 والمؤتلف 169 والمقد 88/2 وطبقات ابن سلام 457 ومعاهد التنصيص 136/2 والسمط 61 وبروكلمان 194/1 وشذرات الذهب 131/1 وعيون الاخبار 144/2 وتزيين الاسواق 43/1 والتبريزي 140/3 ورغبة الامل 134/2 و 206/3 و 112/5 والاعلام 72/6 .

458 أي كثير من المال .

459 أرتم : أكل .

460 أي جاء بما طلع عليه القبر وما لم يطلع .

461 جاء في كتاب - الاتباع - لأبي الطيب اللغوي من 109 : « يقال : مشيت الماشية وامشيت : إذا كثرت ، ومشى القوم ومشوا . إذا كثرت مواشيهم . قال الشاعر :

وقال ماشيهم : سيان سيركم وإن تقيبوا به واغبرت السوح »

وفي الاصل : مشا مشاً .

462 في الاصل : تلقى ، بالفاء فالتاء ، وهو تصحيف .

اقلال . وخير مجنب ، أى كثير . ويقال : طمى ماله ، ونمى ماله ، وزكا ، وربا (463) ، ووشى ، وآمر . قال غيره : مشى بعد ما امشى ، أى افتر بعد الثروة . قال النابغة :

وكل فتى وان امشى واثرى ستخلجه عن الدنيا المنون (464)

وقال ابن السكيت (465) : يقولون : مشى على فلان مال ، أى تنائج . والأمر : البركة والنماء . وكذلك الأمرة . ومثل من الامثال : « فى وجه مالك تعرف امرته » (466) أى نماء وكثرته ، يضرب مثلا للرجل يدل شاهده على مكتونه ودخلته . قال ابن السكيت : الثروة (467) من الرجال ، والثروة من المال . وقد أمر ماله . وفى الحديث : « خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأبورة » (468) . السكة : السطر من النخل . والمأبورة : التى قد ابرت ، أى لقت ، والمأبورة : الكثيرة الولد . وتفسيره : خير المال نتاج أو زرع . وقد ضفا مال فلان ، أى كثر . ويقال : انه لذو أكل فى الدنيا ، أى ذو حظ وفلان من ذوى الآكال ، أى من ذوى القسم الواسع . وهو فى غضارة من العيش الاصمى (469) : ان فلانا لمخضم ، أى موسع عليه من الدنيا . قال الاصمى (470) : واخبرنا ابن أبى طرفة قال : قال اعرابى لابن عم له قدم عليه مكة : ان هذه ارض مقضم (471) ، و ليست بارض مخضم . قال : وكل صلب يقضم ، وكل لين يخضم .

- (463) فى الاصل : وربى .
(464) البيت فى ديوان النابغة الذبياني من 257 وفيه المنون : منون . وهو ايضا فى الامالي 174/1 والمقصود والمدود 113 والصحاح (مشى) واللسان مادة (منن) و (مشى) . واللالى 434 ومجموعة المعاني من 8 والمعاني الكبير 198/1 والالفاظ الكتابية 41 .
(465) انظر تهذيب الالفاظ من 5 .
(466) المثل فى الالفاظ لابن السكيت من 2 وانظر جمهرة الامثال 93/2 وفيه : (فى وجه المال تعرف امرته) ، والمال هنا : الماشية . وهو كتولهم : كم ظاهز دل على باطن . وانظر فصل المقال 238 والمستقصى 252 واللسان (أمر) والميداني 69/2 رقم المثل 2729 .
(467) فى أ و ع : الثورة ، وهو تحريف . انظر مختصر تهذيب الالفاظ من 1 .
(468) انظر نص الحديث فى مختصر تهذيب الالفاظ من 2 ، وهو حديث مرسل رواه الامام احمد بلفظ : « خير مال المرأة مهرة مأبورة أو سكة مأبورة » عن سويد ابن جبيرة (المسند 468/3) وأورده السيوطي فى الجامع الصغير 11/2 ، وروايته فى النهاية 13/1 « خير المال مهرة مأبورة وسكة مأبورة » وفى الجمان فى تشبيهات القرآن ورد بلفظ مماثل للمخفر ، وانظر الحديث فى اللسان مادة (أمر) والمعايير (أمر) واصلاح المنطق 249 .
(469) انظر النص فى تهذيب الالفاظ من 8 .
(470) انظر النص فى تهذيب الالفاظ من 8 وانظر قول ابن ابي طرفة فى الميداني 93/2 تحت المثل المعنون : « تد يبلغ الخضم بالخضم » .
(471) الزيادة من تهذيب الالفاظ من 8 والميداني 93/2 واصلاح المنطق 208 .

الفراء : قد تجبر فلان مالا ، وذلك اذا عاد اليه من ماله ما كان ذهب (472) . ويقال : « وقع في الأهين » (473) وهو الطعام والشراب . ويقال للذى أصاب مالا وافرا واسما لم يصبه أحد : « أصاب فلان قرن الكلا » (474) . وقرن الكلا : انفه الذى لم يؤكل منه شيء . وفلان عريض البطن . يقال له ذلك اذا اثرى وكثر ماله (475) . ويقال : (476) : هو رخي اللب ، اذا كان فى سعة يصنع ما شاء . وروى ابن السكيت فى هذا الباب (477) : « جاء بالضح والريح » ، و « جاء بالحظر الرطب » (478) ، و « بالبووش البائش » (479) . ويقال : هو فى ضرة مال يعتمد . وذلك أن يعتمد على مال غيره من أقاربه . ويقال : عيش رفيع (480) ، أى واسع وعيش غريب لا يفزع (481) اهله . قال الفراء : عام ازب مخصب . والغيداق (482) الكثير الواسع من كل شيء . وما أحسن غضارة آل فلان ، وآثاتهم (483) ! وما أحسن رئيهم (484) ! وما أحسن أمارتهم ! اذا كانوا يكثرون ويكثر أولادهم (485) . وما أحسن نابذة بنى فلان ، أى ما نبتت عليه (486) أموالهم . وفلان حسن الشارة والجهر (487) .

باب منه آخر

يقال : هو متدع ، أى صاحب دعة . ونال فلان هذا الأمر وادعاى

- (472) انظر النص فى تهذيب الالفاظ ص 9 .
(473) يضرب مثلا لمن حسنت حاله . انظر المثل فى الميداني 361/2 وروايته : (وتمعوا فى الاهيين) . والاهيمان : الاكل والشرب . وقال الازهرى : الاكل والنكاح .
وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ ص 10 وفى اللسان مادة (هيغ) . وهو فى المستقصى 377/2 رقم المثل 1387 وروايته مماثلة لرواية المتخير .
(474) انظر المثل فى الميداني 397/1 رقم المثل 2102 وهو المستقصى 200/1 رقم المثل 816 .
(475) و (476) انظرهما فى تهذيب الالفاظ ص 10 . واللب : البال .
(477) انظر تهذيب الالفاظ ص 10 — 11 .
(478) انظر المثل فى الميداني 179/1 رقم المثل 962 وتهذيب الالفاظ 11 .
(479) انظر تهذيب الالفاظ ص 11 .
(480) فى الأصل : (رفيع) بالعين المهملة وهو تصحيف . والتصويب من التهذيب ص 13 .
(481) فى الأصلين : لا يفرع ، وهو تصحيف والتصويب من التهذيب ص 13 .
(482) انظر القول فى تهذيب الالفاظ ص 13 .
(483) الاثاث : الكثير من كل شيء .
(484) فى تهذيب الالفاظ : ما أحسن رئيهم : أى لباسهم وهو ما رايت وظهر .
(485) انظر تهذيب الالفاظ ص 14 .
(486) فى الأصل : نبت . وفى التهذيب : تنبت .
(487) حسن الشارة : حسن البزة .
حسن الجهر : يريد به الحسن والتبلى . انظر تهذيب الالفاظ ص 14 .

من غير تكلف ومشقة . والوديع : الرجل الساكن . ويقال : افعل (488) كذا في سراح ، ورواح . وورق الدنيا : نعيمها . وفلان في عيش داج . وقد دجا ، وضفا عليهم . وهذا عبث لبد : صالح . وفلان في دنيا دانية ، أى نعيم .

بَاب الْفَقْرِ '489'

يقال : هو فقير ، وقير (490) ، معدم مقتر ، وهو ذو فاقة ، وخصاصة . وهو صملوك ، مملق ، محدود (491) ، مدقع ، مختل ، وبه خلّة . وهو معصب (492) . قال قطرب ، يقال للفقير : هو دامى الشفة ، مجدع ، قد جدعه الفقر . وهو مسيف . وساف المال : ذهب . وهو ممعر مجرور ، جرره الدهر . وهو مخف (493) ، مخل ، معوز ، ومسكين كانع ، ومدقع ، أى لصق بالدقعاء ، وهو التراب . وهو مخف مخفق . وقد عال عليه (494) . ويقال : اكدى مك ، اذا لم ينبت له مال ولم ينم . وامعر الرجل : ذهب ماله . وفي الحديث (495) : « ما أmeer من ادمن الحج والعمرة » . قال أبو عبيدة : ورد رؤية (496) ماء لمكل وعليل فتية تنسقى صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها ، فقالت : ارى سنا فهل من مال ؟ قال : نعم ، قطعة من ابل . قالت : فهل من

(488) في الاصل : افعل ، بفتح الهزة واللام .

(489) راجع باب الفقر والجذب في تهذيب الالفاظ ص 15 وباب الفقر في الالفاظ الكتابية ص 39 وباب فنك العيش والجذب في الالفاظ الكتابية ص 87 .

(490) وقير : وقره الدين ، أى نقله . والوقير : المتقل دينا .

(491) المحدود : هو المحروم .

(492) المعصب : المحتاج ، والذي مصب بطنه من الجوع ، والذي مصبه السنون أى اكلت ماله . انظر المقاييس مادة (مصب) 336/4 .

(493) المخف : القليل المال ، الخفيف الحال .

(494) حال ميلة : اقتر لهو مائل .

(495) انظر نص الحديث في مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص 12 وجاء في لسان العرب 30/7 (معر) ما نصه : « وفي الحديث : ما أmeer حجاج قط . أى ما اقتر مداوم للحج » . ورواه البيهقي في شعب الايمان عن جابر بن عبد الله بلفظ : ما أmeer حجاج قط ، فقل لجابر : ما أmeer ؟ قال : ما اقتر . قال البيهقي : في سنده محمد بن حميد (ضعيف) (شعب الايمان — مخطوط — المجلد الثاني الورقة 79 — ٢) . ورواه الطبراني في الاوسط والبخاري ، قال الهيثمي : بسند رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 208/4) وانظر الحديث في النهاية 100/4 وروايته : ما أmeer حجاج قط .

(496) هو رؤية بن المعاج النيمي البصري (ت 145) . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 495/2 ووفيات الاميان 187/1 والبداية والنهاية 96/10 وخزانة الادب 43/1 والامدي 175 ولسان الميزان 464/2 والعيني 26/1 والاعلام 26/3 .

ورق ؟ قال : لا . قالت يآل عكل اكبرا وامعارا (497) ؟ وقد زمر فلان ، وقفر (498) اذا قل ماله . قال الاصمعي (499) : فلان في الحفاف ، أى في قدر ما يكفيه ؟ وفلان يبعث الكلاب من مرائبها ، أى يثيرها من شدة الحاجة (500) . وفي عيش بنى فلان شطف ، أى ييس . وقد ترب الرجل ، اذا لصق (501) بالتراب . وقد نفق ماله ، وقل ، وذهب ؟ ونفقت نفاق (502) القوم ، وهى جمع نفقة . كذا قال يعقوب . وقد ارملوا ، واقووا . واقفر الرجل ، اذا بات القفر فلم يأو الى منزل ، ولم يكن معه زاد . وبات القواء والوحش . ويقال : انفض القوم ، اذا ذهب طعامهم . وفي المثل : « النفاض يقطر الجلب » (503) . أى اذا انفض القوم قطروا ابلهم يجلبونها للبيع وقد كانوا يضنون بها . ورجل ارمل (504) : محتاج . والعلة من الميئس : ما يتبلغ به . وفي المثل : « ليس المتعلق كالملتأنق » (505) أى ليس من عيشه

(497) وردت الحكاية في جمهرة الامثال 314/1 — 315 مع اختلاف كبير في الرواية ونصها : « عن ابي مبيدة قال : خرج رؤية يبغى غزالة ، فورد ماء لمعل ، فوجد شابة هناك ، فقال لها : هل لك ان اتزوجك ؟ قالت : ومن انت ؟ قال : رؤية بن المجاج ، قالت : لها مالك ؟ قال : كان عائرة هينين لمعلم ، قالت : كم اتى لك ؟ قال : ستون سنة ، فنادت : يا لمعل ! اتلة ذات يد وهرما ! فقال رؤية :

لما ازدرت نقدي وقتلت ابلبي	تالقت واتصلت بمكمل
خطبي وهزت راسها تستبلي	تسالني عن السنين كم لي
فقلت لو صبرت صبر حسل	او صبر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل	كنت رهين هرم او قتيل
	انتهى .

والايبات المذكورة من قصيدة قالها يمدح ابن العميرين ، انظر ديوانه ص 128 وانظر الايبات في الحيوان 8/4 و 116/6 والبيان 48/1 والكمال 348 واللسان مادة (فطحل) والميداني 454/1 و 85/2 وهو بدون نسبة في امالي القاضي 234/1 والازمنة 229/1 وثمار القلوب 232 ومحاضرات الراغب 305/2 والبخمس 171/10 .

وانظر الحكاية في اللسان (ممر) 30/7 وهي اقرب في روايتها الى رواية المتخير وانظرها في تهذيب الالفاظ ص 19 وفي المخصص 287/12 .

(498) في الاصل : (مفر) بفاء ثم قال وهو تصحيف .

(499) انظر قول الاصمعي في تهذيب الالفاظ ص 20 .

(500) انظر تهذيب الالفاظ ص 20 .

(501) في ع : لصق .

(502) في الاصل : (نفاق) بفتح النون . والتصويب من تهذيب الالفاظ ص 21

ومعاجم اللغسة .

(503) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 14 والميداني 338/2 رقم المثل 4218

واللسان مادة (نفص) . يضرب لمن يؤمر باصلاح حاله قبل ان يتطرق اليه

الفساد .

(504) في ا : ارمل ، بفتح اللام .

(505) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ ص 14 والميداني 195/2 رقم المثل 3358

والاساس (علق) واللسان (علق) .

قليل يتعلق به كمن عيشه لين يختار منه ماشاء . وتقول العرب (506) :
« موت لا يجز الى عار خير من عيش في رماق » . الرماق : قدر ما يمسك
الرمق . ويقال : نخلة ترامق بعرق ، أى لا تموت ولا تحيا . قال أبو زيد :
« ماله ائذ (507) ولا مريش » (508) ، الأئذ السهم الذى ليس عليه ريش
والريش ذو الريش . « وما لفلان سعة ولا معنة » (509) ، « وما له
سارحة ولا رائحة » (510) و « ما له هارب ولا قارب » (511) ، و
« ماله دقيقة ولا جلياة » (512) أى لا شاة ولا ناقة . و « ما له هبع ولا
ربع » (513) ، الهبع : ما نتج في الصيف . والربع : ما نتج في الربيع . و
« ما له زرع ولا ضرع » (514) ، و « ما له سبد ولا لبد » (515) ، و
« ما له دار ولا عمار » (516) ، و « ما له ثاغية ولا راغية » (517) الثاغية

- (506) انظر المثل في الميداني 313/2 رقم المثل 4082 ومعناه : مت كريما ولا ترض
بعيش يمسك الرمي . والمثل ايضا في مختصر تهذيب الالفاظ من 14 والاساس
(رمق) واللسان (رمق) .
(507) في النسختين : ائذ ، بالبدال المهملة ، وهو تصحيف .
(508) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 330/2 وامالي القالي 91/1
ومختصر تهذيب الالفاظ من 14 - 15 والاساس مادة (قذذ) واللسان
مادة (قذذ) .
(509) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي القالي
90/1 واللسان (سمن) والميداني 271/2 رقم المثل 3806 .
(510) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وامالي
القالي 90/1 واللسان (سرح) والميداني 301/2 رقم المثل 4025 والاتباع
والمزوجة 36 .
(511) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 333/2 ومختصر تهذيب
الالفاظ من 15 وامالي القالي 90/1 والاساس مادة (قرب) .
(512) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجمهرة
الامثال 267/2 وامالي القالي 90/1 والميداني رقم المثل 3890 والفاخر 21
والاساس (دقق) .
(513) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجمهرة
الامثال 267/2 واللسان (هبع) والاساس (ربع) .
(514) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي القالي 91/1 واصلاح
المنطق 384 والاساس واللسان مادة (خرع) .
(515) اي ما له شيء ، قال المفصل ، قال أبو صالح : كل ما لان من الصوف والوبر
فهو لبد ، والسبد : الشعر .
وانظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجمهرة الامثال 267/2 والميداني
149/2 ونوادر أبي مسهل 20/1 وادب الكاتب 39 وتهذيب اللغة 130/4
والمستقصى 331/2 والحيوان 429/5 واللسان مادة (سبد ، لبد) والفاخر
21 وامالي القالي 90/1 واصلاح المنطق 384 والصاحح والاساس والتاج
مادة (لبد) .
(516) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجمهرة الامثال 267/2 والميداني
285/2 رقم المثل 3891 والفاخر 22 وامالي القالي 91/1 واصلاح المنطق
383 واللسان مادة (حقر) والاتباع والمزوجة 43 . والمعار : النخل أو
البتاع .
(517) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجمهرة الامثال 267/2 والفاخر =

من الغنم والراغية من الابل . وقد هلك نصاب ابل بنى فلان (518) وقال
الاصمعي : عسرنا الزمان : اشتد علينا (519) . وهم في ضنف ، وحفف ،
وقشف ، وشظف ، ووبد . كل هذا من شدة العيش . والماء المضفوف : الذي
كثرت عليه الشاربة . ويقولون في الشتم : التقى الله ماله في النقيصة (520) .
وفي شعر الهذلي (521) : فلان صفر المباءة (522) ، وهو الذي مرجعه الى
وطن خال لا شيء فيه . وفلان يصادي من عيشه شدة ، أى يقاسى . ويقال :
« ما له حلوبة ولا ركوبة » (523) ولا قتوبة (524) ، ولا جزوزة (525) ،
ولا نسولة ، أى ليست له ناقة تحلب ، ولا تركب ، ولا تقتب ، ولا التي يجز
صوفها ، ولا ذات نسل . وهم في عيش مترح ، أى شديد مبرح .

باب الكبر '526'

يقال : في فلان كبر ، وعظمة ، وتكبر ، واستكبار ، وتخيل . وهو
مزهو . وقد زهى علينا . وهو « أزهى من غراب » (527) . وان لفلان
لصعرا . والتصعير : إمالة الخدين (528) عن النظر الى الناس وفي الحديث :

- = 21 واصلاح المنطق 383 والميداني 284/2 رقم المثل 3889 ونوادير ابسي
مسجل 20/1 واللسان (ثغا) والاساس (ثغى) .
(518) أي هلكت أبهم فلم يبق الا ابل استطرفوها . انظر مختصر تهذيب الالفاظ
ص 15 .
(519) انظر النص في مختصر تهذيب الالفاظ ص 15 .
(520) انظر النص في مختصر تهذيب الالفاظ ص 16 .
(521) هو ساعدة بن جؤية الهذلي : شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام انظر
ترجمته في : خزائن البغدادي 476/1 والامدي 83 وسبط اللالسي 115
والعيني 544/2 وديوان الهذليين 167/1 - 242 و 208/2 - 222
والاعلام 113/3 .
(522) في الاصل : المباءة . و (صفر المباءة) قسيم بيت لساعدة بن جؤية ، روايته
في ديوان الهذليين 208/2 :

صفر المباءة ذي هرسين منعجف اذا نظرت اليه قلت قد مررجا

- وصفر المباءة : أي خالي مبارك الابل .
ذي هرسين : ذي خلقتين
منعجف : مهزول . قد مررجا : قد فتح فاه
(523) انظر المثل في الاتباع والزوجة ص 30 .
(524) القتوبة : الناقة التي يشد عليها القتب
(525) في الاصل : جزوره (براء مهملة / وهو تصحيف .
(526) راجع باب الكبر في تهذيب الالفاظ 151 وباب التكبر في الالفاظ الكتابية
ص 133 .
قد مررجا : قد فتح فاه للموت .
(527) وهو انه اذا مشى يخال ، انظر المثل في جمهرة الامثال 507/1 والحيوان
220/1 وفصل المقال 387 والميداني 221/1 والمستقصى 63 والالفاظ
الكتابية 133 .
(528) هكذا في الاصلين . والصواب : الخد (بالانفراد) انظر المتايبس 288/3
واللسان (صعر) وتام تصحيح الكلام 33 .

« يأتي على الناس زمان ليس فيه الا اصغر واثير » (529) . فالاصغر :
الذاهب بنفسه . والاثير : من الثبور وهو الهلاك . ويقولون : لاقيم
صبرك ، أي لأزيلن كبرك . ورجل مصبوع : اذا كانت فيه خيلاء . ومن
شعرهم ما يشبه هذا قول طرفة (530) :

ان امراً سرف الفؤاد يرى عسلاً بماء سحابة شتمى

وانا امرؤ أكوى من القصر البادى واغشى الدهم بالدهم وأخبرنى أبو
الحسن على بن ابراهيم القطان قال : سمعت ثعلباً يقول : سئل ابن
الاعرابى عن بيتى جرير (531) :

اذا مشيت لم تنبهر وتأودت كما انآد من خيل وج غير منعل
كما قال فضل الجل عن متن عائذ اطافت بمهر في رباط مطول

فقال : ما سئلت عنهما ، وقد احسن جدا ، اراد انها لا ترفع من
الخيلاء ثوبها اذا ما سقط عنها ، ولكن تجره . ونحوه :

جارية بسفوان دارها تمشى الهوينا مائلا خمارها (532)
وقال آخر :

529 الحديث في النهاية لابن الاثير 263/3 وروايته : « يأتي على الناس زمان
ليس فيهم الا اصغر أو اثير » .

530 البيتان لطرفة بن العبد البكري يمدح قتادة بن سلة الحنفي ، واصاب قومه
سنة ماتوه ببذل لهم واحسن اليهم . انظر ديوان طرفه ص 90 والاول في
الاصلاح 64 والتهذيب مادة (سرف) والمعاني الكبير 811/2 وانظر ترجمة
طرفة في : طبقات الجبحي 115 والشعر والشعراء 117/1 والافانسي
185/21 والموشح 57 ومعجم الشعراء 201 والخزانة 414/1 وبروكلمان
92/1 .

531 البيتان في شرح ديوان جرير — صنعة محمد اسماعيل عبد الله الصادي
ص 457 ، مع اختلاف يسير في رواية الاول . (تنبهر) مكان (تنبهر) والوجأ :
الحفا . والعائذ : الانثى التي وضعت حديثا . الجل : اللدابة كالثوب للانسان
والجمع (جلال) .

532 الرجز لمظفور بن حبة انظر تاج المروس 405/3 وبعده فيه :

قد أمصرت أو قد دنا أمصارها

وفي العين للخليل ص 345 من غير عزو وتنمته :

ينحل من غلبتها ازارها قد أمصرت أو قد دنا أمصارها

وهو في اضداد أبي الطيب ص 509 من غير عزو ايضا في أربعة اشطار
والارجوزة في سبعة اشطار في العين 444/4 وفيه بعد الشطر الاول شطر
ثان هو : لم تد ر ما الدهنا ولا تمسارها
وبعد الاشطار الأربعة آخران هما : =

فلا يغرنك جرى الثوب معتجرا (533) انى امرؤ فى عند الجد تشمير

ونفخ الشيطان : الكبر . ويقولون : « كل ذات ذيل تختال » (534) .
ويقولون للمتكبر : كان انفه فى أسلوب (535) . ورأيت زاما بانفه ، أى رافعا
رأسه كبرا . والزبونة : الكبر . ويقولون : « هو أتية من أحقق ثقيف » (536)
يريدون يوسف بن عمر كان ذا تيه (537) .

باب صفر الهمة والنفس

يقال : ما هو بذى طعم ، أى ليست له نفس . ويقال اسف ، اذا تتبغ

= قلت لبواب لديه دارها
تيدن ، فاني حبها وجارها
والشاهد فى المقاييس 342/4 والمخصص 47/1 والصاحح مادة (سلفن)
وهاشميات الكميت 74 . والخمسة الاولى فى معجم ما استمعج 315/3 وفى
صلة جزيرة العرب ص 168 . والاشطار الاربعة الاولى فى اللالى 684
وبعضها فى اللسان مادة (عصر) وفى الجهرة لابن دريد 354/2 وشرح
الحماسة للتبريزي 13/4 بترتيب مختلف . والشطران الخامس والثالث فى
معاني الشعر 138 والشطر الخامس وحده فى اعداد ابن التباري 217 .
وفى نظام الغريب ص 67 ، وهى رواية انفرد بها الربيعي :
جارية « بشطين » دارها تمشي الهونا ساقطاً خمارها
قد اعصرت او قد دنا اعصارها

ورواية الاشنانداني فى معاني الشعر وهى رواية انفرد بها :

معصرة لو قد دنا اعصارها

وتوهم الدكتور صلاح الدين المنجد فى تعليقه على هذا الرجز فقال : هو
لمنصور بن مرثد الاسدي وقيل لمنصور بن خبه . فظنهما رجلين ولم يظن
للتصحيف والتحريف فى اسمه . وصاحب الأرجوزة : هو منصور بن مرثد بن
مروة القعسي ، شاعر اسلامي ، وجبه اسم امه . وصحف اسمه فى الناج
الى منصور بن حبه .

وسفوان : ماء بين ديار بني شيبان وديار بني مازن على اربعة اميال من
البصرة ويسمى حالياً (صفوان) .

(533)

الاعتجار : لف العبادة على الراس .

(534) انظر المثل فى جهرة الامثال 253/2 والميداني 134/2 رقم المثل 3004

والمستقصى 226/2 رقم المثل 763 .

(535)

اسلوب : اي فى طريق ، والمراد اذا لم يلتفت يميناً ولا شمالاً .

(536)

انظر المثل فى جهرة الامثال 285/1 والميداني 99/1 والمستقصى ص 20 .

ويوسف بن عمر الثقفي أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك وقيل : كان

أحق من أمر ونهى فى الاسلام (ت 127 هـ) . وانظر ترجمته فى : وفيات

الاميان 360/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 191/5 والتنبية والاشراف 281

والاخبار الطوال — طبعة بريل — 339 ومراة الجنان 267/1 والاملام

320/9 .

(537) فى الاصل : تيه .

مداق الأمور ، كأنما يطلب اللقط في التراب . وقال :

وسام جسيمات الأمور ولا تكن مسنا الى ما دق منهن ذائيا (538)

باب الجهل بالشيء

يقال : انه لشرق بالأمر ، أى جاهل . وفي امثالهم : « ما يدري أسعد الله أكثر أم جذام » (539) ، يضرب لمن لا يعرف القليل من الكثير . ويقولون : « ما يعرف هرا من بر » (540) ، « ولا يعرف حا من سا » (541) « ولا يدري أى طرفية أطول » (542) « ولا يعرف الوحي من السفر » (543) الوحي : الايماء والسفر : الكتابة . « وما يعرف الحى من اللى » (544) ، الحى : واضح الكلام . واللى : غيره . ويقولون : فى فلان غبوة . وهو « أجهل من فراشة » (545) .

باب العته والجنون '546'

يقال : عته ، وهو معتوه ، اذا نقص عقله . وجن ، من الجنون . ويقولون للشباب اذا تعجبوا من شبابه : ما له جن جنونه ! ولا يقال ذلك للشيخ . وهذه الكلمة من باب وصف الشباب . وقال الشاعر :

اذا أمنوا ترى احلام عاد وان فزعوا حسبت لهم جنونا

- (538) البيت فى الاساس 444/1 واللسان مادة (سلف) من غير عزو .
(539) انظر المثل فى جبهة الامثال 280/2 والميداني 109/2 والمستقصى 336/2 رقم المثل 1232 . وفى النسختين : جذام .
(540) قال الاصمعي : معناه لا يعرف شيئا من شيء . انظر المثل فى جبهة الامثال 401/2 والفاخر 43 والميداني 148/2 والمستقصى 337/2 واللسان (هر) والاساس (بر) والجمهرة وروايته : « لا يعرف هرا من بر » . وهو فى نواذر ابي مسهل 49/1 وادب الكاتب 45 .
(541) حا : زجر للفنم عند السقي ، وزجر للكلب عند السداد . وسا : زجر للحمار .
(542) ورد فى المستقصى 336/2 : « ما يدري أى طرفية أطول » . أى أنسب ابيه افضل ام نسب امه ! . وانظر المثل فى الميداني 214/2 رقم المثل 3502 والمصاح (طرف) وادب الكاتب 44 .
(543) انظر المثل فى جبهة الامثال 419/2 .
(544) انظر المثل فى جبهة الامثال 419/2 رقم المثل 1935 والميداني 160/2 والمستقصى 336/2 . وقيل أيضا : « ما يعرف الحو من اللو » .
(545) لأنها تطلق بنفسها فى النار . انظر المثل فى جبهة الامثال 334/1 والاصمعي 34 والميداني 126/1 والمستقصى 27 .
(546) راجع فى الالفاظ الكتابية باب المس والتصورات والجنون ص 97 .

ويقال : بفلان سفعة من الشيطان ، أى أخذه (547) . وفى الحديث :
« رأى جارية بها سفعة » (548) . ورجل اشجع ، كأن به جنونا . والالس:
الحق والجهل . وفى الحديث : « نعوذ بك من الالس والألق » (549) . قال
أبو عمرو : المحتضر : المجنون . ويقال : فى عقله صابة ، أى كأنه مجنون .
وقيل لأعرابي : يا مصاب . فقال : أنت أصوب منى .

باب الحمق '550'

يقال : امرأة محمقة : تلد الحمقى . وفى أمثالهم : (عرف حميىق
جمه) . (551) يضرب للرجل يأنس بك حتى يجترىء عليك . ويقال :
« هو أحمق من ترب العقد » (552) . يعنون عقد الرمل ، وذلك أنه لا يثبت
بل ينهار . ويقال : ما أبين رعالته . وفى أمثالهم : « زاده الله رعالة كلما
ازداد مثالة » (553) . ومنه فكة ، أى استرخاء من حمق . ويقال : هو هيبىت،
أى بارد الفؤاد ، ميت النفس . وهو متهوك : يقع فى الأشياء بحمق . وأنه
لأحمق خطل ، أى سريع خفيف . ويقال فى الضعيف الرأى : هو واهن الرأى،
ضاجع ، أى عاجز . وهذا رأى اعور ، من قولهم طريق اعور ، إذا لم
يكن فيه علم ولا أثر (554) . ويقولون : هو جفر ليس له زبر ، وأصله البئر
إذا لم تطو . والامرة : الذى لا رأى له فهو يسمع من كل احد . وفلان سىء

- (547) أى مس .
(548) الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والاثر 166/3 وفى صحيح مسلم 18/7
وفى اللسان مادة (سفع) .
(549) ورد الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والاثر 60/1 وروايته : « اللهم نعوذ
بك من الالس ، اللهم انا نعوذ بك من الألق » .
وورد الحديث فى فقه اللغة للثعالبي ص 213 وروايته كرواية المتخير . وهو
فى الأساس مادة (الس) 18/1 وروايته : « واللهم انا نعوذ بك من الالسى
والألقى أى من الخيانة والكذب » .
(550) راجع باب الحمق والهوج فى تهذيب الالفاظ 187 وباب المس والجنون فى
الالفاظ الكتابية 97 وباب الجهل فى الالفاظ الكتابية 143 .
(551) انظر المثل فى جبهة الامثال 50/2 والميداني 309/1 والمستقصى 160/2 .
وهيىق : اسم رجل .
(552) انظر المثل فى جبهة الامثال 395/1 والميداني 152/1 والمستقصى 76/1 .
والأحمق بوصف بقلة التباسك والثبات .
(553) الرماله : الحباقة . والمثالة : حسن الحال والهيئة . يضرب فى دعاء الشر .
انظر المثل فى المستقصى 109/2 والميداني 322/1 والاسساس (مثل)
واللسان (رمل) والبصائر والنخائر المجلد الثالث - القسم الاول ص 236 .
(554) فى كنىات الادباء للجرجاني ص 144 نسب هذا القول لابن الامرابي . وفى
الحكم 246/2 : « وطريق أمور : لا علم فيه ، كأن ذلك العلم عينه ، وهو
مثل » .

الرأى ، منقطع العقل . وهو « جرف منهال » وسحاب منجال » (555) ،
أى لا حزم له ، ولا عقل ، ولا يطمع فى خيره . ورجل قلع : متلون لا يثبت
على شىء ، ورأى متخالج : ردىء .

باب سوء الخلق

يقال : هو سىء الخلق ، وفيه عرارة (556) وفى خلقه عسر . وهو
عقام (557) ، متزبع (558) ، وهو يتنمى ، اذا ساء خلقه كأنه افعى . وهو
شرس ، ضرس ، مخرور ، غلق . وهؤلاء شركاء متشاكسون . ورجل زعر
معر ، أى سىء الخلق .

باب الالباء وقلة الانتقاد

يقال : أبى اباء (559) ، وهم أبيون وأباة . والصعب : نقيض الذلول .
وهم « أصعب من رد الجموح » (560) . « وأصعب من رد الشخب فى
الضرع » (561) . ورجل عق فظ ، أى صعب لا ينتقد . وفلان شديد
الاخدع (562) ، اذا لم ينتقد . وقد تحمس ، وتعاصى ، وامتنع . ويقولون
للرجل يأبى الأمر : هذا أمر لا تنفى له قدرى (563) ، ولا تبرك عليه ابلى .

باب التعسف والتهور

التعسف والتهور : الهجوم على الأمر بلا تثبت . وهو من الجرف
الذى ينهار . والتجليح : التصميم فى الأمر .
وذئب مجلح ، اذا ركب رأسه . والترع : الذى يقتحم الأمور . خلاف
الورع .

- (555) انظر المثل فى الميداني 177/1 يضرب مثلا لمن لا حزم عنده ولا عقل ولا يطمع
فى خيره وفى الكتابات للجرجاني ص 147 : « قيل لامرأى ما تتول فى فلان ؟
قال : جرف منهار وسحاب منجار ، لا يطمع فى خيره » .
(556) فى الاصل : غرارة بالفين المعجمة ، وهو تصحيف .
(557) المعام : من لا يولد له . والسىء الخلق .
(558) المتزيع : السىء الخلق القليل الاستقامة .
(559) فى الاصل : ابا اباء .
(560) انظر المثل فى جمهرة الامثال 568/1 والمستقصى 208/1 والميداني 417/1 .
والجموح : الفرس يمتاز فارسه على رأسه ويجري جريا غاليا .
(561) الشخب : ما يخرج من الضرع من لبن . وانظر المثل فى جمهرة الامثال 586/1
والميداني 413/1 والمستقصى 208/1 .
(562) الاخدع : مرق خفي فى موضع الحجابة من العنق .
(563) ائف القدر : جعلها على الاتاني ، وهى الاحجار التى توضع عليها القدر .

باب الجبن '564'

يقال : هو جبان والجمع جبناء . ويقولون : الجبان حثفه من فوقه .
ورجل رعديد . وقد انتفخ سحره . وفي الحديث : « نعوذ بك من شح هالغ ،
وجبن خالغ » (565) . والورع ، واليراعة : الجبان . وهو هيبان (566) ،
منخوب . وهو « أجبن من صافر » (567) ، « وهو الصفر » (568) .
« وهو انخب من نعمة » (569) والكفل : الذي يكون في مؤخر الحرب ،
انما همته الفرار .

باب الاحجام عن الحرب

يقال : احجم ونكص وانقذع وخام وهلك (570) ، وهو « أشرد من
حبارى » (571) ، « وأشرد من نعمة » (572) ويقولون : « كل أذب
نفور » (573) . ويقولون : « روى جعار وانظري أين المفر » (574) ،

- (564) راجع باب الجبن وضعف القلب في تهذيب الالفاظ ص 176 وباب الجبان في
الالفاظ الكتابية ص 68 .
(565) رواه أبو داود عن أبي هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : شر ما في الرجل شح هالغ وجبن خالغ (سنن أبي داود 18/3 رقم
الحديث 2511) ورواه ابن حبان (ص 207 موارد الظمان / وأورده المنذري
في الترفيب والترهيب 60/5 وابن الأثير في النهاية 65/2 وروايته في الجبان
في تشبيهات القرآن ص 269 : « أعوذ بك من الجشع والهلع » . وانظر
الحديث في المخصص 11/3 واللسان مادة (هلع) .
(566) في تهذيب الالفاظ ص 178 : هيبان بدون تشديد .
(567) انظر المثل في جبهة الامثال 325/1 وفصل المقال 393 والميداني 184/1
والمستقصى 21 واللسان مادة (صفر) وتهذيب الالفاظ ص 182 والصاح
مادة (صفر) .
(568) المثل : « أجبن من صفر » وهو طائر من خشاش الطير ، ضرب به المثل
في الجبن . انظر الميداني 185/1 وجبهة الامثال 325/1 والمستقصى 45/1 .
(569) في جبهة الامثال 394/1 : احق من نعمة ، وكذلك في فصل المقال 330 ،
والميداني 151/1 والحيوان 198/1 . وفي الامثال : أشرد من نعمام قال
الشاعر :

وهم تركوك اسلح من حبارى رات صبرا وأشرد من نعمام

- انظر : ايجاز القرآن للباتلاني ص 122 — تحقيق محمد عبد المنعم خلفه
هلق : نر ونكص .
(570) هلق : نر ونكص .
(571) في جميع الامثال : اسلح من حبارى 388/1
(572) انظر الميداني 388/1 رقم المثل 2051 .
(573) انظر جبهة الامثال 154/6 والميداني 53/2 والمستقصى 223/2 يضرب
مثلا للرجل ينفر من كل شيء والأذب من الأبل : الكثير شمر الوجه حتى
يشرف على مينيته ، فكلمة رآه نفر ، فهو دائم النفر .
(574) انظر جبهة الامثال 488/1 والميداني 195/1 والمستقصى 105/2 واللسان
(جفر) . وفي النسختين : جعار ، وفي 1 : المفر .

يقال ذلك لمن يطلب المخلص ولا مهرب له ، وجمار : الضبع ومن أبياتهم :

لحا الله قيسا قيس عيلان انها (575) أضاعت ثغور المسلمين فولت
فشاوول بقيس في الرخاء ولا تكن لأخاها اذا ما المشرفية سلت (576)

ويقال : انهزم القوم نعاميه . قال الأملوه :

واجفل القوم نعامية عنا وفئنا بالنهاب النفيس (577)

باب الفزع

يقال فزع وذعر ، وتقول العرب : اريته لحا باصرا ، أى امرأ
مفزعاً (578) . وقد أخذ الزويل ، أى الفزع . والوهل : الفزع . ورجل هيووب ،
أى هيبان وفى مثل « اعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة » (579) .

باب الثنسان والبغضة '580'

البغض والبغضاء بمعنى . وتقول العرب : بغض جده كما يقولون عثر
جده . ويقولون : قليتة اقلية قلى ، وشنئته اشنؤه . وتقول اشنا حق اخيك
أى سلم حقه اليه .

(575) فى الاصليين : غيلان (بالفتح المعجمة) وهو تصحيف .
(576) البيتان من شعر عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص فى يوم مرج راهط ،
وهما من أبيات يرد بها على زفر بن الحارث ، انظر مجالس ثعلب ص 347
— 348 وروايتها فيها : أضاعت مروج .. الخ . والفرج : الثغر المخوف .
مشارك بقيس فى الطمان .. الخ

وانظرهما فى الطبري 42/7 وروايتها فيه ، الاول مطابقة لرواية (المتخير)
والثاني : فباء بقيس فى الرخاء ..
وانظر (اللسان) مادة (شول) 400/13 وفيه الثاني فقط والبيتان فى الحماسة
شرح المروزقي 1499 — 1500 وروايتها كرواية المتخير . وفى التبريزي :
بقيس فى الطمان .

(577) الأملوه : صلاة بن عمرو بن مالك الأودي من مخجج ، والبيت فى — الطرائف
الأدبية ص 17 — تحقيق ونشر عبد العزيز الميمني — القاهرة 1937 وقد
ضمت ديوان الأملوه الأودي ، وانظر ترجمته فى : الشعر والشعراء 149/1
والأغاني 41/11 والميمني 421/1 ومعاهد التتميم 159/2
والشعراء 111 وسيط اللآلي 365 و 844 والزهر 238/2 و 296 والمنتخب
من شمس العلوم 4 وجبهة الانساب 386 وشعراء النصرانية 70 .

(578) ورد فى مجمع الأمثال 177/2 : لارينك لحا باصرا — رقم المثل 3240 — .
وفى شرحه قال الخليل : لارينه امرا مفزعا ، وقال أبو زيد : لحا باصرا أى
صادقا ، يقولها المتهدد .

(579) قاله سليك بن سلكة ، والمعنى احوذ بك أن تخيبي ، فأما الهيبة فلا هيبة ،
أى لست بهيووب . انظر المثل فى الميداني 23/2 رقم المثل 2461 وانظر شرح
هذا المثل فى الميداني أيضا تحت رقم 2409 .

(580) البغضة : البغضاء ، والقوم الباغضون .

باب الكراهية

العرب تقول : « اساء كاره ما عمل » (581) . وذلك ان المكروه على الشيء يسمى عمله . واعتنت الشيء كرهته . وقد عاف الشيء عيافا اذا كرهه . والعيوف من الابل : الذي يشم الماء (582) وهو عطشان فيدعه . قال ابن الاعرابي : ما قلبى اليك بمطلق ، اذا لم تشتهه . وما تطلق نفسى لهذا الامر ، أى ما تنشرح . ويقال : حمضت نفسى من الشيء ، أى كرهته ومنه قولهم : ان للقلوب حمضة وللاذان فجة (583) .

باب رجوع الرجل في اللؤم الى أصله والفاظهم في اللؤم

تقول العرب : رجع عبد السوء الى محتده . ويقال : لؤم الرجل . وهو « الأم من كلب على عرق » (584) « والأم من سقب ريان » (585) قال الخليل : الاقتعاد : ان يقعد لؤم الأصل بالرجل عن الخير . يقال ما اقتعده عن الكرم الا لؤم أصله (586) . وقد تداركته اعراق سوء وقد وضع رضاعة . وفلان لثيم اعقد ، اذا لم يكن سهل الخلق . قال ابن الاعرابي ، قال رجل : بنو فلان يعتصرون العطاء ، ويبيعون الماء ، ويعبرون النساء (587) . يعتصرون : يرتجعون ثوابه . اخذت عصرته ، أى ثوابه . ويعبرون ، أى يختنونه (588) .

-
- (581) انظر المثل في : جبهة الامثال 197/1 والمستقصى 64 والميداني 338/1 رقم المثل 1805 .
- (582) في الأصل : الماء
- (583) ورد في التهذيب 224/4 مادة حمض : الاذن مجاجة وللنفس حمضة ونسره الازهري : ان الاذان لا تمي كل ما تسمعه ، وهي مع ذلك ذات شهوة لما تستطرقه من غرائب الحديث ونوادر الكلام .
- (584) انظر المثل في جبهة الامثال 180/2 والميداني 956/2 رقم المثل 3741 والمقاييس 287/4 . ورواية الميداني : مرق (بكسر الميم) .
- (585) انظر المثل في جبهة الامثال 220/2 والميداني 252/2 والمستقصى 120 . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد .
- (586) ونس رواية (النمين) 160/1 : « والاعتقاد مصدر اقتعد ، من تولك : ما اقتعد فلانا عن السخاء الا لؤم أصله » .
- (587) هكذا ورد في أساس البلاغة 96/2 مع تقديم وتأخير وانظر اللسان مادة (مصر) .
- (588) جاء في الأساس 96/2 : غلام معبر ، وجارية معبرة : لم يفتنا . وتتسول العرب في شتاتهم : يا ابن المعبرة .

باب البخل*

يقال : هو بخيل مبخل . وهو « عنز عزوز لها در جم » (589)، يضرب للبخيل الموسر . والعزوز : الضيقة الاحليل . وفلان عقم اليمين (590) ، منقطع المعروف . وهو طبع طمع ، لحز ، لا تتدى صفاته . وهو جحد البيت (591) ، جحد النائل ، جحد اليمين متشزن (592) ، حصور . وهو قفل ، قبوض ، شنج اليمين ، ومجنوف اليمين ، جماد الكف . ويقولون : جماد له جماد ، أى لا زال جامد الحال . وفى ضده : جماد له جماد . وقد اضب فلان على ما فى يديه . ونظرنا منه فى وجه امرس املس ، أى كالحجر . أى انه بخيل لا خير فيه ، ورجل يبس : لا ينيل خيرا .

باب الارتداع وضده

ردعته فارتدع . وقد ردعته روادع الشيب . وفلان شديد العنان ، أى لا ينقاد . وقد ذل عنانه : انقاد . ورجل مخلوع الرسن ، اذا لم يكن له زاجر . وهو منقطع المقال فى الشر (593) . ولا يقرع أى لا يرتدع . وقد قرع ، اذا ارتدع . وقد عند فهو عنيد . ومن أمثالهم « لكل عنود نوى » (594) ، أى كل انسان منطلق لوجهته .

باب التمدادى واللجاج

المحك : التمدادى واللجاج . وقد اهتمج فى الامر ، والتج ، وانهمك . والمهاوأة : الملاجة . وقد شرى فى الأمر : لج .

* راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الشح ص 69 وفى الالفاظ الكتابية باب البخل ص 96 .

(589) انظر المثل فى المعاييس 39/4 والمبدائى 25/1 رقم المثل 83 ونوادر ابسى مسجل 447/2 واللسان (عزز) ونوادر ابى زيد 95 .

(590) اي ملتوى اليمين .

(591) اي قليل الخير

(592) الغليظ الخشن

(593) انظر أساس البلاغة 263/2 مادة قطع .

(594) فى مجمع الامثال ورد (لكل ذي عبود نوى) 194/2 ، اي لكل اهل بيت نجمه ، والمعنى لكل اجتماع افتراق ، ولكل امرئ حاجة يطلبها . ولم أظفر بهذا المثل فى كتب الامثال والمعاجم التي رجعت اليها .

باب الحقد والضغينة *

الحقد ، والضغن ، والمثرة ، والضمد ، والسخيمة ، والفمر .
قال الاحنف (595) في كلام له : استشرت شأفتكم ، وأبى حسك
صدورك (596) . قال ابن الأعرابي : احتمل عليه قوله ، أى حقه .
والدخن : الحقد . وفي الحديث : « هدنة على دخن » (597) . وفلان دخن
الخلق . ورجل مقل . مضب على غل ، وقد غمر صدره على .

باب الغدر والخيانة **

يقال : غدر يغدر . واغدر : أتى بالغدر . وفي المثل : « هو قفا غادر
شر » (598) . والألس : الخيانة والكذب . والختر : الغدر . وفي بنى فلان
مخانة ، أى خيانة . والغلول : الخيانة فى الفئء ، وفي الحديث : « لا اغلال
ولا اسلال » * أى لا خيانة ولا سرقة . وقد ادغل القوم بفلان ، اذا خانوه ،
وسرقوه ، واغتالوه .

باب الخديعة والمكر والنكر

يقال : خدعته خدعا ، وخديعة . ورجل مخدع ، اذا خدع مرارا في

-
- * راجع باب البغضاء والحقد من 38 — جواهر الالفاظ وباب الغضب والحدة
والعداوة — تهذيب الالفاظ من 78 والالفاظ الكتابية من 17 باب الحقد
والضغينة .
- (595) هو الاحنف بن تيس التميمي (ت 76 هـ) ، انظر ترجمته في : تهذيب التهذيب
191/1 ، ابن سعد 66/7 وابن خلكان 23/1 وجمهرة الانساب 206 وذكر
اخبار اصبهان 224/1 وتهذيب ابن عساکر 10/7 والسير 81 وتاريخ
الخميس 309/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 129/3 ولف باء البلوي 343/2
والاعلام 262/1 .
- (596) الشافعة : الاذى والعداوة . والحسك : الحقد .
- (597) انظر الحديث في : المستقصى 389/2 والميداني 382/2 و 161/1 ، ويضرب
مثلا لمن يضمر اذى ويظهر صفاء . وقد أورده ابن الاثير في النهاية 243/4 .
وهو في المقاييس واساس البلاغة واللسان مادة (فغن) .
- ** راجع باب نكت العهد من 180 — الالفاظ الكتابية ولب الفس والدغل
من 384 — جواهر الالفاظ .
- (598) يضرب مثلا للرجل الدميم الزري الذي له خصال محمودة . انظر المثل في :
جمهرة الامثال 355/2 ومصل المقال 123 والميداني 384/2 والمستقصى
329 .
- * رواه الطبراني عن عمرو بن موف يلفظ : لا اسلال ولا غلول ، — الجامع
الصغير للسيوطي ورمز له بالصحة : 198/2 والحديث في النهاية وهو في
الاساس واللسان مادة (غلل) .

الحرب . ومن أمثالهم : « ترك الخداع من أجرى من مائة » (599) ،
 قتله قيس بن زهير (600) لحقيقة بن بدر (601) . ويقولون : « ترك
 الخداع من كثف الغناع » (602) . وفي فلان خنعات (603) ، أى نكر وخبث
 وانتقال من طبع الى آخر . قال أبو عبيدة : التماحل : التماكر . يقال : ما حله
 عن حقه ، أى خادعه . والمحال : المكيدة . والادهان : اللين والمسانعة .
 والمداهن : المخادع المحابى . ويقال : « فلان يقرء فلانا » (604) ، أى
 يخدعه ليستمكن منه . وفي أمثالهم : « ضرب أخماسا لاسداس » (605) ،
 يضرب لمن يظهر شيئاً وهو يريد غيره والختل : الخدع فى غفلة . ومن
 أمثالهم : « مجاهرة اذا لم أجد مختلا » (606) ، أى أخذ حقى قهرا اذا لم
 أصل اليه عفوا . ويقولون : « هو اخبث من ذئب الخمر ، واخبث من ذئب
 الغضا » (607) والخلاف : المخادعة . ويقولون : « اذا لم تغلب
 فاخلب » (608) .

باب الحسد

تقول : حسده يحسده . وقال الأعرابى : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم
 من الحاسد : حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم . وغبطته ، وهو مثل

- (599) انظر المثل فى : جبهة الامثال 628/1 و 200 والضبي 28 والفاخر 220 ،
 وفصل المقال 136 والميداني 122/1 والمستقصى 190 .
 (600) هو قيس بن زهير العبسي (ت 10 هـ) انظر ترجمته فى : الميداني 184/1
 وابن أبي الحديد 150/4 وخرانة البغدادي 536/3 والكمال لابن الاثير
 204/1 والمرزباني 322 وسرح العميون 69 ورفعة الامل 88/4 وسيط
 اللالي 582 و 823 والتبريزي 106/1 و 221 و 11/2 والاعلام 56/6 .
 (601) حقيقة بن بدر ، ضرب به المثل فى سرعة السير (جاهلي) ، انظر ترجمته
 فى ثمار القلوب 111 والاعلام 180/2 .
 (602) انظر المثل فى : جبهة الامثال 287/1 و 570 والفاخر 184 .
 (603) هكذا فى الاصل . والذي فى تهذيب اللغة 167/1 واللسان مادة خنع : (خنعات)
 بضم الخاء والتون .
 (604) انظر المثل فى الميداني 27/1 رقم المثل 96 ونصه : (انه ليقرد فلانا) .
 (605) انظر جبهة الامثال 4/2 وفصل المقال 95 والميداني 283/1 والمستقصى
 236 واللسان مادة (حيس) واسباس البلاغة مادة (خيس) .
 (606) انظر المثل فى الميداني 309/2 رقم المثل 4056 .
 (607) الخمر : ما يستتر به من شجر ، والغضا : شجر معروف ، انظر المثل فى
 جبهة الامثال 438/1 والميداني 174/1 والمستقصى 41 والحيوان 220/1
 معناه : اذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستغلاء باطلبها بالرفق والادارة .
 (608) انظر المثل فى : جبهة الامثال 66/1 وفصل المقال 102 والميداني 3/1 ،
 والمستقصى 150 واللسان مادة (خلب) والصالح 122/1 .

الحسد (609). وفي الحديث : « هل يضر الغبط ؟ فقال : كما يضر العضاة الخبط » * . ومثل : « الذئب مغبوط بذى بطنه » (610) لمن يغبط بما لا جدوى له فيه . ويقول : اللهم غبطا لا هبطا (611) ، أى اجعلنا نغبط ولا نهبط . وقد نفس فلان على فلان : حسده .

باب الغضب

يقال : لفلان دِخامس . والدخمة : الغب . وله دغاول (612) وهو « أخب من ضب » (613) .

باب الغضب **

يقال : غضب ، واحتلط . وفلان « يكسر عليك أرعاض النبيل غضبا » (614) . وجاء فلان نافشا عفريته (615) ، وجاء رافعا بانهفه ، أى مغضبا . وقد وغر صدره ، ووغم (616) ، ووحر . وقد استقله الغضب ، واحتمله . وجاء فلان يتلدع (617) . ويقال لمن سكن غضبه : تحللت عقده . ولن غضب وتهيا للشر قيل : قد عقد ناصيته . وفلان يكاد يتمزح من الغيظ ، أى كاد يتأطير شقتا . وجاء وبه سكر علينا ، أى غيظ . ويقال للرجل اذا خف

609 ورد في اللسان مادة حسد 125/4 ما نمه : الحسد أن يرى الرجل ل أخيه نعمة فيبتنى أن تزول منه وتكون له دونه والغبط أن يبتنى أن يكون له مثلها ولا يبتنى زوالها منه .

* أورد ابن الأثير في النهاية 148/3 ، وانظر اللسان 126/4 . والخبط : ضرب ورق الشجر حتى يتحات منه ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها .

610 انظر جمهرة الأمثال 461/1 وفيه : الذئب يغبط بذى بطنه ، يضرب مثلا للرجل يظن به الفنى وهو فقير ، والشيع وهو جائع . وانظر المثل في : نصل المقاتل 343 والميداني 187/1 والمستقصى 168 والمعاني الكبير 192/1 وأبى مسحل 381/1 .

611 انظر الدماء في المقاييس مادة غبط 411/4 واللسان مادة غبط وأساس البلاغة 156/2 .

** راجع في تهذيب الالفاظ من 78 — باب الغضب وانظر باب الغيظ في الالفاظ الكتابية من 19 وباب السخط والغيظ من 40 — جواهر الالفاظ .

612 أي غوامل .

613 انظر المثل في جمهرة الأمثال 439/1 والميداني 174/1 والمستقصى 40 والحيوان 43/6 .

614 انظر المثل في الميداني 36/1 رقم المثل 143 ، والرمط : مدخل النصل في السهم .

615 عفرته : شمر ناصية الرجل .

616 الوغم : العقد الثابت في الصدر .

617 في الأصل : يتلدع (بالذال) وهو تصحيف .

حلمه : قد خفت نعماته . واحتد فلان فنشب في حديثه ، وغلق ، وحكى ابن الأعرابي : فلان لا يركض المحجن (618) ، أى لا يتمتع من شيء . ويقال : قد أصبحت مجموحا بك ، أى قد اشتد غضبك . ويقال : قد أذارتة فخر ، أى حرشته فغضب . وفي صدر فلان عليك حماطة ، أى غيظ وموجدة . وهو يتحدم علينا ، أى اشتد غضبه . والحفظة ، والحفيظة : الغضب . وفي المثل : « الحفائظ تنقض الاحتاد » (619) ، أى إذا كانت بينك وبين ابن عمك عداوة ثم رأيتك يظلم حميت له ونصرتك . وفلان حامض الفؤاد ، إذا تغير وفسد . والتحرب : الغضب . وقد حربت فلانا ، وحرشته ، واحمشته . وقد انتفخ انتفاخ الضب الحرب . وحربه : أن يرتفع على برائته . وحمايا الغضب شدته . والمتخبط : الشديد الغضب . والنفر : الغضبان . من نفر القدر وهو غليانها . وقد جاء فلان تغلى مراحله . وقد استشاط ، وشرى غضبا . وقد يقال : غضب مطر ، أى شديد في غير موضعه . وقد انتفخ وريدها : إذا غضب .

باب الحرص والجشع '620'

قال الأصمعي ، قلت لأعرابي : ما الجشع ؟ فقال : أسوأ الحرص . ويقال : أن نفسه لطلعة إلى كذا ، أى منازعة إليه . وزعم فلان في غير مزعم ، أى طمع في غير مطمع . وهوطمع حريص . والطمع والطماعية بمعنى : وهو « اطمع من فلحس » (621) ورجل هاع (622) لاع (623) : حريص . والرع : الطمع والحرص ؟ ويقولون : هو دامى الشفة ، أى حريص ملح .

(618) في الأصل : الحجر ، وهو تحريف والتصويب من اللسان 262/16 وفيه : المحجن : مما معقفة الرأس كالصولجان وفلان لا يركض المحجن : لا غشاء عنده .

(619) انظر المثل في جبهة الأمثال 349/1 ونمسه : الحفائظ تحلل الاحتاد . وانظر فصل المقال 179 و 195 وفيه الروايتان : تنقض وتحلل . وانظر الميداني 139/1 والمستقصى 125 واللسان مادة (حفظ) .

(620) راجع باب الطمع في تهذيب الالفاظ ص 437 وفي الالفاظ الكتابية ص 42 وباب الشره والحرص والسؤال في تهذيب الالفاظ ص 253 . وباب الحرص والشره في جواهر الالفاظ ص 78 .

(621) انظر جبهة الأمثال 14/2 والميداني 441/1 رقم المثل 2335 والميداني 347/1 رقم المثل 1868 ، و« فلحس رجل من بني شيبان ، كان سيدا عزيزا يسأل سبها في الجيش وهو في بيته يعطى لعزه ، فإذا أعطيه سأل لامراته ، فإذا أعطيه سأل لبعيره . انظر المستقصى 225/1 و 152/2 ورواية (اللسان) أسأل فلحس .

(622) انظر المثل في : جبهة الأمثال 333/1 والميداني 187/1 والمستقصى 23 .

(623) رجل هاع : جزوع .

وقد دمي فوه ، وضب (624) فوه . أبو زيد : الطرف من الرجال : الرغبة العين الذي لا يرى شيئاً إلا أحب أن يكون له (625) ، فعيناه لا تشبعان ، من قوم طرفين . ومن أمثالهم : « أجشع من أسرى الدخان (626) . وهم قوم من تميم أرادوا المكبر أن يقتلهم ، فأمر باتخاذ طعام ، فلما ارتفع الدخان دعاهم فاعتروا بالدخان ودخلوا الحصن ، فاصفق الباب وقتلوا . فقيل : أجشع من أسرى الدخان . وقيل فيهم ليسوا بأول من قتله الدخان . وقد كلب فلان أشد الكلب . ومنيت فلانا حتى انتشرت نفسه وجاء فلان نائسراً أذنيه (627) . والاشراف : الحرص .

باب الظلم والفسيم *

قال أبو عمرو: القوم عليه نسلج، أى مجتمعون (عليه بالعداوة) (628) وقد ضلع عليه ، وقد جنف عليه . وانت على ضلع جائرة . وضلع فلان مع فلان أى ميله . ويقال : هو « أظلم من حية » (629) لأنها تجيء الى غير جحرها فتدخله . والرهق : الظلم . من قوله تعالى : « بخساً ولا رهقا » (630) . والعدوان : الظلم الصراح . والعدوة : عدوة اللص ، وعدوة المغير ، وعدوة السبع . ويقولون : كف عنا عاديتك ، وإياك والظلم فان الظلم يفسى بالرجال المغاشى . ويقولون يقول الشاعر :

فلا تك حفارا بظلفك انما تصيب سهام الغي من كان غاويما
إذا أنت أكثر المجاهل كدرت عليك من الأخلاق ما كان صافيا *

ويقولون : اهتضمت فلانا . وفلان يتهدم على فلان ، أى يتوشب عليه بالظلم . (ويقال) *** لمن تسرع اليك : « ان حفرك الى لمتهدم » (631)،

- 624 رجل لاع : السوء الخلق الحريص .
625 الضب : النسيان .
626 انظر العبارة في اللسان مادة (طرف) .
627 انظر المثل في الميداني 163/1 رقم المثل 852 واساس البلاغة 443/2 .
* قريب منه باب الاجتماع بالعداوة على الانسان — تهذيب اللفاظ ص 568 .
628 زيادة يستقيم بها المعنى .
629 المثل في : جبهة الامثال 29/2 وفصل المقال 388 والميداني 445/1 والمستقصى 93 والحيوان 220/1 وأمالى الغالى 12/2 .
630 تتمد الآية الكريمة : « ممن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا » 13 ك سورة الجن 72 .
* البيتان للشاعر منظور بن مرثد بن مروة الفقمي . انظر : معجم الشعراء للمرزباني ص 281 وروايتها فيه :
... تصيب سهام الغي من كان رافيا .
لعلها : وتقول .
631 انظر : الميداني 65/1 رقم المثل 325 ونصه : ان جرمك الى الهدم .

و « ان حبلك الى لانشوطة » (632) . ويقال : تباخس القوم ، أى تغابنوا .
ويقال : تحسبها حمقاء وهى باخس (633) . ويقولون : الظلم انكد غبه
مشؤوم ، والفشم : الظلم . و « الحرب غشوم » (634) تنال غير الجانى .
واغمض فلان على الظلم ، اذا مضى عليه . « وركب القوم ام جندب » (635)
اذا ركبوا الظلم .

باب الحيف والجور ' 636 '

المول : الميل فى الحكم الى الجور . وقد عال فى حكمه ، اذا جار . وحدل (637)
عليه ، اذا جار . ويقولون : حدل وما عدل . واشط فلان ، اذا جار فى
قضيته . وماط فى حكمه يميظ ، اذا جار . والصبنة : الميل ، تقول : لا تصبن
على مع عدوى ، أى لا تمل . وكل شئ عدلته عن جهته فقد صبنته : كالساقى
اذا صرف الكأس عن هو أحق بها .

باب استضعف الرجل *

يقال : استضعفت فلانا . واحتقرته ، واستوضمته ، أى جعلته تحتى
كالوضم *** . ويقولون : « من عز بز » (638) و « اذا عز أخوك

- (632) انظر الميداني 65/1 رقم المثل 326 ونمسه : ان حبلك الى انشوطة
(633) يضرب لمن يتباله وفيه دهاء ، انظر المثل فى الميداني 123/1 رقم المثل 625
وانظر اللسان والاساس مادة (بخس) .
(634) انظر جمهرة الامثال 358/1 والميداني 206/1 والمستقصى 125 واللسان
مادة (غشم) .
(635) انظر جمهرة الامثال 47/1 وفيه : ام جندب : الفشم والظلم واسم من اسماء
الداهية ، يقال : وقموا فى ام جندب ، وركبوا ام جندب .
(636) انظر باب - الاجتماع بالمداوة على الانسان - تهذيب الالفاظ ص 568
وانظر باب اسماء الجور ص 299 - جواهر الالفاظ .
(637) حدل (بكسر الدال) : ظلم .
* مما هو قريب المعنى منه راجع باب استتلال الشئ واستصغاره - تهذيب
الالفاظ ص 599 وباب المذمة والاحتقار فى الالفاظ الكتابية ص 110
*** الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم ، وكل ما وقيت به اللحم من
الارض من خشب او حمير . قال الشاعر :

احسبتنا لحما على وضم ام خلقتنا فى البأس لا نجدى

- (638) انظر المثل فى : الصحاح 862/2 وامالي الشجري 187/2 : وجمهرة الامثال
288/2 و 257/1 و 360 والفهري 53 والفاخر 89 والميداني 174/2
والمستقصى 314 واللسان والاساس مادة (بز) والمقاييس 39/4 .

نهن « (639) ، أى اذا عاسرك فياسره . ويقال : تفرعت فلانا (640) . قال ابن الأعرابي : خلعت عذاره ، واستلبت عصاه ، وحللت قلادته ، اذا غلبه على أمر كان يعلو (641) به عليه . قال أبو زيد : يقال ما لى حاجة الا حاجة أنا عال بها . أى ظاهر عليها .

ويقال : عالنى فلان ، أى غلبنى . ويقال : فرس ساط ، لانه يسطو (642) على سائر الخيل . والفعل يسطو (642) على طروقه (643) ، والتأبيس : القهر . قال اللحياني * : يقال : لن تأخذه أبدا بزة منى ، أى قسرا (644) . ويقال : فلان مشدخ (645) لقرنه ، أى قوى عليه . ومسدح (646) أيضا .

باب الذهاب بحق الانسان

يقال : ذهب بحقى ، وامن بحقى ، والمع بحقى .

باب الشر يكون بين اثنين

يقال : بينى وبينه شوك القتاد . وفلان بات بليلة الشوامت ، ويقال : آذانا فلان ، وبرح بنا . والشذا (647) والأذى بمعنى . ويقال : « أدب فلان علينا عقابه » (648) .

باب المنع من الشيء والردع **

يقال : اعذبتك عن كذا . واعذب عنك من لاخير فيه . والوزع : الكف ونجعت الرجل بما كنه عنى . ويقال : النجه : أقبح الرد . والقدع : الكف

(639) راجع : جبهة الامثال 65/1 والضبي 60 والفاخر 64 وفصل المقال 195 والبيداني 44/1 والمستقصى 53 واللسان مادة (مين) و البيان والتبيين 162/1 والكمال للمبرد 72/4 . ومعناه : اذا صعب اخوك فلن .

(640) نقتة او شتمته

(641) فى الاصل : يعلوا (بزيادة الف) .

(642) يسطو : فى الموضعين بزيادة الف .

(643) انظر اللسان مادة (سطا) .

* هكذا فى الاصل وفى الانتباه 255/2 : « اللحياني (بكسر اللام) (علي بن حازم) ، لغوي اخذ عن الكسائي وعاصم الفراء واخذ عنه القاسم بن سلام » انظر ترجمته فى بغية الوعاة 185/2 وتلخيص ابن مكتوم 136 وتهذيب اللغة للازهري ص 10 وطبقات الزبيدي 213 ومراتب النحويين 144 والمزهر 410/2 ومعجم الادباء 106/14 ونزهة الالباء 235 وطبقات ابن قاضي شهبه 144/2 .

(644) فى اللسان مادة بزز نسب القول للكسائي .

(645) شدخ : كسر .

(646) سدحه : صرعه او ذبحه ويسطه على الارض .

(647) فى الاصل : الشذى .

(648) انظر المثل فى جبهة الامثال 455/1 وروايته : (ادب من عقرب)

** راجع باب ردك الرجل من الشيء يريد — تهذيب الالفاظ ص 551 وباب الكف من الامر — الالفاظ الكتابية ص 127 .

يقال : ما عكفك عنا ؟ أى ما حبسك ؟ وعجفت نفسى عن الطعام ، أعجبها (649) . قال ابن الأعرابى : خير فلان عصر مصر (650) ، أى قليل منقطع . وتقول : ورعته عن كذا وكذا ، أى كنفته .

باب تكليف الانسان ما لا يطيق

تقول : حملته على عتب كرية . قال ابن السكيت : ابطرته ذرعه ، أى كلفته فوق طوقه .

باب القوة والشدة *

يقال : هو شديد ، اديد (651) ، مصح (652) ، صليب ، ذو أيد ، ولوث ، أى قوة ؟ ويقال : ماله مجلود ، أى جلادة . والملاوثة : الممارسة . والأضبط : الشديد ، وشددت على يده ، وقويته . وقد قوى على الشيء . وهذا مقواة لى على كذا وكذا .

ورجل شديد الخلق : ممره . وامرأة مركنة : جيدة الخلق . قال بعضهم : أصنام الرجال أتوياؤهم ؟ تال : ولا يستعمل الا فى العبيد . ويقال بالتاء : اصتام . وفلان ملاحك الخلق (653) وهو جلد ، صنيع ، وكيع (654) ، وهو صلب العمود . فان كان خوارا قيل : لين العمود . ورجل مزير ، أى قوى

باب الضخم والسمن

هو سمين ، نحيف (655) ، ناشز القصيرى (656) . وهو ذو جرز ، أى ذو خلق عظيم . وهو مبدان شكور ، أى سريع السمن ، وهو رنان

-
- (649) أى أجبسها .
(650) المصر : الحلب باطراف الاصابع .
(651) الاديد : الشديد القوي .
(652) المصح : الضرب بالسيف .
(653) اذا دخل بعضه فى بعض ، انظر المتايبس 238/5 .
(654) الوكيع : الصلب المتين .
* راجع باب شدة الخلق والضخم فى تهذيب الالفاظ ص 129 وباب وصف بنية الرجل فى الالفاظ الكتابية ص 284 .
(655) تقول : نحس : نحس نحافة : كثر لحمه فهو نحيف ، ونحس نحوضا : ذهب لحمه فهو نحيف . والكلمة من الاضداد .
(656) اسفل الاضلاع .

المعذين (657) ، وذلك اذا امتلا شحما ، فاذا ضربت معديه سمعت له رنيناً وضده ، الخفاق الحشا . وهو ذمم . ملان . وامرأة متعاونة ، اذا كانت كثيرة اللحم معتدلة الخلق . والمبهر : الضخم . وفلان جيد الوسط ، جيد الحجة (658) . وقد احتجز (659) بعض لحمه الى بعض . وامرأة رداح : ضخمة العجيزة والمآكم (660) . ويقال : تحلم الصبى ، اذا أقبل شحمه كأنه خرس ، أى دن . والجبل : الجافى الغليظ .

باب الطول وحسن الخلق *

الشعموم : الطويل الحسن . والمسلوجة من النساء : ذات الخلق الحسن ، وكذلك الخليقة . والمختلق : الحسن الخلق . والشطيب : الطويل الدقيق . فان كان طويلاً منحنياً : فهو حاقف .

باب اللقاء وحالاته **

يقال : ما اللقاء الا الفينة بعد الفينة ، أى المرة بعد المرة . وما اللقاء الا عن عمر (661) ، أى بعد حين . وما اللقاء الا عدة الثريا القمر (662) ، أى الا مرة واحدة في السنة ، لان القمر ينزل بالثريا مرة في السنة . ولقيته ذات المويم (663) ، أى منذ ثلاثة أعوام . ولقيته بعيدات بين (664) أى لقيته بعد حين ثم أمسكت عنه ثم اتيته . ولقيته ذات صبحه (665) ، أى حين أصبحت . ولقيته ادنى عائنة (666) ، أى ادنى شيء تدركه العين . ولقيته

- (657) المعدان : الجنبان .
 * راجع باب الطول في تهذيب الالفاظ من 239 وباب الحسن من 205 .
 ** راجع : باب اللقاء في قربه واباطائه : مختصر تهذيب الالفاظ من 360 .
 وانظر باب الوقت والحين في الالفاظ الكتابية من 252 .
 (658) الحجة : مفقد الارار .
 (659) احتجز : اجتمع .
 (660) المأكمة : لكمة على رأس الورك ، قال الشاعر :
 وماكمة يضيق الباب منها وكشحا قد جنتت به جنونسا
 (661) المثل في الميداني 272/2 رقم المثل 3814 وروايته : (ما نلتقي الا عن عمر) .
 أى بعد شهر أو شهرين ، والحين بعد الحين .
 (662) المثل في الميداني 370/2 رقم المثل 4398 وروايته فيه : (وعدة الثريا بالقمر ، وانظر الأساس مادة (عدد) .
 (663) انظر المثل في الميداني 182/2 رقم المثل 3270 ، وفي أساس البلاغة واللسان مادة (هوم) .
 (664) انظر المثل في الميداني 196/2 رقم المثل 3363 وفي أساس البلاغة واللسان مادة (بعد) .
 (665) انظر المثل في اللسان مادة (صبح) .
 (666) انظر المثل في الميداني 177/2 رقم المثل 3239 وأساس البلاغة واللسان مادة (عين) ورواية المثل في الميداني : لعينه أول عائنة .

أول ذات يدين (667) أى ساعة غدوت . ولقيته حين وأرى رثيا (668)،
 أى اختلط الظلام . ولقيته حين قلت : «أخوك أم الذئب» (669) ؟ . «ولقيته
 سكة عمى» (670) أى فى أشد الهاجرة حرا . ولقيته غشاشا (671)، أى على
 عجلة (672)، ولقيته أول عائنة، وأدنى ظلم (673)، كل هذا أول شيء . ولقيته
 صخرة بحرة (674) ، إذا لم يكن بينك وبينه شيء . ولقيته قبل كل صبح
 ونفر (675) ، والصحيح : الصياح والنفر : التفرق . ولقيته بين سمع
 الأرض وبصرها (676) ، أى بارض خلاء ما بها أحد ؟ ولقيته التقاطا (677)
 إذا لم تردده فهجمت عليه . ولقيته نقابا (678) ، أى نجاة . قال ابن
 الاعرابى : مررت فى طريق فناقبنى فلان ، أى لقينى على غير اعتماد ولا
 ميعاد (679) .

باب الدأب

ما زال فلان ذاك دأبه ، وديده ، وهجيراه ، ودينه .

- (667) انظر المثل فى الميداني 178/2 رقم المثل 2247 وانظره فى أساس البلاغة
 واللسان مادة (يدى) .
 (668) فى الاصل (رثا) .
 (669) المثل لتأبط شرا ، انظر جمهرة الامثال 168/1 والميداني 50/1 ، ومعناه :
 اتاني حين اشتبهت الاشباح فى اول ظلمة الليل فلم يعرف شخص الرجل من
 شخص الذئب . انظر أيضا مختصر تهذيب الالفاظ ص 361 .
 (670) ورد فى الامثال : جاء سكة عمى ، ومعناه جاء حين قام قائم الظهيرة ، ومعنى :
 رجل غزا قوما فى قائم الظهيرة ، مصكهم سكة شديدة فصار مثالا لكل من جاء
 فى ذلك الوقت ، لانه كان خالف العادة فى الفارة لان وقتها الفداة . انظر :
 جمهرة الامثال 318/1 واللسان مادة (سكك) والاساس مادة (عمى)
 والميداني 182/2 رقم المثل 3268 وروايته فى الميداني مماثلة لرواية
 — المتخير — .
 (671) انظر اساس البلاغة واللسان مادة غشش .
 (672) انظر المثل فى الميداني 177/2 رقم المثل 3239 .
 (673) انظر المثل فى الميداني 206/2 رقم المثل 3458 ويريدون أدنى صبح . والمثل
 فى أساس البلاغة واللسان مادة (ظلم) .
 (674) انظر المثل فى الميداني 195/2 رقم المثل 3362 : أى خاليا ليس بيني وبينه
 حاجز . وانظره فى أساس البلاغة واللسان مادة (صحر) ونوادر أبى
 مسهل 73/1 .
 (675) ومعناه : لقيه قبل طلوع النجر . انظر المثل فى الميداني 182/2 رقم المثل
 3267 . وانظره فى الاساس واللسان مادة (صبح ، نجر) .
 (676) قال أبو عبيد : انه لقيه فى مكان خال . انظر الميداني 183/2 رقم المثل 3276 .
 (677) انظر نوادر أبى مسهل 73/1 والاساس مادة لقط 351/2 .
 (678) انظر المثل فى الميداني 198/2 رقم المثل 3381 واللسان مادة (نقب) مادة
 (لقط) وفيه : وردناه التقاطا ونقابا : نجاة من غير أن نطلبه .
 (679) ورد هذا القول فى اللسان مادة (نقب) مع تقديم وتأخير .

باب الامر بفعل ما كان يفعل

يقال : خذ في هديتك ، أى فى أول أمرك . وارق على ظلمك (680) . كما تقول : ارفق بنفسك .

باب فى الجراحات والصرع والالوجاع *

يقال : جرحه جرحا ، وخذعه (681) بالسيف ، وخبل يده : أشلها . ويقال : اشعره سنانا ، اذا الزقة به . والاشعار (682) : ان تطمن البدنة (683) فى سنامها حتى يسيل دما . وطعنه فاختله بالرمح . وطعنه فجوره (684) وكوره (685) ، أى صرعه . وطعنه فسلقه ، أى القاه على ظهره . وقطره : القاه (686) على أحد شقيه . ونكته على رأسه : القاه . وهو قريح ، جريح ، كلیم . وقد أتت آتية الجرح ، أى محدته . وغفر الجرح ، اذا انتقض ونكس . وضيرى (687) العرق بالدم : اهتز . ونمر الجرح بالدم ، اذا ارتفع دمه . وبه آثار من الضرب ، وحبارات ، ونُدوب . واحدها ندب .

باب المرض '688'

يقال : هو مريض ، وجع ، شاك ، وصب (689) . والموصم : الذى يجد وجعا وتكسرا فى عظامه . والدوى : الهالك مرضا . وما بقى من المريض الا شفا (690) . ويقال : ان كان كاذبا فسحفه الله . قال الفراء : السحاف : السيل . ومرض فلان ثم أبل . وأفرق (691) . وبه عداد مرض ، وذلك ان

- (680) فى الاصل : ضلمك (بالضاد) * راجع باب - الجراحات والقروح - من 64 - مختصر تهذيب الالفاظ .
(681) خذع اللحم : حزره وقطعه من غير بينونة .
(682) الاشعار : الصاتك الشيء بالشيء . انظر مختصر تهذيب الالفاظ من 64 .
(683) والاشعار : الادماء بطن أو رمي أو وجه بحديدة .
(684) الاضحية من الابل والبقر تهدى الى مكة المكرمة .
(685) جوره : صرعه .
(686) كوره : القاه مكورا مجتعا .
(687) زيادة يستقيم بها المعنى .
(688) فى الاصل : ضيرى : بكسر الراء ، والصواب ما اثبتناه . وضرى (بالفتح) سال . وضرا العرق : بدا منه الدم لا يكاد ينقطع .
(689) راجع (باب المرض) فى مختصر تهذيب الالفاظ من 67 وباب الحمى من 74 .
(690) وفى تهذيب الالفاظ 109 و 119 وفى الالفاظ الكتابية باب الامراض والعلل من 172 وباب الحميات واجناسها من 173 . وباب المرض والعلل من 300 من جواهر الالفاظ .
(689) وجع ، شاك ، وصب : كلها بمعنى مريض .
(690) أى غير قليل .
(691) يكون الامراق من مرض لا يصيب الانسان غير مرة واحدة .

يدعنه زمانا ثم يعاوده . والرس : مس الحمى . والرحضاء : العرق . والورد :
يوم الحمى . قال ابن الأعرابي ، يقال : برئت إليك من كل داء تداؤه (692)
الأبل .

باب الرمي *

يقال : رأست الصيد : أصبت رأسه . وكليته : أصبت كليته . وكذلك في
سائر الاعضاء . وهو ميدي ، ومرجول ، اذا أصبت يده ، ورجله . ويقال :
أقمعه ، اذا أجهز عليه . وأصردت السهم من الرمية ، اذا انفذته منها .
وصرد السهم وهو يصرد . ورميته فاشويته ، وذلك اذا تعدى المقاتل .
ويقال : رمى فأنمى ، اذا تحامل الصيد فغاب ، وأصمى : قتله مكانه ، ورمى
فاخطف : أى اخطأ .

باب الكسر '693'

يقال : حطمت الشيء ، وثمته (694) . ويقال : ضربته فوقرت (695)
العظم ، وذلك اذا صدعت العظم .

باب الطبيعة '696'

هي السجينة والسجية . ويقال : هو على آسان من أبيه ، أى على
طرائق . وهذا أمر طبعه الله عليه ، وطواه عليه . وقال :

فما حب أم العمر الاسجية عليها طواني الله يوم طواني
طواني على حب لها ونصيحة أجل وأنوف الكاشحين عوان (697)

- (692) في الاصلين : تداووه .
* راجع (باب الرمي) في مختصر تهذيب الالفاظ ص 76 — 78 وفي الالفاظ
الكتابية باب الطعن والتصريح ص 182 .
(693) راجع باب الكسر في تهذيب الالفاظ ص 126 وفي الالفاظ الكتابية ص 291 .
(694) في الاصلين : وثمته (بالناء) وهو تصحيف . ووثم الشيء : كسره ودقه .
(695) في الاصلين : فوقدت (بالذال) وهو تحريف . وفوقر العظم : صدعه .
(696) رجع : باب الطبيعة والسجية — مختصر تهذيب الالفاظ ص 98 وفي الالفاظ
الكتابية باب كرم الطباع ص 162 وباب سلك ملان في طريقة ملان ص 5 .
(697) البيتان لابن الدميني في ديوانه — تحقيق أحمد راتب النفاخ ص 30 وروايتهما
فيه :

وما حب أم العمر الاسجية عليها يراني الله ثم طواني
طواني على حب لها وسجية أجل وأنوف الكاشحين عواني =

ويقال : تخيل أباه ، وتصيره . ويقال : ما ترك من أبيه مغبدة ولا
مراحة ، يعنى من الشبه .

باب الذكاء وحدة الفؤاد '698'

يقال : هذا حديد الفؤاد ، سهم الفؤاد . والاصمغان : القلب الفكى
والرأى الحازم . وانه لحول قلب ، أى ذو حيلة وتصرف ويقال : هو نقاب
المعى (699) . ورجل حى النفس ، رواع (700) .

باب الشجاعة '701'

يقال : هو شجاع ، نهيك ، رابط الجأش ، احوس ، بطىء البراح ،
مغوار ، باسل ، مشيع . وانه لمسع بالسيف (702) ، هصور ، شديد الغمر،
زميع (703) ، ماض ، ثبت الغدر (704) حرب ضرب (705) ، أى شديد

= ورد الاول فى مخطوطة مسالك الابصار منسوبا لابن الدمينه وروايته فيه :

وما حب ام الغمر الاسجية عليها طواني الله يوم طواني

وفى (النوادر والتعليقات) للهجرى ورد البيتان وقد نسبهما للمخبل القيسى
(كمب) وروايتهما فيه :

وما حب ام الغمر الاسجية برانى عليها الله حين برانى
طواني على بذل لها ومودة أجل وانوف الكاشحين عواني

وابن الدمينه هو جبد الله بن جبد الله الخثمي (ت نحو 130 هـ)
وانظر ترجمته فى صدر ديوانه وفى المراجع التالية :

معاهد التنصيص 160/1 ونسب اللالى 136 و 264 والمزباني 402 وشرح
الشواهد 145 والافاني 144/15 والشعر والشعراء 617/2 ودائرة
المعارف الاسلامية 161/1 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي 1223
ومعجم المطبوعات 104 والتبريزي 131/3 و 145 وبروكلمان : س : 1 : 80
والاعلام 237/4 .

(698) انظر باب حدة الفؤاد والذكاء - مختصر تهذيب الالفاظ ص 99 - 102 .
وراجع فى الالفاظ الكتابية باب سداد الراي ص 227 وثبات الجنان ص 23
وباب الحماسة واللعنة وصلابة الراي ص 335 - جواهر الالفاظ .

(699) فى الإصليين : نقاب (بفتح النون) ، والصواب ما اثبتناه ومجناه : الرجل
العلامة .

(700) رواع : سهم فكى .
(701) راجع باب الشجاعة فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 102 - 107 والالفاظ
الكتابية ص 62 .

(702) أى مجالده .
(703) هو من اذا ازمع أمرا لم يردده شيء .

(704) ثبت الغدر : أى الثابت فى الارض الرخوة ومواقع الزلل ومواقع القتال .
(705) فى تهذيب الالفاظ لابن السكيت : حرب ضرب (بتشكين الرائيين) .

المحاربة والضرب ، عبقرى يمنع حوزته ، ووصفت امرأة زوجها وقالت :
جمل ظمينة ، وليث عريئة ، وظل صخر ، وجواب بحر . وانشد ابن
الاعرابي :

لقد ابقت الايام منى مكلما صفا بصرة (706) ترمى ولا تتزلزل

باب الشرب '707'

المب : الشرب من غير مص . والتغمر : الشرب قليلا قليلا . وشرب فما
بقيت في جوفه هزمة (708) لا امتلات . وشرب غشاش : قليل . وتشافت
الاناء : شربت شفافته ، وهي البقية تبقى منه . ويقولون : « ليس الرى
عن التشاف » (709) وتصاببت الاناء ، اذا شربت صبابته ، وهي مثل
الشفافة : ويقال : اشرب وانتشع ، أى أرو . ويقال : نشع : امتلا . ونصح
روى . ونصح : شرب دون الرى . ورجل صبحان غبقان ، من الصبوح
والغبوق

باب في ذكر الشمس '710'

هى الشمس ، والغزالة ، وذكاء . وتقول العرب : اضاءت (711) ذكاء
وانتشر (712) الرعاء . وهى المهامة . والمهامة : البلورة . وهى الجونسة ،
والبيضاء ، والضح ومن قولهم : قامت الشمس كمين الاقبل (713) . ويقال
بزغت الشمس ، وذرت ، وشرقت . فاذا علت قيل : اشرقت . وتقول :
استوى حاجب الشمس ، وترفع .

-
- (706) فى الاصل : بصرة (بكسر الباء) والصواب ما اثبتناه . والبصرة : الارض
الخليطة ، والصفا : جمع صفاة ، الحجر الصلد الفخم .
(707) راجع باب الماء وشربه فى كتاب تهذيب الالفاظ ص 674 -
(708) هزوم الجوف : مواضع الطعام والشراب .
(709) انظر المثل فى جبهة الأمثال 190/2 والمبدائي 292/2 والمستقصى 295
واللسان والاساس مادة (شغف) ، ويضرب مثلا للقناعة ببعض الحاجة .
(710) راجع باب صفة الشمس واسماؤها ص 231 وباب طلوع الشمس ومغيبها
ص 233 من كتاب مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت وباب طلوع
الشمس ص 285 الالفاظ الكتابية .
(711) فى الاصل : اضاءت .
(712) فى ع : واستنشر .
(713) الاقبل : من كان فى عينيه قبل ، والقبل فى المعنيين : اقبال نظر كل من المعنيين
على الاخرى ، ورجل اقبل : كانه ينظر الى طرف انفه .

باب شدة الحر '714'

وغرة القيظ : اشد الحر . وقد أوغرنا : دخلنا في الحر الشديد . ونحن في وقدة القيظ . واصابتنا وقداث . وهذا يوم ذو أوار ووديقة (715) . قال ابن السكيت (716) : سمعت الكلابي يقول : أتيت في حمراء الظهيرة . وضحيث للشمس ، اذا برزت لها (717) .

باب تغير الانسان لما يصيبه من الحر وغيره '718'

صهرته الشمس ، وصترته (719) ، واصابه سفع من سموم . ويقال : كافتته السموم مكانحة ، وكفاحا ، اذا قابلت وجهه .

باب في الظل والفيء

الظل : ما تنسخه الشمس ، وهو بالغداة . والفيء : ما نسخ الشمس ، وهو بالعشي (720) . والتبع : الظل . وظل دوم أي واسع . وظل وأرف (721) . وقص الظل : رجع الى مستقره نصف النهار . ويقال : عقل الظل ، اذا استوى على رأسك نصف النهار .

باب في الفجر والنهار *

وهو الابلق ، والاشقر ، والورد ، والصديع : الفجر . أول ما يبدأ منه .

-
- (714) راجع باب صفة الحر في مختصر تهذيب الالفاظ من 228 — 230 وشد الحر جواهر الالفاظ من 370 .
(715) الوديقة : الحر الشديد .
(716) انظر مختصر تهذيب الالفاظ من 230 .
(717) انظر مختصر تهذيب الالفاظ 231 .
(718) انظر من 229 و 230 من مختصر تهذيب الالفاظ .
(719) الصرة : شدة وقع الشمس .
(720) الظل ما كان أول النهار الى الزوال . والفيء : ما كان بعد الزوال الى الليل . فالظل غربي تنسخه الشمس ، والفيء شرقي ينسخ الشمس . قال حميد بن ثور الهالي :
فلا الظل منها بالفحى تستطيعه ولا الفيء منها بالعشي تذوق
انظر ديوانه من 40 — تحقيق عبد العزيز الميني .
(721) في النسختين : وارق ، وهو تصحيف .
* راجع باب صفة النهار واسماؤه من 422 — تهذيب الالفاظ وباب طلوع النهار من 284 — الالفاظ الكتابية وباب سماعات النهار من 287 الالفاظ الكتابية .
(722) انظر المثل في الميداني 385/1 رقم المثل 2045 وفي أساسى البلاغة 198/2 مادة (مرق)

هو الفرق . وهو « ابين من فرق الصبح ، وقلقه » (722) . ويقال : نشق
الصبح عن ريحانه . وانشق عن تباشيره ، وانبلج . وهذا وضع الفجر ،
وقد أثار واسفر . وسراه النهار وضوحه . ويقال : قد قام قرن الضحى ،
أى أوله . وتلك غزالة الضحى ، ورونتها ، وميعتها . وجاء فى ريق
الضحى (723) ، ورفيقة الضحى ، وأديم الضحى . ويقال : آتيك شد
الضحى ، وشد النهار . وآتيك فى شباب النهار ، وحده ، وذلك صدره .
ويقال : لا افعله ما وضع النهار . انشدنى أبى (724) :

تالله لولا صببة صغار
كانها أوجههم أعمار
تجمعهم من العتيك (725) دار
مخافة يمسهم اقتار
أو رحم يقطعهم وجار
أو لاطم ليس له سوار
وبالجناح ينهض الأطيوار
وقد يمين الشرف اليسار
لما رآنى مالك جبار
ببابه ما وضع النهار

ويقال ، إذا ارتفع النهار : قد ترجل ، ومتع ، وتلع . فإذا اشتد الحر
قيل : أظهر النهار . وذلك حم الظهيرة . وقد صام النهار ، وهى الغائرة
حينئذ . ومن الفاظ الشعراء : نهار أزهـر .

باب زوال الشمس وبعد ذلك *

يقال : زالت الشمس ، وزاغت ، ودحضت . فإذا صليت العصر فذاك

(723) ريق الضحى : أوله .
(724) وردت الأرجوزة فى كتاب مبادئ اللغة للأسكافى ص 26 وروايتها فيه : ورد
فى باب من أسماء الحجارة : والفهر ما يملأ الكف ويسحق به المعطر . قال
بعض العرب فى الفهر :

والله لولا صببة صغار	وجوهم كأنها أعمار
يجمعهم من العتيك دار	درادق ليس لهم دثار
بالليل إلا أن تشب نثار	رموسهم كأنها أعمار
لما رآنى مالك جبار	ببابه ما طلع النهار

(725) العتيك : الأحمر من القدم .
* راجع باب غروب الشمس ص 286 — الالفاظ الكتابية

الاصيل ، وقصر العشى ، وآتيك مقتصرا . فاذا كان بعد ذلك قلت : جنح
الاصيل . فاذا اصفرت الشمس قلت : لقيته في الصفراء . ويقال : غابت
الشمس الا شفا أى قليل (726) .

باب في القمر **

ما لم يستدر فهو هلال ، فاذا استدار فهو قمر . ويقال حينئذ : استدار
وحجر . واذا استوى ليلة ثلاث عشرة فهي ليلة السواء . وبعدها ليلة البدر .
وافتح القمر ، اذا اصاب فرجة من السحاب فخرج . ويقال : أصبحنا مطلقين ،
وبتنا مطلقين ، أى في ليل ونهار ليس فيه حر ولا قر . واتساق القمر
استواؤه . وهو القمر ، والزبرقان . وقد ادنف القمر للغيوب .

باب الظلمة '727'

هي الظلمة ، والغييب . وليلة ليلاء ، ويوم أيوم . والسمر : الظلمة .
ويقال : جن الليل ، ودجا . وأتانا في جلب الليل ، أى سواده . ويقال :
ظلماء داجية ، وليلة خدارية . ومن الفاظ الشعراء : دجا الليل (728) ،
وانساب الظلام ، واغدف (729) .

باب في الشتاء والبرد '730'

يقال : أشتى القوم : دخلوا في الشتاء . وقد جمد الماء ، وجمس ،
وهرئت المبيد تحت المدر (731) . ويقال : هراة البرد قتله . ويوم احص
أغيير ، وهو ان تبدو الشمس ولا تنفع من البرد . ويقال : افرش القصر :
أقلع

-
- (726) كتب في هامش الاصل ما نمسه : بلغ مرضا باصله .
** راجع باب اسماء القمر وصفته ص 394 — تهذيب الالفاظ .
(727) راجع باب صفة الليل ص 242 من مختصر تهذيب الالفاظ وباب الظلمة
ص 288 الالفاظ الكتابية .
(728) ورد في الصحاح مادة (دجا) 2334/6 ما نمسه : قال الاصمعي : دجا الليل
انما هو البس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومنه تولم : وجا
الاسلام ، أي توى والبس كل شيء .
(729) في النسختين : واغدن ، (بالنون) وهو تحريف ، واغدف الليل : ارخى
سدوله .
(730) راجع باب البرد والزهرير ص 260 — الالفاظ الكتابية .
(731) الطين المتباسك اليابس

باب متخير الفاظهم في الحر *

يقال : حر يومنا ، وقاظ . وهذا يوم ومد (732) . وهذه هاجرة هجوم ، تهجم العرق : تخرجه . وهجم فلان ما في ضرع ناقته (733) . ويوم هجان (734) وقدان . ويقال : أيام معتدلات : طيبات ، ومعتدلات بالذال معجمة شديداً الحر .

باب الليل والنهار **

الملوان : الليل والنهار ، والجديدان والاجدان والفتيان ، ولا أفعل ذلك ما اختلف ابنا سمير . ويقال : تمليته حيناً ، أى عايشته . ولا أفعل ذلك عوض العائضين (735) . ولا أفعله آخر المسند (736) ويد الدهر ، أى آخره . ولا أفعله ابداً لا بيد ، وابد الآباد . ويقال : أتى عليه الدهر ، وطالت به الطيل . والأزلم الجذع : الدهر . واختلف عليه الردفان : الليل والنهار .

باب السماء والسحاب وغير ذلك

هى السماء والخضراء والخلقاء . وأم النجوم : المجرة . والنشء (737) أول ما ينشأ السحاب . ويقال : خرج له خروج حسن . والصبير (738) : السحاب الابيض . والقزع : القطع منه المتفرقة . والعنان : السحاب المعترض . وقد هاج السحاب : اذا خرج من العين ، واذا اغبط اياماً (739) يقال : لث . ونحن منذ أيام تحت عين . والطوارق : السحاب يطرقن ليلاً . والجهام : الذى هراق ماءه . ويقال : لمن جاء بالخبيثة : جاء بجهام قد هراق ماءه . ويقال : أرشمت السماء ، اذا بدا منها برق . وتبسم البسرق ، وانكل (740) . وضحك السحاب : اذا برق . وبكى : اذا رعد . وتوالى السحاب : اعجازه .

* راجع باب القيط والحر — الالفاظ الكتابية من 259 وباب صلة الحر في تهذيب الالفاظ من 383 .

(732) . الومد : شدة الحر مع سكون الريح .

(733) أي حلب كل ما به .

(734) لعلها : وهجان .

** راجع باب الازمنة والدهور من مختصر تهذيب الالفاظ من 300 وتهذيب

الالفاظ من 500 وباب بمعنى لا أفعل ذلك أبداً — الالفاظ الكتابية من 189 .

(735) مرض العائضين : أي دهر الداهرين .

(736) المسند : الدهر .

(737) فى الاصل : النشوء .

(738) فى الاصل : التعبير . وهو تحريف .

(739) أي ثبت مكانه لا يطلع .

(740) لمع لمعاناً خفياً .

باب المطر *

أول المطر : الوسمى لأنه يسم الارض بالنبات . والولى : هو الذى يليه .
والجدا : العام . واستهلت السماء ، اذا ارتفع صوت وقعها . و (التقى
الثرىان) (741) : يريد ندى المطر القديم وندى الحديث . ويقال : أصابنا
جار الضبع ، وهو الذى ليس فوقه شئ (742) . وغيثت الارض فهى
مغيثة ، وقد غثنا . قال ذو الرمة : « ما رأيت أفصح من أمة بنى فلان ، قلت
لها : كيف كان المطر قبلكم (743) ؟ قالت : غثنا ما شئنا » (744) . وسيل
أرتى : جاءنا من سوى أرضنا . وأتانا مطر فجلى : لم يدع شيئا الا جلى
عليه . ودهنت (745) السماء الارض ، اذا بلتها . وقد نصرت أرض بنى
فلان ، أى مطرت .

باب الريح **

يقال : سرب الريح ، اذا هبت بليل . قال :

الا حبذا الارواح من قبل الحمى ويا حبذا بعد المنام انتيابها
جنوب سرت من ساكن الهضب بعدما
مضى الليل واعتز النجوم انصيابها
انتنا برياً من خزامى وحنوة (746)
بميثاء (747) لم تحل خصيب جنبها

-
- * راجع باب مطر ص 443 — جواهر الالفاظ .
(741) يضرب مثلاً فى سرمة نواد الرجلين ، أو سرمة الاتفاق بين الرجلين والأميرين .
انظر المثل فى الميداني 184/2 رقم المثل 3278 والاساس 92/1 .
(742) رواية المثل فى الميداني 394/1 رقم المثل 2091 : « أصابنا وجار الضبع » .
وهو مثل تقوله العرب عند اشتداد المطر ، يعنون مطراً يستخرج الضبع من
وجارها .
(743) فى متن الاصل : عندكم . وكتب فوقها لفظة : قبلكم ، واظنها تصويبا لها ، أو
رواية أخرى .
(744) انظر هذا القول فى : المقابيس 403/4 ، والبيان والتبيين 71/2 ومغزر
السودان على البيضان (رسائل الجاحظ) 178/1 والمخصص 120/9
والمزهر 153/1 والاصلاح 255 ومجالس ثعلب 288/1 واللسان 480/2
وصفة السحاب والغيث لابن دريد — طبعة ليدن ص 39 .
(745) دهنت بالتشديد هكذا فى الاصل والذى فى المعاجم بدون تشديد .
** راجع باب الرياح وهبوبها — الالفاظ الكتابية ص 274 .
(746) الحنوة : الريحانة .
(747) ميثاء : الارض اللينة السهلة من غير رمل .

ومن الفاظ الشعراء في الريح : هوجاء ليس للبحا زبر (748) . ويقولون :
ريح تلتهم الجبال ، وريح زفوف التوالى (749) ، رجة المنتسم . وريح
هيف نياف (750)

باب الفاظ مفردة مستحسنة

في الحديث : « اللهم أشدد وطأتك على مضر » * أى ضيق عليهم . قال
الخليل : مدحته في وجهه ، ومدحته اذا كان غائبا . ويقال : وركت الشمس
زالت . ويقال : لا يحل لامرئ ان يؤمر مفاء على مفى ، قال معناه لا يحل
مولى على عربى ، لان المولى فىء للعرب (751) . ويقال : أصابه في ارباع
جبينه ، أى نواحيه . ولا يقال نجم الا للثريا ، ولا كوكبة الا للزهرة (752) .
ويقال : خذ حثك مسمطا ، أى مرسلا جائزا . ويقال : سمط غريمه أى
أرسله . ويقال : بهم حار الخطاء (753) ، أى نزل بهم ان يتحيروا . (وهو
نسيج وحده) (754) أى ولد وحده ، ولم يكن توأمًا فيكون فيه ضعف .
وفلان يحدث الاباجير ، أى الاباطيل . وهذا شئ أطول به ، أى اتطول
واتفضل . ويقال : غالق على فرسه ، أى راهن عليه . ويقال : اذرع ذراعيه ،

(748) اي ليس لها مقل ينهاها . وهو مجز بيت لابن احمر نمه :

ولمت عليها كل معمصة
هوجاء ليس للبحا زبر

انظر البيت في اعداد الأبنارى ص 296 والكتاب 272/2 والاساس 392/1
وروايته فيه : ولمت عليه كل معمصة واللسان 403/5 ورأيته كرواية
الاساس .

(749) جاء في اللسان 36/11 من التهذيب : الريح ترف زفوما وهو هبوب ليس
بالشديد ولكنه في ذلك ماض .

(750) الهياف : ريح حارة تهب من اليمن وتيل باردة ، والنياف : المرتفعة .
* جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الوتر —

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم » ، وتنته : وأجعلها عليهم سنين كسنى
يوسف 33/2 . ورواه مسلم في باب استحباب القنوت في جميع الصلاة 467/1
وفي النهاية في غريب الحديث والاثار 200/5 ونصه : اللهم أشدد وطأتك على
مضر وفي الجمان في تشبيهات القرآن ص 347 : اللهم أشدد وطأتك عليهم
وأجعلها سنين كسنى يوسف وانظر اللسان مادة (وطأ) 192/1 .

(751) جاء في الحديث الشريف (لا يلين مفاء على مفى) ورد في (النهاية) 483/3 ،
المفاء الذي انتحنت بلدته وكورته فصارت غيبا للمسلمين .

(752) جاء في اللسان 216/2 مادة كوكب : « سمعت غير واحد يقول للزهرة من
بين النجوم الكوكبة يؤنثونها وسائر الكواكب تذكر » .

(753) الخطاء : هو الخطأ .
(754) أي ليس له ثان . كانه ثوب نسج على حدته ليس معه غير . ويضرب مثلا لمن
بولغ في مدحه . انظر : الفاخر ص 40 رقم المثل 84 ، واللسان 200/3 مادة
(نسج) والاساس مادة نسج .

أى أخرجهما من أسفل ثيابه . ويقال : تدبرت الرجل اذا نظرت اليه من خلفه وهو يمشى أو هو قاعد . ويقال : لو لقيتنى وأنا على دين غير هذا ، أى حال غيرها (755) . ويقال : رجل بشع لا تأخذه العين . ويقال : احق ، بلخ . يبلغ على الناس : يتكبر . ويقال : أمر ميهود اذا كان أمس . وأمر موهود ، أى يكون غدا (756) ويقال : بينهم ذمة ، أى ألفة . ورجل ميل : ذو مال . وفى الحديث : (الدموع خفر العيون *) ، الخفر : جمع خفرة وهى الامان . يقول : هى امان لها من النار . ويقال : كذب ، ودجل . ومشر أهله ، أى كساهم وأعطاهم . ويقال : تكلم الكرع ، أى السفلة . ويقال : شر المال القلعة (757) أى الذى يتحول عنه . وفى الحديث : « ما رؤى ضاحكا متشطيا » (758) ، أى ضاحكا شديدا . ويقال : استشاط الحمام ، أى طار . وهو نشيط . وفى الحديث « اعفوا الصيام » (759) ، أى لا تمسوا النساء ، وكونوا عنهن اعفاء . ويقال : هلالنا قمر ، أى هو كبير مضى . ويقال : لا يقبل الله عز وجل من الدعاء الا النخيلة ، أى ما يتنخل ويختار (760) . ويقال : ما أكلت اليوم الا علقه من طعام ، أى شيئا قليلا . ويقال : فتنة ناقرة ، أى تنقر البطون : تشقها . ويقال : هو كالجمل الرдах لا غدو ولا رواح . الرдах : الثقيل . ويقال : نام نومة رداحا . ويقال : لك ذلك على غيراء ظهرك ، أى هو لازم له ، وذلك اذا طلب الرجل الى رجل حاجة (761) . ويقال : تخلع فى الشراب اذا شرب الليل والنهار . ويقال : مجنون ، محنون (762) ، الحن : ضعفاء الجن . ويقال : نظر فلان نشفت عينه ، اذا رأى الشخص شخصين . ويقال : ما عليه وراء ، أى ليس عليه شىء يواريه . وفلان خير من فلان بالمثلين أى هو خير منه مرتين . ويقال : أضل الدليل الطريق ثم انتعش ، أى أخذ بعد ذلك الطريق . ويقال : هو يتقفر العلم ، أى يطلبه (763) . وهو

- (755) جاء فى اللسان 28/71 مادة (دين) : قال النضر بن شميل سألت اعرابيا من شىء فقال : لو لقيتنى على دين غير هذه لاخبرتك .
(756) ورد فى التهذيب 137/1 مادة (عهد) : « وقال النضر بن شميل : قال الخليل بن أحمد : فعل له ميهود ومشهود وليس له موهود . قال : مشهود هو الساعة ، والميهود ما كان من أمس ، والموهود ما يكون غدا » .
* أورده ابن الاثير فى النهاية 306/1 .
(757) فى الأصل بفتح القاف ، والقلعة : العارية ، ولا تدوم فى يد مستعيرها بل تنقلع الى مالكها . وفى الحديث الشريف (بنس المال القلعة) : انظر النهاية 102/4
(758) نص الحديث فى النهاية 519/2 : ما رؤى ضاحكا مستشطيا .
(759) لم أقف له على تخريج بهذا اللفظ .
(760) فى الحديث الشريف : لا يقبل الله من الدعاء الا الناخلة . النهاية 33/5 .
(761) راجع اللسان والاساس مادة (غير) .
(762) المحنون : الذى يصرع ويفيق زمانا .
(763) فى الحديث الشريف : النهاية 210/3 : قبلنا ناس يتقفرون العلم .

جميل دوائر الوجه ، أى نواحيه . ويقال : حاجة حائجة أى مهمة . ويقال : ولدت بالمدينة ، وبها اتلدت ، وأتلدت ، أى وبها ولد لى الولد والمبيد والاماء . ويقال : قضاه حقه بعد الحى واللى ، أى بعد ما حواه أى ضمه ولواه أى مطله . ويقال : بياك الله أى رفعك (764) وببيت البناء : رفعته . ويقال : رجل ذو فوق أى هو صحيح العمل . والسهم ما دام ذا فوق فهو صحيح ، فإذا ذهب فوقه ذهب ، ويقال : (765) تركت الامر شأوا مغربا أى بعيدا . ويقال : أصابت الارض خطرات من مطر أى فى مواضع متفرقة . ويقال : تغنى فلان بفلان أى هجاه . ويقال : هو مهذب المود تغور للقدى . ويقال : أرض حبرة أى مخضرة . ويقال : احاط القوم بالقوم ثلاثة أطواق ، أى ثلاثة صفوف . ومتى انت منا ، أى متى تاتينا . وتقول : استضحيت استضحاه ، أى جلست فى الضح ، وهى الشمس . ويقال : قد عسكر الليل (766) أى سد المناظر . ويقال : هو اخلق من المال ، أى ليس له مال . ويقال : كان ذاك حين غارت عينه ، أى نامت . ويقال : رزق فلان الكفيت ، أى يكت اليه من الرزق ما يريد . يكت : يضم . ويقال : شعت بين الناس أى فرقت جمعهم . ويقال : لا يوقى من لا يتوقى . ويقال : مثل الماء أعز مفقود وأهون موجود . وفلان من أذرع الناس خطوا ، أى اسرعهم ، وفلان كريم السن أى الاصل ، ويقال : تمرس الرجل فى امانتـه أى أخفـرها (767) . ومن الالفاظ السهلة قولهم : فلان حسن التنصل ، لطيف التوصل ، ويقال : فلان كميم عن الحجة (768) ، اذا كان لا يقوم لحجة نفسه ومن الفاظ الشعراء : هذا يوم منسدل السحابة ماطر . وهذا امر لا يحصى ولا يقصى أى لا يبلغ أقصاه . ويقال : ذهب القوم تحت كل كوكب . وذهبوا عباديد (769) وايدى سبا . وذهبوا أخول أخول (770) وفى وفلان عن اموال الناس مسكة أى امساك . وشعروحف (771) ، غداف اللـون ، غريب (772) . تقول لليوم الذى يقصره السرور : كوم كابها القطاة ،

-
- (764) من معاني بياك : تصدك بالتحية ، وتربك واضحك وبواك منزلا . راجع (الفاخر) ص 2 .
(765) الفوق فى السهم : موضع الوتر منه .
(766) أى أظلم ، وعسكر الليل : ظلمته .
(767) غدر ونقض العهد .
(768) كم الوعاء : شد رأسه ، وكمم البعير : شد فيه ، وكمم الخوف فلانا : دفعه فلا يرجع .
(769) العباديد : الخيل المتفرقة فى ذهابها وإيابها .
(770) أى واحدا بعد واحد .
(771) أى كثيف .
(772) الأسود العالك .

ويوم كابهام الجباري (773) ويوم كسافة الذباب . ويقولون في قصر الليل :
لم يكن غير شفق وفجر . واختلج الهم في الصدر واعتلج . ويقولون :
زفرات يألمن قلب الجليد . (774) . ويقولون : مات حقدى بحياة عذرك
ويقولون : لا تجرني مرارة امتنان الشافعين . ويقولون في الخمر :
تخالس العقل وتسرع في الوفر . ويقولون : قضمت الخمر ما له . ويقولون :
لا أفعله ما حسن الصبا بالشباب . ويقولون : ليس لحديث الموموق (775)
ثمن . ويقولون : نظر غرب عائر ليس بقاصد . قال : وانشد الفرزدق قول
سالم بن دارة :

امن نظر غرب بكيت صباية وقد تهرج العينان للنظر الغرب (776)

قال : قاتله الله ، ما امرح المينين احد قبله . ويقولون : عصى الدمع (777)
امر الصبر . ويقول الشاكي : فلان عذاب رعب على به الدهر (778) وهذا
امر اضحى من الشمس . ويقولون : فلان اذا سأل الحف ، وا (ذا) (779)
سئل سوف (780) ، واذا حدث حلف ، واذا وعد أخلف . ويقولون : هو
ينظر نظر حسود ، ويعرض اعراض حقود . وما يبالي فلان على أى

(773) ورد في مجمع الامثال للميداني 128/2 رقم المثل 2970 : اقصر من ابهام
الضب ومن ابهام الجباري ومن ابهام القطاة وانظر المعاني الكبير 651/2
والمستقصى 283/1 رقم المثل 1197 و 1199 .

(774) عجز بيت لبشار بن برد وصدره : عندها الصبر من لقائي وهندي انظر
ديوانه 272/2 . ورواية العجز في الاغانى 187/3 : زفرات ياكلن قلب
الحديد . وانظر ترجمة لبشار بن برد (ت 167 هـ) في وفيات الاعيان 88/1
ومعاهد التنصيص 289/1 وتاريخ بغداد 112/7 والشعر والشعراء 643
وامالي المرفضى 96/1 وخزانة البغدادي 541/1 والاغانى (طبعة دار
الكتب) 135/3 و 242/6 والكامل للمبرد 134/2 ونكت الهميان 125
والبيان والتبيين 49/1 والاعلام 24/2 والمهريست 159/1 ومطبقات ابن المعتز
2 - 5 والنجوم الزاهرة 53/2 والموشح 246 وابو النداء 11/2 ولسان
الميزان 15/2 ومعجم المؤلفين 44/3 .

(775) الموموق : المحبوب .
(776) البيت لسالم بن دارة الغطفاني ، شاعر مخضرم (ت نحو 30 هـ) ، انظر
ترجمته في : الشعر والشعراء 315/1 والخزانة 289/1 و 557 والاغانى
254/21 والاصابة 161/3 والمؤلف 166 و نصيب المقال 22 والميداني
154/2 والمسكوي 217/2 والسمط من 688 و 862 وشرح التبريزي
205/1 والاعلام 116/3 .

(777) في النسختين : الدمع (بفتح الميم)
(778) يضرب مثلاً لمن استقبله الدهر بشر شديد ، وروايته في الميداني : 34/2
رقم المثل 2542 : هذاب رعب به الدهر عليه .

(779) ما بين سا () ساقط من النسختين .
(780) انظر المثل في مجمع الامثال 29/1 رقم المثل 112 ، قاله هون بن عبد الله بن
عنتبة في رجل ذكره .

قطريه (781) وتم . وفلان مقشوب اذا كان ممزوج الحسب ، ومثله ذو الوصم ، وذو القادح ، ومثله المدخول (782) ، وذلك كله الذى فى أصله مغمز . ويقال ، للرجل الداهى : هو داهية الخبر (783) . ويقال : هو الذى لا يستقيم منه امر الا انتقض من جانب آخر ، شبه بالدبرة التى بين اعلاها وأسفلها دو . ويقولون : رجل مسبه أى ذاهب العقل . ورجل مسفار : قوى على السفر . ويقولون رجل مشؤوم ، احص ، انكد ، نحس ، دا حس (784) ورجل هدار ، وهذار ، كثير الكلام . وهجار : كثير الجلبة ، وربذ ، ومهرق (785) . فاذا كان قليل الكلام قيل : نزور مسيك ، قدع . ويسمى من الادلاء الذى يشم التراب : السواف ، والذى يعرف الماء تحسب الارض الارض السمام ، والذى يزجر الطير العائف ، والذى يضرب بالحصى الطارق (786) ، والذى ينظر فى الخيلان الحازى ، الذى ينظر فى الاعضاء القائف . وفى صفة الصحارى : جداء (787) مثل الترس . وفى صفة السيوف : يعقل الموت تحت ظلماتها . ويقول الرجل لآخر : لترغب فى كذا ؟ فيقول نعم بمعنى . ويقال : هذا امر مرغ ، أى يرغب فيه . ويقال : تطاوت بهن النوى ، ويقال : زفت ، ورمت بهن المرامى . ويقولون : طوارق هم احتضرن وسادى . ويقال : فلان كدر العيش ، مرنق العيش ؟ ويقال : طواه الدهر ودارت عليه صروف الليالى ، اذا مات ، ويقال : التى مراسيه بالمكان : أقام به ، ويقال : ذكت نار الشوق فى فؤادى ، ويقال : كان ذلك فى نهضة الضحى . ويقول قائلهم :

كأنى اخو ظمأ سدت عليه المشارع

ويقال : شرب حتى نقع وبضع ، وهذا ماء نقوع وبضوع ، أى مرو (788) . وغبر الهوى والشىء : بقاياها . ويقال : استوى حاجب الشمس وترفع . ويقال : ليس للمقيد الا أن يحن - وتقول : مزجت الشنراب وشججته ؟ ويقال : صرفه اذا شربه صرفا . ويقال : « سدك بامرىء

- (781) أى على أى شقيه .
(782) الذى ينتسب الى قوم ليس أصله منهم .
(783) جاء فى اللسان مادة غبر 306/6 : داهية الخبر : داهية مظلمة لا يمتدى لئلاها قال أبو عبيد من أمثالهم فى الدهاء والأرب : أنه لداهية الخبر .
(784) أى مفلس .
(785) هكذا فى الاصلين ولعلها مهرف (بالفاء) من الهرف : وهو الهذيان .
(786) فى النسختين : الطارق (بضم القاف) .
(787) أى يابسة لا ماء فيها .
(788) من أمثال العرب : حتام تكرر ولا تنقع : انظر الصحاح 1293/3 و (حتى متى تكرر ولا تبضع) : انظر الصحاح 1187/3 .

جعله « (789) اذا ابتلى بمن يمازحه . ومن الفاظ الشعراء : ما سرق سرك
منى سارق . ويقال : الطير تحوم حول الماء، وتلوب، وتسوم ، وترنق (790)
ويقال : فعلت ذلك والزمان وريق . ويقال : غضب عليه وكسر فيه حرنبا
به (آ) . وفلان يسمو (791) بعننين اشم . وفي الذم : لا يعاف ظلامة،
ولا يعلم اين الوفاء من الغدر . وسقناهم على صغر (792) . ويقال : هو
أقصر يدا ، والأم من أن يبلغ عالى الامر . ومن الأبيات التى يتمثل بها :

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا ولكن باطراف الردينية السمر

ويقال : لقيناهم فما خمشوا فينا بناب ولا ظفر . ويقال : بات فلان
بحيث بنى اللؤم (793) بيته ، ويقال : سنج فلان لى وبرح لأكله فما كلمته
كأنه يريد آتاني من كل جانب (794) . ويقال : كان ذاك فى أيام الصبا (795)
وفى ليالينا العوارم . هذه أرض بيداء محال ، وهذه أرض نازحة
الصوى (796) أى الاعلام . ويقال : بك تثبت (797) رضى هذا الامر .
ويقال للقوم يوصفون بالفضل والشرف والحسب: أولئك قوم عين الماء فيهم.
ويقول : الى الله منك المشتكى والمعول (798) . ويقال : استدارت عليهم

(789) انظر جمهرة الامثال 217/2 وفيه : سدك به جعل وهو دويبة تتبع الذي
يريد الغائط . ويضرب لمن يفسد شيئا والمثل فى الميداني 342/1 رقم المثل
1822 وهو فى المستقصى 118/2 رقم المثل 408 وفيه . يضرب لمن لج به من
يدفعه من حاجته وهو فى المعاني الكبير 269/2 .

(790) ترنق : أى تخفق بجناحها

(آ) : لعلها : حد نابيه .

(791) فى الأصل (يسموا) بزيادة الف .

(792) هو الصغار والذلة .

(793) الواو غير مهموزة فى الأصل .

(794) السنايح : ما يأتى من اليمين والعرب تتعامل به . والبارح : ما يأتى من

اليسار والعرب تتشائم منه .

(795) فى الأصلين : الصبي .

(796) الصوى : جمع صوة وهي الحجر يكون علامة للطريق .

(797) رضى : فى الأصلين رها .

(798) مجز بيت للاخلل وتباهه :

لقد أوقع الحجاب بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول

انظر : ديوان الاخلل ص 10 وانظر ترجمة الاخلل وهو غياث بن غوث
التغلبى (ت 90 هـ) فى ديوانه وفى المراجع التالية :
الافاني (طبعة دار الكتب) 280/8 والشعر والشعراء 393 وشرح شواهد
المفنى 46 وخزانة البغدادي 219/1 ودائرة المعارف الاسلامية 515/1
والموشح 132 ومعجم الشعراء 21 وكشف الظنون 774 ونقائض جريسر
والاخلل 52/3 والاعلام 318/5 ومعجم المؤلفين 42/8 .

عقاب المنايا . ويقول : خيل انطوت من السرى . ويقال : نحن في محله
 محلال (799) . ويقال : شردهم واذالهم . ويقال : حل فلان صرار الشر ،
 ويقال في القوم يذلون بعد العز : صارت أيمنهم أشملا ، ويقال للأمر يشتهر :
 قد تصفت به الأحاديث ، ويقال للرجل يسكن الأمر الهائج : قد جذ أخية
 الشغب (800) . ويقال : له ملك لا طريف ولا غصب . وفلان مستخف
 للنوائب ، وهذه حرب عضوض . ويقال للبخیل : هو عارى الخوان . ويقال
 للرجل يسر بصنيع نفسه : انما أجريت وحدك . كما يقال : « كل مجسر
 بالخلاء يسر » (801) . ويقال : عيش كحاشية البرد ، وعيش كحاشية
 الفرند . ويقال : فرس حطم (802) عثور (803) ، ومضى فرسه لأطبعا
 ولا مبهورا (804) . ويقال : في بنى فلان رباط اللؤم (805) . ويقال للرجل
 يشتد عليه الأمر : لقد لاقيت مطلما (806) وعرا . ويقال : سيقن نساؤهم
 سوق الجلائب (807) . ويقال : جاء بجيش كسواد الليل . ويقال : وسمه
 وسما ذا حبار أى ذا اثر . وسيوف رفاق (808) النواحي كأنها عقائق .
 ويقال : تركوا أسرى وقتلى وأثلاء مغادرة . ويقال لللاحق : هو
 يتهوك (809) . ويقال : له حسب اشم ونبعة لا تقطع . ويقال للذى يستذل :
 له نبل قصار وقوس ليس فيها منزع (810) . ويقال : ضاق به الطريق وعز

(799) هي التي تحل كثيرا .
 (800) في ا : الأخية ، والتصويب من (ع) . وفي النسختين : السغب وهو تصحيف
 والصواب : الشغب وهو تهبيج الشر . قال الاخطل :

لقد علمت تلك القبائل انسابا مصاليت جذامون أخية الشغب
 وأخية وأخية وأخية بمعنى وهي الخشبية التي تدفن في الأرض تربط
 بها الدابة . ومعنى العبارة : انه استأصل دعائم الشر .
 (801) انظر المثل في : جبهة الأمثال 142/2 ، يضرب مثلا للرجل يوجب بالنفسيلة
 تكون منه من غير ان يقبضها بفضائل غيره . وفيه : في الخلاء . وانظر فصل
 المقال 172 والميداني 54/2 والمستقصى 269 والبيان 203/1 والحيوان
 88/1 .

(802) الهزيل المسن .
 (803) الكثير العثار .
 (804) الطبع : اللؤم والدنس ، والمبهور : المتطعم النفس امياء قال جرير في وصف
 السيف :

واذا هزرت تطمعت كل ضريبة وخرجت لا طبعا ولا مبهورا

(805) الواو في الاصلين سائط الهمة .
 (806) مطلع الجبل : مصعده وماتاه .
 (807) الجلائب : ما يجلب من خيل وابل من بلد الى آخر للبيع .
 (808) في النسختين : رقان وهو تحريف .
 (809) التهوك : التحير والوقوع في الأمر على غير بصيرة .
 (810) في الاصل : منزع (بفتح الميم)

عليه الورد والصدر. ويقال : للممدوح (811) : يقصر دون غلوته المغالى (812)
ويقال : تركت القوم يديرون الامور اذا دبروها . ويقال : فلان نبعة قومه
يمصبون به . ويقال : تعاليا به الايراد والصدر ، اذا عى بأمره . ويقال في
الذم : قوم تناهت اليهم كل فاحشة . ويقال : كان ذاك وفي عيشنا غرر .
ويقال للقوم يوصفون بالجشع : هم خضع الى الطمع القليل . وفي المدح :
هم نجب من السر العتيق . ويقولون : مكان متماحل جذب المعرس ، ومكان
نابى المناهل طامس الاعلام . ويقال : له ملك أفيع (813) . ويقال : ما عجوزه
بمنجبة ، ولا أبوه بفحيل . ويقال : هو عز بناء الله يوم بنى الجبال ، ويقال
للشجاع : يستهزم الجيش باسمه . ويقال : كان ذاك حين لا نبيع زماننا
بزمان . ويقال : أنت على وضع السبيل . ويقال في ذكر الشرف : باذخ ،
صعب الذرى ، ممتنع الاركان . ويقال : دعوت فلانا فانجد الدعوة ، اذا
أجاب . ويقال : فلان حسن الجهر ، أى الهيئة والمنظر . ويقال : ما هو بذى
طعم ، أى ليست له نفس ولا حيلة ولا نجدة ، ويقال : أنت أبطنت فلانا
دونى ، أى جعلته أخص منى (814) . ويقال : بينه وبينه شأو بطين ، اذا
كان ما بينهما بعيدا . ومن باب التخصيص : باطن فلانا فلان وظاهره (815)
اذا كان يعلم أمره كله ، ويقال : تفرع فلان القوم اذا ركبهم وشتمهم .
ويقال : بثس ما أفرغت بهذا الأمر ، أى بثس ما ابتدأت به . ويقال : للرجل
اذا تزوج في أشراف القوم : تفرع في بنى فلان . ويقال : هو
الزم لك من شعرات قصك (816) ، ويقال : فرس يغم أنفاس الجياد ،
وذلك اذا اتعبها حتى تنبهر وترتد أنفاسها في أجوافها . وفي كلامهم : ذهب
كلب (817) الشتاء ، ووجد الدفء (818) ، وساخ الثرى ، وماد (819) العرق ،
وأورق العود ، واختلفت رؤوس (820) الابل ، ولفظت الارض النبات .
ويقال : استجزرت الغنم اذا سمئت . ويقال : ليل غداف (821) الاهداب ،
ويقال : رجل الوث بطىء منتشر غير احوذى ولا مشمر . ويقال : اقبل

- (811) في الاصل الواو ساقطة .
(812) المغالى : الرافع يده بالسهم يريد به أقصى الغاية .
(813) الاميع : الواسع .
(814) في اللسان 200/16 : ابطن الرجل اذا جعلته من خواصك . وانظر العبارة
في اللسان في الموضع المذكور مادة (بطن) .
(815) في الاصلين : ظاهره .
(816) القص : الصدر ، وانظر المثل في مجمع الامثال 250/2 رقم المثل 3714
وروايته فيه : « الزم من شعرات القص » . والمعنى انه لا يفارقك .
(817) اي حدثه .
(818) في الاصلين : الرف (بالراء) وهو تحريف .
(819) في الاصلين : ماد بدون همز ، وماد العرق : امتلا ربا .
(820) في الاصلين : رؤس بواو واحدة .
(821) في ا : غداف ، تصحيف .

صارا ما بين عينيه (822) من الغضب . ويقال : انا استوثق منه واستعهد .
ويقال : أيام غر محجلة ، وأيام طوال وكبار . ويقال : هو شيطان يخاف .
ذبابه . ويقال : فعلت به ما ساء وجهه ، ويقال هو عنيف عاف (823) عن
كل قبيح . ويقال : هو شؤم (824) الد غشوم . ويقال : جاء بجيش كركن
الطود لا تسائر حجراته ، (825) ويقال : ما ردك عنى بقيا على ولكن لم
تجد متقدما . ويقال : مفازة (826) مثل ظهر الاديم مسحاء مابها اثر .
ويقال : أتنا بعد طبق من الليل (827) . ويقال : أتنا أمر طبسق ، أى
عظيم (828) . ويقال : ما تتعدنى عنك شغار (829) ، أى ما عاقنى . ويقال :
أرض بعيدة لا يقصياها البصر ، أى لا يبلغ أقصاها . ويقال فى الدعاء : امض
أصبت غنامة وسلامة .

ويقال : هو فى عيش ماصر ، أى بلغة لا خير فيه ، وهو من قولك عنز
مصور ، أى قالصة اللبن . ويقال : لهم غلة يمتصرونها ، أى يأخذونها (830)
قليلًا قليلًا ، ويقال : فسد الجرح ، وعرب ، وخرب ، وفى لسانه خرب أى
فحش ، وليس هو من الفرابة ولكنه من الذرب . قال :

أرحنى واسترح منى فانى ثقل محلى ذرب لسانى (831)

ويقال : ناهيك به وجازيك به (832) . ويقال : له عيال متضافون ، اذا
كثروا وقل مالهم . والاصل الضف فى العيش والقتلة ، ويقال : أتت عليهم
السنة وازمتهم (833) ويقال : جاء حين انفلق ضوء الصبح . ويقال : مضى
ذلك الدهر ونسل . ويقال : هو جواد يعطى الرغائب . ويقال :

وكان ضياء يتبع الناس أمره كما يهتدى السارون بالقمر البدر

- (822) أى مقبض ما بينهما .
(823) فى النسختين : حاف .
(824) فى الأصلين : توم ، وهو تعريف .
(825) حجرتا الجيش : مبينته وميسرته .
(826) المفازة لغة المنجاة ، سميت بذلك تفاولا .
(827) طبق الليل : معظله أو بعضه .
(828) وجاء فى نوادر أبى مسحل 22/1 : نزلت بهم احدى بنات طبق وهى الدواهي .
وانظر اللسان مادة طبق 83/12 .
(829) فى أ بضم الشين والصواب ما أثبتناه ومعناه : المداوة والطرء والنفي .
(830) فى أ : يأخذونها .
(831) البيت فى مقاييس اللغة 353/2 مادة (ذرب) من غير مزو . وهو فى اللسان
مادة (ذرب) 372/1 من غير مزو . وهو فى أساس البلاغة مادة (ذرب)
295/1 من غير مزو أيضا .
(832) بمعنى حسبك به .
(833) أى استأصلتهم .

ويقال : تهدم عرشه ، وشالت نعمته : وأشرف على الردى . ويقال :
هو محيب ، موصوم الاديم . ويقال : هو يحطب على نفسه النكراء . ويقال :
للرجل يصاب بشدة بغد شدة : هو يعمل بجدع بعد عقر . ويقال : فرس
سامى المعذر (834) صافى أديم الخد . ويمدح الرجل فيقال : هو معقل
الجانبين (835) . ومؤتلف الغارمين . وجاء فلان فى ليف واشابات ملزقة .
ويقال : البغى مصرعه ، والبغى مقصبة ، ويقال للأمر يكون ثم يمضى :
درجت ما درجت ثم انقضت ، يشبه بالليلة تمضى . ويقال (836) : نظرت
اليه فرويت منه عيني . ويقال : تهوّر كبر الليل (837) ويقال : رجل حاد أخو
مشايحة (838) ذفيف (839) ، ويقال : التقينا وكلانا حنق أنوف ، ويقال فى
صفة السيف : أبيض يخطف الأبدان . ويقال : افعله ما دعا الله عابداً .
ويقولون فى صفة الحرب : الموت راكد والمنايا مطلة . ويقال : قد أغلق صدره
على الحسد . ويقال : هو أبلخ (840) ضخم الكبر . ويقال فى الذم : توبته بمطنة
بكفر . ويقال للرجل الرث الهيئة : خلق الأدراس (841) أشعث ، شاحب .
وقال بعض العرب : أرمّت على عنصوة من المال أبقتها السنة حتى جاء الله
جل وعز بالحيا . أرمّت . امسكت عليها واعتصمت بها ، والعنصوة : البقية ،
والحيا : الغيث . ويقال : تهاون بالأمر وفسخ عنه . ومضت من الليل ساعة
ثم تهجدنا فلان ، اذا جاء فى ذلك الوقت . ويقال : أكل معى فاخضمته ، أى
القمته . ويقال : هو حنيك ، أى شديد الأكل . ويقال : محجة الطريق ، وملكه
وعدله ، أى وسطه . ويقال : قفنه بقذيفة قبيحة اذا شتمه . ويقال : ضلينا
أعقاب الفريضة تطوعا ، وصلينا اكساءها (842) . ويقال : ماللت له الشىء ،
اذا أخبرته بقلته وان كان كثيرا لئلا يطمع فيه . وكأثرت له ، اذا أخبرته
بكثرتة تطييبا لقلبه . ويقال : هم على مصابة آبائهم ، أى على طريقتهم
وتصدهم ومذهبهم . وتنادعوا على ، اذا جاءوا يتلو (843) بعضهم بعضا .
ويقال : بقيت عندنا ثغيب من مال ، ونصايا من مال ، يراد ما أبقتة السنة .

- (834) موضع العذار من الفرس .
(835) فى الأصل : الجانبين وهو تصحيف . والجانب : الغريب . والغارم : الذي
لزمه الدين .
(836) فى الأصلين : يقال .
(837) فى الأصلين : كبر ، وهو تصحيف . وتهوّر : مضى . وكبر : معظم .
(838) أخو مشايحة : أخو حذر وجد .
(839) الذفيف : الخفيف السريع .
(840) الأبلخ : المتكبر الاحق .
(841) خلق الأدراس : بالى الثياب .
(842) اكساءها : أى ماخيرها .
(843) فى الأصلين : يطوا بزيادة الف .

ويقال في الذم : سألت عليهم شعب المخازي . ولهم صبر على عض الهوان .
ويقال : هو يفتيق الحزن ويصطبحه . ويقال في المدح : يستوحش الدهر
لفراقهم . ويقال : حرب شطت اصداغها . وفلان بعيد مسافة الرأي ، اذا
مدحوه بجودة الرأي . ويقال : كف ، ضمنت يسار المعدمين . ويقولون : فعلنا
ذاك والخير يومئذ ذو عيين والشر أعمى . ويقال : هو أكثر ذنباً من
الزمان . ويقال في المدح : بيذه ناصية الوفاء . ويقال : لا تلمنى (844) في
أمر يعذرني فيه الاجتهاد . ويقال : دبغت عيني . ويقال : أقبل الليل يسحب
النجوم . ويقال : هذا الشيء همى ووسنى . ويقال للبليد : في فؤاده
هدنة (845) ، أى نومة وثقة انتباه ، وفي فؤاده هبته مثل ذلك . والرشد :
الضعفة من الناس . يقال : تركنا على الماء رشدا لا يطيقون تحملاً . ويقال :
المبد (846) أو شل القوم حظاً ، فإنه يكون آخرهم وأقلهم حظاً . ويقال :
استوضحت الشيء ، وذلك اذا نظرت اليه ، ووضعت يدك على حاجبك من
الشمس . والشيفة : الذي يشتاف للقوم ، ينظر ويرقب . السيقة الطريدة .
قال :

وهل انا الا مثل سيقة العدى ان استقدمت نحر وان جبأت عقر (847)

ويقال : ما رأيت في الخالفة شراً منه ، أى انه ردىء الاردياء . ويقال :
أبيك العبد وأبرأ اليك من خلفته (848) ، وهو هوفه (849) وسوء أخلاقه .
ويقال : فتى زين للمواكب والشرب . وفي استعارتهم : أصبح عرنين

- (844) في الاصل : لا يلبنى (بالياء) .
(845) جاء في المخصص 49/3 : الهدان : الاحمق الوخم الثقيل .. والاسم الهدن والهدنة
(846) المبد : الذي يتولى امطاء كل شخص بدته ، اي نصيبه .
(847) البيت في اللسان مادة (جبا) : 35/1 من دون مزو وهو في اللسان مادة (سوق) من دون مزو أيضاً .
وهو في الصحاح مادة (سوق) 1500/4 من غير مزو .
وهو في الصحاح مادة (جبا) 40/1 وقد شرح المحقق في الهامش انه لنصيب بن أبي محجن .
وهو في تاج العروس (ساق) 387/6 لنصيب بن رباح وهو في ديوان (شعر نصيب بن رباح) — جمع وتقديم الدكتور داود سلوم — بغداد 1968 — ص 92 .
وجبا : تأخر وخنس ، وفي معنى البيت لمن وقع بين شرين لا ينجو من أحدهما قالوا : « كالأشقر » ان تقدم نحر ، وان تأخر عقر . انظر جمهرة الأمثال 152/2 .
(848) أي لمساده ، وانظر النص في اللسان مادة خلف 441/10 .
(849) في الاصلين : هوفه (بالفاء) وهو تحريف . والصواب : بالفاء وهو الحق .

المكارم أجذع (850) ، وفي المدح : هو امرؤ تعلق به حدق الغفاسة (851) وأنفس الهلاك . ويقولون : مان طيب الثرى . ويقال في الرجل يستطيل على جلسائه : هو رب على من يقاعد . وفي المدح : عف الشماثل طيب الاخبار . وفلان تمنى اليه المفاخر . ويقولون : قد قوس من الكبر . ويقولون : نزلت افضى حجرة الحى . ويقال : له لسان غير ملتبس وقلب غير مزؤد (852) ويقولون : في اليأس ناه . ويقولون : دهر شره دون خيره . ويقال في المدح : هو أبيض وضاح . ويقال لمن تنافل عن اساءة صديقه : « ارتوى ماءه » (853) على رنق . وفلان يتشمس من فلان ، اذا كان يأباه ويفر من فعله . ويقال : هو بعيد القلب ، حلو اللسان . ويقال : قد غلقت من فلان بأسباب متان . ويقال للرجل العبوس : لا يتبسم وما ييدى عن ظهر واضحة وتقول : انا محنى الضلوع على مودتك . ويقال في الذم : هو يضيع ثغور الحقوق . ويقال : حار ماء عيني في جفنى . ويقال فيمن لا محصول له : لا خل هو ولا خمر ؟ ويقال للدهر : هو أعصل (854) ذو شغب وفلان في مخفوض من العيش بارد . ومكر فلان بفلان ، واوبقه (855) وحفر له عاثورا (856) . ويقال : ترك هذا الأمر نفسى شعاعا ، أى متقسمة . ويقال : كان ذاك ووجه الدهر بالخير مقبل . ويقولون للمحتاج قد غضته الحاجة . ويقال : كان ذاك وغصن الشباب وريق ناعم الشعب . ولا أفعل ذلك وما استن جارى الماء . ويقال في الذم : هو جبان الليل ، نوام الضحى . ويقولون في حسن الطاعة : هو فيما تدعوه قدح (857) مقوم . ويقال : سألته فنكد (858) . ويقال : سألته فأحقدت اذا لم أصب منه شيئا ، واذا اعطى قليلا قالوا أوشى ، فان أعطى كثيرا فقد اركز وكل هذا مستعار من فعل المعدن . وقال أعرابى لرجل كلمه بكلام قبيح : ادبر بشر ما أقبلت به . وتقول : ما بها انسان ولا صافر (859) وما أحسن محياه وجهه

- (850) في الاصلين : اجذع ، وهو تصحيف .
(851) جمع هاني ، وهو كل طالب فضل او رزق . وفي الاصل الغفاة وهو تحريف .
(852) غير مزع ولا خائف .
(853) ما بين قوسين بطموس في ا وهو بياض في ع تتلوه : اءه
(854) الموج في صلابه .
(855) في ع : ابته ، وهو تحريف . واوبقه : اهلكه .
(856) الماثور : حفرة تحفر للاسد . يقال لمن تورط : قد وقع في عاثور شر ، اي في شدة .
(857) القدح : السهم قبل ان ينصل ويراش .
(858) في ع : فنكل ، وهو تحريف . ونكد الرجل : كثر سؤاله وقتل خيره .
(859) انظر المثل في جوامع كتاب اصلاح المنطق — زيد بن رمانة حيدر آباد الدكن — 1354 هـ ص 213 .

وسنته (860) . وهو عظيم القمة والشرف . وفلان حديد الناظر
والبرقاء (861) والصادقة والطارقة (862) . وهو حسن المعطس والمرسن
والرابع أى الآنف . وهو جيد المفصل والمقول والمذود تريد اللسان . وهو
حسن الهادى والتليل والأبريق يريد الجيد (863) . وهو حسن اللبنة
والنحر (864) . وهو حسن السالفتين (865) والصفحتين والصليفين (866)
واللديدين والليتتين (867) . وهو حسن الحيزوم (868) واللبنان والتقص
والبرك (869) . وهما عضداه وضبعاه (870) . وهى الاضلاع والحوانى
والجوانح . وهى الخاصرة والقرب (871) والصفاق (872) . وهو الجنب
والحنو والدف والحصير والصل . وهو البطن والجفرة . وهو المتن والمطا
والقرا (873) للصلب . وهو الجسد والجثمان والأجلاد . وهى القوابض
والبنان . وهى المفاصل والأبداء والآراب والفصوص والأوصال والكسور .
وهو الدم والنجيع والبصيرة والتامور والعلق واللون والليط والنقبة والديباج
وهو الشخص والزائلة والسواد والآل . وهو العقل والمعقدة والمسكة
والحصاة والنهاية والارب . وهو الحمق والموق والأمن والوره . وقد تسمع
وارعى واصاخ واصفى وتوجس . وهو الصوت والركز (875) والفديد
والنبأة . وهو السرار والهمس والوحى والمواهسة والسواد . وهو الجهر
والاشادة والاصاتة والاسماع ، وهو الشم والسوف والتنسم . وهو طيب
الريح والريا والنشر والارج العرف والنشوة . ونظرت وكلات ورمقت
ورنوت . وهى الطبائع والسلائق والنحائث والضرائب . ويقال :
تزوج (876) فى بنى فلان وصاهر واتصل ، وقد بنى على أهله وتبعل . وهو

- 860 سنة الانسان : وجهه .
861 يقال للمعين برقاء لسواد حنقنها وبياض شحماتها .
862 لعلها الطارئة .
863 الجيد : العنق أو طوله .
864 النحر : موضع الغلادة ووسطها يقال له : اللبة .
865 السالفة : صفحة مقدم العنق .
866 الصليف : ناحية العنق .
867 اللبت : صفحة العنق وما خلف مذهب القرط .
868 الحيزوم : الصدر .
869 البرك : وسط الصدر .
870 الضبع : وسط المعقد . المعقد كلها . الأبط . وقيل ما بين الأبط الى نصف
المعقد من أعلى .
871 غبطلت بفتح الغاف والذي فى اللسان مادة (قرب) بضم القاف .
872 الصفاق : الجلد الأسفل دون الجلد الذى يسليخ وهو الذى يمسك البطن وإذا
انشق كان منه العنق .
873 القرا : متصل الظهر بالعنق .
874 فى الاصليين : الإبداء وهو تصحيف .
875 هكذا فى الاصليين بفتح الراء والذي فى المعاجم بكسرهما .
876 فى الأصل (تزوج) بالحاء المهملة .

الطلاق والبين والرد والتخلية والسراح . وعقمت المرأة وعقرت وحالت واعتاطت . وفي خلافة حملت وعلقت وضمت . فاذا قرب ولادها قيل أحجنت (877) وأدنت . فان استطعت قيل : أجهضت وأزلقت . وأخذت اذا أتت به ناقصا . ويقال : ولدت المرأة ومصمت وقذفت . ويقال : هو وسخ درن قشف . ويقال للأثر : البلد والندب والخبار . ويقال : مشى وخطا ورأس وماس ودرج . فاذا عدا قلت : احضر وخشف (878) وبفلان خفة وطيرة وبادرة . ويقال : جاء بغنة واغتتالا والتقاطا وبدها وفلاطا وغشاشا . وتقول : لا اثم عليك ولا جنف . وفلان يدارى فلانا ويفانيه ويدامله ويصاديه . وهو يمكر به ويمحل ويختل ويأدو (879) له . ويقال : بخسه حقه ونقصه والته . ويقال : جاع وغرث وسغب وطوى . فان كان واجدا ولم يأكل قيل : طوى . وفي ضده شبع وبه كظة وثقلة . وهو المعطش والغيم والغلة والأوام . وفي الرى : النقوق والبضوع . فاذا قتل الشرب قيل : تمزز وتشفف . وقد غص وجرض وشرق . ويقال : به رعدة وقل وافكل . ويقال للمرق : الرشح (880) والمسيح والحميم والنجد . ويقال : بكسى ونشج . ويقال : نشط وعرص (881) والميعة النشاط . ويقال : اعيى وبلح وطلح وانبهر وحسر وكل كلالا . وهم الناس والانام والورى والعالم والنفر والصحب والحضيرة والأسرة والزمرة واللثة . وهو فرد ووحد (882) . ويقال : صديقه وخله وخلمه وسجيده وعشيرته . وهى زوجته وحنته ووعيدته وربضه . وهو تربه ورثده وحنته . وهى الحاضنة والكافلة والرابة . وهم الخدم والمناصف والعسفاء والحفان . وهذا زعيمك وكفيلك وغريرك وضمينك وقبيلك . وهم من انفس العرب وسرهم وعينتهم وعقليتهم . وفي ضده من ارذالهم واوشاظهم واشراطهم . وهى القرابة والسهمة والال . ويقال : جئت فى ابانه وعدانه . ويقال : هى غايته وقصاه . ويقال : هما سواء وبواء وشرع . وقد والى بين شيئين ولاء ، وعادى عدا ، وواصل وصالا . ويقال : هو حدل غير عدل . وقد ماط على فى الحكم . وقد اصلحت بين القوم ، واسوت ، ورأبت بينهم . وقد غفرت الامر بغفرته (883) ، وانا اعطف على فلان واعينه واشبل عليه . وقد اختلط على القوم أمرهم واربت . وقد عميت

- (877) أحجنت : أي اموجت من ثقل حملها وفي الاصل أحجنت وهو تحريف .
(878) فى الاصل : حشف بالحاء وهو تصحيف .
(879) فى الاصل : ويادوا ، بالك زائدة وبدون هيز ، انظر اللسان مادة (ادا)
(880) فى الاصل : الوشح وهو تحريف والصواب ما اثبتناه ، وهو العرق من تعب أو همى .
(881) فى النسختين : عرض ، وهو تصحيف .
(882) فى ع : وحد .

عليه الخبر ودمست عليه الخبر . ويقال بلغنى فرو من الحديث ، ورس من الحديث ، اذا بلغك بعضه . ويقال : رجعت الى الحق وافرغت وعنوت . ويقال : تفرق القوم ، وطالوا ، وتمايطوا . ويقال : حبسه وشجره . ويقال : لقيته مصارحة وكناحا . ويقال : لقيته بين الظهرانيين ، ولقيته عن عفر أى بعد شهر ونحوه . ويقال : ملكت فلانا أمره ، وسومته أمره ، ودينته فى أمره ، أى ملكته أياه . قال الحطيفة :

لقد دينت امر بنيك (884) حتى تركتهم ادق من الطحين (885)

ويقال : ذهب بحقه ومصح بحقه . وحدثت هذا الخبر عن فلان ، ودبرته عن فلان ، بمعنى ، ونظرت فأشب لى فلان اذا رأيته من غير ان ترجوه . أو تحتسبه . ويقال : عظمت فلانا ورجبته ، وفلان يرغل أى يعظم . قال ذو الرمة :

اذا نحن رفلنا أمراً ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر (886)

قال الشيخ أبو الحسين احمد بن فارس أطل الله بقاء : الكلام كثير ، ومن طمع منا فى الاحاطة بجمعيه فقد زعم غير مزعم ، وارجو ان يكون ما كتبناه نائما فى بابه ، لمن حفظه وأحسن تصريفه فى خطابه وكتابـه ان شاء الله .

قوبل بأصله الذى نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله نصح

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبى محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين .

(883) اي اصلحه بما ينبغي ان يصلح به انظر المنجد ص 583 .

(884) فى النسختين : نيتك وهو تحريف .

(885) البيت للحطيفة من قصيدة بهجو فيها امه : ديوان الحطيفة — تحقيق نعمان أمين طه ص 278 وروايته :

لقد سوست امر بنيك حتى تركتهم ادق من الطحين

(وادق من الطحين) ذهبت مثلاً : انظر جبهة الامثال 455/1 والمستقصى ص 50 والميداني 183/1 . وانظر البيت فى الصحاح والتاج مادة (دين) . وفى الاساس واللسان مادة (دين) ومادة (سوس) .

(886) البيت فى ديوان ذي الرمة ص 238 وروايته :

اذا نحن سودنا امراً ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

ابن خالويه اللغوي ونسبه كتابه لحنه إليه

الأستاذ عبدالعال سالم مكرم
أستاذ جامعة الكويت

شاره الأستاذ عبدالعال سالم مكرم بدراسة حول « كتاب الحجة في قراءات
الأئمة السبعة في مسابقة الكتب الدائم حول اللغة وقد نسب هذا الكتاب الى ابن
خالويه وقدم لتحقيق المخطوط يبحث لآيات هذه النسبة ، ونحن ننشر هذه
المقدمة مع نقد لها للأستاذ محمد العابد الفاسي :

البغية (2) وقد سجل الرواة في سنة أربع عشرة
وثلاثمائة دخل بغداد ليلتقي عن شيوخها ، وبأخذ من
اعلامها .

هذا ولم تعرض كتب الرواة لسنة مولده ،
وان تعرضت لسنة وفاته ، فقد اجتمعت على أنه توفي
بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (3) .

شيوخه :

من شيوخه الذين كان لهم اثر كبير في تكوينه
العلمي والثقافي :

1 - ابن مجاهد :

تلقى ابن خالويه على ابن مجاهد على القرآن
الكريم والقراءات .

وهو : احمد بن موسى بن العباس التميمي ،
كان يلقب في عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخرا أنه
اول من سبغ السبعة ، وكان اليه المرجع في فن
القراءات (4) .

ابن خالويه شخصية لم تظهر بالدراسة الواسعة
بعد ، لانه في مجال القراءات ، والنحو واللغة لا تقل
من هؤلاء الاعلام الذين ظفروا بمثل هذه الدراسة كابي
علي الفارسي ، وابن جنى وغيرهما .

ولم يهذه الترجمة الموجزة انير الطريق امام
الباحثين ليتجهوا الى تراث هذا الرجل المطبوع
والمخطوط ، ليقوموا في ضوئه دراسات وبحوثا ، تظهر
مكانة الرجل في عصره ، ومكانة تراثه بين ترائنا
الخالدين .

نسبه :

سجلات كتب الطبقات ان اسمه : الحسين بن
احمد ان خالويه بن حمدان : وكنيته : عبد الله (1) .

نشاته :

ذكر ياقوت انه نشأ في همدان ، ثم وفسد الى
بغداد بعد ذلك ، وبشاركه في هذا الرأي السيوطي في

(1) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .

(2) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .

(3) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 220 ، غاية النهاية 1 / 237 .

(4) غاية النهاية 1 / 142 .

2 - ابن دريد :

وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تلقى عليه ابن خالويه النحو والادب . وكان ابن دريد شاعرا كثير الشعر ، ومن شعره المقصورة المشهورة ، والقصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والمدود (1) ولما مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ، ودفنا في مقبرة الخيران ، قال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي .

وقد رثاه جحظة فقال :

فقدت بابن دريد كل منفعة
لما هذا ثالث الاحجار والتراب (2)

وكنيت ابكي لفقد الجود آونة
فصرت ابكي لفقد الجود والادب

3 - ابن الانباري :

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري النحوي ، كان من اعلم الناس وافضلهم في نحو الكوفيين ، واكثرهم حفظا للغة .

وكان ابن الانباري - كما يذكر الرواة - مهتما بالدراسة القرآنية فقد ذكروا انه كان يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم (3) .

وقال عنه : محمد بن جعفر التميمي : « اما ابو بكر بن الانباري فما رأينا أحفظ منه ، ولا أحر منه من علمه . (4) »

ويحكى ابن الانباري عن نفسه فيقول : انه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول : « اما انك طيب ولكن اطيب منك ما وهب الله عز وجل لي من العلم » (5) .

4 - أبو عمر الزاهد :

هو أبو عمر : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم اللغوي الزاهد كان من اكابر اهل النفة ، واحفظهم لها ، اخذ من أبي العباس ثعلب ، وكان يعرف بفلان ثعلب . وقال عنه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الاسدي : « لم يتكلم في علم اللغة من الاولين والآخرين احسن من كلام « أبي عمر الزاهد » .

وقال فيه أبو العباس الشكري يمدحه :

أبو عمر أوتي من العلم مرتقى
يزل مساميه ويردي مطاوله

فلو انني اقسمت ما كنت كاذبا
بان لم ير الراؤون خيرا يعادله

الى ان يقول :
اذا قلت شارفنا او اخر عنقه
تفجر حتى قلت هدى أوائله (6)

5 - أبو سعيد السيرافي :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي كان من المع نجوم عصره فسمى اليه ابن خالويه ، وجلس في حلقة ، وتاثر به تاثيرا كبيرا ظهر في منهجه اللغوي والنحوي الذي سنتمرض له فيما بعد ، ذلك لان أبا سعيد كان كما يقول المرحوم الاستاذ أحمد أمين : « زعيم المحافظين في عصره (7) » حيث يرى ان اللغة مرجعها الرواية والنقل ، لا القياس والعقل .

وبهذا المنهج استطاع السيرافي ان يهزم (منه) المنطقي في مناظرة مشهورة جعلت الوزير ابن الفرات - وكان مشاهدا لها - يقول في السيرافي « مين الله عليك ايها الشيخ ، فقد نديت اكبادا واقترت عيونا ، وببشت وجوها ، وحكت طرازا لا يبليه الزمان ، ولا يتطرق اليه الخدثان (8) » .

(1) نزهة الألبا - 174 .

(2) نزهة الألبا - 175 .

(3) نزهة الألبا - 179 .

(4) نزهة الألبا - 181 .

(5) نزهة الألبا - 181 .

(6) نزهة الألبا - 189 .

(7) ظهر الاسلام - 2 - 91 .

(8) الامتاع والمؤانسة : 1 - 128 ، 129 .

وبعد

حياته الاجتماعية :

فيما يبدو ان ابن خالويه كانت معيشته ضنكا من الرزق فهو ، وان صاحب سيف الدولة في حلب ، ثم صاحب ولده « شريفا » وغيره من آل حمدان بعد وفاة سيف الدولة فهذا لم يعطه الاستقرار الاقتصادي في الحياة رغم ذلك ، فقد كان يجري وراء المال ليستر العوز ، وبعد الفاقة يدل على ذلك قوله لسيف الدولة حينما سأل جماعة في مجلسه :

هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصورا ؟
فقالوا : لا .

فقال ابن خالويه : انا امرأ اسمين لا اقولهما الا بالف درهم لئلا يؤخذا بلا شكر (5) .

ويدل على ذلك قوله أيضا قوله :

وكم قائل قالي رايتك راجلا
فقلت له من أجل أنك فارس

وقوله :

الجود طبعي ، ولكن ليس لي حال
فكيف يبذل من بالقرض يحتال
فهاك حظي فخذ اليوم تذكرة
الى اتسامي فلي في الغيب آمال (6)

معاصروه :

أبو علي الفارسي :

في عصر ابن خالويه ظهر رجل له شهرته ، ومكانته في النحو واللغة والقراءات ، ذلك هو الحسن ابن عبد القفار ابن سليمان الفارسي .

كان الفارسي من اكابر أئمة النحو ، وشغل الناس بآرائه في القياس والعلة ، والمنطق والجدل حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد .

فاذا كان التلميذ صنعة أستاذه ، فقد كان حظ ابن خالويه في تكوين شخصيته ، وتربية عقله وسمو تفكيره - كبيرا لانه جلس في حلقات هؤلاء الاعلام الذين ملأوا الدنيا بأثارهم الفكرية وانتاجهم الادبي الذي خلد ذكرهم ، وعطر في التاريخ سيرتهم .

رحلاته :

ذكر « انباء الرواة » انه دخل اليمن ، ونزل ديارها ، وهي رواية البجلي اليمني في كتابه « الاترجة » حين تعرضه لابن الحائك اليمني وشعره ، قال ما نصته :

« ومن المشاهد على ذلك ان الحسين بن خالويه الامام لما دخل اليمن ، ونزل ديارها ، وأقام بها شرح ديوان ابن الحائك وعنى به ، وذكر غريبه وأمرابه »

قال صاحب الانباء :

ولم أعلم ان ابن خالويه دخل اليمن الا من كتاب « الاترجة (1) » هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والإسلام الى قريب من زماننا هذا ، وما رايت منه نسخة ، ولا من ذكره الا نسخة واحدة جاءت في كتاب الوالد أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن (2) .

على أية حال كانت ، ان صحت هذه الرواية فمن المؤكد ان رحلته هذه الى اليمن كانت قبل رحلته الى حلب حيث سكنها ، وعاش في كنف سيف الدولة بها ، وهناك أنتشر علمه (3) .

ويريد « الانباء » انه تصدر أيضا بميا فارقين ، وحمص للافادة والتصنيف (4) .

وأخيرا استقر به المقام في « حلب » حيث وافاه الاجل المحتوم في سنة سبعين وثلاثمائة .

(1) الاترج : بضم الهمزة ، وتشديد الجيم فأكمة معروفة ، الواحدة : اترجة .

(2) الانباء 1 - 326 .

(3) البغية 1 - 529 .

(4) الانباء 1 - 325 .

(5) البغية 1 - 503 .

(6) البغية 1 - 530 .

وقال فيه أبو طالب المبيدي : ما كان بين سيبويه وأبي علي افضل منه (1) .

وهذه المنزلة التي وصل اليها أبو علي في النحو جعلت مضد الدولة يقول : انا غلام أبي علي في النحو (2)

وكانت المنافسة بين ابن خالويه وأبي علي الفارسي على أشدها . فقد كتب أبو علي كتابه « الاغفال » وذكر فيه ما أهمله شيخه أبو اسحق الزجاج في كتابه « معاني القرآن » ، ولكن هذا النقد الذي وجهه أبو علي إلى أستاذه الزجاج في « الاغفال » لم يرض ابن خالويه فتعقبه فيما كتب . وعقب على تعقبه أبو علي في كتاب سماه « نفخ الهازور » وبسط الكلام فيه كل البسط وقد أورد البغدادي في خزانته طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه ، اذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه : ان الواو اذا كانت في أوائل القصائد نحو : وقائم الاعماق ... الخ . فانها تدل على رب فقط ، ولا تكون للمطف ، لانه لم يتقدم ما يعطف عليه بالواو .

وقال الفارسي في نفخ الهازور : هذا شيء لم نعلم أحدا ممن حكينا قوله ذهب اليه ولا قال به (3) .

وقال ابن الأنباري في نزهة الألبا : « انه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لأبي علي : نتكلم في كتاب سيبويه فقال له أبو علي : بل نتكلم في الفصح .

ويحكى انه قال لأبي علي كم للسيف اسما ؟ قال : اسم واحد ، فقال له ابن خالويه : بل أسماء كثيرة ، وأخذ يعددها نحو الحسام - والمخدم ، والقضيب . . فقال أبو علي : هذه كلها صفات (4) .

ولم تكن منالسة ابن خالويه لأبي علي إلا صدى لمنالسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لأبي علي الفارسي ، فقد كان أبو علي - كما يقول أبو حيان التوحيدي - « متقدا بالفيظ على أبي سعيد وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بفريه وأمثاله ، وشواهد وأبياته وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء ، لان هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ، ولا لابن السراج ، ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم (5) .

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدولة ليعلمه تطاول الفارسي على السيرافي ، وهو تطاول غير محمود ، لان منزلة السيرافي وبخاصة بعد هزيمة (منى) المنطقي نسجت حوله ثوبا من القدسية والمهابة ، فلا يليق بأبي علي أو غيره أن ينال هذه الشخصية التي اعلت لغة العرب وذلت مصاعب كتاب سيبويه .

ولم يسكت الفارسي حينما علم خبر هذه الرفعة فأرسل إلى سيف الدولة رقعة ينفي فيها عن نفسه التهمة ، ويزيل اللبس ومن العبارات التي ضمنها رسالة الفارسي قوله : « من ذلك بعض ما يبدل على قلة تحفظ هذا الرجل - (يعني بذلك ابن خالويه) فيما يقوله : هو قوله : لو يبتقى عمر نوح ما يصلح أن يقرأ على السيرافي مع علمه بأن ابن بهراذ السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلوم ، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ما لا خفاء فيه ، كيف وقد خلط فيما حكاه مني ؟

وإني قلت : ان السيرافي قد قرأ على - ولم أقل هذا ، إنما قلت تعلم مني ، أو أخذ مني هو أو غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم ، وليس قول القائل : تعلم مني مثل قرأ على ، لانه يقرأ عليه من لا يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه وتعلم ابن بهراذ السيرافي مني في أيام محمد بن السري وبعدة لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الوراق .

ومحمد بن أحمد بن بونس ، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرق الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يروونه بفشاني في (صف شوينز) كمبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، لانه كان جاري بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه ، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني (6) .

(1) نزهة الألبا 208 .

(2) معجم الأدباء 7 - 234 .

(3) خزانة الأدب 1 - 39 .

(4) نزهة الألبا - 208 .

(5) الامتاع والمؤنسة - 131 .

(6) المسائل الحلبية لأبي علي الفارسي ، ورقة 114 ، مخطوط رقم 266 نحو تيمور .

واني حرصت على تسجيل هذا الجزء من هذه الرسالة ليكون مثالا واضحا يدل على مدى التنافس الكبير الذي كان بين الرجلين ليظفر كل منهما بقلب سيف الدولة من ناحية ، وازدهار هذا العصر في مجالات اللغة والنحو من ناحية أخرى .

2 - المتنبي :

لم يكن أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي شاعرا يملا الدنيا بأشعاره وتسمع كلماته من به صمم فحسب ، بل كان لغويا نحويا متضلعا يدل على ذلك أن أبا الطيب « اجتمع هو وأبو علي الفارسي ، فقال له أبو علي : كم جاء من الجمع على وزن فعلى ؟ بكسر الفاء ، فقال المتنبي : حجلي وظري جمع حجل وظربان . قال أبو علي : فسهرت تلك الليلة التمس لها ثالثا فلم أجد أحدا وقال في حقه : ما رأيت رجلا في معناه مثله (1) » .

اتصل المتنبي بسيف الدولة يمدحه ويكثر من المدح فيه ، وكانت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة مناقشات توضح مدى التنافس بين الرجلين .

يحكى أنه لما انشد سيف الدولة بين حمدان قوله في مطلع بعض قصائده :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه

كان هناك ابن خالويه . فقال له : يا أبا الطيب : إنما يقال : شجاء ، توهمه فعلا ماضيا ، فقال أبو الطيب : أسكت فما وصل الأمر إليك (2) .

وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة : لولا أن أخي جاهل لما رضى أن يدعى بالمتنبي ، لأن معنى المتنبي كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل ، فقال : لست أرضى أن أدعى بذلك ، وإنما يدعوني به من يريد الغش مني ، وليست أقدر على المنع (3) .

وذكر الرئيس أبو الحسين محمد بن علي بن نصر الكاتب في كتاب : « المفاوضة » : حدثني أبو الفرج

عبد الواحد بن نصر البغفاء قال : « واذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشققها بسكين الدواة ، فمد ابن خالويه جانب طيلسانه ، وكان صوفا أزرق ، فحشا فيه سيف الدولة شيئا صالحا ، ومددت ذيل دراعتي وكانت ديباجا ، فحشا إلى فيها ، وأبو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا ، أو يطلب شيئا منها فمافعل فغاضه ذلك ، فنشرها كلها ، فلما رأى المتنبي أنها قد فاتته زاحم الفلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة . فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطرطوره في عنقه ، واستحى ومضت له ليلة عظيمة وانصرف .

وخطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك ، فقال : ما يتعاضم تلك العظمة ، ويتصنع إلى مثل هذه المنزلة إلا لحماقته (4) .

3 - ابن جنى :

أبو الفتح عثمان بن جنى النحوي من معاصري ابن خالويه ، فقد توفي ابن جنى سنة 392 هـ على حين توفي ابن خالويه 370 هـ (5) ، وقد تتلمذ ابن جنى على ابن علي الفارسي ، وصحبه أربعين سنة وكان سبب صحبته إياه أن أبا علي الفارسي سافر إلى (الموصل) فدخل إلى الجامع ، فوجد أبا الفتح عثمان بن جنى يقرأ النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو الف نحو قام - وقال : فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصرا ، فقال له أبو علي : زبيت قبل أن تحصوم ، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جنى ، وسأل عنه ، فقيل له : هو أبو علي الفارسي النحوي فأخذ في طلبه وصاحبه إلى أن مات أبو علي ، وخلفه ابن جنى ودرس النحو ببغداد بعده ، وأخذ عنه (6) .

والذي يعنيني من هذه المماصرة أن ابن جنى تتلمذ على أبي علي الفارسي وأن ابن خالويه تتلمذ على أبي سعيد السيرافي ، والشيخان راسان في عصرهما ، عاشا في مجال النحو واللغة بيدمان ما شاء لهما الإبداع ولكنهما اختلفا في المنهج والطريقة ، وقد

(1) نزهة الألبا - 201 .

(2) نزهة الألبا - 201 .

(3) نزهة الألبا - 200 .

(4) أنباء الرواة - 1 - 327 .

(5) نزهة الألبا - 222 .

(6) نزهة الألبا - 221 .

مكاته اللقية والنحية :

ابن خالويه كانت له قدم راسخة فى الدراسات اللقية ، فقد تتلمذ على ابن دريد كما ذكرنا وابن دريد له فى اللغة كتاب « الجهرة » وهو كتاب ثمين عرف قيمته أولو العلم ، ورجالات الادب منذ تاليفه ، فابو على القالي كان يملك نسخة من الجهرة بخط مؤلفها ، وكان قد اعطى بها ثلاثمائة مثقال فابى ، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الايات:

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني اني سايمها
ولو خلدني فى السجون ديوني

ولكن لعجز واقتدار وصيبة
صغار عليهم تستهل شئوني

فقلت ولم املك سوى سفح عبرتي
مقالة مكوى الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك
كرالسم رب بن ضنين

قال: فارسلها الذي اشتراها ، وارسل معها اربعين ديناراً اخرى (4) .

وابن خالويه كان رواية لهذه الجهرة ، وقد كتب عليها حواشي من استداركه على مواضع منها ، ونبه على بعض اوهام وتصحيقات (5) .

ولمكاته ابن خالويه اللقية رد على ابن دريد ، ونقده فى مسائل عديدة من جهرته .

فمثلا يقول السيوطي : ليس فى الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات الا اول .

قال فى الجهرة : هو فوهل ليس له فصل ، والاصل : وول قلبت الواو الاولى همزة ، وادغمت احدى الواوين فى الاخرى ، فقالوا : اول .

اثر هذه التفرقة فى نفس تلميذيهما ، فسارا على الدرب ، وسلكا نفس المنهج .

فالفارسي وتلميذه يكثران من المنطق والعلة ، وابو سعيد وتلميذه لا يحفلان باقيسة المنطق ولا يميزان التعليل النحوي هذا الاهتمام البالغ ، وانما يحفلان بالرواية والامر ، والسماع ، وما نقل من العرب يدل على ذلك قول بعض الادباء فى رؤس النحو الثلاثة الفارسي ، والروماني ، والسيرافي : « كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فاما من لا نفهم من كلامه شيئا ، فابو الحسن الروماني ، واما من نفهم بعض كلامه دون البعض ، فابو علي الفارسي ، واما من نفهم جميع كلامه فابو سعيد السيرافي (1) » .

هذا وقد كان بلاط سيف الدولة يشهد فى كل المجالس العلمية والادبية التي تعقد فيه مناظرات عديدة بين الفارسي وابن خالويه من ناحية ، وبين ابن خالويه والمتنبي من ناحية اخرى .

وكان ابن جنى يشهد هذه المجالس ، وتوثقت صلته بالمتنبي حتى قال فيه المتنبي : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس وهذا التقدير الادبي من جانب المتنبي جعل ابن جنى يشرح ديوانه شرحا كما يقول المرحوم الاستاذ احمد امين : « استفاد منه كل من شرح الديوان بعده لاتصاله بالمتنبي ومعرفته بطروف شعره التي كثيرا ما تحدد المعنى ، وتمنع التاويلات (2) » .

وكما توثقت الصلة بين ابن جنى والعالم النحوي وبين المتنبي الشاعر كذلك توثقت الصلة بين ابن خالويه والعالم النحوي وبين الشاعر ابى فراس الحمداني الذي كان الراوية الوحيد لشعره وديوانه وقد صور هذه المنافسة المرحوم احمد امين حيث قال ما نعه : « فكان فى القصر - يقصد قصر سيف الدولة - حزبان ، حزب للمتنبي منه ابن جنى النحوي وحزب عليه منه ابن خالويه اللقوي وابو فراس الشاعر (3) » .

(1) نزهة الالبيا - 211 .

(2) ظهر الاسلام - 1 - 186 .

(3) ظهر الاسلام - 1 - 186 .

(4) المرهمر - 1 - 95 .

(5) المرهمر - 1 - 95 .

الاعراب سال الناس ، فقال : ارحموا شيخا ضعيفا (6) .

والامثلة عديدة على مكانته اللغوية اكتفى بما ذكرت منها حبا في الإيجاز .

والسؤال الذي يقال هنا ان لابن خالويه آثارا لغوية تشهد بفضلته وتشير الى قدره ، وهي آثار لا تنكر لانها واقع ملموس ، فهل كان ابن خالويه في النحو كاللغة ؟ في رأيي ان ابن الأنباري ظلم ابن خالويه حينما قال عنه في مجال النحو : « ولم يكن في النحو بذلك (7) » .

لان ابن خالويه له آراء في النحو لا تقل من آرائه في اللغة كما يبدو ذلك عند دراستنا لكتاب الحجة .

ولعل السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو هو انه كان يؤمن بأن اللغة تؤخذ سمعا ، لا قياسا ، والتأليف النحوي كما جرت به عادة النحاة - يدور حول العلة والمعلول ، والقياس والمنطق ومن أجل ذلك لم يؤلف كتابا عديدة في النحو أو في أصوله كما فعل الفارسي وتلميذه ابن جنى ، اللهم الا كتاب : الجمل في النحو ، وكتاب : اعراب ثلاثين سورة وكتاب المبتدا في النحو ولكنه مع هذا كان معلما نحويا ولغويا وقد سجل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا : كان اماما أحد افراد الدهر في كل قسم من اقسام العلم والادب ، وكان اليه الرحلة من الافاق ، وكان آل حمدان يكرمونه (8) .

عقيدته :

يلذكر سالم الكرنوكي وهو مستشرق ، حقق كتاب « اعراب ثلاثين سورة » ان ابن أبي طي : قال عنه كان اماميا عالما بالمذهب على حين يرى الذهبي في تاريخه انه كان صاحب سنة ، وابن حجر يؤيد تشييعه

وقال ابن خالويه : الصواب : ان أول : افعل بدليل صحبة من آياه ، تقول أول من كذا (1) » .

ومما يدل على اتساعه في حفظ اللغة رده على ابن دريد حينما قال في جمهرته : لم يجيء في الكلام فعل فعلا الا حرفان : حنق حنقا ، وضرط ضرطا .

قال ابن خالويه : وحكى الفراء : حلف حلفا ، وحبق حبقا ، وسرق سرقا ، ورضع رضعا (2) .

ولابن خالويه حس مرهف في ادراك اسرار اللغة وتدووقه لها :

قال السيوطي : لم يات اسم المفعول من افعل على فاعل الا في حرف واحد ، وهو قول العرب اسمت الماشية من المرعى ، فهي سائمة ، ولم يقولوا مسامة .

قال تعالى : « فيه تسيمون(3) » من أسام يسيم . قال ابن خالويه : احسب المراد اسمتها انا فسامت هي فهي سائمة ، كما تقول : ادخلته الدار فدخل ، فهو داخل (4) .

وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب ، حافظ له : قال في كتاب ليس : قات لسيف الدولة بن حمدان : قد استخرجت فضيلة لحمدان جد سيدنا لم اسبق اليها وذلك ان النحويين زعموا انه ليس في الكلام مثل رحيم وراحم ، ورحمان الا نديم ونسادم ، وندمان ، وسليم ، وسالم ، وسلمان ، فقلت : فكذلك : حميد ، وحامد وحمدان (5) .

ويؤمن بلفة الاعراب ، يستشهد بها في مواطن الاستشهاد قال في شرح الدرديدية :

كل اسم على فعيل ثانية حرف حلق يجوز فيه اتباع الفاء العين نحو : بعير شعير ، وغيث - رحيم اخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي ان شيخا من

- (1) المزهـر 1 - 60 .
- (2) المزهـر 2 - 75 .
- (3) النحل : 10 .
- (4) المزهـر 2 - 88 .
- (5) المزهـر 2 - 90 .
- (6) المزهـر 2 - 90 .
- (7) نزهة الالبـ 208 .
- (8) انبـاء الرواة 1 - 326 .

ويقول : كان صاحب سنة . في الظاهر فقط ليقرب
الى سيف الدولة الحمداني .

وفي رأي سالم الكرفوكي انه امامي لانه الف
كتاب « الامامة » ومن هذا الكتاب تظهر روح تشييمه
واضحة جلية ، ذلك لانه ذكر في كتابه اشياء لا يقولها
اهل السنة .

وفي رأي ان ابن خالويه لو كان اماميا لاشتهر
امره ، وفضحه اعداؤه ومنافسوه في وقت كانت
تعد فيه الهفوات .

ولو كان المتنبي يحس بانه امامي لهجاءه ،
واظهر حواره لسيف الدولة السني ، ليبعده من بلاطه ،
ويطرده من بلاده ، ولو كان ابن خالويه اماميا لما سكت
عنه ابو علي الفارسي في رسائله التي كان يبعث بها
الى سيف الدولة مدافعا عن التهم التي كان يوجهها
اليه ابن خالويه .

ولو كان ابن خالويه اماميا لما تعبد على المذهب
الشافعي ، لان الشافعي سني ، وقد ذكره السبكي في
طبقات الشافعية .

وليس تأليفه لكتاب الامامية يجعله اماميا ،
فالرجل مولع بالثقافة الواسعة ، وبالتأليف في مجالات
مختلفة . ومن ثم الف كتابه ليبدل على انه ملم باحداث
عصره وبشأن مجتمعه .

انتاجه العلمي :

السيوطي في « البغية » ينص على ان من
تصانيفه الجمل في النحو - الاشتقاق -
القراءات - اعراب ثلاثين سورة - شرح الدرديدية -
المقصود والممدود - الالفات - المذكر والمؤنث - كتاب
ليس - كتاب اشتقاق خالويه - البديع في القراءات (1)

ويزيد كتاب الانباه على البغية ما يأتي :

(1) البغية 1 - 530 .

(2) الانباه 1 - 325 .

(3) معجم الادباء 9 - 204 .

(4) غاية النهاية 1 - 237 .

(5) اعراب ثلاثين سورة 14 .

كتاب الاسد - تقفية ما اختلف لفظه ، وانفق
معناه للبريدي - المبتدأ في النحو - تذكرته ، وهو
مجموع ملكته بخطه (2) .

ومعجم الادباء يزيد على ما ذكر :

كتاب الآل : ذكر في اوله ان الآل ينقسم الى
خمسة وعشرين قسما ، وذكر فيه الائمة الاثني عشر
ومواليدهم ووفياتهم ، وغير ذلك (3) .

وغاية النهاية يريد ما يأتي :

حواشي البديع في القراءات - كتاب مجداول من
القراءات الفه لعصم الدولة (4) .

ومن قراءاتي في مجال دراسة ابن خالويه ازيد
على هؤلاء الرواة ما يأتي :

1 - كتاب الريح : وهو مخطوط يتكون من
ثلاث ورقات مخطوط رقم 525 هـ - دار الكتب اوله :
قال الشيخ ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي :
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وآله ، وصحبه اجمعين ، وبعد فان الريح اسم
مؤنثة ... الخ .

2 - كتاب اسماء الله الحسنى :

فقد نص في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » ان له
كتابا في اسماء الله الحسنى ، وقد قال في ذلك ما نصه :
« وقد صنفها في كتاب مفرد ، واشتقاق كل
اسم منها ومعناه (5) » .

3 - رسالة في قوله : ربنا لك الحمد ملء
السموات الى آخره .

وقد اشار الى هذه الرسالة الشيخ محي الدين
يحيى النووي في كتابه « تصحيح التنبيه » في الفقه
على مذهب الامام الشافعي للشيخ ابن اسحاق
الشيرازي .

وقال ما نصه : قوله : ربنا لك الحمد ملء
السموات ، يجوز ملء بالنصب والرفع ، والنصب

وشراخته بما أرجو أن يقرنه الله عز وجل بالصواب
والرشاد (6) .

وليس لابن خالويه عمل في هذا الديوان غير
روايته ، وبيان المناسبات المختلفة للقوائد التي
احتواها الديوان .

هذا ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر
الديوان وتحقيقه في جزئين 1944 م وطبع في بيروت .

10 - كتاب شرح فصيح ثعلب نقل عنه
السيوطي في المزهري (7) وبعد .

فان هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه ،
من ورائه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ،
ومكانته السامية في عصره ، وفيما بعد عصره الى
يومنا هذا .

ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلنا
على نبوغ هذا الرجل ، ومكانته في حقل النحو واللغة .

كتاب الحجة

توثيقه - منهجه

توثيقه :

كان من مراجعي في اعدادي لرسالة الدكتوراه
«القرآن الكريم وآثره في الدراسات النحوية» (8)
كتاب الحجة لابن خالويه ، قرائته ، فراعني فيه أسلوبه
الجزل ، ومبارته المختارة ، وعرضه للقراءات في ضوء
النحو واللغة عرضا جذابا ، لا يبعد القاري عنه ، ولا
يجمل الملل يتسرب الى نفسه ، يعطيك النتيجة في
صراحة ووضوح من غير أن يجهد نفسك ، أو يتعب
فقلك ، من غير استطراد ، ينسيك موضوع الحديث
كما فعل الفارسي في حجته .

اشهر ، وممن حكاها ابن خالويه ، وصنف في
المسألة (1) .

4 - شرح ديوان ابن الحائك حيث غنى
بغريبه وأعرابه (2) .

5 - كتاب مختصر في شواذ القراءات من
كتاب « البديع » .

عنى بنشره المستشرق ج برجستراسر وطبع
بالطبعة الرحمانية بمصر 1934 .

6 - كتاب الشجر : وينفي نسبة الكتاب اليه
المستشرق ج برجستراسر فيقول : « ليس مصنفه
بل الحقيقة ، مصنف اللغوي أبي زيد صاحب كتاب
« النوادر في اللغة (3) » .

7 - العشرات في اللغات : اي اللغات التي لها
عشر معاني .

وهو مخطوط بمكتبه جيد موفر بطهران ، ونسخ
سنة 760 هـ (4) .

8 - كتاب الهاذور الذي رد فيه على أبي علي
الفارسي حينما ألف كتاب «الافعال» ليرد على شيخه
أبي اسحاق الزجاج (5) .

9 - شرح ديوان أبي فراس الحمداني .

وقد جاء في مقدمة شرحه ما نصه :

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد بن
خالويه ، من حل من الشرف السامي ، والفصل
والكرم الدائع ، والادب البارع والشجاعة المشهورة ،
والسماحة الماثورة أبو فراس الحرث بن سعيد بن
حمدون بن الحرث العدوي . كان سيف الدولة ...
مثقفه ومتبنيه ... وما زال يعاملني بالمحبة ، يلقي
الي شعره دون الناس ، ويخطر على بشره حتى
سبقتني وآياه الركبان ، فحملت منه ما القاه الي

(1) التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي - 15 .

(2) انظر ص 5 من الكراسة .

(3) مقدمة مختصر شواذ القراءات - 6 .

(4) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ج 2 ص 13 .

(5) خزائن الادب 1 - 352 .

(6) شرح ديوان أبي فراس الحمداني .

(7) المزهري : 1 - 213 ، وغيرها .

(8) نشر دار المعارف بالقاهرة 1968 م .

ومن أهم الفروع التي كانت تشغل أذهان العلماء
اذ ذاك علم القراءات والاحتجاج بها في مجال اللغة
والنحو .

وقد أسهم في هذا الاحتجاج بالتأليف في عصر
ابن خالويه محمد بن الحسن الانصاري المتوفى 351 هـ
حيث ألف كتاب السبعة بعلمها الكبير (3) .

وأبو محمد بن الحسن بن مقسم العطار المتوفى
362 هـ حيث ألف كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب
السبعة لعلمها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط ،
وكتاب السبعة الاصغر (4) .

هذا فضلا عن تأليف أبي علي للحجة كما قدمت،
وابن جني للمحتسب في القراءات الشاذة .

ومن أجل ذلك ألف ابن خالويه كتابه الحجة في
القراءات السبع ليؤدي بدلوه بين الدلاء ، ويسهم في
هذا العلم الذي شغل أذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه اكدوا ان له كتابا
في القراءات : كتاب البديع - كتاب مختصر شواذ
القراءات - كتاب مجداول في القراءات ألفه لعهد
الدولة كما نص على ذلك ابن الاثير في نهاية النهاية (5)

وقد اشار ابن خالويه الى ان له كتابا في القراءات
فيقول في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند تعرضه
للقرارات في قوله تعالى « أنعمت عليهم (6) » .

« اجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا
قلت : عليهما قال الله عز وجل « يخافون أعسم الله
عليهما (7) الا يعقوب الحضرمي ، فانه ضم الهاء في
التثنية كما ضمها في الجميع وقد ذكرت حلة ذلك في
كتاب القراءات (8) » .

لهذا صمم عزمي على ان احقق هذا الكتاب بعد
انتهائي من رسالة الدكتوراه ، لها فيه من النفع الكبير
والخير العميم .

وهانذا احقق رغبتي في تحقيقه ، وافي بالدين
الذي حملته على عاتقي منذ ان هشت في هذا الكتاب
ابناء دراستي للدكتوراه واقتضى منهج التحقيق ان
اوثق هذا الكتاب لاؤكد من نسبته الى ابن خالويه ، لان
هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من
حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم
يرد في كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب
الحجة ، وان ذكرت ان له كتابا في القراءات حملت
اسماء مختلفة ، ولم يحمل واحد منها اسم الحجة ،
وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا
الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت ان اصدر
حكمي في ثقة لا تعرف التردد ، وبإيمان لا يعرف الشك
ان هذا الكتاب نسبته الى ابن خالويه صحيحة ، واليك
الدليل :

1 - تلمذة ابن خالويه لاستاذه ابن مجاهد
فرضت عليه ان يحيا في الدراسة القرآنية، ويتمكن
منها ، ويلم بالقراءات ويدافع عنها ، وابن مجاهد - كما
قدمت سابقا - اول من سبغ السبعة وكان اليه المرجع
في فن القراءات كما يقول ابن الجوزي (1) ، وابن
مجاهد حينما سبغ السبعة ، وألف كتابه القراءات
السبع شرحه أبو علي الفارسي وسمى بالحجة ثم
اختصرها أبو محمد مكي بن طالب المصري المتوفى
437 هـ ثم اختصر هذا الشرح أبو طاهر اسماعيل بن
خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ (2) .

فاذا كان أبو علي الفارسي يشرح القراءات السبع
لابن مجاهد فليس بدعا ان يتولى هذا الشرح أيضا
تلميذه ابن خالويه لانه ابن عصره ألف في معظم فروع
المعرفة السائدة فيه وقدم لنا انتاجا ضخما تحدثت
عنه فيما سبق .

- (1) غايبة النهاية 1 - 142 .
- (2) كشف الظنون م 2 نهر 1448 .
- (3) الفهرست 433 .
- (4) الفهرست 33 .
- (5) غايبة النهاية 1 - 37 .
- (6) الفاتحة 7 .
- (7) المائدة 33 .
- (8) اعراب ثلاثين سورة 32 .

وفى كتابه الحجة تجد هذا التعليل الذي اشار اليه (1) والسؤال الذي يقال هنا لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ؟ ولم لم تذكر فى كتب الرواة على حين ذكروا ان له كتباً فى القراءات ؟

1 - اقول قد يرجع ذلك الى ان الكتاب فى القراءات فاستغنوا بلكرها من كلمة « الحجة » مع ان تسمية الكتاب بالحجة تسمية لا غبار عليها ، فهو دائماً فى كل مسألة يكرر هذه العبارة ، والحجة لمن قرا الخ .

2 - وما لي اذهب بعيدا . وقد قدمت فى انتاجه العلمي ان لابن خالويه كتباً عديدة لم ترد فى كتب الطبقات التي بين ايدينا . ككتاب معجم الادباء والانباء والبقية مع ان ابن خالويه اشار الى بعضها كاشارته الى ان له كتاباً فى اسماء الله الحسنى ، وذلك فى كتابه « اهراب ثلاثين سورة (2) » .

3 - التسمية بالحجة من عمل المتأخرين :

ولعل التسمية بالحجة جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة للفارسي وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه ابو علي لمضد الدولة باسم الحجة ، وانما قدمه بهذه العبارة :

« فان هذا الكتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب أبى بكر أحمد بن موسى ابن العباس ابن مجاهد (3) » .

وابن خالويه لم يشر فى مقدمته الى هذه التسمية ، وان اشار الى ان كتابه فى الاحتجاج . يقول : اني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأعمار الخمسة المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية ... الى ان يقول : وانا بمعون الله اذكر فى كتابي هذا ما اجتمع به أهل صناعة النحو لهم فى معاني اختلافهم (4) .

ولما كان كتاب أبى علي فى الاحتجاج سمي بالحجة فيما بعد ذلك كذلك كانت انساب تسمية لكتاب

ابن خالويه هي « الحجة » لانه فى الاحتجاج من ناحية ، ولان عبارته فى المقدمة تستوجب هذه التسمية من ناحية اخرى .

4 - التنافس العلمي فى عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتابه الحجة فى القراءات ، فقد كان ابن خالويه منافساً للفارسي وابن جنى ، فاذا كان الفارسي يؤلف الحجة فابن خالويه يؤلف الحجة واذا كان ابن جنى يؤلف المحتجب فى القراءات الشاذة ، فابن خالويه يؤلف كتابه فى شواذ القراءات .

وطبيعة هذا العصر تقتضي هذا التنافس العلمي فى التأليف وفى موضوع بعينه فى كثير من الاحيان .

والدليل على ذلك ان ابا بكر محمد بن الحسن مقسم الف كتاب السبعة بطلها الكبير - وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر ، كذلك الف محمد ابن الحسن الانصاري فى نفس الموضوع حيث الف كتاب السبعة بطلها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط وكتاب السبعة الاصغر (5) .

واذا كان الفارسي يقدم كتاب الحجة لمضد الدولة حيث يقول فى المقدمة : اما بعد - اطال الله بقاء مولانا الملك السيد الاجل المنصور ، ولي النعم عضد الدولة ، وتاج العلة - الى ان يقول : فان هذا الكتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب أبى بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد (6) .

اقول اذا كان الفارسي يقدم كتابه الحجة لمضد الدولة فابن خالويه يقدم له ايضا كتاباً مجسداً فى القراءات (7) .

5 - ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته الى ابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى ، ويشتمل هذا التشابه فى عدة ظواهر قلما تتخلف اجملها فيما ياتي :

(1) انظر الحجة 3 .

(2) انظر ص 18 ، ص 19 من هذه المقدمة رقم 462 - قراءات دار الكتب .

(3) مقدمة الحجة للفارسي ، نسخة مصورة .

(4) مقدمة الحجة لابن خالويه ص 1 .

(5) الفهرست 32 ، 33 .

(6) الحجة لابي علي الفارسي : ص 3 - نسخة مصورة رقم 462 - قراءات دار الكتب .

(7) غاية النهاية 1 - 237 .

١ - الإيجاز والاختصار فهو في مقدمة الحجة يقول :

« وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم من معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم واختلفهم ... إلى أن يقول : جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقرب على مريده وليسهل على مستفيدة (1) .

وفي كتابه « اعراب ثلاثين سورة » يؤكد هذه الظاهرة فيقول : « اني قد تحررت في هذا الكتاب الاختصار والإيجاز وما وجدت إليه سبيلا ليعم الانتفاع به ، ويسهل حفظه على من اراده (2) » .

ب - ومن الظواهر اذا تحدث عن مسألة ، وحرر القول فيها ثم عرضت مسألة أخرى تشبهها لا يعمد القول فيها وإنما يحيل إليه ، وهذه الظاهرة واضحة في الحجة وفي كتابه القراءات المخطوط بالجامعة العربية ، وفي اعراب ثلاثين سورة .

ج - الاكثار في هذه الكتب من النقل من أبي مجاهد وابن الأنباري ، وغيرهما من الاعلام الذين سبقوه .

٦ - ومن أدلة التوثيق أن الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه كانوا أسبق منه زمنا مما يدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد مصر ابن خالويه .

٧ - ومن الأدلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجة ، ولا بالغ اذا قلت أن هناك نصوصا بأسلوبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة ، واليكم الدليل :

من كتاب القراءات :

١ - ففي كتاب القراءات المخطوط بالجامعة العربية رقم 52 قراءات والمنسوب إلى ابن خالويه ورد ما نصه :

(1) الحجة 1 .

(2) اعراب ثلاثين سورة 14 .

(3) الاحتشاف 20 .

(4) القراءات نسخة مصورة ميكروفيلم رقم 52 ، قراءات - الجامعة العربية

(5) الحجة - 197 .

(6) فصاحت 16 .

(7) القمير 19 .

« اذهبتم طيباتكم (3) » قرأ ابن عامر اذهبتم بهزئين الاولى الف تويخ بلفظ الاستفهام ، ولا يكون في القرآن استفهام ، لأن الاستفهام استعلاء ما لا يعلم والله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها ، فاذا ورد عليك لفظ من ذلك فلا يخلو من أن يكون تويخا أو تقريرا أو تمجبا أو تسوية ، أو ايجابا أو امرا .

فالتويخ : اذهبتم ؟ والتقرير أنت قلت للناس ؟ والتمجيب ما القارة ؟ ما الحاقة ؟ ، وكيف تفكرون ؟ ، والتسوية : سواء عليهم انذرتهم ؟ ، والايجاب : اتجعل فيها من يفسد فيها ؟ ، والامر : اسلمتم معناه : اسلموا (4) .

وهذا النص مذكور في الحجة على النحو التالي : اذهبتم طيباتكم :

« وكل لفظ استفهام ورد في كتاب الله عز وجل فلا يخلو من أحد ستة أوجه ، أما أن يكون تويخا أو تقريرا أو تمجبا أو تسوية أو ايجابا أو امرا ، فاما استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن لأن المستفهم مستعلم ما ليس عنده ... والله عالم بالاشياء قبل كونها .

فالتويخ اذهبتم ، والتقرير : أنت قلت للناس والتمجيب : كيف تكفرون بالله ، والتسوية : سواء عليهم انذرتهم - والايجاب : اتجعل فيها من يفسد فيها .

والامر : اسلمتم ، فعلى هذا يجري ما في كتاب الله فأعرف مواضعه (5) » .

2 - في أيام نحسات (6)

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر : نحسات باسكان الحاء ، « وشاهدكم في يوم نحس (7) » أي في يوم شوم وبلاء . ويجوز أن يكون أراد : ونحسات مثل فخذات ، فاسكنوا تخفيفا ، وقرأ الباقون يكسر

الحاء ، وحجتهم ان النحسات صفة تقول العرب : يوم نحس مثل رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلق جداما ولخما ان اخوتهم
طبا وبهراء قوم نصرهم نحس

(كتاب القراءات رقم 52 بالجامعة العربية) .

وقال في الحجة :

في ايام نحسات : يقرأ باسكان الحاء وكسرها ،
فالحجة لمن اسكن انه اراد نحس ، ودليله قوله تعالى :
« في يوم نحس مستمر » ويحتمل ان يكون اراد كسر
الحاء فاسكنها تخفيفا والحجة لمن كسر انه جعله جمعا
للفظة من قول العرب : هذا يوم نحس وزن هذا رجل
هرم ، قال الشاعر :

ابلق جداما ولخما ان اخوتهم
طبا وبهراء قوم نصرهم نحس (1)

وبمقارنة هذه النصوص نتبين ان كتاب القراءات
يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب
الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد .

والكتابان مختلفان من الناحية المنهجية . وذلك
لان القراءات المصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة
العربية رقم 52 - قراءات - منهج ابن خالويه فيه
يقوم على الاستطراد والاطناب ، فهو يسند القراءة
لاصحابها في سلسلة طويلة ، وهو يتحدث من تفسير
معاني الآيات ، واسباب نزولها ، ويحشد قصصا
عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها ،
والاحتجاج بها الا جزاء من هذا المنهج ، فكتابه في
حقيقة امره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب
التفسير التي تعرض لهذه الاغراض جميعا .

اما كتاب الحجة فهو كتاب موقوف على القراءات
وحدها في مجال الاحتجاج ، ولا يتعرض لتفسير
المعنى الا في القليل النادر الذي يعد على الاصابع .

ولعله من الجائز ان يكون كتاب القراءات اسبق
في التأليف من كتاب الحجة ، ثم لخص هذا الكتاب
وهذه ، وجعله مقصورا على القراءات وحدها ، وظاهرة
التلخيص ليست غريبة على ابن خالويه ، فالمستشرق
برجستراسر يقول عنه : « وكان من عادة ابن خالويه
ان يهذب مصنفات مشايخه (2) » وايزيد فاقول :
ومصنفاته ايضا ، ليس كتاب « مختصر في شواذ
القراءات » الذي حققه ونشره المستشرق برجستراسر
هو تلخيص كتابه البديع في القراءات الشاذة . ؟

من كتاب اعراب ثلاثين سورة :

1 - « مالك يوم الدين (3) » قال اهل النحو :
ان ملكا امدح من مالك ، وذلك ان المالك قد يكون غير
مالك ولا يكون الملك الا مالكا (4) .

وقال في الحجة :

مالك يوم الدين : والحجة لمن طرحها (اي
الالف) ان الملك اخص من المالك و امدح ، لانه قد
يكون المالك غير الملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (5) .

2 - وما ادراك ما الطارق (6)

قال في اعراب ثلاثين سورة ، حدثني ابن مجاهد
عن السمرى عن الفراء قال : كل ما في كتاب الله :
وما ادراك فقد ادراه وما يدريك فما ادراه بعد (7) .

وقال في الحجة : وما كان في كتاب الله تعالى
من قوله : وما ادراك فقد ادراه ، وما كان فيه من
قوله : وما يدريك ، فلم يدركه بعد (8) .

من كتاب ليس :

قال ابن خالويه : ليس في كلام العرب فعل
يفعل بكسر العين في الماضي والمستقبل من الصحيح

(1) الحجة - 188 .

(2) مختصر في شواذ القراءات تحقيق المستشرق برجستراسر (المقدمة) .

(3) الفاتحة - 4 .

(4) اعراب ثلاثين سورة - 27 .

(5) الحجة - 2 .

(6) الطارق - 2 .

(7) اعراب ثلاثين سورة - 40 .

(8) الحجة - 237 .

بخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عرين محمد بن الحسين (7) .

وكتاب اعراب ثلاثين سورة الذي نشرته دار الكتب عام 1941 م اعتمدت فيه على النسخة التي ضمتها مكتبة الشنقيطي رقم 7 - تفسير دار الكتب ، وقد تمت كتابة النسخة في العشر الاولى من شعبان الذي هو من شهور سنة الثنتين وتسعين وسبعمائة ، وملك بمدينة صنعاء المحروسة (8) .

وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال النسخ من الكتب الاخرى التي وصلت اليها امثال كتاب القراءات ، واعراب ثلاثين سورة . نعم ان الكتاب نسخة فريدة احتفظت بها مكتبة طلعت رقم 134 قراءات ، وقد اشار اليها بروكلمان في كتابه : تاريخ الادب العربي (9) وقد حاولت العثور على نسخة اخرى لا قابها بها حتى يتيسر التحقيق ، وينكشف الفموض ، ولكن لم يتيسر لي ذلك على الرغم من اطلاعي على فهارس المكتبات العربية والافرنجية ، لهذا كانت هذه النسخة هي معدتي في التحقيق ، وقد يسرت لي مصاصبها واستقام نصها بفضل الله وعونه ، والهامه وتوفيته . هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا يفض من قدره ، ولا ينزل من مكانته ، فتراثنا العربي ذهب معظمه بسبب الاحداث الجسام ، والفنن التي حلت بالعالم الاسلامي والعربي في العصور المختلفة .

ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها الصحف الاخيرة من الحجة ، وهي : « قول وصح باصله المكتوب منه » ولكن ذهب هذا الاصل ؟

اقول : ذهب هذا الاصل ، لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدانها ليست غريبة على تراثنا العربي ، فهذا هو ابو علي الفارسي ذكر « ان بعض اخوانه سألته

الا ثلاثة : نعم بنعم ، يبس يببس ، ينس ينس ، وقد يجوز فيهن الفتح وسمع (1) .

وقال في الحجة :

قوله تعالى : تحسبهم (2) يقرأ بكسر السين وفتحها ، والحجة لمن كسر ان العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع اربعة افعال : يحسب ، وينعم ، ويبس ، وينس حتى صار الكسر فيهن افصح (3) من كتاب الريح :

قال ابن خالويه :

وامهات الريح اربعة : الشمال وهي للروح والنسيم عند العرب ، والجنوب للامطار والانداء - والصبا للناح والاشجار ، والدبور لعذاب والبلاء ، نعوذ بالله منها ، فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح يقول : « اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا » (4) .

وقال في الحجة : وتصريف الرياح (5) ... فالحجة لمن افرد انه جعلها عذابا ، واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا لا ريحا .

ثم قال والارواح اربعة اسست اسمائها على الكعبة ، فما استقبلها منها فهي الصبا والقبول وما جاء من عينها في الجنوب ، وما جاء من شمالها في الشمال وما جاء من مؤخرها فهي الدبور وهي روح العذاب نعوذ بالله منها (6) .

8 - قدم النسخ :

وتاريخ نسخ الحجة الذي قمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 هـ وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما على حين نجد كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة 600 هـ

(1) ليس - 4 .

(2) البقرة - 273 .

(3) الحجة - 29 .

(4) كتاب الريح - 2 .

(5) البقرة - 164 .

(6) الحجة - 21 .

(7) فهرس مخطوطات الجامعة العربية - 12 وفهرس المخطوطات الاولى 1 - س - 276 .

(8) فهرس دار الكتب .

(9) تاريخ الادب العربي : بروكلمان ج 2 - 140 .

بفارسي املاء شيء من ذلك فأملئ عليه صدرا كبيرا ،
وتقصي القول فيه ، وأنه هلك في جمعة ما فقده ،
وأصيب من كتبه .

قال عثمان بن جنى . وأن وجدت نسخة ، وأمكن
الوقت عملت بأذن الله كتابا أذكر فيه جميع المعتلات في
كلام العرب (1) ، ولم يكتف ابن جنى بما حدث من
شيخه من ضياع كتابه الذي أملاه بفارس ، بل بين في
وضوح أكثر « أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به
جميع علم البصريين ، قال : وكنت قد كتبت ذلك كله
بخطي ، وقرأته على أصحابنا فلم أجد من الصندوق
الذي احترق شيئا البتة الا نصف كتاب الطلاق عن
محمد بن الحسن (2) » .

أذن فظاهرة ضياع الكتب ظاهرة سائدة حتى
في عصر المؤلفين أنفسهم ، وقد بلى بهذه الظاهرة
المجتمع الاسلامي منذ ان أصبحت الدولة دويلات ،
وزاد خطرها أكثر حينما زحف التتار على بغداد ،
فالتهم معظم تراث الاجداد ، وماني اذهب بعيدا وهذا
السيوطي جماعة الكتب الذي لا يخلو مؤلف من مؤلفاته
من ذكرها ، والتعريف بها يقول في كتاب « ليس » لابن
خالويه : « انه كتاب حافل في ثلاث مجلدات ضخمة »
وقد طالعت قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو
بحاضر هندي الان (3) .

مع ان كتاب « ليس » المطبوع بمطبعة السعادة
بتصحيح أحمد بن الشنيطي ليست فيه هذه الفخامة
التي ذكرها السيوطي مما يدل على ان الكتاب ضاع
معظمه .

على اية حال نحن نحمد الله اذ حفظ لنا كتاب
الحجة من ألفه الى يائه لم يضع منه شيء ونحمده اذ
وفقنا الى تحقيقه ويسر لنا أمره ، حتى جاء ، وقد
وضيت عنه نفسي كل الرضا وأسأل الله أن يتمم
النفع به .

مقارنة بين حجة ابن علي وحجة ابن خالويه :

قدمت ان ابن مجاهد هو اول من سجع السبعة ،

وانه بهذا العمل الذي انفرد به استطاع ان يفتح باب
الاحتجاج بالقراءات في مجالي اللغة والنحو ، فتسابق
تلاميذه ومعاصروه في التأليف في هذا الفن .

وأول من شرع في هذا من معاصريه « أبو بكر
محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في
كتاب كان ابتداء بأملائه ولكنه لم يتمه (4) » .

وأمكن لابي علي الفارسي ان ينبج فيما قصر فيه
محمد بن السري فالف كتابه الحجة في الاحتجاج
بالقراءات .

ولما كان كتاب الحجة بين أيدينا مخطوطا حيث
تضم دار الكتب والمكتبة الأزهرية نسخا منه ، ومطبوعا
منه الجزء الاول الذي قام بتحقيقه استاذنا علي النجدي
والمرحوم الدكتور النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي
وهم في هذا التحقيق قدموا جهدا جبارا يتناسب مع
هذا العمل الخالد .

وبمقارنة كتاب الحجة للفارسي بكتاب الحجة لابن
خالويه نتبين اختلاف المنهجين ، وبابن الطريقتين :
فأبو علي في حجته يفوس الى الاممات ، فمن لم يكن ذا
مقدرة على الفوس لا يستطيع ان يتابع الفارسي ، ولا
يستطيع ان يصل الى الجوهر المنشود ، فكثرة
الاستطرادات ، وضخامة التمايلات قد تحول بينه وبين
ما يريد .

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي كتابا لا
يفهمه الا القالة . ولا تهضمه الا فئة خاصة . تسلحت
بما تسليح به أبو علي من عقلية منطقية ، تؤمن بالقياس ،
وتجري وراء العلة . وحتى في عصره عصر الازدهار
الفكري عصر المناظرات التي كانت تتمدد حلقاتها في
بلاط الامراء لم يبق هذا الكتاب قبولا حسنا ولم يعادف
في نفوس معاصريه التقدير اللازم لهذا الجهد
المبدول فيه .

ويكفي في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جنى
في ذلك وهي شهادة على النفس لان ابا علي ابن جنى
بمشابة الروح من الجسد .

(1) معجم الادباء : 7 - 256 .

(2) معجم الادباء : 7 - 256 .

(3) المزهر - 2 - 3 .

(4) انظر مقدمة الحجة - رقم 462 ، قراءات نسخة مصورة بدار الكتب ، وانظر مقدمة المحتسب لابن
جنى مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

قصير ، وسحرني لانه يقدم لي خلاصة مهذبة واضحة
المالم ، بينة السمات في قراءات القرآن الكريم ،
والاحتجاج بها .

فنحن اذن في اشد الحاجة الى هذا الكتاب
للقوف على القراءات القرآنية في ضوء النحو واللغة
من ناحية ولأنه اقدم كتاب ظهر في القراءات السبع هو
وحجة الفارسي من الناحية الاخرى .

وصف كتاب الحجة لابن خالويه :

في الصفحة الاولى من الحجة تجد ما يأتي :

كتاب الحجة في قراءات الائمة السبعة من اهل
الامصار الخمسة المروفين بصحة النقل ، واتقان
الحفظ ، المامونين في الرواية للعلامة المحقق امام
النحو واللغة ابن عبد الله الحسين بن خالويه رحمه
الله ، وحياء من الخير ما يتوالى . قراءات 134 -
طلعت .

وفي هامش الصفحة تجد تملكا لهذه النسخة ،
فهي قد دخلت في نوبة العبد الفقير الى الله ابراهيم
السدي المصري سنة 1191 هـ ، وكتب انه اطلع على
النسخة فراها ومن غير شك ، فان هذه التملكات
المديدة تدل على قيمة هذه النسخة ، وتسابق العلماء
في اقتنائها الى ان وصلت الى مكتبة طلعت .

وفي آخر صفحة من الكتاب ذيلت بهذه العبارة:

وقع الفراغ من نسخة كله في ذي الحجة سنة
ست وتسعين وأربعمائة .

وتحت هذا التذييل تذييل آخر ، وهو :

« قوبل وصحح بأصله المكتوب منه »

ومن ناحية الخط فانه كتب بخط النسخ الذي
كانت تسود الكتابة به في هذا العصر ، وقد وقفت على
ذلك بمد مقارنة قيمتها في مخطوطات القرن الخامس
الهجري . وقد نسخت من هذه النسخة القديمة
نسخة اخرى بقلم معتاد تمت كتابتها في 28 شوال
سنة 1355 هـ ، وهذه النسخة مخطوط رقم 219523

يقول ابن جني في كتابه المحتسب ما نصه « فان
ابا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات
فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفوه عنه كثير من
العلماء (1) » .

ويقول في موضع آخر عند تعرضه لقوله تعالى
في سورة الانعام « تماما على الذي احسن (2) » .

« وقد كان شيخنا ابو علي عمل كتاب الحجة في
قراءة السبعة فاهمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن
يدعي المربة فضلا عن القراءة ، واجفاهم عنه (3) » .

واما كتاب الحجة لابن خالويه ، فان ابن خالويه
في حجته نهج نهجا آخر ، نهجا يقوم على الرواية
والسماع ، فليست اللغة في نظره تؤخذ من المنطق ،
او تقوم على الاقيسة كما كان يفعل ابو علي في الحجة .

ولعل السر في تأليف الحجة لابن خالويه انه
احس في مرارة ان كتاب ابي علي ، لا ينتفع به الخاصة
فضلا عن العامة فحفزه ذلك الى تأليف كتابه في
اسلوب سهل ممتع وفي عرض يشرق عليك بهائه
ويستولى على نفسك جماله ، وقد جعل الاختصار
رائده ليتحقق الهدف الاكبر من تأليفه ، وهو انتفاع
الناس به او كما يقول : « قاصد قصد الابانة ، في
اقتصار من غير اطالة ولا اكثار » . . جامعا ذلك بلفظ
بين جزل ومقال واضح سهل ليقرب على مريده ،
وليسهل على مستفيده (4) .

قيمة كتاب الحجة لابن خالويه في عصرنا الحاضر :

ونحن نعيش في عصر السرعة ، ومن متطلبات
السرعة الصراحة والوضوح ، صراحة الافكار ،
ووضوح المعاني وتحديد الالفاظ ، والوصول الى
الهدف من اقرب طريق وايسر سبيل .

وكل ذلك تجده في الحجة متمثلا في كل صفحة
من صفحاته بل في كل سطر من سطوره .

ولا اخفي سرا اذا قلت : ان هذا المنهج الذي
التزمه ابن خالويه اعجبني وسحرني ، اعجبني لانني
استطعت ان اقف على كل مسائل الاحتجاج في وقت

- (1) انظر مقدمة الحجة ، وانظر مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
- (2) الانصاف - 154 .
- (3) مقدمة المحتسب لابن جني من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
- (4) مقدمة كتاب الحجة - 1 .

دار الكتب (1) ولم اعتمد عليها ، بل اعتمدت على الاصل الذي كتبت منه وهو النسخة التي كتبت في 496 هـ .

منهج ابن خالويه في الحجة وآراؤه :

1 - اعتمد في حجته على القراءات المشهورة ، تاركا الروايات الشاذة المنكورة (2) .

2 - الإيجاز والاختصار حتى يفهم القارئ أو الدارس المراد من غير استطراد ممل ، أو أسلوب معقد ، يقول في المقدمة : « وقاصد قصد الإبانة في اختصار ، من غير إطالة ولا اكثار » .

3 - عرض القراءات من غير سند الرواية ، لان هدفه الإيجاز ولا يلجأ الى نسبة القراءات الى أصحابها الا اذا دعت الضرورة لذلك ، ليتبين مكانة من قرأ بها في حقل الدراسات القرآنية .

4 - واذا عرض لمسألة ، وبين وجه التعليل والحجة فيها ثم تكرر نظيرها ، لا يعيد القول فيها ، وإنما يحينك الى الموضوع حرصا على الوقت ، وإيمانا بالايجاز .

5 - اللغة في نظره لا تقاس ، وتأخذ سماعا يقول في قوله تعالى « المتعال (3) » : والدليل على أن اللغة لا تقاس ، وإنما تؤخذ سماعا قولهم : الله متعال من تعالى ، ولا يقال : متبارك من تبارك (4) .

وفي قوله تعالى « في آذانهم من الصوامق » (5) يقول : فاما امالة الكسائي رحمه الله قوله تعالى « في آذانهم من الصوامق » فان كان اماله سماعا من العرب ، فالسؤال عنه ويل (6) .

6 - ومن منهجه ان لغة العرب ، وان اختلفت حجة يؤخذ بها ويعتمد عليها ، يقول في قوله تعالى : « وان كنتم للرؤيا تعبرون (7) » وري من الكسائي انه امال هذه وفتح قوله لا تقتصر رؤياك (8) .

فان كان فعل ذلك ليفرق بين النصب والخفض فقد وهم ، وان كان اراد الدلالة على جواز اللغتين فقد اصاب (9) .

7 - ويطمئن الى اهل قول اللغة لانهم أصحاب رواية وسماع يقول في قوله تعالى « ولأنك نسي ضيق (10) » يقرأ بفتح الضاد وكسرهما ، وقد ذكرت حجته آنفا ، وقلنا فيه ما قاله اهل اللغة (11) .

8 - ويميل الى لغة اهل الحجاز :

يقول في قوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس (12) » يقرأ بكسر القاف وضمها ، وهما لفتان فصيحتان ، والضم اكثر لانه لغة اهل الحجاز (13) .

9 - يدافع عن القراءات السبع ، ويتهم من يصف حمزة بأنه لا يعرف العربية ، واتساع كلام العرب (14) .

1 انظر : فهرس المخطوطات : القسم الاول ا - س ص 276 .

2 مقدمة كتاب الحجة - 1 .

3 الرمسد - 9

4 الحجة - 99 .

5 البقرة - 19 .

6 الحجة - 7 .

7 يوسف - 43 .

8 يوسف - 5 .

9 الحجة - 94 .

10 النمل - 70 .

11 الحجة - 154 .

12 الاسراء - 35 .

13 الحجة - 111 .

14 انظر : ص 172 عند قوله تعالى : « ومكر السيء » .

10 - ومن منهجه ان القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة والفاظ الامثال ، فقد انكر الخفض على الجوار في قوله تعالى : « وارجلكم (1) » .

11 - لا يرجع الى تفسير المعنى الا في القليل النادر كتفسيره قوله تعالى : « جعلنا له شركاء فيما آتاهما (2) » .

12 - من النادر تعرضه لاهراب الشواهد التي يحتج بها ، ولكنه في بيت :

يا رب ساربات لن يؤسدا

تحت ذراع العيس او كف اليد

فانه يتعرض لاهراب مواضع من البيت ، مفسرا بعض كلماته (3) .

13 - يعتد برسم المصحف : انظر ص 8 من الحجة منذ قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قدير (4) » .

وقوله تعالى : « ثم اخذتم (5) » حيث ذكر ان من اظهر اني بالكلمة على اصلها ، واغتنم الثواب في كل حرف منها (6) .

14 - وابن خالويه يستشهد بالحديث الشريف في عدة مواطن من كتابه الحجة ، انظر مثلا ص 14 ، ص 18 ، ص 38 ، ص 58 .

15 - وهو في الحجة مستقل التفكير ، متحرر النزعة ، لا يتعصب للبصريين ولا للكوفييين ، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح ، وقد يرجح بأدلة يراها وقد يختلف عنها بآراء منحصرة .

وظهور هذه النزعة التجديدية في ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه « في حلب اخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة ، ونهج فيهما نهجا جديدا ، لانه لم يتبع طريقة الكوفييين ، ولا طريقة البصريين ، ولكنه اختار من كليهما ما كان احلى واحسن (7) » .

قراءات لم ترد الا عن طريقه :

وذلك في قوله تعالى : « فله عشر امثاله (8) »

قال : يقرأ بالتونين ، ونصب الامثال ، وبطرحه والخفض فالحجة لمن نصب ان التونين يمنع من الاضافة فنصبت على خلاف المضاف ، والحجة لمن اضاف انه اراد فله عشر حسنات ، فاقام الامثال مقام الحسنات (9) .

وليس في كتب القراءات التي بين ايدينا الا حذف التونين وجز اللام بالاضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الامصار ما عدا الحسن البصري ، فانه كان يقرأ عشر بالتونين ، وامثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير ان اجماع قراء الامصار على خلافها .

اما رواية النصب ، فلم اجدها الا عند ابن خالويه .

ينسب الى حفص قراءات لا وجود لها في المصحف الذي بين ايدينا .

يقول في قوله تعالى : (بنصب (10) اجمع القراء على ضم النون الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح وهما لفتان(11) كذلك ينسب اليه قراءة اخرى لا نراها

(1) المائدة 6 ، انظر : ص 49 من الحجة .

(2) الاحراف 190 ، وانظر : ص 76 من الحجة .

(3) الحجة - 102 .

(4) البقرة - 20 .

(5) البقرة - 51 .

(6) الحجة - 11 .

(7) مقدمة مختصرة في شواهد القرآن 6 .

(8) الانعام - 160 .

(9) الحجة - 66 .

(10) سورة ص 41 .

(11) الحجة - 179 .

2 - ومع احترامه للسمع وإيمانه بالرواية فإنه لا يستطيع أن يتخلص من النزعة النحوية التي تؤمن باللفة وتقديس المنطق .

يقول في قوله تعالى : « وكل أتوه (5) » : فإن قيل : لم اختص ما يعقل بجمع السلامة دون ما لا يعقل فقل : لفضيلة من يعقل على ما لا يعقل ، فضل في اللفظ بهذا الجمع كما فضل بالاسماء الاعلام في المعنى ، وحمل ما لا يعقل في الجمع على مؤنث ما يعقل ، لان المؤنث العاقل فرع على المذكر ، والمؤنث مما لا يعقل فرع على المؤنث العاقل فتجانسا بالفرعية ، فاجتمعا في لفظ الجمع بالالف والتاء (6) .

وبعد ، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وعشت في مجاله أجمل الساعات ، تغمري نشوة روحية ، لأنها دراسة في رحاب القرآن فإن جاء هذا العمل وأفيا بالفرض ، محققا للهدف فبتوفيق الله والهامة ، وأن جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبذلت ، والمجتهد أن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر .

أرجو من الله أن ينفع به ، وأن يبين الطريق أمام الدارسين في القراءات ، والنحو ، واللفة ، ليسهموا في استمرار هذه الدراسات ونشرها حتى لا يبتلعها سيل المادية الجارف في عصرنا الحاضر . أنه نعم المولى ونعم النصير .

في المصحف الذي بين أيدينا عند قوله تعالى « ومزني في الخطاب (1) » .

قال : اسكان الياء أجماع إلا ما رواه حفص من عاصم بالفتح لقنة الاسم ، وكذلك قوله وعزني بالتشديد أجماع إلا ما رواه أيضا عنه بالتشديد والبات الألف وهما لغتان (2) .

— ♦ —

نقد منهجه :

وإن خالويه لم يلتزم منهجه فقد خرج عنه في عدة مواضع :

1 - مع الأمثلة المتعددة التي تدل على اعتداده برسم المصحف فإنه قد خرج عن هذه القاعدة في قوله تعالى : « بالفداء والعشي (3) » قال : يقرأ بالالف وبالواو في موضع الألف مع اسكان الدال . . ثم قال . . « والحجة لمن قرأ بالواو أنه اتبع الخط لأنها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة لأنها إنما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة (4) » .

وفي هذا مخالفة صريحة للمنهج مع أن هذه القراءة قراءة ابن عامر من القراء السبعة .

- (1) ص 23 .
- (2) الحجة - 179 .
- (3) الانعام - 52 .
- (4) الحجة - 57 .
- (5) النمل - 87 .
- (6) الحجة - 155 .

نسبة الحجة إلى ابنه خالويه لا تصح

محمد العبد الفاسي، الأستاذ بجامعة القرويين

حافظ مكتبة الجامعة

السبع لابن مجاهد فليس بدعا أن يتولى هذا الشرح أيضا تلميذه ابن خالويه لأنه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه ، ومن ذلك علم القراءات ومن أجل هذا ألف ابن خالويه كتابه الحجة ليدلسي بدلوه بين الدلاء وكل الذين ترجموا لابن خالويه أكدوا أن له كتابا في القراءات ، ثم قال :

والسؤال الذي يرد هنا لم لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ولم لم يذكر هذا في كتب الرواة في حين ذكروا أن له كتابا في القراءات ... :

أقول قد يرجع ذلك إلى أن الكتاب « الحجة » هو في القراءات فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجة . قلت جميع ما كتبه المحقق هنا في الدليل الأول لا يثبت الفرض المطلوب لأن كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع في الدراسات القرآنية وألف فيها لا يكفي ذلك دليلا على إثبات نسبة كتاب الحجة له ، وأما كونه ليس بدعا أن يؤلف في الموضوع كما فعل معاصروه أبو علي وغيره ، فصحيح ولكن المسألة مسألة إثبات لا مسألة احتمال وتخمين ، ومن المعلوم أن ابن خالويه ألف في القراءات وذكر منها مترجموه عدة كتب مثل : البديع وكتاب مختصر شواذ القراءات وغير ذلك مما سمي في ترجمته ، فلماذا أجمع أصحاب الطبقات على عدم ذكر كتاب الحجة ، وأما كون كتاب الحجة من كتب القراءات فاستغنوا بذكرها عن كتاب الحجة فنحن نتساءل لماذا لم يذكروا كتاب الحجة الذي هو أفيد لها لو ثبت واستغنوا بذكره عن باقي كتبه في القراءات ، فعدم التمريح عليه بالمرة والاقتصار على ما هو أقل منه فائدة يكاد يكون واضحا في عدم ثبوت هذه النسبة .

(2) قال المحقق : وما لي اذهب بعيدا ولابن خالويه كتب عديدة لم ترد في كتب الطبقات وابن

أرى لزوما على أن يحدث بصفة خاصة من الفعل الذي مقده المحقق الدكتور عبد المال سالم مكرم في المقدمة التي كتبها من كتاب الحجة ، حيث قال : « اقتضى منهج التحقيق أن أولق هذا الكتاب لتأكد من نسبته لابن خالويه لأن هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب إلى ابن خالويه » ثم حصر المحقق دليل هذا الشك في كونه لم يرد في كتب الطبقات التي تعرضت لذكر ابن خالويه وانتاجه وإن ذكرت له موضوعات أخرى في فن القراءات حملت أسماء مختلفة ولم يحمل واحد منها اسم الحجة . إلا أن المحقق لم يذكر هؤلاء المعاصرين الذين تشككوا في صحة هذه النسبة ولو عرفوا لامكننا الاطلاع على رأيهم الكامل في الموضوع بكل دقة ولتأني للباحث معرفة حجة أو على الأقل شبهة التي أوقعت في هذا الشك .

وقد حاول المحقق أن يعزز رأيه في تثبيت هذه النسبة بعد دراسات قام بها لهذا الكتاب ومع باقي مؤلفات ابن خالويه فاستنتج بإيمان لا يتطرق إليه الشك أن نسبة هذا الكتاب لابن خالويه صحيحة . وقد حصر دليل الإثبات في نقط ثمان نستعرضها بإيجاز ثم نقف بنظرنا حول كل نقطة من نقط أدلته .
قال :

(1) تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد فرضت عليه أن يحيا في الدراسات القرآنية ويتمكن منها ويبلغ بالقراءات ويدافع عنها ، ثم قال :

وابن مجاهد حين ما سبغ السبعة وألف كتابه القراءات السبع شرحه أبو علي الفارسي وسمى شرحه بالحجة ثم اختصره أبو محمد مكي ، قال المحقق فإذا كان أبو علي الفارسي يشرح القراءات

ولو نسبيا ، أما النقل عن ابن مجاهد وابن الانصار وغيرهما من الاعلام الذين سبقوه فليس دليلا على ثبوت النسبة كما هو بدوي .

(6) قوله : ومن ادلة التوثيق ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه انهم كانوا اصدق منه زمنا كما يدل على ان الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه ، نقول هذا من الاستدلالات الواهية ومنى كان النقل عن اعلام سابقين في الزمان دليلا على تثبيت نسبة كتاب لشخص معين ما لم تقم ادلة خارجية على تصحيح هذه النسبة .

(7) قول المحقق : ومن الادلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه ، لاخرى مع بعض نصوص الحجة . قال : ولا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا باساليبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة ثم اورد بعض الشواهد على ذلك من كتاب القراءات لابن خالويه المخطوط بالجامعة العربية الى ان قال :

وبمقارنة هذه النصوص يتبين ان كتاب القراءات يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد . نقول هذه المشابهة او المقاربة بين النصوص لا تفيد شيئا في الواقع ومجرد القاء الباحث نظرة على كتاب الحجة لابي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون والقراء والمفسرون الاقدمون والمعاصرون للفارسي ولابن خالويه يجد ان جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة في المعنى وحتى في اللفظ في بعض الاحيان ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن ان نستدل بذلك على اثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب لاسيما وكتاب القراءات هو بنفسه في حاجة الى اثبات خاص ، ومن المعلوم ان بعض الكتب المنسوبة الى ابن خالويه وقع القدح في صحة نسبتها كما وقع في كتاب الشجر ، والحق انه من تصنيف ابي زيد اللغوي صاحب كتاب النوادر في اللغة كما اوردته المحقق نفسه .

(8) الدليل الثامن من عند المحقق مما يحاول به اثبات كتاب الحجة لابن خالويه . قدم النسخ قال : وتاريخ نسخ كتاب الحجة الذي قيمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما في حين بعض كتبه الاخرى نسخت سنة 600 وسنة 772 قال : وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال النسخ من الكتب الاخرى ، ثم قال : ان الكتاب نسخة لريادة احتفظت

خالويه اشار الى بعضها مثل كتابه في اسماء الله الحسنى نقول : هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بان يذكر في اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر في كتب الطبقات ولا ذكر في باقي كتب ابن خالويه فهذا دليل على عدم صحة نسبته اليه لان كتب الطبقات لم تذكره ولان ابن خالويه لم يشر اليه في تضاعيف كتبه .

(3) الادلة في نظر المحقق ان التسمية بالحجة من عمل المتأخرين وان التسمية جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة لابن خالويه وحتى كتاب الحجة لابن علي الفارسي لم يقدمه ابو علي لعهد الدولة باسم الحجة الخ .

لا ادري ماذا يقصد الاستاذ المحقق من هذه النقطة الثالثة ولا ادري ما هو مبنع اثر تاخير التسمية في موضوع اثبات النسبة او عدم اثباتها .

على اننا نؤكد ان النسخ العتيقة التي توجد من كتاب الحجة لابي علي الفارسي مكتوب بظهر اول ورقة من اجزائه بخط عريق في القدم من نسخة كان يملكها الحافظ الحجة ابو الحسن علي بن محمد الشاذلي ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . فمن ابن الجزم بان ابا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة وقد اطبقت فهرس الاشياخ الاقدمين على تسمية كتاب ابي علي الفارسي بكتاب الحجة وكذلك اطبقت نقول اشياخ القراءات في كتبهم على هذه التسمية ولم يشر واحد منهم على ان التسمية من وضع غيره .

(4) الادلة قول المحقق : التنافس العلمي في عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتاب الحجة في القراءات وانا لا ادري ما وقع هذا الدليل والتنافس العلمي ولو بالغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الفرض المشكوك فيه من اصله ، وقد وقع التنافس في كثير من الفنون في عصره ولم يؤلف ابن خالويه في جميع تلك العلوم المتنافس فيها .

(5) خامس الادلة قوله : ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب وتبنته لابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى وجمل المحقق هذا الاسلوب والمنهج محصورا في الایجاز والاختصار وفي اشياء اخرى ذكرها . نقول ان الاسلوب والمنهج الذي كان سائدا في عصر ابن خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تتلمذت لابن مجاهد وابو علي الفارسي في كتبه لم يكن يتبع غير طريقة الایجاز

خير من ذكر أهميات الكتب الكبرى في مصورها الاولى بالنسبة للمشاركة والمشاركة كما ذكر كتاب المنتخب في اختصار كتاب الحجة للفارسي تأليف أبي محمد مكي ابن أبي طالب ولم تخرج الفهرسة المذكورة ولا غيرها من الفهارس والمراجع وطبقات القراء على كتاب الحجة المنسوب لابن خالويه ، وفي خزائن القرويين بقية من اجزاء هذا الكتاب العظيم الذي خلفه ابو علي الفارسي معجزة من مفاخر هذا العقل الوهاب العالم بأسرار اللغة العربية ومقاييسها وفي هذه البقية عنوان احد اجزائه المكتوبة في الرق .

الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . واسفله : علي بن محمد بن علي الشاري نفعه الله به . وبالاسف الشديد لم يبق من هذه النسخة المتيقة الا بقايا لا تتجاوز اوراقا معدودة ، ولكن من لطف الله وجود نسخ تامة في الشرق الاسلامي في دار الكتب والمكتبة الازهرية وقد طبع منه الجزء الاول بتحقيق العالم علي النجدي ورفاقه .

فالذي يظهر لنا اذن بعد تتبع ملاحظات الاستاذ المحقق في خصوص البات نسبة كتاب الحجة لابن خالويه لان ذلك لا يمكن من طريق التمهيم العلمي ، نالا يمكن ان ننفيه عنه نفيا قاطعا ، والذي تميل اليه النفس هو ان كتاب الحجة هذا احد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الاصابي لابن علي الفارسي لعالم مجهول والذي يجعلنا نميل الى نفي هذه النسبة هو ان جميع المصادر التي ترجمت ابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليفه الحجة ولم يصرح اصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه ، ومن المعروف امتناء الاندلسيين والمغاربة والمشاركة بين القراءات ومصحفهم الدقيق لكل ما كتب في الفن في المصور السابقة ، وروايتهم ذلك بالاسانيد القوية ، ولم نر فردا منهم اشار اليه ولا لمح الى وجوده ، اما التعليل بظاهرة ضياع الكتب وفقدانها حتى لم يبق الزمان الا على نسخة واحدة ، فهذا يمكن قبوله لو ذكر الكتاب ولو مرة في مصدر من المصادر القديمة لاسيما ونحن نعرف قائمة طويلة من الكتب الضائعة لسبب من الاسباب ولكن في الوقت نفسه نجزم بنسبة الكتاب الضائع لصاحبه المعين بسبب تعدد ذكره في المصادر والاشارة اليه وحيدا لو كانت نسخة مكتبة طلعت التي نشر عليها المحقق نسخة علمية عليها سماعات وقرارات بخطوط عاماء معروفين في التاريخ لو كان ذلك لوقع بعض الاطمئنان .

بها مكتبة طلعت رقم 134 قراءات وقد اشار اليه بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي . ثم قال : وقد حاولت العثور على النسخة الاخرى حتى يتيسر التحقيق ويتجلى القموض . ثم قال اخيرا : هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا ينقص من قدوه ولا ينزل به من مكانه ولا اقل على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها الصفحة الاخيرة من الحجة وهي « قوبل وصحح باصله المكتوب منه ولكن ابن ذهب هذا الاصل اقول يعني المحقق ذهب هذا الاصل لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدانها ليست غريبة عنى لرائنا العربي ه » .

وهكذا نلاحظ ان ما قام به جناب المحقق من محاولات لاثبات نسبة الحجة لابن خالويه لا يصمد امام البحث العلمي ، فتاريخ النسخ المكتوب باخر نسخة الحجة التي اعتمدها المحقق لا يمكن الاعتماد عليه حيث ان النسخة عارية من اسم الناسخ ولو ذكر لامكن البحث عنه ومعرفة وزنه وقيمه زيادة على ان الخط ليس من الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري يعرف هذا بالبداية من له خبرة بالخطوط وتطوراتها والمقابلة المذكورة لا تفيد اي شيء لان كاتبها مجهول ، وقد عودتنا المصادر العلمية بالاندلس وغيرها ان الناسخين يذكرون الاصول التي اعتمدها في نسخهم مع التعريف باصحابها وذكر الاسانيد التي توصلهم الى مؤلفيها ثم يذكرون المقابلة والسماع والطباق وتاريخ كل دولة من دول المقابلة ومع من كان يقابل وهذا شيء لا نجده مقصورا في كتب الاقدمين على كتب التفسير والحديث بل نجده كذلك واضحا في كتب النحو واللغة والاداب ، وهذا ابو علي الصدي محقق كتب الحديث نراه يطبق منهجه في كتب اللغة والنحو وسائر الفنون الاسلامية ، وكما وقفنا على نسخ من كتاب سيبويه بلغت الدرجة في الاتقان واجادة الرواية مع كتب السماع ، وهذه فهرسة الكاتب الراوية ابي بكر بن خير الاموي الفاسي يعطي فيها المثال الواضح والنموذج المثالي لعمل الاندلسيين في هذا الباب ، ونرى ابن خير يذكر في كتب القراءات التي يرويها باسانيدها كتاب الحجة لابن علي الفارسي هكذا :

كتاب الحجة لاختلاف القراء رحمهم الله تأليف ابي علي الحسين بن عبد الغفار الفارسي النسب البسوي المولد النحوي رحمه الله حدثني به شيخنا الخطيب ابو الحسن شريح بن محمد المقرئ (صفحة 42 طبع مدريد) كما ذكر في الصفحة نفسها : كتاب اختصار الحجة المذكور تأليف ابي عبد الله محمد بن شريح بن احمد المقرئ رحمه الله وقد اكثر ابن

حول تحقيق كتاب ابن الجوزي :

تقويم اللسان

الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- الرباط -

وقد شرعنا في تحقيق (المخطوط)
فوجدنا انه كثير التصحيف ، وراينا من
الضروري ان نرجع الى المراجع اللغوية : كلسان العرب
والصاحح ، والقاموس ، وتاج العروس ، و (تكملة
اصلاح ما تفلط فيه العامة) للجواليقي و (المعرب من
الكلام الامجمي) للجواليقي ، و (شفاء الغليل ، فيما
في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الخفاجي .
فوجدنا ان كثيرا مما ينتقده ابن الجوزي يجيزه بعض
آخر ! فشرعنا في تسجيل التعليقات التي لم تكن نظن
اول الامر اتنا في حاجة اليها !

وبينما نحن نواصل عملنا قرانا في بعض الصحف
نبا طبع الكتاب فلم تلبث همتنا ان فترت من مواصلة
العمل في انتظار الاطلاع على الناشر . ولكننا لم
نتوفق للوقوف عليه ا شأنه في ذلك شأن كثير من كتب
التراث والدراسات الجادة التي تطبع في البلاد العربية
ولا يصل منها شيء للمغرب !

واخيرا ارتأى الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله اننا
بدلنا مجهودا فيما حققناه من الكتاب لا موجب لضياعه،
فقد يكون في نشر ما اتممنا تحقيقه في (مجلة اللسان
العربي) التي يصدرها (المكتب الدائم) فائدة لبعض
القراء ، فلم ار مانعا من الموافقة على ذلك .

على أمل ان تسمح لنا ظروفنا باتمام تحقيق ما
بقي من الكتاب ، واعادة النظر مرة أخرى فيما علقناه ا

عندما طلب مني صديقي الاستاذ عبد العزيز
بن عبد الله ان اختار رسالة مخطوطة تتناول موضوعا
لغويا لتعاون معا على تحقيقها ونشرها ، في نطاق
نشاط (المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن
العربي) التابع (لجامعة الدول العربية) والذي يوجد
مركزه بالرباط . اتجه ذهني الى كتاب (تقويم اللسان)
لابي الفرج ابن الجوزي ، الذي توجد منه نسخة
مخطوطة في (قسم المخطوطات التابع للخزانة العامة
للكتب والمستندات بالرباط) ضمن مجموع يحمل رقم
د 1872 فهر :

1 يذكر الالفاظ التي يخطئها الناس في
استعمالها ويبين وجه الصواب فيها .

2 - وهو رسالة صغيرة تقع في 20 ورقة .

3 - ثم هو من تأليف واعظ شهير ، ومؤلف
مكرر ا وقد وافق الصديق على الفكرة .

ورجعنا الى (فهرس المخطوطات المصورة)
بمعهد احياء المخطوطات العربية ، ج 1 تصنيف المرحوم
الاستاذ فؤاد سيد . فوجدنا فيه نسختين :

احدهما بعنوان (غلطات العوام) رقم لفة 190
ص 362 مصورة من مكتبة لالهلي باستانبول .

والثانية بعنوان (ما تلحن فيه العامة) رقم لفة
227 ص 368 مصورة من مكتبة شهيد علي .

وصف المخطوطة

تقع مخطوطتنا من (تقويم اللسان) في 42 ص ، في اولها اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وبعض التملكات ، منها تملك يوسف الانصاري بتاريخ 1177 هـ وتوقيعه وطابعه .

وفي اخرها : كذا ، وهو خطأ ، لان اليوم انقضى . وهذا آخره والله اعلم . ووافق الفراغ من كتابتها في يوم الاربعاء المبارك ثامن عشر شهر شعبان المكرم من شهر سنة تسعة واربعين والف .

وهي بخط مشرقى جميل ، خالية من تسمية الناسخ ومسطرتها 25 .

هل هو مؤلف واحد او اكثر ؟

ذكرنا فيما سبق ثلاثة أسماء هي :

1 (تقويم اللسان) وهو اسم نسختنا ، وهو الاسم الذي ذكره سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) وقال : انه جزآن ! (د ص 484 من القسم الاول من الجزء الثاني ، طبع حيدرآباد الدكن 1370 هـ 1951 م)

وهو ايضا الاسم الذي ذكره ابن رجب في (الدليل على طبقات الحنابلة) مما نقله ابن القطيبي من خط ابن الجوزي ، وقال : انه مجلد ! (د ج 1 ص 419 طبع القاهرة 1373 هـ 1952 م) ثم اعاد ابن رجب ذكره مرة اخرى - فيما استدركه على ابن القطيبي ! (ص 420) .

وهو ايضا الاسم الذي ذكره اسماعيل البغدادي في (هدية العارفين ، أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين) (ج 1 ص 521 طبع استانبول 1951) .

وذكر عبد الحميد الطلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) رقم 85 (تقويم اللسان) وقال ان منه

نسخة مخطوطة في مكتبة طلعت برقم 427 لغة ... (ص 85) .

وسماه الخوانساري في (كتاب روضات الجنات في احوال العلماء والسادات) ص 427 : (تقويم غلط اللسان) !

كما ذكر الطلوجي (مختصر تقويم اللسان) ! رقم 357 ، وقال ان منه نسخة في مكتبة مدرسة سبسالار .

واما الاسم الثاني وهو (غلطات العوام) فذكر الطلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) (ص 85) ان بروكلمان ذكره ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة يحيى افندي باستانبول .

واما الاسم الثالث وهو (ما يلحن فيه العامة) فقد ورد في (كشف الظنون) (ما يلحن فيه العامة) وقال منه : مختصر في فصول ... ذكر فيه وانتخب من كتب هذا الباب ما تم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر . (ج 2 ضلع 1577 طبع استانبول 1362 هـ 1943 م) .

وذكره ايضا البغدادي في (هدية العارفين) (ج 1 ضلع 522) على انه كتاب آخر غير (تقويم اللسان) !

وزاد عبد الحميد الطلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) رقم 86 (تقويم اللغة) وقال : ذكره بروكلمان ومنه عدة نسخ مخطوطة في المكتبة البودلية ، وفي برلين وفي الايسكوريال ، وفي خزانة لالهلى باستانبول .

وبلاحظ ان الرقم الذي ذكره لنسخة لالهلى هو 3573 ، وهو نفس الرقم الذي في (فهرس المخطوطات المصورة) باسم (غلطات العوام) !

وهكذا يتأكد ان جميع هذه الاسماء اسم لمسمى واحد الا ان يكون (مختصر تقويم اللسان) مختصرا من هذا ! .

المكتب الدائم في سنته الثامنة

1962 - 1970

4 (متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي ، بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها وتشجيع الصواب وتقديم المشورة .

ونلخص فيما يلي مختلف المنجزات والنشاطات التي قام بها المكتب منذ انشائه الى ان انضم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

1 (منجزات السنوات (من 1962 الى 1965)

رغم ضعف وسائل المكتب المادية والبشرية (قبل اندماجه في جامعة الدول العربية) فقد قام طبقا لتصميم ثلاثي لتعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة باعداد ما يلي :

— مجلة « اللسان العربي » ، وهي مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والادبية ، وكذلك مختلف نشاطات المكتب والجامع والجامعات والشخصيات العلمية في الوطن العربي وفي بقية العالم في ميدان التعريب وقد صدر منها خلال هذه الفترة ثلاثة اعداد (الاول والثاني والثالث) .

— سلسلة معاجم علمية تعاون على تأليفها مع بعض المؤسسات العربية والجامع اللغوية والعلمية والافراد العالميين . وهي :

- 1) معجم الرياضيات
- 2) معجم الفيزياء
- 3) معجم الكيمياء

انعقد مؤتمر التعريب من 3 الى 7 ابريل 1961 وانبثق عنه مكتب دائم الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب على اساس استفادة المغرب العربي من تجربة الشرق العربي في حقل التعريب ، وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية بناء على قراره رقم 2541 د - ج - 4 - 1969 في دور انعقاده العادي الحادي والخمسين على النظام الاساسي للمكتب وقرار ميزانيته اصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية هدفها بتلخيص فيما يلي :

1 (تلقى وتبني ما تنتهي اليه بحوث العلماء والجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله ومقارنته وتصنيفه ليستخرج منه ما يتصل بالمراض التعريب وعرضه على مؤتمرات التعريب .

2 (التعاون مع شغب التعريب في البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقى النتائج العلمية التي تنتجها الجهود في تلك البلاد .

3 (العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في جميع البلاد العربية بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص في البلاد العربية .

(2) سلسلة معاجم صغيرة تعني بالمصطلحات
الحضارية كجزء من معجم المعاني وهي :

- معجم الاسماء والعلوم والفنون والمذاهب
والنظم .
- معجم الاجهزة والآلات
- معجم الالعب واللعب العربية القديمة
- معجم السماكة والاسماك
- معجم الالوان
- معجم الحرف والمهن ومعجم الاحجار
والمعادن والفلزات
- معجم الاطعمة
- المعجم المنزلي
- معجم البناء

(3) معجم الحساب الابتدائي :

وهو معجم فرنسي - عربي للمصطلحات
المستعملة في المدارس الابتدائية وضع طبقا لحاجيات
المدارس بالمغرب العربي .

(4) استجابة لرغبة وزارة الفلاحة والمصلحة
التبوغرافية المغربية قام المكتب بتعريب القسم الاول
من المعجم الاخرطي المتعدد اللغات الذي اعدته الجمعية
الاخرطية الدولية بعدما قررت الموافقة على طاب مثل
المغرب باضافة اللغة العربية الى لغات المعجم الست ،
وقد صدر هذا العمل ضمن العدد السابع من مجلة
« اللسان العربي » .

وتجدر الملاحظة هنا الى ان المكتب يتلقى بصفة
مستمرة من الوزارات والمؤسسات الحكومية وغيرها
بالمغرب قوائم المصطلحات التقنية في مختلف العلوم
والفنون قصد تزويدها بالمقابل العربي .

(5) اعداد مشروع معجم الاقتصاد والقانون
الذي سيورع خلال هذه السنة على نطاق واسع في
الوطن العربي لاجل الدراسة وابداء الراي من طرف
المختصين في الموضوع .

وبالاضافة الى ذلك فقد قام المكتب بمعدة
نشاطات موازية لما انجزه خلال السنوات السبع
الماضية تلخص فيما يلي :

— المشاركة في عدة مؤتمرات ومناسبات
عربية كبرى مثل معرض طرابلس سنة 1963 واشرافه
بجانب الجامعة العربية على المؤتمر الثاني للمصطلحات

(4) معجم الفقه والقانون

(5) معجم الاشغال العمومية

(6) معجم السياحة

(7) معجم الطحانة والخبازة والفرانة

(8) معجم مصطلحات السيارة

هذا وقد وزعت في وقتها في العالم العربي
وتوصلنا بملاحظات في شأنها .

ومن المعلوم انه خلال هذه السنوات انكب
المكتب الدائم على تحضير ندوة في خصوص تأليف
معجم مدرسي موحد انطلاقا من اقتراح ممثل
الجمهورية العربية المتحدة في المجلس التنفيذي
للمكتب الدائم بالرباط (الدورة الاولى لعام 1962) ،
غير ان الندوة المقررة في شأنه لم تتمتع لعدم توفر
الخبراء الذين كان من المقرر ان يناط بهم مراقبة
الاعمال الاولى لاعداد هذا المشروع .

ونمد الآن لهذه الندوة باعداد معجم ابتدائي
للعلوم ثم معجم ابتدائي حضاري بالاضافة الى معجم
الحساب .

ب (منجزات السنوات (من 1966 الى 1970)

استهل المكتب عمله باديء ذي بدء بوضع تصميم
عشاري للتعريب (لمدة عشر سنوات) من اجل اعداد
معجم علمي وتقني عام وزع في ابانه على الدول
العربية من اجل ابداء الراي والمشاركة في تنفيذه .

وقد شرع المكتب حينما في تنفيذ هذا المشروع
مستهدلا عمله بوضع جزرات (بطاقات) باللغات
المختلفة للمصطلحات التي توصل بها من المجالس
والجامعات والمجالس العليا والهيئات الثقافية
والشخصيات العلمية بالوطن العربي وكذلك من
الخبراء العرب ومن مراسلي المكتب الذين عينتهم
مختلف الحكومات العربية في مختلف الشعب العلمية
والتقنية ، وقد تجاوزت هذه الجزرات لحد الآن
ثلاثمائة الف جزارة وما زال عددها في حالة نمو
مستمر .

وفي نطاق هذا التصميم اصدر ما ياتي :

(1) مجلة «اللسان العربي» (اربعة اعداد)
(الرابع والخامس والسادس) أما السابع فقد صدر في
جزئين (الاول للدراسات والابحاث اللغوية والثاني
للمعاجم التي وضعها المكتب وبعض مراسليه في
مختلف الفنون والعلوم) .

في موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية بين الدول العربية في خصوص المعاجم الآتية :

- معجم الرياضيات
- معجم الكيمياء
- معجم الطبيعة (الغيزياء)
- معجم الحيوان
- معجم الجيولوجيا
- معجم النبات

وبما ان الاجوبة التي توصلنا بها من الدول العربية لم تتضمن آراء كل من سوريا - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - فقد اضطر المكتب الى اعداد معاجم اضافية تكميلية تشمل بقية الحصيللة الفنية التي لم ترد في هذه المشاريع .

ونظرا لصيغة الاستعمال التي تكتسبها هذه المشاريع فقد اعطيناها الاولوية واجلنا عملنا فيما يتعلق ببعض المشاريع المعجمية التي تضمنها تقريرنا المقدم الى مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (آذار - مارس 1970) باستثناء ما يرد علينا من المنظمات العربية من اجل التحقيق والتنسيق والتي تفرضها الحاجيات الملحة المفروضة في الوطن العربي نذكر منها على سبيل المثال :

— مشروع القاموس البريدي الذي احواله علينا الاتحاد البريدي العربي من اجل ابداء رأينا في محتواه ، وقد وضعنا تقريرا عنه يتضمن ملاحظتنا واقتراحاتنا في الموضوع . وبالفعل فقد تم اخراج هذا القاموس متضمنا التعديلات التي ادخلنا عليه .

— مشروع معجم المصطلحات البترولية الذي ورد علينا من المنظمة العربية للبترول من اجل تنسيقه . وقد قمنا باعداد الاقسام الثلاثة الواردة علينا مع وضع المقابلات الفرنسية واطافه مشروع معجم ملحق حاولنا ان نستقصى فيه ما فات المشروع الاول من مصطلحات انطلاقا من احدث المعاجم المستعملة في منظمات البترول العالمية .

— اعداد معجم علمي للمدارس الابتدائية العربية تتيما لما ورد في معجم الحساب الانف الذكر من المصطلحات العلمية .

العربية بالجزائر سنة 1964 وشارك في مؤتمرات وزراء التربية العرب ببغداد والكويت وفي عدة اجتماعات اخرى عقدت في بعض الدول العربية .

— تنظيم سلسلة من المهرجانات كاسبوع التعريب بالمغرب سنة 1964 والمواسم الثقافية والقضائية والعلمية المشتملة على المحاضرات والندوات والمعارض قصد التعريف بالكتاب العربي في فنونه المختلفة وكان الغرض من هذه الاعمال هو التعريف بجهود الدول العربية في حقل التعريب وما وصلت اليه العربية في ميدان الثقافة والعلم بالاضافة الى توعية الجماهير لاحلال اللغة العربية المكانة اللائقة بها في المجتمعات العربية وخصوصا منها اقطار المغرب العربي نظرا لحاجته الماسة للتعريب .

وفي نطاق هذه الحملات اصدر المكتب معجما لمحاربة الدخيل الاجنبي تحت عنوان (قل ولا تقل) وقد كان محل اهتمام بالغ من لدن اجهزة الاعلام في اقطار المغرب العربي . وقد صمم المكتب الدائم العزم على محاربة الدخيل الاجنبي خاصة في التعبير الاشعاري في مجالات التجارة والصناعة فالتفق في المغرب مع المسؤولين الاداريين على اعادة النظر في اللائحات الاشهارية من اجل تصحيحها في المتاجر والمصانع ، ومما اقرته وزارة الداخلية المغربية في هذا الشأن اجبار اصحاب المنشآت والمؤسسات التجارية والصناعية الجدد على تقديم طنب رخصة خاصة يحتوي على تسمية المؤسسات او المنشآت للتصديق عليها من طرف مكتبنا .

والى جانب ذلك انشا في مبنى للحكومة المغربية (مقره القديم) مكتبة تحتوي على كتب ومجلات علمية وثقافية وضمت رهن اشارة المثقفين والباحثين والاساتذة والطلاب للاستفادة منها وللتعريف بجهود الدول العربية في مختلف الميادين العلمية والثقافية والفنية ، وما زال يناشد الدول العربية لتنميتها وتنويعها نظرا للاقبال المتزايد لروادها .

برامجه وجنوله خلال سنة 1970 - 1971

(1) اعداد مجلة اللسان العربي (المجلد الثامن في ثلاثة اجزاء) في نفس نسق المجلد السابع .

(2) تنسيق المشاريع المعجمية التي اصبح المكتب يتبناها بتكليف من مجلس جامعة الدول العربية

د - مبدأ الاحتفاظ بالمشروع الاصلي لكل معجم
واضافة مقابل اجنبي ثان انجليزي او فرنسي مع
اثبات ملحق من المصطلحات الاضافية المستعملة في
هذا النسق او ذاك من الوطن العربي .

هـ - اصدار مشاريع المعاجم المنسقة في جزء
خاص في كل طبعة من مجلة « اللسان العربي » مع
طبعة اخرى مستقلة لكل مشروع معجم ضمن ملحقه
مرتبين ترتيبا موحدا ، وذلك من اجل عرضها على
الاخصائيين والخبراء في البلاد العربية والدول
العربية المهتمة بالانشقاق والاستعرا ب تمهيدا
لعرضها على ندوة الخبراء العرب تنعقد في احدي
العواصم العربية باتفاق مع المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم تحت اشراف جامعة الدول العربية
وذلك لإقرارها نهائيا والعمل على تطبيقها بكيفية
موحدة في الجهاز التعليمي بالدول العربية .

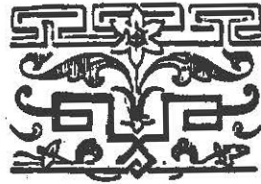
مسيطرة العمل في خصوص تنسيق المصطلحات
يتلخص المنهج الذي وضعه المكتب لتنسيق
المعاجم في :

ا - استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف
المصطلحات المقترحة للمدلول الواحد .

ب - وضع المقابلات الاجنبية بنفغة ثالثة وهي
الفرنسية او الانجليزية بالاضافة الى العربية في
خصوص المعاجم الكلاسيكية التعليمية مراعاة للاختلاف
في المناهج بين الدول العربية التي كانت تستعمل
اللفة الانجليزية في التعليم والدول العربية الاخرى
التي كانت تستعمل الفرنسية .

واذا كان للمعجم صبغة تكنولوجية دولية فاننا
سنحاول اضافة لغات اخرى كالالمانية والروسية

ج - استقراء المفاهيم على الصعيد العالمي
في الاطار المحدد للمعجم .



مسابقة المكتب الدائم

وقد وردت على المكتب - تلبية لندائه -
الابحاث والمخطوطات الآتية :

1 (منهج التويري في « نهاية الارب في فنون الادب »
لمبد الحليم الندوي
استاذ الادب العربي بالجامعة الماية الإسلامية
- دلهي الجديدة - (الهند)

2 كتاب « الحجة في قرارات الائمة السبعة من
اهل الانصار الخمسة »

شرح وتحقيق ودراسة :
عبد العالي سالم مكرم
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها
من كلية دار العلوم ، والمدرس بجامعة الكويت

3 نحو العربية الدارجة
محمد بن عبد الرحمن مادير

4 (الارجوزة المسماة « بالمورث لمشكل المثلث »
صححها وشرحها :
محمد بن رمضان شاوش
الاستاذ بثانوية الحكيم ابن الزرجي
تلمسان - (الجزائر)

في اواخر عام 1969 شرع المكتب الدائم
لتنسيق التعريب في الوطن العربي في تنظيم
مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة
عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ،
وقد اختار لتدشين هذه البادرة أن يكون موضوع
المسابقة التي تجري على الصميدين العربي والاسلامي
ما يلي :

- تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة
العربية -

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم
او ما يقابلها من عملات أجنبية مع جوائز ثانوية أخرى
ويشترط أن يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة
العربية على شكل معجم أو دراسات أو أبحاث خمسية
(لم يسبق نشرها) وأن يكون ذا قيمة جديدة بالاعتبار،
كما يشترط أن يكون البحث مستوعباً أصيلاً لم ينشر
قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم
المتوسط ، ومعلوم أن المسابقة تسهر عليها في كل
قطر عربي الشعبة الوطنية للتعريب العاملة في نطاق
المكتب الدائم داخل هذا القطر وقد اشرفت الشعبة
المقرية للتعريب هذا العام على هذه المباراة اللغوية
الأولى برئاسة الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي
وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي
ومعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك في دائرة
وزارته الموقرة التي تسهر على عمل الشعبة المذكورة.

وقد تشكلت لجنة برئاسة الاستاذ محمد الفاسي
عقدت اجتماعها الاول صباح يوم الاربعاء 17/9/1970
وقررت ما يلي :

اولا :

1 - اسناد بحثي : « العوامل الطارئة على اللغة »
« وابو اسحاق الفزى »

الى السيد هلال الهاسي
الاستاذ بجامعة القرويين ومحمد الخامس

2 - اسناد بحثي : « متخير الالفاظ »

و « دراسة وبحث حول اللغة العربية »
الى السيد احمد الاخضر فزال
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

3 - اسناد بحث : « كتاب الحجة في قراءات الائمة
السبعة »

الى السيد العابد الفاسي
الاستاذ بجامعة القرويين

4 - اسناد بحث : « من اسرار العربية في البيان
القرآني »

الى السيد محمد بهاء الدين الاميري
الاستاذ بدار الحديث الحسنية
(جامعة القرويين)

5 - اسناد بحث : « الاضداد في اللغة »

الى السيد محمد ابراهيم الكتاني
الاستاذ بجامعة القرويين ومحمد الخامس
ومحافظ قسم المخطوطات بالخرانة العامة
بالمغرب

6 - اسناد بحث : « الأرجوزة المسماة بالموروث
لمشكل المثلث »

الى ابن عبد الهادي المنوني
خبير في قسم المخطوطات في الخزانة العامة
والخزانة الملكية بالمغرب

5 (الاضداد في اللغة

للاستاذ حسين محمد (ج . ع . م .)

6 (العوامل الطارئة على اللغة

للدكتور محمد عيد

كنية دار العلوم - القاهرة

7 (معاجم الابنية في اللغة

للدكتور احمد مختار عمر
ماجستير فقه اللغة من القاهرة
دكتوراه فقه اللغة من كمبودج

8 (حول اللغة العربية

الاستاذ احمد عبد الرحيم السايح

(من شيوخ الازهر)

9 (اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل

محمد محمود حمزة
الطالب بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

10 (محور الامة في العالم العربي (المشكلة .. الحل)

حسن نوفل
ماجستير في اللغة العربية

11 « متخير الالفاظ »

تصنيف احمد بن فارس
مخطوط حققه وقدم له الاستاذ هلال ناجي
(العراق)

12 (ابو اسحق الفزى

الاستاذ رفيق حسن الحليمي

13 (دراسة وبحث حول اللغة العربية

الاستاذ محمد يوسف نور الدين (لبنان)

7 - اسناد بحث : « اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل »

الى ادريس الكتاني
الاستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية

8 - اسناد بحث : « معاجم الابنية في اللغة العربية »

الى محمد بن تاويت
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

9 - اسناد بحث : « حول اللغة العربية »

الى الاستاذ هبد الحق فاضل
خبير في المكتب الدائم

ثانيا :

الفاء البحوث التالية من المسابقة

1 - نحو الامية في العالم العربي : المشكلة .. والحلول

2 - نحو العربية الدارجة

3 - منهج النويري في نهاية الارب في فنون الادب : بحث ودراسة .

ثالثا :

اتفقت اللجنة على ان تعقد اجتماعا ثانيا يوم 31 اكتوبر 1970 تقدم فيه نتائج دراساتها وتحديد القيم العلمية للبحوث التي اسندت اليها .

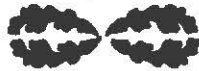
وقد انعقد هذا الاجتماع بالفعل وبعد مناقشة طويلة ومروضة قدمها كل عضو حول ما اسند اليه من مخطوطات وابحاث تقرر ما يلي :

— الاحتفاظ بالجائزة الاولى :

— الجائزة الثانية منحت للاستاذ هلال ناجي من العراق عن كتابه « متخير الالفاظ » وقدرها 3000 درهم (اي نحو 600 دولار)

— الجائزة الثالثة منحت للاستاذ حسين محمد من الجمهورية العربية المتحدة من كتابه « الاضداد في اللغة » وقدرها 2000 درهم .

— الجائزة الرابعة منحت للدكتور محمد عيد من الجمهورية العربية المتحدة من كتابه « العوامل الطارئة على اللغة » وقدرها 1000 درهم .



نشاط المجمع السّوري للغة العربيّة

الأستاذ جعفر الحسني ، الأرميه العام
« دمشق »

مختلف جهات سورية ، وكانت هذه المجموعة نواة
المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجمع علينا أن نحتفل بعيده الذهبي
على نطاق عربي شامل امتزاجا بجميله وخدماته التي
أسداها للغة العربية وثقافتها .

ان تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس
مجامع علمية في اقطار عربية اخرى كالاردن ولبنان
ولم يكتب لجمعي مدين القطرين الحياة الطويلة ،
الا ان مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سباقا الى
العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم
مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم
به مجمع دمشق الذي هو اقدم الجامعات في العالم
العربي .

ولئن ماتنا تحقيق أمنية التكريم على الوجه الذي
كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدماء له بالبقاء والاستمرار
وان تكتب له السلامة والازدهار على مر الايام ليستمر
في أداء رسالته حتى يتبها خدمة للغة العربية وثقافتها.

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا احصاء جميع ما
حققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية واني لاكتفي
باحالة من يرغب في معرفة ذلك الى مقال الاستاذ
الدكتور حسني سبّح الذي نشره في عدد مجلة المجمع
الخاص المصادر حديثا ، والذي وزع في حينه ليجد فيه
ما ينفع الفلة ويطلّي الاوار أو ان يعود الى مجموعة

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة
مجلس المجمع الختامية لدورة عام 1968 - 1969 م
مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين
عاما على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح ليها
بعد مجمع اللغة العربية بدمشق . فلقد استقلت سورية
العربية عام 1918 بعد جهاد طويل وولدت مع هذا
الاستقلال فكرة انشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة
العربية التي طغت عليها العجمة خلال العهد التركي
الطويل ، ونعمل على حفظها وصيانتها ووضع
المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمثيا
مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي
عام 1919 م أي قبل خمسين عاما خلت وضمت اليه
دار الكتب الظاهرية وجعل مقرة المدرسة العادلية
الكبرى بعد ان حررت من واضع اليد عليها ، وبعد أن
رسمت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية
تعد من أقدم المدارس بدمشق واشهرها وأجلها ،
انشأها السلطان نور الدين الزنكي وانها الملك العادل
أخو السلطان صلاح الدين الايوبي لتكون تربية له ،
والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع
فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا
لقد درس فيها عدد من أئمة العلماء الاعلام منهم ابن
خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس
المجمع دارا للآثار الاسلامية وعرض في احدى غرفه
ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار المبعثرة جمعها من

مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (44) مجلدا يبلغ مجموع صفحاتها نحواً من (30) ثلاثين ألف صفحة تضم مختلف الأبحاث اللغوية والثقافية والتاريخية والفلسفية والأدبية ، وتمتبر هذه المجلة بحق موسوعة غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة الملامح لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية واللغوية الحديثة في سائر الاقطار العربية .

ان اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الأخرى فهي لا تقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جميعاً ، وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فإن أمرها يعود على أفراد أسرتها جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يطلعها من علماء العربية في الاقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث القيمة والمفالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ما حققه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بعث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على لقاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع اليها الرجال والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في مجلة جهوده ، بمراتبة الأتلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الأتلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الأقلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (125) كتاباً من عيون تراثنا الأدبي القديم وحقق أكثر هذه الكتب أعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الاقطار العربية والأجنبية ، يضاف الى هذا (44) مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، ليكون بذلك مجموع ما طبعه (179) مجلداً هي من امهات كتب المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لاسيما اذا علمنا ضعف قدرة المجمع العادية ووسائله القليلة.

لقد عمل المجمع على أن يختار لعضويته أصحاب الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها فضم اليه خلال مدة وجوده (251) عضواً بين عامل ومراسل وطلهم من اعلام العرب والمستشرقين ، وقد تولى منهم اليرحمة الله (166) عضواً وبقي منهم

(75) عضواً ما زالوا بحمد الله يعملون وينتجون ، مد الله بعمهم وبارك أعمالهم .

هذا ايها السادة ، لحمة عاجلة من باقي مجملتنا واليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (1967 - 1968) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر بعض الاعمال وعهد الى مكتب المجمع امر تحقيقها وقد أنجز منها أو كاد المطبوعات التالية :

1 - ديوان الخالدين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .

2 - قطب السرور في اوصاف الخبور لأبي اسحق ابراهيم المعروف بالرفيق النديم القيزواني تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .

3 - التنبية على حدوث التصحيف لحزمة بن الحسن الأسفهاني ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والاستاذ عبد المعين الملوحي .

4 - سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كنون .

5 - خريدة القصر وجريدة المعصر (بداية شعراء الشام) للعباد الأسفهاني الكاتب تحقيق الدكتور شكري فيصل .

6 - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

7 - فهرس مخطوطات دار الظاهرية (قسم الطب) وضع الدكتور سامي خلف حمارنة .

8 - ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ النفاخ والدكتور حسين عطوان .

9 - فهرس المجلة الماثرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وضع الأنسة ملك هنانو .

10 - مجلة مجمع اللغة العربية (43) لسنة 1968 ويوجد تحت الطبع :

1 - كتاب التلخيص في أسماء الاشياء لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور هزة حسن .

2 - نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الانسان للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

3 - كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .

4 - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (44) لعام 1969 المعدادان الأول والثاني في عدد خامس عدد صفحاته (438) صفحة اشترك في تحريره اعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابات :

1 - انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (المراق) عضوا مراسلا

2 - الاستاذ ناصر الدين الأسد (الاردن) عضوا مراسلا

3 - الدكتور فيصل دبدوب (العراق) عضوا مراسلا

4 - الاستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضوا مراسلا

استقبال اعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين كريمين رشحهما لعضوية المجمع عليهما وفضلهما واخلاصهما لمبادئ المجمع وهما الأستاذان : وجيه السمان ومبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة المتازة من اعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الاستاذ الرئيس برحلة الى مصر والمراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معهما تعزيز العلاقات الأخوية فيما بين الجامع الثلاثة والتعاون فيما بينهم من طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مثمرة ومفيدة تكللت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات لملا .

اهداء مكتبات :

1 - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الامير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع

ما اوصى به المرحوم من كتب واثاث ومخططات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والاحصاء .

2 - كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقى وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك ببسامي الاستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

3 - واهدى الاستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلولئك جميعا شكر المجمع وتقديره .

انشاءات :

ان مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل اسباب الراحة .

الوفيات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة ان يذكر بالاسف والرحمة الاعضاء الراحلين ممن وانتمت المنية هذا العام وهم المغفور لهم : الاساتذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسمة واجزل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دمي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها ، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للطبوعات العلمية الذي سيعقده المجمع العلمي في بولون (ايطاليا) .

وقد لى المجمع دعوة مؤتمر المنطلعات الطبية الذي عقد في الموصل (المراق) ومثل المجمع فيه الاستاذ الدكتور حسني سبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي اقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تابينا للمغفور له الامير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، واحد اعضاء مجمع القاهرة سابقا .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها ، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقة الازربيجانية .

ب - مهرس مخطوطات قسم الطب للاستاذ سامي حبارنة .

ج - كتاب « ترويح القلوب في ذكر الملوك بني ايوب » تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د - مهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الاستاذ ناصر الدين الألباني .

هـ - طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الأشياء للمصري . تحقيق الدكتور مرة حسن .

2 - المباشرة بطبع الكتب الامة :

أ - ديوان الشاعر ابن اهر تحقيق الدكتور محمد عطوان الاستاذ في الجامعة الأردنية .

ب - ديوان مرقلة الكلبى تحقيق احمد الجندي .

ج - طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة أسماء الحمصي .

د - طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ - طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و - طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » للشيخ عبد الغني النابلسي وتحقيق الاستاذ عارف النكدي .

ز - طبع مهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك مند العرب وضع الاستاذ ابراهيم الخوري .

ح - طبع مهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء 31 - 40 - وضع الاستاذ عمر رضا كحالة .

ط - طبع مهرس مخطوطات قسم الادب واللغة في دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

لا - طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الأنسة ملك هنانو .

ك - طبع المجلة (45) من مجلة المجمع .

3 - وقد قرر المجمع اعادة طبع اكبر عدد من مطبوعاته ومن أعداد مجلته التي نفذت وبأشر طبع المجلد الأول من المجلة .

أما في خصوص دورة المجمع لعام 1969 - 1970 فقد كانت مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس مجتمعا هذا ، ولقد كانت الرحلة التي مرت بنا مرحلة انشاء وتأسيس ، ومرة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند اليها هذا الصرح ، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد، يرمي الى رفع مستوى المجمع واعلاء شأنه في كل هدف من اهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد المجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم المأثر الذي سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام 1969 وسيشارك المجمع في هذا العيد الكبير ليحتفل بمرور خمسين عاما على انشائه، وقد خصصت له أيام خاصة يتحدث بها الجمعيون عن تاريخ المجمع ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا المجمع الى المشاركة في هذا الاحتفال رئيسي ونائب الرئيسين والأمينين العامين للمجمع القاهرة وبغداد والأمين العام لكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

ان لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو ان يتحقق جلها ان لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن أهمها :

1 - ملء الشواغر بانتخاب الاعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .

2 - وألفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة الى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية فان كثرة الاعمال أصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما ان وضع المجمع قد أصبح يقضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديرية المنبثقة من هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

1 - سيمد المجمع الى اكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقا وهي :

أ - مهرس المجلة العاشرة من تاريخ ابن عساكر وضع الأنسة ملك هنانو .

مَسْرُوعُ النِّظَامِ الْأَسَاسِيِّ لِاتِّحَادِ الْمَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

ب - رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

المادة الخامسة : ينتخب أعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين مساعدين ، لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة السادسة : يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية ، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس ، ويجوز أن يجتمع بدعوة من أمين عام الاتحاد بناء على طلب مجتمعين على الأقل في دورة غير عادية عند الضرورة .

المادة السابعة : تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الأغلبية المطلقة للأعضاء . وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين ، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي يضم إليه الرئيس

المادة الثامنة : اختصاص المجلس :

1 - النظر في الأعمال السنوية لمكتب الاتحاد وإقرارها .

ب - النظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية وإقرارها .

ج - تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها .

المادة الأولى : ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة ، ويكون مقره مدينة القاهرة .

المادة الثانية : يتألف الاتحاد من :

أ - مجمع اللغة العربية في دمشق .

ب - المجمع العلمي العراقي في بغداد .

ج - مجمع اللغة العربية في القاهرة .

د - كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله .

المادة الثالثة : أهداف الاتحاد :

أ - تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

ب - العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

المادة الرابعة : يدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى (مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ويؤلف على الصورة الآتية :

أ - عضوان من كل مجمع لغوي يختارهما المجمع المصغر ، أربع سنوات قابلة للتجديد .

د - العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها الجامعات المختلفة واتخاذ الوسائل اللازمة لذلك .

هـ - وضع المشروعات التي تحقق اهدافه ، والإشراف على أعمال مكتب الاتحاد .

و - النظر في الاقتراحات المتصلة بأهداف الاتحاد التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية ، والمشتغلون بدراسة اللغة والمصطلح العلمي في العالم العربي أو خارجه .

ز - تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق أهداف الاتحاد ، تشترك فيها الجامعات الأعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين .

ح - وضع الأنظمة الداخلية اللازمة لسير العمل
المادة التاسعة : يعقد مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد الجامعات الأعضاء

المادة العاشرة : مكتب الأمانة العامة في المقر الرسمي للاتحاد ، وللأمين العام أن يستعين بمن تدعو الحاجة اليهم من الموظفين .

المادة الحادية عشرة : اختصاصات الأمانة العامة :

أ - تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الأمور الإدارية والمالية .

ب - تقديم تقرير سنوي عن أعماله إلى مجلس الاتحاد .

ج - إعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده .

د - تحضير المجلس وعرضها عليه ، وتسليم الإيرادات وإصدار أوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة .

هـ - ينوب الأمينان العامان المساعدان عن الأمين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد ، كل في مجتمعه .

المادة الثانية عشرة : تتكون مالية الاتحاد من :

أ - اشتراكات الجامعات الأعضاء التي يحددها مجلس الاتحاد .

ب - الأمانة المالية السنوية التي تقدمها الأمانة العامة للدول العربية .

ج - الهبات والإعانات التي يقبلها مجلس الاتحاد

المادة الثالثة عشرة : تودع أموال الاتحاد في مصارف عربية يعينها مجلس الاتحاد ويرسم المجلس طريقة الإيداع والسحب .

المادة الرابعة عشرة : تحدد اللائحة الداخلية إجراءات تنفيذ النظام الأساسي للاتحاد . ولمجلس الاتحاد أن يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي أعضائه على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة للاجتماع
المادة الخامسة عشرة : يصبح النظام الأساسي للاتحاد نافذا بمجرد موافقة الجامعات الأعضاء عليه .

القاهرة في 30 أبريل (نيسان) 1970

التواقيع :

المجمع العلمي العراقي

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

اللواء محمود شيت خطاب

مجمع اللغة العربية في القاهرة

الدكتور طه حسين الاستاذ زكي المهندس

الدكتور ابراهيم مدكور

مجمع اللغة العربية في دمشق

الدكتور حسني سبيح الدكتور عدنان الخطيب

بين المجلة وقرائها

تجلى عناية القراء الكرام في السيل العارم من الرسائل التي تنهل على المكتب من مختلف الاصقاع في العالم العربي والاسلامي .
♦ ونحن اذ نشكر هذا الاهتمام والحماس ، ونقدر هذه الصلة بين المجلة وقرائها من اساندة وطلبة وباحثين ، يسرنا ان نجعل من المجلة ميداناً للنقاش العلمي الحر ، لذا فالمجلة ترحب بكل ود بناء ، او عرض لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم .
♦ كما يسر المكتب الدائم للتعريب ان يتلقى ملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

من الجمهورية العربية السورية :

— ومن السويداء كتب السيد جميل ابو ترابي يقول : « انها لجهود جبارة يخطوها مكتبكم في احياء لغة الضاد ، ونشر التراث العربي ، ولا يسع المرء الا ان يتقدم بالشكر والثناء للسيد رئيس تحرير مجلتكم الزاهرة ولكل من يساهم في الكتابة فيها »

— ومن السيد محمد يحيى رائف مدير الشؤون الاجتماعية والعمل بحلب تلقينا كلمة رقيقة يقول فيها « لقد وجدت في مجلتكم «اللسان العربي» الابحاث المفيدة والمقالات الشيقة في اللغة والترجمة والتعريب الشيء الذي اثلج صدري»

— ووصلتنا رسالة شكر من السيد المستشار فاضل البصمدجي يثني فيها على « الجهود الصادقة المبذولة في سبيل اعداد واخراج هذه المجلة الراقية .. »

— تلقينا رسالة من الاستاذ حسن كمال محافظ فرع الفن الحديث في المتحف الوطني بدمشق جاء فيها : « لقد قرأت بشغف ولذة كبيرين ما حوته مجلتكم ومما جئتمكم من المعارف المفيدة ، التي يجد فيها الباحث الكثير من الفائدة بما تتوفر عليه من جهود كبيرة والتي حشدت لها - ولا شك - طاقات جبارة حتى امت غنية بالشكل الذي نراها عليه » .

— ومن دمشق ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد وليد الجلاد يقول فيها : « كان لنا شرف الاطلاع صدفة على مجلتكم «اللسان العربي» فبهرنا الجهد المبذول فيها ، والروح العلمية التي تسود صفحاتها ، وما في تضاعيفها من ثروة لغوية ثمينة نحن بأشد الحاجة الى مثلها ، حيث وجدنا فيها اجوبة لكثير من التساؤلات التي كانت تعترضنا حيال بعض التعابير والمصطلحات التي تنقص لغتنا ، ويختلف المترجمون في استنباطها .. »

جديد .. وانه لمن دوامى القبطة وحب الاطلاع
والعرفه ان اشرف باللقاء معكم على صفحات مجلتكم
من خلال سطورها النيرة .

— * —

من الجمهورية العربية المتحدة :

— من القاهرة بحث الينا الاستاذ محمد
توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى
للشؤون الاسلامية يحيي فيها جهود المكتب فى خدمة
الاسلام والمسلمين «

— ومن القاهرة ايضا وصلتنا كلمة رفيقة من
الاستاذ الكبير محمود تيمور جاء فيها : « ومن نافلة
القول الاشادة بهذه الجهود الخصبه الواسعة التى
تسفر منها تلك البحوث والدراسات المنشودة فى ذلك
المجلد الحافل الغزير ، واني لاشعر بان تهنتكم بهذا
العمل العظيم اسط ما يجب على كل مثقف يبغى الخير
لوطن العربي » .

— وهذه رسالة الاستاذ احمد المحلاوي
الامين العام للاتحاد البريدي العربي يقول فيها : « ولا
يسعني الا ان اقدم الشكر الخالص لمكتبكم الموقر على
جهودهم الصادقة ونشاطه الكبير فى الابحاث اللغوية
والتعريب فى العالم العربي »

— * —

من الجمهورية العراقية :

— من بغداد وجه الينا الاستاذ هادي قاسم
كلمة رفيقة جاء فيها :

« لقد اطلعت على مجلتكم الغراء «اللسان العربي»
التي يصدرها مكتبكم فى عدة مجلدات واجزاء ،
فوجدتها غاية فى الروعة والنفاسة ، ارجو لكم
التوفيق فى خدماتكم الجليلة التى تقدمونها للامة
العربية فى نشر الثقافة والومي العربي وتوسيع
«افاق اللغة ، ولعمري انها بادرة طيبة ارجو لكم التقدم
المطرد »

— وتلقينا رسالة من الاستاذ حسن سيف
الدين من الموصل يقول فيها : « لقد تحكمت الصدفة
بى واكتعلت عيناى دون قصد على المجلة المبهجة ،
وما كادت انامى تقاب بعض صفحاتها الا ووجدت
نفسى اسير الاسطر وجيبس مواضعها الشيقة ،
وصرت مشدودا الى بحوث هذه المجلة «اللسان العربي»

— وهذه رسالة اخرى من دمشق بحث بها
السيد الرائد عبد الوهاب مرور تقتطف منها ما يلى :
« ان مجلتكم «اللسان العربي» لجديزة بان يفخر
بها كل عربي من مشرق البلاد الى مغربها ، كيف لا
وهي تحمل لواء كلمتي السحر اللتين توحدان امة
المرب وهما «لغة القرآن» اننى لاشكركم على جهودكم
الجبارة المبذولة من اجل اصدار هذه المجلة » .

— ومن دمشق ايضا تطالعنا رسالة الاستاذ
صبحي زخور ليقول فى مقدمتها : « .. واذ مكفت
على مطالعة بحوث مجلتكم الغراء الفيتها مجلة رصينة
لما حوت من مقالات ودراسات قيمة وتناولت من
قضايا اللغة العربية ، ولا ريب ان صدور مثل هذه
المجلة سيد فراها فى المكتبة العربية التى نفتقر
الى امثالها مما يفضي بامتنا العربية للوصول الى وحدة
المصطلح العلمي ووحدة الكلمة العربية فى جميع
الميادين .. »

— وكتب الدكتور صالح حباب يقول : « اطلعت
على عدد من مجلة «اللسان العربي» فاعجبت اعجابا
كبيرا بها وبالجهود الكبيرة التى يبذلها القائمون عليها،
ووثقت بانها ستنهض بأعباء المهمة الضخمة الملقاة عليها
ان شاء الله »

— اما رسالة الاستاذ ذو النون رمضان فقد
كانت تتضمن ما يلى : « اطلعت على ما تضمنته
«اللسان العربي» فالفينا ذرة ثمينة فى التأليف
العربية التى لا يستغنى عنها ، وانها لجوهره نادرة ..
يفيد المرء فيها ويستفيد »

— وهذه رسالة اخرى وصلتنا من حلب من
الدكتور توفيق برو جاء فيها : « .. والحق ان
مستوى السمو الذى تحتله مجلتكم الراقية فى دنيا
الفكر العربي تنفوذ فيه »

— ومن حلب كذلك تلقينا كلمة شكر من
الاستاذ علي حافظ مدير على شركة المدينة للطباعة
بيدي فيها : « اعجابه بمواضيع المجلة وكتابتها
واهدافها النبيلة »

— ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القاريء
بكري الخطيب وهي رسالة طويلة تقتطف منها
ما يلى : « .. وجاءت مجلتكم لتكون
فخرا للاسماء «اللسان العربي» وحق لها ولن اشرف
على تسميتها ان ينال الشرف ويكون له الكرم والفخار،
ويتبه امتزاز بأنه يعلي الكرامة وينبت الاصل من

المتفانية لهذه اللغة العظيمة لغة القراءان الكريم ولغة السنة المحمدية المشرفة ، هذه اللغة التي صعدت في سماء العلم والمعرفة في عهد الدولة الاسلامية ، وهذه اللغة التي غدت اللغات بالعلوم المختلفة »

— * —

من الملكة المغربية :

— من الدار البيضاء كتب السيد انجارن هلي يقول : « تحياتي وتقديري لكم ولكافة العلماء الاجلاء الساهرين على خدمة لغتنا القومية وبعد ، فلقد اطلمت اخيرا على المجلة الدورية التي يصدرها مكتبكم الموقر ولحسن الحظ كان العدد الذي اطلمت عليه هو العدد الممتاز الخاص بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القراءان الكريم ، هذا العدد القيم الذي نال اعجابي وتقديري واعتزازي بنشاط مكتبكم الذي جماني استبشر خيرا بمستقبل اللغة العربية في كافة انحاء المعمورة » .

— ومن الدار البيضاء كذلك تلقينا رسالة من القاريه الكريم عبد الحق بن حدو جاء فيها : « ان اللسان العربي » هو المجلة التي يحق للمتكلمين باللغة العربية في كل مكان ان يعتمدوا عليها في توحيد هذه اللغة التي اصبحت الفوضى تم بمفرد المصطلحات العلمية التي تنقل اليها بالفاظ عديدة وبتعبير مختلفة ، فما احوجنا الى هذه المجلة وامثال هذه المجلة حتى تصبح لغتنا العربية في مستوى اللغات الحية العالمية »

— وهذا السيد محمد المقري من مدينة فاس يقول : « يطيب لي ان ابرر لكم عن اعجابي وتقديري للجهود الكبيرة التي يقوم بها مكتبكم في سبيل اعلاء شأن العروبة والاسلام ، كما اهنئكم على النجاح الكبير الذي احرزتم عليه مجلتكم الفراء » للسان العربي » .

— اما السيد الفشار حبيب فقد جاء في رسالته : « لقد تركت في نفسي مجلتكم ، الصدى الحسن ، والثر الطيب ، انها ظاهرة ايجابية بما تحويه من طاقات فكرية ، وبما تاتي به من اخبار وبحوث شيقة »

— * —

من الجمهورية التونسية :

— ومن عاصمة الجمهورية التونسية كتب الاستاذ الطاهر قيقه مدير الفنون والآداب يقول : « انه

او اسفر بكلمة اصح ، وصرت اتمعصها موضوعا موضوعا حتى اكملت الاطلاع بكل شوق على سائر المواضيع من (القراءان والمعجم الصوفي) الى (التطور الحي في اللغة) حتى (المعجم الفقهي المالكي) الى ان حلت بين القوافي السلسلات لقصيدة من نبرات الشباب فوجدتها - والله -

تشع من نبرات (العلم) ذبذبة .. الخ

— ومن بغداد بعث الينا الاستاذ عبد الجزار يقول : « .. وقد تركت جانبا كل ما كان في تناول يدي من المطبوعات وانصرفت الى دراسة هذه المجلة الحبيبة الحافنة بكل جديد ومفيد من المقالات والبحوث اللغوية والادبية والدينية ، ومما زاد من سروري ان هذا العدد يضم باقة ممتازة من البحوث المتعلقة بالقراءان الكريم الذي كان وما زال وسيبقى الى ما شاء الله ، عنوانا للامسة العربية ونبراسا لهم يستضيئون به ويشهدون بهديه » .

— وهذه القارئة الكريمة مي الحسنى من بغداد كذلك تقول : « وبعد : ففي غمار الضياع الذي يعيشه اللسان العربي ، ومن خلال المد الذي يحاول ان يجرف بتياريه الهادر لغة الضاد ، تطلعت الى لوح نجاة احاول التثبيت فيه لاجد الامن للفتي والسلامة لها .. فرايت في مجلتكم الموقرة ما تهفو اليه الروح وتطلع اليه الفكر »

— ورسالة اخرى من بغداد كذلك بعث بها الينا الاستاذ فيصل عبد الله الدليمي جاء فيها : « اطلمت على مجلتكم المختارة « اللسان العربي » الفراء ووجدت فيها خدمة كبيرة للغة العربية ، وانني لاعتز وافخر بكم على جهودكم الجمة التي تهدف الى تطور اللغة العربية ورفع مستواها الادبي والعلمي والتي ابرزت نتائج خيرة ومثمرة في العالم العربي »

— ومن القارئين الكريمين محمد حاسم معروف الكواز وكامل جاسم الهيثي وصلتنا رسالة يقولان فيها : « لقد اطلعنا على العدد السادس من مجلتكم الفراء « اللسان العربي » وما كادت ابدينا تلمسها واعيننا تنظر فيها الا وغمرنا السرور والفرح لاننا شعرنا منذ ذلك الوقت اننا وجدنا ضالطنا التي كنا نبحث عنها منذ سنوات عديدة حتى قدر الله تعالى لنا ان نجدها متمثلة في مجلتكم « اللسان العربي » ان اصدار هذه المجلة لعمل عظيم وجليل وسوف يحفظه التاريخ في سجل الخالدين بفضل خدمتكم

خطتهم ، وتعاونوا مع بقية العلماء في الاقطار العربية الشقيقة الاخرى لخدمة هذه اللغة الحية وعميمها وفرض تعليمها والتحدث بها والقضاء حتى على العامية التي هي بدورها معول من معاول الهدم »

— * —

من الكويت :

— وصلتنا رسالة من الاستاذ مجرل احمد جاء فيها : « اننى اتابع باهتمام بالغ كل ما تبدلونه من مجهود كبير مشكور ، وما تقومون به نحو الجميع دون أي كلل أو ملل ، والحقيقة اني مقدر لكم جميل صنمكم فيما هو خير الاجيال القادمة » .

— * —

من المملكة العربية السعودية :

— تلقينا رسالة من الطالب الجامعي صالح عبد العزيز عبد اللطيف من الرياض تقطف منها هذه السطور : « لقد اطلعت على ما يصدره مكتبكم الموقر باسم « اللسان العربي » ذلك السفر القيم الذي هو اشبه بالموسوعة ، ولقد اعجبني — والله — بما حوته من مادة دسمة ومن لباب ذون القشور في وقت عز فيها وجود نظائرها »

— * —

من الجمهورية السودانية :

— بعث الينا الاستاذ عبد الله يعقوب ابشر يقول : « يسرني ان اشيد بمجهودكم في هذا المفسر من اجل رفعة واعلاء شأن اللغة العربية في عالمنا العربي خاصة وفي العالم عامة »

— * —

من الجمهورية اللبنانية :

— وصلتنا كلمة رقيقة من جريدة « الاحرار » اشادت فيها بالطاقات والجهود الكبيرة المبذولة ، والمستوى الجيد للدراسات والابحاث في المجلة » .

— ومن بيروت بعث الينا سيادة الاستاذ جوزيف زمرور وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة برسالة رقيقة جاء فيها :

« ان هذه الوزارة اذ تثني على الروح العلمية الرسمية المتجلية في صفحات الكتاب وعلى النوايا

ليسمعني ان ابر لكم من تقديري للمجهودات التي تبدلونها في اداء مهمتكم الشاقة فعلا ، وانه لميل جليل هذا الذي تقومون به لخدمة اللغة العربية كي تصبح بحق لغة عمل تؤدي رسالتها على احسن وجه ... »

— * —

من الجمهورية العربية الليبية :

— وهذه رسالة الاستاذ المهندس علي محمد حسين المرجا بعث بها الينا من طرابلس جاء فيها : « اطلعت وكلي فخر واعتزاز على الجزئين الاول والثاني من المجلد السابع من مجلتكم المصماء « اللسان العربي » وقد كان لما وجدته من هذين الجزئين اثر كبير في نفسي اذ كانا ضالتي المنشودة التي كنت احس بنقص كبير يعترضني بمجزي من ايجاد الكلمات المناسبة التي تقابلني دائما عند كتابتي او عند ترجمتي لاحد التقارير الفنية او عند كتابتي لمصطلحات فنية على الخرائط المختلفة وغيرها . وانني اذ اشكركم على مجهودكم الكبير ادرك ان عملكم هذا خدمة جليلة لامتنا العربية بعيد لفتنا الخالدة تليد مجددا وينفض عنها غبارا تراكم عليها ، ظن بعض الحاقدين انه نال منها فاصبحت لا تجاري اللغات الحية الاخرى في ركب التطور .

— من طرابلس ايضا بعث الينا السيد محمد مختار رمضان برسالة جاء فيها : « مكنتني ظروف سميدة — اشكر الله عليها — من ان اطلعت على مجلة « اللسان العربي » الفراء التي تصدر من مكتبكم ، وقد لمست فيها مجهودا عظيما تجلى فيه علم اللغة في اسمى معانيه وابهى حلله ، ولا يسعني الا ان احيي رجال العلم الذين قاموا بهذا المجهود وكل من ساهم فيه بقدر .. »

— ومنها ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ عمرو ابراهيم الجادوي يقول فيها : « وبعد اطلاعي على مجلتكم العظيمة « اللسان العربي » اصبحت بها كثيرا لانها مجلة تخدم اللغة العربية لغة القرآن ولغة الاسلام التي ما فتئت اهداه الاسلام يحاربونها ويطمسونها ، يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان ينم نوره ولو كره الكافرون ، ان القضاء على هذه اللغة معناه القضاء على القرآن ودستورنا وثبراسنا نحن العرب والمسلمين ، فيا رجال اللغة العربية تهيب بكم ان تيقظوا لاولئك الهدامين وتحبطوا

تمثل وطننا العربي الكبير وتحمل الاسم المشهور في هذا الوطن « ثم يضيف قائلا : « إذ أنها تصدر من بلاد عربية لحما ودما وهذه المجلة لاقت الإعجاب من كل مواطن عربي وهي أمنية كل مثقف عارف لقضاياها »

— * —

من الهند :

— من ولاية كيرالا بالهند وصلتنا رسالة من الاستاذ عميد الكلية العربية بالولاية السالفة الذكر، وقد تفضل فاتحننا ببعض المعلومات عن ولايته وعن نشاط الترجمة القرآنية مشيرا الى مقالة فضيلة الاستاذ الشيخ طه الولي التي نشرت في العدد السادس من المجلة تحت عنوان : « ترجمة القراءان الى لغات شرقية وغربية » يقول القاري الكريم : « .. وذلك ان في الهند ولاية تسمى ولاية Kerala State وهي احدى ولايات الهند ،

يسكنها ثلاثة ملايين من المسلمين يتكلمون اللغة المليبارية ، وقد ترجم القرآن الكريم الى هذه اللغة المليبارية ، واذكر هنا بعض اسماء المترجمين : (1) الأجنحة المسماة (بالجمعية الادبية) Literature Society ترجمت بعض اجزاء القرآن الكريم من الاول . (2) س - أن - احمد المولوي، ترجم القرآن الكريم كاملا الى اللغة المليبارية مع بعض الشرح والبيان لكثير من الآيات ، ومقدمة ضافية - (3) كي - عمر المولوي ، ترجم القرآن كاملا من اوله الى آخره باللغة المليبارية بالحروف العربية . (4) محمد امانى المولوي القاسمي ترجم القرآن الى المليبارية من سورة الكهف الى الناس - مع الشرح الشافي والمقدمة المسهبة ، (5) متاشيري كويكني المولوي ، ترجم القرآن الكريم كاملا وكتب لترجمته مقدمة السيد عثمان المهندس، ولا اذكر هنا اسماء بعض العلماء الذين ترجموا بعض السور مثل : «يس» وسورة «يوسف» وجزء «هم» وغيرها وهم كثير « ثم يضيف السيد كريم فيقول : « ان العالم العربي والاسلامي في جهل من الاعمال الجبارة التي تجري في ولاية كيرالا من اجل نشر التعاليم الاسلامية والاداب العربية » .

و « اللسان العربي » تشكر القاريء الكريم على هذه المعلومات القيمة وتود ان يظل على افعالها حتى

الطيبة التي كانت في اسس وضعه لخدمة لغة الضاد وتأهيلها لتقبل تحذيات العصر العلمية ، وتفتنهما مناسبة لتعرب لكم من عميق شكرها وتقديرها . »

— ومن رأس المتن وصلتنا من الاستاذ الكبير عجاج نويهض كلمة رقيقة يقول فيها : « .. اما سطوري هذه ، فهي لتسجيل الشكر للمكتب على ما يبذله من جهد متواصل في سبيل «اللسان العربي» موجها محض شكري الى العلامة - التحرير الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله بصورة خاصة ، حياه الله وبياه ، وحقق مناه في خدمة اللسان الشريف ، فان الاستاذ الجليل ، قد نذر نفسه بفاية الاخلاص لخدمة الضاد ، فهو واخوانه في اهل الفضل والعلم والبحث والادب في العالم العربي ، قد جعلوا من مجلة « اللسان العربي » منبرا للاذهان العربية ، وفي ساحة هذه المجلة تلتقي الاقلام من مختلف الاقاليم ، مقدمة التباب والصورة ، ولهذا امست المجلة معهدا سيارا يجوب العالم العربي كله ، ومثل هذه الوسيلة لم تر الامة العربية من مثيل في العصر الحديث . »

— * —

من الخليج العربي :

— تسلمنا رسالة من الاستاذ احمد العمران المدير العام للتربية والتعليم بالبحرين جاء فيها : « .. ولا يسعني في هذا المقام الا القول بان تلك المجلة قد اخذت مكانتها المرموقة في العالم العربي وسواء بما لها من اهتمام مشكور بمواضيع ذات نفع كبير يذكر بالنسبة لجميع الناطقين بالضاد » .

— ومن المنامة كتب الاستاذ عيسى يقول : « وبعد : ببالغ السرور تلقيت مجلتكم المعبرة عن اللسان العربي، والناطقة بلغة الضاد، واني لابارك لكم تلك الخطوة الكبيرة لتنتيج لفتنا التي دخلت اليها بعض الكلمات الاجنبية وصارت متداولة بين اشقائنا العرب ، وجاءت مجلتكم لتمحو تلك الكلمات الدخيلة وتسمو بلغة الضاد الى مكانتها اللائقة بها »

— وهذه رسالة اخرى من الاستاذ ناصر احمد الصائغ يقدر فيها : « الجهود الكبيرة التي يبذلها المكتب في اصدار « اللسان العربي » التي

يتمدها بمعلومات افضى واوسع من هذه الولاية
الاسلامية الهتدية .

— ومن الهند كذلك وجه الينا السيد مدير
الكلية الاصلاحية رسالة رقيقة جاء فيها : « ان
مجلتكم الغراء المفيدة كل الافادة « اللسان العربي » من
المجلات الادبية واللغوية النفيسة ، وخدماتكم الجليلة
فى هذا الميدان الواسع مشكورة ، اننا نهنتكم على
جهودكم فى هذه الناحية ، ونتمنى لكم كل توفيق
لخبر العروبة »

— * —

من يوغوسلافيا :

— وصلتنا رسالة طويلة من الاستاذ
المستعرب توفيق مفتيتش تقطف منها ما يلى :
« لقد سرنى كثيرا عندما اطلعت على بعض النسخ من
مجلتكم الثمينه « اللسان العربي » ورايت انها تعين
فى مقالات قيمة على حل مشاكل هامة من المشاكل
التي تهم كل العرب والمستعربين الذين لهم اهتمام
مخلص بحلها المقنع المفيد رايت ان لا اغنى لى عنها
لاننفع بها فى خدمة اللغة العربية العزيزة وآدابها
الغزيرة . »

— * —

من بولاندا :

— تلقينا رسالة شكر من المستشرق ب. ر.
رافورسكي من مدينة وارسو يقول فيها : « انسى
اعتبر مجلة «اللسان العربي» عملا قيما فريدا من
نوعه فى ميدان اللغة ، والثقافة العربية اليوم . »

— * —

من بريطانيا :

— من جامعة كمبريدج بعث الينا المستر
ر. ل. بدويل من قسم دراسات الشرق الاوسط
برسالة رقيقة يمدد فيها مزايا المجلة واهميتها
بالنسبة للطلبة ، ويطلب الاعداد السابقة من المجلة

— ووصلتنا من بريطانيا ايضا رسالة شكر من
الطالب السعودي عبد الله منصور من جامعة
غلاسكو ينوه فيها : « بالجهود الطيبة المبذولة فى طي
مجلة : « اللسان العربي » ويعرب عن « اعجابه بها لما
فيها من ابحاث لغوية قيمة ودراسات جادة »

— * —

من هولاندا :

— من امستردام كتب الاستاذ الياس
راونتيسي يقول : « لقد اطلعت على العدد السادس
من مجلة اللسان العربي حبا فى الانتفاع بما تحتويه
من الابحاث العلمية واللغوية الهامة وطعما فى
الاستزادة من معلوماتها الشائقة ، وحتى تقف على
آراء اهل العلم واللغة ، ومتابعة ابحاثهم المفيدة . »

— * —

من الاوجنتيين :

— من (بويس ايريس) تلقينا رسالة شكر
رقيقة من الاستاذ السيد الياس قنصل تقطف منها
ما يلى : « واغتنم السانحة لايث اليكم باصدق
عواطف الاعجاب بما تقومون به من المجهود الثمر فى
سبيل اللغة العربية ، ان مطبوعات المكتب تدل على
تعمق فى الدرس وغيرة على القومية ، ولا شك انه
مدين لكم باغلب ثمراته »

— * —

من الولايات المتحدة الامريكية :

— وصلتنا رسالة رقيقة من الدكتور ركي
عبد الملك استاذ الادب العربي والعلوم اللغوية بجامعة
يوتا ، تقطف منها ما يلى :

« ارجو ان تتقبلوا ثنائى على العدد الاول ، فهو
فى رأيى يضاهي ارقى المجلات العلمية الغربية فى
عمق مادته وحسن امداده ، وليس من شك فى ان
القراء فى العالم العربي كله وفى الغرب ايضا
سيرحبون بمجلة : « اللسان العربي » ترحيبا عظيما ،
وسيجدون فيها موردا خصبيا للمعرفة ، ومنهلا صافيا
للمسلم . »

مجلة المجلدات

اللغة العربية

الإستاذ أحمد العابد
(الجزائر)

نشرت مجلة «الفكر» الفراء التي تصدر بتونس مقالا للإستاذ أحمد العابد
تحت عنوان « اللغة العربية » ننشره شاكرين :

والفرنسية ، على أن كل صنف من هذه الأصناف قد يملك مبادئ اللغة الأخرى بالنسبة الى اللغة التي حصلت بها ثقافته ، لكنها مبادئ في معنى النبذ الطفيفة الخفيفة التي لا تغني ولا تسمن من جوع كما يقال .

ونعود اليوم الى اللغة العربية لنبدى في شأنها بعض الآراء والخواطر ، مساهمة متواضعة منا في إيجاد الحلول التي نراها صالحة في العاجل وفي الأجل للمشكل أو المشاكل التي تثيرها باعتبارها لغة قديمة ولغة حديثة ولغة عصرية حية تريد أن تجاري اللغات العالمية الأخرى فتصبح أداة التعبير والتأليف في المجالات الاقتصادية والعلمية والتقنية خاصة فضلا عن المجالات الأدبية والفلسفية وميادين العلوم الإنسانية الأخرى أطلاتا .

وعندما أقول هذا مكان اللغة العربية ما زالت متأخرة من ركب اللغات الحضارية العالمية المصرية أو كانها ما زالت عاجزة من أداء رسالتها الثقافية والتعليمية والتأليفية في أعلى مستوى ، بل قل أن هذا ما قد يتبادر الى ذهن السامع أو القارئ لهذه الأسطر من أول وهلة .. والمشكل في الحقيقة ليس فيما ذكرت الآن وإنما هو في تزاخم اللغة الفصحى واللغة العامية الدارجة في مختلف ميادين النشاط أو الحياة اليومية ، سواء في الإذاعة والتلفزة أو المنزل أو الشارع أو حتى التأليف الأدبي كما سنرى .

لا يزال مشكل اللغة العربية — الفصحى والدارجة واللغة الثالثة — يشغل بال الكثيرين من مثقفينا في تونس ، وقد تناوله بالبحث عدد من رجال الفكر والأدب ورجال التعليم والطلبة ، والقيست في محاضرات وكلمات وبسطات ونظمت ندوات وسهرات وأسمار ، سواء بدور الثقافة أو النوادي الأدبية أو محلات اللجان الثقافية وغيرها في شتى أنحاء الجمهورية ولاسيما منذ الاستقلال الى اليوم .

وان الدواغع التي ركز عليها أغلب من تكلم أو كتب في اللغة العربية من حيث وضعها التاريخي القديم والحديث وإمكاناتها ومكانتها وأهميتها في حياة الأمم الناطقة بها — ومن بينها تونس — تنقسم الى ثلاثة :

أولا : أن العربية هي لغة القرآن ، يحق لنا أن ننكب على درسها ونعزز بها باعتبارنا مسلمين .

ثانيا : أنها عنصر من عناصر ثقافتنا وقوميتنا يحق لنا كذلك أن نبحث عن طرق تنميتها ووسائل إحيائها وانعاشها وإحاطتها بركب اللغات العالمية المعاصرة المعترف بها والمتعامل بها في المحافل الدولية .

ثالثا : أنها — إذا صح التعبير — « مشكل اجتماعي » بالنظر الى أن المجتمع التونسي مثلا — وكذلك الشأن بالنسبة الى الجزائر أو المغرب الاقصى على سبيل المثال — يشتمل على ثلاثة أصناف من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، وصنف المثقفين باللغة الفرنسية وصنف المثقفين باللغتين العربية

قل القمر على سبيل الواقعية ، كما فعلت اللغسة
الانجليزية بالولايات المتحدة الامريكية اليوم ، فتكلم بها
الرواد على سطح القمر ، وفي هذا من الاشارة والرمز
ما يكفي تمجيها عما نريد وتبليها لما نقصد ..

وفي سياق ما ذكرنا آنفا ، أصبحت اللغة العربية كذلك لغة « يتعامل بها » باليونسكو ، مما يزيد بشكل النهوض بها و « تعميرها » حدة وأهمية .

2 - اللغة الدارجة : وضعها وامكانياتها :

ان نظرة الاغلبية الساحقة من المثقفين الى اللغة العامية هي نظرة « احتراز » ان لم نقل نظرة ازدراء وتمنع ، رغبا عن كونها لغة التخاطب اليومي في المنزل والشوارع والادارة وفي اروقة المدارس والمعاهد والكليات فهي اذن اللغة السائدة بين الناس دون النصحى التي ميدانها محصور في مئات المتعلمين والمثقفين ، والسبب في انحصار ميدان النصحى ذلك، واتساع نطاق العامية في تونس مثلا هو ان الآباء والاجداد لم يدرسوا — بكليتهم — اللغة العربية النصحى ولم يتقنوها حتى تصبح بينهم لغة التخاطب ، و « التعامل » اليومي ، وهذا راجع الى ان تعليمها لم يكن منتشرا كما هو راجع بوجه عام الى الوضع التاريخي القديم الذي كانت عليه البلاد في مختلف عهوده واطواره ، ابتداء من العهد القرطاجني الى ما قبل الاستقلال . وكل ذلك بالنسبة الى الكثير من البلدان الناطقة بالعربية ، ما قرب منها أو ما بعد ...

أما فيما يتعلق بوضع اللغة العامية وإمكاناتها في ميدان التأليف اليوم بتونس فنلاحظ أنها انخرجت منذ زمان في ميدان التأليف ، من ذلك مثلا المسرحيات الإذاعية أو التلفزية التي غرضها التسلية أو الترفيه الأخلاقي بدرس مواضيع اجتماعية ، كما أصبحت لغة النشرة الإخبارية الخاصة بمعموم الناس أو التعليق باللسان الدارج ، ومن هنا يتسنى لنا القول ان اللغة الدارجة قد أخذت مكانها بعدد كبير من برامج الإذاعة والتلفزة ، غرست نفسها فرضا بحكم الواقع أي الوضع الحالي للمجتمع التونسي الذي ما زال في حاجة الى الدارجة ليكون مطلعا على ما يجري في البلاد والعالم من أحداث وأخبار ، الخ ...

ثم ان اللغة العامية قد اكتسحت من ناحية أخرى ميدان التأليف الأدبي وخاصة القصة ، ونذكر في هذا الشأن على سبيل المثال محاولات الاديبين محمد العروسي المطوي والنشير خريف وغيرها من أئمة

اللغة الدارجة الى جانب الفصحى لمخلها بها باعتبار ان اللغة العامية قادرة احيانا على اداء المعنى المطلوب بأكثر وأتمية وحيوية من الفصحى .

وإذا نظرنا في مستقبل اللغة الدارجة وخاصة في المجال الذي تستعمل فيه اليوم نرى ان نشر التعليم سيكون له مفعوله — أكثر فأكثر — في تهذيب هذه اللغة ومخلها ويجدر أن نلاحظ في هذا المجال أن اللغة الدارجة التي أصبحنا نتكلم بها اليوم ليست نفس اللغة التي يتكلم بها آباؤنا وأجدادنا منذ ثلاثين سنة ، وإنها قد نمت وتهذبت ولاسيما بعد الاستقلال أي في بحر الخمسة عشر عاماً الأخيرة ، والسبب في ذلك راجع — كما قلنا — من ناحية الى نشر التعليم ومن ناحية أخرى الى تأثير خطب الرئيس وخطب المسؤولين وتأثيرها في الناس وطبع لفتهم بطابعها ومن جهة ثالثة الى تأثير الحصص الإذاعية ثم التلفزيونية التي تعددت وتنوعت .

ومن شأن كل هذه العوامل أن تتفاعل وتساعد على تهذيب اللغة الدارجة وتقربها من الفصحى شيئاً فشيئاً على مر السنين .

اللغة الثالثة : وما لا يجب إهماله أن ما نسميه أو ما سماه بعضهم باللغة الثالثة كانت هي أيضاً محاولة جربت في ميدان التأليف الأدبي وخاصة منه المسرحي وقد ظهرت هذه البادرة في مسرحيات توميق الحكيم ومحمود تيمور ، وحقيقة هذه اللغة أنها بين الفصحى والعامية ، لها علاقة بالنص من حيث مراعاتها لقواعد النحو والصرف والرسم المتعارمة ، ولها صلة بالعامية من حيث بساطة الفاظها وتراكيبها وحتى النطق بها بالوتوف على السكون مثلاً وهي محاولة طريفة يمكن تمهيمها لحل مشكل الفصحى والعامية أي انتهاج التأليف والتعبير بلغة سلسلة طيبة يفهمها الخاص والعام ، لكن انتشار مثل هذه اللغة الثالثة متوقف الى حد كبير على انتشار التعليم واكتساحه كل أصناف المجتمع ، الشأن في هذا المجال شأن الفصحى أو يكاد ...

3 — كيف نهض باللغة العربية ؟

ليس الحل في الترجمة محسوب إذ هي كما رأينا ضرورية لكن غير كافية ، وإننا الحل في تكوين أطرارات كافية من حيث العدد والقيمة أي كما وكيفا كما يقال ، أطرارات في أعلى مستوى تادرة على الخلق والابتكار والتأليف في ميدان العلوم والتقنيات خاصة ، أي تكوين

بحائة وعلماء قادرين على مجاراة البحائة والعلماء الأمريكان والأوربيين في ميدان البحث والاكتشاف والاختراع بالخابر العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشترط في هؤلاء البحائة والعلماء أن يتفلموا في العربية ليمبروا بها عن آرائهم ويصنفوا بها الكتب والمقالات . الحل إذن ينحصر في تكوين العقول والادمغة لا في الترجمة فحسب .

فاذا ظهوروا الى الوجود — والمسألة مسألة زمن — أصبحوا قادرين على فرض لغة عربية علمية عصرية ، فتقتحم هذه اللغة المحافل العلمية والسياسية الدولية تقديراً للناطقين بها من أجل علومهم ومساهماتهم في تحقيق التطور البشري والتقدم الحضاري على صعيد عالمي . هذا هو الحل في الآجل ، لان الحياة على مراحل والتطور كذلك .

أما الحل في العاجل فهو ما بادرت اليه تونس وهو استعمال اللغة الفرنسية الى جانب اللغة العربية، على أن هذا الحل قد يطول أمده ، ولا خير في استعمال اللغتين العربية والفرنسية ، بل حتى أكثر من لغتين في عالمنا اليوم ، عالم الحضارة والمعلوم والتقنيات والاكتشافات المتعددة المتعاقبة ، علم غزو القمر والتحليق في الفضاء ، نريد فيه أن نلتحق بالأمم المتقدمة التي سبقتنا أشواطاً وأشواطاً في ميدان البحث العلمي والاختراع والاكتشافات التقنية .

وهكذا فإن اللغة التي يمكن أن تصبح أداة التأليف العلمي والتدريس بالمعاهد والكليات هي اللغة الثالثة التي تعرضنا لها آنفاً بشرط أن يخلتها ويفرضها — بالتأليف فيها قبل كل شيء — جمع البحائين والعلماء الذين ننظرهم سواء في ميدان الرياضيات أو المعلوم الفيزيائية أو علوم الذرة وغزو الفضاء ، أو الطب في المخابر بالخصوص .

وإذا ما وصلنا الى هذا الطور ، الذي تصبح فيه اللغة العربية — اللغة الفصحى المبسطة — لغة التدريس والتأليف بمختلف مراحل التعليم ، فلا بد من الحفاظ على اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية أو الألمانية وغيرها من اللغات العالمية الحية بمدارسنا حتى يبقى التفاعل أو التبادل أو التلاقح حاصلًا بين الحضارات والثقافات فنكون هكذا قد حققنا ما نصبو اليه من تدعيم ثقافتنا على أسس قومية وأصيلة من ناحية ، وفتح من ناحية أخرى على العالم الخارجي .

ولئن كان من السهل اليوم أن ندرس اللغات والعلوم الإنسانية أو مددا منها على الأقل باللغة

دون الآخر ، مما يجعل وسيلة التناهم والتخاطب صعبة معقدة .

فالهل الآن هو لفائدة لغة عربية فصحى مبسطة تفرض نفسها مع الزمن بفضل عدة عوامل .

ومن هذه العوامل بالنسبة الى بلادنا ، انتشار التعليم وعناية الحكومة بتطوير اللغة العربية وتنميتها في نطاق التدريس والتأليف من الحفاظ على اللغسات الأجنبية وخاصة الفرنسية باعتبارها اللغة العلمية المناسبة القريبة من الاغلبية الساحقة من التونسيين ضمانا لبقاء النتج على الثقافات والحضارات الأجنبية والتفاعل مع العالم الخارجي وتحاشي الانكساش والانغلاق على النفس .

وخلاصة القول فقضية اللغة العربية هي قضية تطور زمني ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتشار التعليم الى ان يكتسح كافة أبناء الشعب التونسي بنسبة قريبة من النسبة المثلثي اي ما يقرب من مائة بالمائة ، كما هو الشأن في البلدان المتقدمة التي مرت على استقلالها عقود من السنين ، وهي قضية تكوين اطارات عالية كفاءة مقتدرة على البحث والاختراع والتأليف وبالتالي على لمرض لغة مجددة مبسطة منقحة لها قواعد الفصحى مع تراكيب والفاظ واصطلاحات قريبة من الاذهان ، يفهمها الخاص والعام . كما هي قضية عناية من طرف المسؤولين بتطويرها ونشرها كما هو الشأن بتونس ، وعلى صعيد اممي ، من طرف المسؤولين بمختلف الاقطار الناطقة بها .

نعمسى بذلك ان تصبح الى جانب اللغة الفرنسية او الانجليزية او الالمانية او الاسبانية لغة « التعامل » في المحافل الدولية السياسية والمنظمات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية العالمية .

العربية ، فان كثيرا من المشاكل ما زالت قائمة في وجه هذه اللغة : ومنها صعوبة تعريب العلوم والفنون المتعنية كلها في الاجل ، وقلة الاقطارات الكفاة والكافية في ميدان التدريس العالي باللغة العربية ، وكذلك ادبار الشبان من الطلبة والطالبات من العربية كما دلت على ذلك التجربة الاخيرة الرامية الى اتمام ساعة عربية في مختلف شعب التدريس الجامعي ، الخ .

وان دل هذا النور منهم على شيء فهو يدل على نوع من المركبات ، مركب الشمور بالنقص ، المتمثل في الازدراء والاستعلاء تجاه هذه اللغة .

اما فيما يتعلق باللغة الدارجة ونصيبها من الاستعمال فقد ينحصر - على الصعيد الداخلي - في الميادين التي تسربت اليها اليوم ، سواء بالاذاعة والتلفزة او ميادين التأليف المسرحي لبعض الروايات المسلية او ذات النزعة التربوية الاخلاقية والاجتماعية لمرضاها بالاذاعة او التلفزة فضلا عن ميدان التخاطب بالمنزل والشارع والادارة .

على انه من الميسر ان نتصور اللغة الدارجة هي اللغة الرسمية المثلثي التي قد تصبح لغة التأليف والتدريس او نشر العلم والثقافة في اي بلد من اقطار المغرب او المشرق وهذا راجع - اذا وضعنا المشكل على الصعيد الاممي بين هذه الاقطار - الى ان لكل بلد من هذه البلدان لفته الدارجة ولهجته ومصطلحاته الخاصة : فكلية « شنطة » المصرية مثلا لا انهمها وانهم مكانها لفظة « فليجة » رغم ان هذه اللفظة امجية غير عربية لكنها تستعمل في الدارجة التونسية. وقل مثل ذلك بالنسبة الى الكثير من الكلمات ذات الاصل التركي او الفرنسي التي تزخر بها اللهجات العامية في مختلف الاقطار العربية والتي تستعمل في بلد